عقود المرجان

في

تفسير القرآن

تأليف

السيد نعمة الله الجزائري

المتوفى سنة ١١١٢ هـ

تحقيق

مؤسسة شمس الضحى الثقافية

عقود المرجان

في

تفسير القرآن

تأليف

السيد نعمة الله الجزائري

المتوفى سنة ١١١٢ هـ

المجلد الثالث

شبكة الفكر
alfeker.net

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ اللَّهِ
وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة

احياء الكتب الإسلاميه

ايران قم المقدسه ارم ٤ پلاك ١٣٥

٠٠٩٨٢٥١ ٢٩٣٦٣٥٢ ـ ٠٠٩٨٢٥١ ٧٧١٩٦٥٧ ـ ٠٠٩٨٢٥١

◆ عقود المرجان في تفسير القرآن ج ٣
◇ تأليف السيد نعمة الله الجزائري
◆ انتشارات نوروحى
◇ چاپخانه اميران
◆ چاپ اول ١٣٨٨ — ٢٠٠٠ عدد
◇ قيمت دوره — ٥٠٠٠٠ تومان
◆ شابك — ٩٧٨ـ٩٦٤ـ٢٥٩٢ـ٢٨ـ٩
◇ شابك دوره — ٩٧٨ـ٩٦٤ـ٢٥٩٢ـ٢٤ـ١

١٦.
سورة النحل

عن النبيّ صلى الله عليه و آله: من قرأ سورة النحل، لم يحاسبه الله بالنعم التي أنعمها عليه و أعطي من الأجر كالذي مات و أحسن الوصيّة. و إن مات في يوم تلاها و ليلته، كان له من الأجر مثل ذلك.[١]

عن أبي جعفر عليه السلام: من قرأ سورة النحل في كلّ شهر، كفي سبعين نوعاً من أنواع البلاء، و كان مسكنه في جنّة عدن و هي وسط الجنان.[٢]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * أَتَىٰ أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ».

«أتى». عن أبي عبدالله عليه السلام: أوّل من يبايع القائم عليه السلام جبرئيل ينزل في صورة طير أبيض فيبايعه ثمّ يضع رجلاً على بيت الله الحرام و رجلاً على بيت المقدس ثمّ ينادي بصوت ذلق تسمعه الخلائق: «أتى أمر الله فلاتستعجلوه».[٣]

«أتى أمر الله فلاتستعجلوه». كانوا يستعجلون ما أوعدهم الرسول من قيام الساعة أو إهلاك الله إيّاهم كما فعل يوم بدر، استهزاء و تكذيباً و يقولون: إن صحّ ما يقوله، فالأصنام تشفع لنا و تخلّصنا. فنزلت. و المعنى: انّ الأمر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقّق من حيث إنّه واجب الوقوع. فلاتستعجلوا وقوعه. فإنّه لا خير لكم فيه و لاخلاص لكم منه. «سبحانه و

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٣٥.
٢ـ ثواب الأعمال / ١٣٣، ح ١.
٣ـ كمال الدين ٢ / ٦٧١، ح ١٨.

تعالى»: تبرّأ و جلّ أن يكون له شريك فيدفع ما أراد بهم. «يشركون». قرأ حمزة و الكسائيّ بالتاء على وفق قوله: «فلاتستعجلوه».(١)

«عمّا يشركون». لأنّ استعجالهم استهزاء و تكذيب. و ذلك من الشرك.(٢)

[٢] «يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ».

«بالروح»؛ أي: بالوحي، أو القرآن. فإنّه تحيي به القلوب الميّتة بالجهل، أو يقوم [في] الدين مقام الروح في الجسد. «ينزّل». ابن‌كثير و أبوعمرو: «ينزل» من أنزل. وعن يعقوب: «تنزّل» بمعنى تتنزّل. و أبوبكر: «تنزّل» على المضارع المبنيّ للمفعول من التنزيل. «أن أنذروا»: بأن أنذروا؛ أي: أعلموا. من نذرته بكذا، إذا أعلمته.(٣)

«أن أنذروا». بدل من الروح. أي: ينزّل بأن أنذروا. و تقديره: بأنّه أي الشأن أقول لكم: أنذروا. أو يكون أن مفسّرة. لأنّ تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول.(٤)

[٣] «خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ».

«بالحقّ»؛ أي: بالحكمة. «عمّا يشركون» ممّا لايقدر على خلقها.(٥)

[٤] «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ».

«من نطفة»: من جماد لا حسّ بها و لا حراك سيّالة لاتحفظ الوضع و الشكل. «خصيم مبين»؛ أي: منطيق مجادل مبين للحجّة. أو: خصيم مكافح لخالقه قائل: من يحيي العظام و هي رميم؟ روي أنّ أبيّ بن خلف أتى النبيّ ﷺ بعظم رميم و قال: يا محمّد، أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رمّ؟ فنزلت الآية.(٦)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣٧.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٥٩٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣٧.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٩٣.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣٨.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣٨.

[٥] «وَ الْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَ مَنَافِعُ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ».

«و الأنعام»: الإبل و البقر و الغنم. و انتصابه بمضمر يفسّره «خلقها لكم فيها دفء»؛ أي: ما يدفأ به فيقي البرد. «و منافع»: نسلها و درّها و ظهورها. «تأكلون». أي كاللّحوم و الشحوم و الألبان. و أمّا الأكل من سائر الحيوانات المأكولة، فعلى سبيل التداوي أو التفكّه.(١)

«دفء»؛ أي: لباس.(٢)

[٦] «وَ لَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَ حِينَ تَسْرَحُونَ».

«جمال»؛ أي: زينة. «تريحون»: تردّونها من مراعيها إلى مراحها بالعشيّ. «حين تسرحون»: تخرجونها بالغداة إلى المراعي. فإنّ الأفنية تتزيّن بها في الوقتين فيجلّ أهلها في أعين الناظرين إليها. و تقديم الإراحة لأنّ الجمال فيها أظهر فإنّها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثمّ تأوي إلى الحظائر حاضرة لأهلها.(٣)

[٧] «وَ تَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ».

«أثقالكم»؛ أي: أحمالكم.(٤)

«إلى بلد»: إلى مكّة و المدينة و جميع البلدان.(٥)

«بشقّ». بكسر الشين و فتحها. قيل: هما لغتان في معنى المشقّة. و بينهما فرق؛ و هو أنّ المفتوح مصدر شقّ الأمر عليه شقّاً، و أمّا الشقّ فالنصف؛ كأنّه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد. و معناه: و تحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الإبل إلّا

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣٨.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٣٩.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣٨.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣٨.

٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٨٢.

بجهد أنفسكم. لأنّهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة.[١]

«و تحمل أثقالكم». عن أبي عبدالله عليه السلام: ما من ملك و لا سوقيّ يصل إلى الحجّ إلّا بمشقّة في تغيير مطعم أو مشرب أو ريح أو شمس و لا يستطيع ردّها. و ذلك قوله عزّوجلّ: «و تحمل أثقالكم» ـ الآية.[٢] و الحديث طويل.

«بشقّ». أبوجعفر بفتح الشين، و الباقون بكسرها.[٣]

[٨] «وَ الْخَيْلَ وَ الْبِغَالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَ زِينَةً وَ يَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ».

«و الخيل». عطف على الأنعام. أي: و خلق هؤلاء للركوب و الزينة. و نصب «زينة» على أنّه مفعول له و هو معطوف على محلّ «لتركبوها». فإن قلت: فهلّا ورد المعطوف و المعطوف عليه على سنن واحد؟ قلت: لأنّ الركوب فعل المخاطبين، و أمّا الزينة ففعل الزائن و هو الخالق. «ما لاتعلمون». أخبر بأنّ له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالإخبار بذلك.[٤]

[٩] «وَ عَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَ مِنْهَا جَائِرٌ وَ لَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ».

«و على الله قصد السبيل»؛ أي: بيان قصد السبيل. «و منها جائر»؛ أي: من السبيل ما هو عادل عن الحقّ.[٥]

«على الله قصد السبيل». معناه: انّ هداية الطريق الموصل إلى الحقّ واجبة عليه. [و قرأ عبدالله: «و منكم جائر». يعنى: و منكم] جائر جار عن القصد بسوء اختياره و الله بريء منه. «لهداكم». أي قسراً و إلجاء.[٦]

[١٠] «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَ مِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ».

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٩٤ ـ ٥٩٥.
٢ـ الكافي ٤ / ٢٥٣، ح ٧.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٣٨.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٩٥.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٤٢.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٥٩٦.

«شراب»: ما يشرب. «شجر»؛ أي: الشجر الذي ترعاه المواشي. «تسيمون». من سامت الماشية، إذا رعت. فهي سائمة. و أسامها صاحبه. و هو من السومة، و هي العلامة. لأنّها تؤثّر بالرعي علامات في الأرض.(١)

«و منه شجر»؛ أي: و منه يكون شجر ترعاه المواشي. و قيل: كلّ ما ينبت على الأرض شجر.(٢)

[١١] «يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَ الزَّيْتُونَ وَ النَّخِيلَ وَ الْأَعْنَابَ وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ».

«ينبت». قرأ أبوبكر بالنون على التفخيم.(٣)

«و من كلّ». من للتبعيض. لأنّ كلّ الثمرات لايكون إلّا في الجنّة. «يتفكّرون»: ينظرون فيستدّلون بها عليه و على حكمته.(٤)

[١٢] «وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

«و الشمس». ابن‌عامر: «و الشمس و القمر و النجوم مسخّرات» كلّ ذلك بالرفع. و قرأ حفص عن عاصم: «و الشمس و القمر» بالنصب «و النجوم مسخّرات» بالرفع. و قرأ الباقون كلّ ذلك بالنصب. «إنّ في ذلك»؛ أي: التسخير «لآيات لقوم يعقلون»: لدلالات لمن يتفكّر.(٥)

قرئت كلّها بالنصب على: و جعل النجوم مسخّرات، أو على أنّ معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون باللّيل و يبتغون من فضله بالنهار و يعلمون عدد السنين

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٩٧.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣٩.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣٩.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٥٩٧.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٤٠ و ٥٤٣.

و الحساب بسير الشمس و القمر و يهتدون بالنجوم. كأنّه قيل: و ينفعكم بها في حال كونها مسخّرات لما خلقهنّ له بأمره. و يجوز أن يكون المعنى أنّه سخّرها أنواعاً من التسخير. كأنّه قيل: و سخّرها لكم تسخيرات بأمره.(١)

«مسخّرات». حال من الجميع. أي: نفعكم بها حال كونها مسخّرات لله خلقها الله و دبّرها كيف شاء. أي: لمّا خلقهنّ له بإيجاده و تقديره أو بحكمه. و على تقدير قراءة حفص: «و النجوم مسخّرات» بالابتداء و الخبر [يكون] تعميماً للحكم بعد تخصيصه.(٢)

[١٣] «وَ مَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ».

«و ما ذرأ»؛ أي: سخّر لكم ما خلقه لكم في الأرض لقوام أبدانكم من المطاعم و الملابس و المناكح و سائر النعم. «مختلفاً ألوانه» لايشبه بعضه بعضاً. «يذّكّرون»؛ أي: يتذّكرون الأدلّة فينظرون فيها و يعتبرون بها.(٣)

[١٤] «وَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَ تَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

«سخّر البحر»؛ أي: جعله بحيث تتمكّنون من الانتفاع به بالركوب و الاصطياد و الغوص. «طريّاً». هو السمك. «حلية». كاللّؤلؤ و المرجان. «تلبسونها»؛ أي: تلبسها نساؤكم. فأسندها إليهم لأنّهنّ من جملتهم و لأنّهنّ يتزيّنّ بها لأجلهم. «مواخر فيه»: [جواري فيه تشقّه بحيزومها. من المخر هو شقّ الماء، و قيل:] صوت جري الفلك فيه.(٤)

«مواخر». المخر: شقّ الماء عن يمين و شمال. يقال: مخرت السفينة الماء مخراً فهي ماخرة. و المخر أيضاً: صوت هبوب الريح إذا اشتدّ هبوبها. أي: و ترى ـ أيّها الإنسان ـ السفن شقّاقة في البحر و قواطع لمائه. و قيل: جواري. «و لتبتغوا من فضله»؛ أي: و لتركبوه للتجارة و تطلبوا

١ـ الكشّاف ٢ / ٥٩٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٣٩.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٤٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٤٠.

من فضل الله. «و لعلّكم تشكرون»: لكي تشكروا الله على نعمه ليزيدكم منها و يثيبكم.[١]

[١٥] «وَ أَلْقىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ أَنْهَاراً وَ سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ».

«رواسي»؛ أي: جبالاً عالية ثابتة. «أن تميد بكم»؛ أي: لئلّاتميد بكم الأرض. أو: كراهة أن تميد بكم؛ أي: تتحرّك و تضطرب. «و أنهاراً»؛ أي: جعل فيها أنهاراً. «و سبلاً»؛ أي: طرقاً لكي تجروا الماء في الأنهار إلى بساتينكم و تهتدوا بالطرق إلى حيث ما شئتم من البلاد. و قيل: أراد بالأنهار النيل و الفرات و دجلة و سيحان و جيحان و أمثالها. «تهتدون»: لتهتدوا بها إلى توحيد الله.[٢]

«أن تميد بكم». و ذلك لأنّ الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال، كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع و كان من حقّها أن تتحرّك بالاستدارة كالأفلاك أو أن تتحرّك بأدنى سبب للتحريك. فلمّا خلقت الجبال [تفاوتت جوانبها و توجّهت الجبال] بثقلها نحو المركز فصارت كالأوتاد التي تمنعها عن الحركة. و قيل: لمّا خلق الله الأرض، جعلت تمور. فقالت الملائكة: ما هي بمقرّ أحد على ظهرها. فأصبحت و قد أرسيت بالجبال.[٣]

[١٦] «وَ عَلَامَاتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ».

«و علامات»؛ أي: جعل لكم علامات؛ أي: معالم يعلم بها الطرق. و قيل: العلامات الجبال يهتدى بها نهاراً و بالنجوم يهتدون ليلاً. و قيل: المراد به الاهتداء و أراد بالنجم الجنس. و قيل: تمّ الكلام عند قوله: «و علامات» ثمّ ابتدأ: «و بالنجم هم يهتدون». و قيل: المراد به الاهتداء في القبلة. و قال أبوعبدالله عليه السلام: نحن العلامات. و النجم رسول الله صلى الله عليه و آله. و قال: إنّ الله جعل النجوم أماناً لأهل السماء، و جعل أهل بيتي أماناً لأهل الأرض.[٤]

«و بالنجم». عن النبيّ صلى الله عليه و آله: هو الجديّ لأنّه نجم لايزول و عليه بناء القبلة و به يهتدون

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٤٤ ـ ٥٤٥.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٤٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٤٠.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٤٥.

أهل البرّ و البحر.[١]

«و بالنجم». خطاب لقريش لأنّهم كانوا كثيري الأسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسائرهم بالنجوم.[٢]

[١٧] «أَ فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَ فَلَا تَذَكَّرُونَ».

«أفمن يخلق» هذه الأشياء في استحقاق العبادة و الإلهيّة كالأصنام التي لاتخلق شيئاً حتّى يسوّى بينها في العبادة و بين خالق جميع ذلك؟[٣]

[١٨] «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ».

«و إن تعدّوا نعمة الله». أي إنّ ما ذكر بعض نعمه، و إن أردتم التفصيل، فهو غير ممكن. (ع)

«لغفور». أي لما حصل منكم من تقصير في شكر نعمه.[٤]

«رحيم» حيث لم يقطعها عنكم بترك شكرها. (ع)

[١٩] «وَ اللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ».

[٢٠] «وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ».

عن أبي جعفر عليه السلام: «الذين يدعون من دون الله» الأوّل و الثاني و الثالث. كذّبوا رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: والوا عليّاً عليه السلام و اتّبعوه. فعادوا و لم يوالوه ودعوا الناس إلى ولاية أنفسهم. و أمّا قوله: «لايخلقون شيئاً» فإنّه يعني: لايعبدون شيئاً «و هم يخلقون»؛ يعني: و هم يعبدون.[٥]

١ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٥٦، ح ١٢.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٤٠.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٤٥.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٤٦.

٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٥٦، ح ١٤.

«و الذين يدعون». أي الأصنام. «يدعون». عاصم بالياء. و الباقون بالتاء.(١)

[٢١] «أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَ مَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ».

و أمّا قوله: «أموات غير أحياء»؛ يعني: كفّار غير مؤمنين. و أمّا قوله: «أيّان يبعثون» فإنّه يعني أنّهم لايؤمنون أنّهم يشركون.(٢)

«أموات»؛ أي: الأصنام هي أموات «غير أحياء»؛ أي: لم يسبق لها حياة و ماتشعر هذه الأصنام متى تبعث. و قيل في الآية: هم أموات، يعني [أنّ] الكفّار في حكم الأموات لذهابهم عن الحقّ و لايدرون متى يبعثون. و قيل: إنّ المعنى: و لاتدري الأصنام متى يبعث الخلق. «أيّان يبعثون». أيّان في موضع نصب بيبعثون.(٣)

[٢٢] «إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ».

«إلهكم إله واحد» لايقدر على ما يستحقّ به العبادة من خلق أصول النعم سواه. فاثبتوا على عبادته. «قلوبهم منكرة»؛ أي: جاحدة للحقّ تستبعد ما يرد عليها من المواعظ. «مستكبرون». أي عن الانقياد للحقّ.(٤)

«لايؤمنون بالآخرة»؛ يعني: لايؤمنون بالرجعة لأنّها حقّ. «قلوبهم منكرة»؛ يعني: كافرة. «و هم مستكبرون» عن ولاية عليّ عليه السلام. قال الله لمن فعل ذلك وعيداً منه: «لا جرم أنّ الله يعلم».(٥)

[٢٣] «لَا جَرَمَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ».

«لاجرم»؛ أي: حقّاً. و هو بمنزلة اليمين. و قال الخليل: هو كلمة تحقيق. و قال الزجّاج:

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٤٦.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٥٦، ح ١٤، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٤٧.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٤٧.

٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٥٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

معناه: حقّ أنّ الله و وجب أنّ الله، و لا ردّ لفعلهم. و قال أبومسلم: أصله من الكسب. فكأنّه قال: لايحتاج في معرفة هذا الأمر إلى اكتساب علم بل هو معلوم. «المستكبرون» عن متابعة الأنبياء.(١)

«المستكبرون» فضلاً عن المتكبّرين.(٢)

[٢٤] «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ مَا ذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ».

«و إذا قيل لهم»؛ أي: لمشركي قريش: «ماذا» الذي «أنزل ربّكم» على محمّد؟ قالوا: هذا المنزل في زعمكم هو عندنا أحاديث الأوّلين الكاذبة. و روي أنّها نزلت في المقتسمين و هم ستّة عشر رجلاً خرجوا إلى عقاب مكّة يوم الحجّ على طريق الناس [على] كلّ عقبة أربعة منهم ليصدّوا الناس عن رسول الله ﷺ إذا سألهم الناس: ما أنزل على رسول الله ﷺ ؟ قالوا: أحاديث الأوّلين و أكاذيبهم.(٣)

«و إذا قيل». عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزّل جبرئيل عليه السلام هذه الآية هكذا: «و إذا قيل لهم ماذا أنزل ربّكم في عليّ قالوا أساطير الأوّلين». يعني سجع أهل الجاهليّة في جاهليّتهم.(٤)

[٢٥] «لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ».

«ليحملوا». اللّام للعاقبة. أي: كان عاقبة أمرهم حين فعلوا ذلك [أن] حملوا أوزار كفرهم تامّة يوم القيامة و يحملون بعض أوزار الذين أضلّوهم. و هو وزر الإضلال لا الضلال. «ساء»؛ أي: بئس الحمل حملهم و هو الآثام.(٥)

و أمّا قوله: «ليحملوا أوزارهم كاملة»؛ يعني: ليستكملوا الكفر يوم القيامة.(٦)

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٤٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٤١.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٤٩.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٥٧، ح ١٧ و ١٨.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٤٩.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٥٨، عن أبي جعفر عليه السلام.

«أوزارهم». [قال: يحملون آثامهم] ـ يعني الذين غصبوا أميرالمؤمنينعليه السلام ـ و آثام كلّ من اقتدى بهم. و هو قول الصادقعليه السلام: و الله ما أهريقت محجمة من دم و لا قرع عصاً بعصاً و لا غصب فرج حرام و لا أخذ مال من غير حلّه إلّا [و] وزر ذلك في أعناقهما من غير أن ينقص من أوزار العاملين شيء.(١)

«بغير علم». حال من المفعول. أي: يضلّون من لايعلم أنّهم ضلّال. و إنّما وصف بالضلال و احتمال الوزر من أضلّوه و إن لم يعلم، لأنّه كان عليه أن يبحث و ينظر بعقله حتّى يميز بين المحقّ و المبطل.(٢)

[٢٦] «قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ أَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ».

«من القواعد». هي أساطين البناء. و قيل: الأساس. و هذا تمثيل. يعني أنّهم سوّوا منصوبات ليمكروا بها الله و رسوله، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات، كحال قوم بنوا بنياناً و عمدوه بالأساطين فأتي البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف و هلكوا. و نحوه: من حفر بئراً لأخيه، وقع فيه منكبّاً.(٣)

عن عليّعليه السلام: يعني إرسال العذاب عليهم.(٤)

«فأتى الله». روي عن أهل البيتعليهم السلام: «فأتى الله بيتهم من القواعد».(٥)

عن أبي جعفرعليه السلام: كان بيت غدر يجتمعون فيه إذا أرادوا الشرّ.(٦)

و عن أبي عبداللهعليه السلام: بيت مكرهم.(٧)

«فأتى الله بنيانهم من القواعد»؛ أي: أتى أمر الله بنيانهم التي بنوها من جوانب قواعدها

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٨٣.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٠١.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٦٠٢.
٤ـ التوحيد / ٢٦٦، ح ٥.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٤٨، و فيه: «فأتى بنيتهم ...».
٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٥٨، ح ٢٣.
٧ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٥٨، ح ٢٠.

فهدمها. قال ابن‌عبّاس: يعني نمرود بن كنعان؛ بنى صرحاً طويلاً و رام منه الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها بزعمه. فأرسل الله ريحاً فألقت رأس الصرح في البحر و خرّ عليهم الباقي. و قيل: إنّ هذا مثل ضربه الله لاستئصالهم و لا قاعدة هناك و لا سقف. و المعنى: فأتى الله مكرهم من أصله. أي: عاد ضرر المكر عليهم. و هذا الوجه أليق بكلام العرب. «و أتاهم العذاب»؛ أي: عذاب الاستئصال، من حيث لايعلمون. لأنّهم ظنّوا أنّهم على حقّ فكانوا لايتوقّعون العذاب.(١)

[٢٧] «ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَ يَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَ السُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ».

«تشاقّون». نافع بكسر النون. «تشاقّون»؛ أي: تعادون المؤمنين فيهم، على قراءة فتح النون. و على الكسر: تعادونني فيهم. «أوتو العلم». أي بالشرائع من المؤمنين. و قيل: هم الملائكة. «إنّ الخزي»؛ أي: الهوان و العذاب.(٢)

«الذين أوتو العلم». يعني الأئمّة عليهم السلام.(٣)

[٢٨] «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«تتوفّاهم». حمزة بالياء في الموضعين. «الذين» في موضع جرّ، بدل من «الكافرين» أو صفة لهم. «تتوفّاهم»؛ أي: تقبض أرواحهم. «ظالمي أنفسهم» بالإصرار على الكفر. «فألقوا السلم»؛ أي: استسلموا للحقّ و انقادوا حين لاينفعهم الانقياد. «ما كنّا نعمل»؛ أي: يقولون: ما كنّا نعمل من معصية. فكذّبهم الله و قال: بلى قد فعلتم. و قيل: إنّه يقول لهم ذلك المؤمنون أو الملائكة.(٤)

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٤٩ ـ ٥٥٠.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٤٨ و ٥٥٠.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٨٤.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٤٨ و ٥٥٠.

[٢٩] «فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ».

«أبواب جهنّم»؛ أي: دركاتها و طبقاتها. «فلبئس». اللّام للتوكيد.[١]

[٣٠] «وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَا ذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ لَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَ لَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ».

«قالوا خيراً». يعني إذا سألهم الوافد عليهم من القرآن. (ع)

«اتّقوا». أي الشرك و المعاصي.«خيراً»؛ أي: أنزل الله خيراً. لأنّ القرآن كلّه شفاء و هدًى و خير للّذين أحسنوا. يجوز أن يكون ابتداء كلام من الله تعالى. و حسنة الدنيا الثناء و المدح على ألسنة المؤمنين و الهدى و التوفيق للإحسان، و في الآخرة الثواب، و هو خير ممّا يصل إليهم في الدنيا. و يجوز أن يكون الجميع من كلام المتّقين. «و لنعم دار المتّقين»؛ أي: الآخرة. و قيل: الدنيا. لأنّهم نالوا بالعمل فيها الثواب و الجزاء. و قيل: معناه: و لنعم دار المتّقين «جنّات عدن يدخلونها». كما يقال: نعم الدار دار ينزلها.[٢]

«دار المتّقين». عن أبي جعفرعليه‌السلام: الدنيا.[٣]

[٣١] «جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ كَذٰلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ».

«جنّات عدن»؛ أي: هي جنّات عدن. و يجوز أن يكون جنّات مرتفعة بالابتداء و تكون المخصوصة بالمدح. أي: جنّات عدن نعم دار المتّقين. «ما يشاؤون»؛ أي: ما يشتهون من النعم. «كذلك» يجازي الله الذين اتّقوا معاصيه.[٤]

[٣٢] «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٥٠.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٥١ ـ ٥٥٢.

٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٥٨، ح ٢٤.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٥١ ـ ٥٥٢.

تَعْمَلُونَ».

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: ليس من الناس من يفارق روحه من جسده حتّى يعلم إلى [أيّ] المنزلين يصير؛ إلى الجنّة أم إلى النار، أعدوّ لله أم وليّ. فإن كان عدوّاً لله، فتحت له أبواب النار و شرع له طرقها و نظر إلى ما أعدّ الله له فيها فاستقبل كلّ مكروه. و إن كان وليّاً لله، فتحت له أبواب الجنّة و نظر إلى ما أعدّ الله له فيها ففرغ من كلّ شغل. و كلّ هذا يكون عند الموت. قال الله عزّ و جلّ: «الذين تتوفّاهم الملائكة» ـ الآية.(١)

«طيّبين»؛ أي: طيّبي الأعمال، طاهري القلوب من دنس الشرك. أو: طيّبة نفوسهم بالمصير إليه لعلمهم بما لهم عنده من الثواب. أو: طيّبة وفاتهم فلايكون صعوبة فيها. «يقولون»؛ أي: تقول الملائكة: «سلام عليكم»؛ أي: سلامة لكم من كلّ سوء. «ادخلوا الجنّة». يعني أنّها حصلت لكم و أنتم فيها. أو يقولون ذلك عند خروجهم من قبورهم.(٢)

[٣٣] «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ مَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَ لٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ».

«هل ينظرون».أي الكفّار المارّ ذكرهم. «تأتيهم». حمزة بالياء.(٣)

«الملائكة» لقبض الأرواح. «أمر ربّك»؛ أي: العذاب المستأصل. أو: القيامة. «و ماظلمهم الله» بإهلاكهم.(٤)

«فعل الذين من قبلهم» من تكذيب الرسل و إنكار التوحيد. «أنفسهم يظلمون» بالمعاصي.(٥)

[٣٤] «فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ».

١ـ أمالي الطوسيّ ١ / ٢٦ ـ ٢٧.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٥٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٤٣.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٠٣ ـ ٦٠٤.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٥٢.

«سيّئات»؛ أي: عقاب سيّئاتهم. «حاق»؛ أي: حلّ.(١)
«ما كانوا يستهزئون»؛ أي: جزاء استهزائهم.(٢)

[٣٥] «وَ قَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَ لَا آبَاؤُنَا وَ لَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ».

«لو شاء الله»؛ أي: لو أراد الله ماعبدنا من دونه الأصنام نحن و لا آباؤنا الذين اقتدينا بهم و لا حرّمنا البحيرة و لا السائبة و لا غيرهما، بل شاء ذلك منّا و أراد بذلك فعلنا. فأنكر الله سبحانه ذلك القول عليهم و قال: «كذلك فعل الذين من قبلهم» من الكفّار، كذّبوا رسل الله و قالوا مثل قولهم و فعلوا مثل فعلهم.(٣)

«لو شاء الله». هذا مذهب المجبّرة بعينه. «إلّا البلاغ»؛ أي: إلّا أن يبلغوا الحقّ و أنّ الله يشاء الشرك و المعاصي بالبيان و البرهان و يطلعوا على [بطلان] الشرك و براءة الله من أفعال العباد و أنّهم فاعلوها باختيارهم و الله باعثهم على جميلها و زاجرهم عن قبيحها.(٤)

[٣٦] «وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ».

عن أبي جعفر عليه السلام: ما بعث الله نبيّاً قطّ إلّا بالبراءة من أعدائنا و التولّي بولايتنا. و ذلك قوله في كتابه: «و لقد بعثنا في كلّ أمّة رسولاً» ـ الآية. «و منهم من حقّت عليه الضلالة» بتكذيبهم آل محمّد عليهم السلام.(٥)

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٥٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٤٢.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٥٤.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٠٥.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٥٨، ح ٢٥.

«و لقد بعثنا في كلّ أمّة»؛ أي: في كلّ جماعة و قرن «رسولاً» كما بعثناك إلى أمّتك. «أن اعبدوا»؛ أي: ليقول لهم: اعبدوا الله و اجتنبوا عبادة الطاغوت؛ أي: الشيطان. «من هدى الله»؛ أي: هداه الله بأن لطف له بما علم أنّه يؤمن عنده فآمن. فسمّى ذلك اللّطف هداية. أو: منهم من هداه الله بإيمانه إلى الجنّة. و منهم من أعرض عمّا دعاه الرسول إليه فخذله الله فثبتت عليه الضلالة. و هي العذاب و الهلاك. و قيل: معناه: منهم من حقّت عليه عقوبة الضلالة. «حقّت عليه الضلالة»؛ أي: حلّت عليهم العقوبة، فلاتسلكوا طريقتهم. «في الأرض»؛ أي: أرض المكذّبين الذين عاقبهم الله، إن لم تصدّقوني.(١)

«المكذّبين» حتّى لايبقى لكم شبهة في أنّي لاأشاء الشرّ حيث أفعل بالأشرار ما أفعل.(٢)

[٣٧] «إِنْ تَحْرِصْ عَلىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ».

«على هداهم»؛ أي: على أن يؤمنوا بك. «لا يهدي». تسلية للنبيّ ﷺ في دعائه لمن لايفلح بالإجابة لانهماكه في الكفر، و إشارة إلى أنّ ذلك ليس لتقصير وقع من جهته ﷺ، و إعلام له أنّهم لايؤمنون أبداً و إذا كانوا هكذا، فإنّ الله لايهديهم و ما لهم ناصر يخلّصهم من العقاب. «لايهدي». أهل الكوفة: «لايهدي» بفتح الياء، و الباقون بضمّها و فتح الدال.(٣)

«لايهدي»؛ أي: لايلطف بمن يخذل لأنّه عبث و الله متعال عنه.(٤)

[٣٨] «وَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ».

«و أقسموا بالله». عن أبي عبدالله ﷺ: يا أبابصير، لو قد قام قائمنا، بعث الله قوماً من شيعتنا سيوفهم على عواتقهم. فيبلغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا فيقولون: بعث فلان و

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٥٤.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٠٥.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٥٤ و ٥٥٣.
٤ـ الكشّاف ٦ / ٦٠٥.

فلان و فلان من قبورهم و هم مع القائم. فيبلغ ذلك قوماً من عدوّنا فيقولون: يا معشر الشيعة، ما أكذبكم؟ هذه دولتكم و أنتم تقولون فيها الكذب؟ لا والله ما عاش هؤلاء و لايعيشون إلى يوم القيامة. فحكى الله قولهم: «و أقسموا بالله» ـ الآية.(١)

«و أقسموا» ـ الآية. عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما يقول الناس فيها؟ قال: يقولون: نزلت في الكفّار. قال: إنّ الكفّار لايحلفون بالله و إنّما يحلفون باللّات و العزّى. وإنّما نزلت في قوم من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله. قيل لهم: ترجعون بعد الموت قبل القيامة في زمن المهديّ عليه السلام، فيحلفون أنّهم لايرجعون. فردّ الله عليهم فقال: «ليبيّن لهم الّذي يختلفون فيه و ليعلم الّذين كفروا أنّهم كانوا كاذبين». يعني في الرجعة؛ يردّهم فيقتلهم و يشف صدور المؤمنين.(٢)

«و أقسموا بالله». معطوف على «و قال الدين أشركوا» إيذاناً بأنّهما كفرتان عظيمتان: إحالة ذنوبهم على مشيّة الله، و إنكارهم البعث مقسمين عليه.(٣)

«جهد أيمانهم». مصدر وضع موضع الحال. أي: يجتهدون اجتهاداً في أيمانهم. و قالوا في النزول: إنّه كان لرجل من المسلمين على مشرك دين. فتقاضاه فوقع في كلامه: و الذي أرجوه بعد الموت إنّه لكذا. فقال المشرك: و إنّك لتزعم أنّك تبعث بعد الموت. و أقسم بالله لايبعث الله من يموت. فأنزل الله الآية. «جهد أيمانهم»؛ أي: بلغوا في القسم كلّ مبلغ. «لايبعث الله»؛ أي: لايحشر الله أحداً يوم القيامة. فكذّبهم الله سبحانه و قال: «بلى» يحشرهم الله. «وعداً» وعدهم «عليه» تحقيقه من حيث الحكمة. «حقّاً». أي ذلك الوعد. «لايعلمون» صحّته لكفرهم بالله. أو لايعلمون وجه الحكمة في البعث فلايؤمنون به.(٤)

[٣٩] «لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ».

«ليبيّن لهم»؛ أي: إنّما يحشر الخلائق يوم القيامة ليبيّن لهم الحقّ فيما كانوا يختلفون فيه في دار الدنيا. لأنّه يخلق فيهم العلم الضروريّ يوم القيامة الذي يزول معه التكليف. «و ليعلم

١ـ الكافي ٨ / ٥١.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٨٥.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٦٠٦.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٥٥.

الذين كفروا أنّهم كانوا كاذبين» في الدنيا في قولهم إنّ الله لا يبعث أحداً بعد موته. و يجوز أن يتعلّق اللّام بقوله: «و لقد بعثنا». أي: بعثنا إلى كلّ أمّة رسولاً ليبيّن لهم ذلك الرسول ما يختلفون فيه و يهديهم إلى طريق الجنّة.(١)

[٤٠] «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ».

«إنّما قولنا». مبتدأ و «أن نقول» خبره. «كن فيكون». كلاهما من كان التامّة. و هذا مثل لأنّ مراداً لا يمتنع على الله و أنّ وجوده عند إرادته من غير أن يكون ثمّة قول. أو المعنى: انّ إيجاد كلّ مقدور على الله بهذه السهولة. فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من المقدورات؟(٢)

«إذا أردنا». عن أبي‌الحسن عليه السلام، الإرادة من الله إحداثه الفعل لا غير ذلك. لأنّه جلّ اسمه لا يهمّ و لا يتفكّر.(٣)

[٤١] «وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ لَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ».

«و الذين هاجروا». هم رسول الله صلّى الله عليه و آله و أصحابه، ظلمهم أهل مكّة ففرّوا بدينهم إلى الله. منهم من هاجر إلى الحبشة ثمّ إلى المدينة فجمع بين الهجرتين. و منهم من هاجر إلى المدينة. و قيل: هم الذين كانوا محبوسين معذّبين بعد هجرة رسول الله و كلّما خرجوا تبعوهم فردّوهم؛ منهم بلال و عمّار. «في الله»؛ أي: في حقّه و لوجهه. «حسنة». صفة للمصدر. أي: لنبوّئنّهم تبوئة حسنة. و قيل: لننزلنّهم في الدنيا منزلة حسنة؛ و هي الغلبة على أهل مكّة الذين ظلموهم و على العرب قاطبة و على أهل المشرق و المغرب. «لو كانوا يعلمون». أي الكفّار. أي: لو علموا أنّ الله يجمع لهؤلاء المستضعفين الدنيا و الآخرة، لرغبوا في دينهم. أو

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٥٦. ٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٠٦.
٣ـ أمالي الطوسيّ / ٢١١.

المهاجرين. أي: لو كانوا يعلمون ذلك، لازدادوا في اجتهادهم و صبرهم.[١]

«لنبوّئنّهم». عن عليّ عليه السلام: «لنثوينّهم» بالثاء. «حسنة»؛ أي: بلدة حسنة و هي المدينة. «أكبر» ممّا أعطيناهم في الدنيا.[٢]

[٤٢] «الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

«الّذين صبروا»؛ أي: هم الذين. أو: أعني الذين. و كلاهما مدح. [أي:] صبروا على العذاب أو مفارقة الوطن الذي هو حرم الله، و على بذل الأرواح في سبيل الله.[٣]

[٤٣] «وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَاتَعْلَمُونَ».

«من قبلك». أي إلى الأمم الماضية. «إلّا رجالاً» من البشر أوحينا إليهم كما أوحينا إليك. و ذلك أنّ مشركي مكّة كانوا ينكرون أن يرسل إليهم بشر مثلهم فبيّن سبحانه أنّه يصلح أن يكون الرسل إلى الناس إلّا من يشاهدونه و يخاطبونه و أنّه لا وجه لاقتراحهم إرسال الملك. «أهل الذكر»؛ أي: أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم سواء كانوا مؤمنين أو كافرين. و قيل: المراد بأهل الذكر أهل الكتاب. «إن كنتم لاتعلمون». يعني مشركي مكّة. لأنّهم كانوا يصدّقون اليهود و النصارى في أخبارهم. أو المراد بالذكر القرآن. كما قال أبوجعفر عليه السلام: نحن أهل الذكر.[٤]

«نوحي». حفص بالنون. و الباقون بالياء.[٥]

«أهل الذكر». عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قلت: إنّ من عندنا يزعمون أنّ قول الله: «فاسألوا أهل الذكر» أنّهم اليهود و النصارى. قال عليه السلام: إذاً يدعونكم إلى دينهم. ثمّ

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٠٧.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٥٦ ـ ٥٥٧.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٦٠٧.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٥٧.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٥٦.

قال بيده إلى صدره: نحن أهل الذكر. و نحن المسؤولون.[١]

و عنه عليه السلام في حديث آخر أنّ الذكر هو القرآن و هم عليهم السلام أهله.[٢]

و عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: الذكر هو النبيّ صلى الله عليه وآله. كما قال الله: «يا أولي الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً يتلو عليكم آيات الله»[٣].[٤]

[٤٤] «بِالْبَيِّنَاتِ وَ الزُّبُرِ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ».

«بالبيّنات». العامل فيه أرسلنا. أي: ما أرسلنا بالبراهين و الكتب إلّا رجالاً نوحي إليهم. و قيل: التقدير: أرسلناهم بالبيّنات. «الذكر»؛ أي: القرآن. «ما نزّل» من الأحكام و دلائل التوحيد. «يتفكّرون» في ذلك.[٥]

«بالبيّنات». صفة رجالاً. أي: رجالاً متلبّسين بالبيّنات.[٦]

[٤٥] «أَ فَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ».

«أفأمن الذين مكروا». وعد سبحانه المشركين و الاستفهام للإنكار. «مكروا السيّئات»؛ أي: دبّروا التدابير السيّئة في توهين أمر النبيّ صلى الله عليه وآله. «أن يخسف الله بهم الأرض». أي من تحتهم، كما خسف بقارون. أو يأتيهم العذاب. عن ابن عبّاس: يعني يوم بدر؛ لأنّهم ماكانوا يتوقّعونه.[٧]

«أن يخسف». عن أبي جعفر عليه السلام: المراد به الخسف بجيش السفيانيّ إذا قصد المدينة.[٨](ع ـ ره)

١ـ الكافي ١ / ٢١١، ح ٧.
٢ـ الكافي ١ / ٢٩٤، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٣ـ الطلاق (٦٥) / ١٠ ـ ١١.
٤ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ٢٣٩.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٥٧ ـ ٥٥٨.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٦٠٨.
٧ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٠.
٨ـ انظر: تفسير العيّاشيّ ١ / ٦٥، ح ١١٧.

[٤٦] «أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ».

«في تقلّبهم»؛ أي: تصرّفهم في أسفارهم للتجارة. أو: في فرشهم يميناً و شمالاً. «فما هم بمعجزين»؛ أي: لايفوته ما يريد الله بهم من العذاب.[١]

[٤٧] «أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ».

التخوّف: التنقّص بلغة هذيل. و هذه اللّفظة ممّا اشتبه معناها على عمر حتّى سأل عنها فأرشده رجل من هذيل إليها؛ كما قاله في الكشّاف.[٢] و معنى التنقّص هنا أن يؤخذ الأوّل فالأوّل حتّى لايبقى منهم أحد. و تلك حالة يخاف معها الفناء و الهلاك.

«على تخوّف». قال أكثر المفسّرين: أي: على تنقّص؛ إمّا بقتل أو بموت. أي ينقص من أطرافهم و نواحيهم فيأخذ منهم الأوّل فالأوّل حتّى يأتي على جميعهم. و قيل: معناه: في حال تخوّفهم من العذاب. أي يعذّب أهل قرية و يخوّف به أهل قرية أخرى فيتخوّفون أن ينزل بهم من العذاب ما نزل بالأولى. و قيل: معناه: على تنقّص من الأموال و الأنفس بالبلايا و الأسقام إن لم يعذّبهم بعذاب الاستئصال ليزجر غيرهم. «لرؤوف رحيم» حيث أمهلكم لتتوبوا.[٣]

«على تخوّف». قسيم لقوله: «من حيث لايشعرون». (ع)

[٤٨] «أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمَائِلِ سُجَّداً لِلّٰهِ وَ هُمْ دَاخِرُونَ».

«أو لم يروا»؛ أي: ألم ينظر هؤلاء الكفّار إلى ما خلق الله من شيء له ظلّ من شجر و جبل و بناء و جسم قائم. «يتفيّأ ظلاله»؛ أي: يتمثّل ظلاله عن جانب اليمين و جانب الشمال. و أضاف الظلال إلى مفرد و معناه الإضافة إلى ذوي الظلال، لأنّ الذي يعود إليه الضمير واحد

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٠.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٠٨ ـ ٦٠٩.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٠ ـ ٥٦١.

يدلّ على الكثرة و هو قوله: «ما خلق الله». و معنى تفيّؤ الظلال يميناً و شمالاً أنّ الشمس إذا طلعت و أنت متوجّه إلى القبلة، كان الظلال قدّامك، و إذا ارتفعت كان عن يمينك، فإذا كان بعد ذلك كان خلفك، فإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان على يسارك. فهذا تفيّؤه عن اليمين و عن الشمال. و معنى سجود الظلّ لله دورانه من جانب إلى جانب لأنّه مستسلم منقاد مطيع للتسخير. و هذه الآية كقوله: «و ظلالهم بالغدوّ والآصال».[١] و قيل: إنّ المراد بالظلّ هو الشخص بعينه. فيكون المراد بالظلال الأشخاص التي عنها الظلال. «داخرون»: أذلّة صاغرون.[٢]

«يروا». أهل الكوفة بالتاء غير عاصم. «يتفيّأ». أهل البصرة بالتاء. و الباقون بالياء.[٣]

«ما خلق الله». ما موصولة بخلق الله و هو مبهم بيانه «من شيء». و اليمين بمعنى الأيمان. و «سجّداً» حال من الظلال. «و هم داخرون». حال من الضمير في ظلاله. لأنّه في معنى الجمع و هو ما خلق الله من كلّ شيء [له] ظلال. و جمع بالواو لأنّ الدخور من أوصاف العقلاء، أو لأنّ في جملة ذلك من يعقل فغلب. و المعنى: أولم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال متفيّئة عن أيمانها و شمائلها. أي: عن جانبي كلّ واحد منها و شقّيه، استعارة عن يمين الإنسان و شماله لجانبي الشيء. أي: يرجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله فيما سخّرها له من التفيّؤ. و الأجرام في أنفسها داخرة أيضاً صاغرة منقادة لأفعال الله فيها.[٤]

[٤٩] «وَ لِلّٰهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ هُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ».

«يسجد»؛ أي: ينقاد انقياداً.[٥]

١ـ الرعد (١٣) / ١٥.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦١.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٥٩.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٠٩.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٤٦.

«من دابّة». من للتبيين. أي: الذي هو دابّة تدبّ على وجه الأرض. «و الملائكة»؛ أي: يخضع له الملائكة.(١)

«من دابّة». يجوز أن يكون بياناً لما في السموات و الأرض جميعاً ـ على أنّ في السموات خلقاً لله يدبّون فيها كما يدبّ الأناسيّ في الأرض ـ و أن يكون بياناً لما في الأرض وحده و يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح. «لايستكبرون» عن عبادة الله.(٢)

[٥٠] «يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ».

«من فوقهم». متعلّق بيخافون أو بربّهم.(٣)

إنّما قال: «من فوقهم» لوجهين. أحدهما: انّ المراد يخافون عذاب ربّهم. و أكثر ما يأتي العذاب المهلك من فوق. و الآخر: انّ الله سبحانه لمّا كان موصوفاً بأنّه عال متعال حسن أن يقال: «من فوقهم» ليدلّ على أنّه في أعلى مراتب القادرين. و مثله في المعنى قوله: «هو القاهر فوق عباده».(٤) و قيل: إنّ قوله: «من فوقهم» صفة الملائكة. و المعنى انّ الملائكة من فوق بني آدم و فوق ما في الأرض من دابّة يخافون الله مع علوّ رتبتهم. فلأن يخافه من دونهم أولى.(٥)

[٥١] «وَ قَالَ اللهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ».

«لاتتّخذوا»؛ أي: لاتعبدوا مع الله إلهاً آخر فتشركوا بينهما في العبادة. «فارهبون»؛ أي: خافوا عقابي. و عن بعض الحكماء أنّه قال: نهاك ربّك أن تتّخذ إلهين، فاتّخذت آلهة؛ عبدت نفسك و هواك و مرادك و عبدت الخلق. فأنّى تكون موحّداً؟(٦)

إن قيل: فما وجه قوله: «اثنين»؟ قلت: الاسم الحامل لمعنى الإفراد أو التثنية دالّة على

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٢.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٠٩ ـ ٦١٠.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٦١٠.
٤ـ الأنعام (٦) / ١٨.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٢.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٣.

شيئين؛ على الجنسيّة و العدد المخصوص. فإذا أريدت الدلالة على أنّ المعنيّ به منها و الذي يساق إليه الحديث هو العدد، شفع بما يؤكّده فدلّ به على القصد إليه و العناية به. ألاترى أنّك لو قلت: إنّما هو إله، و لم تؤكّده بواحد، لم يحسن و خيّل أنّك تثبت الإلهيّة لا الوحدانيّة.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام: يعني بذلك: لاتتّخذوا إمامين. إنّما هو إمام واحد.(٢)

[٥٢] «وَ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَ فَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُونَ».

«و له» ملكاً و خلقاً. «وله الدين واصباً»؛ أي: له الطاعة دائمة واجبة على الدوام. أي: إنّه سبحانه يعبد دائماً و غيره إنّما يعبد في وقت دون وقت. و قيل: معناه: و له الدين خالصاً. «تتّقون»؛ أي: تخافون.(٣)

«واصباً». حال عمل فيه الظرف.(٤)

[٥٣] «وَ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ».

«بكم». خطاب عامّ.(٥)

«و ما بكم»؛ أي: جميع ما بكم. «الضرّ»؛ أي: المرض و البلاء. «تجأرون»: تتضرّعون في كشفه.(٦)

[٥٤] «ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ».

«يشركون»؛ أي: عادوا إلى الشرك بالعبادة.(٧)

[٥٥] «لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ».

١ـ الكشّاف ٢ / ٦١٠.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٦١، ح ٣٦.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٣ ـ ٥٦٤.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦١١.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٦١١.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٤.
٧ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٤.

«ليكفروا». معنى اللّام هاهنا هو البيان عن العلّة التي لأجلها وقع الفعل. و المعنى أنّهم بمنزلة من أشرك في عبادة ربّه ليكفروا بما آتاه من النعمة، كأنّه لا غرض له في شركه إلّا هذا. و المعنى: لأن يكفروا بإنعامنا و رزقنا إيّاهم. و قيل: إنّ اللّام للأمر على جهة التهديد. أي: ليفعلوا ما شاؤوا، فإنّهم ينزل بهم عاقبة كفرهم. «فتمتّعوا» أيّها الكفّار في الدنيا. «فسوف تعلمون» ما يحلّ بكم في العاقبة.[١]

[٥٦] «وَ يَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ».

«و يجعلون». أي المشركون. و الواو في «يعلمون» يعود إلى المشركين. أي: لما لايعلمون أنّه يضرّ و ينفع. «ممّا رزقناهم» يتقرّبون بذلك إليه كما يجب أن يتقرّب إلى الله تعالى. و هو ما حكى الله عنهم في سورة الأنعام من الحرث و غيره و قوله: «هذا لله بزعمهم و هذا لشركائنا»[٢].[٣]

«لما لايعلمون»؛ أي: لآلهتهم. و معنى لايعلمونها أنّهم يسمّونها آلهة و يعتقدون فيها أنّها تضرّ و تنفع و تشفع عند الله، و ليس كذلك لأنّها جماد، فهم إذاً جاهلون بها. و قيل: الضمير في «ما لايعلمون» للآلهة. أي: لأشياء غير موصوفة بالعلم جعلوا لها نصيباً في أنعامهم و زروعهم. «لتسألنّ». وعيد لهم. «تفترون» من قولكم أنّ الأصنام آلهة و أنّها أهل للتقرّب إليها.[٤]

[٥٧] «وَ يَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ».

«و يجعلون»؛ أي: يضيفون إليه البنات. و هو قولهم: الملائكة بنات الله؛ كما قال سبحانه: «و جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً».[٥] «سبحانه»؛ أي: تنزيهاً له عن اتّخاذ

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٤.
٢ـ الأنعام (٦) / ١٣٦.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٥.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦١٢.
٥ـ الزخرف (٤٣) / ١٩.

البنات. «ولهم ما يشتهون»؛ أي: يجعلون لأنفسهم ما يشتهونه من البنين و البنات.(١)

[٥٨] «وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَ هُوَ كَظِيمٌ».

«ظلّ وجهه مسودّاً» من الحزن و الكراهية. فجعلوا لله ما يكرهونه لأنفسهم. «و هو كظيم»؛ أي: ممتلئ غيظاً و حزناً.(٢)

[٥٩] «يَتَوَارىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ».

«يتوارى من القوم» الذين يستخبرونه عمّا ولد له خجلاً وحياء «من سوء ما بشّر به» من الأنثى. «أيمسكه على هون». يعني يمثّل في نفسه(٣) و يدّبر في أمر البنت أيمسكه على ذلّ و هوان أم يخفيه في التراب و يدفنه حياء. و هو الوأد الذي كان من عادة العرب. و هو أنّ أحدهم كان يحفر حفيرة صغيرة فإذا ولد له أنثى جعلها فيها و حثا عليها التراب حتّى تموت تحته. و كانوا يفعلون ذلك مخافة الفقر عليهنّ فيطمع غير الأكفاء فيهنّ.(٤)

«ساء»؛ أي: بئس الحكم ما يحكمونه و هو أن يجعلوا لأنفسهم ما يشتهون و لله ما يكرهون. و قيل: معناه: ساء ما يحكمون في قتل البنات مع مساواتهنّ البنين في حرمة الولادة و لعلّ الجارية خير من الغلام. روي عن ابن عبّاس أنّه قال: لو أطاع الله الناس في الناس، لما كان الناس. لأنّه ليس أحد إلّا يحبّ أن يولد له ذكر، و لو كان الجميع ذكوراً، لما كان لهم أولاد فيفنى الناس.(٥)

[٦٠] «لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَ لِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلىٰ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٥ ـ ٥٦٦.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٦.
٣ـ المصدر: «يميل نفسه» بدل «يمثل في نفسه».
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٦.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٦.

«مثل السوء»؛ أي: هؤلاء الكفّار الذين وصفوا الله بالولد صفة السوء القبيحة التي هي سواد الوجه و الحزن. و لله الصفة العليا من السلطان و القدرة. و قيل: لهم صفات النقص من الجهل و الكفر و الحاجة إلى الأبناء و قتل البنات لخوف الفقر. و لله صفات الإلهيّة و الاستغناء عن الصاحب و الولد. «العزيز»: القادر الذي لايمتنع عليه شيء. «الحكيم» يضع الأشياء مواضعها.[١]

[٦١] «وَ لَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَ لٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ».

«ما ترك عليها»؛ أي: لأفناهم كلّهم بسبب الظلم و الكفر، أو لحبس المطر عنهم حتّى تفنى كلّ دابّة. أو معناه: لو هلك الآباء بكفرهم، لم‌يوجد الأبناء. و قيل: معناه: انّه إذا هلك الظلمة و يبق مكّلف، لايبقى غيرهم من الحيوان. لأنّها إنّما خلقت للمكلّفين فلا فائدة في بقائها بعدهم. «إلى أجل مسمًّى»: يوم القيامة. أو: الوقت الذي لايكون في بقائهم مصلحة لأنّهم يؤمنون و لايخرج من نسلهم مؤمن.[٢]

«عليها»؛ أي: على الأرض. «من دابّة» بل يهلكها بشؤم ظلم الظالمين.[٣]

[٦٢] «وَ يَجْعَلُونَ لِلّٰهِ مَا يَكْرَهُونَ وَ تَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَ أَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ».

«ما يكرهون». يعني البنات. «و تصف ألسنتهم»؛ أي: تخبر بالكذب. و هو ما يقولون «أنّ لهم الحسنى» و هي البنون. و قيل: معناه: يصفون أنّ لهم مع قبيح قولهم من الله الجزاء الحسنى و هو الجنّة. فإنّ المشركين كانوا يقولون: إن كان ما يقول محمّد صلى الله عليه و آله حقّاً من أمر البعث، فنحن من أهل الجنّة. «لا جرم»؛ أي: حقّاً «أنّ لهم النار». «مفرطون»: مقدّمون

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٦.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٨ ـ ٥٦٩.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٦١٣.

معجّلون إلى النار. قرأ نافع: «مفْرِطون» ساكنة الفاء مكسورة الراء خفيفة. و قرأ أبوجعفر مفتوحة الفاء مكسورة الراء مشدّدة، و الباقون ساكنة الفاء مفتوحة الراء خفيفة. «مفرطون» أي: جعلوا مقدّمين في العذاب متروكين فيه.(١)

«ما يكرهون»: يجعلون له أراذل أموالهم و لأصنامهم أكرمها. «مفرطون». المكسور المخفّف من الإفراط في المعاصي. و المشدّد من التفريط في الطاعات.(٢)

[٦٣] «تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«اليوم». حكاية للحال الآتية و هو حال كونهم معذّبين في النار.(٣)

«أعمالهم»: كفرهم و ضلالهم. «فهو وليّهم اليوم» في الدنيا، يتولّونه و يتّبعون إغواءه. فأمّا يوم القيامة فيتبرّأ بعضهم من بعض. و قيل: معناه: وليّهم يوم القيامة. أي: يكلهم الله إلى الشيطان إياساً لهم من رحمته. «و لهم عذاب أليم». أي للتابع و المتبوع.(٤)

[٦٤] «وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».

«اختلفوا فيه». أي من دلالة التوحيد و العدل و يبيّن لهم الحلال و الحرام.(٥)

«و هدىً و رحمة». معطوفان على محلّ «لتبيّن» انتصبا على أنّهما مفعول لهما. و الذي اختلفوا فيه البعث ـ لأنّه كان فيهم من يؤمن به و منهم عبدالمطّلب ـ و أشياء من التحليل و التحريم و الإنكار و الإقرار.(٦)

[٦٥] «وَ اللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٩ و ٥٦٧.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٦١٤.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٦١٤.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٩.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٩.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٦١٤.

يَسْمَعُونَ».

«به»: أي: بالنبات بعد جدبها و قحطها.[١]

«يسمعون» سماع إنصاف و تدبّر.[٢]

[٦٦] «وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ».

«الأنعام». ذكر سيبويه الأنعام في الأسماء المفردة الواردة على أفعال، و لذلك رجع الضمير إليه مفرداً. و أمّا «في بطونها»[٣] في سورة المؤمنين، فلأنّ معناه الجمع. و يجوز أن يقال في الأنعام وجهان: أحدهما أن يكون تكسير نعم، و أن يكون اسماً مفرداً مقتضياً لمعنى الجمع كنعم، فإذا ذكّر فكما يذكّر النعم، و إذا أنّث، ففيه وجهان أنّه تكسير نعم و أنّه في معنى الجمع. «نسقيكم». استئناف. كأنّه قيل: كيف العبرة؟ فقيل: نسقيكم. «من بين فرث و دم»: أي: يخلق الله اللّبن وسيطاً بين الفرث و الدم يكتنفانه و بينهما برزخ من قدرة الله لايبغي أحدهما عليه بلون و لا طعم و لا رائحة بل هو خالص من ذلك كلّه. قيل: إذا أكلت البهيمة العلف و استقرّ في كرشها، طبخته، فكان أسفله فرثاً و أوسطه لبناً و أعلاه دماً. و الكبد مسلّطة على هذه الأصناف الثلاثه تقسمها؛ فتجري الدم في العروق، و اللّبن في الضروع، و يبقى الفرث في الكرش. «سائغاً»: سهل المرور في الحلق. و يقال: لم يغصّ أحد باللّبن قطّ. و من في قوله: «ممّا في بطونه» للتبعيض. لأنّ اللّبن بعض ما في بطونه. و الثانية الابتداء الغاية. لأنّ بين الفرث و الدم مكان الإسقاء الذي منه يبتدئ، فهو صلة لنسقيكم.[٤]

«لعبرة». أي لمن ينكر البعث. لأنّه إذا قدر على إخراج هذا اللّبن، قدر على إخراج الموتى. «نسقيكم». نافع و ابن‌عامر بفتح النون.[٥]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٦٩.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٦١٥.

٣ـ المؤمنون (٢٣) / ٢١.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٦١٥ ـ ٦١٦.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٧٢ و ٥٧٠.

«في بطونه». لأنّ الأنعام اسم جمع فذكّر الضمير. و من قال إنّه جمع، جـعل الضـمير للبعض، لأنّ اللّبن لبعضها.(١)

[٦٧] «وَ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَ رِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

«و من ثمرات النخيل». متعلّق بمحذوف. أي: نسقيكم من ثمرات النخيل و الأعـناب؛ أي: من عصيرهما. «تتّخذون». بيان و كشف عن كنه الإسقاء. «سكراً». احتجّ أبوحنيفة [بهذه الآية] على تحليل النبيذ.(٢)

«سكراً». قال: الخلّ. «و رزقاً»: الزبيب.(٣)

«سكراً». و هو كلّ ما يسكر من الشراب كالخمر. والرزق الحسن ما أحلّ منهما كالخلّ و الزبيب و التمر. قال قتادة: نزلت الآية قبل تحريم الخمر. قال أبومسلم: و لا حاجة إلى ذلك، سواء كان حراماً أم لم يكن. لأنّه تعالى خاطب المشركين و عدّد أنعامه عليهم بهذه الثمرات، و الخمر من أشربتهم فكانت نعمة عليهم. و قيل: أراد بالسكر ما يشرب من أنواع الأشربة ممّا يحلّ. و الرزق الحسن ما يؤكل. و الحسن: اللّذيذ. و قد أخطأ من تعلّق بهذه الآيـة في تحليل النبيذ. لأنّه سبحانه إنّما أخبر عن فعل كانوا يتعاطونه. فأيّ رخصة في هذا اللّفظ؟ و الوجه فيه أنّه سبحانه أخبر أنّه خلق هذه الثمار لينتفعوا بها فاتّخذوا منها ما هو محرّم و لا فرق بين قوله هذا و بين قوله: «تتّخذون أيمانكم دخلاً بينكم».(٤) «لآية»؛ أي: دلالة يعقلون فيعلمون أنّه كما يقدر على هذا يقدر على إعادة الأبدان.(٥)

[٦٨] «وَ أَوْحىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَ مِنَ الشَّـجَرِ وَ مِمَّـا

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٤٩.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٦١٦ ـ ٦١٧.

٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٨٧.

٤ـ النحل (١٦) / ٩٢.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٧٢ ـ ٥٧٣.

يَعْرِشُونَ».

«و أوحى» ـ الآية. الإيحاء إليها إلهامها و القذف في قلوبها و تعليمها على وجه هو أعلم به. «أن اتّخذي». هي أن المفسّرة. لأنّ الإيحاء فيه معنى القول. «و يعرشون»: يرفعون من سقوف البيوت. و قيل: ما يبنون للنحل في الجبال و الشجر و البيوت من الأماكن التي يتعسّل فيها. و الضمير في يعرشون للناس. و من في قوله:«من الجبال» و ما بعده للتبعيض.(١)

«و أوحىٰ ربّك إلى النحل». عن أبي عبدالله عليه السلام: نحن ـ و الله ـ النحل الذي أوحى الله إليه. أمرنا أن نتّخذ من العرب شيعة. «و من الشجر». يقول: من العجم. «و ممّا يعرشون». يقول: من الموالي. و الذي «يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه» أي: العلم الذي يخرج منّا إليكم.(٢)

«بيوتاً». عن النبيّ صلى الله عليه و آله: أوحى الله إليّ أن أتزوّج من قريش. «و من الشجر». قال: في العرب. «و ممّا يعرشون» في الموالي.(٣)

و عن أبي عبدالله عليه السلام: النحل الأئمّة. و الجبال العرب. و الشجر الموالي عتاقه. و ممّا يعرشون الأولاد و العبيد ممّن يتولّى الأئمّة عليهم السلام.(٤)

و من بدع تأويلات الرافضة أنّ المراد بالنحل عليّ عليه السلام و قومه. كذا في الكشّاف. ثمّ حكى حكاية تليق بحاله. أقول: هذا ينشأ من العناد مع الرافضة. لأنّهم إذا نقلوا عن عليّ و أهل بيته عليهم السلام ذلك التأويل، و القرآن له ظاهر و باطن و تأويل القرآن ممّا لاينكر، فما الذي أبدع تأويلهم عنده؟ «و سيعلم الذين ظلموا» ـ الآية.

١ـ الكشّاف ٢ / ٦١٨.   ٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٨٧.

٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٦٤، ح ٤٤: و في رواية أبي‌الربيع الشاميّ عنه في قول اللّه: «و أوحى ربّك إلى النحل» فقال: رسول الله. «أن اتّخذي من الجبال بيوتاً». قال: تزوّج من قريش ـ الحديث.

٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٦٣، ح ٤٣.

[٦٩] «ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ».

«من كلّ الثمرات» التي تعتاد النحل أكلها. أي: ابني البيوت ثمّ كلي كلّ ثمرة تشتهينها. فإذا أكلتي «فاسلكي سبل ربّك»: الطرق التي ألهمك في عمل العسل. أو: فاسلكي ما أكلت في سبل ربّك؛ أي: في مسالكه التي يحيل فيها النور المرّ عسلاً من أجوافك. و إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك، فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربّك لاتتوعّر عليك وتضلّين فيها. فقد بلغني أنّها ربما أجدب عليها ما حولها فسافرت إلى البلد البعيد. أو أراد بقوله: «ثمّ كلي» أي: ثمّ اقصدي أكل الثمرات فاسلكي في طلبها من مظانّها سبل ربّك. «ذللاً». جمع ذلول. حال من السبل. لأنّ الله ذلّلها لها و وطّأها و سهّلها. كقوله: «هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً».[١] أو من ضمير فاسلكي. أي: و أنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة. «فيه شفاء للناس». لأنّه من جملة الأشفية و الأدوية المشهورة النافعة. و قلّ معجون من المعاجين لم يذكر الأطّباء فيه العسل. وليس الغرض أنّه شفاء لكلّ مريض، كما أن كلّ دواء كذلك. و تنكيره للتعظيم أو للتبعيض.[٢]

و الثمرات المختلفة فنون العلم الذي يعلّمه الأئمّة شيعتهم في ذلك العلم «شفاء للناس». و الشيعة هم الناس و غيرهم الله أعلم بهم ما هم. ولوكان كما تزعم أنّه العسل الذي يأكله الناس إذاً ما أكل منه ذو عاهة و لا شرب إلّا شفي لقول الله: «فيه شفاء للناس»؛ و لا خلف لقول الله. و إنّما الشفاء في علم القرآن. «و ننزّل من القرآن ما هو شفاء للناس و رحمة»[٣] لأهله لا شكّ فيه و أهله الأئمّة الهدى الذين قال الله: «ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا»[٤].[٥]

١ـ الملك (٦٧) / ١٥.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٦١٩ ـ ٦١٨.

٣ـ الإسراء (١٧) / ٨٢.

٤ـ فاطر (٣٥) / ٣٢.

٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٦٣ ـ ٢٦٤، ح ٤٣. عن أبي عبدالله عليه السلام.

و عن أميرالمؤمنينعليه السلام: لعق العسل شفاء من كلّ داء. قال الله عزّوجلّ: «فيه شفاء للناس».[١]

«النحل». و في النحل و العسل وجوه من الاعتبار: منها اختصاصه بخروج العسل من فيه. و منها جعل الشفاء من موضع السمّ. فإنّ النحل يلسع. و منها ما ركّب الله من البدائع و العجائب فيه و في طباعه. و من أعجبها أنّ الله جعل لكلّ فئة منه يعسوباً وهو أميرها يقدمها و يحامي عنها و يدبّر أمرها و يسوسها و هي تتّبعه ومتى فقدته اختلّ نظامها شذراً مذراً. و إلى هذا أشار أميرالمؤمنينعليه السلام في قوله: أنا يعسوب المؤمنين.[٢]

«مختلف ألوانه»: أبيض و أسود و أصفر و أحمر، بسبب اختلاف سنّ النّحل أو الفصل.

«فيه شفاء» إمّا بنفسه في الأمراض البلغميّة، أو مع غيره كما في سائر الأمراض.[٣]

[٧٠] «وَ اللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ».

«أرذل العمر». عن أميرالمؤمنينعليه السلام: حتّى يحصل عليه نقصان من روح الإيمان و لايضرّه.[٤]

قال: إذا بلغ المائة، فذلك أرذل العمر. و قد روي أنّ أرذل العمر أن يكون عقله عقل ابن سبع سنين.[٥]

و عنهعليه السلام: أرذل العمر خمس و سبعون سنة. و عن النبيّصلى الله عليه وآله مثل ذلك.[٦]

«لكي لايعلم»؛ أي: لئلّايعلم زيادة علم على علمه.[٧]

«لكي لايعلم». قال: إذا كبر لايعلم ما علمه قبل ذلك.[٨]

١ـ الكافي ٦ / ٣٣٢، ح ٢.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٧٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٥٠.
٤ـ انظر: الكافي ٢ / ٢٨٣.
٥ـ الخصال ٢ / ٥٤٦، ح ٢٥.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٥٧٤.
٧ـ الكشّاف ٢ / ٦٢٠.
٨ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٨٧.

[۷۱] «وَ اللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَ فَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ».

«في الرزق» أي رزقكم أفضل ما رزق ممالیککم و هم بشر مثلكم و إخوانكم، فكان ينبغي أن تردّوا فضل ما رزقتموه عليهم حتّى تتساووا في المطعم و الملبس. و يحكى عن أبي ذرّ رضي الله عنه أنّه سمع النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: إنّما هم إخوانكم فاكسوهم ممّا تكسون و أطعموهم ممّا تطعمون. فما رئي عبده بعد ذلك إلّا رداؤه رداؤه و إزاره إزاره من غير تفاوت. «أفبنعمة الله يجحدون». جعل ذلك من جملة جحود النعمة. و قيل: هو مثل ضربه للّذين جعلوا له شركاء فقال: أنتم لاتسوّون بينكم و بين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم و لاتجعلونهم فيه شركاء و لاترضون ذلك لأنفسكم. فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء؟ و قيل: إنّ الموالي و المماليك أنا رازقهم جميعاً، فهم في رزقي سواء. فلاتحسبنّ الموالي أنّهم يردّون على مماليكهم من عندهم شيئاً من الرزق. فإنّما ذلك رزقي أجريته إليهم على أيديهم.(۱)

«برادّي»؛ أي: بمعطي. «يجحدون». قرأ أبوبكر بالتاء.(۲)

«فهم فيه سواء». قال: لايجوز للرجل أن يخصّ نفسه بشيء من المأكول دون عياله.(۳)

[۷۲] «وَ اللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَ حَفَدَةً وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَ فَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَتِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ».

«من أنفسكم»: من جنسكم. و قيل: هو حوّاء من ضلع آدم. و «حفدة» جمع حافد. و هو الذي يسرع في الخدمة. و [قيل:] هم الأختان على البنات. و قيل: أولاد المرأة من الزوج الأوّل. و قيل: المعنى: جعل لكم حفدة؛ أي: خدمة تحفدون في مصالحكم.(٤)

«أزواجاً». يعني حوّاء خلقت من آدم. و «حفدة» قال: الأختان. عن أبي عبدالله عليه السلام:

۱ـ الكشّاف ۲ / ٦۲۰.

۲ـ تفسیر البیضاويّ ۱ / ٥٥۱.

۳ـ تفسیر القمّيّ ۱ / ۳۸۷.

٤ـ الكشّاف ۲ / ٦۲۱.

بنو البنت.[١]

«حفدة»: أولاد الأولاد.

«من الطيّبات»؛ أي: بعضها. لأنّ كلّها في الجنّة. «أفبالباطل يؤمنون». و هو ما يعتقدون من منفعة الأصنام و شفاعتها و ما هو إلّا وهم باطل. و قيل: الباطل ما سوّل لهم الشيطان من تحريم البحيرة و السائبة و غيرهما. «و نعمة الله» ما أحلّ لهم.[٢]

[٧٣] «وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ شَيْئاً وَ لَا يَسْتَطِيعُونَ».

«رزقاً». الرزق يكون بمعنى المصدر و بمعنى ما يرزق. فإن أردت المصدر نصبت به «شيئاً». أي: لايملك أن يرزق شيئاً. و إن أردت المرزوق، كان «شيئاً» بدل منه بمعنى قليلاً. و يجوز أن يكون تأكيداً للايملك. أي: لايملك شيئاً من الملك. و «من السموات و الأرض» صلة للرزق إن كان مصدراً ـ بمعنى: لايرزق من السموات مطراً و لا من الأرض نباتاً ـ أو صفة إن كان اسماً لما يرزق. و الضمير في «و لايستطيعون» لما لأنّه في معنى الآلهة بعد ما قيل: «لايملك» على اللّفظ. و يجوز أن يكون للكفّار يعني: و لايستطيع هؤلاء مع أنّهم أحياء متفرّقون من ذلك شيئاً. فكيف الجماد الذي لا حسّ به؟[٣]

[٧٤] «فَلَا تَضْرِبُوا لِلّٰهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ».

«فلاتضربوا لله الأمثال». تمثيل للإشراك بالله و التشبيه به. لأنّ من يضرب الأمثال يشبّه حالاً بحال و قصّة بقصّة. «إنّ الله يعلم» كنه ما تفعلون و هو معاقبكم عليه: «و أنتم لاتعلمون» كنه عقابه. و هو الذي جرّأكم عليه. فهو تعليل للنهي عن الشرك. و يجوز أن يراد: لاتضربوا لله الأمثال. إنّ الله يعلم كيف يضرب الأمثال و أنتم لاتعلمون.[٤]

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٨٧.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٢١.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٦٢١.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٢١ ـ ٦٢٢.

[٧٥] «ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَ مَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَ جَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

ثمّ علّمهم كيف تضرب فقال: مثلكم في إشراككم بالله الأوثان مثل من سوّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرّف و بين حرّ مالك قد رزقه الله مالاً فهو يتصرّف فيه و ينفق منه كيف شاء. أمّا ذكر المملوك، فليميز من الحرّ. لأنّ اسم العبد يقع عليهما جميعاً لأنّهما من عباد الله. و أمّا «لايقدر على شيء» فليجعل غير مكاتب و لا مأذون له. لأنّهما يقدران على التصرّف. «و من رزقناه». من موصوفة. كأنّه قيل: و حرّاً رزقناه، ليطابق «عبداً». و لايمتنع أن تكون موصولة. و قوله: «هل يستوون» على الجمع باعتبار: هل يستوي الأحرار و العبيد؟ (١)

«أكثرهم لايعلمون» فيضيفون نعمه إلى غيره و يعبدونه لأجلها. (٢)

«هل يستوون»؛ أي: لايستويان. فكيف يسوّى بين الحجارة التي لاتعقل و بين الله الرازق لجميع خلقه؟ و قيل: إنّ هذا المثل للكافر و المؤمن. فإنّ الكافر لا خير عنده و المؤمن يكسب الخير. «الحمد لله»؛ أي: قولوا: الحمد لله الذي دلّنا على توحيده و معرفته. «أكثرهم لايعلمون». [يعني أنّ أكثر الناس] ـ و هم المشركون ـ لايعلمون أنّ الحمد لي. (٣)

عن الصادق عليه السلام: كان في بني إسرائيل رجل محتاج. فألحّت عليه امرأته في طلب الرزق فابتهل إلى الله في الرزق. فرأى في النوم: أيّما أحبّ إليك؛ درهمان من حلّ أو ألفان من حرام؟ فقال: درهمان من حلّ. فقال: تحت رأسك. فانتبه فرأى الدرهمين تحت رأسه. فأخذهما و اشترى بدرهم سمكة فأقبل إلى منزله. فلمّا رأته المرأة أقبلت عليه كاللّائمة و أقسمت أن لاتمسّها. فقام الرجل إليها، فلمّا شقّ بطنها إذا بدرّتين، فباعهما بأربعين ألف درهم. (٤) (حسن)

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٢٢ ـ ٦٢٣.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٥٢.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٧٨.

٤ـ قصص الأنبياء / ١٨٤، وسائل الشيعة ٢٥ / ٤٥٣.

[٧٦] «وَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلىٰ شَيْءٍ وَ هُوَ كَلٌّ عَلىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَ مَنْ يَـأْمُرُ بِـالْعَدْلِ وَ هُـوَ عَـلىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

«و ضرب الله مثلاً رجلين». قيل: إنّه مثل ضربه الله فيمن يؤمّل الخير من جهته و من لايؤمّل منه. و أصل الخير كلّه من الله. فكيف يسوّى بينه و بين من سواه في العبادة؟ و قيل: إنّه مثل للكافر و المؤمن. فالأبكم الكافر، و الذي يأمر بالعدل المـؤمن. و قـيل: الأبكـم أبيّ بن خلف، و من يأمر بالعدل حمزة و عثمان بن مظعون.[١]

«أبكم». و هو الذي ولد أخرس فلايفهم و لايفهّم. «و هو كلّ»؛ أي: ثقل و عيال على من يلي أمره و يعوله. «أينما يوجّهه»: حيثما يرسله و يصرّفه في مطلب حاجة أو كفاية مهمّ، لم ينفع و لم يأت بنجح. «هل يستوي هو و من» هو سليم الحواسّ نفّاع ذوكفايات مع رشد و ديانة فهو «يأمر» الناس «بالعدل» و «هو» في نفسه «على صراط مستقيم»؛ أي: دين قويم؟ و هذا مثل ضربه لنفسه لما يفيض على عباده من آثار رحمته و ألطافه و نعمه و للأصنام التي هي أموات لاتضرّ و لاتنفع.[٢]

«و من يأمر بالعدل». الذي يأمر بالعدل أميرالمؤمنين عليه السلام. فليس هو مع غيره سواء.[٣]

[٧٧] «وَ لِلّٰهِ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُـوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«غيب السموات و الأرض»؛ أي: ما غاب فيهما عن العباد و خفي عليهم علمه. أو أراد بغيب السموات و الأرض يوم القيامة لأنّ علمه غائب عنهم. «و ما أمر الساعة إلّا كلمح البصر أو هو أقرب»؛ أي: هو عند الله و إن تـراخـى. كـما تـقولون أنـتم في الشيء الذي تستقربونه: هو كلمح البصر أو أقرب، إذا بالغتم في استقرابه. و نحوه قوله: «و يستعجلونك

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٧٨.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٢٣.
٣ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٨٧.

بالعذاب و لن يخلف الله وعده».[١] أي: هو عنده دان و هو عندكم بعيد. و قيل: المعنى: إنّ إقامة الساعة و إماتة الأحياء و إحياء الأموات من الأوّلين و الآخرين يكون في أقرب وقت و أوحاه. «على كلّ شيء قدير». فهو يقدر على أن يقيم الساعة و يبعث الخلق لأنّه بعض المقدورات. ثمّ دلّ على قدرته بما بعده.[٢]

«كلمح البصر»؛ أي: كطرف العين. «أو هو أقرب». أو هنا لأحد الأمرين؛ إمّا للإبانة عن أنّه على إحدى هاتين المنزلتين و إمّا لشكّ المخاطب. و قيل: معناه: بل هو أقرب.[٣]

«أو هو أقرب» بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة في الآن الذي يبتدئ فيه. فإنّه يحيي الخلائق دفعة، و ما يوجد دفعة، كان في آن. و أو للتخيير.[٤]

[٧٨] «وَ اللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

«أمّهاتكم». الكسائيّ بكسر الهمزة على أنّه لغة، و حمزة بكسرها و كسر الميم. و الهاء مزيدة مثلها في إهراق.[٥]

«لاتعلمون». في موضع الحال. أي: غير عالمين شيئاً من حقّ المنعم الذي خلقكم في البطون و سوّاكم و صوّركم ثمّ أخرجكم من الضيق إلى السعة. «و جعل لكم». معناه: و ركّب فيكم هذه الآلات لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه و اجتلاب العلم و العمل به من شكر المنعم و عبادته. و الأفئدة في فؤاد كالأغربة في غراب، و هو من جموع القلّة التي جرت مجرى جموع الكثرة و القلّة إذا لم يرد في السماع غيرها.[٦]

«لعلّكم تشكرون»: لكي تشكروه على ذلك.[٧]

١ـ الحجّ (٢٢) / ٤٧.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٢٣ ـ ٦٢٤.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٧٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٥٢.

٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٥٢.

٦ـ الكشّاف ٢ / ٦٢٤.

٧ـ مجمع البيان ٦ / ٥٨١.

[٧٩] «أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».

«ألم يروا». ابن عامر و حمزة بالتاء.(١)

«مسخّرات»؛ أي: مذلّلات للطيران بما خلق لها من الأجنحة و الأسباب المواتية لذلك. و الجوّ: الهواء المتباعد من الأرض. «مايمسكهنّ» في قبضهنّ و بسطهنّ و وقوفهنّ «إلّا الله» بقدرته.(٢)

«ما يمسكهنّ إلّا الله». لأنّ ثقل جسدها يقتضي سقوطها و لا علاقة فوقها و لا دعامة تحتها تمسكها.(٣)

[٨٠] «وَ اللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَ يَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَ مِنْ أَصْوَافِهَا وَ أَوْبَارِهَا وَ أَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَ مَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ».

«سكناً»؛ أي: موضعاً تسكنون فيه ممّا يتّخذ من الحجر و المدر. و ذلك أنّه سبحانه خلق الخشب و المدر و الآلة التي يمكن بها تسقيف البيوت و بناؤها. «من جلود الأنعام». يعني الأنطاع و الآدم. «بيوتاً تستخفّونها»: قباباً و خياماً يخفّ عليكم حملها في أسفاركم. «ظعنكم»؛ أي: ارتحالكم من مكان إلى مكان. «و من أصوافها»؛ أي: الضأن. «و أوبارها»؛ أي: الإبل. «و أشعارها»؛ أي: المعز. «أثاثاً»؛ أي: أنواعاً من متاع البيت من الفرش و الأكسية. «إلى حين»؛ أي: يوم القيامة. أو: وقت الموت أو موت المالك و الأنعام. وفيه إشارة إلى أنّها فانية فلاينبغي للعاقل أن يختارها على نعيم الآخرة.(٤)

«ظعنكم». ابن عامر ساكنة. و الباقون مفتوحة العين.(٥)

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٧٩ ـ ٥٨٠.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٢٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٥٣.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٨١.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٧٩.

[٨١] «وَ اللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالاً وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ».

«ممّا خلق» من الأشجار و الأبنية. «ظلالاً» تستظلّون به. «أكناناً»: مواضع تسكنون بها من كهوف و ثقوب. «سرابيل»؛ أي: قميصاً من القطن و الكتّان و الصوف. و لم يقل: و تقيكم البرد، لأنّ ما وقى الحرّ وقى البرد. وإنّما خصّ الحرّ بذلك مع أنّ وقاءها للبرد أكثر، لأنّ الذين خوطبوا بذلك أهل حرّ في بلادهم فحاجتهم لما يقي الحرّ أكثر. على أنّ العرب تكتفي بذكر أحد الشيئين عن الآخر للعلم به. «و سرابيل تقيكم بأسكم»؛ يعني: دروع الحديد تقيكم شدّة الطعن و الضرب و تدفع عنكم سلاح أعدائكم. «كذلك»؛ أي: مثل ما أنعم عليكم بهذه النعم. «نعمته»: نعمة الدنيا.«لعلّكم» يا أهل مكّة «تسلمون»؛ أي: توحّدوه و تعلموا أنّه لايقدر على هذا غيره.(١)

[٨٢] «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ».

«فإن تولّوا»؛ أي: فإن أعرضوا عن الإيمان ـ يا محمّد ﷺ ـ و عن التدبّر لما عدّد في هذه السورة من النعم، فلا لوم عليك. و إنّما عليك البلاغ الظاهر. و هذا تسلية للنبيّ ﷺ.(٢)

[٨٣] «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَ أَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ».

قال: يعرفون ولاية عليّ عليه السلام و أكثرهم كافرون بالولاية.(٣)

«يعرفون نعمة الله ثمّ ينكرونها»؛ أي: يعرفون نعم الله عليهم بما يجدونه من خلق نفوسهم و إكمال عقولهم و خلق أنواع المنافع التي ينتفعون بها، [ثمّ] إنّهم مع ذلك ينكرون تلك النعم أن تكون من جهة الله خاصّة بل يضيفونها إلى الأوثان و يشكرون الأوثان عليها

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٨٢ ـ ٥٨٣.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٨٣.
٣ـ الكافي ١ / ٤٢٧، ح ٧٧.

و يقولون رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا فيشركونهم معه فيها. و قيل: معناه: يعرفون محمّداً و هو من نعم الله، ثمّ يكذّبونه و يجحدونه. «و أكثرهم الكافرون». إنّما قال: «أكثرهم» لأنّ منهم من لم تقم الحجّة عليه إذ لم يبلغ حدّ التكليف لصغره، أو [كان] ناقص العقل، أو لم تبلغه الدعوة، فلايقع عليه اسم الكفر. و قيل: إنّما ذكر الأكثر لأنّه علم سبحانه أنّ فيهم من يؤمن.[1]

«ثمّ». معنى ثمّ الدلالة على أنّ إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة.[2]

[٨٤] «وَ يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ لَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ».

«و يوم»؛ أي: اذكر يوم. يعني يوم القيامة. بيّن سبحانه أنّه يبعث من كلّ أمّة شهيداً و هم الأنبياء و العدول من كلّ عصر يشهدون على الناس بأعمالهم. و قال الصادق عليه السلام: لكلّ زمان و أمّة إمام، تبعث كلّ أمة مع إمامها. و فائدة بعث الشهداء مع علمه سبحانه بذلك أنّ ذلك أهول في النفس و أعظم في تصوّر الحال إذا قامت الشهادة بحضرة الملأ مع جلالة الشهود و عدالتهم. [و لأنّهم] إذا علموا أنّ العدول عند الله يشهدون عليهم بين الخلائق، فإنّ ذلك يكون زاجراً لهم عن المعاصي. «ثمّ لايؤذن» في الكلام و الاعتذار. أو: لايؤذن لهم في الرجوع إلى الدنيا. أو: لايسمع منهم العذر. «يستعتبون»؛ أي: لايسترضون و لايستصلحون كما كان يفعل بهم في دار الدنيا. لأنّ الآخرة ليست بدار تكليف. و معناه: لايسألون أن يرضوا الله بالكفّ عن معصية يرتكبونها.[3]

«شهيداً». عن أبي جعفر عليه السلام: نحن الشهود على هذه الأمّة.[4]

«ثمّ لايؤذن». و هو أسوأ من الشهادة عليهم. و هو معنى ثمّ. «و لا هم يستعتبون»؛ أي:

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٨٣.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٢٦.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٨٣ ـ ٥٨٤.

٤ـ مناقب آل أبي طالب ٤ / ١٧٩.

لايقال لهم ارضوا ربّكم. لأنّ الآخرة ليست بدار عمل.[١]

[٨٥] «وَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَ لَا هُمْ يُنْظَرُونَ».

«الذين ظلموا»؛ أي: الكفّار. «و لا هم ينظرون»؛ أي: لايؤخّرون بل عذابهم دائم.[٢]

[٨٦] «وَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ».

«شركاءهم» مع الله في العبادة. «هؤلاء»؛ أي: هؤلاء الذين أضلّونا عن دينك، فحمّلهم بعض عذابنا، «فألقوا إليهم القول»؛ أي: قالت الأصنام و سائر ماكانوا يعبدون من دون الله بإنطاق الله إيّاهم. «لكاذبون» في أنّا أمرناكم بعبادتنا، و لكنّكم اخترتم الضلال بسوء اختياركم لأنفسكم.[٣]

«شركاءهم»؛ أي: آلهتهم. «فألقوا». فإن قلت: لم قالوا: «إنّكم لكاذبون» و كانوا يعبدونهم على الصحّة؟ قلت: لمّا كانوا غير راضين بعبادتهم، فكأنّ عبادتهم لم تكن عبادة. و الدليل عليه قول الملائكة: «كانوا يعبدون الجنّ».[٤] يعنون أنّ الجنّ كانوا راضين بعبادتهم لا نحن، فهم المعبودون دوننا. أو كذّبوهم في تسميتهم شركاء و آلهة تنزيهاً له من الشريك. و إن أريد بالشركاء الشياطين، جاز أن يكونوا كاذبين في قولهم: «إنّكم لكاذبون».[٥]

[٨٧] «وَ أَلْقَوْا إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ».

«و ألقوا». يعني الذين ظلموا. و إلقاء السلم الاستسلام لأمر الله و حكمه بعد الإباء و الاستكبار في الدنيا. «و ضلّ عنهم»: و بطل عنهم. «ما كانوا يفترون» من أنّ لله شركاء و أنّهم ينصرونهم و يشفعون لهم حين كذّبوهم و تبرّؤوا منهم.[٦]

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٢٦ ـ ٦٢٧.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٨٤.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٨٥.
٤ـ سبأ (٣٤) / ٤١.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٦٢٧.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٦٢٧.

[٨٨] «الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ».

«الذين كفروا» في أنفسهم و حمّلوا غيرهم على الكفر، يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم. و قيل في زيادة عذابهم: حيّات أمثال البخت و عقارب أمثال البغال يلسع إحداهنّ اللّسعة فيجد صاحبها حمّتها أربعين خريفاً. و قيل: يخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدّة برده إلى النار. «يفسدون»؛ أي: بكونهم مفسدين الناس بصدّهم عن سبيل الله.(١)

قال: «الذين كفروا» بعد النبيّ عليه السلام «و صدّوا» عن أميرالمؤمنين عليه السلام.(٢)

[٨٩] «وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هٰؤُلَاءِ وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ».

«و يوم نبعث». عن أبي عبدالله عليه السلام: نحن ـ و الله ـ نعلم ما في السموات و ما في الأرض و ما في الجنّة و ما في النار و ما بين ذلك. إنّ ذلك في كتاب الله ـ ثلاث مرّات. ثمّ تلا هذه الآية: «و يوم نبعث» ـ الآية. إنّه من كتاب الله؛ فيه تبيان لكلّ شيء.(٣)

قال: و قوله: «شهيداً عليهم من أنفسهم»؛ يعني: من الأئمّة. قال لنبيّه: «و جئنا بك شهيداً على هؤلاء»؛ يعني: و جئنا بك ـ يا محمّد ـ شهيداً على هؤلاء؛ يعني: على الأئمّة. فرسول الله شهيد على الأئمّة و هم شهداء على الناس.(٤)

«من أنفسهم»؛ أي: من أمثالهم من البشر. و يجوز أن يكون ذلك الشهيد نبيّهم الذي أرسل إليهم. و يجوز أن يكون المؤمنون العارفون يشهدون عليهم بما فعلوه من المعاصي. «و جئنا بك» يا محمّد «شهيداً» على قومك و أمّتك. «تبياناً لكلّ شيء»؛ أي: بياناً لكلّ شيء؛ أي: بياناً لكلّ أمر مشكل. أي: ليبيّن كلّ شيء يحتاج إليه من أمور الشريعة. فإنّه ما من شيء يحتاج إليه الخلق إلّا و هو مبيّن في الكتاب إمّا بالتنصيص عليه أو بالإحالة على ما يوجب

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٢٧.

٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٨٨.

٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٦٦، ح ٥٧.

٤ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٨٨.

العلم من بيان النبيّ صلى الله عليه و آله و الحجج القائمين مقامه و إجماع الأمّة فيكون حكم الجميع مستفاداً من القرآن. «و هدًى و رحمة و بشرى»؛ أي: دلالة إلى الرشد و نعمة على الخلق و بشارة لهم بالثواب الدائم.[١]

«و نزّلنا عليك». و عن أبي عبدالله عليه السلام: قال الله لموسى: «و كتبنا له في الألواح من كلّ شيء».[٢] فعلمنا أنّه لم يكتب لموسى الشيء كلّه. و قال الله لعيسى: «لتبيّن لهم بعض الذي يختلفون فيه».[٣] و قال الله لمحمّد صلى الله عليه و آله: «نزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء».[٤]

«تبياناً لكل شيء» لكن لايعلم إلّا حجج الله، كما وردت به الأخبار. (ع)

[٩٠] «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِيتَاءِ ذِي الْقُرْبىٰ وَ يَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».

«إنّ الله يأمربالعدل» ـ الآية. و حين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أميرالمؤمنين عليه السلام أقيمت هذه الآية مقامها. و هي: «إنّ الله يأمر» ـ الآية. و لعمري إنّها كانت فاحشة و منكراً و بغياً. ضاعف الله لمن سنّها غضباً و نكالاً و خزياً إجابة لدعوة نبيّه عليه السلام: و عاد من عاداه.[٥]

قال: العدل شهادة أن لا إله إلّا الله و أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه و آله. و العدل أميرالمؤمنين عليه السلام. و الفحشاء و المنكر و البغي فلان و فلان و فلان.[٦]

«بالعدل». عن أميرالمؤمنين عليه السلام: العدل الإنصاف. و الإحسان التفضّل.[٧]

«بالعدل». و هو الإنصاف بين الخلق و التعامل بالاعتدال الذي ليس فيه ميل و لا عوج. «و الإحسان». و هو التفضّل. و لفظ الإحسان جامع لكلّ خير. و قيل: العدل

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٨٦.
٢ـ الأعراف (٧) / ١٤٥.
٣ـ الزخرف (٤٣) / ٦٣: «... و لأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه».
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٦٦، ح ٥٨.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٦٢٩ ـ ٦٣٠.
٦ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٨٨.
٧ـ معاني الأخبار / ٢٥٧، ح ١.

التوحيد. و الإحسان أداء الفرائض. و قيل: العدل في الأفعال. و الإحسان في الأقوال. و قيل: العدل أن ينصف و ينتصف. و الإحسان أن ينصف و لاينتصف. «و إيتاء ذي القربى»؛ أي: بصلة القربى. و هذا عامّ. و قيل: المراد قرابة النبيّ صلى الله عليه وآله المذكورون في آية الخمس. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. «عن الفحشاء». و هو مايفعلها الإنسان في نفسه من القبيح ما لايظهره. «و المنكر»: ما يظهره للناس ممّا يجب عليهم إنكاره. «و البغي»: ما يتطاول به من الظلم لغيره.[١]

«ذي القربى». عن أبي عبدالله عليه السلام: هكذا نزلت: «ذي القربى حقّه». و هو أداء الإمام إلى الإمام.[٢]

«و ينهى عن الفحشاء»؛ أي: الإفراط في متابعة القوّة الشهويّة كالزنى. «و المنكر». و هو ما ينكر على متعاطيه في إثارة القوّة الغضبيّة. «و البغي»: الاستيلاء على الناس و التجبّر عليهم. فإنّها الشيطنة التي هي مقتضى القوّة الوهميّة.[٣]

«يعظكم» بما تضمّنت هذه الآية من مكارم الأخلاق. «لعلّكم تذكّرون»: لكي تتذكّروا و تتفكّروا و ترجعوا إلى الحقّ. و هذه الآية كانت السبب في إسلام عثمان بن مظعون.[٤]

[٩١] «وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَ لَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ».

«و أوفوا بعهد الله». قال ابن عبّاس: الوعد من العهد. و قال المفسّرون: العهد الذي يجب الوفاء به هو الذي يحسن فعله و عاهد الله ليفعلنّه. فإنّه يصير واجباً عليه. «و لاتنقضوا». و هو أن ينقضها بمخالفة موجبها. «توكيدها»؛ أي: تغليظها بالعزم و العقد على اليمين بخلاف لغو اليمين. «كفيلاً». قيل: إنّه قولهم: الله عليّ كفيل أو وكيل. و هذه الآية نزلت في الذين تابعوا النبيّ صلى الله عليه وآله على الإسلام فقال سبحانه لهم: لايحملنّكم قلّة المسلمين و كثرة المشركين على

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٨٧.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٦٧، ح ٦٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٥٥.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٨٧.

نقض البيعة. فإنّ الله حافظ لكم.[١]

«بعهد الله». هي البيعة لرسول الله عليه السلام على الإسلام. «إنّ الذين يبايعونك» ـ الآية.[٢]

«توكيدها»؛ أي: توثيقها باسم الله.[٣]

«لاتنقضوا الأيمان». عن أبي عبدالله عليه السلام: لمّا قال النبيّ صلى الله عليه وآله للأوّل و الثاني يوم الغدير: قوموا و سلّموا على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين، قالوا: من الله أو من رسول الله؟ قال: منهما جميعاً. فلمّا سلّما عليه و خرجا قالا: و الله لانسلّم له ما قال أبداً. فأنزل الله: «و لا تنقضوا الأيمان» ـ الآية ـ بقولكم: أمن الله أو من رسوله؟[٤]

«و لاتنقضوا». عن أبي عبدالله عليه السلام: نزلت في ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام بغدير خمّ. فكان ممّا أكّد عليهما قول رسول الله صلى الله عليه وآله: قوما و سلّما عليه بإمرة المؤمنين عليه السلام. فقالا: من الله أو من رسوله؟ فأنزل الله: «و لاتنقضوا الأيمان» ـ الآية. يعني به قول رسول الله و قولهما: أمن الله أم من رسوله؟ ثمّ قال: «أن تكون أئمّة هي أزكى من أئمّتكم». قال زيد بن الجهم: فإنّا نقرأ: «أربى»! قال: ما أربى؟ فأومى بيده و طرحها. «إنّما يبلوكم الله به». يعني بعليّ.[٥]

[٩٢] «وَ لَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَ لَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ».

«و لاتكونوا» في نقض الأيمان كالتي نقضت غزلها بعد أن أحكمته و أبرمته فجعلته أنكاثاً. جمع نكث و هو ما ينكث فتله. قيل: هي ريطة بنت سعد، و كانت خرقاء اتّخذت مغزلاً قدر ذراع و صنارة مثل إصبع و فلكة عظيمة على قدرها، و كانت تغزل هي و جواريها من الغداة إلى الظهر ثمّ تأمرهنّ فينقضن ما غزلن. «تتّخذون». حال و «دخلاً»

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٨٩.
٢ـ الفتح (٤٨) / ١٠.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٦٣٠.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٦٨، ح ٦٤.
٥ـ الكافي ١ / ٢٩٢، ح ١.

مفعول اتّخذ. يعني: و لاتنقضوا أيمانكم متّخذيها دخلاً بينكم؛ أي: مفسدة و دغلاً. «أن تكون أمّة». يعني جماعة قريش. «هي أربى من أمّة»: هى أزيد عدداً و أوفر مالاً من أمّة من جماعة المؤمنين. «إنّما يبلوكم الله به». الضمير لقوله: «أن تكون [أمّة» لأنّه في معني المصدر. أي: إنّما يختبركم بكونهم] أربى لينظر أتتمسّكون بحبل الوفاء بعهد الله و ما عقدتم على أنفسكم و وكّدتم من أيمان البيعة لرسول الله أم تغترّون بكثرة قريش و ثروتهم و قوّتهم و قلّة المؤمنين و فقرهم. «و ليبيّن لكم». إنذار و تحذير من مخالفة الإسلام.(١)

«نقضت» عن أبي عبدالله عليه السلام: «التي نقضت غزلها» عائشة. هي نكثت أيمانها.(٢)

«من بعد قوّة». متعلّق بنقضت. أي نقضت غزلها من بعد إبرام و إحكام. «أنكاثاً»: طاقات نكث فتلها، جمع نكث. و انتصابه على الحال من غزلها. «تتّخذون». حال من الضمير في «و لاتكونوا». أي: لاتكونوا متشبّهين بامرأة هذا شأنها متّخذي [أيمانكم] مفسدة. وأصل الدخل ما يدخل في الشيء و لم يكن منه.(٣)

«أنكاثاً». منصوب لأنّه في معنى المصدر. «دخلاً». مفعول له. أي: للدغل. «أن تكون» [يجوز أن] تكون كان هذا تامّة. «أنكاثاً»: جمع نكث، و هو الغزل من الصوف و الشعر يبرم ثمّ ينكث و ينقض فيغزل ثانية. «دخلاً»؛ أي: خيانة و مكراً. و ذلك أنّهم كانوا يحلفون في عهودهم و يضمرون الخيانة و كان الناس يسكنون إلى عهدهم ثمّ ينقضون العهد. «يبلوكم»؛ أي: يختبركم بالأمر بالوفاء. و الهاء في «به» عائدة على الأمر. أي: يعاملكم معاملة المختبر ليقع الجزاء بحسب العمل. «فيه»؛ أي: في صحّته.(٤)

[٩٣] «وَ لَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«و لوشاء الله لجعلكم أمّة واحدة» حنيفة مسلمة على طريق الإلجاء و الاضطرار. و هو

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٣١.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٦٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٥٥.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٨٩ ـ ٥٩٠.

قادر على ذلك، لكنّ الحكمة اقتضت أن يضلّ من يشاء، و هو أن يخذل من عرف أنّه يختار الكفر و يصمّم عليه، و يهدي من يشاء، و هو أن يلطف بمن علم أنّه يختار الايمان. يعني أنّه بنى الأمر على الاختيار و على ما يستحقّ به اللّطف و الخذلان و الثواب و العقاب و لم يبنه على الإجبار الذي لايستحقّ به شيء من ذلك. و حقّقه بقوله: «و لتسألنّ عمّا كنتم تعملون». و لو كان هو المضطرّ إلى الضلال و الاهتداء، لما أثبت لهم عملاً يسألون عنه.[١]

[٩٤] «وَ لَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَ تَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَ لَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

«و لاتتّخذوا». ثمّ كرّر النهي عن اتّخاذ الأيمان دخلاً بينهم تأكيداً عليهم. «فتزلّ قدم»؛ أي: فتزلّ أقدامكم عن محجّة الإسلام بعد ثبوتها عليها. «و تذوقوا السوء» في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله و خروجكم من الدين، أو بصدّ غيركم. لأنّهم لو نقضوا أيمان البيعة و ارتدّوا، لاتّخذوا نقضها سنّة لغيرهم يستنّون بها. «عذاب عظيم» في الآخرة. كأنّ قوماً ممّن أسلموا بمكّة زيّن لهم الشيطان ـ لجزعهم ممّا رأوا من غلبة قريش و استضعافهم المسلمين و إيذائهم و لما كانوا يعدونهم إن رجعوا من المواعيد ـ أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله، فثبّتهم الله. «قدم». فإن قلت: لم وحّدت القدم و نكّرت؟ قلت: لاستعظام أن تزلّ قدم واحدة عن طريق الحقّ بعد أن ثبتت عليه فكيف بأقدام كثيرة.[٢]

«قدم». عن أبي عبدالله عليه السلام: يعني بعد مقالة رسول الله في عليّ عليه السلام.[٣]

«صددتم». عن أبي عبدالله عليه السلام: يعني به عليّاً عليه السلام.[٤]

[٩٥] «وَ لَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ».

«و لاتشتروا بعهد الله»؛ أي: لاتستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله صلى الله عليه و آله «ثمناً قليلاً»؛ أي:

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٣١ ـ ٦٣٢.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٣٢ ـ ٦٣٣.
٣ـ الكافي ١ / ٢٩٢، ح ١.
٤ـ الكافي ١ / ٢٩٢، ح ١.

عرضاً من الدنيا يسيراً. و هو [ما] كانت قريش يعدونهم إن رجعوا. «إنّ ما عند الله» من إظهاركم و تغنيمكم و ثواب الآخرة خير لكم من أعراض الدنيا.[١]

«و لاتشتروا بعهد الله». النزول: قال ابن‌عبّاس: إنّ رجلاً من حضر موت يقال له عبدان قال: يا رسول الله، إنّ امرأ القيس الكنديّ جاورني في أرضي فاقتطع منها. و القوم يعلمون أنّي لصادق، لكنّه أكرم عليهم منّي. فأنكر امرؤ القيس، فأمره أن يحلف. فلمّا قام ليحلف، أنظره. فنزلت الآية. فقال امرؤالقيس: أمّا ما عندي فينفد. [و هو صادق] لقد اقتطعت أرضه. و لاأدري كم هي. فليأخذ من أرضي ما شاء و مثلها معها بما أكلت من ثمرها. فنزلت: «من عمل صالحاً».[٢]

[٩٦] «مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«ما عندكم» من أعراض الدنيا. «ما عند الله» من خزائن الأرض.[٣]

«صبروا» على الطاعات و الوفاء بالعهود. «بأحسن»؛ أي: بالطاعات من الواجبات و المندوبات. فإنّ أفعال المكلّف قد تكون طاعة و قد تكون مباحاً لايقع الجزاء عليه و لايستحقّ أجر و لا حمد. فلذلك قال سبحانه: «بأحسن». فإنّ الطاعة أحسن من المباح.[٤]

«بأحسن»؛ أي: بجزاء أحسن من أعمالهم.[٥]

[٩٧] «مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«حياة طيّبة». قال: القناعة.[٦]

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٣٢.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٩٢.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٦٣٢.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٩٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٥٦.
٦ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٩٠.

«طيّبة». قيل: الرزق الحلال. و قيل: القناعة و الرضا بما قسم الله. و قيل: رزق يوم بيوم. و قيل: الجنّة. لأنّه لاتطيب لأحد حياة إلّا فيها.[۱]

«ذكر أو أنثى». بيّنه بالنوعين دفعاً للتحصيص. «حياة طيّبة» في الدنيا، يعيش عيشاً طيّباً. فإنّه إن كان موسراً فظاهر، و إن كان معسراً يطيب عيشه بالقناعة و الرضا بالقسمة و توقّع الثواب العظيم في الآخرة. بخلاف الكافر، فإنّه إن كان معسراً فظاهر، و إن كان موسراً لم يدع الحرص و خوف الفراق [أن] يتهنّأ بعيشه. و قيل: في الآخرة.[۲]

[۹۸] «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ».

«فإذا قرأت»؛ أي: يا محمّد، إذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان المرجوم المطرود الملعون. و تأويله: استعذ بالله من وسوسة الشيطان عند قراءتك لتسلم في التلاوة من الزلل و في التأويل من الخطل. و الاستعاذة عند التلاوة مستحبّة غير واجبة بلا خلاف في الصلاة و خارج الصلاة.[۳]

«فإذا قرأت القرآن». عن أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبة طويلة قال فيها: أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم. ثمّ قرأ من القرآن. هكذا في الكافي.[٤] و في عوالي اللآلي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.[٥] و في قرب الإسناد عن أبي عبدالله عليه السلام: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان [الرجيم] و أعوذ بالله أن يحضرون. ثمّ قرأ.[٦] و في تفسير العيّاشيّ عنه عليه السلام: أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم.[۷]

و في معاني الأخبار عن العسكريّ عليه السلام: معنى الرجيم أنّه مرجوم باللّعن، مطرود من الخير، لايذكره مؤمن إلّا لعنه. و إنّ [في] العلم السابق إذا خرج القائم عليه السلام لايبقى مؤمن في

۱ـ مجمع البيان ٦ / ٥٩٣.
۲ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ٥٥٦.
۳ـ مجمع البيان ٦ / ٥٩٢.
٤ـ الكافي ٨ / ۱۷٥، ح ۱۹٤.
٥ـ عوالي اللآلي ۲ / ٤۷، ح ۱۲٤.
٦ـ قرب الإسناد / ٥٨.
۷ـ تفسير العيّاشيّ ۲ / ۲۷۰، ح ٦۷.

زمانه إلّا رجمه بالحجارة، كما كان قبل ذلك مرجوماً باللّعن.[١]

[٩٩] «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

«سلطان»: تسلّط و قدرة «على الذين آمنوا» بأن يكرههم على الكفر و المعاصي. و قيل: معناه: ليس له حجّة على ما يدعوهم إليه من المعاصي.[٢]

«سلطان». عن أبي عبدالله عليه السلام: ليس له سلطان على دينه، و له سلطان على بدنه.[٣]

«على الذين آمنوا». فإنّهم لايطيعون وساوسه إلّا على ندرة و غفلة.[٤]

[١٠٠] «إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ».

«يتولّونه»؛ أي: يطيعونه. «به مشركون»؛ أي: بسببه يشركون بالله.[٥]

[١٠١] «وَ إِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

«و الله». جملة معترضه. «ينزّل». قرأ ابن‌كثير و أبوعمرو: «ينزل» بالتخفيف.[٦]

«و إذا بدّلنا»؛ أي: إذا نسخنا آية و أثبتنا مكانها آية أخرى؛ إمّا نسخ الحكم و التلاوة، و إمّا نسخ الحكم مع بقاء التلاوة. «ينزّل»؛ أي: الله أعلم بمصالح ما ينزّل فينزّل في كلّ وقت ما توجبه المصلحة. وقد تختلف المصالح باختلاف الأوقات. «أنت مفتر»؛ أي: قال المشركون: أنت كاذب على الله. قال ابن‌عبّاس: كانوا يقولون: يسخر محمّد بأصحابه؛ يأمرهم اليوم بأمر و غداً بأمر. و إنّه لكاذب و يأتيهم بما يقول من عند نفسه. «بل أكثر هم لايعلمون» أنّه من عند الله. أو: لايعلمون جواز النسخ و لأيّ سبب ورد.[٧]

١ـ معاني الأخبار / ١٣٩، ح ١.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٥٩٣.
٣ـ الكافي ٨ / ٢٨٨، ح ٤٣٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٥٧.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٩٣.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٥٧.
٧ـ مجمع البيان ٦ / ٥٩٤ ـ ٥٩٥.

[١٠٢] «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هُدىً وَ بُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ».

«القدس». قرأ ابن‌كثير بتخفيف القدس.[١]

«روح القدس»: جبرئيل عليه السلام. أضيف إلى القدس ـ و هو الطهر ـ كما يقال: حاتم الجود. و المقدّس: المطهّر من المآثم. «بالحقّ». في موضع الحال. أي: أنزله متلبّساً بالحكمة. يعني أنّ النسخ من جملة الحقّ. «ليثبّت الذين»؛ أي: ليبلوهم بالنسخ حتّى إذا قالوا فيه هو الحقّ من ربّنا حكم لهم بثبات القدم و صحّة اليقين على أنّ الله حكيم فلايفعل إلّا ما هو صواب. «و هدًى و بشرى». مفعول لهما معطوفان على محلّ ليثبّت. أي: تثبيتاً لهم و إرشاداً و بشارة.[٢]

«قل نزّله»؛ أي: الناسخ. «روح القدس»: جبرئيل عليه السلام. «ليثبّت الذين آمنوا» بما فيه من الحجج و الآيات فيزدادوا تصديقاً و يقيناً. «و هدًى»؛ أي: و هو هدًى. «و بشرى»؛ أي: بشارة لهم في الجنّة و الثواب.[٣]

[١٠٣] «وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ».

«و لقد نعلم»؛ أي: إنّا نعلم أنّ الكفار يقولون إنّ القرآن ليس من عند الله إنّما يعلّم النبيّ بشر. قال ابن‌عبّاس: قالت قريش إنّما يعلّمه بلعام. و كان بمكّة، روميّاً نصرانيّاً. و قيل: سلمان الفارسيّ. قالوا: إنّه تعلّم القصص منه. و قيل: كان غلامان في الجاهليّة نصرانيّان، اسم أحدهما بشار و الآخر بشر، و كانا صيقلين يقرآن كتاباً لهما بلسانهم. و كان رسول الله صلى الله عليه و آله ربما مرّ بهما و استمع لقراءتهما، فقالوا إنّما يتعلّم منهما. ثمّ ألزمهم الله الحجّة فقال: «لسان الذي يلحدون»؛ أي: لغة الذى يضيفون إليه التعليم و يميلون إليه القول «أعجميّ» و هو لايفصح و لايتكلّم بالعربيّة. فكيف يتعلّم منه ما هو في أعلى طبقات

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٥٧.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٣٤ ـ ٦٣٥.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٩٥.

البيان؟ «يلحدون». بفتح الياء أهل الكوفة غير عاصم. و الباقون بالضمّ و كسر الحاء.(١)

«مبين»؛ أي: ذوبيان وفصاحة. والجملتان مستأنفتان لإبطال طعنهم. و تقريره يحتمل وجهين. أحدهما: انّ ما يسمعه منه كلام أعجميّ لايفهمه هو و لا أنتم، و القرآن عربيّ تفهمونه بأدنى تأمّل. فكيف يكون مما تلقّفه منه؟ و ثانيها: هب أنّه تعلّم منه المعنى باستماع كلامه، و لكن لم يتلقّف منه اللّفظ لأنّ ذلك أعجميّ و هذا عربيّ. و القرآن كما هو معجز باعتبار المعنى، فهو معجز من حيث اللّفظ. مع أنّ العلوم الكثيرة التي في القرآن لايمكن تعلّمها إلّا بملازمة معلّم فائق في تلك العلوم مدّة متطاولة. فكيف تعلّم جميع ذلك من غلام سوقيّ سمع منه بعض أوقات مروره عليه كلمات أعجميّة؟ و طعنهم في القرآن بأمثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم.(٢)

[١٠٤] «إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللهُ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«لايؤمنون»: لايصدّقون أنّها من عند الله.(٣)

«لايهديهم الله»: لايلطف بهم لأنّهم من أهل الخذلان في الدنيا و العذاب في الآخرة.(٤)

«لا يهديهم» إلى طريق الجنّة.(٥)

[١٠٥] «إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ».

«إنّما يفترى الكذب». ردّ لقولهم: «إنّما أنت مفتر». يعني إنّما يليق افتراء الكذب بمن لايؤمن، لأنّه لايترقّب عقاباً عليه. «و أولئك». إشارة إلى قريش. «هم الكاذبون»؛ أي: هم الذين لايؤمنون، فهم الكاذبون. أو إلى الذين لايؤمنون. أي: أولئك هم الكاملون في الكذب. لأنّ تكذيب آيات الله تعالى أعظم الكذب.(٦)

١ـ مجمع البيان ٦ / ٥٩٥ و ٥٩٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٥٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٥٨.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٣٥.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٥٩٦.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٦٣٨ ـ ٦٣٩.

[١٠٦] «مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَ لٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

«من كفر». بدل من الذين لايؤمنون، على أن يجعل «و أولئك هم الكاذبون» اعتراضاً بين البدل و المبدل منه. و المعنى: إنّما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه. و استثنى منه المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء. «بالكفر صدراً»: أي: طاب به نفساً و اعتقده. «فعليهم غضب». و يجوز أن يكون بدلاً من المبتدأ الذي هو أولئك، أو من الخبر. و يجوز أن ينتصب على الذمّ. روي: انّ أناساً من أهل مكّة فتنوا وارتدّوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه. و كان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه و هو معتقد للإيمان. منهم عمّار و أبواه ياسر و سميّة، فقتلا، و أمّا عمّار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً. فقالوا: يا رسول الله، إنّ عمّاراً كفر. فقال: كلّا! إنّ عمّاراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه. و لمّا أتى إليه عمّار يبكي فقال له النبيّ ﷺ: إن عادوا لك، فعد.[١]

[١٠٧] «ذٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَ أَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ».

«ذلك». إشارة إلى الوعيد و أنّ العذاب و الغضب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة و استحقاقهم خذلان الله بكفرهم.[٢]

[١٠٨] «أُولٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَ سَمْعِهِمْ وَ أَبْصَارِهِمْ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ».

«الغافلون»: الكاملون في الغفلة لغفلتهم عن العاقبة.[٣]

[١٠٩] «لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٣٦.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٣٦.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٦٣٦.

[١١٠] «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَ صَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ».

«ثمّ إنّ ربّك». دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك و هم عمّار و أصحابه. أي: إنّه وليّهم و ناصرهم من بعد ما فتنوا بالعذاب و الإكراه على الكفر. «من بعد ما»؛ أي: من بعد هذه الأفعال و هي الهجرة و الجهاد و الصبر.[١]

«فتنوا». قرأ ابن‌عامر بالفتح. أي: بعد ما عذّبوا المؤمنين. كالحضرميّ أكره مولاه جبراً حتّى ارتدّ ثمّ أسلما و هاجرا.[٢]

«فَتَنوا» بإظهار التقيّة.[٣]

[١١١] «يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ».

«كلّ نفس»؛ أي: كلّ إنسان يجادل عن ذاته.[٤]

«يوم». منصوب برحيم أو باذكر. «تجادل»؛ أي: تخاصم الملائكة عن نفسها و تحتجّ بما ليس فيه حجّة فيقول: «و الله ربّنا ما كنّا مشركين».[٥] و يقول أتباعهم: «ربّنا هؤلاء أضلّونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار».[٦] «ما عملت»؛ أي: جزاء ما عملت.[٧]

[١١٢] «وَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ».

«و ضرب الله مثلاً قرية» ـ الآية. قال: نزلت في قوم كان لهم نهر يقال له البلبان و كانت

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٣٧ ـ ٦٣٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٥٩.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٥٩٧: و من قرأ: «فَتَنوا» فيكون على معنى: فتن نفسه بإظهار ما أظهر من التقيّة.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٣٨.
٥ـ الأنعام (٦) / ٢٣.
٦ـ الأعراف (٧) / ٣٨.
٧ـ مجمع البيان ٦ / ٦٠٠.

بلادهم خصيبة كثيرة الخير و كانوا يستنجون بالعجين و يقولون هو ألين، فكفروا بأنعم الله و استخفّوا بنعمة الله. فحبس الله عليهم البلبان فجديوا حتّى أحوجهم الله إلى ما كانوا يستنجون به حتّى كانوا يتقاسمون عليه.(١)

و في محاسن البرقيّ(٢) و تفسير العيّاشيّ(٣) عن أبي عبدالله عليه السلام بهذا المضمون.

«رغداً»؛ أي: واسعاً.

«قرية». بلبلان، فغارت ماؤها بسبب كفر النعمة.

«الخوف». عن أبي عمرو: «والخوف» بالنصب.(٤)

[١١٣] «وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَ هُمْ ظَالِمُونَ».

«و لقد جاءهم»؛ أي: أهل مكّة. «و هم ظالمون»؛ أي: في حال كونهم ظالمين و عذابهم ما حلّ [بهم] من الخوف و الجوع المذكورين و ما نالهم يوم بدر و غيره من القتل. و من قال إنّ المراد بالقرية غير مكّة، قال: هذه صورة القرية المذكورة.(٥)

[١١٤] «فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالاً طَيِّباً وَ اشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ».

ثمّ خاطب سبحانه المؤمنين فقال: كلوا ممّا رزقكم الله من الغنائم و أحلّها لكم.(٦)

[١١٥] «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«إنّما حرّم». مرّ تفسيرها في سورة البقرة.(٧)

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٩١.
٢ـ المحاسن / ٨٨، ح ٨٨.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٧٣، ح ٧٨.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٥٩٩.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٦٠١.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٦٠١.
٧ـ مجمع البيان ٦ / ٦٠١.

«و ما أهلّ». عن أبي عبدالله عليه السلام: ما ذبح لصنم أو وثن أو شجرة.[١]

و عنه عليه السلام: العادي: السارق. و الباغي: الذي يبغي الصيد بطراً و لهواً لا ليعود به على عياله.[٢]

قيل: المراد بالباغي الخارج على الإمام، و العادي قاطع الطريق؛ كما يدلّ عليه مرسلة ابن أبي‌نصر. و قيل: المراد بالباغي الذي يبغي الميتة؛ أي: يرغب في أكلها، و العادي الذي يعدو شبعه. و نقل الطبريّ رحمه الله أنّه باغي اللّذّة و عادي سدّ الجوع. (م ق ـ ره).

الباغي: الخارج على الإمام. و العادي: الصائد للّغو.

[١١٦] «وَ لَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هٰذَا حَلَالٌ وَ هٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ».

«و لاتقولوا»؛ أي: لاتقولوا لما أحللتموه بأنفسكم ـ مثل الميتة ـ: هذا حلال، و لما حرّمتموه ـ مثل السائبة ـ: هذا حرام، لتكذبوا على الله في إضافة التحريم إليه.[٣]

«الكذب». و لك أن تنصب الكذب بتصف و تجعل ما مصدريّة و تعلّق «هذا حلال و هذا حرام» بلاتقولوا. أي: لاتقولوا هذا حرام لتصف ألسنتكم الكذب. أي: لاتحلّلوا و لاتحرّموا لأجل قول تنطق به ألسنتكم و يجول في أفواهكم لا لأجل الحجّة و لكن قول ساذج و دعوى فارغة.[٤]

[١١٧] «مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

[١١٨] «وَ عَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ مَا ظَلَمْنَاهُمْ وَ لٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ».

«و على الذين». متّصل بما قبله لبيان أنّ ما كانوا يحرّمونه و يحلّلونه بزعمهم ليس في

١ـ الفقيه ٣ / ٣٤٣.
٢ـ الفقيه ٣ / ٣٤٣.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦٠١ ـ ٦٠٢.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٤١.

التوراة، كما أنّ ذلك ليس في القرآن. «ما قصصنا عليك» في سورة الأنعام من قوله: «و على الذين هادوا حرّمنا كلّ ذي ظفر» ـ الآية.(١)

«و ما ظلمناهم» بتحريم ذلك عليهم.(٢)

[١١٩] «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ أَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ».

«بجهالة»؛ أي: بداعي الجهل. فإنّه يدعو إلى القبيح، كما أنّ داعي العلم يدعو إلى الحسن. و قيل: بجهالة الشباب. و قيل: بجهالة أنّها سوء.(٣)

«بجهالة». في موضع الحال. أي: عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله و عقابه، أو غير متدبّرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم. «من بعدها»؛ أي: التوبة.(٤)

[١٢٠] «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّٰهِ حَنِيفاً وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

«إنّ إبراهيم كان أمّة»؛ أي: كان وحده أمّة من الأمم لكماله في جميع صفات الخير. و عن مجاهد: كان مؤمناً وحده و الناس كلّهم كفّار. أو بمعنى مأموم، أي: يؤمّه [الناس] ليأخذوا منه الخير. و القانت: المطيع لله و رسوله. و الحنيف: المائل إلى ملّة الإسلام. و نفى عنه الشرك تكذيباً لكفّار قريش في زعمهم أنّهم على ملّة أبيهم إبراهيم.(٥)

عن العبد الصالح عليه السلام قال: لقد كانت الدنيا و ما فيها إلّا واحد يعبد الله. و لو كان معه غيره، لأضافه إليه؛ حيث يقول: «إنّ إبراهيم كان أمّة قانتاً لله». فصبر بذلك ما شاء الله، ثمّ آنسه بإسماعيل و إسحاق فصاروا ثلاثة.(٦)

[١٢١] «شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَ هَدَاهُ إِلىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

١ـ الأنعام (٦) / ١٤٦.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٠٢.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦٠٢.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٤١.

٥ـ الكشّاف ٢ / ٦٤١ ـ ٦٤٣.

٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٧٤، ح ٨٤.

«شاكراً». [روي] أنّه كان لايتغذّى إلّا مع ضيف. «لأنعمه». بلفظ القلّة للتنبيه على أنّه لايخلّ بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة. «اجتباه»: اصطفاه للنبوّة. «صراط مستقيم»؛ أي: ملّة الإسلام.[١]

[١٢٢] «وَ آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ».

«حسنة»: تنويه الله بذكره حتّى أنّه ليس من أهل دين إلّا و هم يتولّونه. و قيل: قول المصلّي منّا: كما صلّيت على إبراهيم. «لمن الصالحين»؛ أي: من أهل الجنّة.[٢]

«لمن الصالحين» كما سأله بقوله: «ألحقني بالصالحين».[٣][٤]

«لمن الصالحين». [بيّن أنّهعليه‌السلام من جملة الصالحين] تشريفاً للصالحين بأنّه منهم.[٥]

[١٢٣] «ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

«ثمّ أوحينا». في ثمّ هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله و إجلال محلّه و الإيذان بأنّ أشرف ما أوتي خليل الله إبراهيمعليه‌السلام من الكرامة و أجلّ ما ولّي من النعمة اتباع رسول الله ملّته، من قبل أنّها دلّت على تباعد هذا النعت من بين سائر النعوت التي أثنى الله عليها بها.[٦]

«أن اتّبع» في التوحيد و الدعوة إليه بالرفق والمجادلة مع كلّ أحد [على حسب فهمه].[٧]

«حنيفاً» في اتّباع الحقّ.[٨]

[١٢٤] «إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٤٣.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٤٣، و تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦١.

٣ـ الشعراء (٢٦) / ٨٣.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦١.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٦٠٣.

٦ـ الكشّاف ٢ / ٦٤٣.

٧ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦١.

٨ـ مجمع البيان ٦ / ٦٠٣.

فِيما كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ».

«السبت»: مصدر سبتت اليهود، إذا عظّمت سبتها. و المعنى: إنّما جعل وبال السبت ـ و هو المسخ ـ «على الذين اختلفوا». و اختلافهم فيه أنّهم أحلّوا الصيد تارة و حرّموه تارة و كان الواجب عليهم أن يتّفقوا في تحريمه على كلمة واحدة. و المعنى في ذكر ذلك مثل المعنى في ذكر القرية التي كفرت بأنعم الله مثلاً، و هو الإنذار من سخط الله. [فإن قلت: ما معنى الحكم بينهم إذا كانوا جميعاً محلّين أو محرّمين؟ قلت: معناه أنّه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلّين تارة و محرّمين أخرى. و وجه آخر][1] أنّ موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا في الأسبوع يوماً للعبادة و أن يكون يوم الجمعة. فأبوا عليه و قالوا: نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات و الأرض و هو السبت، إلّا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة. فهذا اختلافهم في السبت. لأنّ بعضهم اختاره و بعضهم اختار عليه الجمعة. فأذن الله لهم في السبت و ابتلاهم بتحريم الصيد فيه. فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لايصيدون، و أعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك. و هو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازي كلّ واحد من الفريقين بما يستوجبه. و معنى جعل السبت: فرض عليهم تعظيمه و ترك الاصطياد فيه.[2]

[١٢٥] «ادْعُ إِلىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ».

«إلى سبيل ربّك»؛ أي: الإسلام. «بالحكمة»؛ أي: المقالة المحكمة الصحيحة و هي الدليل الموضح للحقّ المزيل للشبهة. «و الموعظة الحسنة». و هي التي لاتخفى عليهم أنّك تناصحهم بها. و يجوز أن يكون المراد القرآن. أي: ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة و موعظة حسنة. «بالتي هي أحسن»؛ أي: بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق و اللّين من غير

١ـ في النسخة: «معناه» بدل ما بين المعقوفتين.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٤٣ ـ ٦٤٤.

فظاظة و لا تعنيف. «إنّ ربّك أعلم» بهم. فمن كان به خير، كفاه الوعظ القليل. و من لا خير فيه، عجزت عنه الحيل.[١]

«سبيل ربّك». عن أبي عبدالله عليه السلام: نحن و الله السبيل الذي أمركم الله باتّباعه.[٢]

«بالحكمة»: المقالة المحكمة و الدليل الموضح للحقّ. «و الموعظة الحسنة»: الخطابات المقنعة و العبر النافعة. و الأولى لدعوة خواصّ الأمّة الطالبين للحقائق، و الثانية لدعوة عوامّهم.[٣]

«جادلهم بالتي». عن أبي عبدالله عليه السلام: التي هي أحسن القرآن.[٤]

«و جادلهم». عن العسكريّ عليه السلام قال: ذكر عند الصادق عليه السلام الجدال في الدين و أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله و الأئمّة عليهم السلام نهوا عنه. فقال الصادق عليه السلام: لم ينه عنه مطلقاً و لكنّه نهي عن الجدال بغير التي هي أحسن. أما تسمعون قوله تعالى: «و جادلهم بالتي هي أحسن»؟ و قد قرنه العلماء بالدين. و الجدال بغير التي هي أحسن محرّم ـ الحديث.[٥]

«هي أحسن»؛ أي: أحسن ما عندك من الحجج. و قيل: هو أن يجادلهم على قدر ما يحتملونه.[٦]

[١٢٦] «وَ إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ».

«فعاقبوا». سمّي الفعل الأوّل باسم الثاني للمجاورة. و المعنى: إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه، فقابلوه بمثله لا تزيدوا عليه. روي: انّ المشركين مثّلوا بالمسلمين يوم أحد؛ بقروا بطونهم و قطعوا مذاكيرهم. ما تركوا أحداً غير ممثول به إلّا حنظلة بن الراهب. فوقف رسول الله صلى الله عليه وآله على حمزة و قد مثّل به فقال: أما و الذي أحلف به، لئن أظفرني الله بهم، لأمثّلنّ بسبعين مكانك. فنزلت. فكفّر عن يمينه و كفّ عمّا أراده. «لهو خير». الضمير يرجع

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٤٤.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٦٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦١.
٤ـ الكافي ٥ / ١٣، ح ١.
٥ـ الاحتجاج ١ / ١٤ ـ ١٥.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٦٠٥.

إلى صبرهم و هو مصدر صبرتم. و يراد بالصابرين المخاطبون، فوضع الصابرون موضع الضمير، ثناء من الله عليهم بأنّهم صابرون على الشدائد. و إمّا أن يرجع إلى جنس الصبر و يراد بالصابرين جنسهم.[١]

[١٢٧] «وَ اصْبِرْ وَ مَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ».

«و اصبر» فيما تبلّغه من الرسالة و فيما تلقاه من الأذى. [و قيل:] و اصبر على ما يجب الصبر عليه و عنه. «و لاتحزن عليهم»؛ أي: على المشركين في إعراضهم عنك. فإنّه يكون الظفر لك عليهم و لا عتب عليك في إعراضهم. فقد بلّغت ما أمرت به و قضيت ما عليك. و قيل: معناه: لاتحزن على قتلى أحد. فإنّ الله قد نقلهم إلى ثوابه و كرامته. «و لاتكن في ضيق» من مكرهم بك و بأصحابك. فإنّ الله يردّ كيدهم في نحورهم ويحفظكم من شرورهم. «ضيق». ابن‌كثير بكسر الضاد و الباقون بالفتح.[٢]

[١٢٨] «إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ».

«مع الذين اتّقوا». أي الشرك و الفواحش.[٣]

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٤٤ ـ ٦٤٥.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٠٦ و ٦٠٤.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦٠٦.

١٧.
سورة الإسراء

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة بني إسرائيل في كلّ ليلة جمعة، لم يمت حتّى يدرك القائم عليه السلام و يكون من أصحابه.(١)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ».

عن النبيّ صلى الله عليه وآله: يا عليّ عليه السلام إنّ الله أشهدك معي في سبع مواطن. أمّا أوّل ذلك، فليلة أسري بي إلى السماء. قال لي جبرئيل: أين أخوك؟ فقلت: خلّفته ورائي. فقال: ادع الله فليأتك به. فدعوت الله، و إذا بمثالك معي. و الثاني حين أسري بي في المرّة الثانية، فدعوت الله، فإذا بمثالك معي. إلى قوله: و أمّا السادس، فلمّا أسري بي إلى السماء، جمع الله لي النبيّين عليهم السلام فصلّيت بهم و مثالك خلفي.(٢)

«سبحان الذي أسرى». نزلت الآية في إسرائه صلى الله عليه وآله. و كان ذلك بمكّة؛ صلّى المغرب في المسجد الحرام [ثمّ أسري به في ليلته] ثمّ رجع فصلّى الصبح في المسجد الحرام. و قول بعضهم أنّ ذلك كان بالنوم، ظاهر البطلان. و سبحان منصوب على المصدر. و هي كلمة تنزيه له عمّا لايليق به. و كان الإسراء قبل الهجرة بسنة من المسجد الحرام. قال أكثر المفسّرين: أسري به من دار أمّ هاني أخت عليّ بن أبي طالب عليه السلام. لأنّ مكّة و الحرم كلّها

١ـ ثواب الأعمال / ١٣٣ ـ ١٣٤.
٢ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

مسجد. «إلى المسجد الأقصى». يعني بيت المقدس لبعده عن المسجد الحرام. «باركنا حوله»؛ أي: جعلنا البركة فيما حوله من الأشجار و الثمار و النبات حتّى لايحتاجوا أن يجلب إليهم من موضع آخر. و قيل: باركنا حوله بأن جعلناه مقرّاً للأنبياء و مهبط الملائكة. «لنريه» من عجائب آياتنا. و منها أنّه رأى الأنبياء واحداً بعد واحد. «السميع». أي لأقوال من صدّق بذلك و كذّب به. «البصير» فيما فعل من الإسراء و المعراج.(١)

فإن قلت: الإسراء لايكون إلّا باللّيل. فما معنى ذكر اللّيل؟ قلت: أراد بقوله: «ليلاً» بلفظ التنكير تقليل مدّة الإسراء و أنّه أسرى به في بعض اللّيل.(٢)

[٢] «وَ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ جَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً».

«و آتينا». وجه اتّصال قوله: «و آتينا موسى الكتاب» بما قبله أنّ المعنى: سبحان الذي أسرى بمحمّدﷺ و أراه الآيات كما أرى موسى الآيات و المعجزات الباهرات. «تتّخذوا». قرأ أبوعمرو وحده بالياء، و الباقون بالتاء. «ألّاتتّخذوا»؛ أي: أمرناهم ألّاتتّخذوا. «وكيلاً»؛ أي: ربّاً تتوكّلون عليه.(٣)

[٣] «ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً».

«ذرّيّة». نصب على الاختصاص. و قيل: على النداء فيمن قرأ: «ألّاتتّخذوا» بالتاء على النهي. يعني: قلنا لهم: لاتتّخذوا من دوني وكيلاً يا ذرّيّة من حملنا. و قد يجعل وكيلاً و ذرّيّة مفعولي تتّخذوا. أي: لاتجعلوهم أرباباً ـ كقوله: «و لايأمركم أن تتّخذوا الملائكة و النبيّين أرباباً»(٤) ـ و من ذرّيّة المحمولين مع نوح عيسى و عزيرعليهما السلام. ذكّرهم النعمة في إنجاء آبائهم من الغرق. «إنّه كان عبداً شكوراً». وجه اتّصاله بما قبله أنّ معناه: لاتتّخذوا من دوني وكيلاً

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٠٩ و ٦١١.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٤٦.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦١٢.
٤ـ آل عمران (٣) / ٨٠.

و لاتشركوا بي، لأنّ نوحاًعليه السلام كان عبداً شكوراً و أنتم ذرّيّة من آمن به و حمل معه. فاجعلوه أسوتكم، كما جعله آباؤكم أسوتهم.[١]

«شكوراً». قيل: إنّه كان يقول في ابتداء الأكل و الشرب: بسم الله، و في انتهائه: الحمد لله. روي عن أبي عبدالله و أبي جعفرعليهما السلام: انّ نوحاً كان إذا أمسى و أصبح قال: اللّهمّ إنّي أشهدك أنّه ما أصبح أو أمسى بي من نعمة في دين أو دنيا، فمنك وحدك لا شريك لك. لك الحمد و لك الشكر بها عليّ حتّى ترضى و بعد الرضا. فهذا كان شكره.[٢]

و روي بطرق كثيرة أنّه كان يقولها عشر مرّات.[٣]

[٤] «وَ قَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً».

«و قضينا»؛ أي: أوحينا إليهم وحياً مقضيّاً؛ أي: مقطوعاً مبتوتاً بأنّهم يفسدون في الأرض لا محالة و يبغون على الناس. «لتفسدنّ» جواب قسم محذوف. و يجوز أن يجرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدنّ جواباً له. كأنّه قال: و أقسمنا لتفسدنّ. «مرّتين». أولاهما قتل زكريّا و حبس إرميا حين خوّفهم سخط الله. و الآخرة قتل يحيى بن زكريّا و قصد قتل عيسى بن مريم.[٤]

عن أبي عبداللهعليه السلام: «لتفسدنّ في الأرض مرّتين» قال: قتل أميرالمؤمنين و طعن الحسنعليهما السلام «و لتعلنّ علوّاً كبيراً». قال: قتل الحسينعليه السلام.[٥]

«لتفسدنّ في الأرض». خاطب الله أمّة محمّدصلى الله عليه وآله فقال: «لتفسدنّ في الأرض مرّتين». يعني فلاناً و فلاناً و أصحابهما و نقضهم العهد. «و لتعلنّ». يعني ما ادّعوه من الخلافة.[٦]

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٤٨.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦١٢.
٣ـ الفقيه ١ / ٢٢١، ح ٩٨٠.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٤٩.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٨١، ح ٢٠.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤.

[٥] «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً».

«وعد أولاهما»؛ أي: إذا جاء نصر دم الحسين عليه السلام «بعثنا عليكم عباداً». قال: قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلا يدعون وتراً لآل محمّد إلّا قتلوه. «وكان وعداً مفعولاً». أي خروج القائم عليه السلام.[١]

«وعد أولاهما». يعني يوم الجمل. «عباداً لنا»: أمير المؤمنين و أصحابه. «فجاسوا خلال الديار». يعني طلبوكم و قتلوكم. «مفعولاً»؛ أي: يتمّ.[٢]

«عباداً لنا». و هو سخارب[٣] و جنوده. و قيل: بخت نصّر. و عن ابن عبّاس: جالوت. قتلوا علماءهم و أحرقوا التوراة و خرّبوا المسجد و سبوا منهم سبعين ألفاً. و معنى بعث الله الكفرة فهو: انّا خلّينا بينهم و بين ما فعلوا و لم نمنعهم. كما قال: «و كذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون».[٤] «وعداً مفعولاً». يعني وعد العقاب لابدّ أن يفعل.[٥]

«عباداً لنا». عن أبي جعفر عليه السلام: هو القائم و أصحابه.[٦]

«عباداً لنا». قيل: ملك فارس و بخت نصّر. و قيل: ملكاً مؤمناً؛ لقوله: «عباداً لنا». (ع ـ ره).

«وعد أولاهما»: الوقت الموعود لإفسادهم في المرّة الأولى. «فجاسوا»؛ أي: طافوا و تردّدوا. «خلال الديار»؛ أي: في الديار هل بقي أحد منكم فيقتلوه.[٧]

[٦] «ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَنِينَ وَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً».

«ثمّ رددنا لكم»: تفضّل الله عليهم بملك من ملوك فارس عارف بالله ردّهم إلى

١ـ الكافي ٨ / ٢٠٦، ح ٢٥٠، و تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٨١، ح ٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤.

٣ـ المصدر: سنحاريب.

٤ـ الأنعام (٦) / ١٢٩.

٥ـ الكشّاف ٢ / ٦٤٩.

٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٨١، ح ٢١.

٧ـ مجمع البيان ٦ / ٦١٥.

بيت المقدس و بعد مائة سنة أفسدوا.[١]

«ثمّ رددنا لكم» بأن ملك دانيال و قتل أتباع بخت نصّر.[٢]

«ثمّ رددنا لكم الكرّة»: خروج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه عليهم البيض لكلّ بيضة وجهان [المؤدّون إلى الناس أنّ الحسين قد خرج حتّى] لا يشكّ المؤمنون فيه. و الحجّة القائم بين أظهرهم. فإذا استقرّت المعرفة في قلوب المؤمنين أنّه الحسين عليه السلام [جاء الحجّة الموت، فيكون الذي يغسّله و ... الحسين بن علي عليه السلام]. و لا يلي الوصيّ إلّا الوصيّ. ثمّ يملكهم الحسين حتّى يقع حاجباه على عينيه.[٣]

«لكم الكرّة». يعني بني أميّة على آل محمّد عليهم السلام. «و أمددناكم بأموال و بنين و جعلناكم أكثر نفيراً» من الحسن و الحسين عليهما السلام و أصحابهما، فسبوا نساء آل محمّد.[٤]

و عن أبي عبدالله عليه السلام: أوّل من يكرّ إلى الدنيا الحسين عليه السلام و يزيد بن معاوية و أصحابه فيقتلهم حذو القذّة بالقذّة. و هو قوله: «ثمّ رددنا لكم الكرّة عليهم».[٥]

«لكم الكرّة»؛ أي: الدولة و الغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم و رجعتم عن الفساد. قيل: هي قتل بخت نصّر و استنقاذ بني إسرائيل أسراهم وأموالهم و رجوع الملك إليهم. و قيل: هي قتل جالوت. «أكثر نفيراً» ممّا كنتم. و النفير: من ينفر مع الرجل من قومه.[٦]

[٧] «إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً».

«إن أحسنتم». خطاب لبني إسرائيل أو لهذه الأمّة فيكون اعتراضاً. «فلها»؛ أي: فعليها.

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦١٦.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦٤ ـ ٥٦٥.

٣ـ الكافي ٨ / ٢٠٦، ح ٢٥٠، و تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٨١، ح ٢٠، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤.

٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٨٢.

٦ـ الكشّاف ٢ / ٦٤٩ ـ ٦٥٠.

أتى باللّام على وجه التقابل.(١)

عن الرضا عليه السلام: فلها ربّ يغفر لها.(٢)

«فإذا جاء وعد الآخرة». يعني القائم عليه السلام.(٣)

«فإذا جاء وعد الآخرة» بعثناهم «ليسوؤوا» وجوهكم؛ أي: يجعلوها بادية آثار المساءة و الحزن [فيها]. و قرئ: «ليسوء» ـ و الضمير لله أو للوعد أو للبعث ـ و «لنسوء» بالنون. «ما علوا». مفعول «ليتبّروا»؛ أي: ليهلكوا كلّ شيء غلبوه و استولوا عليه. أو بمعنى مدّة علوّهم.(٤)

ذكر الجميع أنّ يحيى بن زكريّا هو المقتول في الفساد الثاني و كان بين الفسادين مائتا سنة و عشر سنين. و قيل: إنّما غزا بني إسرائيل في المرّة الأولى بختنصّر، و في المرّة الثانية ملوك فارس و الروم، و ذلك حين قتلوا يحيى، فقتلوا منهم مائة ألف و ثمانين ألف و خرّب بيت المقدس فلم يزل بعد ذلك خراباً حتّى بناه عمر بن الخطّاب. «وعد الآخرة»؛ أي: وعد الجزاء على المرّة الآخرة حين غزاهم ملك الروميّة و سباهم. «ليسوء» بفتح الهمزة [شاميّ] كوفيّ غير حفص، إلّا أنّ الكسائيّ يقرأ بالنون. و الباقون: «ليسوؤوا» بالياء و ضمّ الهمزة على وزن ليسوغوا. «المسجد»: مسجد بيت المقدس و نواحيه.(٥)

«و ليدخلوا المسجد». يعني رسول الله صلى الله عليه و آله و أصحابه و أمير المؤمنين عليه السلام و أصحابه. «و ليتبّروا»؛ أي: يعلو عليكم فيقتلوكم.(٦)

[٨] «عَسىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَ جَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً».

ثمّ عطف على آل محمّد عليه و عليهم السلام فقال: «عسى ربّكم» أن ينصركم على عدوّكم. ثمّ خاطب بني أميّة فقال: «و إن عدتم» يعني السفيانيّ «عدنا» بالقائم عليه السلام من

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦١٥.
٢ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ٢٢٩، ح ٤٩.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٥٠.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٦١٧ و ٦١٥ ـ ٦١٦ و ٦١٣.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤.

آل محمّد صلوات الله عليهم.(١)

«و إن عدتم عدنا»؛ أي: إن عدتم إلى الفساد، عدنا إلى العقاب. عن ابن عبّاس قال: إنّهم عادوا بعد الأولى و الثانية، فسلّط الله عليهم المؤمنين يقتلونهم و يأخذون منهم الجزية إلى يوم القيامة.(٢)

«إن عدتم». عادوا بتكذيب محمّد صلى الله عليه و آله و قصد قتله، فعاد الله بتسليطه عليهم.(٣)

«حصيراً»؛ أي: محبساً. يقال للسجن حصير. أو: بساطاً كما يبسط الحصير.(٤)

[٩] «إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً».

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يهدي إلى الإمام عليه السلام.(٥)

«يهدي للّتي هي أقوم». قال: يهدي إلى الولاية.(٦)

«للّتي هي أقوم»؛ أي: للحالة التي هي أقوم الحالات و أسدّها. أو: للملّة. أو: للطريقة.(٧)

«للّتي»: للكلمة التي هي أعدل الكلمات و هي كلمة التوحيد.(٨)

[١٠] «وَ أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً».

«و أنّ الذين». عطف على «أنّ لهم أجراً كبيراً». يعني أنّه بشّر المؤمنين ببشارتين؛ بثوابهم و بعقاب أعدائهم.(٩)

[١١] «وَ يَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً».

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦١٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦٥.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٥٠.
٥ـ الكافي ١ / ٢١٦، ح ٢.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٨٢، ح ٢٤.
٧ـ الكشّاف ٢ / ٦٥١.
٨ـ مجمع البيان ٦ / ٦١٨.
٩ـ الكشّاف ٢ / ٦٥١.

«و يدع». قال: يدعو على أعدائه بالشرّ كما يدعو لنفسه بالخير و يستعجل الله بالعذاب. و هو قوله: «و كان الإنسان عجولاً».[١]

«و يدع الإنسان». قال الصادق عليه السلام: و اعرف طريق نجاتك و هلاكك كي لاتدعو الله بشيء فيه هلاكك و أنت تظنّ أنّ فيه نجاتك. قال الله: «و يدع الإنسان» ـ الآية.[٢]

«و يدع الإنسان». قيل: معناه: انّ الإنسان قد يطلب الشرّ لاستعجاله المنفعة. أو إنّ معناه: يدعو في طلب المحظور كدعائه في طلب المباح.[٣]

«و يدع الإنسان»؛ أي: يدعو الله عند غضبه بالشرّ على نفسه و أهله و ماله، أو يدعوه بما يحسبه خيراً و هو شرّ. «و كان الإنسان عجولاً». قيل: المراد آدم. فإنّه لمّا انتهى الروح إلى سرّته ذهب لينهض فسقط. و قيل: إنّه صلى الله عليه و آله دفع أسيراً إلى سودة بنت زمعة فرحمته لأنينه فأرخت أكتافه فهرب، فدعا عليها بقطع اليد. ثمّ ندم فقال: اللّهمّ إنّما أنا بشر. فمن دعوت عليه من أهلي، فاجعل دعائي رحمة له. فنزلت.[٤] و يجوز أن يريد بالإنسان الكافر و بالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء؛ كقول النضر بن الحارث: «اللّهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة».[٥] فأجيب له فضرب عنقه صبراً يوم بدر.[٦]

«عجولاً» يتسرّع إلى طلب كلّ ما يقع في قلبه و يخطر بباله لايتأنّى فيه تأنّي المتبصّر.[٧]

[١٢] «وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ وَ كُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلاً».

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤.
٢ـ مصباح الشريعة / ١٣٢.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦١٨.
٤ـ لايخفى أنّ هذا من الموضوعات التي جاءت في تفاسير العامّة.
٥ـ الأنفال (٨) / ٣٢.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦٥ ـ ٥٦٦.
٧ـ الكشّاف ٢ / ٦٥١.

«آيتين» تدلّان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد. «آية اللّيل»؛ أي: الآية التي هي اللّيل. و الإضافة فيها للتبيين. «مبصرة»؛ أي: مضيئة أو مبصرة للناس. [أو: مبصراً أهله.] كقولك: أجبن الرجل، إذا كان أهله جبناء. و قيل: الآيتان القمر و الشمس. أي: جعلنا نيّري اللّيل و النهار آيتين. أو: جعلنا اللّيل و النهار ذوي آيتين. و محو آية اللّيل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور، أو نقص نورها شيئاً فشيئاً إلى المحاق. و جعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة [جعلها] ذات شعاع تبصر الأشياء بضوئها. «فضلاً»؛ أي: لتطلبوا في بياض النهار أسباب معاشكم. «و لتعلموا» باختلافهما أو بحركاتهما. «و كلّ شيء» من أمور الدين و الدنيا.[١]

«فمحونا». عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: لمّا خلق الله القمر، كتب عليه: لا إله إلّا الله. محمّد رسول الله. عليّ أمير المؤمنين عليهما السلام. و هو السواد الذي ترونه في القمر.[٢] أقول: و هو قوله: «فمحونا آية اللّيل».

[١٣] «وَ كُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً».

«طائره». هو من قولك: طار له سهم، إذا خرج. يعني: ألزمناه ما طار من عمله.[٣]

عن أبي عبدالله و أبي جعفر عليهما السلام قالا: قدره الذي قدّر عليه.[٤]

«طائره»؛ أي: عمله و ما قدّر له. كأنّه طير إليه من عشّ الغيب و وكر القدر. لمّا كانوا يتيمّنون و يتشأّمون بسنوح الطائر و بروحه، استعير لما هو سبب الخير و الشرّ من قدر الله و عمل العبد. «في عنقه»: لزوم الطوق في عنقه. «كتاباً»؛ أي: صحيفة عمله. و نصبه بأنّه مفعول أو حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر.[٥]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦٦.
٢ـ الاحتجاج / ١٥٨.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٦٥٢.
٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٨٤، ح ٣٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦٦.

«و نخرج». أبوجعفر: «و يخرج» بضمّ الياء و فتح الراء. و يعقوب بفتح الياء و ضمّ الراء. «كتاباً». هو ما يكتب الحفظة عليهم. «يلقاه». ابن‌عامر بضمّ الياء و فتح اللّام و تشديد القاف.[١]

«طائره». عن أبي عبدالله عليه السلام: يعني الولاية.[٢]

[١٤] «اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً».

«اقرأ كتابك». على إرادة القول. «كفى بنفسك»؛ أي: كفى نفسك. و الباء مزيدة. و «حسيباً» تميز و على صلته. لأنّه إمّا بمعنى الحاسب، من حسب عليه كذا، أو بمعنى الكافي فوضع في موضع الشهيد لأنّه يكفي المدّعي ما أهمّه. و تذكيره على أنّ الحساب و الشهادة ممّا يتولّاه الرجال.[٣]

«حسيباً»؛ أي: محاسباً. و إنّما يجعله محاسباً لنفسه لأنّه إذا رأى أعماله يوم القيامة كلّها مكتوبة و رأى جزاء أعماله مكتوباً بالعدل، أذعن عند ذلك و اعترف و لم‌يتهيّأ له إنكار و ظهر لأهل المحشر أنّه لايظلم. عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يذكر العبد جميع أعماله و ما كتب عليه حتّى كأنّه فعله تلك الساعة. فلذلك قالوا: «يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة و لاكبيرة إلّا أحصاها»[٤].[٥]

[١٥] «مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً».

«من ضلّ» في الدنيا من الدين، فعقوبة ضلاله على نفسه. «و لاتزر»؛ أي: لاتحمل نفس حامل حمل أخرى؛ أي: ثقل ذنوب غيرها. وفيه دلالة واضحة على بطلان قول من يقول إنّ

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٢٠ و ٦٢٢.
٢ـ كمال الدين / ٣٥٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦٦.
٤ـ الكهف (١٨) / ٤٩.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٦٢٢ ـ ٦٢٣.

أطفال الكفّار يعذّبون مع آبائهم في النار.[١]

«و ماكنا معذّبين»؛ أي: ماكنّا معذّبين قوماً بعذاب الاستئصال إلّا بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل مظاهرة في العدل و إن كان يجوز أخذهم على ما يتعلّق بالعقل معجّلاً. فعلى هذا التأويل تكون الآية عامّة في العقليّات و الشرعيّات. و قال أكثر المفسّرين ـ و هو الأصّح ـ: إنّ المراد أنّه سبحانه لايعذّب في الدنيا و لا في الآخرة إلّا بعد البعثة و إنّ الآية خاصّة فيما يتعلّق بالسمع من الشرعيّات. فأمّا ما كانت الحجّة فيه العقل ـ و هو الإيمان بالله ـ فإنّه يجوز العقاب بتركه و إن لم يبعث الرسول، عند من قال إنّ التكليف العقليّ ينفكّ من[٢] التكليف السمعيّ. على أنّ المحقّقين منهم يقولون: [إنّه] و إن جاز التعذيب عليه قبل بعثة الرسول إلّا أنّه سبحانه لايفعل ذلك مبالغة في الكرم و الفضل و الإحسان. فقد حصل من هذا أنّه لايعاقب أحداً إلّا بعد الإرسال استظهاراً في الحجّة. لأنّه إذا اجتمع داعي العقل و داعي السمع، زال الريب. و هذا لايدلّ على أنّه لو لم يبعث رسولاً يحسن [منه] أن يعاقب إذا ارتكب القبائح العقليّة إلّا أن يفرض في بعثة الرسول لطف؛ فإنّ عند ذلك لايحسن منه سبحانه أن يعاقب إلّا بعد أن يوجّه إليه ما هو لطف له فيزاح بذلك علّته.[٣]

«و ماكنّا معذّبين» و إن كان على العقليّات التي تدرك بالعقل. و ذلك لأنّ بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر و الإيقاظ من رقدة الغفلة لئلّايقولوا كنّا غافلين فلولا بعثت إلينا رسولاً ينبّهنا على النظر في أدلّة العقل.[٤]

[١٦] «وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً».

«أمرنا». عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها» مشدّدة

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٢٣.

٢ـ كذا في المصدر. و في النسخة: «يكفي عن» بدل «ينفكّ من».

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦٢٣.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٥٣.

مضمومة[١] تفسيرها: كثّرنا. و قال: لاتقرأها مخفّفة.[٢]

«أمرنا» غير ممدود. و يعقوب بالمدّ. و هو قراءة عليّ بن أبي طالب عليه السلام. و قرأ: «أمّرنا» ـ بتشديد الميم ـ ابن‌عبّاس و أبوجعفر الباقر عليه السلام. و في تأويل الآية وجوه. أحدها: انّ معناه: و إذا أردنا أن نهلك قرية بعد إرسال الرسل، أمرنا رؤساءها بالطاعة ففسقوا فيها بالمعاصي. «فحقّ عليها القول»؛ أي: وجب على أهلها الوعيد و أهلكناها إهلاكاً. و خصّ المترفين لأنّ غيرهم تبع لهم، فالأمر لهم أمر لأتباعهم. فيكون قوله: «أمرنا» جواب إذا. الثاني: انّ قوله: «أمرنا مترفيها» من صفة القرية. أي: إذا أردنا أن نهلك قرية صفتها أنّا كنّا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها. فيكون جواب إذا محذوفاً لدلالة الكلام عليه. الثالث: انّ الآية محمولة على التقديم و التأخير. أي: إذا أمرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا، أردنا إهلاكهم.[٣]

«مترفيها»؛ أي: أمرناهم بالفسق. و الأمر هنا مجاز. لأنّه تعالى صبّ عليهم النعمة صبّاً فجعلوها ذريعة إلى المعاصي و اتّباع الشهوات، فكأنّهم مأمورون بذلك لتسبّب إيلاء النعمة فيه. و إنما خوّلهم إيّاها ليشكروا، كما خلقهم أصحّاء أقوياء و أقدرهم على الخير و الشرّ و طلب منهم إيثار الطاعة فآثروا الفسوق. «فحقّ عليهم القول». و هو كلمة العذاب.[٤]

[١٧] «وَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَ كَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً».

«كم» مفعول «أهلكنا». «من القرون». يعني عاداً و ثمود و قروناً بين ذلك كثيراً.[٥]

«و كفى بربّك بذنوب عباده خبيراً»؛ أي: يجازيهم عليها.[٦]

١ـ المصدر: منصوبة. و في هامشه عن الصافي: ميمه.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٨٤، ح ٣٤.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦٢٤ و ٦٢٦.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٥٤.

٥ـ الكشّاف ٢ / ٦٥٥.

٦ـ مجمع البيان ٦ / ٦٢٧.

[١٨] «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَـهُ جَـهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً».

«العاجلة»؛ أي: النعم العاجلة. و هي الدنيا، فعبّر عنها بصفتها. «ما نشاء» من البسط و التقدير. و علّق ذلك بمشيّته لا بمشيّة العبد؛ إذ ربما كان مفسدة لمن أعطاه. [«لمن نريد»؛ أي: لمن نريد إعطاءه.] لأنّه ربما أراد الدنيا كـلّها فـلايعطى و إن أعـطي [أعـطي قـليلاً]. «يصلاها»؛ أي: يحترق بنارها ملوماً مبعداً من رحمة الله. و عن ابن‌عبّاس أنّ النبيّ عليه السلام قال: معنى الآية: من كان يريد ثواب الدنيا بعمله الذي افترضه الله عليه لايريد به وجـه الله، عجّل له فيها ما يشاء من عرض الدنيا و ليس له ثواب في الآخرة.[١]

[١٩] «وَ مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَ سَعىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَ هُوَ مُـؤْمِنٌ فَـأُولٰئِكَ كَـانَ سَـعْيُهُمْ مَشْكُوراً».

«و من أراد الآخرة» و نعيم الجنّة «و سعى لها» بقدر الطاعات، و هو مع ذلك مـؤمن موحّد، فأولئك يكون طاعاتهم مقبولة. و قيل: شكره أنّه تـعالى يـضاعف حسـناتهم و يتجاوز عن سيّئاتهم.[٢]

[٢٠] «كُلّاً نُمِدُّ هٰؤُلَاءِ وَ هٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَ مَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً».

«كلّاً»؛ أي: كلّ واحد من هذين الفريقين ممّن يريد الدنيا و ممّن يريد الآخرة نمدّهم؛ أي: نزيدهم. و قيل: كلّاً نعطي من الدنيا البرّ و الفاجر. «عطاء ربّك»؛ أي: نعمته و رزقه. «محظوراً»؛ أي: ماكان رزق ربّك محبوساً عن الكافر لكفره و عن الفاسق لفسقه.[٣]

[٢١] «انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلاً».

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٢٧.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٢٧.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦٢٨.

«فضّلنا» بأن جعلنا بعضهم أغنياء و بعضهم فقراء و بعضهم موالي و بعضهم عبيداً و نحو ذلك. و درجات الآخرة أكبر و أفضل و هي على قدر الأعمال. فينبغي أن يكون رغبتهم في الآخرة. عن النبيّ ﷺ: إنّما ترتفع العباد غداً و ينالون الزلفى من ربّهم على قدر عقولهم.(١)

[٢٢] «لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً».

«لاتجعل». الخطاب للرسول ﷺ و المراد أمّته. أو لكلّ أحد. «فتقعد»؛ أي: فتصير. من قولهم: شحذ الشفرة حتّى قعدت كأنّها حربة. أو: فتعجز. من قولهم: قعد عن الشيء، إذا عجز منه. «مذموماً مخذولاً»: جامعاً على نفسك الذمّ من الملائكة و المؤمنين و الخذلان من الله. و مفهومه أنّ الموحّد يكون ممدوحاً منصوراً.(٢)

[٢٣] «وَ قَضىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَ لَا تَنْهَرْهُمَا وَ قُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً».

«و قضى ربّك»؛ أي: أمر أمراً مقطوعاً به بأن لاتعبدوا إلّا إيّاه. و يجوز أن يكون مفسّرة و لا ناهية. «و بالوالدين إحساناً»: و بأن تحسنوا ـ أو أحسنوا ـ بالوالدين إحساناً. «إمّا يبلغنّ». إمّا إن الشرطيّة زيدت عليها ما تأكيداً. و لذلك صحّ لحوق النون المؤكّدة للفعل. و «أحدهما» فاعل يبلغنّ، و بدل ـ على قراءة حمزة و الكسائيّ ـ من ألف «يبلغان» الراجع إلى الوالدين. و معنى «عندك» أن يكونا في كنفه و كفالته. «فلاتقل لهما أفّ»: فلاتنضجر ممّا يستقذر منهما و تستثقل من مؤونتهما. و هو صوت يدلّ على تضجّر. و قيل: اسم الفعل الذي هو أتضجّر. و هو مبنيّ على الكسر لالتقاء الساكنين. و النهي عن ذلك يدلّ على المنع من سائر أنواع الإيذاء قياساً بطريق الأولى، و قيل: عرفاً، كقولك فلان لايملك النقير و القطمير. «ولاتنهرهما»؛ أي: لاتزجرهما عمّا لايعجبك بإغلاظ. و «قل لهما» بدل التأفيف و النهر قولاً جميلاً. «أفّ». ابن كثير و يعقوب و ابن‌عامر بفتح [الفاء على

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٢٨.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦٧ ـ ٥٦٨.

التخفيف].[١]

«يبلغنّ». «يبلغان» بالألف و كسر النون كوفيّ غير عاصم. عن الرضاعليه السلام: أدنى العقوق أفّ. و لو علم الله شيئاً أيسر منه أو أهون منه، لنهى عنه.[٢]

«بالوالدين». عن الصادق عليه السلام: الوالدان محمّد و عليّ صلوات الله عليهما.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله عن الوالدين أيّهما أكثر حقّاً، فقال: أمّك. قالها ثلاثاً. و في الرابعة قال: أبوك.[٤]

«إحساناً». عن أبي عبدالله عليه السلام: أن لاتكلّفهما أن يسألاك و إن كانا مستغنيين.[٥]

«فلاتقل لهما أفّ». عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا أضجراك «فلاتقل لهما أفّ». و «لاتنهرهما» إن ضرباك. «و قل لهما قولاً كريماً». قال: إن ضرباك، فقل لهما: غفر الله لكما. فذلك قول كريم.[٦]

و من حقّ المؤمن على المؤمن المودّة له في صدره. و إذا قال له أفّ، فليس بينهما ولاية.[٧]

و من حقّ الوالد على ولده أن لايسمّيه باسمه.[٨]

و عن أبي الحسن عليه السلام في الرجل يقول لابنه أو ابنته: بأبي أنت و أمّي. قال: إن كان أبواه حيّين، فأرى ذلك عقوقاً. و إن كانا قد ماتا، فلا بأس.[٩]

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أيّها الناس، لا نبيّ بعدي و لا أمّة بعدكم. ألا فاعبدوا ربّكم، و صلّوا خمسكم، و صوموا شهركم، و حجّوا بيت ربّكم، و أدّوا زكاة أموالكم طيبت

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦٨.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٢٩ و ٦٣١.
٣ـ روضة الواعظين ١ / ١٠٥.
٤ـ الكافي ٢ / ١٥٩، ح ٩.
٥ـ الكافي ٢ / ١٥٧، ح ١.
٦ـ الكافي ٢ / ١٥٧، ح ١.
٧ـ الكافي ٢ / ١٧١، ح ٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.
٨ـ الكافي ٢ / ١٥٨ ـ ١٥٩، ح ٥، عن أبي الحسن موسى عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
٩ـ الخصال ١ / ٢٦، ح ٩٤.

بها أنفسكم، و أطيعوا ولاة أمركم، تدخلوا جنّة ربّكم.(١)

[٢٤] «وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً».

«و اخفض». قال أبوعبدالله عليه السلام: معناه: لاتملأ عينيك من النظر إليهما إلّا برحمة و رقّة. و لاترفع صوتك فوق أصواتهما، و لا يديك فوق يديهما. و لاتقدّم قدّامهما.(٢)

«و اخفض» ـ الآية ـ أي: و تواضع. جعل للذلّ جناحاً و أمره بخفضه مبالغة. أو أراد جناحه و إضافته إلى الذلّ للبيان، و المعنى: و اخفض لهما جناحك الذليل. «من الرحمة»: من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما إلى من كان أفقر خلق الله إليهما. «و قل ربّ ارحمهما»؛ أي: ادع الله أن يرحمهما برحمته الباقية و إن كانا كافرين. لأنّ من الرحمة أن يهديهما. «كما ربّياني صغيراً»: رحمة مثل رحمتهما عليّ. روي أنّ رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أبويّ بلغا من الكبر أنّي ألي منهما ما وليا منّي في الصغر. فهل قضيتهما؟ قال: لا. فإنّهما كانا يفعلان ذلك و هما يحبّان بقاءك و أنت تفعل ذلك و أنت تريد موتهما.(٣)

هذا الحديث مرويّ من طرقنا أيضاً.(٤)

جاء رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله، هل بقي من برّ أبويّ شيء أبرّهما به بعد موتهما؟ قال: نعم؛ الصلاة عليهما و الاستغفار لهما، و صلة الرحم التي لاتوصل إلّا بهما.(٥)

[٢٥] «رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً».

«في نفوسكم» من قصد البرّ إليهما و اعتقاد ما يجب لهما من التوقير. و كأنّه تهديد على أن يضمر لهما كراهة و استثقالاً. «صالحين»: قاصدين الصلاح. «للأوّابين»: التوّابين. «غفوراً» ما فرط منهم عند حرج الصدر من أذيّة أو تقصير.(٦)

١ـ الخصال ١ / ٣٢٢.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٣١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦٨.
٤ـ لم نعثر عليه فيما حضر من مصادرنا.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٦٣٢.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦٨ ـ ٥٦٩.

«للأوّابين». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: صلاة أربع ركعات يقرأ في كلّ ركعة خمسين مرّة قل هو الله أحد، هي صلاة الأوّابين.(١)

[٢٦] «وَ آتِ ذَا الْقُرْبىٰ حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ لَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً».

«و آت ذا القربى». عن أبي عبدالله عليه السلام: كان عليّ عليه السلام. و كان حقّه الوصيّة التي جعلت له و الاسم الأكبر و ميراث النبوّة و العلم.(٢)

«و آت ذا القربى». عن أبي سعيد الخدريّ قال: لمّا نزل قوله تعالى: «و آت ذا القربى حقّه» أعطى رسول الله صلى الله عليه و آله فاطمة عليها السلام فدكاً. «و المسكين و ابن السبيل» من الزكاة و غيرها.(٣)

«و المسكين» من ولد فاطمة «و ابن السبيل» من آل محمّد.(٤)

عن أبي الحسن عليه السلام في قوله: «و آت ذا القربى حقّه» قال: فدك. حدّ منها جبل أحد. و حدّ منها عريش مصر. و حدّ منها سيف البحر. [و حدّ منها] دومة الجندل.(٥)

«و آت ذا القربى حقّه» من صلة الرحم و حسن المعاشرة. و قيل: المراد بذي القربى أقارب الرسول عليه السلام. «و لاتبذّر» بصرف المال فيما لاينبغي و إنفاقه على وجه الإسراف. و أصل التبذير: التفريق. و عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه قال لسعد ـ و هو يتوضّأ ـ: ما هذا السرف؟ فقال: أ و في الوضوء سرف؟ قال: نعم؛ و إن كنت على نهر جار.(٦)

«و لاتبذّر». عن أبي عبدالله عليه السلام: لاتبذّر في ولاية عليّ عليه السلام.(٧)

[٢٧] «إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَ كَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً».

«إخوان الشياطين»: أمثالهم في الشرارة. لأنّهم يطيعونهم في السرف و المعاصي. روي

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٣٢.
٢ـ الكافي ١ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤، ح ٣.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦٣٤.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٨.
٥ـ الكافي ١ / ٥٤٣، ح ٥.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦٩.
٧ـ المحاسن / ٢٥٧، ح ٢٩٨.

أنّهم كانوا ينحرون الإبل و يتياسرون عليها و يبذّرون أمولهم في السمعة، فنهاهم عن ذلك و أمرهم بالإنفاق في القربات.[١]

[٢٨] «وَ إِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً».

«و إمّا تعرضنّ عنهم»؛ أي: و إن أعرضت عن ذي القربى و المسكين و ابن السبيل حياء من الردّ، «ابتغاء رحمة»: لانتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك فتعطيه. «فقل لهم قولاً ميسوراً»؛ أي: فقل لهم قولاً ليّناً. و قيل: القول الميسور الدعاء لهم بالميسور ـ و هو اليسر ـ مثل: أغناكم الله، و رزقنا الله و إيّاكم.[٢]

«فقل لهم»؛ أي: عدهم عدة حسنة. روي أنّه ﷺ كان لمّا أنزلت هذه الآية و لم يكن عنده ما يعطي قال: يرزقنا الله و إيّاكم.[٣]

[٢٩] «وَ لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَ لَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً».

«و لاتجعل يدك» ـ الآية. تمثيلان لمنع الشحيح و إسراف المبذّر. نهى عنهما آمراً بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم.[٤]

«يدك». عن أبي عبدالله ؑ: علّم الله نبيّه ﷺ كيف ينفق. و ذلك أنّه كانت عنده أوقيّة من الذهب فكره أن تبيت عنده فتصدّق بها، فأصبح و ليس عنده شيء. و جاءه من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه. و كان رحيماً رقيقاً ﷺ فأدّب الله عزّ و جلّ نبيّه فقال: «و لاتجعل» ـ الآية. يقول: إنّ الناس قد يسألونك و لايعذرونك. فإذا أعطيت جميع ما عندك من المال، قد كنت حسرت من المال.[٥]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦٩.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦٣٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦٩.
٥ـ الكافي ٥ / ٦٧ ـ ٦٨، ح ١.

«و لاتبسطها»؛ أي: لاتعط جميع ما عندك من المال فتكون بمنزلة من بسط يده حتّى لايستقرّ بها شيء. و هذا كناية عن الإسراف. «ملوماً»: [تلوم] نفسك و تلام. «محسوراً»: منقطعاً ليس عندك شيء. و قيل: محسوراً من الثياب. و المحسور: العريان. عن أبي عبدالله عليه السلام: و قيل: معناه: إن أمسكت، قعدت ملوماً؛ و إن أسرفت، بقيت متحسّراً مغموماً. روي أنّ امرأة بعثت ابنها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و قالت له: قل له: إنّ أمّي تستكسك درعاً. فإن قال: حتّى يأتينا شيء، فقل له: إنّها تريد قميصك. فأتاه فقال ما قالت له، فنزع قميصه فدفعه إليه. فنزلت الآية. و يقال: إنّه عليه السلام بقي في البيت عرياناً إذ لم يجد شيئاً يلبسه و لم يمكنه الخروج إلى الصلاة. فلامه الكفّار و قالوا: إنّ محمّداً اشتغل باللّهو و النوم عن الصلاة.(١)

[٣٠] «إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً».

«إنّ ربّك». سلّى رسول الله صلى الله عليه وآله عمّا كان يرهقه من الإضاقة(٢) بأنّ ذلك ليس لهوان منك عليه و لا لبخل به عليك، و لكن لأنّ مشيّته في بسط الأرزاق و قدرها تابعة للحكمة. و يحتمل أنّه عزّ و جلّ إن بسط لعباده أو قبض، فإنّه يراعي أوسط الحالين لايبلغ بالمبسوط له غاية مراده و لا بالمقبوض عليه أقصى مكروهه، فاستنّوا بسنّته.(٣)

«يبسط الرزق»؛ أي: يوسّع و يضيّق بحسب المصلحة مع سعة خزائنه. لأنّه خبير بصير بأحوالهم و مصالحهم. يعني أنّه سبحانه مع غناه و كمال قدرته، يوسّع مرّة و يضيّق أخرى، فمن هو دونه أولى بأن يراعي الاقتصاد.(٤)

[٣١] «وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٣٤ ـ ٦٣٥.

٢ـ الصحيح ما أثبتنا في المتن كما ورد في تفسير النيسابوريّ ١٥ / ٣٣. و الإضافة، بالفاء ـ كما ورد في النسخة و المصدر و تفسير البيضاويّ ١ / ٥٦٩ ـ خطأ.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٦٦٣.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٦٣٥.

كَبِيراً».

«أولادكم»؛ أي: بناتكم، عطفاً على قوله: «ألّا تعبدوا». و إنّما نهاهم الله عن ذلك لأنّهم كانوا يئدون البنات فيدفنونهنّ أحياء. «خطأً كبيراً». يعني أنّ قتلهم في الجاهليّة كان [إثماً عظيماً عند الله و هو اليوم كذلك]. «خطأ». أبوجعفر و ابن‌عامر بفتح الخاء و الطاء من غير ألف بعدها. و ابن‌كثير بكسر الخاء ممدوداً. على قراءة ابن‌كثير «خطاء» يجوز أن يكون مصدر خاطأ و إن لم يسمع خاطأ و لكن جاء ما يدلّ عليه و هو قوله: «تخاطأت [النبل أحشاءه]».(١)

[٣٢] «وَ لَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَ سَاءَ سَبِيلاً».

«و لاتقربوا الزنى». عن ابن‌عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: سبعة في ظلّ عرش الله يوم لا ظلّ إلّا ظلّه: إمام عادل، و شابّ نشأ في عبادة الله، و رجل تصدّق بيمينه فأخفاه من شماله، و رجل بكى من خشية الله، و رجل لقي أخاه المؤمن فقال: إنّي لأحبّك، و رجل خرج من المسجد و قلبه متعلّق به، و رجل دعته امرأة ذات الجمال إلى نفسها فقال: أخاف الله ربّ العالمين.(٢)

عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: يا معشر المسلمين، إيّاكم و الزنى. فإنّ فيه ستّ خصال ثلاث في الدنيا، و ثلاث في الآخرة. فأمّا التي في الدنيا، فإنّه يذهب بالبهاء و يورث الفقر و ينقص العمر. و أمّا التي في الآخرة، فإنّه يوجب سخط الربّ و سوء الحساب و الخلود في النار.(٣)

عن النبيّ ﷺ: من أوقب غلاماً أو امرأة حراماً، حشره الله يوم القيامة و يتأذّى أهل النار من نتنه حتّى يدخل النار و لم يقبل منه عمل و يدخل في النار في تابوت مخيط بمسمار من حديد و كان في عذاب لو أنّ عرقاً من عروقه يضع على أربعمائة رجل لماتوا و كان في

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٣٦ ـ ٦٣٨.
٢ـ الخصال ٢ / ٣٤٣.
٣ـ الخصال / ٣٢٠ ـ ٣٢١، ح ٣.

عذاب شديد. و من زنى بامرأة مسلمة أو يهوديّة أو نصرانيّة أو مجوسيّة حرّة أو أمة، يفتح الله في قبره ثلاثمائة ألف باباً من النار تدخل منها عقارب و حيّات و شهباً من النار تدخل في قبره إلى يوم القيامة. و من نظر إلى بيت جاره فرأى عورة رجل أو شعرة امرأة، أدخله الله في النار مع المنافقين الذين تتبّعوا أحوال المسلمين. و لو أنّ رجلاً يعانق امرأة أو يمازحها أو يقبّلها، يوقفهما الله بكلّ كلمة ألف سنة في المحشر. و من زنى بامرأة ذات بعل، يخرج من فرجهما بحر يسيل مسيرة خمسمائة سنة من القيح و الدم.[١] (حسن)

[«إنّه كان فاحشة»؛ أي: معصية كبيرة عظيمة. و المراد أنّه كان عندهم في الجاهليّة] فاحشة و هو الآن كذلك. و«ساء سبيلاً»؛ أي: بئس الطريق الزنى.[٢]

[٣٣] «وَ لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً».

«إلّا بالحقّ». و هو أن يجب عليه القتل إمّا لكفره أو ردّته، أو لأنّه قتل نفساً بغير حقّ أو زنى و هو محصن. أهل الكوفة غير عاصم: «فلاتسرف» بالتاء، على أنّه خطاب للوليّ.[٣]

«و من قتل مظلوماً». عن أبي جعفر عليه السلام: نزلت في الحسين عليه السلام. لو قتل أهل الأرض به، ما كان سرفاً. والوليّ القائم عليه السلام.[٤]

«فلايسرف في القتل». عن أبي الحسن عليه السلام: أن يقتل غير قاتله أو يمثّل بالقاتل.[٥]

«سلطاناً»؛أي: تسلّطاً على القاتل في الاقتصاص منه. «فلايسرف» الوليّ في القتل فيقتل غير القاتل و لا اثنين و القاتل واحد كعادة أهل الجاهليّة كان إذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة. «إنّه كان منصوراً». الضمير إمّا إلى الوليّ، لأنّ الله قد نصره بأن أوجب له القصاص

١ـ لم نعثر عليه فيما حضرنا من المصادر.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٣٨.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦٣٨ و ٦٣٦.

٤ـ انظر: الكافي ٨ / ٢٥٥، ح ٣٦٤، و تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٩٠، ح ٦٧.

٥ـ الكافي ٧ / ٣٧٠، ح ٧.

فلايستزد على ذلك؛ و إمّا إلى المظلوم، لأنّ الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله و ينصره في الآخرة بالثواب؛ و إمّا إلى الذي يقتله الوليّ بغير حقّ و يسرف في قتله، فإنّه منصور بإيجاب القصاص على المسرف.[١]

[٣٤] «وَ لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً».

«أوفوا بالعهد» في الوصيّة بمال اليتيم و غيرها. و قيل: إنّ كلّ ما أمر الله به و نهى عنه، فهو من العهد. وقد يجب الشيء أيضاً للنذر و العهد به. «مسؤولاً»؛ أي: مسؤولاً عنه للجزاء عليه. و يقال: معناه: إنّ العهد يسأل فيقال: لم نقضت؟ كما تسأل الموؤودة: «بأيّ ذنب قتلت»[٢].[٣]

«إلّا بالتي هي أحسن»؛ أي: بالخصلة أو الطريقة [التي هي أحسن] و هو حفظه عليه و تثميره.[٤] «أشدّه». عن أبي عبدالله عليه السلام: هو الاحتلام.[٥]

و عنه عليه السلام: إذا بلغ الغلام أشدّه ثلاث عشرة سنة و دخل في الأربع عشرة سنة، وجب عليه ما وجب على المحتلمين، احتلم أم لم يحتلم، و كتب له الحسنات و عليه السيّئات، و جاز له كلّ شيء، إلّا أن يكون سفيهاً أو ضعيفاً.[٦]

[٣٥] «وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَ زِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً».

«بالقسطاس». أهل الكوفة غير أبي بكر بكسر القاف، و الباقون بضمّها. «بالقسطاس»؛ أي: الميزان العدل. «ذلك خير» في الدنيا و الآخرة. «و أحسن تأويلاً»؛ أي: أحسن عاقبة في

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٦٤.
٢ـ التكوير (٨١) / ٩.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦٣٨.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٦٥.
٥ـ الفقيه ٤ / ١٦٣، ح ٥٦٩.
٦ـ الفقيه ٤ / ١٦٤، ح ٥٧١.

الآخرة و مرجعاً. من آل يؤول، إذا رجع.[١]

[٣٦] «وَ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً».

«و لاتقف». القفو: اتّباع الأثر. أي: لاتقل سمعت و لم تسمع و لا رأيت و لم تر. عن ابن‌عبّاس. و قيل: معناه: لاتقل في قفا غيرك شيئاً. أي: إذا مرّ بك فلاتعبه. و قيل: هو شهادة الزور. عن محمّد بن الحنفيّة. و الأصل أنّه عامّ في كلّ قول و فعل.[٢]

«و لاتقف» ـ الآية. عن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إنّ أبابكر منّي بمنزلة السمع. و إنّ عمر منّي بمنزلة البصر. و إنّ عثمان منّي بمنزلة الفؤاد. فلمّا كان من الغد، دخلت عليه و عنده أميرالمؤمنين عليه السلام و أبوبكر و عمر و عثمان. فقلت له: يا أبه، سمعتك تقول في أصحابك هؤلاء قولاً. فما هو؟ فقال: نعم، هم السمع و البصر و الفؤاد. و سيسألون عن وصيّي هذا. و أشار إلى عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام. ثمّ قال: إنّ الله يقول: «إنّ السمع و البصر» ـ الآية. و عزّة ربّي، إنّ جميع أمّتي لموقوفون يوم القيامة، مسؤولون عن ولايته. و ذلك قول الله: «و قفوهم إنّهم مسؤولون»[٣].[٤]

«كلّ أولئك»؛ أي: [كان] كلّ واحد منها مسؤولاً عن نفسه؛ يعني عمّا فعل [به] صاحبه. و قيل: «مسؤولاً» مسند إلى «عنه». و المعنى: يسأل صاحبه عنه. و هو خطأ. لأنّ الفاعل و ما يقوم مقامه لايتقدّم. و فيه دليل على أنّ العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية.[٥]

[٣٧] «وَ لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً».

قال رسول الله صلى الله عليه و آله: من كان في قلبه [مثقال] حبّة من خردل من الكبر، لن يدخل

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٣٨ ـ ٦٣٩.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٤١.
٣ـ الصافّات (٣٧) / ٢٤.
٤ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ٢٤٤، ح ٨٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٧١.

الجنّة.(١) و عنه أيضاً أنّه رأى جماعة من الناس مجتمعين فسألهم عن سبب اجتماعهم، فقيل: يا رسول الله، إنّ هناك لمجنوناً ننظر إليه. فقالﷺ: ما هذا مجنوناً بل مريض مبتلًى. و المجنون من تبختر في مشيه فينظر تارة إلى يمينه و أخرى يساره و يحرّك أطراف بدنه [و] يديه و جنبيه و يكون من المتكبّرين و مع ذلك يرجو الجنّة من الله و هو في معصية الله و الناس منه في شرّ و زجر. فهذا هو المجنون.(٢) و عنه أيضاً: انّ ريح الجنّة يشمّ من مسيرة ألف سنة و لايشمّه العاقّ و قاطع الرحم و الشيخ الزاني و المتكبّر و ملقي الفتنة بين الناس و مضلّهم و الذي يمنّ على الناس و الحريص على الدنيا. و قال: من تكبّر في الدنيا، فهو قرين قارون يوم القيامة. (ح)

«مرحاً». عن أميرالمؤمنينعليه السلام: لاتمش بها إلى معصية.(٣)

«مرحاً»؛ أي: صاحب مرح و هو الاختيال. «لن تخرق الأرض»؛ أي: لن تجعل فيهاخرقاً بشدّة وطأتك. «طولاً». أي بتطاولك. و هو تهكّم بالمختال و تعليل للنهي بأنّ الاختيال حماقة مجرّدة لاتعود بجدوى ليس في التذلّل.(٤)

«لن تخرق الأرض». إنّما قال ذلك لأنّ من الناس من يمشي في الأرض بطراً يدقّ قدميه عليها ليري بذلك قدرته و قوّته و يرفع رأسه و عنقه. فبيّن سبحانه أنّه لايقدر أن يخرق الأرض بدقّ قدميه عليها حتّى ينتهي إلى آخرها و أنّ طوله لايبلغ في طول الجبال و إن كان طويلاً.(٥)

[٣٨] «كُلُّ ذٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً».

«كلّ ذلك». إشارة إلى الخصال الخمس و العشرين المذكورة من قوله: «و لاتجعل مع الله

١ـ معاني الأخبار / ٢٤١.
٢ـ معاني الأخبار / ٢٣٧.
٣ـ الكافي ٢ / ٣٣، ح ١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٧١.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٦٤١.

إلهاً آخر». و عن ابن عبّاس أنّها المكتوبة في ألواح موسى. «كان سيّئه». يعني المنهيّ منه. فإنّ المذكورات مأمورات و منهيّات. و قرأ الحجازيّان و البصريّان: «سيّئةً» على أنّها خبر كان و الاسم ضمير كلّ و ذلك إشارة إلى ما نهى عنه خاصّة. و على هذا قوله: «عند ربّك مكروهاً» بدل من سيّئة أو صفة لها محمولة على المعنى، فإنّه بمعنى سيّئاً.(١)

[٣٩] «ذٰلِكَ مِمَّا أَوْحىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتُلْقىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً».

«ذلك». إشارة إلى الأحكام المتقدّمة.(٢)

«ذلك ممّا أوحى». إشارة إلى ما تقدّم من قوله: «لاتجعل مع الله إلهاً آخر» إلى هذه الغاية. سمّاه حكمة لأنّه كلام محكم لا مدخل للفساد فيه.(٣)

«ملوماً» تلوم نفسك. «مدحوراً»؛ أي: مبعداً من رحمة الله.(٤)

[٤٠] «أَ فَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً».

«أ فأصفاكم». خطاب للّذين قالوا: الملائكة بنات الله. و الهمزة للإنكار. يعني أ فخصّكم على وجه الخلوص بأفضل الأولاد و هم البنون و اتّخذ أدونهم و هي البنات و هذا خلاف الحكمة و العادة. فإنّ العبيد لايؤثرون بأجود الأشياء و يكون أدونها للسادات. «قولاً عظيماً» بإضافتكم إليه الأولاد و هي خاصّة بالأجسام، ثمّ بأنّكم تفضّلون عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون، ثمّ بأن تجعلوا الملائكة ــ و هم أعلى خلق الله و أشرفهم ــ أدون خلق الله و هم الإناث.(٥)

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٧١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٧١.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٦٦٨.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٦٤٢.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٦٦٨ ـ ٦٦٩.

«أ فأصفاكم ربّكم». عن الرضا عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قصد دار زيد بن حارثة في أمر فرأى زوجته تغتسل فقال لها: سبحان الذي خلقك. و إنّما أراد بذلك تنزيه الله من قول من زعم انّ الملائكة بنات الله فقال الله: «أ فأصفاكم ربّكم بالبنين و اتّخذ من الملائكة إناثاً». فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا رآها: سبحان الذي خلقك أن يتّخذ ولداً يحتاج إلى هذا التطهير و الاغتسال.[١]

[٤١] «وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُوراً».

«في هذا القرآن». يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى الله البنات، لأنّه ممّا صرّفه و كرّر ذكره. و المعنى: و لقد صرّفنا القول عمّا في هذا المعنى، أو أوقعنا التصريف فيه و جعلناه مكاناً للتكرير. و يجوز أن يشير بهذا القرآن إلى التنزيل و يريد: و لقد صرّفناه ـ يعني هذا المعنى ـ في مواضع من التنزيل. فترك الضمير لأنّه معلوم. «فما يزيدهم إلّا نفوراً» عن الحقّ و قلّة طمأنينة إليه.[٢]

«و ما يزيدهم». عن أبي جعفر عليه السلام: و لقد ذكرنا عليّاً في هذا القرآن ـ و هو الذكر ـ فمازادهم إلّا نفوراً.[٣]

«ليذّكّروا». حمزة و الكسائي: «ليذكروا» من الذكر الذي هو بمعنى التذكّر.[٤]

[٤٢] «قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً».

«قل لو كان». قال: لو كانت الأصنام آلهة كما تزعمون، لصعدوا إلى العرش.[٥]

«كما تقولون». ابن كثير و حفص بالياء فيه و فيما بعده، على أنّ الكلام مع الرسول صلى الله عليه وآله. و وافقهما نافع و ابن عامر و أبو عمرو في الثانية، على أنّ الأولى فيما أمر به الرسول أن يخاطب به

١ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ٢٠٣.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٦٩.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٩٣، ح ٧٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٧٢.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٠.

المشركين و الثانية ممّا نزّه به نفسه عن مقالهم.[١]

«إذاً لابتغوا». جواب عن مقالة المشركين و جزاء للو. و معنى «لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً»: لطلبوا إلى من له الملك و الربوبيّة سبيلاً بالمغالبة، كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض. كقوله: «لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا».[٢] و قيل: لتقرّبوا إليه. كقوله: «الذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة»[٣].[٤]

«لابتغوا»: لطلبوا القرب إليه لأنّه أعظمهم. (ع ـ ره)

[٤٣] «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً».

«علوّاً». في معنى تعالياً. و المراد البراءة من ذلك و النزاهة. و معنى وصف العلوّ بالكبر المبالغة في معنى البراءة و البعد ممّا وصفوا به.[٥]

[٤٤] «تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً».

«تسبّح». المراد أنّها تسبّح له بلسان الحال حيث تدلّ على الصانع و على قدرته و حكمته فكأنّها تنطق بذلك و كأنّها تنزّه الله ممّا لايجوز عليه من الشركاء و غيره. فإن قلت: فما تصنع بقوله: «ولكن لاتفقهون تسبيحهم» [و هذا التسبيح] مفقوه معلوم؟ قلت: الخطاب للمشركين. و هم، و إن كانوا إذا سئلوا عن خالق السموات و الأرض قالوا الله، إلّا أنّهم لمّا جعلوا معه آلهة مع إقرارهم، فكأنّهم لم ينظروا و لم يقرّوا. لأنّ نتيجة النظر الصحيح خلاف ما كانوا عليه، فإذاً لم يفقهوا التسبيح و لم يستوضحوا الدلالة على الخالق. فإن قلت: من فيهنّ يسبّحون على الحقيقة ـ و هم الملائكة و الثقلان ـ و قد عطفوا على السموات و الأرض. فما

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٧٢.
٢ـ الأنبياء (٢١) / ٢٢.
٣ـ الإسراء (١٧) / ٥٧.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٦٩.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٦٦٩.

وجهه؟ قلت: التسبيح المجازيّ حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه، و إلّا كانت الكلمة الواحدة محمولة على الحقيقة و المجاز.[١]

«تسبّح له» بلسان المقال، كما ورد في الأخبار. (ع ـ ره)

«تسبّح». ابن‌كثير و نافع بالياء. و يجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللّفظ و الدلالة عند من جوّزه.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام: كلّ شيء يسبّح بحمده. و إنّا لنرى أنّ تنقّض الجدار هو تسبيحها. و ما من طير يصاد إلّا بتضييعه التسبيح. و خشب البيت إذا أنقض ذلك تسبيحه.[٣]

«غفوراً». أي إذا تبتم.[٤]

عن السعيد الشهيد الحسين بن عليّ عليهما السلام قال: كان أميرالمؤمنين عليه السلام بالكوفة في الجامع، إذ قام إليه رجل من أهل الشام فسأله عن مسائل. فكان فيما سأله أن قال له: يا أميرالمؤمنين، أخبرني عن ألوان السموات و أسمائها. فقال له: اسم سماء الدنيا رفيع، و هي ماء و دخان. و اسم الثانية قيدوم، و هي على لون النحاس. و السماء الثالثة اسمها الماروم، و هي على لون الشبه. و اسم الرابعة أرقلون، و لونها كالفضّة. و السماء الخامسة اسمها هيفون، و هي على لون الذهب. و اسم السادسة عروس، و هي ياقوتة خضراء. و السابعة اسمها عجماء، و هي بيضاء.[٥] (ح)

[٤٥] «وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً».

«و إذا قرأت». نزلت في قوم كانوا يؤذون النبيّ صلى الله عليه وآله بالّليل إذا تلا القرآن و صلّى عند الكعبة، و كانوا يرمونه بالحجارة و يمنعونه عن دعاء الناس إلى الدين، فحال الله سبحانه بينه

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٦٩ ـ ٦٧٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٧٢.
٣ـ انظر: الكافي ٦ / ٥٣١، ح ٤، تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٩٣، ح ٧٩ و ص ٢٩٤، ح ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٦٤٤.
٥ـ الخصال ٢ / ٣٤٤ ـ ٣٤٥، ح ١١.

و بينهم حتّى لايؤذوه. و قوله: «لايؤمنون بالآخرة» يعني المشركين؛ و هـم أبـوسفيان و النضر بن الحارث و أبوجهل و أمّ جميل امرأة أبي‌لهب. حجب الله رسوله ﷺ عن أبصارهم عند قراءة القرآن و كانوا يمرّون به و لايرونه. «حجاباً مستوراً»؛ أي: ساتراً. عن الأخفش. و الفاعل قد يكون في لفظ المفعول. و قيل: هو على بناء النسب. أي: حجاباً ذا ستر. و هذا هو الصحيح. و قيل: حجاباً مستوراً عن الأعين، و إنّما هو من قدرة الله.(١)

[٤٦] «وَ جَعَلْنَا عَلىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً وَ إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلىٰ أَدْبارِهِمْ نُفُوراً».

«أن يفقهوه». مفعول له. أي: كراهة أن يفقهوه. «وقراً». الوقر: الثقل في الأذن. «في القرآن وحده»: إذا ذكرت الله بالتوحيد و أبطلت الشرك. «ولّوا على أدبارهم نفوراً»؛ أي: أعرضوا عنك مدبرين نافرين. و هم كفّار قريش. و قيل: هم الشياطين. قيل: معناه: إذا سمعوا «بسم الله الرحمن الرحيم» و قيل: قول «لا إله إلّا الله». «نفوراً». حال. أي: نافرين.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلّى بالناس، جهر ببسم الله الرحمـن الرحيم، فتخلّف من خلفه من المنافقين عن الصفوف. فإذا جازها في السورة، عـادوا إلى مواضعهم. و قال بعضهم لبعض: إنّه يحبّ ربّه. فأنزل الله: «و إذا ذكرت ربّك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً».(٣)

و عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم. فإذا سمعها المشركون ولّوا مدبرين. فأنزل الله: «و إذا ذكرت ربّك في القرآن» ـ الآية.(٤)

«و جعلنا على قلوبهم». هذه حكاية لما كانوا يقولونه. «و قالوا قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه و في آذاننا وقر و من بيننا و بينك حجاب».(٥) كأنّه قال: و إذا قرأت القرآن، جعلنا على

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٤٥.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٤٥ ـ ٦٤٦.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٩٥، ح ٨٧.
٤ـ نور الثقلين ٣ / ١٧٣، ح ٢٤٧.
٥ـ فصّلت (٤١) / ٥.

زعمهم. «في القرآن وحده»؛ أي: يحبّون أن تذكر معه آلهتهم لأنّهم مشركون، فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا.(١)

[٤٧] «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَ إِذْ هُمْ نَجْوىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً».

«بما يستمعون به» من الهزء بك و بالقرآن و من اللّغو كأن يقوم عن يمينه [إذا قرأ] رجلان و عن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون و يخلطون عليه بالأشعار. و «به» في موضع الحال. كما تقول: يستمعون بالهزء؛ أي: هازئين. «إذ». نصب بأعلم. أي: أعلم وقت استماعهم بما [به] يستمعون. «نجوى»؛ أي: و بما يتناجون به. «إذ» بدل من «إذ هم».(٢)

«بما يستمعون به»؛ أي: ليس يخفى علينا حال هؤلاء المشركين و غرضهم في الاستماع إليك. «و إذ هم نجوى»؛ أي: يتناجون. و المعنى: انّا نعلمهم في حال ما يصغون إلى سماع قراءتك و في حال ما يقومون من عندك و يتناجون فيقول بعضهم هو ساحر و بعضهم هو كاهن و بعضهم هو شاعر. «إلّا رجلاً مسحوراً». يقولون: ماتتبّعون إلّا رجلاً قد سحر فاختلط عليه أمره. و إنّما يقولون ذلك للتنفير عنه. و قيل: المعنى: إن تتّبعون إلّا رجلاً ذا سحر ـ أي: رئة ـ خلقه الله بشراً مثلكم.(٣)

[٤٨] «انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً».

«ضربوا لك الأمثال»؛ أي: شبّهوا لك الأشباه فقالوا مجنون و شاعر و ساحر. «فضلّوا» بهذا القول عن الحقّ فلايستطيعون حيلة و [لا] طريقاً إلى بيان تكذيبك إلّا البهت الصريح. و قيل: لايجدون سبيلاً إلى صدّ الناس عنك و إلى إثبات ما ادّعوا عليك. و قيل: ضلّوا عن الطريق و هو دين الإسلام، فلايجدون إليه طريقاً بعد ما ضلّوا عنه.(٤)

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٧٠ ـ ٦٧١.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٧١.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦٤٦.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٦٤٦ ـ ٦٤٧.

[٤٩] «وَ قَالُوا أَ إِذَا كُنَّا عِظَاماً وَ رُفَاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً».

«و قالوا» منكرو البعث. «أ إنّا». الاستفهام للإنكار. «رفاتاً»؛ أي: تراباً. «جديداً»؛ أي: مجدّداً.[١]

[٥٠] «قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً».

«قل كونوا»؛ أي: كونوا حجارة أو حديداً و لاتكونوا عظاماً فإنّه يقدر على إحيائكم. و المعنى: انّكم تستبعدون أن يجدّد الله خلقكم و يردّكم إلى حال الحياة بعد ما كنتم عظاماً يابسة، مع أنّ العظام بعض أجزاء الحيّ فليس ببدع أن يردّها الله إلى حالتها الأولى، و لكنّكم لو كنتم أبعد شيء من الحياة و من جنس ما ركّب منه البشر ـ و هو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديداً مع أنّ طباعها الصلابة ـ لكان قادراً على أن يردّكم إلى حال الحياة.[٢]

[٥١] «أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيباً».

«ممّا يكبر في صدوركم»؛ يعني: أو خلقاً ممّا يكبر عندكم عن قبول الحياة و يعظم في زعمكم على الخالق إحياؤه؛ فإنّه يحييه. و قيل: ما يكبر في صدورهم الموت. و قيل: السموات و الأرض.[٣]

«ممّا يكبر». عن أبي جعفر عليه السلام: الذي يكبر الموت.[٤]

«فطركم». لأنّهم كانوا يقرّون بالنشأة الأولى. «فسينغضون»؛ أي: سيتحرّكون إليك رؤوسهم تحريك المستهزئ المستخفّ المستبطئ لما تنذرهم به. «متى هو»؛ أي: متى يكون

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٤٨.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٧١.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٦٧١.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢١.

البعث؟ قل: هو قريب. لأنّه آت و كلّ ما هو آت قريب.[١]

[٥٢] «يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَ تَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً».

«يوم يدعوكم»؛ أي: عسى أن يكون بعثكم ـ أيّها المشركون ـ قريباً، يوم يدعوكم من قبوركم إلى الموقف فتستجيبون معترفين بأنّ الحمد لله على نعمه. لأنّ المعارف هناك ضروريّة. قال ابن جبير: يخرجون من قبورهم يقولون: سبحانك و بحمدك، و لاينفعهم في ذلك اليوم لأنّهم حمدوا حين لاينفعهم الحمد. «و تظنّون إن لبثتم»؛ أي: تظنّون أنّكم لم تلبثوا إلّا قليلاً لسرعة انقلاب الدنيا إلى الآخرة. و من المفسّرين من يذهب إلى أنّ الخطاب للمؤمنين، لأنّهم الذين يستجيبون لله بحمده و يحمدونه على إحسانه إليهم و يستقلّون مدّة لبثهم في البرزخ لكونهم في قبورهم منعّمين غير معذّبين و أيّام السرور قصار.[٢]

[٥٣] «وَ قُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً».

«و قل»؛ أي: قل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي أحسن. و فسّر التي هي أحسن بقوله: «ربّكم أعلم بكم». يعني يقولوا لهم هذه الكلمة و نحوها، و لايقولوا لهم إنّكم من أهل النار و إنّكم معذّبون و ما أشبه ذلك ممّا يهيجهم على الشرّ. «إنّ الشيطان ينزغ بينهم». اعتراض. يعني: يلقي بينهم الفساد و يغري بعضهم على بعض فيقع بينهم المشاقّة.[٣]

«يقولوا». جواب شرط محذوف. أي: قل لعبادي: قولوا التي هي أحسن يقولوا.[٤]

«يقولوا التي» ـ الآية. النزول: كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بمكّة فيقولون: يا رسول الله، ائذن لنا في قتالهم، فيقول لهم: إنّي لم أومر فيهم بشيء. فأنزل الله: «قل لعبادي» و أراد به المؤمنين. «التي هي أحسن»؛ أي: يختاروا من المقالات أحسنها. و قيل:

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٤٨.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٤٨ ـ ٦٤٩.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٦٧٢.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٦٤٩.

معناه: مرهم يقولوا كلمة الشهادتين. «ينزغ بينهم»؛ أي: يفسد بينهم و يلقي العداوة.[١]

[٥٤] «رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً».

«ربّكم أعلم»؛ أي: أعلم بأحوالكم. «إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذّبكم»؛ أي: هو مالك لهما. أو: إن يشأ يرحمكم بإخراجكم من مكّة و تخليصكم من أيدي المشركين. و إن يشأ يعذّبكم بتسليطهم عليكم. و ما أرسلناك موكّلاً عليهم، حفيظاً لأعمالهم تدخل الإيمان في قلوبهم شاؤوا أم أبوا. أي: إنّا أرسلناك داعياً. فإن أجابوك، و إلّا فلا شيء عليك.[٢]

«و ما أرسلناك عليهم وكيلاً» تجبرهم على الإسلام، و إنّما أرسلناك بشيراً و نذيراً. فدارهم و مر أصحابك بالمداراة و الاحتمال. و ذلك قبل نزول آية السيف.[٣]

[٥٥] «وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلىٰ بَعْضٍ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً».

«و ربّك أعلم». ردّ على أهل مكّة في استبعادهم أن يكون يتيم أبي‌طالب نبيّاً و أن يكون العراة الجوّع أصحابه دون أن يكون [ذلك] في بعض أكابرهم. يعني: و ربّك أعلم بمن في السموات و الأرض و بما يستأهل كلّ واحد منهم. و قوله: «و لقد فضّلنا» إشارة إلى تفضيل رسول الله صلى الله عليه و آله. وقوله: «و آتينا داوود زبوراً» دلالة على وجه تفضيله؛ و هو أنّه خاتم الأنبياء و أمّته خير الأمم. لأنّ ذلك مكتوب في زبور داوود. قال الله: «و لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون».[٤] و هم محمّد صلى الله عليه و آله و أمّته. «زبوراً». و إنّما لم يعرّف الزبور لأنّه يجوز أن يكون الزبور و زبور مثل العبّاس و عبّاس، و أن يريد: و آتينا داوود بعض الزبور، فسمّى ذلك زبوراً لأنّه بعض الزبور؛ كما سمّى بعض القرآن

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٥٠.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٥٠.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٦٧٢.
٤ـ الأنبياء (٢١) / ١٠٥.

قرآناً.(١)

«و ربّك أعلم بمن في السموات» من الملائكة و بمن «في الأرض» من الأنبياء. بيّن سبحانه بهذا أنّه لم يختر الملائكة و الأنبياء للميل إليهم و إنّما اختارهم لعلمه بباطنهم. و قيل: معناه: انّه أعلم بالجميع، فجعلهم مختلفين في الصور و الأقوال؛ كما فضّل بعض النبيّين على بعض. يعني أنّ النبيّين، و إن كانوا في أعلى مراتب الفضل، فإنّهم طبقات في ذلك و بعضهم أعلى من بعض بزيادة الدرجة و الثواب و المعجزات و الكتاب. و لمّا كان سبحانه عالماً بباطن الأمور، فضّلك على الأنبياء، كما فضّل بعضهم على بعض. «زبوراً». قال الحسن: كلّ كتاب زبور إلّا أنّ هذا الاسم غلب على كتاب داوود كما غلب اسم الفرقان على القرآن. و قال الزجّاج: معنى ذكر داوود هنا أنّه يقول: لاتنكروا تفضيل محمّد و إعطاءه القرآن. فقد أعطينا داوود زبوراً.(٢)

«و لقد فضّلنا». أي بالفضائل النفسانيّة لا بكثرة الأموال و الأتباع. «زبوراً». يعني أنّ شرفه بما أوحي إليه من الكتاب لا بما أوتي من الملك. «زبوراً». حمزة بالضمّ.(٣)

«بعض النبيّين». عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إنّ الله تبارك و تعالى فضّلني على جميع الأنبياء و المرسلين. و الفضل بعدي لك يا عليّ، و للأئمّة من ولدك. فإنّ الملائكة لخدّامنا و خدّام محبّينا.(٤)

[٥٦] «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَ لَا تَحْوِيلاً».

«ادعوا الذين زعمتم من دونه» إذا نزل بكم البلاء ليكشفوا عنكم. «و لاتحويلاً»؛ أي: لايقدرون أن يحوّلوكم إلى الحالة التي تحبّونها.(٥)

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٧٣.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٥١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٧٤.
٤ـ علل الشرائع / ٥، ح ١.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٦٥١.

[٥٧] «أُولٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ يَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً».

«أولئك». مبتدأ، و «الذين» صفته، و «يبتغون» خبره. يعني أنّ آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة و هي القربة إلى الله. و «أيّهم» بدل من واو يبتغون. و أيّ موصولة. أي: يبتغي من هو أقرب منهم و أزلف الوسيلة إلى الله؛ فكيف بغير الأقرب.(١)

«كان محذوراً»؛ أي: يجب أن يحذر منه.(٢)

[٥٨] «وَ إِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً».

«نحن مهلكوها» بموت إن كانت مؤمنة. «أو معذّبوها» بعذاب الاستئصال إن كانت كافرة. «في الكتاب»؛ أي: اللّوح المحفوظ. «مسطوراً»: مكتوباً.(٣)

[٥٩] «وَ مَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَ آتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَ مَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً».

«و ما منعنا»؛ أي: ما منعنا من إرسال الآيات التي اقترحوها ـ مثل قول قريش: حوّل لنا الصفا ذهباً و فجّر الأرض ينبوعاً، و نحو ذلك ـ إلّا تكذيب الأوّلين. لأنّا لو أرسلناها و لم يؤمنوا، استحقّوا المعاجلة بالعقوبة. كما أنّا لمّا أجبنا الأوّلين من الأمم إلى آيات اقترحوها فكذّبوا بها، عذّبنا هم بعذاب الاستئصال. لأنّ من حكم الآية المقترحة ذلك و من حكمنا النافذ في هذه الأمّة ألّا نعذّبهم بعذاب الاستئصال لشرف محمّد صلى الله عليه و آله، و لأنّ فيهم من يؤمن به و ينصره و من يولد له ولد مؤمن، و لأنّ أمّته و شريعته باقية إلى يوم القيامة. فلذلك لم نجبهم إلى ذلك و أنزلنا من الآيات الواضحة و المعجزات البيّنات ما تقوم به الحجّة. أو

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٧٣.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٥٢.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦٥٣.

يكون معناه: انّا لانرسل الآيات لعلمنا بأنّهم لايؤمنون فيكون إنزالنا إيّاها عبثاً. كما أنّ من كان قبلهم لم يؤمنوا عند إنزال الآيات.(١) «مبصرة»؛ أي: دلالة واضحة. أو تبصّرهم و تبيّن لهم حتّى يبصروا بها الهدى من الضلالة. «فظلموا بها»: فكفروا بتلك الآية. أو: ظلموا أنفسهم بسببها و بعقرها.(٢)

«بالآيات». إن أراد بها الآيات المقترحة، فالمعنى: لانرسلها إلّا تخويفاً من نزول العذاب العاجل كالمقدّمة له، فإن لم يخافوا وقع عليهم. و إن أراد غيرها، فالمعنى: لانرسل من الآيات كآيات القرآن و غيرها إلّا تخويفاً و إنذاراً بعذاب الآخرة.(٣)

[٦٠] «وَ إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً».

«و ماجعلنا الرؤيا التي أريناك». الذي ورد في واضحات الأخبار عن السادة الأطهار ـ عليهم صلوات الملك الجبّار ـ أنّه صلى الله عليه و آله رأى في منامه التيميّ و العدويّ و الأمويّ و آل مروان يصعدون على منبره و يردّون الناس عن الدين، و أنّ الشجرة الملعونة في القرآن هم بنوأميّة.(٤) و لعلّ لعنها في القرآن كان صريحاً فحذفوه كما حذفوا غيره.

«و إذ قلنا لك»؛ أي: و اذكر إذ أوحينا إليك أنّ ربّك أحاط بقريش؛ يعني: بشّرناك بوقعة بدر و بالنصرة عليهم. و ذلك قوله: «سيهزم الجمع و يولّون الدبر»(٥) «قل للذين كفروا ستغلبون و تحشرون».(٦) فجعله كأن قد وجد فقال: «أحاط بالناس». و لمّا تزاحف الفريقان يوم بدر، كان يدعو: اللّهمّ إنّي أسألك عهدك و وعدك. و قد أراه الله(٧) مصارعهم

١ـ يوجد هنا هذه الزيادة في النسخة: «إلى ما لايصحّ معرفة النبوّة إلّا به، و ما يكون لطفاً في الايمان، فهذا لابدّ من إظهاره و إن لم يقع عنده الايمان.» و لا يخفى ما فيها من النقص. انظر: المجمع ٦ / ٦٥٣.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٥٣.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٦٧٤.

٤ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٩٧، ح ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ص ٢٩٨، ح ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١، والاحتجاج ٢ / ٢٧٩ و ٢٥٢، و تفسير القمّيّ ٢ / ٢١.

٥ـ القمر (٥٤) / ٤٥.

٦ـ آل عمران (٣) / ١٢.

٧ـ المصدر: و لعلّ الله تعالى أراه.

في منامه، فقد كان يقول حين ورد إلى بدر: هذا مصرع فلان و فلان. فتسامعت قريش بما أوحي إلى رسول الله ﷺ من أمر بدر و ما أري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون و يستعجلون به استهزاء. و حين سمعوا بقوله: «إنّ شجرة الزقّوم طعام الأثيم»[١] جعلوها سخريّة و قالوا: إنّ محمّداً يزعم أنّ الجحيم تحرق الحجارة ثمّ يقول ينبت فيها الشجر! و المعنى: انّ الآيات إنّما يرسل بها تخويفاً للعباد. و هؤلاء قد خوّفوا بعذاب الدنيا، و هو القتل يوم بدر. فما كان ما أريناك منه في منامك بعد الوحي إليك إلّا فتنة لهم حيث اتّخذوه سخريّاً. و خوّفوا بعذاب الآخرة و شجرة الزقّوم، فما أثّر فيهم. ثمّ قال: «ونخوّفهم» بمخاوف الدنيا و الآخرة. «فما يزيدهم» التخويف «إلّا طغياناً». فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات؟[٢]

«أحاط بالناس»؛ أي: أحاط علماً بأحوالهم و ما يفعلونه من طاعة أو معصية. و قيل: إنّه عالم بجميع الأشياء فيعلم قصدهم إلى إيذائك إذ لم تأتهم بما اقترحوا منك من الآيات. و هذا حثّ للرسول ﷺ على التبليغ و وعد بالعصمة من أذيّة قومه. و هذا معنى قول الحسن. [و قيل: معناه:] إنّه أحاط بأهل مكّة و يستفتحها لك. «و ما جعلنا الرؤيا التي أريناك» ـ الآية. فيه أقوال. أحدها: انّ المراد رؤية العين؛ و هي الإسراء به إلى السماء. و لكن لمّا رأى ذلك ليلاً و أخبر به نهاراً، سمّاها رؤيا. و سمّاها فتنة لأنّه أراد بالفتنة الامتحان حين صدّقه قوم فتعرّضوا للثواب و كذّبه آخرون فتعرّضوا للعقاب. و ثانيها: ما روي عن ابن عبّاس أنّها رؤيا نوم رآها أنّه سيدخل مكّة و هو بالمدينة، فقصدها فصدّه المشركون في الحديبيّة عن دخولها حتّى شكّ قوم. فدخلها في العام القابل، فنزلت: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا» ـ الآية.[٣] و ثالثها: انّ ذلك رؤيا رآها النبيّ ﷺ أنّ قروداً تصعد منبره و تنزل، فساءه ذلك و لم ير ضاحكاً حتّى مات. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. و الشجرة الملعونة في القرآن

١ـ الدخان (٤٤) / ٤٣.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٧٤ ـ ٦٧٥.

٣ـ الفتح (٤٨) / ٢٧.

على هذا هم بنوأميّة؛ أخبر الله سبحانه بتغلّبهم على مقامه و قتلهم ذرّيّته. «و الشجرة الملعونة»؛ أي: ما جعلنا الشجرة الملعون أهلها في القرآن إلّا فتنة، و أهلها هم الكفّار الملعونون في القرآن.[١]

«فمايزيدهم». يظهر من بعض الأخبار أنّ المراد به يزيد بن معاوية عليهما اللّعنة. أي: ليس يزيد الذي هو من هذه الشجرة إلّا نفس الطغيان، مبالغة في طغيانه. (ع ـ ره)

[٦١] «وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً».

«أأسجد». استفهام بمعنى الإنكار. أي: كيف أسجد له و أصلي أشرف من أصله؟[٢]

«لمن خلقت»؛ أي: لمن خلقته. «طيناً»؛ أي: من طين. فنصب بنزع الخافض.[٣]

[٦٢] «قَالَ أَ رَأَيْتَكَ هٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً».

«أ رأيتك». الكاف للخطاب. و «هذا» مفعول به. و المعنى: أخبرني عن هذا الذي فضّلته عليّ لِمَ كرّمته و أنا خير منه؟ فاختصر الكلام بحذف ذلك ثمّ ابتدأ فقال: «لئن أخرّتني». اللّام موطّئة للقسم المحذوف. «لأحتنكنّ ذرّيّته»: لأستأصلنّهم بالإغواء. من احتنك الجراد الأرض، إذا أكل ما عليها. فإن قلت: من أين علم أنّ ذلك يتسهّل له و هو من علم الغيب؟ قلت: إمّا أن يكون قد سمعه من الملائكة و قد أخبرهم الله به و خرّجه من قولهم: «أ تجعل فيها من يفسد فيها»[٤] أو نظر إليه فتوسّم في مخايله أنّه خلق شهوانيّ. و قيل: قال ذلك لمّا عملت وسوسته في آدم. و الظاهر أنّه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة.[٥]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٥٤ و ٦٥٢.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٥٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٧٥ ـ ٥٧٦.
٤ـ البقرة (٢) / ٣٠.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٦٧٧.

«لأحتنكنّ». من قولهم: حنك الدابّة يحنكها، إذا جعل في حنكها الأسفل حبلاً يقودها به. أي: أقودهم معي إلى المعاصي، كما تقاد الدابّة بحنكها إذا شدّ فيها حبل تجرّ به، إلّا القليل الذين يعصمهم الله، و هم المخلصون.(١)

[٦٣] «قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً».

«قال اذهب»؛ أي: امض لشأنك الذي اخترته، خذلاناً و تخلية. «جزاء». منصوب على المصدر، أي: تجازون، أو على الحال.(٢)

«موفوراً»؛ أي: كاملاً.(٣)

[٦٤] «وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ وَ شَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ وَ عِدْهُمْ وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً».

«بخيلك». الخيل: الخيّالة. و منه قول النبيّ صلى الله عليه وآله: يا خيل الله اركبي. «رجلك». اسم جمع للراجل. فإن قلت: ما معنى استفزاز إبليس بصوته و إجلابه بخيله و رجله؟ قلت: هو كلام ورد مورد التمثيل مثّلت حاله في تسلّطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوّت بهم صوتاً يستفزّهم من أماكنهم و أجلب عليهم بجنده من خيّالة و رجّالة حتّى استأصلهم. و قيل: يجوز أن يكون لإبليس خيل و رجال. «و عدهم» المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة و الكرامة على الله بالأنساب الشريفة و الخروج من النار بعد أن يصيروا حمماً.(٤)

«و استفزز». الاستفزاز: الاستنهاض على خفّة و إسراع. أي: استزلّ من استطعت منهم و أضلّهم بوسوستك. و هذا تهديد في صورة الأمر. و قيل: «بصوتك»؛ أي: بالغناء و المزامير و الملاهي. و قيل: كلّ صوت يدعى به إلى الفساد، فهو من صوت الشيطان. «و أجلب عليهم» ما قدرت عليه من مكايدك و أتباعك و ذرّيّتك. فيكون الباء مزيدة في «بخيلك و

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٥٦ ـ ٦٥٧.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٧٦ ـ ٦٧٧.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦٥٦ ـ ٦٥٧.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٧٨.

رجلك». و كلّ راكب أو ماش في معصية الله، فهو من خيل إبليس و رجله. و قيل: هو من أجلب القوم، إذا صاحوا. أي: صح بخيلك و رجلك فاحشرهم عليهم بالإغواء. «في الأموال و الأولاد». و هو كلّ كال أخذ من حرام، و كلّ ولد زنىً. و قيل: مشاركتهم في الأموال أنّه أمرهم أن يجعلوها سائبة و بحيرة و غير ذلك، و في الأولاد أنّهم هوّدوهم و نصّروهم و مجّسوهم. و قيل: إنّ المراد بالأولاد تسميتهم عبد شمس و عبد الحارث و نحوهما. و قيل: هو قتل الموؤودة من أولادهم. «و عدهم»؛ أي: منّهم البقاء بطول الأمل و أنّهم لا يبعثون. و كلّ هذا تهديد في صورة الأمر. «إلّا غروراً»؛ أي: يزيّن لهم الخطاء أنّه صواب. و هو اعتراض. «رجلك». حفص بكسر الجيم، و الباقون بسكونها.(١)

«و ما يعدهم الشيطان». اعتراض لبيان مواعيده.(٢)

عن الحسن بن عليّ عليهما السلام أنّه جلس مع يزيد بن معاوية يأكلان الرطب، فقال يزيد: يا حسن، إنّي مذ كنت أبغضك. قال الحسن عليه السلام: يا يزيد، اعلم أنّ إبليس شارك أباك في جماعه فاختلط الماءان فأورثك ذلك عداوتي. إنّ الله يقول: «و شاركهم في الأموال و الأولاد». و شارك الشيطان حرباً عند جماعه، فولد له صخر. فلذلك كان يبغض جدّي رسول الله صلى الله عليه و آله. كذا في مناقب ابن شهر آشوب.(٣)

و في الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام، و قد ذكر في الدعاء عند دخول المرأة: و لا تجعل فيه شركاً للشيطان، ثمّ قال: إنّ الشيطان ليجيء حتّى يقعد من المرأة كما يقعد الرجل منها و ينكح كما ينكح. و ذلك يعرف بحبّنا و بغضنا.(٤)

و في الفقيه عن الصادق عليه السلام: من لم يبال ما قال و ما قيل فيه، فهو شرك شيطان. و من لم يبال أن تراه الناس مسيئاً، فهو شرك شيطان. و من اغتاب أخاه المؤمن من غير ترة بينهما، فهو شرك شيطان. و من شعف بمحبّة الحرام و شهوة الزنى، فهو شرك شيطان.(٥)

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٥٧ ـ ٦٥٨ و ٦٥٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٧٦.
٣ـ المناقب ٤ / ٢٢.
٤ـ الكافي ٥ / ٥٠٢، ح ٢.
٥ـ الفقيه ٤ / ٢٩٩، ح ٨٥.

و في تفسير العيّاشيّ عن زرارة قال: كان يوسف أبو الحجّاج صديقاً لعليّ بن الحسين عليهما السلام. و إنّه دخل على امرأته فأراد أن يجامعها، فقالت له: [أليس] إنّما عهدك بهذا الساعة؟ فأتى عليّ بن الحسين عليهما السلام فأخبره، فأمره أن يمسك عنها. فولدت بالحجّاج؛ و هو ابن شيطان ذي الردهة.(١)

و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» يدفعه عن المشاركة.(٢)

و قال عليه السلام: ما كان من مال حرام، فهو من شركه. و إذا زنى يكون إمّا كلّه من الشيطان أو بعضه.(٣)

و في تفسير عليّ بن إبراهيم: إذا جامع الرجل أهله و لم يسمّ، شاركه الشيطان.(٤)

[٦٥] «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً».

«إنّ عبادي». عن أبي عبدالله عليه السلام: يعني أصحاب عليّ عليه السلام.(٥)

«إنّ عبادي»؛ أي: الذين يطيعونني. أضافهم إلى نفسه تشريفاً لهم. «سلطان»؛ أي: قوّة و نفاذ. لأنّهم يعلمون أنّ مواعيدك باطلة. و قيل: معناه: لا سلطان لك على جميع عبادي إلّا في الوسوسة و الدعاء إلى المعصية. فأمّا أن تحملهم على المعصية و تمنعهم عن الطاعة جبراً و كرهاً، فلا. «وكيلاً»؛ أي: حافظاً لعباده من شرك.(٦)

[٦٦] «رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً».

«يزجي»؛ أي: يجري لكم السفن في البحر بما خلق من الرياح. «لتبتغوا»؛ أي: تطلبوا بركوب السفن ما فيه صلاح دنياكم من التجارة أو دينكم من الغرق.(٧)

١ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٢٩٩، ح ١٠٣.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣٠٠، ح ١٠٧.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣٠٠، ح ١٠٨.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٢.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣٠١، ح ١١١.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٦٥٨.
٧ـ مجمع البيان ٦ / ٦٥٩.

[٦٧] «وَ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً».

«و إذا مسّكم الضرّ»؛ أي: الشدّة. «في البحر» بسكون الرياح و اضطراب الأمواج أو غير ذلك من أهوال البحر. «ضلّ من»؛ أي: ذهب عنكم ذكر كلّ معبود إلّا الله، فلاترجون النجاة إلّا من عنده فتدعونه و لاتدعون غيره. فلمّا أنجاكم و أمنتم الغرق، «أعرضتم» عن الايمان و عن طاعته.(١)

«إذا مسّكم الضرّ في البحر». عن العسكريّ عليه السلام قال: جاء رجل إلى الصادق عليه السلام فقال: دلّني على الله ما هو. فقد كثر عليّ المجادلون و حيّروني. فقال له: هل ركبت سفينة قطّ؟ قال: نعم. قال: فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك و لا سباحة تغنيك؟ قال: نعم. قال: فهل تعلّق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ قال: نعم. قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي، و على الإغاثة حيث لا مغيث.(٢)

«كان الإنسان». كالتعليل للإعراض.(٣)

[٦٨] «أَ فَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً».

«يخسف». ابن‌كثير: «نخسف» و «نرسل». «أفامنتم أن يخسف»؛ أي: إنّ فعلكم هذا فعل من يتوهّم أنّه إذا صار إلى البرّ أمن المكاره. فهل أمنتم أن يخسف بكم الأرض و يغيبكم فيها؟ أو هل أمنتم أن يرسل عليكم حجارة تحصبون ـ أي: ترمون ـ بها؟ و المعنى أنّه قادر على إهلاككم في البرّ و البحر. «وكيلاً»؛ أي: حافظاً يحفظكم عن عذاب الله.(٤)

«جانب البرّ». يعني أنّ في جانب البرّ غرقاً مثل البحر [و هو الخسف] لأنّه [تغييب

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٥٩.
٢ـ التوحيد / ٢٣٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٧٧.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٦٥٩ ـ ٦٦٠.

تحت التراب كما أنّ الغرق] تغييب تحت الماء. «حاصباً». هي الريح التي تحصب ـ أي: ترمي ـ بالحصباء. [يعني: أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف، أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء] يرجمكم بها، فيكون أشدّ عليكم من الغرق في البحر.(١)

«أ فأمنتم». الهمزة للإنكار. و الفاء للعطف على محذوف. تقديره: أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض؟(٢)

[٦٩] «أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً».

ابن‌كثير و أبوعمرو: «نخسف» و «نرسل» و «نعيدكم» «فنرسل عليكم» «فنغرقكم» كلّها بالنون. و أبوجعفر و يعقوب: «فتغرقكم» بالتاء و الباقي بالياء. و قرأ الباقون كلّها بالياء.

«فيه تارة»؛ أي: في البحر مرّة أخرى بأن يجعل لكم حاجة أو يحدث لكم رغبة أو رهبة. «قاصفاً من الريح»: ريحاً شديدة كاسرة للسفينة. «فيغرقكم» بكفركم بنعم الله. «تبيعاً»؛ أي: تابعاً يتبع إهلاككم للمطالبة. يعني ثائراً و ناصراً.(٣)

«قاصفاً». هي الريح التي لها قصيف ـ و هو الصوت الشديد ـ كأنّها تتقصّف؛ أي: تنكسر. و قيل: التي لاتمرّ بشيء إلّا قصفته.(٤)

[٧٠] «وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَ حَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً».

«و لقد كرّمنا بني آدم»؛ أي: فضّلناهم. و أجريت الصفة على جميعهم من أجل من كان فيهم على هذه الصفة. و قيل: المعنى: أكرمناهم بالنعم الدنيويّة كالصورة الحسنة و تسخير الأشياء و بعثة الرسل إليهم. و [قيل:] لقد أكرمهم الله بالعقل و النطق و التمييز و الأكل باليد

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٧٩.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٧٧.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦٥٩ ـ ٦٦٠.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٨٠.

و اعتدال القامة. «و حملناهم في البرّ» على الإبل و الدوابّ، و في البحر بالسفن. «و رزقناهم» من الثمار و الفواكه و الملاذّ. «و فضّلناهم على كثير». استدلّ به على أنّ الملائكة أفضل من الأنبياء، لأنّ قوله: «على كثير» يدلّ على أنّ هاهنا من لم يفضّلهم عليه، و ليس إلّا الملائكة، لأنّهم أفضل من كلّ حيوان سوى الملائكة بالاتّفاق. و هذا باطل من وجوه. أحدها: انّ التفضّل هنا لم يرد به الثواب. لأنّ الثواب لايجوز التفضيل به ابتداء. و إنّما المراد ما فضّلهم الله به من فنون النعم التي عدّدنا بعضها. الثاني: انّ المراد بالكثير الجميع. و المعنى: انّا فضّلناهم على من خلقنا و هم كثير. الثالث: إذا سلّم أن المراد التفضيل بزيادة الثواب و أنّ لفظة من في قوله: «ممّن خلقنا» يفيد التبعيض، فلايمتنع أن يكون جنس الملائكة أفضل من جنس بني آدم. لأنّ الفضل في الملائكة عامّ لجميعهم أو أكثرهم و الفضل في بني آدم يختصّ بقليل من كثير. و على هذا فغير منكر أن يكون الأنبياء أفضل من الملائكة و إن كان جنس الملائكة أفضل من جنس بني آدم.[1]

«بني آدم». عن أميرالمؤمنين عليه السلام: من غلب عقله شهوته من البشر، يكون أفضل من الملائكة.[2]

[٧١] «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولٰئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتَابَهُمْ وَ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً».

«ندعو». عن يعقوب بالياء. «يوم ندعو» ـ الآية. فيه أقوال. أحدها: انّه نبيّهم. أي: يقال: هاتوا متّبعي إبراهيم. هاتوا متّبعي موسى. هاتوا متّبعي محمّد صلوات الله عليهم. فيقوم أهل الحقّ الذين اتّبعوا الأنبياء فيأخذوا كتبهم بأيمانهم. ثمّ يقال: هاتوا متّبعي الشيطان. هاتوا متّبعي رؤساء الضلالة. و ثانيها: معناه: بكتابهم الذي أنزل عليهم فيقال: يا أهل القرآن، يا أهل التوراة. و ثالثها: بمن كانوا يأتمرون به من علمائهم و رؤسائهم و أئمّتهم. و

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٦١ ـ ٦٦٢.
٢ـ علل الشرائع / ٥.

بجميع هذه الأقوال يدلّ ما روي عن الرضاعليه السلام أنّه قال فيه يدعى كلّ أناس بإمام زمانهم و كتاب ربّهم و سنّة نبيّهم. و رابعها: انّ معناه: بكتاب أعمالهم. «فمن أوتي»؛ أي: أعطي كتاب عمله الذي فيه طاعاته بيمينه، فأولئك يقرؤون الكتاب فرحين مسرورين و لاينقصون من ثواب أعمالهم مقدار فتيل؛ و هو المفتول الذي في شقّ النواة. جعل الله إعطاء الكتاب [باليمين] علامة الرضا و باليسار علامة السخط.[١]

«بإمامهم». عن أبي عبدالله عليه السلام: أصحاب الشمس بالشمس و هكذا.[٢]

«بإمامهم». و من بدع التفاسير أنّ الإمام جمع أمّ و أنّ الناس يدعون بأمّهاتهم و أنّ الحكمة في الدعاء بالأمّهات دون الآباء رعاية حقّ عيسى و إظهار شرف الحسن و الحسين عليهما السلام و أن لايفتضح أولاد الزنى. و ليت شعري أيّهما أبدع؛ أ صحّة لفظه أم بهاء حكمته! «يقرؤون» و يقولون لأهل المحشر: «هاؤم اقرؤوا كتابيه»[٣]! و أمّا أهل الشمال فهم، و ان قرؤوا كتابهم، إلّا أنّه يأخذهم الحياء و الخجل و حبسة اللّسان و العجز عن إقامة الحروف فكأنّ قراءتهم كلا قراءة.[٤]

«يوم ندعو». و لمّا اصطاد عمرو بن حريث مع سبعة كانوا معه ضبّاً فبايعوه أنّه إمامهم، فلمّا وردوا الكوفة قال أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ هؤلاء الثمانية يدعون يوم القيامة باسم إمامهم الضبّ.[٥]

[٧٢] «وَ مَنْ كَانَ فِي هٰذِهِ أَعْمىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمىٰ وَ أَضَلُّ سَبِيلاً».

«و من كان» ـ الآية. عن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّها نزلت في ابن‌عبّاس و أبيه. كذا في تفسير عليّ بن إبراهيم.[٦] أقول: من تتبّع الأخبار، يظهر له اختلافها. فمنها ما يدلّ على مدحه. و الأولى الكفّ عنه و عن أحواله و أن لايتعرّض له بسوء.

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٦١ و ٦٦٣.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣٠٣، ح ١١٨.
٣ـ الحاقّة (٦٩) / ١٩.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٨٢ ـ ٦٨٣.
٥ـ الخصال ٢ / ٦٤٤، ح ٢٦.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٣.

«و من كان في هذه أعمى». عن أبي عبدالله عليه السلام: نزلت فيمن يسوّف الحجّ حتّى مات و لم يحجّ فعمي عن فريضة من فرائض الله.[١]

«أعمى» عن آيات الله، ضالاً عن الحقّ، ذاهباً عن الدين، فهو في الآخرة أشدّ تحيّراً و ذهاباً عن طريق الجنّة و عن الحجّة إذا سئل. فإنّ من ضلّ عن معرفة الله في الدنيا، يكون يوم القيامة منقطع الحجّة. فالأوّل اسم، و الثاني أفعل من العمى. أو معناه: من كان في هذه الدنيا أعمى القلب، فإنّه في الآخرة أعمى العين؛ يحشر كذلك عقوبة له على ضلالته في الدنيا. أهل البصرة «أعمى» الأولى بالإمالة و «أعمى» الثانية بالتفخيم. و قرأ حمزة و الكسائيّ بالإمالة فيهما، و الباقون بالتفخيم فيهما.[٢]

[٧٣] «وَ إِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَ إِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً».

«و إن كادوا» في سبب النزول أقوال. أحدها: انّ قريشاً قالوا للنبيّ صلى الله عليه وآله: كفّ عن شتم آلهتنا و تسفيه أحلامنا و اطرد هؤلاء العبيد و السقاط الذين رائحتهم رائحة الصنان حتّى نجالسك و نسمع منك. فطمع في إسلامهم، فنزلت الآية. و ثانيها: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخرج الأصنام من المسجد، فطلبت إليه قريش أن يترك صنماً كان على المروة. فهمّ بتركه، ثمّ أمر بكسره. فنزلت الآية. رواه العيّاشيّ. و ثالثها: انّ وفد ثقيف قالوا: أجّلنا سنة حتّى نقبض ما يهدى لآلهتنا. فإذا قبضنا ذلك، كسرناها و أسلمنا. فهمّ بتأجيلهم. فنزلت. «و إن كادوا». إن مخفّفة من المثقّلة. و المعنى: انّ المشركين قاربوا أن يصرفوك عن القرآن ـ أي: عن حكمه ـ لتخترع علينا غير ما أوحيناه إليك. لأنّك لا تنطق إلّا عن وحي، فإذا اتّبعت أهواءهم، كنت كالمفتري. «لاتّخذوك خليلاً»؛ أي: صديقاً.[٣]

«غيره»؛ أي: غير [أمير] المؤمنين. «خليلاً»؛ أي: صديقاً، لو أقمت غيره.[٤]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٤.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٦٣ ـ ٦٦٤ و ٦٦٠ ـ ٦٦١.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦٦٥.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٤.

[٧٤] «وَ لَوْ لَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً».

«و لولا أن» ثبّتنا قلبك بالنبوّة و العصمة، لقد قاربت أن تميل إليهم ميلاً قليلاً فتعطيهم بعض ما سألوك. و قد صحّ عنه صلى الله عليه وآله: وضع عن أمّتي ما حدّثت به نفسها. قال ابن‌عبّاس: حيث سكت عن جوابهم.[١]

[٧٥] «إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَ ضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً».

«إذاً لأذقناك»؛ أي: لو فعلت ذلك، لعذّبناك ضعف عذاب الحياة و ضعف عذاب الممات. أي: مثلي ما نعذّب به المشرك في الآخرة. لأنّ ذنبك يكون أعظم. «نصيراً»: ناصراً ينصرك.[٢]

[٧٦] «وَ إِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَ إِذاً لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلاً».

«و إن كادوا ليستفزّونك» ـ الآية. نزلت في أهل مكّة لمّا همّوا بإخراج الرسول من مكّة. و قيل: نزلت في يهود المدينة قالوا: إنّ هذه الأرض ليست أرض الأنبياء. و إنّما أرض الأنبياء الشام. فأت الشام. «ليستفزّونك»؛ أي: يزعجوك من أرض مكّة. و قيل: يقتلوك. و لو أخرجوك، لكانوا لا يلبثون بعد خروجك إلّا زماناً قليلاً؛ و هي المدّة بين خروجه صلى الله عليه وآله من مكّة و قتلهم يوم بدر. و قيل: إنّهم أخرجوه و أهلكوا. و المراد بقوله: «إلّا قليلاً»: [إلّا ناساً قليلاً؛] و هم من انفلت منهم يوم بدر و آمنوا بعد ذلك. «خلافك». أهل الحجاز و أبوعمرو وأبوبكر: «خلفك» بغير ألف.[٣]

[٧٧] «سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَ لَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً».

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٦٥ ـ ٦٦٦.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٦٦.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦٦٧ و ٦٦٦.

«سنّة». نصبت نصب المصدر المؤكّد. أي: سنّ الله ذلك سنّة.[١]

«سنّة من قد أرسلنا»؛ أي: لو أخرجوك لاستأصلناهم بعد خروجك كسنّتنا فيمن قبلك. [و قيل: يقول] [٢] لم نرسل قبلك رسولاً فأخرجه قومه إلّا هلكوا. فقد سننّا هذه السنّة فيمن أرسلنا قبلك إليهم.[٣]

[٧٨] «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً».

«لدلوك الشمس». عن أبي جعفر عليه السلام قال: دلوكها زوالها. ففيما بين دلوك الشمس إلى غسق اللّيل أربع صلوات سمّاهنّ الله و بيّنهنّ و وقّتهنّ. و غسق اللّيل انتصافه. «و قرآن الفجر». فهذه الخامسة. يعني صلاة الفجر تشهده ملائكة اللّيل و ملائكة النهار. فإذا صلّى العبد الصبح مع طلوع الفجر، أثبت له مرّتين؛ أثبتها ملائكة اللّيل و ملائكة النهار.[٤]

«لدلوك». الدلوك من الدلك و هو الزوال. لأنّ الناظر إلى الشمس يدلك عينيه ليتبيّنها.[٥]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا عرج برسول الله صلى الله عليه وآله نزل بالصلاة عشر ركعات ركعتين ركعتين. فلمّا ولد الحسن و الحسين عليهما السلام زاد رسول الله صلى الله عليه وآله سبع ركعات شكراً لله، فأجاز الله له ذلك. و ترك الفجر لم يزد فيها شيئاً لأنّه يحضرها ملائكة اللّيل و ملائكة النهار.[٦]

[٧٩] «وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً».

«فتهجّد»؛ أي: اترك الهجود و هو النوم. مثل تأثّم؛ أي: جانب الإثم. «نافلة لك»؛ أي: زيادة لك على الفرائض. لأنّها كانت واجبة عليه. «عسى أن يبعثك». عسى من الله موجبة. و المقام بمعنى البعث، فهو مصدر من غير جنسه. أي: يبعثك يوم القيامة بعثاً أنت محمود فيه.

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٨٦.
٢ـ في النسخة «لأنّه» بدل ما بين المعقوفتين.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦٦٧.
٤ـ التهذيب ٢ / ٢٤١، ح ٩٥٤.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٦٦٨.
٦ـ الكافي ٣ / ٤٨٧، ح ٢.

و قد اجتمع المفسّرون على أنّ المقام المحمود هو مقام الشفاعة.[١]

«فتهجّد». عنى صلاة اللّيل على رسول الله صلى الله عليه وآله. فإنّها فريضة [عليه]. كذا روي عن الصادق عليه السلام.[٢]

عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ و قد ذكر المحشر ـ: ثمّ يجتمعون في موطن آخر يكون فيه مقام محمّد صلى الله عليه وآله. و هو المقام المحمود. فيحمده أهل السموات و أهل الأرض. و ذلك قول الله: «عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً».[٣]

و في الأخبار المستفيضة عن الأئمّة عليهم السلام أنّ المقام المحمود هو مقام الشفاعة.[٤] قال صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: يا عليّ، إنّ ربّي عزّ وجلّ ملّكني الشفاعة في أهل التوحيد من أمّتي. و حظر ذلك عمّن ناصبك أو ناصب ولدك من بعدك.[٥]

[٨٠] «وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً».

«و قل ربّ». فإنّها نزلت يوم فتح مكّة. لمّا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله دخولها، أنزل الله: قل يا محمّد: أدخلني.[٦]

«مدخل صدق». المدخل و المخرج هنا مصدر الإدخال و الإخراج. أي: إدخال صدق و إخراج صدق. أي: أدخلني في جميع ما أرسلتني به إدخال صدق، و أخرجني منها سالماً إخراج صدق. [أي:] أعني على الوحي و الرسالة. و [قيل: معناه:] أدخلني المدينة و أخرجني منها للفتح إلى مكّة. أو إنّه عليه السلام أمر بهذا الدعاء إذا دخل في أمر أو خرج من أمر.

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٦٨ ـ ٦٧١. ٢ـ التهذيب ٢ / ٢٤٢، ح ٩٥٩.

٣ـ التوحيد / ٢٦١.

٤ـ انظر: تفسير القمّيّ ٢ / ٢٥، وج ١ / ١٨٨، و أمالي الطوسيّ ١ / ٣٠٤، و روضة الواعظين / ٢٧٣ و ٥٠٠، و تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣١٤، ح ١٤٨ و ص ٣١٥، ح ١٥١. ٥ـ أمالي الطوسيّ ٢ / ٧٠.

٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٦.

«سلطاناً نصيراً»؛ أي: اجعل لي عزّاً أمتنع به ممّن يحاول صدّي عن إقامة فرائضك و قوّة تنصرني بها على من عاداني فيك.[١]

[٨١] «وَ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً».

عن حكيمة: مكتوب على ذراع القائم الأيمن: «جاء الحقّ» ـ الآية.[٢]

عن أبي جعفر عليه السلام: إذا قام قائمنا عليه السلام ذهبت دولة الباطل.[٣]

«جاء الحقّ»؛ أي: ظهر الإسلام و الدين. «و زهق الباطل»؛ أي: بطل الشرك.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه دخل رسول الله صلى الله عليه و آله يوم فتح مكّة و الأصنام حول الكعبة ثلاثمائة و ستّون صنماً. فجعل يطعنها بمخصرة في يده و يقول: «جاء الحقّ و زهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً». «و ما يبدئ الباطل و ما يعيد».[٥] فجعلت تنكبّ لوجهها.[٦]

[٨٢] «وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً».

«و ننزّل». عن أبي عبدالله عليه السلام: ما اشتكى أحد من المؤمنين شكاية قطّ و قال بإخلاص نيّة و مسح موضع العلّة: «و ننزّل من القرآن» إلى قوله: «إلّا خساراً» إلّا عوفي من تلك العلّة أيّة علّة كانت. و مصداق ذلك في الآية حيث يقول: «شفاء و رحمة للمؤمنين».[٧]

«ما هو شفاء و رحمة»؛ لما فيه من البيان الذي يزيل عمى الجهل و حيرة الشكّ و لأنّه يتبرّك به و بقرآنه و يستعان على دفع العلل و الأسقام به. «إلّا خساراً». لأنّهم يخسرون الثواب و يستحقّون العقاب لكفرهم به و لأنّ القرآن يظهر خبث سرائرهم و ما يأتمرون به من الكيد و المكر بالنبيّ صلى الله عليه و آله فيفتضحون بذلك.[٨]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٧١.
٢ـ نور الثقلين ٣ / ٢١٣.
٣ـ الكافي ٨ / ٢٨٧، ح ٤٣٢.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٦٧١.
٥ـ سبأ (٣٤) / ٤٩.
٦ـ أمالي الطوسيّ ١ / ٣٤٦.
٧ـ طبّ الأئمّة / ٢٨.
٨ـ مجمع البيان ٦ / ٦٧٣.

[٨٣] «وَ إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُساً».

«أعرض». أي عن ذكرنا كأنّه لم‌يقبل علينا بالدعاء و الابتهال. «و نأى بجانبه»؛ أي: بعد بنفسه عن القيام بحقوق إنعامنا فلايشكره. و قيل: معناه: تجبّر و تكبّر وأعجب بنفسه. «و إذا مسّه الشرّ»؛ أي: إذا أصابه المحنة و الشدّة، لم‌يصبر و كان قنوطاً من رجاء الفرج من الله، بخلاف المؤمن الذي يرجو الفرج و الروح. و سمّي الأمراض و البلايا شرّاً لكونها عند الكافرين شرّاً حيث لايرجون ثواباً و لا عوضاً و لأنّ الطبائع تنفر عنها، و إلّا فهي في الحقيقة صلاح و صواب. «نأى». حمزة بفتح النون و كسر الهمزة، و في رواية أخرى بكسرهما. و أبوجعفر و ابن‌عامر: «ناء بجانبه» ممدودة مهموزة. و قرأ الباقون من القرّاء: «نأى» على وزن نعى.(١)

[٨٤] «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً».

«على شاكلته». عن أبي عبدالله عليه السلام: إنّما خلّد أهل النار في النار لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً. و إنّما خلّد أهل الجنّة في الجنّة لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً. فبالنيّات [خلّد] هؤلاء و هؤلاء. ثمّ تلا: «قل كلّ يعمل على شاكلته».(٢)

أقول: هذا الحديث هو معنى قوله صلى الله عليه وآله: نيّة المؤمن خير من عمله. مع ما روي عن الرضا عليه السلام قال: إنّ الله سبحانه إذا أوقف المؤمن بين يديه، للحساب، يقول: هلمّوا بالصحائف التي فيها الأعمال [التي] لم‌يعملوها. فيقرؤها المؤمن فيقول: و عزّتك إنّا لم‌نعمل منها شيئاً! فيقول: صدقتم. نويتموها فكتبناها لكم. ثمّ يثابون عليها. رواه عليّ بن إبراهيم في تفسيره.(٣)

«على شاكلته»؛ أي: كلّ من المؤمن و الكافر يعمل على طريقته و سنّته التي اعتادها.

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٧٣ و ٦٧٢.
٢ـ الكافي ٢ / ٨٥، ح ٥.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٦.

«فربّكم أعلم»؛ أي: إنّه يعلم أيّ الفريقين على الهدى و أيّهما على الضلالة.[١]

«شاكلته»: طريقته التي تشاكل حاله في الهدى و الضلالة.[٢]

[٨٥] «وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً».

عن أحدهما عليهما السلام في قوله: «قل الروح من أمر ربّي» قال: التي في الدوابّ و الناس. قلت: و ما هي؟ قال: من الملكوت. كذا في تفسير العيّاشيّ.[٣]

و في كتاب الاحتجاج عن أبي عبدالله عليه السلام: الروح جسم رقيق قد ألبس قالباً كثيفاً.[٤]

أقول: و فيه دلالة على عدم تجرّد الروح. و قد رجّحناه في شرحنا على التهذيب و الاستبصار و أكثرنا من الدلائل عليه.

«عن الروح». عن أبي عبدالله عليه السلام: هو ملك أعظم من جبرئيل و ميكائيل. و كان مع رسول الله صلى الله عليه و آله. و هو مع الأئمّة عليهم السلام.[٥] يعني معهم يسدّدهم و يحدّثهم.

«عن الروح». عن ابن‌عبّاس و جماعة أنّ اليهود سألوه عن الروح الذي في بدن الإنسان، و لم‌يجبهم لأنّهم كانوا متعنّتين في السؤال. و قيل: إنّ المشركين سألوه عن الروح الذي هو القرآن كيف يلقاك به الملك و كيف صار معجزاً و [كيف صار نظمه و] ترتيبه مخالفاً لأنواع الكلام؟ و قد سمّي القرآن روحاً في قوله: «و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا».[٦] فقل يا محمّد: إنّ القرآن من الدلائل على نبوّتي و لايدخل في إمكان الخلق. فالجواب قد وقع موقعه. و الروح عند أكثر المتكلّمين جسم رقيق هوائيّ متردّد في مخارق الحيوان. و إليه ذهب المرتضى. و ذهب المفيد إلى أنّها عرض و هو الحياة التي يتهيّأ بها المحلّ

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٧٣.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٩٠.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣١٧، ح ١٦٣.
٤ـ الاحتجاج / ٣٤٩.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٦.
٦ـ الشورى (٤٢) / ٥٢.

لوجود القدرة والعلم.[١]

«و ما أوتيتم من العلم». عن أبي جعفر عليه السلام: تفسيرها في الباطن أنّه لم يؤت العلم إلّا أناس يسير، فقال: و ما أوتيتم من العلم إلّا قليلاً منكم.[٢]

«عن الروح». الأكثر على أنّه الروح الذي في الحيوان، سألوه عن حقيقته و أخبر أنّه من أمر الله؛ أي: ممّا استأثر بعلمه. بعثت اليهود إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف و عن ذي القرنين و عن الروح؛ فإن أجاب عنها أو سكت، فليس بنبيّ، و إن أجاب عن بعض و سكت عن بعض، فهو نبيّ. فبيّن لهم القصّتين و أبهم أمر الروح و هو مبهم في التوراة، فندموا على سؤالهم. «و ما أوتيتم». الخطاب عامّ. و روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا قال لهم ذلك قالوا: نحن مختصّون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه؟ فقال: بل نحن و أنتم لم نؤت من العلم إلّا قليلاً. فقالوا: ما أعجب شأنك! ساعة تقول: «و من يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً»[٣] و ساعة تقول هذا! فنزلت: «و لو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام».[٤] [و] ليس ما قالوا بلازم. لأنّ القلّة و الكثرة تدوران مع الإضافة، فيوصف الشيء بالقلّة مضافاً إلى ما فوقه و بالكثرة مضافاً إلى ما تحته. فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها، إلّا أنّها إذا أضيفت إلى علم الله، فهي قليلة. و قيل: هو خطاب لليهود خاصّة. لأنّهم قالوا للنبيّ عليه السلام: قد أوتينا التوراة و فيها الحكمة، و قد تلوت: «و من يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً» فقيل لهم: إنّ علم التوراة قليل في جنب علم الله.[٥]

[٨٦] «وَ لَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً».

«بالذي أوحينا»؛ أي: لو شئنا لمحونا هذا القرآن من صدرك و صدر أمّتك حتّى لا يوجد له أثر، ثمّ لا تجد حفيظاً يحفظ ذكره على قلبك. و فيه دلالة على أنّ السؤال وقع عن القرآن.[٦]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٧٤ ـ ٦٧٥.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣١٧، ح ١٦٤.
٣ـ البقرة (٢) / ٢٦٩.
٤ـ لقمان (٣١) / ٢٧.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٦٩٠ ـ ٦٩١.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٦٧٦.

[٨٧] «إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً».

«إلّا رحمة»؛ أي: إلّا أن يرحمك ربّك فيردّه عليك. و عن ابن مسعود: انّ هذا القرآن تصبحون يوماً و ما فيكم منه شيء، ترفع المصاحف و ينزع ما في القلوب.[١]

«إلّا رحمة»؛ أي: لكن رحمة من ربّك أعطاك ما أعطاك و أثبت القرآن في صدرك و صدور المؤمنين. «كبيراً». إذ اختارك للنبوّة.[٢]

[٨٨] «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً».

«قل لئن اجتمعت» ـ الآية. في أعلام أبي عبدالله عليه السلام أنّ ابن أبي العوجاء و ثلاثة نفر من الدهريّة اتّفقوا أن يعارض كلّ واحد منهم ربع القرآن، وكانوا بمكّة و تعاهدوا على أن يجيئوا بمعارضته في العام القابل. فلمّا حال الحول و اجتمعوا في مقام إبراهيم، قال أحدهم: إنّي لمّا رأيت قوله: «يا أرض ابلعي ماءك و يا سماء أقلعي و غيض الماء»[٣] كففت عن المعارضة. وقال الآخر: لمّا وجدت قوله: «فلمّا استيأسوا منه خلصوا نجيّاً»[٤] آيست من المعارضة. و كانوا يسترون ذلك إذ مرّ عليهم الصادق عليه السلام فقرأ عليهم: «قل لئن اجتمعت» ـ الآية. فبهتوا.[٥]

«بمثل هذا القرآن». أي في فصاحته و بلاغته و تهذيب معناه. و فيه تكذيب للنضر بن الحارث حين قال: «لو نشاء لقلنا مثل هذا».[٦] «ظهيراً»: معيناً على ذلك.[٧]

[٨٩] «وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً».

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٩١.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٧٦.
٣ـ هود (١١) / ٤٤.
٤ـ يوسف (١٢) / ٨٠.
٥ـ نور الثقلين ٣ / ٢٢٠.
٦ـ الأنفال (٨) / ٣١.
٧ـ مجمع البيان ٦ / ٦٧٦.

«و لقد صرّفنا»؛ أي: رددنا و كرّرنا. «من كلّ مثل»؛ أي: من كلّ معنًى هو كـالمثل في غرابته و حسنه.[١]

«صرّفنا»؛ أي: بيّنّا لهم الأمثال. «إلّا كفوراً»؛ أي: جحوداً للحقّ.[٢]

[٩٠] «وَ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً».

«و قالوا لن نؤمن». النزول: قال ابن‌عبّاس: إنّ جماعة من قريش اجتمعوا عند الكعبة فبعثوا إلى رسول الله ﷺ. فلمّا أتى إليهم قالوا له: يا محمّد، إنّك أدخلت على قومك ما أدخلت؛ شتمت الآلهة، و فرّقت الجماعة. فإن كنت تطلب مالاً، أعطيناك. و إن كانت لك علّة، طلبنا لك الأطبّاء. قال: بل بعثني الله إليكم رسولاً و أنزل كتاباً. فإن لم تقبلوا أصبر حتّى يحكم الله. قالوا: فإذن ليس أحد أضيق بلداً منّا. فاسأل ربّك أن يسيّر هذه الجبال و يجري لنا أنهاراً كأنهار الشام و العراق و أن يبعث لنا من مضى ـ وليكن فيهم قصيّ، فإنّه شيخ صدوق ـ لنسألنّهم عنك أحقّ أم باطل. فإن لم تفعل، فاسأل ربّك أن يبعث لنا ملكاً يصدّقك و يجعل لنا جنّات و قصوراً و كنوزاً من ذهب. فإن لم تفعل، فأسقط علينا السماء كما زعمت أنّ ربّك قادر على ذلك. و قال قائل منهم: لانؤمن لك حتّى تأتي بالله و الملائكة قبيلاً. و قال عبدالله بن أميّة المخزوميّ ابن عمّته عاتكة: لا أومن لك حتّى تتّخذ سلّماً إلى السماء ثمّ ترقى فيه و أنا أنظر و يأتي معك نفر من الملائكة يشهدون لك و كتاب يشهد لك. فنزلت. «حتّى تفجر». قرأ غير أهل الكوفة بضمّ التاء و تشديد الجيم. «تفجر»؛ أي: تشقّق من أرض مكّة عيناً ينبع منه الماء.[٣]

[٩١] «أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً».

«خلالها»؛ أي: وسطها «تفجيراً» حتّى يجري الماء تحت الأشجار.[٤]

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٩٢.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٧٦.

٣ـ مجمع البيان ٦٧٧ ـ ٦٧٩.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٦٧٩.

[٩٢] «أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَ الْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً».

«كسفاً». ابن كثير بسكون السين. «كسفاً»؛ أي: قطعاً قد تركت بعضها على بعض. «كما زعمت»؛ أي: كما خوّفتنا [به] من انشقاق السماء و انفطارها. «قبيلاً»؛ أي: كفيلاً. أي يكون كلّ واحد كفيلاً ضامناً لنا حتّى نشاهدوه فيشهدون لك. و هذا يدلّ على أنّهم كانوا مشبّهة.(١)

[٩٣] «أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقىٰ فِي السَّمَاءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّٰى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً».

«في السماء»؛ أي: معارج السماء. فحذف المضاف.(٢)

عن أبي جعفر عليه السلام «كتاباً نقرؤه» يقول: من الله إلى عبدالله بن أبي أميّة أنّ محمّداً صادق و إنّي أنا بعثته و يجيء معه أربعة من الملائكة يشهدون أنّ الله هو كتبه. فأنزل الله: «قل سبحان ربّي هل كنت إلّا بشراً رسولاً».(٣)

«كتاباً نقرؤه» فيكون فيه تصديقك. «سبحان ربّي». تعجّباً من اقتراحاتهم، أو تنزيهاً لله من أن يأتي أو يتحكّم [عليه] أو يشاركه أحد في القدرة. «هل كنت إلّا بشراً» كسائر الناس «رسولاً» كسائر الرسل. و كانوا لا يأتون قومهم إلّا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم و لم يكن أمر الآيات إليهم و لا لهم أن يتحكّموا على الله حتى يتخيّروا. و هذا هو الجواب المجمل. أمّا التفصيل، فقد ذكر في آيات أخر كقوله: «و لو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس»(٤) «و لو فتحنا عليهم باباً»(٥).(٦)

«من زخرف»؛ أي: من ذهب. «أو ترقى»؛ أي: تصعد. «هل كنت إلّا بشراً». معناه: انّ هذه الأشياء ليست في طاقة البشر أن يأتيها و أن يفعلها. فلا أقدر بنفسي أن آتي بها كما يقدر من

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٧٧ و ٦٧٩.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٩٣.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٢٧.
٤ـ الأنعام (٦) /٧.
٥ـ الحجر (١٥) / ١٤.
٦ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٨٢.

كان قبلي من الرسل. و الله تعالى إنّما يظهر الآيات المعجزة على حسب المصلحة؛ و قد فعل. فلاتطالبوني بما لايطالب به البشر.[١]

[٩٤] «وَ مَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَ بَعَثَ اللهُ بَشَراً رَسُولاً».

«و مامنع». عن أبي عبدالله عليه السلام: قالوا: إنّ الجنّ كانوا في الأرض قبلنا، فبعث الله إليهم ملكاً. فلو أراد الله أن يبعث إلينا، لبعث الله ملكاً من الملائكة. و هو قول الله: «و مامنع الناس» ـ الآية.[٢]

«إذ جاءهم الهدى». أي بعد ظهور الحقّ إلّا قولهم هذا. و المعنى: انّه لم‌يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمّد و القرآن إلّا إنكارهم أن يرسل الله بشراً.[٣]

«أبعث الله بشراً رسولاً». دخلت عليهم الشبهة في أنّه لايجوز أن يبعث الله رسولاً إلّا من الملائكة. كما دخلت عليهم الشبهة في أنّ عبادتهم لاتصلح لله فوجّهوها إلى الأصنام فعظّموا الله بجهلهم بما ليس فيه تعظيم.[٤]

[٩٥] «قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً».

«قل» جواباً لشبهتهم. «يمشون» مثل بني آدم. «مطمئنّين»: ساكنين في الأرض. «ملكاً»، لتمكّنهم من الاجتماع به و التلقّف منه. و أمّا الإنس، فعامّتهم عماة عن إدراك الملك و التلقّف منه. فإنّ ذلك مشروط بنوع [من] التناسب و التجانس. «ملكاً». حال من رسولاً. «ملكاً رسولاً». يعلّمهم الخير [و يهديهم] المراشد.[٥]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٨٠.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣١٧، ح ١٦٧.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٨٢.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٦٨٠.

٥ـ الكشّاف ٢ / ٦٩٤.

[٩٦] «قُلْ كَفىٰ بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً».

«بالله». الباء زائدة.[١]

«شهيداً بيني و بينكم» على أنّي رسول إليكم بإظهار المعجز على وفق دعواي، أو على أنّي بلّغت ما أرسلت به إليكم و أنّكم عاندتم. و «شهيداً» نصب على الحال أو التميز. «خبيراً بصيراً» يعلم أحوالهم الباطنة منها فيجازيهم عليه. و فيه تسلية للرسول و تهديد للكفّار.[٢]

[٩٧ ـ ٩٨] «وَ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَ بُكْماً وَ صُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً * ذٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَ قَالُوا أَ إِذَا كُنَّا عِظَاماً وَ رُفَاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً».

«و من يهدي الله»: يوفّقه و يلطف به. «و من يضلل»؛ أي: يخذل، لاستحقاقه الخذلان.[٣]

«و من يهدي الله»؛ أي: من يحكم الله بهداه. «فهو المهتد» بإخلاصه و طاعته على الحقيقة.[٤]

«أولياء من دونه» يهدونهم. «على وجوههم»؛ أي: يسحبون عليها أو يمشون بها. و روي أنّه قيل لرسول الله ﷺ: كيف يمشون على وجوههم؟ قال: إنّ الذي أمشاهم على أقدامهم، قادر على أن يمشيهم على وجوههم. «عمياً و بكماً و صمّاً»: لايبصرون ما تقرّ أعينهم و لايسمعون ما تلذّ مسامعهم و لاينطقون بما يقبل منهم. لأنّهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات و العبر و تصامّوا عن استماع الحقّ و أبوا أن ينطقوا بالصدق. و يجوز أن يحشروا بعد الحساب من الموقف إلى النار مؤفى القوى و الحواسّ. «كلّما خبت»؛ أي:

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٨١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٨٣.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٦٩٥.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٦٨٢.

سكن لهبها بأن أكلت جلودهم و لحومهم. «زدناهم سعيراً»: توقّداً بأن نبدّل جلودهم و لحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بها. كأنّهم لمّا كذّبوا بالإعادة بعد الإفناء، جزاهم الله بأن لايزالوا على الإعادة و الإفناء. و إليه أشار بقوله: «ذلك جزاؤهم». لأنّ الإشارة إلى ما تقدّمه من عذابهم.[١]

عن أميرالمؤمنينعليه السلام قال: تحشر المرجئة عمياناً إمامهم أعمى. فيقول بعض من يراهم من غير أمّتنا: ماتكون أمّة محمّد إلّا عمياناً. فأقول لهم: ليسوا من أمّة محمّدصلى الله عليه وآله لأنّهم بدّلوا فبدّل بهم و غيّروا فغيّر ما بهم.[٢]

عن النبيّصلى الله عليه وآله قال: يا أباذرّ، يؤتى بجاحد عليّعليه السلام يوم القيامة أعمى أبكم يتكبكب في ظلمات القيامة فينادي: «يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله»[٣] و في عنقه طوق من النار.[٤]

«رفاتاً» مثل التراب.[٥]

[٩٩] «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ قَادِرٌ عَلىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً».

«على أن يخلق». لأنّ القادر على الشيء قادر على أمثاله. و إذا كان قادراً على خلق أمثالهم، كان قادراً على إعادتهم. إذ الإعادة أهون من الإنشاء في الشاهد. و قيل: أراد: قادر على أن يخلقهم ثانياً. و أراد بمثلهم إيّاهم. يقال: مثلك لايفعل كذا؛ أي: أنت لاتفعل. و تمّ الكلام هاهنا، ثمّ قال سبحانه: «و جعل لهم أجلاً»؛ أي: و جعل لإعادتهم وقتاً لا شكّ فيه أنّه كائن لا محالة. و قيل: معناه: و ضرب لهم مدّة ليتفكّروا و يعلموا فيها أنّ من قدر على الابتداء قدر على الإعادة. و قيل: [و جعل] لهم أجلاً يعيشون إليه و يخترمون عنده لا شكّ

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٨٣.

٢ـ علل الشرائع / ٦٠٢، ح ٦١.

٣ـ الزمر (٣٩) / ٥٦.

٤ـ نور الثقلين ٣ / ٢٢٨.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٦٨٢.

فيه. «فأبى الظالمون» لنفوسهم إلّا جحوداً بآيات الله.[١]

«أن يخلق مثلهم» من الإنس.[٢]

[١٠٠] «قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُوراً».

«قل لو أنتم»؛ أي: قل لهؤلاء الكفّار. «خزائن رحمة ربّي»؛ أي: خزائن أرزاق الله. أو: لو ملكتم ما يقدر عليه ربّي من النعم. إذ لايكون له سبحانه موضع يخزن فيه الرحمة ثمّ يخرج منه كما يكون للعباد. «لأمسكتم» بخلاً. «خشية الإنفاق»؛ أي: خشية الفقر للإنفاق. و هذا جواب لقولهم: «لن نؤمن لك حتّى» ـ الآية. «قتوراً»؛ أي: بخيلاً. [فإنّ ما] يجود به الإنسان بخل في جنب ما يعطيه [الله].[٣]

[١٠١] «وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسىٰ مَسْحُوراً».

«تسع آيات»؛ أي: حجج واضحات. عن ابن عبّاس: هي يد موسى و عصاه و لسانه و البحر و الطوفان و الجراد و القمّل و الضفادع و الدم. و قيل: تسع آيات في الأحكام. كما روي عنه ﷺ: هو أن لاتشركوا بالله شيئاً، و لاتسرفوا، و لاتزنوا، و لاتقتلوا النفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ، و لاتمشوا بالبريء إلى سلطان ليقتله، و لاتسخروا، و لاتأكلوا الربا، و لاتقذفوا المحصنة، و لاتولّوا الفرار يوم الزحف. و عليكم خاصّة يا يهود أن لاتعتدوا في السبت.[٤]

«فاسأل بني إسرائيل»؛ أي: فاسألهم من فرعون و قل له: أرسل معي بني إسرائيل. أو: سلهم عن إيمانهم و عن حال دينهم. أو: سلهم أن يعاضدوك و تكون قلوبهم و أيديهم معك. و

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٨٣.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٦٩٦.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٦٨٣.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٦٨٤ ـ ٦٨٥.

قيل: معناه: فسأل ـ يا رسول الله ـ المؤمنين من بني إسرائيل ـ و هم عبدالله بن سلام و أصحابه ـ عن الآيات لتزداد يقيناً و طمأنينة. وقوله: «إذ جاءهم» على الأوّل متعلّق بمحذوف. أي: فقلنا له: سلهم حين جاءهم. و أمّا على الأخير، فبآتينا أو بإضمار اذكر أو يخبروك، و معنى إذ جاءهم: إذ جاء آباءهم. «مسحوراً»: سحرت فخولط عقلك.(١)

عن الكاظم عليه السلام قال: سألني نفر من اليهود عن الآيات التسع، فقلت: العصا، و إخراجه يده من جيبه بيضاء، و الجراد، و القمّل، و الضفادع، و الدم، و رفع الطور، و المنّ و السلوى آية واحدة، و فلق البحر. قالوا: صدقت.(٢)

[١٠٢] «قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ بَصَائِرَ وَ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً».

«لقد علمت» يا فرعون «ما أنزل هؤلاء» الآيات إلّا الله عزّوجلّ. «بصائر»؛ أي: بيّنات مكشوفات ولكنّك معاند مكابر. «و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلماً و علوّاً».(٣) ثمّ قارع ظنّه بظنّه كأنّه قال: إن ظننتني مسحوراً، فأنا أظنّك مثبوراً هالكاً. و ظنّي أصحّ من ظنّك. لأنّ له أمارة ظاهرة و هي إنكارك ما عرفت صحّته و مكابرتك لآيات الله و أمّا ظنّك فكذب بحت.(٤)

«لقد علمت». قرأ الكسائيّ وحده بضمّ التاء.(٥) و يؤيّده ما روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: و الله ما علم عدوّ الله و لكن موسى هو الذي علم فقال: «لقد علمت».(٦)

«بصائر»؛ أي: براهين للناس تبصر بها أمور دينهم.(٧)

[١٠٣] «فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ جَمِيعاً».

١ـ الكشّاف ٢ / ٦٩٧ ـ ٦٩٨.
٢ـ قرب الإسناد / ١٣٢.
٣ـ النمل (٢٧) / ١٤.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٦٩٨.
٥ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٨٤، و مجمع البيان ٦ / ٦٨٤.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٦٨٥.
٧ـ مجمع البيان ٦ / ٦٨٥.

«فأراد»: أي: أراد فرعون أن يخرج موسى و قومه من أرض مصر و فلسطين و الأردنّ. و قيل: بأن يقتلهم فأغرقناه و جنوده.[۱]

[۱۰٤] «وَ قُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً».

«و قلنا» من بعد هلاكه. «الأرض»: أرض مصر و الشام. «وعد الآخرة»: يوم القيامة. «جئنا بكم لفيفاً»؛ أي: جئنا بكم من القبور إلى الموقف للحساب مختلطين التفّ بعضكم ببعض لاتتعارفون. و قيل: لفيفاً؛ أي: جميعاً أوّلكم و آخركم.[۲]

«لفيفاً»؛ أي: مختلطين إيّاهم ثمّ نحكم بينكم و نميز سعداءكم من أشقيائكم. و اللّفيف: الجماعات من قبائل شتّى.[۳]

[۱۰٥] «وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِيراً».

«و بالحقّ أنزلناه»؛ أي: ما أنزلنا القرآن إلّا متلبّساً بالحقّ المقتضي لإنزاله، و ما نزل إلّا متلبّساً بالحقّ الذي اشتمل عليه. و قيل: ما أنزلناه من السماء إلّا محفوظاً بالرصد من الملائكة، و ما نزل على الرسول إلّا محفوظاً بهم من تخليط الشياطين. و لعلّه أراد به نفي اعتراء البطلان له أوّل الأمر و آخره. «إلّا مبشّراً». فلا عليك إلّا التبشير و الإنذار.[٤]

[۱۰٦] «وَ قُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَ نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً».

«فرقناه». عن عليّ عليه السلام و ابن عبّاس بالتشديد.[٥]

«فرقناه»: أنزلناه مفرّقاً منجّماً. و قيل: فرقنا فيه الحقّ من الباطل. فحذف الجارّ. و قرئ بالتشديد لكثرة نجومه. فإنّه نزل في تضاعيف عشرين سنة. «على مكث»؛ أي: على مهل و

۱ـ مجمع البيان ٦ / ٦٨٥.
۲ـ مجمع البيان ٦ / ٦٨٦.
۳ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ٥٨٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ۱ / ٥٨٤.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٦٨٦.

تؤدّة. فإنّه أيسر للحفظ و أعون في الفهم. «و نزّلناه» على حسب الحوادث.[١]

[١٠٧] «قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً».

«آمنوا به أو لاتؤمنوا». فإنّ إيمانكم بالقرآن لايزيده كمالاً، و امتناعكم عنه لايورثه نقصاناً. و قوله: «إنّ الذين أوتوا العلم» تعليل له. أي: إن لم تؤمنوا به، فقد آمن به من هو خير منكم؛ و هم العلماء الذين قرؤوا الكتب السابقة و عرفوا حقيقة الوحي و أمارات النبوّة و تمكّنوا من التمييز بين الحقّ و المبطل أو رأوا نعتك و صفة ما أنزل إليك في الكتب. و يجوز أن يكون تعليلاً نقل على سبيل التسلية؛ كأنّه قيل: تسلّ بإيمان العلماء عن إيمان الجهلة و لاتكترث بإيمانهم و إعراضهم. «يخرّون للأذقان»؛ أي: يسقطون على وجوههم تعظيماً لأمر الله أو شكراً لإنجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمّد ﷺ على فترة من الرسل و إنزال القرآن عليه.[٢]

[١٠٨] «وَ يَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً».

«سبحان ربّنا» عن خلف الوعد. «إنّه كان وعد ربّنا» كائناً لا محالة.[٣]

[١٠٩] «وَ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَ يَزِيدُهُمْ خُشُوعاً».

«و يخرّون للأذقان». كرّره لاختلاف الحال و السبب. فإنّ الأوّل للشكر و عند إنجاز الوعد و الثاني لما أثّر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله. و ذكر الذقن لأنّه أوّل ما يلقى الأرض من وجوه الساجدين. و اللّام فيها لاختصاص الخرور بها. «و يزيدهم» سماع القرآن «خشوعاً» لما يزيدهم يقيناً و علماً.[٤]

١ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٨٤.

٢ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٨٤ ـ ٥٨٥.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٨٥.

٤ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٨٥.

«للأذقان». سئل أبو عبدالله عليه السلام عمّن بجبهته علّة لايقدر على السجود عليها. قال: يضع ذقنه على الأرض. إنّ الله يقول: «و يخرّون للأذقان».(١)

«يبكون». قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ عين باكية يوم القيامة إلّا ثلاثة أعين: عين بكت من خشية الله، و عين غضّت عن محارم الله، و عين باتت ساهرة في سبيل الله.(٢)

[١١٠] «قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنىٰ وَ لَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَ لَا تُخَافِتْ بِهَا وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلاً».

«قل ادعوا الله». نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا الله يا رحمن، فقالوا: إنّه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر. أو قالت اليهود: إنّك لتقلّ ذكر الرحمن و قد أكثره الله في التوراة. فالمراد على الأوّل هو التسوية بين اللّفظين بأنّهما مطلقان على ذات واحدة و إن اختلف اعتبار إطلاقهما، و التوحيد إنّما هو للذات الذي هو المعبود. و على الثاني أنّهما سيّان في حسن الإطلاق و الإفضاء إلى المقصود؛ لقوله: «أيّاً ما تدعوا».(٣)

«أيّاً ما تدعوا». الدعاء بمعنى التسمية لا النداء و يتعدّى إلى مفعولين. تقول: دعوته زيداً. ثمّ يترك أحدهما استغناء عنه فيقال: دعوت زيداً. و الله و الرحمن المراد بهما الاسم لا المسمّى و أو للتخيير. أي: سمّوه بهذا أو بهذا. [و] التنوين [في «أيّاً»] عوض عن المضاف إليه. و «ما» زائدة. أي: أيّ هذين الاسمين سمّيتم و ذكرتم، «فله الأسماء الحسنى» لأنّه إذا حسنت أسماؤه كلّها، حسن هذان الاسمان، لأنّهما منها. و معنى كونها أحسن الأسماء أنّها مستقلّة بمعاني التحميد و التقديس و التعظيم. «بصلاتك»: بقراءة صلاتك. و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يرفع صوته بقراءته، فإذا سمعها [المشركون] لغوا و سبّوا، فأمر بأن يخفض من صوته. و المعنى: لاتجهر حتّى [تسمع المشركين. «و لاتخافت» حتّى] لاتسمع من خلفك. «و ابتغ بين ذلك سبيلاً» وسطاً.(٤)

١ـ الكافي ٣ / ٣٣٤، ح ٦.

٢ـ الخصال ١ / ٩٨.

٣ـ تفسير البيضاويّ ١ / ٥٨٥.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٧٠٠.

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «و لاتجهر بصلاتك و لاتخافت بها» قال: الإجهار أن ترفع صوتك تسمعه من بعد عنك و [الإخفات أن] لاتسمع من معك إلّا يسيراً. رواه عليّ بن إبراهيم في التفسير.[١]

و روى الثقة العيّاشيّ في تفسيره عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «و لاتجهر» ـ الآية ـ قال: نسختها: «فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين».[٢]

و روي أيضاً عنه عليه السلام في قوله: «و لاتجهر بصلاتك و لاتخافت بها»: فإنّه يقول: و لاتكتم ذلك عليّاً. يقول: أعلمه ما أكرمته [به]. فأمّا قوله: «و ابتغ بين ذلك سبيلاً» [يقول:] تسألني أن آذن لك أن تجهر بأمر عليّ بولايته. فأذن له بإظهار ذلك يوم غدير خمّ. فهو قوله يومئذ: اللّهمّ من كنت مولاه فعليّ مولاه.[٣]

[١١١] «وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَ كَبِّرْهُ تَكْبِيراً».

و قال الثقة عليّ بن إبراهيم: «وليّ من الذلّ»؛ أي: لم يذلّ فيحتاج إلى وليّ ينصره.[٤] و قوله: «و كبّره تكبيراً»؛ أي: عظّمه تعظيماً و نزّهه تنزيهاً عمّا لايليق بجلال شأنه. أو: قل: الله اكبر. معناه: أكبر من أن يوصف.

«وليّ من الذلّ»: ناصر من الذلّ و مانع له منه لاعتزازه به. أو: لم يوال أحداً من أجل مذلّة به ليدفعها بموالاته. فإن قلت: كيف لاق وصفه بنفي الولد و الشريك و الذلّ بكلمة التحميد؟ قلت: لأنّ من هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كلّ نعمة و هو الذي يستحقّ جنس الحمد. و كان النبيّ صلى الله عليه و آله إذا أفصح الغلام من بني عبدالمطّلب، علّمه هذه الآية.[٥]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٠.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣١٩، ح ١٧٨.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣١٩ ـ ٣٢٠، ح ١٨٠.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٠.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٧٠١.

۱۸.
سورة الكهف

عن النبيّ صلى الله عليه و آله: من قرأ سورة الكهف، فهو معصوم ثمانية أيّام من كلّ فتنة. فإن خرج الدجّال في [تلك] الثمانية أيّام، عصمه الله من فتنة الدجّال.(۱)

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة الكهف كلّ ليلة جمعة، لم يمت إلّا شهيداً و يبعثه الله مع الشهداء.(۲)

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة الكهف في كلّ ليلة جمعة، كانت كفّارة ما بين الجمعة إلى الجمعة.(۳)

[۱ ـ ۲] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً * قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَ يُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً».

«قيّماً». نصب على الحال من «الكتاب». و العامل فيه «أنزل».(٤)

«الكتاب»؛ أي: القرآن. «عوجاً قيّماً». فيه تقديم و تأخير. أي: الذي أنزل على عبده الكتاب قيّماً؛ أي: معتدلاً مستقيماً لا تناقض فيه. و قيل: قيّماً على سائر الكتب المتقدّمة يصدّقها و ينفي الباطل عنها. و قيل: قيّماً لأمور الدين يلزم الرجوع إليه فيها، فهو كقيّم الدار

۱ـ مجمع البيان ٦ / ٦٩٠.
۲ـ ثواب الأعمال / ١٣٤.
۳ـ الكافي ۳ / ٤٢٩، ح ۷.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٦٩٢.

الذي يرجع إليه في أمرها. و قيل: قيّماً دائماً يدوم و يثبت إلى يوم القيامة. «و لم يجعل له عوجاً»؛ أي: لم يجعله ملتبساً لا يفهم. أو: لم يجعل فيه اختلافاً. كما قال: «و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً».[١]

«لينذر»؛ أي: ليخوّف ذلك العبد الناس عذاباً شديداً من عند الله تعالى إن لم يؤمنوا. «لدنه». أبوبكر بإشمام الدال الضمّ و كسر الهاء و النون.[٢]

«عوجاً». و فائدة الجمع بين نفي العوج و إثبات الاستقامة التأكيد. إذ ربّ مستقيم مشهود له بالاستقامة لا يخلو من أدنى عوج عند السير و التصفّح.[٣]

[٣] «مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً».

«ماكثين فيه»؛ أي: خالدين في ذلك الثواب.[٤]

[٤] «وَ يُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً».

«اتّخذ الله ولداً»؛ أي: الملائكة بنات الله. و هم قريش. و قيل: هم اليهود و النصارى. و قيل: إنّ الآية الأولى عامّة للكفّار. و هذه خاصّة بأهل هذه المقالة لتقليدهم الآباء في ذلك و لصدّهم الناس عن الدين.[٥]

[٥] «مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَ لَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً».

«ما لهم به من علم و لا لآبائهم». و إنّما قالوا ذلك هم و آباؤهم عن جهل و تقليد من غير حجّة. و قيل: معناه: ليس لهم بالله من علم.[٦]

«ما لهم به من علم». لأنّه ليس ممّا يعلم لاستحالته. «كبرت كلمة». بالنصب على

١ـ النساء (٤) / ٨٢.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٩٣ و ٦٩١.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٧٠٢.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٦٩٤.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٦٩٤.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٦٩٤.

التميز. و فيه معنى التعجّب. أي: ما أكبرها كلمة. «تخرج من أفواههم». صفة الكلمة تفيد استعظاماً لاجترائهم على النطق بها. فإنّ كثيراً ممّا يوسوسه الشيطان في قلوب الناس لايتمالكون أن يتفوّهوا به، فكيف بمثل هذا المنكر. و الضمير في كبرت راجع إلى قولهم: «اتّخذ الله ولداً».(١)

[٦] «فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً».

«باخع نفسك»؛ أي: قاتلها و مهلكها. شبّهه و إيّاهم ـ حين تولّوا عن الإيمان به و ما تداخله من الأسف على تولّيهم ـ برجل فارقه أحبّته فهو يتساقط حسرات على آثارهم و يهلك نفسه وجداً عليهم. «أن لم يؤمنوا»(٢): لأن لم يؤمنوا. «بهذا الحديث»؛ أي: بالقرآن. «أسفاً». مفعول له. أي: لفرط الحزن.(٣)

«على آثارهم إن لم يؤمنوا»؛ أي: بإدبارهم عنك. و قيل: «على آثارهم»؛ أي: بعد موتهم لشدّة شفقتك عليهم.(٤)

[٧] «إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً».

«إنّا جعلنا». بيّن سبحانه ابتداء خلقه بالنعم و أنّ إليه مصير الأمم. «ما على الأرض» من الأنهار و الأشجار و أنواع المخلوقات زينة للأرض و لأهلها لنختبرهم أيّهم الأعمل بطاعة الله و الأطوع له. و قيل: أراد بالزينة الأنبياء و العلماء.(٥)

[٨] «وَ إِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً».

«و إنّا لجاعلون ما عليها»؛ أي: إنّا مخربون الأرض بعد عمارتها و جاعلون ما عليها مستوياً من الأرض يابساً لا نبات عليه. و الصعيد: وجه الأرض. و الجرز: الأرض التي

١ـ الكشّاف ٢ / ٧٠٣.
٢ـ و قرئ: «أن» بالفتح. (تفسير البيضاويّ ٢ / ٤)
٣ـ الكشّاف ٢ / ٧٠٣ ـ ٧٠٤.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٦٩٤.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٦٩٥.

لاتنبت.[١]

[٩] «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً».

«أم حسبت». يعني أنّ تزيين الأرض بما خلق الله فوقها من الأجناس التي لا حصر لها و إزالة ذلك كلّه، أعجب من قصّة أصحاب الكهف و إبقاء حياتهم مدّة طويلة. و الرقيم اسم كلبهم. قيل: مكانهم بين عصبان[٢] و أيلة دون فلسطين.[٣]

«أم حسبت أنّ أصحاب الكهف» ـ الآية. يقول: قد آتيناك من الآيات ما هو أعجب منه؛ و هم فتية كانوا في الفترة بين عيسى عليه السلام و محمّد صلى الله عليه وآله. وأمّا الرقيم، فهما لوحان من نحاس مرقوم مكتوب فيها أمر الفتية و أمر إسلامهم و ما أراد منهم دقيانوس الملك. و عن أبي عبدالله عليه السلام: كان سبب نزول سورة الكهف أنّ قريشاً بعثوا ثلاثة نفر إلى نجران ليتعلّموا من اليهود و النصارى مسائل يسألونها رسول الله صلى الله عليه وآله. فخرجوا إلى نجران و سألوهم، فقالوا: سلوه عن ثلاث مسائل. فإن أجابكم فيها على ما عندنا، فهو صادق. ثمّ سلوه عن مسألة واحدة. فإن ادّعى علمها، فهو كاذب. سلوه عن فتية كانوا في الزمن الأوّل، فخرجوا و غابوا و ناموا: كم بقوا في نومهم حتّى انتبهوا؟ و كم كان عددهم؟ و ما كان قصّتهم؟ و ما كان معهم من غيرهم؟ و اسألوه عن موسى حين أمره الله أن يتّبع العالم و يتعلّم منه و كيف تبعه و ما كان قصّته معه. و اسألوه عن طائف طاف مغرب الشمس و مطلعها حتّى بلغ سدّ يأجوج و مأجوج من هو و كيف كان قصّته. ثمّ أملوا عليهم أخبار هذه الثلاث المسائل و قالوا لهم: إن أجابكم بما قد أملينا عليكم، فهو صادق. قالوا: المسألة الرابعة؟ قالوا: سلوه: متى تقوم الساعة؟ فإن ادّعى علمها، فهو كاذب. فرجعوا إلى مكّة و اجتمعوا إلى أبي طالب و قالوا: إنّ ابن أخيك يزعم أنّ خبر السماء يأتيه. و نحن نسأله عن مسائل. فإن أجابنا عنها، فهو صادق. فسألوه عن الثلاث المسائل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: غداً أخبركم. و لم يستثن فاحتبس الوحي عليه أربعين

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٩٥.
٢ـ المصدر: غضبان.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٧٠٤ ـ ٧٠٥.

يوماً؛ حتّى اغتمّ النبيّ و شكّ المؤمنون و فرحت قريش و استهزؤوا و حزن أبوطالب. فلمّا كان بعد أربعين يوماً، نزل عليه سورة الكهف فأنزل الله: «أم حسبت» ـ الآيات و القصّة. فقال الصادقعليه السلام: إنّ أصحاب الكهف و الرقيم كانوا في زمن ملك جبّار عات؛ و كان يدعو أهل مملكته إلى عبادة الأصنام، فمن لم يجبه قتله. و كان هؤلاء قوماً [مؤمنين] يعبدون [الله عزّ و جلّ]. و كان للملك بباب المدينة وكلاء و لم يدع أحداً يخرج حتّى يسجد للأصنام. فخرج هؤلاء بعلّة الصيد. و ذلك أنّهم مرّوا براع في طريقهم فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم، و كان مع الراعي كلب فأجابهم الكلب فخرج معهم. و خرج أصحاب الكهف من المدينة بعلّة الصيد هرباً من دين ذلك الملك. فلمّا أمسوا دخلوا إلى ذلك الكهف فألقى الله عزّ و جلّ عليهم النعاس حتّى أهلك الله الملك و أهل مملكته و جاء زمن آخر و قوم آخرون. ثمّ انتبهوا فقال بعضهم لبعض: كم نمنا هاهنا؟ فنظروا إلى الشمس قد ارتفعت فقالوا: نمنا يوماً أو بعض يوم.(١)

عن المنهال بن عمر قال: و الله أنا رأيت رأس الحسينعليه السلام حين حمل و أنا بدمشق و بين يديه رجل يقرأ الكهف حتّى بلغ قوله: «أم حسبت» ـ الآية ـ فأنطق الله الرأس بلسان ذرب طلق قال: أعجب من أصحاب الكهف حملي و قتلي.(٢)

عن أبي عبداللهعليه السلام في قوله: «أم حسبت أنّ أصحاب» ـ الآية ـ قال: هم قوم فرّوا و كتب ملك ذلك الزمان بأسمائهم و أسماء آبائهم و عشائرهم في صحف من رصاص. فهو قوله: «أنّ أصحاب الكهف» ـ الآية.(٣)

«أم حسبت». معناه: بل أحسبت يا محمّد؟ «من آياتنا عجباً»؛ أي: إنّ خلق السموات و الأرض أعجب من هذا. و يحتمل أنّه لمّا استبطأ الجواب حين سألوه عن القصّة قيل له: أم حسبت أنّ هذا شيء عجيب حرصاً على إيمانهم حتّى قوي طمعك أنّك إذا أخبرتهم آمنوا؟

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣١ ـ ٣٣.
٢ـ الخرائج ٢ / ٥٧٧.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣٢١، ح ٥.

و المراد بالكهف كهف الجبل؛ و هو الغار الذي أوى إليه القوم. «و الرقيم». قيل: إنّه اسم الوادي الذي كان فيه الكهف. و قيل: إنّه اسم الجبل نفسه. و قيل: هو القرية التي خرج منها أصحاب الكهف. و قيل: لوح من حجارة كتبوا فيه قصّة أصحاب الكهف ثمّ وضعوه على باب الكهف.(١)

[١٠] «إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً».

«إذ»؛ أي: اذكر لقومك إذ أوى.(٢)

«الفتية». يعني [فتية] من أشراف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فهربوا إلى الكهف. «و هيّئ لنا من أمرنا» و هو مفارقة الكفّار [«رشداً»] نصير بسببه راشدين.(٣)

«من لدنك رحمة» توجب المغفرة و الأمن من العدوّ.(٤)

[١١] «فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً».

عن الباقرعليه السلام عوذة للصبيّ إذا كثر بكاؤه و لمن يفزع باللّيل و للمرأة إذا سهرت من وجع: «فضربنا على آذانهم» إلى قوله: «أمداً».(٥)

«فضربنا»؛ أي: ضربنا عليها حجاباً يمنع السماع. أي: أنمناهم إنامة لاتنبّههم فيها الأصوات. فحذف المفعول كما حذف في قولهم: بنى على امرأته، أي القبّة. «في الكهف سنين». ظرفان لضربنا. «عدداً»؛ أي: ذوات عدد. و وصف سنين به يحتمل التكثير و التقليل. فإنّ مدّة لبثهم كبعض يوم عنده.(٦)

[١٢] «ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَداً».

١ـ مجمع البيان ٦ / ٦٩٧.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٦٩٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٧٠٥.
٥ـ طبّ الأئمّة / ٣٦.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥، و الكشّاف ٢ / ٧٠٥.

«ثمّ بعثناهم»؛ أي: أيقظناهم. «لنعلم»؛ أي: ليتعلّق علمنا تعلّقاً حاليّاً مطابقاً لتعلّقه استقباليّاً.(١)

«أيّ» يتضمّن معنى الاستفهام، فعلّق عنه «لنعلم» فلم يعمل فيه. «أيّ الحزبين» المختلفين منهم في مدّة لبثهم. لأنّهم لمّا انتبهوا اختلفوا في ذلك. كما قال سبحانه: «قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربّكم أعلم بما لبثتم».(٢) و كأنّ الذين قالوا ربّكم أعلم، هم الذين علموا أنّ لبثهم قد تطاول. [أو:] أيّ الحزبين المختلفين من غيرهم. «أحصى». فعل ماض. أي: أيّهم ضبط «أمداً» لأوقات لبثهم. فإن قلت: كيف جعل الله العلم بإحصائهم المدّة غرضاً في الضرب على آذانهم؟ قلت: الله عزّوجلّ لم يزل عالماً بذلك. و إنّما أراد ما تعلّق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيماناً و اعتباراً و يكون لطفاً لمؤمني زمانهم و آية بيّنة لكفّاره.(٣)

[١٣] «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنَاهُمْ هُدًى».

«فتية»: شبّان. جمع فتًى. كصبيّ [و صبية].(٤)

«زدناهم». عن أبي عبدالله عليه السلام: فيه دلالة على زيادة الإيمان.(٥)

«هدًى» بالتوفيق و التثبيت.(٦)

روى أبومخنف عن الشعبيّ أنّه صلب رأس الحسين عليه السلام بالصياف في الكوفة، فتنحنح الرأس و قرأ سورة الكهف إلى قوله: «و زدناهم هدًى». و سمع أيضاً يقرأ «أنّ أصحاب الكهف و الرقيم» إلى: «عجباً».(٧)

«فتية». حكم لهم سبحانه بالفتوّة، لأنّ رأس الفتوّة الإيمان. و قيل: الفتوّة بذل الندى و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥.
٢ـ الكهف (١٨) / ١٩.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٧٠٥ ـ ٧٠٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥.
٥ـ الكافي ٢ / ٣٧.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٧٠٧.
٧ـ مناقب آل أبي طالب ٤ / ٦١.

ترك الشكوى. و قيل: هو اجتناب المحارم و استعمال المكارم.(١)

«فتية». عن النهديّ قال: قال لي جعفر بن محمّد عليه السلام: من الفتى؟ قلت: جعلت فداك؛ الفتى عندنا الشابّ. قال لي: أماعلمت أنّ أصحاب الكهف كانوا كهولاً فسمّاهم الله فتية بإيمانهم. يا سليمان، من آمن بالله و اتّقى، هو الفتى.(٢)

[١٤] «وَ رَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلٰهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً».

«و ربطنا على قلوبهم»: قوّيناها بالصبر على هجرة الأوطان و النعيم و الفرار بالدين و جسّرناهم على القيام بكلمة الحقّ و التظاهر بالإسلام. «إذ قاموا» بين يدي الجبّار دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم «فقالوا ربّنا ربّ السموات و الأرض». «شططاً»: قولاً ذا شطط؛ و هو الإفراط في الظلم أو الإبعاد فيه.(٣)

[١٥] «هٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً».

«هؤلاء». مبتدأ، و «قومنا» عطف بيان، و «اتّخذوا» خبره. و هو إخبار في معنى إنكار.(٤)

«لولا يأتون عليهم»؛ أي: هلّا يأتون على عبادتهم. فحذف المضاف. «بسلطان مبين»: ببرهان ظاهر. و هو تبكيت. لأنّ الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال.(٥)

«قومنا»: أهل بلدنا.(٦)

[١٦] «وَ إِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٠٠.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣٢٣، ح ١١.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٧٠٧.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٧٠٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥.

٥ـ الكشّاف ٢ / ٧٠٧.

٦ـ مجمع البيان ٦ / ٧٠٠.

رَحْمَتِهِ وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً».

«و إذ اعتزلتموهم». خطاب من بعضهم لبعض حين صمّمت عزيمتهم على الفرار بدينهم. «و ما يعبدون». عطف على الضمير المنصوب. أي: و إذ اعتزلتموا القوم و معبوديهم «إلّا الله». فإنّهم كانوا يعبدون الأصنام كأهل مكّة. و يجوز أن يكون ما مصدريّة ـ أي: و إذ اعتزلتموهم و عبادتهم إلّا عبادة الله ـ و أن يكون نافية على أنّه إخبار من الله عن الفئة بالتوحيد معترض بين إذ و جوابه لتحقيق اعتزالهم. «ينشر لكم»؛أي: يبسط الرزق لكم و يوسّع عليكم «من رحمته» في الدارين.(١)

«يهيّئ»؛ أي: يسهّل عليكم ما تخافون من الملك و ظلمه و يأتيكم باليسر و اللّطف و الرفق. و قيل: معناه: و يصلح لكم من أمر معاشكم ما ترتفقون به. «مرفقاً». أهل المدينة و ابن عامر بفتح الميم و كسر الفاء.(٢)

[١٧] «وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ إِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَ هُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً».

«و ترى الشمس»؛ أي: لو رأيتها لرأيت. «ذات اليمين»؛ أي: تميل وقت طلوعها عن كهفهم إلى جهة اليمين. «تقرضهم»؛ أي: تعدل عنهم و تتركهم. «ذات الشمال»؛ أي: جهة شمال الكهف. [«و هم في فجوة منه»؛ أي: في متّسع من الكهف. و قيل: كان متّسعاً داخل الكهف بحيث] لايراه من كان ببابه و ينالهم نسيم الريح. و كان الكهف مستقبل بنات النعش تميل عنهم الشمس طالعة و غاربة لايؤذيهم حرّها. و كان باب الغار مقابل القطب الشماليّ. «آيات الله»؛ أي: براهينه. «تزاور». قرأ ابن عامر: «تزوّر» بتشديد الراء أي: تنقبض. «من يهد الله». مثل أصحاب الكهف. «و من يضلل». مثل قومهم.(٣)

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦، و الكشّاف ٢ / ٧٠٧. ٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٠١ و ٦٩٩.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٠٣ و ٧٠١.

«في فجوة»؛أي: في متّسع من الكهف يعني وسطه بحيث لا يؤذيهم حرّ الشمس. و ذلك لأنّ باب الكهف في مقابلة بنات النعش و أقرب المشارق و المغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان و مغربه و الشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن و هو الذي يلي المغرب و تغرب محاذيه لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جنبيه و تحلّل عفونته و تعدل هواه و لا يقع عليهم.[١]

«ذلك من آيات الله»؛ أي: ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس و قرضها طالعة و غاربة، آية من آيات الله. يعني أنّ ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس و لا تصيبهم اختصاصاً [لهم] بالكرامة. و قيل: باب الكهف شماليّ مستقبل لبنات نعش فهم في مقنأة أبداً. و معنى «ذلك من آيات الله» أنّ شأنهم و حديثهم من آيات الله. «من يهد الله». لأنّهم جاهدوا في الله فلطف بهم و أعانهم. و من تعرّض للخذلان، فلن تجد من يرشده بعد خذلان الله.[٢]

[١٨] «وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ وَ نُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ الشِّمَالِ وَ كَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً».

«أيقاظاً» لأنّهم مفتّحة العيون يتنفّسون [كأنّهم] يريدون أن يتكلّموا و ينقلبون كما ينقلب اليقظان. «و نقلّبهم ذات اليمين و ذات الشمال»؛ أي: تارة عن اليمين إلى الشمال و تارة عن الشمال إلى اليمين. لأنّهم لو لم ينقلبوا لأكلتهم الأرض. و قيل: كانوا ينقلبون في كلّ عام مرّتين أو مرّة. «و كلبهم». عن أكثر المفسّرين: انّهم مرّوا [براع معه كلب فتبعهم على دينهم و تبعه كلبه. و قيل: إنّهم مرّوا] بكلب فتبعهم فطردوه مراراً. فقال لهم: ما تريدون منّي؟ لا تخشوا خيانتي. فأنا أحبّ أولياء الله. فناموا حتى أحرسكم. و قيل: كان ذلك كلب صيدهم و كان أصفر اللّون و اسمه قطمير. و لبث ذلك الكلب ثلاثمائة و تسع سنين بغير طعام و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٧٠٨.

لاشراب و لا نوم و لا قيام. «باسط ذراعيه بالوصيد»: فناء الكهف. و قيل: فناء الفجوة لا بباب الكهف. لأنّ الكفّار خرجوا إلى باب الكهف في طلبهم ثمّ انصرفوا، و لو رأوا الكلب على باب الغار، لدخلوه. و كذلك لو كان بالقرب من الباب. و لمّا انصرفوا سدّوا باب الغار بالحجارة. فجاء رجل بماشيته إلى باب الغار و أخرج الحجارة و اتّخذ لماشيته كنّاً عند باب الغار و هم كانوا في فجوة من الغار. و قيل: الوصيد عتبة البيت. «لو اطّلعت عليهم»؛ أي: لو رأيتهم، لفررت منهم هرباً لاستيحاشك الموضع. «و لملئت»؛ أي: ملئ قلبك خوفاً و فزعاً. لأنّ الله منعهم بالرعب لئلّايصل إليهم أحد حتّى يبلغ الكتاب أجله فيهم. و قيل: كانوا في مكان موحش من رآه فزع. و لايمتنع أنّ الكفّار لمّا أتوا باب الكهف، فزعوا من وحشة المكان فسدّوا باب الكهف ليهلكوا فيه و جعل سبحانه ذلك لطفاً لهم لئلّاينالهم مكروه من سبع و غيره. و عن ابن‌عبّاس قال: غزوت مع معاوية نحو الروم، فمرّوا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف. فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم. فقلت له: قد منع من ذلك من هو خير منك. قال الله: «لو اطّلعت عليهم». فقال معاوية: لاأنتهي حتى أعلم علمهم. فبعث رجالاً. فلمّا دخلوا الكهف، أرسل [الله] عليهم ريحاً أخرجتهم.[١]

«رعباً». عن أبي‌جعفر عليه السلام: لم‌يعن به النبيّ صلى الله عليه و آله. و إنّما عنى به المؤمنين بعضهم لبعض.[٢]

«لملئت». قرأ الحجازيّان بالتشديد للمبالغة. ابن‌عامر: «رعباً» بالتثقيل.[٣]

[١٩] «وَ كَذٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَائَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكىٰ طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَ لْيَتَلَطَّفْ وَ لَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً».

«و كذلك بعثناهم»؛ أي: كما أنمناهم تلك النومة، أحييناهم ادّكاراً بقدرته على الإنامة و

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٠٣ ـ ٧٠٤.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣٢٤.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٧.

البعث جميعاً، ليسأل بعضهم بعضاً و يعرفوا حالهم و ما صنع الله بهم فيعتبروا و يستدلّوا على عظم قدرة الله و يزدادوا يقيناً و يشكروا ما أنعم به عليهم و كرّموا [به]. «كم لبثتم»؛ أي: كم لبثتم يوماً؟ قال المفسّرون: إنّهم دخلوا الكهف غدوة و بعثهم الله في آخر النهار. فلذلك قالوا: «يوماً». فلمّا رأوا الشمس قالوا: «أو بعض يوم». لأنّه قد بقي من النهار بقيّة. «قالوا ربّكم أعلم». ذلك القائل تمليخا رئيسهم. «بورقكم». و هو الدراهم. و كان معهم دراهم عليها صورة دقيانوس. «إلى المدينة». و اسمها طرسوس. «أزكى طعاماً»؛ أي: أطهر و أحلّ ذبيحة. لأنّ عامّتهم كانوا مجوساً و فيهم قوم مؤمنون يخفون إيمانهم. «برزق منه»؛ أي: ممّا ترزقون أكله. «و ليتلطّف»؛ أي: يرفق النظر و يتحيّل حتّى لايطّلع عليه أحد. و قيل: لايماكس البائع و لاينازعه. «و لايشعرنّ»؛ أي: لايخبرن أحداً بكم و بمكانكم.[١]

«أزكى». عن أبي عبدالله عليه السلام: «أزكى طعاماً» التمر.[٢] عن أبي عبدالله عليه السلام: قد رجع إلى الدنيا ممّن مات خلق كثير. منهم أصحاب الكهف؛ أماتهم الله ثلاثمائة عام ثمّ بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث لتنقطع حجّتهم و ليعلموا أنّ البعث حقّ.[٣]

«فابعثوا»؛ أي: إذا كان علمه عند الله، فخذوا في أمر أهمّ منه.[٤]

«بورقكم». قرأ أبوعمرو و أبوبكر ساكنة الراء لغة فيه. و عن أبي عمرو بإدغام القاف في الكاف لكنّه على غير حدّه.[٥]

[٢٠] «إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَ لَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً».

«إن يظهروا»: يعلموا بمكانكم. «يرجموكم»: يقتلونكم بالرجم كما كانت عادتهم.[٦]

١ـ الكشّاف ٢ / ٧٠٩ ـ ٧١٠، و مجمع البيان ٦ / ٧٠٥ ـ ٧٠٦.

٢ـ المحاسن / ٥٣١، ح ٧٧٩.

٣ـ بحارالأنوار ١٠ / ١٧٥.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٧١٠.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٧٠٥، و الكشّاف ٢ / ٧١٠.

٦ـ مجمع البيان ٦ / ٧٠٦.

«أو يعيدوكم»؛ أي: يدخلوكم في ملّتهم بالإكراه العنيف و يصيّروكم إليها. و العود في معنى الصيرورة أكثر شيء في كلامهم. يقولون: ما عدت أفعل كذا، يريدون ابتداء الفعل. و قيل: كانوا أوّلاً على دينهم. «و لن تفلحوا» إذ دخلتم في دينهم. و متى قيل: من أكره على الكفر فأظهره فإنّه مفلح، فالجواب: يجوز أن يكون أراد: يعيدوكم إلى دينهم بالاستدعاء دون الإكراه. و يجوز أن يكون ذلك الوقت كان لايجوز التقيّة في إظهار الكفر.[١]

[٢١] «وَ كَذٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَ أَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً».

«و كذلك أعثرنا»؛ أي: كما أنمناهم و بعثناهم لما في ذلك من الحكمة، أطلعنا عليهم ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم «أنّ وعد الله حقّ» و هو البعث. لأنّ حالهم في نومتهم و انتباههم بعدها كحال من يموت ثمّ يبعث. «إذ يتنازعون». متعلّق بأعثرنا. أي: أعثرناهم حين يتنازعون بينهم أمر البعث فكان بعضهم يقول تبعث الأرواح دون الأجساد و بعضهم يقول تبعث الأرواح و الأجساد، ليرتفع الخلاف و ليظهر أنّ الأجساد تبعث فيها أرواحها. «فقالوا». حين توفّى الله أصحاب الكهف، قال المشركون: استروهم من الناس بأن تجعلوهم وراء ذلك البنيان. «ربّهم أعلم بهم»: أعلم بهم أهم أحياء نيام أم أموات. فقد قيل: إنّهم ماتوا. و قيل: إنّهم لايموتون إلى يوم القيامة. «الذين غلبوا على أمرهم» من المسلمين و ملكهم و كانوا أولى بهم و بالبناء عليهم. «و لنتّخذنّ» على باب الكهف مسجداً يصلّي فيه المسلمون و يتبرّكون بمكانهم. و دلّ ذلك على أنّ الغلبة كانت للمؤمنين.[٢]

[٢٢] «سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَ

١ـ الكشّاف ٢ / ٧١١، و مجمع البيان ٦ / ٧٠٦، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٧.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٧١١، و مجمع البيان ٦ / ٧٠٩ ـ ٧١٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٧ ـ ٨.

يَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً وَ لَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً».

«سيقولون». أدخل الآخرين في حكم السين؛ كما تقول: قد أكرم و أنعم، تريد معنى التوقّع في الفعلين جميعاً. «سيقولون». الضمير لمن خاض في قصّتهم في زمن الرسول ﷺ من أهل الكتاب و المؤمنين، سألوا رسول الله ﷺ عنهم، فأخّر الجواب انتظاراً للوحي، فنزلت إخباراً بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم و أنّ المصيب منهم من يقول: سبعة و ثامنهم كلبهم. قال ابن عبّاس: أنا من ذلك القليل. و روي أن السيّد و العاقب و أصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبيّ فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقال السيّد ـ و كان يعقوبيّاً ـ: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم. و قال العاقب ـ و كان نسطوريّاً ـ: كانوا خمسة سادسهم كلبهم. و قال المسلمون: كانوا سبعة و ثامنهم كلبهم. فإن قلت: فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة و [لم] أدخلت عليها دون الأوّلتين؟ قلت: هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في مررت بزيد و بيده سيف، و فائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف و الدلالة على أنّ اتّصافه بها أمر ثابت مستقرّ. و هذه الواو هي التي آذنت بأنّ الذين قالوا سبعة و ثامنهم كلبهم، قالوه عن ثبات علم و طمأنينة نفس و لم يرجموا بالظنّ كغيرهم. و الدليل عليه أنّ الله سبحانه أتبع القولين الأوّلين قوله: «رجماً بالغيب» و أتبع القول الثالث قوله: «و مايعلمهم إلّا قليل». قال ابن عبّاس: حين وقعت الواو، انقطعت العدّة. أي لم يبق بعدها عدّة عادّ يلتفت إليها و ثبت أنّهم سبعة على القطع. و قيل: إلّا قليل من أهل الكتاب. و الضمير في سيقولون على هذا لأهل الكتاب خاصّة.[١]

يظهر من تفسير عليّ بن إبراهيم[٢] أنّ القائلين هذه الأقوال هم ملك المدينة و أصحابه لمّا جاؤوا مع رسول أهل الكهف و تقدّم الرسول إلى أصحابه و طلبوا من الله أن يعيدهم إلى الحالة الأولى.

١ـ الكشّاف ٢ / ٧١٢ ـ ٧١٤.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٣.

«فلاتمار»؛ أي: لاتجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلّا جدالاً ظاهراً غير متعمّق فيه، و هو أن تقصّ عليهم ما أوحي إليك و لاتزيد، من غير تجهيل لهم و لا تعنيف بهم في الردّ عليهم. كما قال: «و جادلهم بالتي هي أحسن».(١) «و لاتستفت»: و لاتسأل أحداً منهم عن قصّتهم سؤال متعنّت له حتّى يقول شيئاً فتردّه عليه، لأنّ ذلك خلاف ما وصّيت به من المداراة و المجاملة، و لا سؤال مسترشد، لأنّ الله قد أرشدك بأن أوحى إليك قصّتهم.(٢)

[٢٣ ـ ٢٤] «وَ لَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَ قُلْ عَسىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هٰذَا رَشَداً».

«و لاتقولنّ»؛ أي: لاتقولنّ لأجل شيء تعزم عليه: «إنّي فاعل ذلك» الشيء «غداً»؛ أي: فيما يستقبل من الزمان. و لم يرد الغد خاصّة. «إلّا أن يشاء الله»: إلّا بأن يشاء الله؛ أي: إلّا بمشيّته. و هو في موضع الحال. يعني إلّا متلبّساً بمشيّة الله قائلاً: إن شاء الله. و هذا نهي تأديب من الله لنبيّه حين قالت اليهود لقريش: سلوه عن أصحاب الكهف، فقال: ائتوني غداً أخبركم، و لم يستثن، فأبطأ عليه الوحي حتّى شقّ عليه و كذّبته قريش. «واذكر ربّك»؛ أي: مشيّة ربّك و قل: إن شاء الله، إذا فرط منك نسيان لذلك. يعني إذا نسيت كلمة الاستثناء، ثمّ تنبّهت عليها فتداركها بالذكر. عن ابن‌عبّاس: و لو بعد سنة ما لم تحنث. و عن عامّة الفقهاء أنّه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولاً.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام «و اذكر ربّك إذا نسيت» قال: الاستثناء في اليمين متى ما ذكر و إن كان بعد أربعين يوماً.(٤)

«إذا نسيت». عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ آدم لمّا أسكنه الله الجنّة فقال له: لاتقرب هذه الشجرة، قال: نعم، و لم يستثن. فأمر الله نبيّه صلّى الله عليه و آله فقال: «و لاتقولنّ لشيء إنّي فاعل ذلك غداً

١ـ النحل (١٦) / ١٢٥.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٧١٤.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٧١٤ ـ ٧١٥.
٤ـ الكافي ٧ / ٤٤٨، ح ٦.

إلّا أن يشاء الله و اذكر ربّك إذا نسيت» و لو بعد سنة.(١)

«و اذكر ربّك إذا نسيت». يعني إذا نسيت الاستثناء ثمّ تذكّرت قل: إن شاء الله، و لو بعد سنة. عن ابن‌عبّاس. و قد روي عن أئمّتنا عليهم السلام. و يمكن أن يكون الوجه فيه أنّه إذا استثنى بعد النسيان فإنّه يحصل ثواب المستثني من غير أن يؤثّر الاستثناء بعد انفصال الكلام في إبطال الحنث و سقوط الكفّارة. و هو الأشبه بمراد ابن‌عبّاس في قوله. «و قل عسى»؛ أي: عسى ربّي أن يعطيني من الآيات و الدلالات على النبوّة ما يكون أقرب من الرشد و أدلّ من قصّة أصحاب الكهف. ثمّ إنّ الله فعل به ذلك حيث آتاه من علم غيوب أخبار المرسلين ما هو أوضح في الدلالة من خبر أصحاب الكهف.(٢)

[٢٥] «وَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً».

«ثلاثمائة سنين». أهل الكوفة [غير عاصم]: «ثلاثمائة سنين» مضافاً، و الباقون بالتنوين.(٣)

«سنين». عطف بيان لثلاثمائة. و وضع الجمع موضع الواحد على قراءة الإضافة.

[٢٦] «قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَ أَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً».

«و لا يشرك». ابن‌عامر: «و لا تشرك» بالتاء [مجزوماً] و الباقون بالرفع و الياء. «قل الله أعلم»؛ أي: إن حاجّك ـ يا محمّد ـ أهل الكتاب في ذلك، فقل: الله أعلم بما لبثوا. و ذلك أنّ أهل نجران قالوا: أمّا الثلاثمائة فقد عرفناها. و أمّا التسع، فلا علم لنا بها. أو يكون معنى «الله أعلم بما لبثوا» بعد بيان مدّة لبثهم، إبطال قول أهل الكتاب و اختلافهم في مدّة لبثهم. و تقديره: الله أعلم بمدّة لبثهم، و قد أخبر بها، فخذوا بما أخبر الله و دعوا قول أهل الكتاب. «له

١ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣٢٤، ح ١٥.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧١٢ ـ ٧١٣.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧١٣.

غيب السموات و الأرض»؛ أي: ما غاب فيهما عن إدراك العباد. «أبصر به و أسمع». لفظ التعجّب. أي: ما أبصره و أسمعه. روي أنّ يهودياً سأل أميرالمؤمنينعليه السلام عن مدّة لبثهم فأخبره بما في القرآن فقال: إنّا نجد في كتابنا ثلاثمائة. فقالعليه السلام: ذلك بسني الشمس و هذا بسني القمر. «ما لهم»؛ أي: ليس لأهل السموات و الأرض من ناصر ينصرهم. «و لا يشرك في حكمه أحداً»؛ أي: فلايجوز أن يحكم حاكم بغير ما حكم الله. و أما على القراءة الأخرى: و لاتشرك أنت أيّها الإنسان.[١]

[٢٧] «وَ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَ لَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً».

«و اتل ما أوحي إليك»؛ أي: اقرأ عليهم ما أوحي إليك من أخبار أصحاب الكهف و غيرهم. و قيل: معناه: اتّبع القرآن و اعمل به. «لا مبدّل»؛ أي: لا مغيّر لما أخبر الله به فيه. و معناه: لا مبدّل لحكم كلماته. «ملتحداً»؛ أي: ملجأ. يقال: لحد إلى كذا؛ أي: مال إليه.[٢]

«و اتل ما أوحي إليك» و لاتسمع لقولهم: «ائت بقرآن غير هذا أو بدّله»[٣].[٤]

[٢٨] «وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَ كَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً».

«و اصبر نفسك»؛ أي: احبسها مع الذين يداومون على الصلاة و الدعاء عند الصباح و المساء [يريدون] رضوان الله لا الرئاء و السمعة. «و لاتعد عيناك» بالنظر إلى غيرهم من أبناء الدنيا مريداً مجالسة أهل الشرف و الغنى. و كان حريصاً على إيمان العظماء من المشركين طمعاً في إيمان أتباعهم و لم يمل إلى الدنيا و زينتها قطّ و لا إلى أهلها [و إنّما كان

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧١٣و ٧١٥.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧١٥ ـ ٧١٦.

٣ـ يونس (١٠) / ١٥.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٩.

يلين في بعض الأحايين للرؤساء طمعاً في إيمانهم] فعوتب بهذه الآية و أمر ألّا يرفع بصره عن الفقراء مريداً مجالسة الأغنياء. نزلت في سلمان و أبي‌ذرّ و عمّار و غيرهم من فقراء أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله. و ذلك أنّ المؤلّفة قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ـ و هم عيينة بن حصين و نحوه ـ فقالوا: يا رسول الله، إن جلست في صدر المجلس و نحّيت عنّا هؤلاء و روائح صنانهم ـ و كانت عليهم جباب الصوف ـ جلسنا نحن إليك و أخذنا عنك. فلا يمنعنا من الدخول عليك إلّا هؤلاء. فلمّا نزلت الآية، قام النبيّ صلى الله عليه وآله يطلبهم. فوجدهم في مؤخّر المسجد يذكرون الله فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتّى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمّتي. معكم المحيا و معكم الممات. «و لا تطع من أغفلنا»؛ أي: من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا بتعرّضه للغفلة. و لهذا قال: «و اتّبع هواه». أو معناه: نسبنا قلبه إلى الغفلة. كما يقال: كفّره، إذا نسبه إلى الكفر. أو يكون معناه: انّا جعلنا قلبه غفلاً لم نسمه بسمة قلوب المؤمنين لتعرفه الملائكة بتلك السمة. تقول العرب: أغفل فلان ماشيته، إذا يسمها بسمة تعرف. «فرطاً»؛ أي: إفراطاً متجاوزاً عن الحدّ.(١)

«فرطاً»: تقدّماً على الحقّ و نبذاً له وراء ظهره. و منه الفرط.(٢)

[٢٩] «وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَ إِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَ سَاءَتْ مُرْتَفَقاً».

«و قل» لهؤلاء الذين أمروك بتنحية الفقراء: هذا الحقّ من ربّكم، يعني القرآن، أو الذي آتيتكم به الحقّ من ربّكم. و قيل: معناه: وضح الحق و زالت الشبهة. «فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر». هذا وعيد من الله. و لذلك عقّبه بقوله: «إنّا أعتدنا للظالمين»؛ أي: الكافرين الذين ظلموا أنفسهم. «سرادقها». السرادق: حائط من نار يحيط بهم. و قيل: هو دخان

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧١٧ ـ ٧١٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠.

النار و لهبها يصل إليهم. «و إن يستغيثوا» من شدّة العطش و حرّ النار.(١)

«قل الحقّ». عن أبي عبداللهعليه السلام قال: نزلت جبرئيلعليه السلام بهذه الآية هكذا: «و قل الحقّ من ربّكم في ولاية عليّعليه السلام فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر إنّا أعتدنا للظالمين آل محمّد جهنّم ناراً».(٢)

«كالمهل»؛ أي: كالحديد المذاب. و قيل: كدرديّ الزيت. «يشوي الوجوه» إذا قدم ليشرب من فرط حرارته. و هو صفة ثانية أو حال من المهل. «بئس الشراب» المهل. «و ساءت» النار متّكأ. و أصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخدّ. و هو لمقابلة قوله: «حسنت مرتفقاً» و إلّا فلا ارتفاق لأهل النار.(٣)

[٣٠] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً».

«إنّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات إنّا». خبر إنّ الأولى هي الثانية بما في حيّزها و الراجع محذوف. أي: من أحسن عملاً منهم.(٤)

[٣١] «أُولٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ يَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَ حَسُنَتْ مُرْتَفَقاً».

«أولئك لهم». استئناف لبيان الأجر. «من أساور من ذهب». من الأولى [للابتداء] و الثانية للبيان صفة الأساور. و تنكيره لتعظيم حسنها من الإحاطة به. «خضراً». لأنّ الخضرة أحسن الألوان و أكثرها طراوة. «من سندس و إستبرق»: لما رق من الديباج و ما غلظ منه. جمع بين النوعين للدلالة على أنّ فيها ما تشتهي الأنفس و تلذّ الأعين. «على الأرائك»: على السرر كما هو هيئة المتنعّمين. «نعم الثواب» الجنّة و نعيمها. «و حسنت»

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧١٩.

٢ـ الكافي ١ / ٤٢٤، ح ٦٤.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠.

الأرائك [«مرتفقاً»].(١)

«تجري من تحتهم». لأنّهم على غرف الجنّة. «من أساور». قيل: إنّه يحلّى كلّ واحد بثلاثة أساور؛ سوار من ذهب، و سوار من فضّة، وسوار من لؤلؤ و ياقوت. «و إستبرق». قيل: هو الديباج المنسوج بالذهب.(٢)

[٣٢] «وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَ حَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً».

«مثلاً رجلين». في تفسير عليّ بن إبراهيم: يريد رجلاً كان له بستانان كبيران كثير الثمار و كان له جار فقير. فافتخر الغنيّ على الفقير و قال له: «أنا أكثر منك مالاً». و هذا أليق بالظاهر.(٣)

«رجلين»؛ أي: [حال] الكافرين و المؤمنين حال رجلين مقدّرين أو موجودين هما أخوان من بني إسرائيل كافر اسمه قطروس و مؤمن اسمه يهوذا ورثا من أبيهما ثمانية آلاف فتشاطراها فاشترى الكافر بها ضياعاً و عقاراً و صرفها المؤمن في وجوه الخير و آل أمرهما إلى ما حكاه الله. و قيل: الممثّل بهما أخوان من بني مخزوم؛ كافر و هو الأسود بن عبدالأسد، و مؤمن و هو أبوسلمة زوج أمّ سلمه قبل رسول الله صلى الله عليه وآله. «جنّتين»: بستانين من الكروم. «و حففناهما»: جعلنا النخل محيطاً بهما مؤزراً بها كرومهما. و جعلنا وسطهما زرعاً ليكون كلّ واحد منهما جامعاً للأقوات و الفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن.(٤)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: «و اضرب لهم مثلاً رجلين» ـ الآية ـ: ضرب هذا المثل في عليّ عليه السلام و عدوّه. فقوله: «جنّتين» عبارة عن الدنيا. فجنّة منهما له في حياته و الأخرى للتابعين بعد وفاته لأنّه كافر و الدنيا [سجن المؤمن و جنّة الكافر]. و إنّما جعل الجنّتين له لأنّه الذي غرس أشجارها و أجرى أنهارها. و ذلك على سبيل المجاز إذ جعلنا الجنّة هي

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠ ـ ١١.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٢٠ ـ ٧٢١.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٢٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١.

الدنيا. و معنى ذلك أنّ الدنيا أشقّ شقيق له و لأتباعه ليتمتّعوا بها حتّى حين. «و ما أظنّ أن تبيد هذه»؛ أي: جنّته و دنياه. ثمّ كشف عن اعتقاده فقال الكافر صاحب الجنّة لصاحبه ـ و هو عليّ عليه السلام ـ: «أنا أكثر منك مالاً»؛ أي: دنيا و سلطاناً و أعزّ عشيرة و أعواناً «و دخل جنّته»؛ أي: دخل في دنياه و ابتهج بها و ركن إليها. «و هو ظالم لنفسه» بقوله و فعله. قال الله: «و ما أظنّ الساعة قائمة و لئن رددت إلى ربّي» كما تزعمون أنتم، لأجدنّ خيراً من هذه الجنّة. فقال له صاحبه ـ و هو عليّ عليه السلام ـ: «أكفرت بالذي خلقك من تراب» لكن أنا لا أكفر به، بل أقول: هو ربّي و خالقي. ثمّ دلّه على ما كان أولى له لو قاله [فقال له:] «و لولا إذ دخلت جنّتك قلت ما شاء الله» كان في جميع أموري. و «لا قوّة» لي عليها «إلّا بالله». ثمّ إنّه رجع القول إلى نفسه فقال: «إن ترن أنا أقلّ منك مالاً»؛ أي: فقيراً محتاجاً إلى الله. و مع ذلك «فعسى ربّي أن يؤتين خيراً من جنّتك» و دنياك في الدنيا بقيام ولدي القائم دولة و ملكاً و سلطاناً و في الآخرة حكماً و شفاعة و جناناً «و يرسل على جنّتك حسباناً من السماء»؛ أي: عذاباً و نيراناً فتحرقها أو سيفاً من سيوف القائم فيمحقها فتصبح أرضاً لا نبات فيها يزلق الماشي عليها. «و أحيط بثمره»؛ يعني: ذهبت دنياه و سلطانه. «فأصبح يقلّب كفّيه على ما أنفق» من دينه و دنياه و عشيرته.(١)

[٣٣] «كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَ فَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَراً».

«آتت أكلها»: ثمرها. و إفراد الضمير لإفراد كلتا. «و لم تظلم»؛ أي: لم تنقص من أكلها شيئاً يعهد في سائر البساتين. فإنّ الثمار يتمّ في عام و ينقص في عام غالباً. «خلالهما نهراً» ليدوم شربهما. فإنّه الأصل و يزيد بهاءهما.(٢)

[٣٤] «وَ كَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَ هُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَ أَعَزُّ نَفَراً».

«و كان له ثمر»: أنواع من المال سوى الجنّتين. من ثمّر ماله، إذا كثّره. «يحاوره»؛ أي:

١ـ تأويل الآيات ١ / ٢٩٤ ـ ٢٥٩.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١.

يراجعه في الكلام. «نفراً»؛ أي: حشماً و أعواناً. و قيل: أولاداً ذكوراً، لأنّهم الذين ينفرون معه.[١]

«و كان له»؛ أي: كان للنخل الذي فيهما «ثمر». أبوعمرو بضمّ الثاء و سكون الميم، جمع ثمار، كما يخفّف كتب.[٢]

«ثمر». الباقون غير عاصم بضمّ الثاء و الميم.[٣]

[٣٥] «وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ وَ هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هٰذِهِ أَبَداً».

«و دخل» الكافر قطروس «جنّته» بصاحبه المسلم يطوف به فيها و يفاخره بها. [و إفراد الجنّة لأنّ المراد ما هو جنّته و ما متّع به من الدنيا تنبيهاً على أن لا جنّة له] غيرها و لا حظّ له في الجنّة التي وعد المتّقون، أو لاتّصال كلّ واحدة من جنّتيه بالأخرى، أو لأنّ الدخول يكون في واحدة. «ظالم لنفسه»؛ أي: ضارّ لها بعجبه و كفره. «أن تبيد»؛ أي: تفنى.[٤]

[٣٦] «وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً».

«و ما أظنّ»؛ أي: ما أظنّ أنّ القيامة و البعث حقّ كما يقوله الموحّدون. «و لئن رددت» على سبيل الفرض و التقدير، سيعطيني في الآخرة أفضل منها لكرامتي عليه. ظنّ الجاهل أنّه أوتي ما أوتي لكرامته على الله. و في هذا دلالة على أنّه لم يكن قاطعاً على نفي المعاد بل كان شاكّاً فيه. «خيراً منها». أهل الحجاز و ابن‌عامر: «منهما» بزيادة ميم.[٥]

«منقلباً»: مرجعاً و عاقبة. و انتصابه على التميز. أي: منقلب تلك خير من منقلب هذه. لأنّها فانية و تلك باقية.[٦]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٢٣ و ٧٢١.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٢١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٧٢٣ و ٧٢١.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٧٢٢.

[٣٧] «قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَ هُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً».

«يحاوره»؛ أي: يخاطبه مكفّراً له بما قاله. «من تراب». و هو آدم. و قيل: إنّ النطفة من الغذاء و هو ينبت من التراب. «ثمّ سوّاك رجلاً»؛ أي: نقلك من حال إلى حال ثمّ جعلك بشراً سويّاً. و فيه دلالة على أنّ الشكّ في البعث كفر.[١]

«من تراب». و من قدر على الخلق من التراب، قدر على الإعادة. (ع)

[٣٨] «لٰكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَ لَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً».

«لكنّا»؛ أي: لكن أقول أنا: الله ربّي و رازقي. و إن افتخرت عليّ بدنياك، فإنّ افتخاري بالتوحيد.[٢]

«لكنّا». أصله: لكن أنا. فحذفت الهمزة و ألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الإدغام.[٣]

[٣٩] «وَ لَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَ وَلَداً».

«و لولا إذ دخلت»؛ أي: هلّا حين دخلت بستانك فرأيت الثمار شكرت الله و قلت: ما شاء الله كان. و إنّي و إن تعبت في جمعى و عمارتي، فليس ذلك إلّا بقدرة الله و تيسيره.[٤]

و قوله: «ما شاء الله» ما موصولة مرفوعة المحلّ، على أنّها خبر مبتدأ محذوف. تقديره: الأمر ما شاء الله. و يجوز أن يكون شرطيّة منصوبة المحلّ و الجزاء محذوف، بمعنى: أيّ شيء شاء الله كان. «أقلّ». من قرأ: «أقلّ» بالنصب، جعل أنا فصلاً؛ و من رفع، جعله مبتدأ و أقلّ

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٢٧.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٢٧.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٧٢٢.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٢٧ ـ ٧٢٨.

خبره و الجملة مفعولاً ثانياً لترن.(١)

«ما شاء الله». عن أبي عبداللهعليه السلام: للحرق و الغرق: ما شاء الله. لا قوّة إلّا بالله. و ذلك أنّه يقول: «و لولا إذ دخلت جنّتك» ـ الآية.(٢)

عن أبي جعفرعليه السلام: «لا حول ولا قوّة إلّا بالله» معناه: لا حول لنا عن معصية الله إلّا بعون الله. و لا قوّة لنا على طاعة الله إلّا بتوفيق الله.(٣)

عن الصادقعليه السلام: عجبت لمن أراد الدنيا و زينتها، كيف لا يفزع إلى قوله: «ما شاء الله لا قوّة إلّا بالله». فإنّي سمعت الله يقول بعقبها: «أنا أقلّ منك مالاً» ـ الآية.(٤)

عن أبي عبداللهعليه السلام: ما من رجل دعا فختم بقول: «ما شاء الله لا حول و لا قوّة إلّا بالله» إلّا أجيب صاحبه.(٥)

[٤٠] «فَعَسىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَ يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً».

«أن يؤتين» في الآخرة أو في الدنيا و الآخرة. «حسباناً»؛ أي: ناراً «من السماء» فتحرقها. «صعيداً زلقاً»؛ أي: أرضاً مستوية لا نبات عليها يزلق عنها القدم.(٦)

[٤١ ـ ٤٢] «أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً * وَ أُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلىٰ عُرُوشِهَا وَ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً».

«غوراً». عن أبي‌بكر بضمّ الغين. «غوراً»؛ أي: غائراً ذاهباً فلن تقدر على طلبه و لاتستطيع أن تطلب ماء غيره. إلى هنا انتهى مناظرة صاحبه. ثمّ قال: «و أحيط بثمره»؛ أي:

١ـ الكشّاف ٢ / ٧٢٣.
٢ـ التهذيب ٦ / ١٧٠، ح ٣٢٩.
٣ـ التوحيد / ٢٤٢، ح ٣.
٤ـ الخصال ١ / ٢١٨، ح ٤٣.
٥ـ ثواب الأعمال / ٢٤، ح ١.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٧٢٨.

أحاط العذاب بأشجاره و نخيله فهلكت عن آخرها. و في الخبر أنّ الله عزّ و جلّ أرسل عليها ناراً فأهلكها و غار ماؤها. «فأصبح» الكافر «يقلّب كفّيه» تأسّفاً «على ما أنفق فيها» من المال. و تقليب الكفّين كما يفعله النادم.(١)

«و هي خاوية»؛ أي: كرومها المعرّشة سقطت عروشها على الأرض و سقطت فوقها الكروم. «يا ليتني». تذكّر موعظة أخيه فعلم أنّه أتي من جهة شركه و طغيانه فتمنّى لو لم يكن مشركاً حتّى لا يهلك الله بستانه. و يجوز أن يكون توبة من الشرك و ندماً على ما كان منه و دخولاً في الإيمان.(٢)

[٤٣] «وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَ مَا كَانَ مُنْتَصِراً».

«و لم تكن له فئة»؛ أي: ما كان لهذا الكافر جماعة يدفعون عذاب الله عنه. «تكن». كوفيّ غير عاصم بالياء.(٣)

«منتصراً»؛ أي: ممتنعاً بقوّته عن انتقام الله.(٤)

[٤٤] «هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلّٰهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَ خَيْرٌ عُقْباً».

«هنالك الولاية». بالفتح: النصرة و التولّي. و بالكسر: السلطان و الملك. أي: في ذلك الوقت الذي تنازع فيه الكافر و المؤمن، الولاية بالنصرة و الإعزاز لله سبحانه يملك النصرة لمن أراد. أو: في مثل تلك الحال الشديدة يتولّى الله ويؤمن به كلّ مضطرّ. يعني أنّ قوله: «يا ليتني لم أشرك بربّي» كلمة ألجئ إليها فقالها جزعاً ممّا دهاه من شؤم كفره، و لولا ذلك لم يقلها. و قيل: هنالك إشارة إلى يوم القيامة. يعني أنّ الكفّار يتولّونه يوم القيامة و يتبرّؤون ممّا كانوا يعبدون. [قيل: معناه] أنّه ذلك اليوم ينصر المؤمنين و يخذل الكافرين. فالولاية خالصة له

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٢٤و ٧٢٨.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٧٢٤، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣، و مجمع البيان ٦ / ٧٢٨.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٢٨ و ٧٢٤.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٧٢٤.

لايملكها ذلك اليوم أحد من العباد. «الحقّ». بالجرّ صفة لله، وصفه بالمصدر كما وصفه بالعدل و السلام. و الحقّ ذو الحقّ. و من رفعه جعله صفة للولاية. وقوله: «عقباً» بمعنى العاقبة.(١)

«الولاية». عن أبي عبدالله عليه السلام: يعني ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام.(٢)

«الولاية». أبوعمرو [بفتح الواو و «الحقّ» بالرفع. و حمزة و خلف] بكسر الواو و «الحق» بالجرّ. «عقباً». عاصم و حمزة [و خلف] ساكنة القاف، و الباقون بالضم.(٣)

[٤٥] «وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَ كَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً».

«كماء». المشبّه به ليس الماء و لا حاله بل الكيفيّة المنتزعة من الجملة.(٤)

«فاختلط به»؛ أي: التفّ بسببه و تكاثف حتّى خالط بعضه بعضاً. و الهشيم: ما يهشم و يحطم. شبّه حال الدنيا في نضرتها و بهجتها و ما يتعقّبها من الهلاك و الفناء بحال النبات يكون أخضر ناضراً ثمّ ييبس فيطيره الرياح. و هذا المثل إنّما هو للمتكبّرين الذين اغترّوا بأموالهم و استنكفوا عن مجالسة فقراء المؤمنين. «و كان الله على كل شيء» من الإنشاء و الإفناء.(٥)

[٤٦] «الْمَالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَ خَيْرٌ أَمَلاً».

عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: المال و البنون زينة الحياة الدنيا. و ثمان ركعات آخر اللّيل و الوتر زينة الآخرة. و قد يجمعها الله لأقوام. كذا رواه الصدوق في معاني الأخبار.(٦)

و فيه أيضاً عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه ذات يوم: أ تدرون لو جمعتم ما

١ـ الكشّاف ٢ / ٧٢٤، و مجمع البيان ٦ / ٧٢٩ و ٧٢٦.

٢ـ الكافي ١ / ٤١٨، ح ٣٤.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٢٤.

٤ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٣.

٥ـ الكشّاف ٢ / ٧٢٥، و مجمع البيان ٦ / ٧٣١.

٦ـ معاني الأخبار / ٣٢٤، ح ١.

كان عندكم من الآنية و الأمتعة أكنتم ترونه يبلغ السماء؟ قالوا: لا يا رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: ألا أدلّكم على شيء أصله في الأرض و فرعه في السماء؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: يقول أحدكم إذا فرغ من صلاته الفريضة: «سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلّا الله و الله اكبر» ثلاثين مرّة. فإنّ أصلهنّ في الأرض و فرعهنّ في السماء، و يدفعن ميتة السوء. و هنّ الباقيات الصالحات.(١)

و في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله برجل يغرس غرساً في حائط له فقال: ألا أدلّك على غرس أثبت أصلاً و أسرع إيناعاً و أطيب ثمراً و أبقى؟ فقال: بلى، فدلّني يا رسول الله. فقال: إذا أصبحت و أمسيت فقل: «سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلّا الله و الله اكبر». فإنّ لك إن قلته بكلّ تسبيحة عشر شجرات في الجنّة من أنواع الفواكه. و هنّ الباقيات الصالحات.(٢)

«زينة الحياة الدنيا»؛ أي: يتفاخر بهما و يتزيّن بهما في الدنيا و لاينتفع بهما في الآخرة. سمّاهما زينة لأنّ المال جمال و في البنين قوّة و دفاعاً. «و الباقيات الصالحات». هي الطاعات لله تعالى. لأنّ ثوابها يبقى. فهي خير ما يؤمّل. و قيل: الباقيات ما كان يأتي به فقراء المؤمنين من قول: «سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلّا الله و الله اكبر». و هنّ الجنّة من النار. و رواه أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام.(٣)

«و الباقيات الصالحات». عن أبي عبدالله عليه السلام: لاتستصغروا مودّتنا. فإنّها من الباقيات الصالحات.(٤)

[٤٧] «وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَ تَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَ حَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً».

١ـ معاني الأخبار / ٣٢٤، ح ١. ٢ـ الكافي ٢ / ٥٠٦، ح ٤.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٣١. و فيه ـ بعد ذكر ما روي في المتن عن ابن عبّاس ـ: «و روى أنس بن مالك عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لجلسائه: ... قال: خذوا جنّتكم من النار. قولوا: «سبحان الله ... » ... و هنّ الباقيات الصالحات. و رواه أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام.»

٤ـ تأويل الآيات ١ / ٢٩٧، ح ٨.

«نسيّر». ابن‌كثير و أبوعمرو و ابن‌عامر: «تُسَيَّر» بضمّ التاء و فتح الياء و «الجبالُ» مرفوع. «يوم نسيّر»؛ أي: و اذكر يوم نسيّر؛ أي: نقلعها من أماكنها و نجعلها هباء منثوراً. أو: نسيّرها على وجه الأرض كما نسيّر السحاب في السماء ثمّ نصيّرها كالعهن المنفوش. «بارزة»؛ أي: ظاهرة لايسترها شيء من جبل أو بناء. و قيل: معناه: و ترى باطن الأرض ظاهراً قد برز من كان في بطنها فصار على ظهرها. «و حشرناهم»؛ أي: جمعناهم في الموقف.(۱)

و في كتاب جعفر بن محمّد الدوريستيّ بإسناده إلى ابن‌عبّاس قال: لمّا نزلت: «و حشرناهم فلم نغادر منهم أحداً» غشي على رسول الله ﷺ و حمل إلى حجرة أمّ سلمة. فلم يخرج وقت الصلاة و قالت أمّ سلمة: نبيّ الله عنكم مشغول. ثمّ خرج بعد ذلك فرقى المنبر فقال: أيّها الناس، إنّكم تحشرون حفاة عراة. ثمّ قرأ: «و حشرناهم فلم نغادر منهم أحداً». ثمّ قرأ: «كما بدأنا أوّل خلق نعيده»(۲).(۳)

و في كتاب الاحتجاج عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ الناس يحشرون في أكفانهم. قيل له: أنّى لهم بالأكفان و قد بليت؟ قال: إنّ الذي أحيا أبدانهم، جدّد أكفانهم. و من مات بلاكفن، يستر الله عورته بما يشاء. و قال: يعرضون صفوفاً عشرون و مائة ألف صفّ في عرض الأرض.(٤)

أقول: الأخبار متخالفة ظاهراً في كيفيّة الحشر عراة و غير عراة. و وجه الجمع بالحمل على المؤمنين و غيرهم أو باختلاف المواقف أو بنحو آخر.

[٤٨] «وَ عُرِضُوا عَلىٰ رَبِّكَ صَفّاً لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً».

«صفّاً»؛ أي: مصفوفين كلّ زمرة و أمّة صفّ. «لقد جئتمونا»؛ أي: قلنا لهم: لقد جئتمونا.

۱ـ مجمع البيان ٦ / ۷۳۰ و ۷۳۲.
۲ـ الأنبياء (۲۱) / ۱۰٤.
۳ـ نور الثقلين ۳ / ۲٦٥، ح ۱۰٦.
٤ـ الاحتجاج ۲ / ۳٥۰.

و هذا المضمر هو عامل النصب في «يوم نسيّر». و يجوز أن ينتصب بإضمار اذكر. و المعنى: لقد بعثناكم كما أنشأناكم أوّل مرّة ضعفاء فقراء عاجزين لا مال و لا ولد معكم. و عن النبيّ ﷺ: يحشر الناس يوم القيامة من قبورهم حفاة عراة غرلاً. فقالت عائشة: يا رسول الله، أما يستحيي بعضهم من بعض؟ فقال ﷺ: «لكلّ امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه».[١] «ألن نجعل لكم موعداً»؛ أي: يقال لهم أيضاً: بل زعمتم في دار الدنيا أنّ الله لم يجعل لكم موعداً للبعث و الحساب يوم القيامة.[٢]

«بل زعمتم». بل هنا للخروج من قصّة إلى أخرى.[٣]

[٤٩] «وَ وُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَ يَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَ لَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً».

«و وضع الكتاب»؛ يعني: [وضعت] صحائف بني آدم في أيديهم. «مشفقين»؛ أي: خائفين. «يا ويلتنا». هذه لفظة يقولها الإنسان إذا وقع في شدّة فيدعو على نفسه بالويل و الثبور. [«ما لهذا الكتاب»:] أيّ شيء لهذا الكتاب لايترك صغيرة و لا كبيرة من الذنوب إلّا أثبتها و حواها؟[٤]

«يا ويلتنا». عن أبي عبدالله ﷺ: إذا كان يوم القيامة، دفع إلى الإنسان كتابه. فقرأه فيذكره كأنّه فعله تلك الساعة فعند ذلك يقول: «يا ويلتنا ما لهذا الكتاب» ـ الآية.[٥]

«و وجدوا ما عملوا حاضراً»: مكتوباً. أو: وجدوا جزاء ما عملوا حاضراً. «و لايظلم»؛ أي: لاينقص ثواب محسن و لايزيد في عذاب مسيء. و فيه دلالة على أنّه سبحانه لايعاقب أطفال الكفّار بذنوب آبائهم.[٦]

١ـ عبس (٨٠) / ٣٧.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٣٢، و الكشّاف ٢ / ٧٢٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٣٢ ـ ٧٣٣.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣٢٨، ح ٣٤.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٧٣٣.

[٥٠] «وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً».

«و إذ قلنا». كرّره في مواضع لكونه مقدّمة للأمور المقصود بيانها في تلك المحلّ. و هاهنا لمّا شنّع على المفتخرين و استقبح صنعهم، قرّر ذلك بأنّه من سنن إبليس.[١]

أمر سبحانه نبيّه صلى الله عليه وآله أن يذكّر هؤلاء المتكبّرين عن مجالسة الفقراء قصّة إبليس و ما أورثه الكبر.[٢]

«كان من الجنّ». كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين. كأنّ قائلاً قال له: لِمَ لم يسجد؟ فقيل: كان من الجنّ. «ففسق». الفاء للسببيّة أيضاً. جعل كونه من الجنّ سبباً في فسقه. يعني أنّه لو كان ملكاً كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله، لأنّ الملائكة معصومون لايجوز عليهم ما يجوز على الجنّ و الإنس. و معنى فسق عن أمر ربّه: خرج عمّا أمره به ربّه من السجود. «أفتتّخذونه». الهمزة للإنكار و التعجّب. كأنّه قال: أعقيب ما وجد منه تتّخذونه و ذرّيّته أولياء من دوني و تستبدلونهم بي؟ بئس البدل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعته![٣]

[٥١] «مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَ مَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً».

يعني أنّكم اتّخذتموهم شركائي في العبادة، و إنّما كانوا شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهيّة. فنفى مشاركتهم في الإلهيّة بقوله: «ما أشهدتهم خلق السموات و الأرض» لأعتضد بهم في خلقها. «و لا خلق أنفسهم»؛ أي: لا أشهدت بعضهم خلق بعض. «عضداً»: أعواناً. فإذا لم يكونوا عضداً في الخلق، فما لكم تتّخذونهم شركاء لي في العبادة.[٤]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٣٤.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٧٢٧.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٧٢٧ ـ ٧٢٨.

«أشهدتهم». أبوجعفر: «أشهدناهم» بالنون على التعظيم.[١]

«متّخذ المضلّين». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اللّهمّ أعزّ الإسلام بعمر بن الخطّاب أو بأبي جهل بن هشام، فأنزل الله: «و ما كنت متّخذ المضلّين عضداً». يعنيهما.[٢]

[٥٢] «وَ يَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً».

«يقول». حمزة: «نقول» بالنون.[٣]

«موبقاً». الموبق: المهلك. و يجوز أن يكون مصدراً. يعني: و جعلنا بينهم وادياً من أودية جهنّم هو مكان الهلاك و العذاب الشديد مشتركاً يهلكون فيه جميعاً. و قال الفرّاء: البين: الوصل. أي: و جعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة. و يجوز أن يكون المراد الملائكة و عزيراً و عيسى و مريم، و بالموبق البرزخ البعيد. أي: و جعلنا بينهم أمداً بعيداً. لأنّهم في قعر جهنّم و هم في أعلى الجنان.[٤]

[٥٣] «وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَ لَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً».

«فظنّوا»؛ أي: «فأيقنوا». «مواقعوها»: واقعون فيها. «مصرفاً»؛ أي: معدلاً.[٥]

[٥٤] «وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً».

«أكثر شيء»؛ أي: أكثر الأشياء التي يأتي منها الجدل إن فصّلتها واحداً بعد واحد خصومة و مماراة بالباطل. و انتصاب «جدلاً» على التميز.[٦]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٣٣.
٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣٢٨، ح ٣٩.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٣٣.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٧٢٨.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٧٢٨.
٦ـ الكشّاف ٢ / ٧٢٩.

[٥٥] «وَ مَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدىٰ وَ يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ قُبُلاً».

«قبلاً». قرأ أهل الكوفة: «قُبُلاً» بضمّتين، و الباقون: «قِبَلاً». «و مـامنع النـاس»؛ أي: مامنعهم من الايمان إلّا طلب أن تأتيهم العادة في الأوّلين من عذاب الاستئصال حين امتنعوا من قبول الهدى، أو يأتيهم العذاب عياناً مقابلة من حيث يرونه. و تأويله أنّهم بامتناعهم من الايمان بمنزلة من يطلب هذا حتّى يؤمن كرهاً، لأنّهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم. على أنّ المشركين قد طلبوا مثل ذلك فقالوا: «اللّهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم».[١] و من قرأ: «قِبَلاً» فهو في معنى الأوّل. و يجوز أن يكون جمع قبيل، و هو الجماعة. أي: يأتيهم العذاب ضروباً من كلّ جهة.[٢]

[٥٦] «وَ مَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ يُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَ اتَّخَذُوا آيَاتِي وَ مَا أُنْذِرُوا هُزُواً».

«ليدحضوا به الحقّ»؛ أي: يزيلوا به الحقّ عن مكانه. يريد المستهزئين و المقتسمين و أتباعهم. «و ما أنذروا». يجوز أن تكون ما موصولة و يكون الراجع من الصلة محذوفاً. أي: و ما أنذروه من العقاب. أو مصدريّة بمعنى: و إنذارهم. أي: اتّخذوها موضع استهزاء. وجدالهم قولهم للرسل: ما أنتم إلّا بشر مثلنا و لو شاء الله لأنزل ملائكة. و ما أشبه ذلك.[٣]

[٥٧] «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَ نَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَ إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً».

«و من أظلم»؛ أي: ليس أحد أظلم لنفسه ممّن وعظ بالقرآن و آياته فأعرض عـنها

١ـ الأنفال (٨) / ٣٢.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٣٦ ـ ٧٣٧.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٣٧، و الكشّاف ٢ / ٧٢٩.

جانباً و نسي المعاصي التي استخفّ بها. و قيل: معناه: تذكّر و اشتغل عنها استخفافاً بها و قلّة معرفة بعاقبتها لا أنّه نسي ذلك.[١]

«بآيات ربّه»؛ أي: بالقرآن. و لذلك رجع إليه الضمير مذكّراً في قوله: «أن يفقهوه».[٢]

«أكنّة»: جمع كنان. «أن يفقهوه»؛ أي: لئلّا يفقهوه. «وقراً»؛ أي: ثقلاً. و المعنى على التمثيل. أي: كأنّ على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه و في آذانهم وقراً أن تسمع. «فلن يهتدوا». أخرج مخرج الخبر. و «إذاً» جواب و جزاء يدلّ على انتفاء اهتدائهم بدعوة الرسول بمعنى أنّهم جعلوا ما يجب عليهم سبب وجود الاهتداء سبباً في انتفائه. و على أنّه جواب للرسول على تقدير قوله: ما لي لا أدعوهم؟ حرصاً على إسلامهم، فقيل: و ان تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا.[٣]

[٥٨] «وَ رَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً».

«لو يؤاخذهم»؛ أي: أهل مكّة «بما كسبوا» من عداوة رسول الله ﷺ. «بل لهم موعد». و هو يوم بدر. «موئلاً»؛ أي: منجًى.[٤]

[٥٩] «وَ تِلْكَ الْقُرىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً».

«و تلك القرى». يعني قرى الأوّلين من ثمود و قوم لوط و غيرهم. أشار لهم إليها ليعتبروا. «تلك». مبتدأ. و «القرى» صفة. و «أهلكناهم» خبر. «لمّا ظلموا» مثل ظلم أهل مكّة. «و جعلنا لمهلكهم»؛ أي: ضربنا لإهلاكهم وقتاً معلوماً لا يتأخّرون، كما ضربنا لأهل مكّة يوم بدر. و المهلك: الإهلاك.[٥]

«لمهلكهم». حفص عن عاصم بفتح الميم و كسر اللّام، و عن أبي بكر بفتح اللّام و الميم.

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٣٨.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٧٢٩.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٣٩، و الكشّاف ٢ / ٧٣٠.
٤ـ الكشّاف ٢ / ٧٣٠.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٧٣٠.

و الباقون بضمّ الميم و فتح اللّام. و هو مصدر على كلّ القراءات.[١]

[٦٠] «وَ إِذْ قَالَ مُوسىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً».

«و إذ قال موسى» ـ الآية. سببه أنّه لمّا كلّم الله موسى تكليماً و أنزل عليه الألواح ـ و فيها كما قال الله عزّ من قائل: «و كتبنا له في الألواح من كلّ شيء موعظة و تفصيلاً»[٢] ـ قال موسى في نفسه: ما خلق الله خلقاً أعلم منّي. فأوحى الله إلى جبرئيل: أدرك موسى. فقد هلك. و أعلمه أنّ [عند] ملتقى البحرين عند الصخرة رجلاً أعلم منك. فصر إليه و تعلّم من علمه. فنزل جبرئيل على موسى [و] أخبره. فذلّ موسى في نفسه] و علم أنّه أخطأ و دخله الرعب. و قال لوصيّه يوشع: إنّ الله قد أمرني أن أتّبع رجلاً عند ملتقى البحرين و أتعلّم منه. فتزوّد يوشع حوتاً مملوحاً. فلمّا خرجا و بلغا ذلك المكان، وجدا رجلاً مستلقياً على قفاه، فلم يعرفاه. فأخرج وصيّ موسى الحوت و غسله بالماء و وضعه على الصخرة و مضيا و نسيا الحوت. و كان ذلك ماء الحيوان، فحيي الحوت و دخل في الماء. فمضى موسى و يوشع معه حتّى عييا. فقال لوصيّه: «آتنا غداءنا». فذكر وصيّه السمك فقال لموسى: إنّي نسيت الحوت على الصخرة. فقال موسى: إنّ الرجل الذي رأيناه عند الصخرة هو الذي نريده. فرجعا على آثارهما قصصاً، أي عند الرجل و هو في الصلاة. فلمّا فرغ سلّم عليه ـ الحديث.[٣]

النزول: ذكر عليّ بن إبراهيم في تفسيره قال: لمّا أخبر رسول الله ﷺ قريشاً بخبر أصحاب الكهف قالوا: أخبرنا عن العالم الذي أمر الله موسى أن يتّبعه من هو و كيف تبعه و ما قصّته. فأنزل الله تعالى: «و إذ قال موسى» ـ الآيات. و موسى هو ابن عمران المشهور. و فتاه هو يوشع بن نون بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب. سمّاه «فتاه» لأنّه صحبه و لازمه سفراً و حضراً للتعلّم منه، و لأنّه كان يخدمه.[٤]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٣٨.

٢ـ الأعراف (٧) / ١٤٥.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٧ ـ ٣٨.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤١.

«لاأبرح»: لاأزال أمضي و أمشي و لاأسلك طريقاً آخر حتّى أبلغ مجمع ملتقى البحرين، بحر فارس و بحر الروم، ممّا يلي المغرب بحر الروم ممّا يلي المشرق بحر فارس. و كان وعد أن يلقى عنده الخضر. «أو أمضي حقباً». قيل: هو ثمانون سنة. و قيل: البحران موسى و خضر. فإنّ موسى كان بحر علم الظاهر و خضر كان بحر علم الباطن.(١)

لمّا أمر الله سبحانه موسى إلى أن يأتي الخضر و يتعلّم منه قال: أين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة. قال: كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً في مكتلك، فحيث فقدته فهو هناك. فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني. فذهبا يمشيان.(٢)

[٦١] «فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً».

«فلمّا بلغا مجمع بينهما»؛ أي: مجمع البحرين. و بينهما ظرف أضيف إليه على الاتّساع أو بمعنى الوصل. «نسيا حوتهما». نسي موسى أن يطلبه و يتعرّف حاله، و يوشع أن يذكر له ما رأى من حياته و وقوعه في البحر. لأنّ يوشع توضّأ من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش فوثب في الماء. «سرباً»؛ أي: فاتّخذ الحوت طريقه في البحر مسلكاً. من قوله: «و سارب بالنهار».(٣) و قيل: أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه. و نصبه على المفعول الثاني، و في البحر حال منه أو من السبيل.(٤)

[٦٢] «فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هٰذَا نَصَباً».

«فلمّا جاوزا» مجمع البحرين. «نصبا». قيل: لم ينصب حتّى جاوز الموعد. فلمّا جاوزه و سار اللّيلة و الغد إلى الظهر، ألقي عليه الجوع و النصب.(٥)

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ موسى لذو جوعات.(٦) شكا إلى ربّه الجوع في ثلاثة مواضع:

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦ ـ ١٧.

٣ـ الرعد (١٣) / ١٠.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٧.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٧.

٦ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣٣٠، ح ٤٤.

«آتنا غداءنا». «لاتّخذت عليه أجراً».[١] «إنّي لما أنزلت إليّ من خير»[٢].[٣]

[٦٣] «قَالَ أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَ مَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً».

«قال أرأيت» ما دهاني.[٤]

قالوا: إنّ الله ألقى على موسى الجوع ليتذكّر حديث الحوت. قال له يوشع عند ذلك: أرايت حين نزلنا الصخرة؟ فإنّي تركت الحوت و فقدته. و قيل: نسيته و نسيت حديثه. و قيل: فيه إضمار. أي: نسيت أن أذكر لك أمر الحوت. ثمّ اعتذر: «ما أنسانيه إلّا الشيطان أن أذكره». و ذلك أنّه لمّا ذكر لموسى قصّة الحوت عند الصخرة لمّا جاوزها موسى و لم يلق في طريقه النصب. «عجباً»؛ أي: سبيلاً عجباً. و هو أنّ الماء انجاب عنه و بقي كالكوّة لم يلتئم.[٥]

[٦٤] «قَالَ ذٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصاً».

«ماكنّا نبغ»؛ أي: نطلب من العلامة. فرجعا في الطريق الذي جاءا منه يقصّان آثارهما ـ و يوشع أمام موسى ـ حتّى انتهيا إلى مدخل الحوت.[٦]

[٦٥ ـ ٦٦] «فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَ عَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً * قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً».

فوجدا رجلاً مسجًّى بثوب فسلّم عليه و قال: أنا موسى كليم الله. أتيتك لتعلّمني ممّا علّمت رشداً.[٧]

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ الخضر كان نبيّاً مرسلاً بعثه الله إلى قومه. و كان لايجلس على

١ـ الكهف (١٨) / ٧٧.
٢ـ القصص (٢٨) / ٢٤.
٣ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣٣٥، ح ٥٠، عن أبي جعفر عليه السلام.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٧.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤٢.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤٢.
٧ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤٣.

خشبة يابسة و لا أرض بيضاء إلّا أزهرت [خضراء. و إنّما سمّي] خضراً لذلك.(١)

عن بريد عن أحدهما عليهما السلام قال: الخضر و ذوالقرنين كانا عالمين و لم يكونا نبيّين.(٢)

[٦٧] «قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً».

«قال إنّك لن تستطيع معي صبراً» يا موسى إنّي على علم من علم الله لاتعلمه علّمنيه. و أنت على علم من الله علّمك لاأعلمه. فقال له موسى: «ستجدني إن شاء الله صابراً».(٣)

«لن تستطيع»؛ أي: يثقل عليك الصبر و لايخفّ عليك. و لم يرد أنّه لايقدر على الصبر. و إنّما قال ذلك لأنّ موسى كان يأخذ الأمور على ظواهرها و الخضر كان يحكم بالبواطن فلايسهل على موسى مشاهدة ذلك.(٤)

[٦٨] «وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً».

«ما لم تحط به»؛ أي: كيف تصبر على ما ظاهره عندك منكر و أنت لم تعرف باطنه؟ و الخبر: العلم.(٥)

[٦٩] «قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِراً وَ لَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً».

«صابراً»؛ أي: أصبر على ما أرى منك.(٦)

[٧٠] «قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً».

«فلاتسألني». مشدّدة مدنيّ شاميّ. و الباقون خفيفة النون. و لم يختلفوا في الياء فيه وصلاً و وقفاً. لأنّها مثبتة في جميع المصاحف. «حتّى أحدث»؛ أي: حتّى أكون أنا الذي

١ـ علل الشرائع / ٥٩ ـ ٦٠، ح ١.

٢ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣٤٠، ح ٧٤.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤٣.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤٦.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤٦.

٦ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤٦.

أفسّره لك.[١]

[٧١] «فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَ خَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً».

«حتّى إذا ركبا». فأرادا أن يعبرا [في البحر] إلى أرض أخرى، فأتيا معبراً. فعرف صاحب السفينة الخضر فحملهما بغير نول. فلمّا ركبا في السفينة و بلغت اللّجّة، قلع الخضر منها بالفأس لوحين ممّا يلي الماء. فحشاهما موسى بثوبه. فقال موسى منكراً عليه: «أخرقتها لتغرق أهلها»؟ و لم يقل لنغرق، لأنّه أشفق على القوم أكثر من إشفاقه على نفسه جرياً على عادة الأنبياء. «إمراً»؛ أي: منكراً عظيماً. يقال: أمر الأمر، إذا كبر.[٢]

فإن قلت: لم قيل: «حتّى إذا ركبا في السفينة خرقها» بغير فاء و «حتّى إذا لقيا غلاماً فقتله» بالفاء؟ قلت: جعل خرقها جزاء الشرط، و جعل قتله من جملة الشرط معطوفاً عليه و الجزاء «قال أقتلت». فإن قلت: لم خولف بينهما؟ قلت: لأنّ خرق السفينة لم يتعقّب الركوب و قد تعقّب القتل لقاء الغلام. أو لأنّ القتل أقبح و الاعتراض عليه أدخل فكان جديراً بأن يجعل عمدة الكلام. و لذلك فصله بقوله: «لقد جئت».[٣]

«ليغرق» بفتح الياء و الراء «أهلها» بالرفع كوفيّ غير عاصم.[٤]

[٧٢] «قَالَ أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً».

«لن تستطيع معي صبراً»؛ أي: إنّ نفسك لا تطاوعك على الصبر معي.[٥]

[٧٣] «قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَ لَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً».

«بما نسيت»؛ أي: غفلت من التسليم لك و ترك الإنكار عليك. فيكون من النسيان

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤٤ و ٧٤٦.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤٦ ـ ٧٤٧.
٣ـ الكشّاف ٢ / ٧٣٦، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤٤.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤٧.

الذي هو ضدّ الذكر. و قيل: بما تركت من وصيّتك و عهدك. عن ابن‌عبّاس. «و لاترهقني»؛ أي: لاتكلّفني مشقّة. تقول: أرهقته عسراً، إذا كـلّفته ذاك. أي: لاتـضيّق عـليّ الأمـر في صحبتي إيّاك.[١]

[٧٤] «فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً».

«زكيّة». ابن‌كثير و نافع و أبوعمرو: «نفساً زاكية».[٢]

«فانطلقا»؛ أي: فخرجا من البحر يمشيان في البرّ. «حتّى إذا لقيا». فلقيا غلاماً يلعب مع الصبيان، فذبحه بالسكّين. و كان من أصبح أولئك الغلمان. و قيل: كان شابّاً بالغاً. «زاكية»: التي لم‌تذنب. و الزكيّة التي أذنبت ثمّ تابت. و قيل: الزكيّة أشدّ مبالغة من الزاكـية. «بـغير نفس». يعني القود. «نكراً»؛ أي: فظيعاً.[٣]

«نُكُراً» بضمّتين مدنيّ.[٤]

[٧٥] «قَالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً».

[٧٦] «قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً».

«فلاتصاحبني». يعقوب: «فلاتصحبني».[٥]

«من لدنّي»؛ أي: قد وجدت عذراً من قبلي لمّا خالفتك ثـلاث مـرّات. «مـن لدني». بتحريك النون و إسكان الدال ـ كإسكان الضاد من عضد ـ عن أبي‌بكر. و بتحريك النون و الاكتفاء بها عن نون الدعامة حفص.[٦]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤٧.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤٥.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤٨.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩. و فيه: قرأنافع... و الاكتفاء بها عن نون الدعامة.

[٧٧] «فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً».

«استطعما أهلها». اعلم أنّ ظاهر الكلام يقتضي الإضمار و أن يقال: استطعماهم. فلابدّ من نكتة في العدول عن مقتضى الظاهر. و الزمخشريّ و القاضي و الطبرسيّ و نحوهم لايتعرّضوا لها. نعم؛ ذكرها غيرهم على وجوه:

الأوّل؛ و هو قول ابن الحاجب في أماليه و ابن هشام في مغنيه و قاضي القضاة تقيّ الدين السبكيّ فيما كتبه إليه صلاح الصفديّ سؤالاً منظوماً، و لنورد كلام الأمالي بلفظه ـ لأنّه الأقدم قولاً ـ و هذا لفظه: إنّما أعاد الأهل بلفظ الظاهر لأنّ استطعما صفة لقرية فلابدّ من ضمير يعود من الصفة الحملية إليها و لايمكن عوده إلّا كذلك. لأنّه لو قيل استطعماهم، لكان الضمير لغيرها، و لو قيل استطعماها، لكان على التجوّز إذ القرية لاتستطعم حقيقة، فلم يكن بدّ من ذكر الضمير العائد على القرية. و لايرد عليه أنّ استطعما جواب لإذا لا صفة لقرية لأنّا نقول: الظاهر أنّه صفة لقرية. و إن قال: هو جواب إذا لقوله في القصّة الأخرى: «حتّى إذا لقيا غلاماً فقتله». قال: فقال: هاهنا جواب لإذا بيقين و لايستقيم أن يكون فقتله جوابه، إذ الماضي الواقع في جواب إذا لايكون بالفاء. فتعيّن فيه. قال: و إذا كان كذلك، فالظاهر أنّ القصّة الأخرى على هذا النمط. إن قال: هو جواب لأنّهما سيقتا مساقاً واحداً. و زاد قاضي القضاة في التعليل بأنّ «استطعما أهلها» لو كان جواباً لإذا، لصارت الجملة الشرطيّة معناها استطعماها عند إتيانهما و انّ ذلك تمام معنى الكلام و يجلّ مقام [موسى] و الخضر عن تجريد قصدهما لذلك و أن يكون مغطه طلب طعمة أو شيء من الأمور الدنيويّة، بل كان القصد إلى ما أراد ربّك أن يبلغ اليتيمان أشدّهما و إظهار تلك العجائب لموسى. فجواب إذا «قال لو شئت».

الثاني: ما قاله في الأمالي أيضاً و ذكره قاضي القضاة و إن تغايرا معنًى. فقال في الأمالي: إنّه لو أضمر الأهل، لكان مدلوله مدلول الأوّل. و معلوم أنّ مدلول الأوّل جميع أهل القرية.

ألا ترى أنّك لو قلت: أتيت أهل قرية كذا، إنّما تعني: وصلت إليهم، فلا خصوصيّة لبعضهم دون بعض. و الاستطعام في العادة إنّما يكون لمن يلي النازل، منهم و هو بعضهم، فوجب أن يقال: «استطعما أهلها» لئلّايفهم أنّهما استطعما جميع الأهل و ليس كذلك. و أمّا قاضي القضاة فقال: إنّ الأهل الثاني عين الأوّل. لأنّ الغالب أنّ من أتى قرية لا جملة أهلها دفعة بل نظره أوّلاً على بعضهم ثمّ يستقريهم. فلعلّ هذين العبدين الصالحين لمّا أتاهما قدر الله لهما لما يظهر من حسن صنيعه استقريا جميع أهلها على التدريج ليظهر به كمال رحمته بعباده. و لو أعاد الضمير، تعيّن أن يكون المراد الأوّلين لا غير. فأتى بالظاهر إشعاراً بتأكيد العموم فيه و أنّهما لم يتركا أحداً من أهلها حتّى استطعماه فأبى و مع ذلك فأبلاهم بأحسن الجزاء.

الثالث: قال أبوالبقاء: و إنّما أعاد ذكر الأهل توكيداً لدفع توهّم التجوّز في أهل قرية أن يكون المراد به من كان فيها من غير أهلها بسبب مجاورتهم للأهل و كونهم معهم في القرية أو هم و غيرهم باعتبار التغليب.

الرابع: ما قاله شيخنا في الدرّ المنثور و هو أنّه لمّا تقدّم منهما عليهما السلام فعلان في مكانين أحدهما ركوب السفينة و الثاني لقاء الغلام و قتله، فكأنّه سئل و قيل: ما فعلا في هذه القرية؟ فقيل: استطعما أهلها. فيكون استئنافاً يحسن فيه الإتيان بالظاهر و بناء ما بعده عليه. و أجود الوجوه هو الأوّل.

«أهل قرية». هي أنطاكية. عن ابن‌عبّاس. و قيل: أبلة بصرة و هي أبعد أرض من السماء. و قيل: قرية على ساحل البحر اسمها ناصرة و بها سمّيت النصارى. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. و قال عليه السلام: لم يضيّفوهما و لا يضيّفون بعدهما أحداً إلى أن تقوم الساعة.[1]

«فأقامه». دفعه فاستقام. «لتّخذت». ابن‌كثير و أهل البصرة: «لتخذت» بكسر الخاء مخفّفة. و ابن‌كثير يظهر منه الذال. و الباقون: «لتّخذت» و عاصم يظهر الذال و الآخرون يدغمون. «قال لو شئت لتّخذت». معناه: لمّا بخلوا عليهما بالطعام و أقام الخضر جدارهم

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٥١، و الكشّاف ٢ / ٧٣٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩.

المشرف على الانهدام، عجب موسى من ذلك فقال: لو شئت لعملت هذا بأجر تأخذه منهم حتّى كنّا نسدّ به جوعتنا.(١)

«لتّخذت». تاء تخذ أصل كما في تبع. و اتّخذ افتعل منه، كاتّبع من تبع. و ليس من الأخذ في شيء.(٢)

[٧٨] «قَالَ هٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِـعْ عَلَيْهِ صَبْراً».

«هذا فراق بيني»؛ أي: هذا الاعتراض سبب الفراق.(٣)

«هذا فراق»؛ أي: هذا الذي قلته سبب الفراق بيني و بينك.(٤)

[٧٩] «أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِـيبَهَا وَ كَـانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً».

في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه أرسل إلى زرارة: إنّما أعيبك دفاعاً منّي عنك. فإنّ الناس و العدوّ يسارعون إلى كلّ من قرّبناه و يذمّونه لمحبّتنا له و يرون قتله و يحمدون كلّ من عيّبناه. فإنّما أعيبك لأنّك رجل اشتهرت بنا و أنت في ذلك مذموم عند الناس فيكون ذلك دافعاً شرّهم عنك؛ لقول الله: «أمّا السفينة» ـ الآية. لا و الله ما عابها إلّا لكي تسلم من الملك. فافهم المثل يرحمك الله. فإنّك و الله أحبّ أصحاب أبي إليّ حيّاً و ميّتاً. و إنّك أفضل سفن ذلك البحر القمقام و إنّ وراءك لملكاً ظلوماً غصوباً يرقب عبور كلّ سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليغصبها و أهلها. فرحمة الله عليك حيّاً. و رحمته و رضوانه عليك ميّتاً.(٥)

«فكانت». قيل: كانت السفينة لعشرة إخوة خمسة منهم زمنى و خمسة يعملون في البحر للمعيشة بها. «وراءهم»؛ أي: أمامهم. كقوله: «و من ورائهم برزخ»(٦).(٧)

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤٨ و ٧٥٢.

٢ـ الكشّاف ٢ / ٧٤٠.

٣ـ الكشّاف ٢ / ٧٤٠.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٥٢.

٥ـ نور الثقلين ٣ / ٢٨٥، عن تلخيص الأقوال.

٦ـ المؤمنون (٢٣) / ١٠٠.

٧ـ الكشّاف ٢ / ٧٤٠.

«و كان وراءهم»؛ أي: قدّامهم. «ملك يأخذ كلّ سفينة» صحيحة. قال الخضر: إنّما خرقتها لأنّ الملك إذا رآها منخرقة تركها و رقعها أهلها بقطعة خشب فانتفعوا بها. و قيل: يحتمل أنّ الملك كان خلفهم و كان طريقهم في الرجوع عليه و لم يعلم به أصحاب السفينة و علم به الخضر.(١)

«كلّ سفينة صالحة غصباً». هكذا نزلت.(٢)

[٨٠] «وَ أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَ كُفْراً».

«و أمّا الغلام فكان أبواه مؤمنين و طبع كافراً». كذا نزلت.(٣)

«و أمّا الغلام». يعني أنّ الغلام كان كافراً و أبواه مؤمنين. عن أبي عبدالله عليه السلام. [«فخشينا»؛ أي:] فخفنا أن يحمل أبويه على الطغيان و الكفر. و هو من كلام الخضر.(٤)

«يرهقهما طغياناً»؛ أي: يقاربهما منه.

[٨١] «فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَ أَقْرَبَ رُحْماً».

«يبدلهما». أهل المدينة و أبوعمرو بفتح الياء و تشديد الدال. «زكاة»؛ أي: ديناً و صلاحاً. «رحماً»؛ أي: ذا رحم بهما. و قيل: أبرّ بوالديه و أوصل للرحم. عن ابن‌عبّاس. و عن أبي عبدالله عليه السلام أنّهما أبدلا بالغلام المقتول جارية فولدت سبعين نبيّاً. «رحماً». أبوجعفر و ابن‌عامر بضمّ الحاء.(٥)

[٨٢] «وَ أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَ كَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَ كَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَ يَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَ مَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً».

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٥٢.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٣٩.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٥٢ ـ ٧٥٣.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٧٤٨ ـ ٧٤٩ و ٧٥٣.

«لغلامين». اسمهما أصرم و صريم.(١)

«في المدينة». يعني القرية التي استطعما أهلها. «كنز لهما». اختلف في الكنز. فقيل: كانت صحف مدفونة تحته. عن ابن عبّاس: ماكان إلّا علماً. و قيل: كنزاً من الذهب و الفضّة. ورواه أبوالدرداء عن النبيّ صلى الله عليه وآله. و قيل: كان لوحاً من ذهب و فيه مكتوب: عجباً لمن رأى الدنيا و تقلّبها بأهلها، كيف يطمئنّ إليها! لا إله إلّا الله. محمّد رسول الله. وروي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام. و هذا القول يجمع بين القولين الأوّلين لأنّه يتضمّن أنّه كان كنز مال و علم. «و كان أبوهما صالحاً». بيّن سبحانه أنّه حفظ الغلامين بصلاح أبويهما. و عن أبي عبدالله عليه السلام: كان بينهما و بين ذلك الأب الصالح سبعة آباء. و قال عليه السلام: إنّ الله يصلح بصلاح الرجل المؤمن من ولده و ولد ولده و أهل دويرته و دويرات حوله. فلايزالون في حفظ الله لكرامته على الله. «يبلغا أشدّهما»؛ أي: يعقلا و يكبرا. «و يستخرجا كنزهما رحمة من ربّك»؛ أي: كلّ ما فعلته رحمة من الله للمساكين و أبوي الغلام و اليتيمين. و ما فعلت ذلك من قبل نفسي و إنّما فعلته من قبل الله.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام: لم يكن هذا الإخبار من الخضر لموسى لأنّه أكرم من موسى بل هو أفضل من الخضر و إنّما كان لاستحقاق موسى للتبيين.(٣)

أقول: حاصله: انّ موسى كان عنده من العلوم ما لايعرفها الخضر و لا استحقّ بيانها. و أمّا ما كان عند الخضر، فاستحقّ موسى معرفتها. فموسى أفضل.

«رحمة من ربّك»؛ أي: مرحومين من ربّك. و يجوز أن يكون علّة أو مصدراً لأراد. فإنّ إرادة الخير رحمة. و قيل: متعلّق بمحذوف. أي: فعلت ما فعلت رحمة من ربّك. و إسناد الإرادة أوّلاً إلى نفسه لأنّه المباشر للتعييب، و ثانياً إلى الله و إلى نفسه لأنّ التبديل بإهلاك الغلام و إيجاد الله بدله، و ثالثاً إلى الله وحده لأنّه لا مدخل له في بلوغ الغلامين. أو لأنّ

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٥٣ ـ ٧٥٤.

٣ـ علل الشرائع / ٧٨، ح ١.

الأوّل في نفسه شرّ و الثالث خير و الثاني ممزوج. أو لاختلاف حال العارف في الالتفات إلى الوسائط. «ما لم تسطع»؛ أي: تستطع، فحذف التاء تخفيفاً.(١)

[٨٣] «وَ يَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً».

في كتاب الخصال عن أبي جعفر عليه السلام: انّ الله لم يبعث أنبياء ملوكاً في الأرض إلّا أربعة بعد نوح أوّلهم ذو القرنين ـ و اسمه عيّاش ـ و داوود و سليمان و يوسف. فأمّا عيّاش، فملك ما بين المشرق و المغرب. و أمّا داوود، فملك ما بين الشامات إلى بلاد اصطخر. و كذلك ملك سليمان. و أمّا يوسف، فملك مصر و براريها.(٢)

أقول: تضمّن هذا الحديث نبوّة ذي القرنين. و الأخبار الدالّة على أنّه ليس بنبيّ مستفيضة. و من ثمّ أوّل الصدوق هذا الخبر و نحوه بالحمل على المجاز لأنّه كان في زمن إبراهيم و كان داخلاً معهم في هداية الخلق و الدعوة إلى الحقّ. و الحمل على التقيّة ممكن.

اعلم أنّ الناس اختلفوا في ذي القرنين من هو. فقال طائفة: إنّه إلاسكندر بن قيلفوس اليونانيّ. و استدلّوا عليه أنّ القرآن نطق بأنّ ملك ذي القرنين بلغ المشرق و المغرب و دلّت كتب التواريخ على أنّ الإسكندر الروميّ كان كذلك، و العادة تقضي أنّ مثل ذلك الملك لايكون حاله مستتراً بل ظاهراً. و قال أبوريحان: إنّ ذا القرنين هو أبوكرب شمر بن عمير الحميريّ من أهل اليمن بلغ ملكه الدنيا كلّها. و القول الثالث: إنّه كان عبداً صالحاً ملّكه الله الأرض و أعطاه العلم و الحكمة و إن كنّا لانعرف من هو. و الظاهر من تتبّع الأخبار أنّه غير الإسكندر و إن كان في زمن إبراهيم و انّه أوّل الملوك بعد نوح. و أيضاً فالمعلوم أنّ الإسكندر كان من تلامذة أرسطاطاليس و هو على مذهبه من الكفر و الاعتقاد و ذو القرنين يجلّ عن هذا.

«و يسألونك عن ذي القرنين». يعني إسكندر الروميّ ملك فارس و الروم، و قيل

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١.

٢ـ الخصال ١ / ٢٤٨، ح ١١٠.

المشرق و المغرب، و لذلك سمّي ذا القرنين، أو لأنّه طاف قرني الدنيا شرقها و غربها، أو لأنّه انقرض في أيّامه قرنان من الناس. و قيل: لتاجه قرنان. و اختلف في نبوّته مع الاتّفاق على إيمانه و صلاحه. و السائلون مشركو أهل مكّة. «منه ذكراً». الهاء لذي القرنين، و قيل لله.[۱]

عن أبي جعفرعليه السلام: انّ ذا القرنين لم يكن نبيّاً. و إنّما كان عبداً صالحاً أمر قومه بتقوى الله، فضربوه على قرنه. فغاب عنهم زماناً، ثمّ رجع إليهم، فضربوه على قرنه الآخر. و فيكم من كان على سنّته.[۲]

عن أميرالمؤمنينعليه السلام أنّه رأى في المنام كأنّه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنها في شرقها و غربها، فلمّا قصّ رؤياه على قومه، عزّ فيهم و سمّوه ذاالقرنين.[۳]

عن أبي‌الحسن موسىعليه السلام قال: جاء نفر من اليهود إلى النبيّصلى الله عليه وآله فقال لهم: جئتموني تسألوني عن ذي‌القرنين؟ قالوا: نعم. قال: كان غلاماً من أهل الروم ملك و أتى مغرب الشمس و مشرقها ثمّ بنى السدّ فيها. قالوا: نشهد أنّه هكذا.[٤]

عن أبي عبداللهعليه السلام قال: صاحب موسى و ذوالقرنين كانا عالمين و لم يكونا نبيّين.[٥]

[۸٤] «إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَ آتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً».

«مكّنّا له»؛ أي: مكّنّا له أمره من التصرّف فيها كيف شاء. فحذف المفعول. «و آتيناه من كلّ شيء» أراده و توجّه إليه «سبباً»: وصلة توصله إليه من العلم و القدرة و الآلة.[٦]

«مكّنّا له في الأرض» حتّى استولى عليها. و عن عليّعليه السلام: سخّر الله له السحاب فحمله عليها. و بسط له النور فكان اللّيل و النهار عليه سواء. و ذلّل له طرق الأرض و أعطاه الله من كلّ شيء علماً يتسبّب به إلى إرادته و يبلغ به إلى حاجته.[۷]

۱ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۱.
۲ـ كمال الدين / ۳۹۳، ح ۱.
۳ـ الخرائج ۳ / ۱۱۷٤.
٤ـ قرب الإسناد / ۱۳٥.
٥ـ الكافي ۱ / ۲٦۹، ح ٥.
٦ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۱.
۷ـ مجمع البيان ٦ / ۷٥٦.

[٨٥ـ ٨٦] «فَأَتْبَعَ سَبَباً * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَ وَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً».

«فأتبع سبباً»؛ أي: فأراد بلوغ المغرب فأتبع سبباً توصله إليه. «في عين حمئة»؛ أي: ذات حمئة. من حمئت البئر، إذا صارت ذات حمأة. و ابن‌عامر: «حامية»؛ أي: حارّة. و لاتنافي بينهما لجواز أن تكون العين جامعة للوصفين. و لعلّه بلغ ساحل المحيط فرآهـا كـذلك. «و وجد» عند تلك العين قوماً لباسهم جلود الوحوش و طعامهم ما لفظه البحر و كانوا كفّاراً. فخيّره الله بين أن يعذّبهم أو يدعوهم إلى الإسلام كما حكى بقوله: «قلنا يا ذا القرنين إمّا أن تعذّب». أي بالقتل على كفرهم. «حسناً». أي بالإرشاد و تعليم الشرائع. و قيل: خيّره الله بين القتل و الأسر و سمّاه إحساناً في مقابلة القتل. و يؤيّد الأوّل قوله: «قال أمّا من ظلم».[١]

«فأتبع سبباً». أتبع يتعدّى إلى مفعولين. و تقديره: أتبع أمره سبباً. الكوفيّون و ابن‌عامر: «فأتبع» بقطع الألف مخفّفة التاء، و الباقون بهمزة الوصل و تشديد التاء و فتحه هنا و في قوله: «ثمّ أتبع سبباً». «تغرب»؛ أي: كأنّها تغرب «في عين حمئة» و إن كـانت تـغرب في ورائها. لأنّ الشمس لاتزايل الفلك و لاتدخل عين الماء كما أنّ من كان في البحر يرى كأنّها تغرب في الماء. و الحمأة: الطين الأسود. أبوجعفر و ابن‌عامر: «حامية».[٢]

[٨٧] «قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً».

«أمّا من ظلم»؛ أي: فاختاره الدعوة و قال: أمّا من دعوته و ظلم نفسه بالإصرار على الكفر، فيعذّبه أنا و من معي في الدنيا بالقتل و يعذّبه الله في الآخرة عذاباً مـنكراً لم يـعهد مثله.[٣]

[٨٨] «وَ أَمَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَ سَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً».

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١ ـ ٢٢.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٥٥ ـ ٧٥٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢.

«و أمّا من آمن فله» في الدارين. «جزاء الحسنى». جزاءً منوّناً منصوب على الحال ـ أي: فله المثوبة الحسنى مجزيّاً بها ـ أو على التمييز. و منوّناً مرفوعاً على أنّه المبتدأ و الحسنى بدله. و يجوز أن يكون إمّا و إمّا للتقسيم دون التخيير. أي: ليكن شأنك معهم إمّا التعذيب و إمّا الإحسان. فالأوّل لمن أصرّ على الكفر، و الثاني لمن تاب عنه. و نداء الله إيّاه، إن كان نبيّاً، فبوحي، و إن كان غيره، فبالإلهام أو على لسان نبيّ. «من أمرنا»؛ أي: ممّا نأمر به. «يسراً»: سهلاً متيسّراً غير شاقّ، أي: ذا يسر.[١]

[٨٩] «ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً».

«ثمّ أتبع»؛ أي: ثمّ أتبع طريقاً يوصله إلى المشرق.[٢]

[٩٠] «حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْراً».

«مطلع الشمس»؛ أي: الموضع الذي تطلع عليه الشمس أوّلاً من معمورة الأرض. «ستراً». أي من اللّباس و البناء. فإنّ أرضهم لاتمسك الأبنية. أو أنّهم اتّخذوا الأسراب بدل الأبنية.[٣]

[٩١] «كَذٰلِكَ وَ قَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً».

«كذلك»؛ أي: أمر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان و بسطة الملك. أو: أمره فيهم كأمره في أهل المغرب من التخيير و الاختيار. أو صفة قوم. أي على قوم مثل ذلك القبيل الذين تغرب عليهم الشمس في الحكم و الكفر. «و قد أحطنا بما لديه» من الجنود و الآيات و العدد «خبراً»؛ أي: علماً تعلّق بظواهره و خفاياه. و المراد أنّ كثرة ذلك بلغت مبلغاً لايحيط

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢.

به إلّا علم اللّطيف الخبير.(١)

[٩٢] «ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً».

«ثمّ أتبع سبباً»؛ يعني: طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق و المغرب آخذاً من الجنوب إلى الشمال.(٢)

[٩٣] «حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً».

«بين السدّين»؛ أي: الجبلين المبنيّ بينهما سدّه. و هما جبلا أرمينية و آذربيجان. و قيل: جبلان في آخر الشمال في منقطع أرض الترك من ورائهما يأجوج و مأجوج. و «بين» هاهنا مفعول به. و هو من الظروف المتصرّفة. «لايكادون يفقهون قولاً» لغرابة لغتهم و قلّة فطنتهم. حمزة و الكسائيّ: «لايفقهون» بضمّ الياء و كسر الهاء أي لايفهمون السامع كلامهم لتلعثمهم فيه. «السدّين». ابن‌عامر: «السُّدّين» بالضمّ. و هما لغتان.(٣)

[٩٤] «قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ سَدّاً».

في علل الشرائع عن العسكريّ عليه السلام في حديث طويل أنّ نوحاً عليه السلام دعا و هو في السفينة على ولديه حام و يافث أن يغيّر الله ماء صلبهما. و قال: جميع الترك و الصقالبة و يأجوج و مأجوج و الصين من يافث حيث كانوا.(٤) و في الكافي عن أميرالمؤمنين عليه السلام: انّ الناس كلّهم من ولد آدم ما خلا يأجوج و مأجوج.(٥)

«قالوا يا ذا القرنين إنّ يأجوج و مأجوج». قبيلتان من ولد يافث بن نوح. و قيل: يأجوج من الترك. و مأجوج من الجبل و الديلم. و هما اسمان أعجميّان بدليل منع الصرف.

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢.
٤ـ علل الشرائع / ٣٢، ح ١.
٥ـ الكافي ٨ / ٢٢٠، ح ٢٧٤.

و قيل: عربيّان من أجّ الظليم، إذا أسرع. و منع صرفهما للتعريف و التأنيث. «في الأرض»؛ أي: في أرضنا بالقتل و التخريب و إتلاف الزرع. قيل: كانوا يخرجون الربيع فلا يتركون أخضر إلّا أكلوه و لا يابساً إلّا احتملوه. و قيل: كانوا يأكلون الناس. «خرجاً»: جعلاً نخرجه من أموالنا. و الخرج و الخراج واحد. و قيل: الخراج على الأرض و الذمّة و الخرج المصدر. «سدّاً» دون خروجهم علينا.[١]

«يأجوج و مأجوج». قرأ عاصم: «يأجوج و مأجوج» بالهمزة، و الباقون بغير الهمزة. «خرجاً». أهل الكوفة غير عاصم: «خراجاً» بالألف.[٢]

«يأجوج و مأجوج». عبدالله بن سليمان قال: قرأت في بعض كتب الله أنّ يأجوج و مأجوج عراة حفاة لايغزلون و لايلبسون، عليهم وبر كوبر الإبل يواريهم من الحرّ و البرد. و لهم مخالب و أنياب كالسباع. و هم يرزقون نون البحر كلّ عام يقذفه عليهم السحاب يعيشون به. و يستمطرونه في أيّامه كما يستمطر الناس المطر و لايأكلون شيئاً غيره. و إذا أخطأهم النون، جدبوا و قحطوا [و ساحوا] في البلاد لايدعون شيئاً إلّا أتوا عليه. يتسافدون كالبهائم على ظهر الطريق. يسمع حسّهم من مسيرة مائة فرسخ لكثرتهم. يفترسون البهائم كالسباع. فطلب من يليهم من ذي القرنين الردم بينهم، و دلّهم على معدن الحديد و النحاس، و دلّهم على معدن السامور لقطع الحديد. فأذابوا النحاس فجعله كالطين لزبر الحديد. و قاس ما بين الصدفين فوجده ثلاثة أميال. فحفر أساساً جعل عرضه ميلاً و جعل حشوه زبر الحديد و جعل النحاس خلاله طبقة من هذا و أخرى من هذا حتّى ساوى الردم بطول الصدفين فصار كأنّه برد حبرة من صفرة النحاس و حمرته و سواد الحديد. و يأجوج و مأجوج ينتابونه في كلّ سنة لأنّهم يسيحون في بلادهم. فلايزالون كذلك حتّى تقرب الساعة و تجيء أشراطها ـ و هو قيام القائم عليه السلام ـ فتحه الله لهم ـ الحديث.[٣]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٢ ـ ٢٣.　　٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٥٩.

٣ـ بحار الأنوار ١٢ / ١٩١، كمال الدين ٢ / ٤٠٠ ـ ٤٠٣.

[٩٥] «قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْماً».

«ما مكّنّي»؛ أي: ما جعلني فيه مكيناً من المال و الملك خير ممّا تبذلون من الخراج و لا حاجة لي إليه. «بقوّة»؛ أي: بما أتقوّى به من الآلات. «ردماً»: حاجزاً حصيناً. و هو أكبر من السدّ.(١)

عن بعض آل محمّد عليه و عليهم السلام: انّ ذاالقرنين وصفت له عين الحياة فخرج في طلبها حتّى أتى موضعها. و كان في ذلك الموضع ثلاثمائة و ستّون عيناً. و كان الخضر عليه السلام على مقدّمة عساكره، فأعطاه و أعطى قوماً من أصحابه كلّ رجل منهم حوتاً مملحاً فقال: ليغسل كل واحد منكم حوته عند عين. فانتهى الخضر على عين فلمّا غمس الحوت انساب في الماء. فرمى الخضر ثيابه و جعل يرتمس في الماء رجاء أن يصيبه. فلمّا رجع، أخبر ذا القرنين. قال له: أ شربت من الماء؟ قال: نعم. فطلبها ذوالقرنين فلم يجدها. فقال للخضر: أنت صاحبها.(٢)

«ما مكّنّي». ابن‌كثير: «ما مكّنني» بنونين. و عن أبي بكر: «ردماً ائتونى» بالوصل، و الباقون بقطع الهمزة في الحرفين.(٣)

[٩٦] «آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً».

«زبر الحديد»: قطعه. و الزبرة: القطعة الكبيرة. و هو لاينافي ردّ الخراج و الاقتصار على المعونة. لأنّ الايتاء بمعنى المناولة و إعطاء آلالة من الإعانة بالقوّة دون الخراج على العمل. «بين الصدفين»؛ أي: بين جانبي الجبلين بتنضيدهما زبر الحديد. من الصدف و هو الميل. لأنّ كلّاً منهما منعزل عن الآخر. و منه التصادف للتقابل. «قال انفخوا»: قال للعملة: انفخوا في الأكوار و الحديد. «حتّى إذا جعل المنفوخ فيه «ناراً»: كالنار بالإحماء. «قال آتوني أفرغ عليه قطراً»؛ أي: نحاساً مذاباً أفرغ عليه قطراً. فحذف الأوّل لدلالة الثاني عليه.(٤)

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٣.

٢ـ تفسيرالعيّاشيّ ٢ / ٣٤٠ ـ ٣٤١، ح ٧٧.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٥٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٣.

«الصدفين». أهل الكوفة و المدينة غير أبي بكر: «الصدفين» بفتح الصاد و الدال. و الباقون بضمّ الصاد و الدال غير أبي‌بكر، فإنّه قرأ بضمّ الصاد و سكون الدال.(۱)

[۹۷] «فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً».

«فما اسطاعوا» بحذف التاء تخفيفاً. و قرأ حمزة بالإدغام جامعاً بالساكنين على غير حدّه. «أن يظهروه»؛ أي: يعلوه بالصعود لارتفاعه و انملاسه. «نقباً». أي لثخنه و صلابته. قيل: حفر للأساس حتّى بلغ الماء و جعله من الصخر و النحاس المذاب و البنيان من زبر الحديد بينهما الحطب و الفحم حتّى [ساوى أعلى الجبلين، ثمّ وضع المنافيخ حتّى] صارت كالنار، فصبّ النحاس المذاب عليها فاختلط و التصق بعضه ببعض و صار جبلاً صلداً.(۲)

حمزة: «فما اسطّاعوا» مشدّدة الطاء. و الباقون خفيفة الطاء.(۳)

[۹۸] «قَالَ هٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً».

«قال هذا»؛ أي: السدّ و الإقدار على تسويته. «وعد ربّي»: وقت وعده بخروج يأجوج و مأجوج أو بقيام الساعة بأن شارف يوم القيامة. «جعله دكّاً»؛ أي: مدكوكاً مبسوطاً مستوًى بالأرض. مصدر بمعنى المفعول. و قرأ الكوفيّون: [دكّاء] بالمدّ. أي: أرضاً مستوية. «وعد ربّي حقّاً». هذا آخر حكاية قول ذي القرنين.(٤)

و في العيّاشيّ عن الصادق عليه السلام في قوله: «فإذا جاء وعد ربّي جعله دكّاً» قال: رفع التقيّة عند ظهور المهديّ عليه السلام فانتقم من أعداء الله.(٥) و ذلك أنّه ورد في الأخبار أنّ المراد بالسدّ في باطن الآية هو التقيّة.(٦) لأنّها حصن الشيعة تقيهم من ضرر المخالفين.

عنه صلى الله عليه و آله: يأجوج أمّة و مأجوج أمّة، كلّ أمّة أربعمائة أمّة. لايموت الرجل منهم حتّى

۱ـ مجمع البيان ٦ / ٧٥٩.
۲ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۳.
۳ـ مجمع البيان ٦ / ٧٥٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۳.
٥ـ تفسير العيّاشيّ ۲ / ۳٥۱، ح ۸٦.
٦ـ تفسير العيّاشيّ ۲ / ۳٥۱، ح ۸٥ و ۸٦.

ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلّ قد حمل السلاح. و هم ثلاثة أصناف. صنف منهم أمثال الأرز، و هو شجر طوال يكون بالشام. و صنف منهم طولهم و عرضهم سواء. و هؤلاء الذين لايقوم لهم خيل و لا حديد. و صنف منهم يفترش إحدى أذنيه و يلتحف بـالأخرى. و لايمرّون بفيل و لا خنزير و لا جمل إلّا أكلوه. مقدّمتهم بالشام، و ساقتهم بخراسان. يشربون أنهار المشرق و بحيرة طبريّة. و قال السدّيّ: الترك سرية من يأجوج و مأجوج خرجت تغير، فجاء ذو القرنين فضرب السدّ فبقيت خارجة. و قال كعب: هم نادرة من ولد آدم. وذلك أنّ آدم احتلم ذات يوم و امتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج و مأجوج. فهم متّصلون بنا من جهة الأب دون الأمّ. و هو بعيد. في الحديث أنّهم يدأبون في حفر السدّ حتّى إذا أمسوا قالوا: نرجع غداً و نفتحه. و لايستثنون. فيعودون من الغد و قد رجع كما كان. حتّى إذا جاء الوعد قالوا: نفتحه غداً إن شاء الله. فيحفرونه غداً و يفتحونه و يخرجون فيتحصّن الناس منهم في حصونهم فيبعث الله عليهم نغفاً يدخل في آذانهم فيموتون.(١)

[٩٩] «وَ تَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً».

«و تركنا بعضهم»؛ أي: جعلنا بعض يأجوج و مأجوج حين يخرجون من وراء السدّ يموج في بعض مزدحمين في البلاد. أو: يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون و يختلطون إنسهم و جنّهم حيارى. و يؤيّده: «و نفخ في الصور». «فجمعناهم» للحساب و الجزاء.(٢)

[١٠٠] «وَ عَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضاً».

«و عرضنا جهنّم»؛ أي: أبرزناها و أظهرناها لهم.(٣)

[١٠١] «الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَ كَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً».

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٦٣ ـ ٧٦٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٣ ـ ٢٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٤.

«في غطاء عن ذكري». قالوا: كانوا لاينظرون إلى ما خلق الله من الآيات و السموات.(۱)

«الذين كانت». سأل المأمون أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قوله تعالى: «الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري» فقال عليه السلام: إنّ غطاء العين لايمنع من الذكر. و الذكر لايرى بالعين. ولكنّ الله شبّه الكافرين لولاية عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام بالعميان، لأنّهم كانوا يستثقلون قول النبيّ صلى الله عليه و آله و لايستطيعون سمعاً. قال المأمون: فرّجت عنّي. فرّج الله عنك.(۲)

«في غطاء». ذكر السبب الذي استحقّوا به النار. يعني أنّهم أعرضوا عن التفكّر في الآيات فصاروا بمنزلة من يكون بعينه غطاء يمنعه من الإدراك و كانوا يثقل عليهم سماع القرآن. كما يقال: فلان لايستطيع النظر إليك و لا سماع كلامك. يعني يثقل عليه ذلك. و أراد بالعين هنا عين القلب.(۳)

[۱۰۲] «أَ فَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً».

و في المجمع: قرأ أبوبكر في رواية الأعشى: «أفحسْبُ الذين» بضمّ الباء و سكون السين. و هي قراءة أميرالمؤمنين عليه السلام.(٤)

و عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله سبحانه: «أفحسب الذين كفروا»: يعنيهما و أشياعهما الذين اتّخذوهما من دون الله أولياء و كانوا بحبّهما كافرين. و قوله: «إنّا أعتدنا جهنّم للكافرين» قال: لهما و لأشياعهما معدّ عند الله. كذا في تفسير عليّ بن إبراهيم رحمه الله.(٥)

«أفحسب الذين» جحدوا التوحيد أن يتّخذوا من دوني أرباباً ينصرونهم و يدفعون عقابي عنهم كالمسيح و الملائكة الذين عبدوهم من دون الله و هم برآء منهم. أو: حسبوا أن

۱ـ تفسير القمّيّ ۲ / ٤٦.
۲ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ۱ / ۱۱۱ ـ ۱۱۲، ح ۳۳.
۳ـ مجمع البيان ٦ / ٧٦٦.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٦٥.
٥ـ تفسير القمّيّ ۲ / ٤٧.

يتّخذوهم آلهة و أنا لاأغضب عليهم و لاأعاقبهم. و يدلّ على هذا المحذوف قوله: «إنّا أعتدنا جهنّم للكافرين [نزلاً»؛ أي: معدّة للكافرين] عندنا كما يتهيّأ النزل للضيف.(١)

[و قراءة عليّ عليه السلام:] «أفحَسْب»؛ أي: أفحسبهم أن يتّخذوهم أولياء، على المبتدأ و الخبر. و المعنى أنّ ذلك لايكفيهم و لاينفعهم عند الله كما حسبوا.(٢)

«نزلاً»: ما يعدّ للنزيل. و فيه تهكّم و تنبيه على أنّ لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه.(٣)

[١٠٣ ـ ١٠٤] «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً».

«بالأخسرين»؛ أي: أخسر الناس فيما عملوا. و هم أهل الكتاب. و عن عليّ عليه السلام: و ما أهل النهر منهم ببعيد. يعني الخوارج. «ضلّ سعيهم»؛ أي: بطل عملهم لأنّهم عملوه على خلاف الوجه الذي أمرهم به.(٤)

«الذين ضلّ سعيهم»؛ أي: هم الذين. لأنّه جواب عن سؤال.(٥)

و في عوالي اللآلي عن الكاظم عليه السلام «بالأخسرين أعمالاً» قال: هم الذين يتمادون بحجّ الإسلام و يسوّفونه.(٦)

و في كتاب الاحتجاج عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «الأخسرين أعمالاً» كفرة أهل الكتاب اليهود و النصارى. و قد كانوا على الحقّ فابتدعوا في أديانهم «و هم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً».(٧)

[١٠٥] «أُولٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَ لِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٦٧.
٢ـ الكشّاف ٢ / ٧٤٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٤.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٦٧.
٥ـ الكشّاف ٢ / ٧٥٠.
٦ـ عوالي اللآلي ٢ / ٨٦، ح ٢٣٢.
٧ـ الاحتجاج ١ / ٢٦٠ ـ ٢٦١.

الْقِيَامَةِ وَزْناً».

«وزناً»؛ أي: لايقام لهم ميزان. لأنّ الميزان إنّما يوضع لأهل الحسنات و السيّئات من الموحّدين.[١]

«وزناً»؛ أي: لا قيمة لهم عندنا و لاكرامة بل نستخفّ بهم و نعاقبهم. تقول العرب: ما لفلان عندنا وزن؛ أي: قدر و منزلة. و يوصف الجاهل لسرعة طيشه بأنّه لا وزن له. و روي في الصحيح أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن جناح بعوضة.[٢]

و في عيون الأخبار عن الرضا عليه السلام: «الذين كفروا بآيات ربّهم» يعني بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام «و لقائه»: كفروا بأن لقوا الله بغير إمامته «فحبطت أعمالهم».[٣]

[١٠٦] «ذٰلِكَ جَزاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَ اتَّخَذُوا آيَاتِي وَ رُسُلِي هُزُواً».

«ذلك»؛ أي: الأمر ذلك. و قوله: «جزاؤهم جهنّم» جملة مبيّنة له. أو يكون ذلك مبتدأ و جزاؤهم خبره و جهنّم عطف بيان للخبر.[٤]

«ذلك جزاؤهم». أي: الأمر ذلك الذي ذكرت من حبوط أعمالهم. ثمّ ابتدأ سبحانه فقال: «جزاؤهم جهنّم بما كفروا»؛ أي: بكفرهم و اتّخاذهم أدلّتي الدالّة على التوحيد ـ يعني القرآن و رسلي ـ مهزوءاً به.[٥]

[١٠٧] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً».

أي: كان في حكم الله و علمه لهم بساتين الفردوس؛ و هو أطيب موضع في الجنة و أوسطها و أفضلها. «نزلاً»؛ أي: منزلاً و مأوًى. و عن النبيّ صلى الله عليه وآله: الجنّة مائة درجة ما بين كلّ

١ـ الكشّاف ٢ / ٧٤٩. ٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٦٧.

٣ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ١٢٤ ـ ١٢٥، ح ١. ٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٤.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٧٦٧.

درجتين كما بين السماء و الأرض. و أعلاها درجة الفردوس؛ يتفجّر أنهار الجنّة منها. فإذا سألتم الله فاسألوا الفردوس.(١)

و في تفسير عليّ بن إبراهيم عن أبي عبدالله عليه السلام: «إنّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات». نزلت في أبي ذرّ و المقداد وسلمان و عمّار. جعل الله لهم جنّات الفردوس مأوًى و منزلاً.(٢)

[١٠٨] «خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً».

«لايبغون عنها»؛ أي: لايطلبون عن تلك الجنان تحوّلاً إلى موضع آخر لطيبتها و حصول مرادهم فيها.(٣)

«حولاً». الحول: التحوّل. يعني لا مزيد عليها حتّى تنازعهم أنفسهم إلى أجمع لأغراضهم و أمانيّهم. و هذه غاية الوصف. لأنّ الإنسان في الدنيا في أيّ نعيم كان فهو طامح الطرف إلى أرفع منه.(٤)

[١٠٩] «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً».

«لو كان البحر». و هو اسم الجنس. أي: لو كان البحر بمائه مداداً ليكتب به ما يقدر الله عليه من الكلام و الحكم. و قيل: أراد بالكلمات ما يقدر سبحانه على أن يخلقه من الأشياء و يأمر به. كما قال في عيسى: «و كلمته ألقاها إلى مريم».(٥) و قيل: أراد بالكلمات ما وعد لأهل الثواب و أوعد لأهل العقاب. «لنفد البحر»؛ أي: لفنى ماء البحر، و لو جئنا بمثل البحر مدداً و عوناً له. و قيل: أراد بكلمات ربّي: معاني كلمات ربّي. لأنّه قد فرغ من كتابة الألفاظ. و عن ابن عبّاس: لمّا نزلت قوله: «و ما أوتيتم من العلم إلّا قليلاً»(٦) قالت اليهود: أوتينا علماً

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٦٩.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٦.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٦٩.

٤ـ الكشّاف ٢ / ٧٥٠.

٥ـ النساء (٤) / ١٧١.

٦ـ الإسراء (١٧) / ٨٥.

كثيراً. أوتينا التوراة. فأنزل الله هذه الآية. و لذلك قال الحسن: أراد بالكلمات العلم فإنّه لايحصى. «أن تنفد». أهل الكوفة غير عاصم: «أن ينفد» بالياء. لأنّ التأنيث غير حقيقيّ.[۱]

[۱۱۰] «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً».

«قل إنّما أنا بشر». قال ابن‌عبّاس: علّم الله نبيّه التواضع فأمره بأن يقرّ على نفسه بأنّه آدميّ كغيره إلّا أنّه أكرم بالوحي. أي: لا فضل لي عليكم إلّا بالدين و النبوّة. و لا علم لي إلّا ما علّمنيه. فمن كان يطمع في لقاء ثواب ربّه و يقرّ بالبعث و الوقوف بين يديه، «فليعمل عملاً صالحاً»: خالصاً لله تعالى «و لايشرك بعبادة ربّه» غيره من ملك أو شجر أو حجر أو لايرائي في عبادته. عن مجاهد قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: إنّي أتصدّق و أصل الرحم لله، فيذكر ذلك منّي و أحمد عليه فيسرّني ذلك و أعجب به. فسكت رسول الله ﷺ فنزلت الآية. و قيل: إنّ هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن. و روى الصدوق بإسناده إلى أميرالمؤمنين عليه السلام قال: ما من عبد يقرأ: «قل إنّما أنا» ـ الآية ـ إلّا كان له نور في مضجعه إلى بيت الله الحرام. فإن كان من أهل البيت الحرام، كان له نور إلى بيت المقدس. و قال أبوعبدالله عليه السلام: ما من أحد يقرأ آخر الكهف عند النوم إلّا تيقّظ في الساعة التي يريدها.[۲]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «فليعمل عملاً صالحاً» قال: العمل الصالح المعرفة بالأئمّة عليهم السلام. «و لايشرك بعبادة ربّه أحداً» التسليم لعليّ عليه السلام لايشرك معه في الخلافة من ليس له ذلك و لا هو من أهله.[۳]

۱ـ مجمع البيان ٦ / ٧٦٩ ـ ٧٧٠ و ٧٦٨.
۲ـ مجمع البيان ٦ / ٧٧٠ ـ ٧٧١.
۳ـ تفسير العيّاشيّ ٢ / ٣٥٣، ح ٩٧.

۱۹.
سورة مريم

قال الصادق عليه السلام: من قرأ سورة مريم، لم يمت حتّى يصيب في الدنيا ما يغنيه في نفسه و ماله و ولده، و كان في الآخرة من أصحاب عيسى عليه السلام و أعطي من الأجر في الآخرة ملك سليمان بن داوود في الدنيا.[۱]

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، أعطي من الأجر عدد من صدّق بزكريّا و كذّب به ـ الحديث.[۲]

و من كتبها و جعلها في إناء نظيف في منزله، كثر خيره و منعت طوارق السوء. و من شربها و هو خائف أمن.[۳]

[۱] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ * كهيعص».

أبوعمرو بإمالة الهاء و فتح الياء و ابن‌عامر بفتح الهاء و إمالة الياء و الكسائيّ بإمالة الياء و الهاء [في] «كهيعص». و عامّة القرّاء على خلاف الإظهار ـ أي إظهار النون من عين ـ و إن كان إظهارها أجود في العربيّة. لأنّ حروف الهجاء و العدد ينفصل بعضها من بعض.[٤]

عن سعد بن عبدالله القمّيّ قال: أعددت مسائل و دخلت بها على مولانا العسكريّ عليه السلام و على فخذه الأيمن غلام يناسب المشتري في المنظر فأومى إليّ و قال: سل قرّة عيني. فقلت للغلام: أخبرني عن «كهيعص». قال: هذه الحروف من أنباء الغيب؛ أطلع الله عليها زكريّا ثمّ قصّها على محمّد صلى الله عليه وآله. و ذلك أنّ زكريّا سأل ربّه أن يعلّمه أسماء الخمسة الأشباح، فكان إذا

۱ـ مجمع البيان ٦ / ٧٧٢.

۲ـ المصباح / ٥٨٥.

۳ـ المصباح / ٦٠٧.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٧٣ ـ ٧٧٤.

ذكر الأربعة انجلى همّه و إذا ذكر الحسين عليه السلام خنقته العبرة، فسأل ربّه سبحانه عن السبب، فأنبأه الله عن قصّته فقال: «كهيعص». فالكاف اسم كربلاء. و الهاء هلاك العترة. و الياء يزيد و هو ظالم الحسين عليه السلام . و العين عطشه. و الصاد صبره. فلمّا سمع زكريّا ذلك أقبل على البكاء و قال: اللّهمّ ارزقني ولداً مرضيّاً فافتنّي بحبّه ثمّ أفجعني كما تفجع محمّداً حبيبك صلى الله عليه و آله بولده الحسين عليه السلام. فرزقه الله يحيى و فجّعه به. و كان موازياً للحسين عليه السلام في أمور كثيرة.[١]

و عن ابن عبّاس: «كهيعص». الكاف من كريم. و الهاء من هادي. و الياء من حكيم. و العين من عليم. و الصاد من صادق. فيكون كلّ واحد من هذه الحروف دالّاً على صفة من صفات الله. و عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في دعائه: أسألك يا كهيعص.[٢]

[٢] «ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا».

«ذكر» خبر ما قبله [إن] أوّل بالسورة. أو خبر محذوف. أي: هذا المتلوّ ذكر رحمة ربّك. و ذكر مضاف إلى المفعول و الرحمة إلى الفاعل. و «عبده» مفعول الرحمة. و «زكريّا» عطف بيان أو بدل.[٣]

«ذكر رحمة ربّك»: أي هذا خبر رحمة ربّك زكريّا حيث استجاب دعاءه بالولد. زكريّا من أنبياء بني إسرائيل من أولاد هارون بن عمران أخي موسى.[٤]

[٣] «إِذْ نَادىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً».

«نادى»: أي: دعا. «خفيّاً» لشدّة الإخلاص به، أو لئلّا يلام على طلب الولد في إبان الكبر، أو لئلّا يطّلع عليه مواليه الذين يخافهم، أو لأنّ ضعف الهرم أخفى صوته.[٥]

[٤] «قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ

١ـ تأويل الآيات ١ / ٢٩٩ ـ ٣٠٠، ح ١.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٧٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٦، و مجمع البيان ٦ / ٧٧٥.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٧٥ ـ ٧٧٦.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٧٧٦، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٦.

شَقِيّاً».

«وهن العظم». أراد به الجنس. أي ضعف مع صلابته فكيف غيره من اللّحم و العصب. و عمّ الشيب الرأس و هو نذير الموت.[١]

«و لم أكن بدعائك»؛ أي: لم أكن بدعائي إيّاك فيما مضى مخيّباً محروماً، بل عوّدتني الإجابة. يقال: شقي بحاجته فلان، إذا تعب بسببها و لم يحصل مطلوبه منها.[٢] و عن بعضهم أنّ محتاجاً سأله فقال: أنا الذي أحسنت إليّ وقت كذا. فقال: مرحباً بمن توسّل بنا إلينا. وقضى حاجته.[٣]

[٥] «وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَ كَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً».

«الموالي». هم العمومة و بنو العمّ. عن أبي جعفرعليه السلام. و كانوا شرار بني إسرائيل. «من ورائي»؛ أي: بعد موتي. و هو متعلّق بمحذوف. أي: فعل الموالي. إذ الخوف لايكون بعد الموت. و في قراءة زيد و عليّ بن الحسين و الباقرعليهما السلام: «خفّت الموالي» بفتح الخاء و تشديد الفاء و كسر التاء.[٤]

«ورائي». عن ابن كثير بالقصر و فتح الياء.[٥]

[٦] «يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً».

عن أبي عمرو: «يرثْني و يرثْ» بالجزم. و في قراءة عليّ بن أبي طالبعليه السلام: «يرثني و أرث من آل يعقوب». «عاقراً»؛ أي: عقيماً لاتلد. فهب لي ولداً يكون أولى بميراثي. و قوله: «يرثني» بالرفع صفة الولد ـ أي: وليّاً وارثاً ـ و بالجزم جواب الدعاء. «من آل يعقوب». هو

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٧٦، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٦.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٧٦.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٤.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٧٦ و ٧٧٣، و الكشّاف ٣ / ٤.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧.

ابن إسحاق...[١] كانت من أولاد يهوذا ابن يعقوب. و زكريّا من ولد هارون و هو من ولد لاوي بن يعقوب. أي: يرثني مالي و يرث من آل يعقوب النبوّة. و ذلك لأنّ الميراث حقيقة... .[٢] «و اجعله رب رضيّاً»؛ أي: مرضيّاً عندك ممتثلاً لأمرك. و متى حملنا الإرث على النبوّة، كان هذا عبثاً كأنّه قال: اللّهمّ اجعله نبيّاً عاقلاً مرضيّاً. و لأنّه قال: «و إنّي خفت الموالي» و لايكون [ذلك] إلّا من جهة المال خوفاً من أن يصرفوه فيما لاينبغي فيكون فيه إعانة الفساد.[٣]

[٧] «يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً».

«بغلام». و هو اسم الولد أوّل ما يبلغ. «سميّاً»؛ أي: لم يسمّ باسمه أحد قبله. فقد سمّاه الله بالاسم الغريب لأنّ دين الله حيي بدعوته، أو لأنّه حيي به رحم أمّه.[٤]

[٨ ـ ٩] «قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَ كَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً * قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَ قَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً».

«قال ربّ أنّى يكون لي ولد» على جهة الاستخبار. أي: أتعيدنا شابّين، أم ترزقنا الولد شيخين؟ «عتيّاً»؛ أي: حال اليبس و نحول العظم. و كان له بضع و تسعون سنة. و قيل: إنّما استعجب الولد من شيخ فان و عجوز عاقر اعترافاً بأنّ المؤثّر فيه كمال قوّته و أنّ الوسائط عند التحقيق ملغاة. و لذلك «قال» أي الله أو الملك المبلّغ للرسالة بالبشارة تصديقاً له: «كذلك»؛ أي: الأمر كذلك كما قلت، و هو على ذلك يهون عليّ لاأحتاج فيه إلى الأسباب. أو معنى «كذلك» أي: الأمر على ما أخبرتك من هبة الولد على الكبر. «قال ربّك هو عليّ هيّن» بأن أردّ عليك قوّتك حتّى تقوى على الجماع و أفتق رحم امرأتك بالولد. و «عتيّاً» أصله

١ـ النسخة ممحوّة لايقرأ. انظر: مجمع البيان ٦ / ٧٧٦.
٢ـ النسخة ممحوّة لا يقرأ. انظر: مجمع البيان ٦ / ٧٧٦.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٧٣ و ٧٧٦ ـ ٧٧٧.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٧٨ ـ ٧٧٩، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧.

[عتوو كقعود] فاستثقلوا توالي الضمّتين و الواوين فكسروا التاء فقلبت الواو الأولى ياء ثمّ قلبت الثانية و أدغمت. «و لم تك شيئاً» بل كنت معدوماً صرفاً. فالقدرة على إزالة ما يمنع قبول الولد أيسر. و فيه دليل على أنّ المعدوم ليس بشيء.[١]

«عتيّاً» بكسر أوّله حمزة و الكسائيّ [و حفص]، و الباقون بالضمّ. و قرأ حمزة و الكسائيّ: «و قد خلقناك».[٢]

[١٠] «قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً».

«آية»: أي: علامة أستدلّ بها على وقت كونه. «سويّاً»: أي: صحيحاً من غير علّة. قال ابن‌عبّاس: اعتقل لسانه من غير مرض ثلاثة أيّام. و قيل: كان يقرأ الزبور و يدعو الله و لايمكنه أن يكلّم الناس. و هذا أمر خارج عن العادة.[٣] و إنّما ذكر اللّيالي هنا و الأيّام في آل عمران للدلالة على أنّه استمرّ عليه المنع من كلام الناس و التجرّد للذكر ثلاثة أيّام و لياليهنّ.[٤]

[١١] «فَخَرَجَ عَلىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَ عَشِيّاً».

«من المحراب»: أي: مصلّاه. سمّي المحراب محراباً لأنّه محلّ حرب الشيطان على الصلاة. كان زكريّا قد أخبر قومه بما بشّر به. فلمّا خرج عليهم و امتنع من كلامهم، علموا إجابة دعائه فسرّوا به. «فأوحى إليهم»: أي: أشار إليهم بيده، أو كتب على الأرض. «أن سبّحوا». المراد الصلاة مجازاً لأنّه جزء الصلاة. لأنّهم كانوا يصلّون معه الفجر و العشاء فكان يخرج إليهم فيأذن لهم، فلمّا اعتقل لسانه، خرج و أذن لهم بغير كلام، فعرفوا عند ذلك أنّه قد جاء وقت حمل امرأته بيحيى.[٥]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٧٩ ـ ٧٨٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٧٧ ـ ٧٧٨.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٨٠.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٧ ـ ٢٨.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٧٨٠.

[۱۲] «يَا يَحْيىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً».

«خذ الكتاب» ـ يعني التوراة ـ بما قوّاك الله به على العمل به، أو بجدّ و عزيمة. «و آتيناه الحكم»؛ أي: النبوّة، في حال صباه. و قال الصبيان ليحيى: اذهب بنا نلعب. فقال: [ما] للّعب خلقنا. فأنزل الله فيه: «و آتيناه الحكم صبيّاً».[۱]

«و آتيناه الحكم صبيّاً» مثل عيسى. و كان يحيى و عيسى ابني خالة.

[۱۳] «وَ حَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وَ زَكَاةً وَ كَانَ تَقِيّاً».

«حناناً»؛ أي: رحمة منّا عليه و تعطّفاً في قلبه على أبويه و غيرهما. عطف على الحكم. «و زكاة»؛ أي: طهارة من الذنوب. أو: صدقة. [أي] تصدّق الله به على أبويه، أو مكّنه و وفّقه للتصدّق على الناس. «تقيّاً»؛ أي: متجنّباً عن المعاصي.[۲]

«و حناناً». قيل: معناه تحنّن الله عليه. كان إذا قال: يا ربّ، قال الله: لبّيك يا يحيى. و هو المرويّ عن الباقر عليه السلام.[۳]

[۱٤] «وَ بَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَ لَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً».

«و برّاً بوالديه»: و بارّاً بوالديه. «ولم يكن جبّاراً عصيّاً»: عاقّاً أو عاصي ربّه.[٤]

[۱٥] «وَ سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً».

«و سلام عليه» من الله «يوم ولد» من أن يناله الشيطان ما ينال به بني آدم «و يوم يموت» من عذاب القبر «و يوم يبعث حيّاً» من عذاب النار و سؤال القيامة.[٥]

و قوله: «حيّاً» إشارة إلى أنّه من الشهداء الموصوفين بالحياة عند ربّهم.[٦]

عن الرضا عليه السلام: أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يلد فيخرج من بطن

۱ـ مجمع البيان ٦ / ۷۸۱.
۲ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۸.
۳ـ مجمع البيان ٦ / ۷۸۲.
٤ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۸.
٥ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۲۸.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ۷۸۲.

أمّه فيرى الدنيا. و يوم يموت فيعاين الآخرة و أهلها. و يوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا. و قد سلّم الله على يحيى في هذه الثلاثة المواطن وآمن روعته.(١)

[١٦] «وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً».

«و اذكر في الكتاب مريم». شروع في ابتداء خلق عيسى عليه السلام. و لا ريب أنّ خلق الولد بين شيخين فانيين أقرب إلى مناهج العادات من تخليق الولد من غير أب. و لهذا أخّرت قصّة عيسى عن قصّة يحيى ترقّياً من باب التفهيم من الأدنى إلى الأعلى.(٢)

«في الكتاب»؛ أي: في القرآن. «مريم». يعني قصّتها. «إذ انتبذت»: إعتزلت. بدل من مريم بدل الاشتمال. «شرقيّاً»؛ أي: شرقيّ بيت المقدس. أو: شرقيّ بيتها. و لذلك اتّخذت النصارى المشرق قبلة. و «مكاناً» ظرف أو مفعول لأنّ انتبذت متضمّنة معنى أتت.(٣)

قيل: إنّها تمنّت أن تجد خلوة فتفلي رأسها. فخرجت في يوم شديد البرد فجلست في مشرقة للشمس.(٤)

[١٧] «فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً».

«فاتّخذت من دونهم»: فضربت من دون أهلها حجاباً و ستراً لئلّا يروها. «روحنا». يعني جبرئيل عليه السلام. فإنّه روحانيّ. و أضافه إلى نفسه تشريفاً له. فانتصب بين يديها في صورة آدميّ صحيح.(٥)

«بشراً سويّاً». أتاها جبرئيل متمثّلاً بصورة شابّ أمرد سويّ الخلق لتستأنس بكلامه. و لعلّه لتهييج شهوتها فتنحدر نطفتها إلى رحمها.(٦)

أقول: هذا كلام من قاس حال البتول مريم على بنات نفسه حتّى صدرت منه هذه

١ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ٢٠١، ح ١١.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ١٦ / ٣٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٨.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٨٣.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٧٨٣.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٨.

الهفوة.

[١٨] «قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً».

فاستعاذت بالله منه من غاية عفافها. «إن كنت تقيّاً»: تتّقي الله و تحتفل بالاستعاذة. و جواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله. أي: فإنّي عائذة منك. و يجوز أن يكون للمبالغة. أي: [إن] كنت تقيّاً متورّعاً، فإنّي أعوذ بك؛ فكيف إذا لم تكن كذلك![١]

«إن كنت تقيّاً». قيل: إنّه كان في ذلك العصر إنسان فاجر اسمه تقيّ كان يتّبع النساء. فظنّت أنّ ذلك المتمثّل هو ذلك الشخص فاستعاذ بالله منه. و قيل: إن نافية. أي: ما كنت تقيّاً حتّى استحللت النظر إليّ و خلوت بي. و حيث علم جبرئيل خوفها قال: «إنّما أنا» ـ الآية. نافع: «إنّي أعوذ» بفتح الياء.[٢]

[١٩] «قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً».

«لأهب». أبوعمرو: «ليهب» بالياء.[٣]

«لأهب لك غلاماً زكيّاً»: لأكون سبباً في هبته بالنفخ في الدرع. و يجوز أن يكون حكاية لقول الله سبحانه. و يؤيّده قراءة الياء. «زكيّاً»: طاهراً من الذنوب.[٤]

[٢٠] «قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَ لَمْ أَكُ بَغِيّاً».

«و لم يمسسني بشر»؛ أي: لم يباشرني رجل بالحلال. فإنّ هذه الكنايات إنّما يطلق فيه. و يعضده عطف قوله: «و لم أك بغيّاً» عليه. و البغيّ: الزانية.[٥]

[٢١] «قَالَ كَذٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَ لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَ رَحْمَةً مِنَّا وَ كَانَ

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٨.

٢ـ تفسير النيسابوريّ ١٦ / ٣٩ و ٣٧.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٨٣.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٨ ـ ٢٩.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩.

أَمْراً مَقْضِيّاً».

«قال كذلك»؛ أي: قال لها جبرئيل: كذلك؛ أي: الأمر كذلك؛ أي: كما وصفت لك. «هو عليّ هيّن»؛ يعني: خلق الولد من غير زوج لايشقّ عليّ. «و لنجعله آية للناس» فعلنا ذلك. أو معطوف على تعليل مضمر. أي: لنبيّن به قدرتنا و لنجعله آية. «مقضيّاً»؛ أي: [كان] خلق عيسى من غير ذكر أمراً محتوماً قضى الله سبحانه بأنّه يكون.(١)

[٢٢] «فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً».

عن عليّ عليه السلام في قوله: «فانتبذت به مكاناً قصيّاً» قال: خرجت من دمشق حتّى أتت كربلاء فوضعته في موضع قبر الحسين عليه السلام، ثمّ رجعت من ليلتها.(٢)

«فحملته»؛ أي: حبلت به في تلك الحال. قيل: إنّ جبرئيل أخذ ردن قميصها بأصبعيه فنفخ فيه، فحملت مريم من ساعتها و وجدت حسّ الحمل. و عن الباقر عليه السلام أنّه تناول جيب مدرعتها فنفخ نفخة فكمل الولد في الرحم من ساعته كما يكمل الولد في أرحام النساء تسعة أشهر. فخرجت من المسجد و هي مثقل. فنظرت إليها خالتها فأنكرتها. فمضت على وجهها حياء من خالتها و من زكريّا. «مكاناً قصيّاً»؛ أي: تنحّت بالحمل مكاناً بعيداً خوفاً من قومها أن يتّهموها بسوء. و كان مدّة حملها تسع ساعات؛ كما روي عن أبي عبدالله عليه السلام. و قيل: ستّة أشهر. و قيل: ثمانية أشهر. و لم يعش مولود وضع لثمانية أشهر غيره.(٣)

[٢٣] «فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هٰذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً».

«فأجاءها». أجاء منقول من جاء إلّا أنّ استعماله قد تغيّر بعد النقل إلى معنى الإلجاء. أي: ألجأها الطلق إلى جذع النخلة فالتجأت إليها للاستتار بها و الاعتماد عليها. قال

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٨٩، و الكشّاف ٣ / ١٠.
٢ـ بحارالأنوار ١٤ / ٢١٢، و التهذيب ٦ / ٧٣، ح ١٣٩.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٨٩ ـ ٧٩٠.

ابن عبّاس: نظرت مريم إلى أكمة فصعدت مسرعة، فإذا عليها جذع نخلة نخرة ليس عليها سعف. و اللّام للعهد. أي: النخلة المعروفة. فلمّا ولدت «قالت يا ليتني متّ قبل هذا». روي عن الصادق عليه السلام أنّها تمنّت الموت لأنّها لم تر في قومها رشيداً ينزّهها من السوء.(١)

«قالت يا ليتني متّ» ـ الآية، من شدّة الحياء.

«و كنت نسياً»: ما من شأنه أن ينسى و لايطلب. «منسيّاً»؛ أي: منسيّ الذكر بحيث لايخطر ببالهم.(٢)

«نسياً» قرأ [حمزة و] حفص «نسياً» بفتح النون، و الباقون بكسرها.(٣)

[٢٤] «فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً».

«فناداها» عيسى أو الملك.

«فناداها» جبرئيل من أسفل الأكمة ـ أو عيسى ـ ليزول غمّها. «تحتك»: تحت قدميك نهراً تتطهّرين به من النفاس. و كان نهراً انقطع عنه الماء فأجراه الله و أحيا ذلك الجذع حتى أثمر و أورق. و قيل: بل ضرب عيسى برجله فظهرت عين تجري. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام و قيل: [السريّ:] الشريف، و هو عيسى.(٤)

«من تحتها»؛ أي: تحت النخلة. «ألّا تحزني»؛ أي: بأن لاتحزني.(٥)

قرأ حمزة و نافع و الكسائيّ و حفص: «من تحتها» بالكسر و الجرّ، و الباقون بفتح الميم و التاء.(٦)

[٢٥] «وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً».

نفخ جبرئيل عليه السلام في جيبها فحملت بعيسى باللّيل فوضعته بالغداة. ثمّ ناداها جبرئيل:

١ـ الكشّاف ٣ / ١١، و مجمع البيان ٦ / ٧٩٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩، و مجمع البيان ٦ / ٧٨٥.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩، و مجمع البيان ٦ / ٧٨٥.

«و هزّي إليك بجذع النخلة». فخرجت تريد النخلة اليابسة. و كان ذلك اليوم سوق. فاستقبلها الحاكة و كانت [الحياكة] أنبل صنعة في ذلك الزمان. فأقبلوا على بغال شهب. فقالت لهم مريم: أين النخلة اليابسة؟ فاستهزؤوا بها و زجروها. فقالت: جعل الله كسبكم نزراً، و جعلكم في الناس عاراً. ثمّ استقبلها قوم من التجّار فدلّوها على النخلة اليابسة. فقالت لهم: جعل الله البركة في كسبكم، و أحوج الناس إليكم. فلمّا بلغت النخلة، أخذها المخاض فوضعت بعيسى. «فنادها» عيسى «من تحتها ألّاتحزني قد جعل ربّك تحتك سريّاً»؛ أي: نهراً.[1]

«تساقط». حفص عن عاصم: «تساقط» بضمّ التاء و كسر القاف. و [نصير] عن يعقوب و الكسائيّ بالياء و تشديد السين. [و... و الباقون: «تسّاقط» بفتح التاء و تشديد السين.][2]

«بجذع النخلة». الباء مزيدة للتأكيد. «تسّاقط»؛ أي: تتساقط. أدغمت الثانية في السين. روي أنّها [كانت] نخلة يابسة لا رأس لها و لا ثمر و كانت الوقت شتاء. فهزّته فجعل الله له رأساً و خوصاً و رطباً. و تسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالّة على براءة ساحتها. فإنّ مثلها لايتصوّر لمن يرتكب الفواحش.[3]

بالإسناد إلى وهب قال: لمّا أجاء المخاض مريم إلى جذع النخلة، اشتدّ عليها البرد فعمد يوسف النجّار إلى حطب فجعله حولها كالحظيرة ثمّ اشتعل فيه النار فأصابتها سخونة الوقود من كلّ ناحية حتّى دفئت. و كسر لها سبع جوزات وجدهنّ في خرجه فأطعمها. فمن أجل ذلك توقد النصارى في ليلة الميلاد و تلعب بالجوز.[4]

عن الرضا عليه السلام قال: ليلة خمس و عشرين من ذي القعدة ولد فيها إبراهيم و ولد فيها عيسى.[5]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٤٩.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٨٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٩ ـ ٣٠.
٤ـ بحارالأنوار ١٤ / ٢١٢.
٥ـ الفقيه ٢ / ٥٤، ح ٢٣٨.

أقول: في بعض الأخبار أنّ عيسى ولد يوم عاشوراء.[١] و هو محمول على التقيّة كما قيل.

«تساقط». [سهل و يعقوب و نصير و حمّاد][٢]: «يساقط» بالياء، على أنّ الضمير للجذع. «رطباً جنيّاً». و هو المأخوذ طريّاً. قالوا: إذا عسر ولادة المرأة لم يكن لها خير من الرطب. و التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت. و كذا التحنيك.[٣]

«و هزّي إليك». حفص بن غياث قال: رأيت أباعبدالله عليه السلام يتخلّل بساتين الكوفة. فانتهى إلى نخلة فتوضّأ عندها. ثمّ ركع و سجد. فأحصيت في سجوده خمسمائة تسبيحة. ثمّ استند إلى النخلة و قال: إنّها النخلة التي قال الله لمريم: «و هزّي إليك بجذع النخلة».[٤]

[٢٦] «فَكُلِي وَ اشْرَبِي وَ قَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً».

«فكلي و اشربي». أي من الرطب و ماء النهر. «و قرّي عيناً»؛ أي: طيبي نفسك. و اشتقاقه من القرار. فإنّ العين إذا رأت ما يسرّ النفس، سكنت إليه من النظر إلى غيره. أو من القرّ. فإنّ دمعة السرور باردة و دمعة الحزن حارّة. و لذلك يقال قرّة العين و سخنتها. «فإمّا ترينّ من البشر أحداً» يسألك عن ولدك، «فقولي إنّي نذرت للرحمن» صمتاً: أوجبت على نفسي أن لا أتكلّم. و قيل: إمساكاً عن الطعام و الشراب و الكلام. و إنّما أمرت بالصمت ليكفيها الكلام ولدها بما يبرّئ به ساحتها. و كان صوم الصمت مشروعاً عندهم. و كان قد أذن لها أن تتكلّم بهذا القدر من الكلام أو كان بالإشارة.[٥]

[٢٧] «فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً».

«فأتت به»؛ أي: بعيسى إلى قومها، لفّته في خرقة و جاءت به. «فريّاً»؛ أي: أمراً عظيماً؛ إذ

١ـ التهذيب ٤ / ٣٠٠، ح ٩٠٨.

٢ـ في النسخة: «حفص» بدل ما بين المعقوفتين.

٣ـ تفسير النيسابوريّ ١٦ / ٣٧ و ٤٢.

٤ـ الكافي ٨ / ١٤٣، ح ١١١.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٠، و مجمع البيان ٦ / ٧٩١.

لم تلد أنثى قبلك من غير رجل.(١)

[٢٨] «يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ مَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً».

«يا أخت هارون». فيه أقوال. أحدها: انّ هارون هذا كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل ينسب إليه كلّ من عرف بالصلاح. عن ابن‌عبّاس و جماعة. و قيل: إنّه لمّا مات شيّع جنازته أربعون ألفاً كلّهم يسمّى هارون. فمعناه: يا شبيهة هارون في الصلاح. و ثانيها: انّ هارون كان أخاها لأبيها و كان صالحاً. و ثالثها: انّه أخو موسى. لأنّها من ولده. كما يقال: يا أخا تميم. و رابعها: انّه كان رجلاً فاسقاً مشهوراً. أي: يا شبيهته في قبح الفعل. «ما كان أبوك»؛ أي: كان أبواك صالحين. فمن أين هذا الولد؟(٢)

[٢٩] «فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً».

«فأشارت إليه»: فأومأت بأن كلّموا الصبيّ ليشهد على براءة ساحتي. فتعجّبوا كيف نكلّم الرضيع. و قيل: إنّهم غضبوا عند إشارتها و قالوا: لسخريّتها بنا أشدّ من زناها. «من كان في المهد صبيّاً». كان هنا بمعنى الحدوث و الوقوع. أي: كيف نكلّم من وجد في المهد. و صبيّاً نصب على الحال من كان. و يجوز أن يكون كان هنا مزيدة و الحال عامله نكلّم. و قال الزجّاج: الأجود أن يكون في معنى الشرط و الجزاء. فالمعنى: من يكن في المهد صبيّاً فكيف نكلّمه. و صبيّاً حال. كما تقول: من كان لايسمع و لايعقل فكيف أخاطبه؟(٣)

[٣٠] «قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيّاً».

«إنّي عبد الله». [قدّم إقراره] بالعبوديّة ليبطل قول من يدّعي الربوبيّة. فأنطقه الله بذلك لعلمه بما يتقوّله الغالون. «آتاني الكتاب»: حكم لي بإيتاء الإنجيل و النبوّة. و قيل: إنّ الله

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩١.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩١.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩١ و ٧٨٨ ـ ٧٨٩.

أكمل عقله في صغره و أرسله إلى عباده و كان مبعوثاً إلى الناس ذلك الوقت، و كانت معجزة له و قد كلّمهم يوم ولد. و قيل: معناه: سيؤتينا الكتاب و سيجعلني نبيّاً. و كان ذلك معجزة لمريم.[١]

[٣١ـ ٣٢] «وَ جَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً * وَ بَرّاً بِوَالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً».

«مباركاً»؛ أي: معلّماً للخير، و جعلني بارّاً بوالدتي أؤدّي شكرها فيما قاسته بسببي و لم يجعلني متجبّراً.[٢]

[٣٣] «وَ السَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً».

«و السلام». كما هو على يحيى. و التعريف للعهد. و الأظهر أنّه للجنس. و لمّا كلّمهم عيسى بهذا، علموا براءة مريم. فلم يتكلّم عيسى بعد ذلك حتّى بلغ المدّة التي يتكلّم فيها الصبيان.[٣]

[٣٤] «ذٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ».

«ذلك عيسى»؛ أي: الذي قال: «إنّي عبد الله» عيسى، لا ما يقوله النصارى أنّه ابن الله و أنّه إله. «قول الحقّ». خبر محذوف. أي: هو قول الحقّ الذي لا ريب فيه. و الإضافة للبيان. و الضمير للكلام السابق أو لتمام القصّة. و قيل: صفة عيسى، أو بدله، أو خبر ثان و معناه كلمة الله. «يمترون»؛ أي: يشكّون. أو: يتنازعون؛ فقالت اليهود ساحر و قالت النصارى ابن الله.[٤] و قيل: هو أمر النصارى و اختلافهم. فبعضهم قال هو الله، و بعض ابن الله، و بعضهم ثالث ثلاثة.[٥]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩١ ـ ٧٩٢.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٣.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣١، و مجمع البيان ٦ / ٧٩٣.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣١.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٣.

«قول الحقّ». قرأ عاصم و ابن‌عامر و يعقوب: «قول الحقّ» بالنصب، و الباقون بالرفع. منصوب على أنّه مصدر للتوكيد. أي: أحقّ قول الحقّ.(١)

«قول الحقّ». أمّا انتصاب قول الحقّ فعلى المدح، إن فسّر بكلمة الله، و على أنّه مصدر مؤكّد لمضمون الجملة، إن أريد قول الثبات و الصدق كقولك: هو عبد الله الحقّ لا الباطل. و إنّما قيل لعيسى قول الحقّ و كلمته، لأنّه لم‌يولد إلّا بكلمة الله وحدها و هي قوله: «كن فيكون» من غير واسطة أب. و يحتمل إذا أريد بقول الحقّ عيسى [أن يكون الحقّ اسم الله عزّوجلّ و أن يكون بمعنى الثبات] و الصدق، أي أمره حقّ يقين و هم فيه شاكّون.(٢)

عن الصادق عليه السلام أنّه قال: ألم‌ينسبوا مريم بنت عمران إلى أنّه حملت بعيسى من رجل نجّار اسمه يوسف؟(٣)

و قال رسول الله صلى الله عليه و آله: يا عليّ، إنّ فيك شبهاً من عيسى بن مريم؛ أحبّته النصارى حتّى أنزلوه منزلة ليس بها و أبغضه اليهود حتّى بهتوا أمّه.(٤)

[٣٥] «مَا كَانَ لِلّٰهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ».

«ما كان لله»؛ أي: مايصلح له و لايستقيم. لأنّ الولد مجانس للوالد و ليس كمثله شيء.(٥)

«إذا قضى أمراً». تبكيت للنصارى بأنّ من إذا أراد شيئاً أوجده بكن، كان منزّهاً عن شبه الخلق و الحاجة في اتّخاذ الولد. «فيكون». ابن‌عامر: «فيكون» بالنصب على الجواب.(٦)

[٣٦] «وَ إِنَّ اللّٰهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ».

«و إنّ الله». أهل الكوفة و ابن‌عامر بكسر الهمزة، و الباقون بالفتح. يحتمل الفتح أربعة

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٢.
٢ـ الكشّاف ٣ / ١٦.
٣ـ أمالي الصدوق / ٩٢.
٤ـ بحارالأنوار ١٤ / ٢١٩.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٣.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣١.

أوجه. أحدها: انّ المعنى: و قضى أنّ الله ربّي و ربّكم. الثاني: العطف على كلام عيسى. أي: و أوصاني بأنّ الله ربّي و ربّكم. الثالث: ذلك عيسى بن مريم، و ذلك أنّ الله ربّي و ربّكم. و الرابع: انّ العامل فيه «فاعبدوه». أي: و لأنّ الله ربّي و ربّكم فاعبدوه. فحذف الجارّ. و من كسر الهمزة، جاز أن يكون معطوفاً على قوله: «قال إنّي عبد الله». [أي:] و قال: إنّ الله ربّي و ربّكم. و جاز أن يكون [ابتداء] كلام من الله و أمر منه لرسوله أن يقول ذلك. «هذا صراط»: أي: طريق واضح فالزموه.[١]

[٣٧] «فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ».

«الأحزاب»: أي: اختلف أهل الكتاب في عيسى. فقال اليعقوبيّة من النصارى: هو الله. و قال النسطوريّة منهم: هو ابن الله. و الإسرائيليّة منهم: ثالث ثلاثة. و المسلمون: هو عبد الله. و إنّما قال: «من بينهم» لأنّ منهم من ثبت على الحقّ و هم الملكانيّة. و قيل: من زائدة. «فويل»: أي: شدّة عذاب. و هي كلمة وعيد. «للّذين كفروا» بالله بقولهم في المسيح. «من مشهد يوم». يعني الشهود و الحضور. أي: من حضورهم ذلك اليوم. و هو يوم القيامة.[٢]

[٣٨] «أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

«أسمع بهم و أبصر»: أي: ما أسمعهم و أبصرهم يوم القيامة، لقوّة علومهم بالله في ذلك اليوم. كما قال: «فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد».[٣] لكنّهم في الدنيا صمّ و بكم عن الحقّ. فهم في الدنيا جاهلون و في الآخرة عارفون. فيكون الجارّ و المجرور في موضع رفع فاعل أسمع و أبصر. و قيل: أمر أن يسمعهم و يبصرهم مواعيد ذلك اليوم و ما يحيق بهم، فيكون الجارّ و المجرور في محلّ النصب. «لكن الظالمون». أوقع الظالمين موقع الضمير إشعاراً بأنّهم ظلموا أنفسهم حيث أغفلوا الاستماع و النظر حين ينفعهم و سجّل على إغفالهم بأنه

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٤.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٤ ـ ٧٩٥.
٣ـ ق (٥٠) / ٢٢.

ضلال بيّن.(١)

[٣٩] «وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ وَ هُمْ لَا يُؤْمِنُونَ».

«و أنذرهم». أي: خوّف ـ يا محمّد ـ كفّار مكّة يوم يتحسّر المسيء هلّا أحسن و المحسن هلّا ازداد من العمل. [و هو يوم القيامة. و قيل: إنّما يتحسّر المستحقّ للعقاب. فأمّا] المؤمن فلا يتحسّر. و روى مسلم في الصحيح بالإسناد عن أبي‌سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا دخل أهل الجنّة الجنّة و أهل النار النار، قيل: يا أهل الجنّة. فيشرفون و ينظرون. [و قيل: يا أهل النار، فيشرفون و ينظرون] فيجاء بالموت كأنّه كبش أملح فيقال لهم: تعرفون [الموت]؟ فيقولون: هذا هذا. و كلّ قد عرفه. قال: فيقدّم و يذبح. ثمّ يقال: يا أهل الجنّة، خلود فلا موت. و يا أهل النار، خلود فلا موت. قال: و ذلك قوله: «و أنذرهم يوم الحسرة» ـ الآية. و قد رواه أصحابنا عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام. ثمّ جاء في آخره: فيفرح أهل الجنّة فرحاً لو كان أحد يومئذ ميّتاً، لماتوا. و يشهق أهل النار شهقة لو كان يومئذ أحد يموت، لماتوا. «قضي الأمر»؛ أي: فرغ من الأمر و انقطع الآمال. «و هم في غفلة» في الدنيا عن ذلك. يعني أنّهم في الدنيا غافلون عن أحوال الآخرة و لا يصدّقون بذلك.(٢)

«و هم في غفلة». حال متعلّق بقوله: «في ضلال مبين» و ما بينهما اعتراض، أو بأنذرهم. [أي: أنذرهم] غافلين غير مؤمنين فيكون حالاً متضمّنة للتعليل.(٣)

[٤٠] «إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْهَا وَ إِلَيْنَا يُرْجَعُونَ».

ثمّ أخبر سبحانه عن نفسه فقال: «إنّا نحن نرث الأرض و من عليها»؛ أي: نميت سكّانها فنرثها و من عليها من العقلاء فلا يبقى فيها مالك.(٤)

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٣١ ـ ٣٢.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٥ ـ ٧٩٦.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٦.

[٤١] «وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً».

«و اذكر في الكتاب إبراهيم». المراد بذكر الرسول إيّاه و قصّته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس و يبلّغه إيّاهم. كقوله: «فاتل عليهم نبأ ابراهيم».(١) و إلّا فالله هو ذاكره و مورده في التنزيل.(٢)

«في الكتاب»؛ أي: القرآن. «صدّيقاً». لكثرة ما صدّق به من غيوب الله و آياته.(٣)

[٤٢] «إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَ لَا يُبْصِرُ وَ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً».

اختلف أهل الخلاف في أب إبراهيم عليه السلام. قال الرازيّ عند قوله: «و إذ قال إبراهيم لأبيه آزر»(٤): ظاهر هذه الآيه تدلّ على أنّ والد إبراهيم هو آزر. و منهم من قال اسمه تارخ. و قال الزجّاج: لا خلاف بين النسّابين أنّ اسمه تارخ. و من الملحدة من جعل هذا طعناً في القرآن. ثمّ ذكر لتوجيه ذلك وجوهاً إلى أن قال: الرابع أنّ والد إبراهيم كان تارخ و آزر كان عمّاً له. و العمّ قد يطلق عليه لفظ الأب. كما حكى الله عن أولاد يعقوب أنّهم قالوا: «نعبد إلهك و إله آبائك إبراهيم و إسماعيل و إسحاق».(٥) و معلوم أنّ إسماعيل كان عمّاً ليعقوب و قد أطلق عليه لفظ الأب. فكذا هاهنا. ثمّ قال: قالت الشيعة: إنّ أحداً من آباء الرسول صلى الله عليه و آله و أجداده ماكان كافراً. و ذكروا أنّ آزر كان عمّ إبراهيم و احتجّوا بقوله: «و تقلّبك في الساجدين».(٦) يعني أنّه كان ينقل روحه من ساجد إلى ساجد. ثمّ قال: و ممّا يدلّ أيضاً عليه قوله صلى الله عليه و آله: لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات. و قال تعالى: «إنّما المشركون نجس»(٧).(٨)

١ـ الشعراء (٢٦) / ٦٩.
٢ـ الكشّاف ٣ / ١٨.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢.
٤ـ الأنعام (٦) / ٧٤.
٥ـ البقرة (٢) / ١٣٣.
٦ـ الشعراء (٢٦) / ٢١٩.
٧ـ التوبة (٩) / ٢٨.
٨ـ بحارالأنوار ١٢ / ٤٨.

و قال شيخنا الطبرسيّ: قال أصحابنا: إنّ آزر إمّا جدّ إبراهيم لأمّه أو عمّه. و قد صحّ عندهم أنّ آباء النبيّ صلى الله عليه وآله إلى آدم كلّهم كانوا موحّدين. و اجتمعت الطائفة على ذلك.[١] انتهى.

و قال شيخنا المعاصر أبقاه الله: الأخبار الدالّة على إسلام آباء النبيّ صلى الله عليه وآله مستفيضة بل متواترة. و قد عرفت إجماع الفرقة المحقّة على إسلام والد إبراهيم بنقل المخالف و المؤالف. و حينئذ فالأخبار الدالّة على أنّ آزر كان أباه حقيقة محمولة على التقيّة.

«إذ قال». بدلٌ من إبراهيم، و ما بينهما اعتراض، أو متعلّق بكان. «لأبيه» آزر. «يا أبت». التاء عوض عن ياء الإضافة. و لذلك لايقال: يا أبتي. و إنّما يذكر للاستعطاف. و لذلك كرّرها. «لم تعبد ما لايسمع» دعاء من يدعوه. «و لايبصر» من يتقرّب إليه. «و لايغني عنك شيئاً» في جلب نفع و دفع ضرر.[٢]

[٤٣] «يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً».

«قد جاءني من العلم» بالله و المعرفة «ما لم يأتك». فاقتد بي أهدك طريقاً واضحاً. لم يسمّ أباه بالجهل المفرط و لا نفسه بالعلم الفائق، بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون أعرف بالطريق.[٣]

[٤٤] «يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ عَصِيّاً».

«لاتعبد الشيطان»؛ أي: لاتطعه فيما يدعوك إليه فتكون بمنزلة من عبده. و لاشبهة أنّ الكافر لا يعبد الشيطان، و لكن من أطاع شيئاً فقد عبده. «عصيّاً»؛ أي: عاصياً.[٤]

[٤٥] «يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً».

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٩.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢، و مجمع البيان ٦ / ٧٩٧.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٧.

«يمسّك»؛ أي: يصيبك عذاب من الله لإصرارك على الكفر. «وليّاً»؛ أي: قريناً في اللّعن. أو العذاب يليه و يليك. أو: ثابتاً في موالاته. فإنّه أكبر من العذاب؛ كما أنّ رضوان الله أكبر من الثواب.(١)

[٤٦] «قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَ اهْجُرْنِي مَلِيّاً».

قال آزر: أ معرض أنت عن عبادة آلهتي التي هي الأصنام؟ لئن لم تمتنع عن هذا، لأرجمنّك بالحجارة أو لأقتلنّك. «و اهجرني مليّاً»؛ أي: فارقني دهراً طويلاً. و قيل: مليّاً: سويّاً سليماً عن عقوبتي.(٢)

«أ راغب». قابل استعطافه و لطفه في الإرشاد بالفظاظة و غلظة العناد فناداه باسمه و لم [يقابل] يا أبت [بيا بنيّ] و أخّره و قدّم الخبر و صدّره بالهمزة لإنكار نفس الرغبة على ضرب من التعجّب، كأنّها لا يرغب عنها عاقل. ثمّ هدّده. «و اهجرني». عطف على ما دلّ عليه لأرجمنّك. أي: فاحذرني و اهجرني.(٣)

[٤٧] «قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً».

«قال إبراهيم سلام عليك». سلام توديع و هجر على ألطف الوجوه. و هو سلام متاركة و مباعدة منه. و قيل: هو سلام إكرام و برّ؛ فقابل جفوة أبيه بالبرّ تأدية لحقّ الأبوّة. أي: هجرتك على وجه جميل من غير عقوق.(٤)

«سأستغفر لك». فإن قلت: كيف جاز أن يستغفر للكافر و أن يعده ذلك؟ قلت: قالوا: أراد اشتراط التوبة عن الكفر، كما ترد الأوامر و النواهي الشرعيّة على الكفّار و المراد اشتراط الإيمان، و كما يؤمر المحدث و الفقير بالصلاة و الزكاة يراد اشتراط الوضوء و

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٨، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٢ ـ ٣٣.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٣.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٨.

النصاب. [و] قالوا: إنّما استغفر له بقوله: «و اغفر لأبي إنّه كان من الضالّين».[١] لأنّه وعده أن يؤمن. و استشهدوا بقوله: «و ماكان استغفار إبراهيم لأبيه إلّا عن موعدة وعدها إيّاه».[٢] و لقائل أن يقول: الذي منع من الاستغفار للكافر، إنّما هو السمع. فأمّا القضيّة العقليّة فلاتأباه. فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار و الوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضيّة العقل. و الذي يدلّ على صحّته قوله: «إلّا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك».[٣] فلو كان شارطاً للإيمان لم يكن مستنكراً و مستثنًى عمّا وجبت فيه الأسوة. و أمّا «عن موعدة وعدها إيّاه» فالمواعد هو إبراهيم لآذر. أي: ما قال: «و اغفر لأبي» إلّا عن قوله: «لأستغفرنّ لك». و يشهد له قراءة حمّاد الراوية: «وعدها أباه». «حفيّاً». الحفيّ: البليغ في البرّ و الإلطاف.[٤] و قيل: إنّ الله عوّدني إحسانه و كان لي مكرماً.[٥]

[٤٨] «وَ أَعْتَزِلُكُمْ وَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَ أَدْعُوا رَبِّي عَسىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً».

«و أعتزلكم و ما تدعون». أراد بالاعتزال المهاجرة إلى الشام. و المراد بالدعاء عبادة الأصنام.[٦]

«و أدعو ربّي»؛ أي: أعبد. «شقيّاً» كما شقيتم بدعاء الأصنام. و إنّما ذكر «عسى» على وجه الخضوع. أو [معناه:] لعلّه يقبل طاعتي و عبادتي. فإنّ المؤمن بين الرجاء و الخوف.[٧]

[٤٩] «فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ كُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً».

«وهبنا له إسحاق»؛ أي: لمّا فارقهم إلى الأرض المقدّسة، وهبنا له إسحاق ولداً «و

١ـ الشعراء (٢٦) / ٨٩.
٢ـ التوبة (٩) / ١١٤.
٣ـ الممتحنة (٦٠) / ٤.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٢١.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٨.
٦ـ الكشّاف ٣ / ٢١.
٧ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٨ ـ ٧٩٩.

يعقوب» ولد ولد. «جعلنا نبيّاً»؛ أي: آنسنا وحشته من فراقهم بأولاد كرام على الله أنبياء.[١] و لعلّ تخصيصهما بالذكر لأنّه أراد أن يذكر إسماعيل بفضله على الانفراد.[٢]

[٥٠] «وَ وَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَ جَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً».

«وهبنا لهم من رحمتنا» سوى الأولاد و النبوّة من نعم الدنيا و الدين و جعلنا لهم لسان صدق»: ثناء حسناً في الناس «عليّاً»: مرتفعاً سائراً في الدنيا. و كلّ الأديان يتولّون إبراهيم و ذرّيّته و يثنون عليهم و يدّعون أنّهم على دينهم.[٣] استجاب الله دعوته: «و اجعل لي لسان صدق في الآخرين»[٤] فصيّره قدوة. كما قال: «ملّة أبيكم إبراهيم».[٥] «ثمّ أوحينا إليك أن اتّبع ملّة إبراهيم».[٦] [٧]

«و جعلنا لهم». عن يونس بن عبدالرحمن قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إنّ قوماً طالبوني باسم أميرالمؤمنين عليه السلام في كتاب الله، فقلت لهم: من قوله تعالى: «و جعلنا لهم لسان صدق عليّاً». فقال: صدقت. هو كذا. و معنى قوله: «لسان صدق عليّاً»؛ أي: و جعلنا لهم ولداً ذا لسان. ـ أي: قول ـ صدق. و كلّ ذي قول صدق فهو صادق. و الصادق معصوم؛ و هو عليّ عليه السلام.[٨]

[٥١] «وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَ كَانَ رَسُولاً نَبِيّاً».

«مخلصاً». قرأ الكوفيّون: «مخلَصاً» بالفتح، على أنّ الله أخلصه.[٩]

«مخلصاً»؛ أي: موحّداً أخلص عبادته عن الشرك. «رسولاً نبيّاً». الرسول الذي معه كتاب من الأنبياء. و النبيّ: الذي ينبئ عن الله و إن لم يكن معه كتاب كيوشع.[١٠]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٣.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٧٩٩.
٤ـ الشعراء (٢٦) / ٨٤.
٥ـ الحجّ (٢٢) / ٧٨.
٦ـ النحل (١٦) / ١٢٣.
٧ـ الكشّاف ٣ / ٢٢.
٨ـ تأويل الآيات ١ / ٣٠٤، ح ١٠.
٩ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٣.
١٠ـ الكشّاف ٣ / ٢٢.

[٥٢] «وَ نَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَ قَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً».

«الطور الأيمن». الطور جبل بالشام ناداه الله من جانبه اليمين و هو يمين موسى. أو من اليمن صفة للطور أو للجانب. شبّهه بمن قرّبه بعض العظماء للمناجاة حيث كلّمه بلا واسطة. و عن أبي العالية: قرّبه حتّى سمع صرير القلم الذي كتب به التوراة. «نجيّاً»: مناجياً. حال من أحد الضميرين. قيل: مرتفعاً. من النجو و هو الارتفاع.(١)

[٥٣] «وَ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً».

«من رحمتنا»؛ أي: من أجل رحمتنا. أو: بعض رحمتنا. و «أخاه» على هذا الوجه بدل. و «هارون» عطف بيان. و كان هارون أكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته و موازرته.(٢)

[«و وهبنا له» ـ الآية ـ أي: أنعمنا عليه بأخيه هارون] كما قال: «و اجعل لي وزيراً من أهلي هارون»(٣) و جعلنا هارون نبيّاً أشركناه في أمره.(٤)

[٥٤ ـ ٥٥] «وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَ كَانَ رَسُولاً نَبِيّاً * وَ كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ كَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً».

«و اذكر في الكتاب» الذي هو القرآن «إسماعيل» بن إبراهيم. «صادق الوعد»: إذا وعد بشيء وفى به. «و كان رسولاً» إلى جرهم. قال ابن عبّاس: إنّه واعد رجلاً أن ينتظره في مكان و نسي الرجل، فانتظره سنة حتّى أتاه الرجل. و روي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام. و قيل: إنّ إسماعيل بن إبراهيم مات قبل أبيه إبراهيم. و إنّ هذا هو إسماعيل بن حزقيل. بعثه الله إلى قوم فسلخوا جلده و فروة رأسه. فخيّره فيما شاء من عذابهم، فاستعفاه و رضي بثوابه و

١ـ الكشّاف ٣ / ٢٢، و مجمع البيان ٦ / ٨٠٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٤.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٢٣.

٣ـ طه (٢٠) / ٢٩.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٨٠٠.

فوّض أمرهم إلى الله و عفوه و عقابه. و رواه أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام. ثمّ قال في آخره: أتاه ملك من ربّه يقرئه السلام و يقول: قد رأيت ما صنع بك. و قد أمرني بطاعتك. فمرني بما شئت. فقال: يكون لي بالحسين أسوة. «يأمر أهله»؛ أي: قومه و عترته. و قيل: أمّته. «بالصلاة و الزكاة». و قيل: إنّه كان يأمر أهله بصلاة اللّيل و صدقة النهار.(١)

و عن أبي عبدالله عليه السلام في آخر الحديث الأوّل أنّه لمّا جاءه الذي واعده بعد سنة قال له: لو لم تجئني لكان منه المحشر.(٢)

و عنه عليه السلام في آخر الحديث الثاني: لمّا سلخوا فروة رأسه، بعث إليه سطائيل ملك العذاب، فقال: يا ربّ إنّك وعدت الحسين عليه السلام أن تكرّه إلى الدنيا ينتقم بنفسه من فعل ذلك به. فحاجتي إليك يا ربّ أن تكرّني إلى الدنيا حتّى أنتقم ممّن فعل ذلك بي. فوعده الله سبحانه أن يكرّ مع الحسين عليه السلام.(٣)

[٥٦] «وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً».

«إدريس». قيل: إنّما سمّي إدريس لكثرة دراسته كتاب الله، و كان اسمه أخنوخ جدّ أبي نوح. و هو غير صحيح. فإنّه لو كان إفعيلاً من الدرس، لم يكن فيه إلّا سبب واحد و هو العلميّة و كان منصرفاً. فامتناعه من الصرف دليل العجمة. و كذلك إبليس أعجميّ و ليس من الإبلاس كما زعموا. و من لم يحقّق و لم يتدرّب بالصناعة، كثرت منه أمثال هذه الهنات. و يجوز أن يكون معنى إدريس في تلك اللّغة قريباً من ذلك فحسبه الراوي مشتقّاً من الدرس.(٤)

[٥٧] «وَ رَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً».

«و رفعناه». عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ الله غضب على ملك من الملائكه فقطع جناحه و

١ـ مجمع البيان ٦ / ٨٠٠.
٢ـ بحارالأنوار ١٣ / ٣٩١.
٣ـ بحارالأنوار ١٣ / ٣٩٠.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٢٣ ـ ٢٤.

ألقاه في جزيرة من جزائر البحر. فبقي ما شاء الله في ذلك البحر. فجاء إلى إدريس فقال: يا نبيّ الله، ادع الله أن يرضى عنّي و يردّ إليّ جناحي. فدعا فردّ الله عليه جناحه. فقال الملك لإدريس: ألك حاجة؟ قال: نعم؛ أحبّ أن ترفعني إلى السماء حتّى أنظر إلى ملك الموت. فإنّه لا عيش لي مع ذكره. فأخذه الملك إلى جناحه حتّى انتهى إلى السماء الرابعة. فإذا ملك الموت جالس يحرّك رأسه تعجبّاً. فسلّم إدريس على ملك الموت و قال له: ما لك تحرّك رأسك؟ قال: إنّ ربّ العزّة أمرني أن أقبض روحك بين السماء الرابعه و الخامسة، فتعجّبت. ثمّ قبض روحه هنا. و هو قوله: «و رفعناه مكاناً عليّاً». قال: و سمّي إدريس لكثرة دراسته الكتب و أنزل عليه ثلاثين صحيفة. كذا في تفسير عليّ بن إبراهيم.[١] و في قصص الأنبياء للراونديّ عن أبي جعفر عليه السلام مثله.[٢]

و روى في القصص عن ابن عبّاس قال: كان يصعد لإدريس من العمل الصالح مثل ما يصعد لأهل الأرض كلّهم. فسأل ملك الموت ربّه في زيارة إدريس فأتاه فعبد الله معه طويلاً. ثمّ لمّا عرفه قال له: لي إليك حاجة؛ و هي أن تصعد بي إلى السماء. فاستأذن و حمله على جناحه إلى السماء. قال: لي اليك حاجة أخرى؛ و هي أنّه بلغني من شدّة الموت فأحبّ أن تذيقني منه طرفاً. فأخذ بنفسه ساعة ثمّ خلّى عنقه. قال: و لي إليك حاجة أخرى، أن تريني النار. ففتح له. فلمّا رآها إدريس سقط مغشيّاً عليه. ثمّ قال: لي إليك حاجة أخرى تريني الجنّة. فأدخله إليها. فقال: يا ملك الموت، ماكنت لأخرج منها. إنّ الله يقول: «كلّ نفس ذائقة الموت».[٣] و قد ذقته. و يقول: «و إن منكم إلّا واردها».[٤] و قد وردتها. و يقول في الجنّة: «و ما هم بخارجين منها»[٥].[٦]

أقول: هذان الخبران و إن كانا متعارضين في شرح القصّة إلّا أنّ الأوّل أوضح سنداً و طريقاً و هذا أوفق برواية العامّة.

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٥١ ـ ٥٢.
٢ـ قصص الأنبياء / ٧٧.
٣ـ آل عمران (٣) / ٨٥.
٤ـ مريم (١٩) / ٧١.
٥ـ المائدة (٥) / ٣٧.
٦ـ قصص الأنبياء / ٧٧.

و روى الراونديّ في القصص أيضاً أنّ إدريس أوّل من خطّ بالقلم و أوّل من خطّ الثوب و لبسها و كانوا يلبسون الجلود.[۱]

«مكاناً عليّاً»؛ أي: عالياً رفيعاً. قيل: السماء الرابعة. و قيل: السادسة. و هو حيّ لم يمت. و قيل: قبض روحه بين السماء الرابعة و الخامسة. و هو المرويّ عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام. و قيل: معناه: رفعنا محلّه و مرتبته بالرسالة و لم يرد رفعة المكان.[۲]

[٥٨] «أُولٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْرَائِيلَ وَ مِمَّنْ هَدَيْنَا وَ اجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمٰنِ خَرُّوا سُجَّداً وَ بُكِيّاً».

«اولئك»: الذين تقدّم ذكرهم. «الذين أنعم الله عليهم» بالنبوّة و الثواب. «من ذرّيّة آدم و ممّن حملنا». إنّما فرّق سبحانه ذكر نسبهم مع أنّهم كلّهم كانوا من ذرّيّة آدم لبيان مراتبهم في شرف النسب. فكان لإدريس شرف القرب من آدم لأنّه جدّ نوح. و كان إبراهيم من ذرّيّة من حملنا، لأنّه من ولد سام. و كان إسماعيل و إسحاق و يعقوب من ذرّيّة إبراهيم، لمّا تباعدوا من آدم حصل لهم شرف إبراهيم. و كان موسى و هارون و زكريّا و يحيى و عيسى من ذرّيّة إسرائيل. «و ممّن هدينا». قيل: إنّه تمّ الكلام عند قوله: «إسرائيل». ثمّ ابتدأ فقال: و ممّن هدينا قوم إذا تتلى عليهم، فحذف لدلالة الكلام عليه. و روي عن عليّ بن الحسين عليهما السلام: نحن عنينا. و قيل: المراد به الأنبياء الذين تقدّم [ذكرهم]. يعني: إذا قرئت عليهم آيات القرآن، خرّوا ساجدين. «و بكيّاً»: جمع باك. أي: حال كونهم باكين.[۳]

عن الكاظم عليه السلام في «أولئك الذين أنعم الله» ـ الآية ـ قال: نحن ذرّيّة إبراهيم. و نحن المحمولون مع نوح. و نحن صفوة الله.[٤]

۱ـ قصص الأنبياء / ۷۸.

۲ـ مجمع البيان ٦ / ۸۰۲.

۳ـ مجمع البيان ٦ / ۸۰۲.

٤ـ تأويل الآيات ۱ / ۳۰٥، ح ۱۲.

[٥٩] «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً».

«فخلف من بعدهم»؛ أي: بعد النبيّين المذكورين قوم سوء. قيل: هم اليهود؛ لأنّهم من قوم إسرائيل. و قيل: هم من هذه الأمّة. «أضاعوا الصلاة»؛ أي: تركوها. أو: أخّروها عن مواقيتها. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام.(١)

«و اتّبعوا الشهوات» فيما حرّم عليهم. قال وهب: «خلف من بعدهم خلف» شرّابون للقهوات، لعّابون بالكعبات، ركّابون للشهوات، متّبعون للّذّات، تاركون للجماعات، مضيّعون للصلوات. «غيّاً»؛ أي: مجازاة الغيّ. و قيل: غيّاً بمعنى شرّاً. و قيل: الغيّ واد في جهنّم.(٢)

و قوله: «غيّاً» هو جبل من صفر يدور في جهنّم.(٣)

[٦٠] «إِلَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً».

«إلّا من تاب». أي من [غشّ] آل محمّد عليهم السلام.(٤)

«يدخلون». ابن كثير و أبوعمرو على البناء للمفعول من أدخل.(٥)

«و لايظلمون»: و لايبخسون؛ أي: لاتنقص من ثوابهم.(٦)

[٦١] «جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً».

«جنّات عدن». بدل من قوله: «الجنّة». و «بالغيب» في موضع الحال من جنّات عدن.

١ـ مجمع البيان ٦ / ٨٠٢.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٨٠٢ ـ ٨٠٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٥.

٣ـ تأويل الآيات ١ / ٣٠٥، ح ١٢، عن الكاظم عليه السلام.

٤ـ تأويل الآيات ١ / ٣٠٦، عن الكاظم عليه السلام.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٥.

٦ـ مجمع البيان ٦ / ٨٠٣، تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٥.

«جنّات عدن»؛ أي: إقامة. و إنّما جمع الجنّات هنا و وحّد هناك لأنّ لكلّ واحد من المؤمنين جنّة تجمعها الجنّة العظمى. و قوله: «بالغيب» لأنّ المؤمنين أو الأعمّ غابوا عمّا في الجنّة ممّا لا عين رأت. أي إنّه وعدهم أمراً لم يكونوا يشاهدونه فصدّقوه و هو غائب عنهم. «وعده»؛ أي: موعوده. «مأتيّاً»؛ أي: آتياً لا محالة. فالمفعول بمعنى الفاعل. و إنّ الموعود هو الجنّة و هي مأتيّة يأتيها المؤمنون.[١]

[٦٢] «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَ عَشِيّاً».

«لغواً». و هو الهذر من الكلام و الأباطيل. «سلاماً»؛ أي: سلام الملائكة عليهم و سلام بعضهم على بعض.[٢] و سلاماً استثناء منقطع. أي: لايسمعون كلاماً يؤلمهم لكن يسمعون سلاماً. «بكرة و عشيّاً». قال المفسّرون: ليس في الجنّة شمس و لا قمر حتّى يكون لهم بكرة و عشيّاً. بل المراد أنّهم يؤتون رزقهم على ما يعرفونه من مقدار الغداء و العشاء. و ليس ثمّ ليل و نهار و إنّما هو ضوء. و قيل: إنّهم يعرفون مقدار اللّيل بإرخاء الستر و الحجب و إغلاق الأبواب و مقدار النهار برفع الحجب و فتح الأبواب.[٣]

[٦٣] «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً».

«تلك الجنّة» المذكورة سابقاً، نورثها من كان يتّقي المعاصي في الدنيا. و معنى نورث أنّه تعالى [أورثهم] من الجنّة المنازل و المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا الله. قيل: انّ العاص بن وائل لم يعط أجرة أجير استعمله و قال: لو كان ما يقول محمّد حقّاً، فنحن أولى بالجنّة و نعيمها فحينئذ أوفّره أجره. فنزلت الآية. «نورث». يعقوب بالتشديد.[٤]

[٦٤] «وَ مَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَ مَا خَلْفَنَا وَ مَا بَيْنَ ذٰلِكَ وَ مَا كَانَ

١ـ مجمع البيان ٦ / ٨٠٤.

٢ـ في النسخة هاهنا زيادة: «أو يكون من باب: و لا عيب فيهم». و لم نجد لها وجهاً صحيحاً. انظر: تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٥.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٨٠٥ و ٨٠٤.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٨٠٥ و ٨٠٤ و ٨٠٣.

رَبُّكَ نَسِيّاً».

«ما بين أيدينا»؛ أي: يعلم قدّامنا و ما خلفنا من الجهات و الأماكن و ما نحن فيها، فلانتمالك أن ننتقل من جهة إلى جهة و مكان إلى مكان إلّا بأمر المليك. و قيل: ما سلف من أمر الدنيا و ما يستقبل من أمر الآخرة. «و ما بين ذلك»: ما بين النفختين؛ و هو أربعون سنة. و قيل: ما مضى من أعمارنا و ما غبر منها و الحال التي نحن فيها.[١]

«و ماكان ربّك نسيّاً». إمّا أن يكون من كلام الملائكة ـ أي: لايجوز عليه الغفلة و النسيان، فأنّى لنا أن نتقلّب في ملكوته إلّا إذا أطلق الإذن فيه ـ أو من كلام الله و قد تمّ حكاية كلام الملائكة. يعني أنّه ما نسيك ـ يا محمّد ـ و إن أخّر الوحي عنك. لأنّه لمّا احتبس الوحي قال المشركون فيه: ودّعه ربّه و قلاه، فنزلت هذه الآية و سورة و الضحى.

[٦٥] «رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَ اصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً».

«ربّ السموات و الأرض»: خالقهما و مدبّرهما. «فاعبده»؛ أي: حين عرفته على هذه الصفة، فاعبده حتّى يثيبك ـ يا محمّد ـ كما أثاب المتّقين غيرك. «و اصطبر لعبادته»؛ أي: اثبت و تحمّل المشاقّ لعبادته. من قوله في المحارب[٢]: اصطبر لقرنك. و إلّا فصلة الاصطبار على؛ كقوله: «فاصطبر عليها».[٣]

«سميّاً»؛ أي: لم يسمّ شيء بالله قطّ. و كانوا يقولون لأصنامهم آلهة. و عن ابن‌عبّاس: لايسمّى أحد الرحمن غيره. أو: هل تعلم له مثلاً و شبيهاً. أي: إذا صحّ أن لا معبود يوجّه إليه العبادة إلّا هو، فلا بدّ من عبادته و تحمّل المشّاق عليها.[٤]

[٦٦] «وَ يَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً».

١ـ انظر: الكشّاف ٣ / ٢٩.

٢ـ كذا. و الصحيح: «كقولك للمحارب».

٣ـ طه (٢٠) / ١٣٢.

٤ـ الكشّاف ٣ / ٣٠ ـ ٣١.

«و يقول الإنسان». يجوز أن يراد به الجنس كلّه لأنّ فيهم من يقول به ـ كما يقولون: بنوفلان قتلوا زيداً [و إنّما القاتل رجل منهم] ـ و أن يراد به بعض الجنس و هم الكفرة. «أإذا ما متّ». الاستفهام للإنكار. و ما للتأكيد. و العامل في إذا محذوف. أي: بعثت. و لايجوز أن يعمل فيه «أخرج». لأنّ ما بعد اللّام لايعمل فيما قبله. و اللّام في «لسوف» لمحض التأكيد لا لمعنى الحاليّة، و لذا جامعت حرف الاستقبال.

«و يقول الإنسان». نزلت الآية في أبيّ بن خلف. و ذلك أنّه أخذ عظماً بالياً فجعل يفتّه بيده و يذريه في الريح و يقول: يزعم محمّد أنّ الله يبعثنا بعد أن نموت و نكون عظاماً مثل هذا! إنّ هذا شيء لايكون! فنزلت.[۱]

[٦٧] «أَ وَ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئاً».

«أ و لايذكر». معطوف على يقول. يعني: يقول ذلك و لايتذكّر حال النشأة الأولى و هي أعجب و أغرب من الإعادة. لأنّ للإعادة مثالاً و مادّة من الأولى و الأولى خلقة من غير شيء و هاهنا جمع بعد تفكيك.

«أو لايذكر». نافع و عاصم خفيفاً. و الباقون بالتشديد.[۲]

[٦٨] «فَوَ رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً».

«و الشياطين». مفعول به. أو مفعول معه، أي: إنّهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كلّ شيطان مع كافر في سلسلة. «جثيّاً». نصب على الحال. أي: جاثين على الركب حول جهنّم متخاصمين يتبرّأ بعضهم من بعض. لأنّ المحاسبة تكون بقرب جهنّم. و قيل: إنّ جثوّهم على الركب لضيق المكان.[۳]

[٦٩] «ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عِتِيّاً».

۱ـ مجمع البيان ٦ / ٨٠٨. ۲ـ مجمع البيان ٦ / ٨٠٦.

۳ـ مجمع البيان ٦ / ٨٠٧، و الكشّاف ٣ / ٣٣.

«لننزعنّ»؛ أي: لنستخرجنّ و نمتاز. «من كلّ شيعة»؛ أي: فرقة شاعت؛ أي: تـابعت غاوياً من الغواة أعصاهم فأعصاهم و أعتاهم [فأعتاهم]. فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب.(١)

[٧٠] «ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلىٰ بِهَا صِلِيّاً».

أراد بالّذين هم أولى [به صليّاً المنتزعين كما هم. كأنّه قال: ثمّ لنحن أعـلم بـتصلية هؤلاء و هم أولى] بالصلي من بين سائر الصالين و عذابهم أشدّ. و يجوز أن يراد بأشدّهم عتيّا رؤساء الشيع و أئمّتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلّالاً و مضلّين. و أمّا إعراب «أيّهم» فعن الخليل أنّه مرتفع على الحكاية. تقديره: لننزعنّ الذين يقال فيهم أيّهم أشدّ. و سيبويه بناه على الضمّ، لسقوط صدر الجملة التي هي صلة أي هو أشدّ.(٢) و يجوز أن يكون النزع واقعاً على «من كلّ شيعة» و كأنّ قائلاً قال: من هم؟ فقيل: أيّهم أشدّ عتيّاً. و العتيّ هاهنا مصدر كالعتوّ. و هو التمرّد و العصيان.(٣)

الصليّ: مصدر صلي يصلى صليّاً.(٤)

[٧١] «وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً».

«و إن منكم» ـ الآية. روي في حديث أنّها منسوخة بقوله: «إنّ الذين سبقت لهـم» ـ الآية.(٥) و عن أبي عبدالله عليه السلام: «واردها»؛ أي: مشرف عليها.(٦)

«و إن منكم إلّا واردها». الهاء راجعة إلى جهنّم. و اختلف العلماء في معنى الورود على قولين. أحدهما: أنّه الإشراف عليها لا الدخول فيها؛ لقوله تعالى: «إنّ الذين سبقت لهم» إلى

١ـ مجمع البيان ٦ / ٨٠٩، و الكشّاف ٣ / ٣٤.

٢ـ المصدر:... الجملة التي هي صلته حتّى لو جيء به لأعرب و قيل: أيّهم هو أشدّ.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٣٤.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٨٠٦.

٥ـ الأنبياء (٢١) / ١٠١.

٦ـ تفسير القمّي ٢ / ٥٢.

قوله: «حسيسها».[١] فيكون المعنى أنّهم يردون حول جهنّم للمحاسبة. كما قال: «ثمّ لنحضرنّهم حول جهنّم جثيّاً». و الآخر: انّ الورود بمعنى الدخول. و هو قول أكثر المفسّرين؛ لقوله: «ثمّ ننجّي الذين اتّقوا». ثمّ اختلف هؤلاء فقال بعضهم: إنّه للمشركين خاصّة فيكون المراد: و إنْ منهم؛ كما قرئ في الشواذّ. و قال الأكثرون: إنّه خطاب عامّ. فلايبقى برّ و لا فاجر إلّا يدخلها. فيكون برداً و سلاماً على المؤمنين، و عذاباً على الكافرين. و عنه صلى الله عليه وآله لمّا سئل عن هذه الآية قال: إنّ الله يجعل النار كالسمن الجامد و يجمع عليها الخلق. ثمّ ينادي المنادي أن خذي أصحابك و ذري أصحابي. فهي أعرف بأصحابها من الوالدة بولدها. و قيل: إنّ الفائدة في ذلك ما روي في بعض الأخبار أنّ الله لايدخل أحداً الجنّة حتى يطلعه على النار ليعلم تمام فضل الله عليه فيزداد فرحاً و سروراً، و لايدخل أحداً النار حتّى يطلعه على الجنّة و نعيمها ليزداد حسرة على ما فاته.[٢]

و في الأنوار النعمانيّة من مؤلّفات المحشّي رحمه الله: لمّا نزلت هذه الآية، صاح أهل المدينة و حزن النبيّ صلى الله عليه وآله. ثمّ نزلت: إلّا عليّ و شيعته. ففرح النبيّ صلى الله عليه وآله. و روى بهذا المضمون رواية. فمن أراد التحقيق فليراجع إليه. (حسن عفي عنه)

[٧٢] «ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً».

«ننجّي». قرأ الكسائيّ بالتخفيف.[٣]

«جثيّاً» الذي لايقدر على القيام.

[٧٣] «وَ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً وَ أَحْسَنُ نَدِيّاً».

«و إذا تتلى عليهم آياتنا» المنزلة في القرآن ظاهرات الدلالة. «أيّ الفريقين»؛ أي: قال

١ـ الأنبياء (٢١) / ١٠١.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٨١١ ـ ٨١٢.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٨٠٩.

الذين كذّبوا أنبياء الله للمؤمنين مستفهمين على الإنكار: أيّ الفريقين ـ نحن أم أنتم ـ خير منزلاً أو موضع إقامة؟ «و أحسن نديّاً»؛ أي: مجلساً. و إنّما تفاخروا بالمال و زينة الدنيا ويتفكّروا في العاقبة و لبّسوا على الضعفة بأنّ من كان ذا مال في الدنيا فكذلك يكون في الآخرة. «مقاماً». ابن‌كثير بضمّ الميم.(١)

[٧٤] «وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَ رِءْياً».

«و كم أهلكنا» ـ الآية. قال ابن‌عبّاس: الأثاث: المتاع و زينة الدنيا. و الرئي: المنظر و الهيئة. و المعنى أنّه أهلك قبلهم من كان أكثر منهم أموالاً و أحسن هيئة فلم‌تغن عنهم أموالهم و لا جمالهم؛ فكذلك هؤلاء. و قيل: إنّ المعنيّ بالآية النضر بن الحارث و ذووه. كانوا يرجّلون شعورهم و يلبسون أفخر ثيابهم و يفتخرون على أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله.(٢)

نافع و ابن‌عامر: «ريّاً» على قلب الهمزة و إدغامها، أو على أنّه من الريّ الذي هو النعمة. و أبوبكر: «ريئاً» على القلب.(٣)

[٧٥] «قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدّاً حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَ إِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً وَ أَضْعَفُ جُنْداً».

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «قل من كان في الضلالة» قال: كلّهم في الضلالة لايؤمنون بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام و لا بولايتنا و كانوا ضالّين مضلّين فيمدّ الله لهم في ضلالتهم حتّى يموتوا. و قوله: «حتّى رأوا ما يوعدون» ـ الآية ـ قال: ما يوعدون هو خروج القائم عليه السلام. و هو الساعة. «فسيعلمون» ذلك اليوم ما ينزل بهم من العذاب.(٤)

«فليمدد له الرحمن». لفظه أمر و معناه الخبر. و تأويله أنّ الله سبحانه جعل جزاء ضلالته أن يمدّ له بأن يتركه فيها. فالمعنى: فليعش ما شاء. فإنّه لاينفعه طول عمره. «إمّا

١ـ مجمع البيان ٦ / ٨١٣ و ٨٠٩.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٨١٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٨.
٤ـ تأويل الآيات ١ / ٣٠٦ ـ ٣٠٧، ح ١٣.

العذاب»؛ أي: عذاب الاستئصال. و قيل: عذاب السيف. «و إمّا الساعة»: القيامة و عذاب النار. «من هو شرّ مكاناً» أ هم أم المؤمنون. لأنّ مكانهم جهنّم و مكان المؤمنين الجنّة.[۱]

«فليمدد»؛ أي: يمدّه و يمهله بطول العمر و التمتّع به. و إنّما أخرجه على لفظ الأمر إيذاناً بأنّ إمهاله ممّا ينبغي أن يفعله استدراجاً و قطعاً لمعاذيره. كقوله: «إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً».[۲] وكقوله: «أو لم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر».[۳] «حتّى إذا رأوا». غاية المدّ. و قيل: غاية قول الذين كفروا للّذين آمنوا: «أيّ الفريقين خير مقاماً». «و أضعف جنداً»؛ أي: فئة و أنصاراً. قابل به «أحسن نديّاً» من حيث إنّ حسن النادي باجتماع وجوه القوم و أعيانهم و ظهور شوكتهم.[٤]

[٧٦] «وَ يَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَ خَيْرٌ مَرَدّاً».

«و يزيد الله الذين اهتدوا»؛ أي: يزيدهم هدًى بالمعونة على طاعاته و التوفيق لمرضاته بما يفعل بهم من الألطاف. «و الباقيات»؛ أي: الأعمال الصالحة التي يبقى ثوابها و ينتفع بها صاحبها في الدنيا و الآخرة. «خير ثواباً» من مقامات الكفّار التي يفتخرون بها. «و خير مردّاً»؛ أي: عاقبة و منفعة.[٥]

و عنه عليه السلام في قوله: «و يزيد الله الذين اهتدوا هدًى» قال: يزيدهم هدًى على هدًى باتّباعهم القائم عليه السلام حيث لاينكرونه.[٦]

«و خير مردّاً». الخير هاهنا إمّا لمجرّد الزيادة، أو على طريقة قولهم: الصيف أحرّ [من] الشتاء؛ أي: أبلغ في حرّه من برده.[٧]

١ـ مجمع البيان ٦ / ٨١٣ ـ ٨١٤.

٢ـ آل عمران (٣) / ١٧٨.

٣ـ فاطر (٣٥) / ٣٧.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٨.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٨١٦.

٦ـ تأويل الآيات ١ / ٣٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٨.

[٧٧] «أَ فَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَ قَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَ وَلَداً».

«أفرأيت الذي كفر بآياتنا». نزلت في العاص بن وائل. قال خبّاب بن الأرتّ: كان لي عليه دين فاقتضيته فقال: لا و الله حتّى تكفر بمحمّد. قلت: لا و الله لا أكفر بمحمّد حيّاً و لا ميّتاً و لا حين تبعث. قال: فإنّي إذا متّ بعثت؟ قلت: نعم. قال، إذا بعثت جئتني و سيكون لي ثمّ مال و ولد فأعطيك.[١]

«أفرأيت». كلمة تعجّب. أي: رأيت هذا الذي كفر. «و قال لأوتينّ مالاً و ولداً» استهزاء. أي: لأعطينّ مالاً و ولداً في الجنّة. و قيل: معناه: إن أقمت على عبادة آلهتي، أعطيت مالاً و ولداً.[٢]

«ولداً». حمزة و الكسائي: «وُلْداً» بضمّ الواو و سكون اللّام في هذه السورة أربعة مواضع. إمّا على جمع ولد ـ كأسْد جمع أسد ـ أو لغة فيه كالعَرَب و العُرْب.[٣]

[٧٨] «أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً».

«أطّلع الغيب». هذه همزة الاستفهام دخلت على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل. و معناه: أ علم الغيب حتّى يعلم أهو في الجنّة أم لا؟ و قيل: معناه: أ نظر في اللّوح المحفوظ؟ و تأويله: أ أشرف على علم الغيب حتّى علم أنّا سنؤتيه مالاً و ولداً و أنّه إن بعث رزق مالاً و ولداً؟ «أم اتّخذ عند الله عهداً» بعمل صالح قدّمه؟ و قيل: معناه: أم عهد الله إليه أنّه يدخله الجنّة؟ و قيل: معناه: أم قال لا إله إلّا الله؟[٤]

[٧٩] «كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً».

«كلّا سنكتب». ردع و تنبيه على أنّه مخطئ فيما تصوّره لنفسه.[٥]

١ـ الكشّاف ٣ / ٣٩.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٨١٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩، و مجمع البيان ٦ / ٨١٤.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٨١٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٣٩.

و يجوز أن يكون معنى: كلّا إنّه لم يطّلع الغيب و لم يتّخذ عن الرحمن عـهداً. و سنأمر الحفظة بإثبات ما يقول لنجازيه به في الآخرة. «و نمدّ له»؛ أي: نصل له بعض العذاب ببعض فلاينقطع عذابه أبداً.[١]

«سنكتب». إن قلت: كيف قيل: «سنكتب» بسين التسويف؟ و هو كما قاله كتبه من غير تأخير. «مايلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد».[٢] قلت: فيه و جهان. أحدهما: سنظهر له و نعلمه أنّا كتبنا قوله، على طريقة قوله: «إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة». و الثاني: انّ المتوعّد يقول للجاني: سوف أنتقم منك. يعني أنّه لايخلّ بالانتصار و إن تطاول به الزمان. فجرّد هاهنا السين لمعنى الوعيد.[٣]

[۸۰] «وَ نَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَ يَأْتِينَا فَرْداً».

«و نرثه ما يقول»؛ أي: ما عنده من المال و الولد و يأتينا وحيداً بلا مال و لا ولد.[٤]

[۸۱] «وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً».

يعني: هؤلاء الكفّار عبدوا أصناماً ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة.[٥]

[۸۲] «كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً».

«كلّا»؛ أي: ليس الأمر كما ظنّوا بل صاروا بهم إلى الذلّ و العذاب. «سيكفرون بعبادتهم»؛ أي: يجحدون بأنّهم كانوا عبدوها لما يشاهدون من سوء عاقبة أمرهم و يقولون: «والله ربّنا ما كنّا مشركين».[٦] و قيل: معناه: إنّ المعبودين سيكفرون بعبادة المشركين لها و يكذّبونهم فيها. كما حكى عنهم: «تبرّأنا إليك ما كانوا إيّانا يعبدون».[٧] «ضدّاً». قال

١ـ مجمع البيان ٦ / ٨١٦ ـ ٨١٧.
٢ـ ق (٥٠) / ١٨.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٤٠.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٨١٧.
٥ـ مجمع البيان ٦ / ٨١٧.
٦ـ الأنعام (٦) / ٢٣.
٧ـ القصص (٢٨) / ٦٣.

الأخفش: الضدّ يكون واحداً و جمعاً. أي: يكونون أعداء لهم يخاصمونهم و يكذّبونهم. و قيل: يكونون قرناءهم في النار يتبرّؤون منهم.(١)

[٨٣] «أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً».

«أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين»؛ أي: خلّينا بينهم و بين الشياطين حين دعوهم إلى الضلالة و أغروهم و لم نحل بينهم و بينهم بالإلجاء و لابالمنع. و عبّر عنه بالإرسال على سبيل المجاز. «تؤزّهم»؛ أي: تغريهم بالشرّ.(٢)

[٨٤] «فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً».

«فلاتعجل عليهم»؛ أي: فلتطب نفسك ـ يا محمّد ـ و لاتستعجل لهم العذاب. فإنّ مدّة بقائهم قليلة. فإنّا نعدّ لهم الأيّام و السنين. و ما دخل تحت العدّ فكأنّ قد نفد. و قيل: معناه: نعدّ أعمالهم.(٣)

[٨٥] «يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْداً».

«يوم نحشر». منصوب باذكر. أي: اذكر لهم يوم نحشر المتّقين من قبورهم إلى الرحمن حال كونهم وافدين عليه. و الوفد: جمع وافد. عن أميرالمؤمنين عليه السلام: يحشرون على نوق من نوق الجنّة عليها رحائل الذهب و أزمّتها الزبرجد يركبون عليها حتّى يضربوا أبواب الجنّة.(٤)

«نحشر المتّقين». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: يا عليّ، يخرج يوم القيامة أقوام من قبورهم بيض وجوههم عليهم نعال الذهب شراكها اللّؤلؤ. فيأتون بنوق من نور عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى ينتهون إلى الرحمن و الناس في الحساب

١ـ مجمع البيان ٦ / ٨١٧.

٢ـ مجمع البيان ٦ / ٨١٩.

٣ـ مجمع البيان ٦ / ٨٢٠.

٤ـ مجمع البيان ٦ / ٨١٩ ـ ٨٢٠.

يهتمّون و يغتمّون. فقال عليّ عليه السلام: من هم؟ فقال: يا عليّ، هم شيعتك و أنت إمامهم. و هو قوله: «و نحشر المتّقين إلى الرحمن وفداً» على الرحائل. «و نسوق المجرمين». و هم أعداؤك يساقون إلى النار بلا حساب.[١]

[٨٦] «وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلىٰ جَهَنَّمَ وِرْداً».

«و نسوق المجرمين» على السير إلى جهنّم عطاشاً كالابل التي ترد عطاشاً. و الورد: الجماعة التي ترد الماء. و قيل: الورد: النصيب. أي: هم نصيب جهنّم.[٢]

[٨٧] «لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْداً».

«لايملكون الشفاعة»؛ أي: أن يشفعوا لغيرهم أو يشفع غيرهم لهم. «إلّا من اتّخذ». بدل من الواو في يملكون. و يجوز أن يكون على الاستثناء المنقطع. فإنّ من اتّخذ عند الرحمن عهداً لايكون من المجرمين. و المعنى: لايملك الشفاعة إلّا هؤلاء، أو لا شفيع إلّا لهم. و العهد هو الإيمان بالله. و قيل: معناه: لايشفع إلّا من وعده الرحمن بإطلاق الشفاعة كالأنبياء و الشهداء و العلماء و المؤمنين على ما ورد به الأخبار. و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لم يحسن وصيّته عند الموت، كان نقصاً في مروّته. و هو أنّه إذا حضرته الوفاة و اجتمع إليه الناس قال: اللّهمّ فاطر السموات و الأرض ـ الدعاء. ثمّ يوصي بحاجته. و تصديق هذه الوصيّة في سورة مريم: «إلّا من اتّخذ عند الرحمن عهداً». فهذا عهد الميّت.[٣]

و عن أبي عبدالله عليه السلام «إلّا من اتّخذ عند الرحمن عهداً» قال: من دان الله بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام و الأئمّة المعصومين عليهم السلام من بعده، فهذا العهد عند الله.[٤]

[٨٨] «وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً».

١ـ تأويل الآيات ١ / ٣٠٧ ـ ٣٠٨، ح ١٤.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٨٢٠ ـ ٨١٩.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٨٢٠.
٤ـ تأويل الآيات ١ / ٣٠٧.

«و قالوا اتّخذ الرحمن ولداً». هذا إخبار عن اليهود و النصارى و مشركي العرب، لقولهم في عزير و المسيح و الملائكة.[١]

[٨٩] «لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً».

«لقد جئتم»؛ أي: قل لهم يا محمّد: لقد جئتم بشيء منكر عظيم.[٢]

[٩٠] «تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً».

«تكاد السمٰوات» [أي: أرادت السموات] أن تنشّق منه. أي: لو انشقّت السماء لشيء عظيم لانشقّت له. أو: تكاد يشقّها الله. و كادت «تخرّ الجبال»: تسقط «هدّاً»؛ أي: هدماً. و هدّاً منصوب على المصدر في المعنى. تقديره: تخرّ خروراً و تهدّ هدّاً.[٣]

«يتفطّرن». سؤال: كيف تؤثّر هذه الكلمات في الجمادات حتّى تنفطر و تنشقّ و تخرّ؟ أجيب بأنّه سبحانه كأنّه يقول: كدت أفعل هذه بالسموات و الجبال عند دعائهم الولد لي غضباً منّي على من تفوّه بها لولا حلمي. و هو تصوير لأثر هذه الكلمات في الدنيا. و المراد أنّ هذا الاعتقاد يوجب أن يكون هذه الأجرام على غير ما ترى من النظام. كقوله: «لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا».[٤] «يكاد» بالتذكير نافع. و أبوعمرو و حمزة: «ينفطرن» من الانفطار.[٥]

[٩١] «أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً».

«أن دعوا للرحمن»؛ أي: لأن دعوا. أي: بسبب تسميتهم له ولداً.[٦]

[٩٢] «وَ مَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً».

١ـ مجمع البيان ٦ / ٨٢١.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٨٢١.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٨٢١ و ٨١٩، و الكشّاف ٣ / ٤٤.
٤ـ الأنبياء (٢١) / ٢٢.
٥ـ تفسير النيسابوريّ ١٦ / ٧٤ و ٦٣.
٦ـ مجمع البيان ٦ / ٨٢١.

«و ماينبغي»؛ أي: مايصلح و لايليق به اتّخاذ الولد. لأنّ اتّخاذ الولد يقتضي حدوثه و خروجه عن صفة الإلهيّة و اتّخاذ الولد يدلّ على الحاجة.(١)

[٩٣] «إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْداً لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدّاً».

«إن كلّ من في السموات»؛ أي: ليس كلّ من في السموات و الأرض والملائكة و الإنس و الجنّ إلّا و يأتي الله عبداً مملوكاً. و عزير و المسيح و الملائكة من جملة العبيد. و فيه دلالة على أنّ البنوّة و العبوديّة لايجتمعان.(٢)

«لقد أحصاهم»؛ أي: علم تفاصيلهم فلا يخفى عليه شيء من أحوالهم.(٣)

[٩٤] «وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً».

«و كلّهم» يأتي المحشر فرداً وحيداً ليس له مال و لا ولد.(٤)

[٩٥] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدّاً».

«سيجعل لهم الرحمن ودّاً». عن أبي مسلم: سيهب لهم في الجنّة ما يحبّون. فيكون المصدر بمعنى اسم المفعول.(٥)

«ودّاً». قيل فيه أقوال. أحدها: انّها خاصّة في عليّ بن أبي طالبعليه السلام. فما من مؤمن إلّا و في قلبه محبّة له. و عن أبي جعفرعليه السلام قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله لعليّعليه السلام: قل: اللّهمّ اجعل لي عندك عهداً. و اجعل لي في قلوب المؤمنين ودّاً. فقالها عليّعليه السلام. فنزلت هذه الآية. و الثاني: انّها عامّة في جميع المؤمنين؛ جعل الله لهم المحبّة و الألفة في قلوب الصالحين. و في الأثر: انّ الله إذا أحبّ عبداً نادى جبرائيل في السماء أنّ الله أحبّ فلاناً فأحبّوه، فيحبّه أهل السماء. ثمّ

١ـ مجمع البيان ٦ / ٨٢١.
٢ـ مجمع البيان ٦ / ٨٢٢.
٣ـ مجمع البيان ٦ / ٨٢٢.
٤ـ مجمع البيان ٦ / ٨٢٢.
٥ـ تفسير النيسابوريّ ١٦ / ٧٤.

يوضع له قبول في الأرض. فيكون المعنى: يحبّهم الله و يحبّبهم إلى الناس. و الثالث: انّ معناه: يجعل لهم محبّة في قلوب أعدائهم و مخالفيهم ليدخلوا في دينهم و يتعزّزوا بهم. و الرابع: يجعل بعضهم يحبّ بعضاً فيكون كلّ واحد منهم عضداً لأخيه ويكونون يداً واحدة على من خالفهم. و الخامس: انّ معناه: سيجعل لهم ودّاً في الآخرة فيحبّ بعضهم بعضاً كمحبّة الوالد لولده. و في ذلك أعظم السرور. و القول الأوّل هو الأولى.(١)

«ودّاً». عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «ودّاً» قال: ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام هي الودّ.(٢)

[٩٦] «فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَ تُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً».

و في قوله: «فإنّما يسّرناه بلسانك» قال: إنّما يسّره الله على لسانه حين أقام أميرالمؤمنين عليه السلام علماً فبشّر به المؤمنين و أنذر به الكافرين؛ و هم الذين ذكرهم الله في كتابه: «لدّاً»؛ أي: كفّاراً.(٣)

«فإنّما يسّرناه»؛ أي: بلّغ هذا المنزل، فإنّما أنزلناه «بلسانك»؛ أي: بلغتك و فصّلناه لتبشّربه و تنذر. و اللّدّ: جمع ألدّ؛ و هو الشديد الخصومة [بالباطل].(٤)

[٩٧] «وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً».

«قبلهم»؛ أي: قبل هؤلاء. يعني كفّار مكّة. «من قرن» مكذّبين للرسل. و فيه تسلية للنبيّ صلى الله عليه وآله. و المعنى: لا يهمّك كفرهم و شقاقهم. فإنّ وبال ذلك راجع إليهم. و قد أهلكنا قبلهم من كان مثلهم. «هل تحسّ»؛ أي: هل تبصر منهم أحداً أو تسمع لهم صوتاً؟ فحكم هؤلاء حكم أولئك.(٥)

١ـ مجمع البيان ٦ / ٨٢٢ ـ ٨٢٣.

٢ـ تأويل الآيات ١ / ٣٠٧.

٣ـ تأويل الآيات ١ / ٣٠٧، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ تفسير النيسابوريّ ١٦ / ٧٥.

٥ـ مجمع البيان ٦ / ٨٢٣.

٢٠.
سورة طه

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لاتدعوا قراءة طه. فإنّ الله يحبّها و يحبّ من قرأها. و من أدمن قراءتها، أعطاه يوم القيامة كتابه بيمينه و لم يحاسبه بما عمل في الإسلام و أعطي من الأجر حتّى يرضى.[1]

و عن النبيّ صلى الله عليه وآله: لايقرأ أهل الجنّة من القرآن إلّا يس و طه.[2]

«طه». من جعلها معه و مضى إلى قوم يريد التزويج منهم، زوّجوه. و إن قصد الإصلاح بين المتباغضين، تألّفوا. وإن مشى بها بين عسكرين، افترقوا. و من كتبها و شربها و دخل على سلطان، أمن منه و أدناه.[3]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ * طه».

قال جعفر بن محمد عليهما السلام: قوله عزّ و جلّ: «طه»؛ أي: طهارة أهل البيت عليهم السلام من الرجس. ثمّ قال: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً».[4][5]

عن الإمامين أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا صلّى قام على أصابع رجليه حتّى تورّمت. فأنزل الله: «طه» ـ و هو بلغة طيّ: يا محمّد ـ إلى قوله: «لمن يخشى».[6]

١ـ ثواب الأعمال / ١٣٤، ح ١.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣.
٣ـ المصباح / ٦٠٧.
٤ـ الأحزاب (٣٣) / ٣٣.
٥ـ تفسير الثعلبيّ ٦ / ٢٣٦.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٥٧ ـ ٥٨.

قرأ أبوعمرو بفتح الطاء و كسر الهاء كسراً لطيفاً من غير إفراط. و قرأ أهل الكوفة غير عاصم بكسر الطاء و الهاء، و الباقون بفتحهما. و عن أبي جعفر و نافع بين الفتح و الكسر و هو إلى الفتح أقرب.[١]

قال الثعلبيّ: طاء لشجرة طوبى. و الهاء هاوية. و كأنّه أقسم بالجنّة و النار. و قيل: أراد: يا طاهراً من الذنوب، يا هادياً إلى علّام الغيوب.[٢]

[٢] «مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقىٰ».

«لتشقى»: أي: لتتعب. لأنّه كان يصلّي اللّيل [كلّه] و يعلّق صدره بحبل حتّى لايغلبه النوم، فأمره سبحانه أن يخفّف على نفسه. أو: لتتعب بفرط تأسّفك على قريش و كفرهم، إذ ما عليك إلّا أن تبلّغ. و قيل: إنّ أباجهل و النضر بن الحارث قالا له: إنّك تشقى. لأنّك تركت دين آبائك. فردّ الله عليهم بأنّ القرآن هو السبب في السعادة لا الشقاوة كما زعموا.[٣]

[٣] «إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشىٰ».

«إلّا تذكرة»: لكن تذكيراً. نصب على الاستثناء المنقطع. أي: أنزلناه لتذكّر به من يخشى الله.[٤]

[٤] «تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَ السَّمَاوَاتِ الْعُلىٰ».

«تنزيلاً»: أي: أنزلناه تنزيلاً. «العلى»: جمع العليا تأنيث الأعلى.[٥]

[٥] «الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ».

«الرحمن»: أي: هو الرحمن. «استوى». الاستواء: الإقبال على الشيء. فكأنّه أقبل على

١ـ مجمع البيان ٧ / ٤. ٢ـ تفسير الثعلبيّ ٦ / ٢٣٦.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٢، و الكشّاف ٣ / ٥٠.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٢، و مجمع البيان ٧ / ٥. ٥ـ مجمع البيان ٧ / ٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣.

خلق العرش و قصد إلى ذلك.[١]

[٦] «لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ مَا تَحْتَ الثَّرىٰ».

«الثرى». هو التراب النديّ. قيل: يعني ما في ضمن الأرض من الكنوز و الأموات.[٢]

[٧] «وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفىٰ».

«و إن تجهر بالقول»؛ أي: تجهر بدعاء و غيره، فاعلم أنّه غنيّ عن جهرك. فإمّا أن يكون نهياً عن الجهر، كقوله: «و اذكر ربّك في نفسك تضرّعاً و خيفة و دون الجهر من القول»[٣]، و إمّا تعليماً للعباد بأنّ الجهر ليس لإسماع الله و إنّما هو لغرض آخر. «السرّ و أخفى». قيل: السرّ ما حدّث به العبد في خفية، و أخفى منه ما أضمره في نفسه ما لم يحدّث به غيره.[٤]

«السرّ و أخفى». روي عن السيدين الباقر و الصادق عليهما السلام: السرّ ما أخفيته في نفسك. و أخفى ما خطر ببالك ثمّ نسيته.[٥]

[٨] «اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنىٰ».

«لا إله إلّا هو»؛ أي: لا معبود يحقّ له العبادة غيره. «له الأسماء الحسنى»؛ أي: الأسماء الدالّة على توحيده و على إنعامه على العباد و على المعاني الحسنة. فبأيّها دعوت جاز. و عنه صلى الله عليه و آله أنّ لله سبحانه تسعة و تسعين اسماً من أحصاها دخل الجنّة. قال الزجّاج: تأويله: من وحّد الله و ذكر هذه الأسماء الحسنى يريد بها توحيد الله و إعظامه، دخل الجنّة.[٦]

[٩] «وَ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسىٰ».

١ـ مجمع البيان ٧ / ٥.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٥ ـ ٦.
٣ـ الأعراف (٧) / ٢٠٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣، و الكشّاف ٣ / ٥٢، و مجمع البيان ٧ / ٦.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٦.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٦.

«حديث موسى». قفّى تمهيد نبوّته بقصّة موسى ليأتمّ به في تحمّل أعباء النبوّة و تبليغ الرسالة و الصبر على مقاساة الشدائد. فإنّ هذه السورة من أوائل ما نزل.(١)

[١٠] «إِذْ رَأَىٰ نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً».

«إذ رأى ناراً». ظرف للحديث لأنّه [حدث، أو مفعول لاذكر. قيل: إنّه] استأذن شعيباً في الخروج إلى أمّه. و كان غيوراً لايصحب الرفقة لئلّاترى امرأته. فخرج من مدين و كان أهله على أتان و على ظهرها جوالق فيها أثاث البيت. فأضلّ الطريق في ليلة مظلمة و لم‌ينقدح زنده و امرأته في الطلق. فرأى ناراً منه بعيدة و كانت عند الله نوراً. «لأهله». هي بنت شعيب. «امكثوا»: الزموا مكانتكم. «إنّي آنست ناراً»؛ أي: أبصرتها. «بقبس»؛ أي: شعلة من النار. و قيل: جمرة. «هدًى»؛ أي: هادياً يدلّني على الطريق، أو يهديني أبواب الدين. فإنّ أفكار الأبرار مائلة إليها في كلّ ما يعتريهم.(٢)

عن الصادق عليه السلام عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: كن لما لاترجو أقرب منك ممّا ترجو. فإنّ موسى بن عمران خرج يقتبس ناراً لأهله فكلّمه الله فرجع نبيّاً. و خرجت ملكة سبأ كافرة فأسلمت. و خرج سحرة فرعون يطلبون العزّة لفرعون فرجعوا مؤمنين.(٣)

«لأهله». قرأ حمزة: «لأهله امكثوا» بضمّ الهاء.(٤)

[١١] «فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ».

«فلمّا أتاها». قال ابن‌عبّاس: لمّا توجّه نحو النار، فإذا النار في شجرة عنّاب، فوقف متعجّباً من حسن ضوء تلك النار و شدّة خضرة تلك الشجرة. فسمع النداء من الشجرة؛ و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٣ ـ ٤٤، و مجمع البيان ٧ / ٩.

٣ـ بحارالأنوار ١٣ / ٩٢.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٧.

هو قوله: «نودي يا موسى إنّي أنا ربّك».[١]

[١٢] «إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى».

«إنّي أنا ربّك». قال وهب: نودي من الشجرة فقيل: يا موسى. فأجاب سريعاً ما يدري من دعاه فقال: إنّي أسمع صوتك و لا أدري مكانك. فأين أنت؟ فقال: أنا فوقك و معك و أمامك و خلفك و أقرب إليك من نفسك. فأيقن أنّه ربّه. «فاخلع نعليك». لأنّهما كانا من جلد حمار ميّت، كما روي عن الصادق عليه السلام. و قيل: إنّه أمر بخلعهما ليباشر بقدمه الأرض فتصيبه بركة الوادي. «المقدّس»؛ أي: الذي بورك فيه بسعة الرزق و الخصب. و قيل: المطهّر.[٢]

عن الصادق عليه السلام: «اخلع نعليك»: ارفع خوفيك. يعني خوفه من ضياع أهله و قد خلّفها تمخض و خوفه من فرعون.[٣]

و عن القائم عليه السلام في حديث طويل ردّ فيه على من قال: إنّ النعلين كانتا من جلد حمار ميّت. و ذلك يدلّ على أنّ ما ورد في أخبارنا ممّا يوافقه سبيله الحمل على التقيّة. ثمّ قال عليه السلام: «اخلع نعليك»؛ أي: انزع حبّ أهلك من قلبك إن كانت محبّتك لي خالصة.[٤] و قيل: المراد: فرّغ قلبك عن ذكر الدارين.

«إنّي». فتحه ابن كثير و أبوعمرو. و كسره الباقون.[٥]

[سئل] عنه صلّى الله عليه و آله: لم سمّي المقدّس؟ قال: لأنّه قدّست فيه الأوراح و اصطفيت الملائكة و كلّم الله موسى فيه تكليماً.[٦]

«طوًى». قرأ ابن عامر و أهل الكوفة: «طوًى» بالتنوين، و الباقون بغير تنوين. «طوًى»: اسم الوادي. عن ابن عبّاس. و قيل: سمّي به لأنّ الوادي قدّس مرّتين فكأنّه طوي بالبركة

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٠.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٠.

٣ـ علل الشرائع / ٦٦، ح ١.

٤ـ كمال الدين / ٤٦٠.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤.

٦ـ علل الشرائع / ٤٧١ ـ ٤٧٢، ح ٣٣.

مرّتين. و من صرفه، جعله اسماً للوادي لأنّه سمّي مذكّراً بمذكّر، أو لأنّه جعله صفة لأنّه قدّس مرّتين. كقوله: «مكاناً سوًى».[١] و من لم يصرفه، جعله اسماً للبقعة أو الأرض بمنزلة امرأة سمّيتها بجعر، أو لأنّه معدول كعمر.[٢]

[١٣] «وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحىٰ».

قرأ حمزة: «أنّا» مشدّد مفتوح الهمزة «اخترناك» على الجمع.[٣]

«و أنا اخترتك» للنبوّة فأصغ لكلامي. و قراءة حمزة: «أنّا اخترناك» [بفتح الهمزة و] بالجمع لأنّ التقدير: و لأنّا اخترناك، فيكون الجارّ و المجرور في موضع نصب بقوله: «فاستمع».[٤]

[١٤] «إِنَّنِي أَنَا اللّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي».

«إنّني أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدني». بدل ممّا يوحى، دالّ على أنّه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم و الأمر بالعبادة التي هي كمال العمل. «لذكري»؛ أي: لأن تذكرني فيها بالتسبيح و التعظيم. لأنّ الصلاة لاتكون إلّا بذكر الله. و قيل: معناه: صلّ لي و لاتصلّ لغيري كما يفعله المشركون. و قيل: معناه: أقم الصلاة متى ذكرت أنّ عليك صلاة كنت في وقتها أم لم تكن. عن أكثر المفسّرين. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. و قيل: لذكري، لأنّي ذكرتها في الكتب و أمرت بها.[٥]

[١٥] «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعىٰ».

«إنّ الساعة آتية»؛ أي: القيامة. «أكاد أخفيها» عن عبادي لئلّاتأتيهم إلّا بغتة. و فائدة الإخفاء التخويف. فإنّ الناس إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة، كانوا على حذر منها [كلّ

١ـ طه (٢٠) / ٥٨.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٧ و ١٠.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٧.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٧.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٠ ـ ١١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤.

وقت]. و عن ابن عبّاس: أكاد أخفيها من نفسي. و هي كذلك في قراءة أبيّ. و روي ذلك عن الصادق عليه السلام. و المعنى: أكاد لا أظهر عليها أحداً. و المقصود من ذلك تبعيد الوصول إلى علمها. و تقديره: إذا كدت أخفيها من نفسي [فكيف أظهرها لك]؟ أو يكون المعنى: أكاد أظهره. من أخفاه، إذا سلب خفاءه. «لتجزى». متعلّق بآتية أو أخفيها على المعنى الأخير. «بما تسعى»؛ أي: بما تعمل من خير أو شرّ.(١)

[١٦] «فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ».

«فلا يصدّنّك عنها»؛ أي: عن تصديق الساعة أو الصلاة. «و اتّبع هواه»؛ أي: ميل نفسه إلى اللّذّات المحسوسة. «فتردى»؛ أي: فتهلك كما هلك.(٢)

[١٧] «وَ مَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ».

«و ما تلك بيمينك». استفهام يتضمّن استيقاظاً لما يريه فيها من العجائب. و قال الزجّاج: تلك اسم مبهم يجري مجرى التي و يوصل كما توصل التي. و المعنى: ما التي بيمينك؟ و قيل: الصحيح أن يكون تلك مبتدأ و ما خبره و بيمينك حال من معنى الإشارة.(٣)

[١٨] «قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَ أَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَ لِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ».

عن الرضا عليه السلام: لمّا أراد موسى الانصراف، قال شعيب: ادخل البيت و خذ من تلك العصا عصاً تكون معك تدرأ بها السباع. و قد كان شعيب أخبر بأمر العصا التي أخذها موسى. فلمّا دخل موسى البيت، وثب العصا فصارت في يده. فخرج بها. فقال له شعيب: خذ غيرها. فعاد موسى [إلى] البيت و وثب العصا في يده، فخرج بها. و هكذا ثلاثاً. فقال له

١ـ مجمع البيان ٧ / ١١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٤ ـ ٤٥، و مجمع البيان ٧ / ١١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥، و مجمع البيان ٧ / ١٣.

شعيب: خذها. و كان شعيب يزور موسى كلّ سنة فإذا أكل، قام موسى على رأسه و كسر له الخبز.(١)

«أتوكّأ عليها» إذا عييت. «و أهشّ بها»: و أخبط الورق بها على رؤوس غنمي. «مآرب أخرى»: حاجات أخر. قال ابن‌عبّاس: كان يحمل عليها زاده، و يركزها فيخرج منها الماء، و يضرب بها الأرض فيخرج ما يأكل. و كان يطرد بها السباع. و إذا ظهر عدوّ حاربت. و إذا أراد الاستسقاء من بئر، طالت و صارت شعبتاها كالدلو. و كانت تضيء باللّيل كالشمعة. و كانت تحدّثه و تؤنسه.(٢)

قال المحقّقون: إنّ موسى كان يتوكّأ على العصا، و محمّد صلى الله عليه وآله كان يتّكئ على فضل الله قائلاً مع أمّته: حسبنا الله و نعم الوكيل. فورد في حقّه: «حسبك الله و من اتّبعك من المؤمنين».(٣) و أيضاً إنّه بدأ بمصالح نفسه في قوله: «أتوكّأ عليها» ثمّ بمصالح رعيّته في قوله: «و أهشّ بها على غنمي»، و محمّد صلى الله عليه وآله في الدنيا لم يشتغل إلّا بإصلاح أمر أمّته. اللّهمّ اهد قومي فإنّهم لايعلمون. فلاجرم يقول موسى يوم القيامة: نفسي نفسي، و محمّد صلى الله عليه وآله يقول: أمّتي أمّتي.(٤)

[١٩] «قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسىٰ».

[٢٠] «فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعىٰ».

«تسعى»؛ أي: تمشي بسرعة. قيل: صارت حيّة صفراء لها عرف كعرف الفرس و جعلت تتورّم حتّى صارت ثعباناً و هي أكبر من الحيّات. و قيل: كانت في ضخامة الثعبان و جلادة الجانّ. و لذلك قال: «كأنّها جانّ»(٥).(٦)

١ـ قصص الأنبياء / ١٥٢.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥، و مجمع البيان ٧ / ١٤.

٣ـ الأنفال (٨) / ٦٤.

٤ـ تفسير النيسابوريّ ١٦ / ٨٩.

٥ـ النمل (٢٧) / ١٠.

٦ـ مجمع البيان ٧ / ١٤، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥.

[٢١] «قَالَ خُذْهَا وَ لَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولىٰ».

«سيرتها الأولى»؛ أي: حالتها الأولى. فوضع يده في فم الحيّة و إذا يده في الموضع الذي كان يضعها إذا توكّأ عليها. و قيل: كانت العصا من آس الجنّة أخرجها آدم و توارثها الأنبياء إلى أن بلغ شعيباً فدفعها إلى موسى. و قيل: كانت من عوسج. و كان طولها عشرة أذرع على مقدار قامة موسى.(١)

[٢٢] «وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرىٰ».

«جناحك»؛ أي: تحت العضد. و قيل: أدخلها في جيبك. «تخرج بيضاء» لها نور ساطع يضيء باللّيل و النهار كضوء الشمس و القمر و أشدّ ضوءاً. «من غير سوء»؛ أي: من غير مرض في قول الجميع. كنّي به عن البرص. و كان موسى آدم اللّون. ففعل فخرجت يده كما قال الله. ثمّ ردّها فعادت إلى لونها.(٢)

[٢٣ ـ ٢٤] «لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرىٰ * اذْهَبْ إِلىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغىٰ».

«الكبرى». صفة آياتنا. أو مفعول نريك و من آياتنا حال منها. و قيل: معناه: من دلالاتنا الكبرى سوى هاتين الدلالتين. و قيل: إنّها هلاك فرعون و قومه. فلمّا حمّله الله الرسالة و أراه المعجزات، أمره بالتبليغ فقال: «اذهب إلى فرعون» بهاتين الآيتين و ادعه إلى العبادة. إنّه عصى و تكبّر في كفره.(٣)

[٢٥ ـ ٢٦] «قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي».

«اشرح لي صدري» [أي: وسّع لي صدري حتّى لا أضجر و لا أخاف و لا أغتمّ. «و يسّر لي أمري»؛] أي: سهّل عليّ أداء ما كلّفتني من الرسالة و الدخول على الطاغي و دعائه

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٤ ـ ١٥.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٥، و مجمع البيان ٧ / ١٥.

إلى الحقّ.[١]

و هاهنا دقيقة و هي: انّ قول موسى: «ربّ اشرح لي» دون أن يقول: اشرح صدري، ليعلم أنّه أراد أن يعود منفعة الشرح إليه. فلا جرم يقول يوم القيامة: نفسي نفسي. و إنّ نبيّنا لمّا تمّ أمره في مقام القرب، إذ قيل له: سلام عليك أيّها النبيّ، قال: سلام علينا و على عباد الله الصالحين. فلا جرم يقول يوم القيامة: أمّتي أمّتي. و شتّان بين نبي يتضرّع إلى الله بقوله: «ربّ اشرح لي صدري» و بين نبيّ يخاطب بألم‌نشرح لك صدرك.[٢]

[٢٧ ـ ٢٨] «وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي».

«و احلل»؛ أي: أطلق عن لساني العقدة التي فيه. و كان في لسانه رتّة شبه التمتمة. و ذلك أنّ فرعون حمله يوماً، فنتف لحيته، فأراد قتله، فقالت آسية: إنّه صبيّ لا يفرق بين الجمرة و الياقوت. فأحضرا بين يديه. فأخذ الجمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه. و قيل: إنّه انحلّ أكثر ما [كان] بلسانه إلّا بقيّة منه. و قيل: حلّها كلّها. و هو الصحيح؛ لقوله: «قد أوتيت سؤلك».[٣]

عن أسماء بنت عميس قال: رأيت رسول الله ﷺ بإزاء ثبير و هو يقول: اللّهمّ إنّي أسألك ما سألك أخي موسى أن تشرح لي صدري، و أن تيسّر أمري، و أن تحلّل عقدة من لساني يفقهوا قولي، و أن تجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً أخي. اشدد به أزري. و أشركه في أمري. قال ابن‌عبّاس: إنّه لمّا دعا به، سمعت منادياً ينادي: قد أعطيت ما سألت.[٤]

[٢٩ ـ ٣٠] «وَ اجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي».

«و اجعل لي وزيراً» يوازرني على المضيّ إلى فرعون، أو يوازرني برأيه و مشاورته. و

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٥. ٢ـ تفسير النيسابوريّ ١٦ / ٩٩.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦.

٤ـ تأويل الآيات ١ / ٣١٠، ح ٢.

طلبه من أهله لأنّه أولى ببذل النصح له. ثمّ بيّن الوزيرفقال: «هارون أخى» و كان بمصر.(١)

[٣١] «اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَ أَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي».

«اشدد به أزري»؛ أي: قوّ به ظهري و أعنّي به. «و أشركه في أمري»: اجمع بيني و بينه في النبوّة، ليكون أحرص على موازرتي. و سمّي الوزير وزيراً لأنّه يعين الأمير على ما هو بصدده من الأمور، من الموازرة بمعنى المعاونة، أو لأنّه يتحمّل الوزر ـ أي: الثقل ـ عن الأمير، مأخوذ من الوزر. و هارون كان أكبر من موسى بثلاث سنين و أتمّ طولاً و أبيض جسماً و أفصح لساناً. و مات قبل موسى بثلاث سنين.(٢)

ابن‌عامر : «أشدد به أزري» بقطع الهمزة و فتحها. «و أُشركه» بضمّها. و الباقون: «اشدد» بهمزة الوصل. «و أشركه» بالفتح. الوجه في قراءة ابن‌عامر أنّه جعله خبراً و سائر القرّاء جعلوه دعاء. و ضمّ الهمزة في «أشركه» ضعيف جدّاً. لأنّه ليس إلى موسى إشراك هارون في النبوّة، بل ذلك إلى الله. فالوجه فتح الهمزة على الدعاء.(٣)

و قوله: «أشركه في أمرى» فعنه صلى الله عليه و آله قال: يا عليّ، إنّ الله أشهدك معي في مواطن منها ليلة أسرى بي إلى السماء فقال لي جبرئيل: أين أخوك؟ قلت: ودّعته خلفي. فقال: فادع الله فليأتك به. فدعوت الله، فإذا أنت معي و الملائكة صفوف وقوف.(٤)

[٣٣ ـ ٣٥] «كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَ نَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً».

«كي نسبّحك»؛ أي: ننزّهك عمّا لايليق. فإنّ التعاون يهيّج الرغبات و يؤدّي إلى كثرة الخير و تزايده. «بصيراً»؛ أي: عالماً بأحوالنا و أنّ التعاون ممّا يصلحنا و أنّ هارون نعم المعين لي.(٥)

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٥.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٦.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٢.

٤ـ تأويل الآيات ١ / ٣١١ ـ ٣١٢، ح ٤

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦.

[٣٦] «قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسىٰ».

«سؤلك»؛ أي: مسؤولك.[١]

[٣٧] «وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرىٰ».

«و لقد مننّا»؛ أي: أنعمنا عليك في وقت آخر.[٢]

[٣٨] «إِذْ أَوْحَيْنَا إِلىٰ أُمِّكَ مَا يُوحىٰ».

«أوحينا إلى أمّك ما يوحى»؛ أي: ألهمناها ما يلهم.[٣]

[«إذ أوحينا إلى أمّك» بإلهام، أو في منام، أو على لسان نبيّ في وقتها] أو بتوسّط ملك كريم. «ما يوحى»؛ أي: ما لايعلم إلّا بالوحي، أو ممّا ينبغي أن يوحى و لايخلّ به لعظم شأنه.[٤] أو يكون ما مصدريّة. أي: إيحاء.[٥]

[٣٩] «أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَ عَدُوٌّ لَهُ وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَ لِتُصْنَعَ عَلىٰ عَيْنِي».

«أن اقذفيه»؛ أي: بأن اقذفيه. و القذف يقال للإلقاء و الوضع. و اليمّ النيل. «فليلقه اليمّ». لمّا كان إلقاء البحر إيّاه إلى الساحل أمر واجب الحصول، لتعلّق الإرادة به، جعل البحر كأنّه ذو تمييز أمره بذلك كما أمر أمّ موسى. و المراد به الخبر. أي: حتّى يلقيه البحر بالشطّ. «يأخذه». جواب فليلقه. و تكرير عدوّ للمبالغة، أو لأنّ الأوّل باعتبار الواقع و الثاني باعتبار المتوقّع. لأنّ فرعون كان يقتل غلمان بني إسرائيل ثمّ خشي أن يفنى نسلهم فكان يقتل بعد ذلك في سنة و لايقتل في سنة أخرى، فولد موسى في السنة التي كان يقتل الغلمان فيها فنجّاه الله منه. قيل: إنّ أمّه جعلت في التابوت قطناً و وضعته فيه ثمّ قيّرته و ألقته

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٦.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٧.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٧.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٧.

في النيل. و كان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر، فرفعه الماء إليه. فأمر ففتح التابوت، فإذا هو صبيّ. فأحبّه فرعون. «محبّة منّي»؛ أي: جعلتك بحيث يحبّك من يراك، حتّى أحبّك فرعون فسلمت من شرّه و أحبّتك آسية امرأته فتبنّتك و ربّتك في حجرها. وقال قتادة: ملاحة كانت في عين موسى. فما رآه أحد إلّا عشقه. «و لتصنع على عيني»؛ أي: ولتربّى و يحسن إليك و أنا راعيك و راقبك و أنت بمرأى منّي. و ذلك أنّ من صنع لإنسان شيئاً و هو ينظر إليه، صنعه كما يحبّ. و قيل: لتربّى و يطلب لك الرضاع على علم منّي و معرفة لتصل إلى أمّك. و العطف على علّة مضمرة ـ مثل: لتعطف عليك ـ أو على الجملة السابقة بإضمار فعل معلّل مثل فعلت. و أمّا على قراءة الجزم، فهو على الأمر و المأمور غائب غير مخاطب، مثل لتعن بحاجتي.[١]

«لتصنع». أبوجعفر بالجزم. و الباقون بكسر اللّام و النصب.[٢]

[٤٠] «إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ وَ قَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَ فَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلىٰ قَدَرٍ يَا مُوسىٰ».

«إذ تمشي». ظرف لألقيت. أو: لتصنع على عيني وقت مشي أختك. و قولها: «هل أدلّكم» لأنّ هذا كان من أسباب تربية موسى. لأنّ أمّها أمرتها أن تتبّع التابوت على أثر الماء. فلمّا ألقاه الماء في بركة في بستان فرعون و هو مع امرأته آسية جالسان و فتحوا التابوت فرأوا موسى، بكى لطلب اللّبن. فأمر فرعون بإحضار النساء اللّواتي كنّ حول داره، فلم يرضع منهنّ. و كانت أخت موسى واقفة هناك فقالت: إنّي [آتي] لكم بامرأة ترضعه. «يكفله»؛ أي: يربّيه و يرضعه. «و لاتحزن» بفراقك و أنت على فراقها و فقد إشفاقها. «وقتلت نفساً». هو القبطيّ الكافر الذي استغاثه عليه الإسرائيليّ. و عن النبيّ عليه السلام أنّه قتله

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٨ و ١٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٧.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٧.

خطأ. «من الغمّ» لأن يقتل به فآمنه الله منه بالهجرة إلى مدين. «و فتنّاك فتوناً»: اختبرناك اختباراً حتّى خلصت للاصطفاء بالرسالة. أو: خلّصناك من محنة بعد محنة من محن فرعون. أو: شددنا عليك التعمّد في أمر المعاش حتّى رعيت لشعيب و هجرت أوطانك. «سنين في أهل مدين». لبث فيهم عشر سنين في مدين على ثمان مراحل من مصر. «على قدر»؛ أي: في الوقت الذي قدّر لإرسالك نبيّاً. أو معناه: جئت على الوقت الذي يوحى فيه إلى الأنبياء و هو على رأس أربعين سنة.[١]

«من الغمّ». اغتمّ بسبب القتل خوفاً من عقاب الله و من اقتصاص فرعون، فغفر الله له باستغفاره حين قال: «ربّ إنّي ظلمت نفسي فاغفر لي»[٢] و نجّاه من فرعون بالمهاجرة إلى مدين.[٣]

[٤١] «وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي».

«و اصطنعتك لنفسي»؛ أي: لوحيي و رسالتي حتّى صرت في التبليغ عنّي بمنزلي لو كنت أنا خاطبتهم و احتججت عليهم.[٤]

[٤٢] «اذْهَبْ أَنْتَ وَ أَخُوكَ بِآيَاتِي وَ لَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي».

«بآياتي»؛ أي: بمعجزاتي. و قيل: بالآيات التسع. «و لاتنيا»؛ أي: لاتضعفا في رسالتي و لاتفترا في أمري خوفاً من فرعون.[٥]

[٤٣] «اذْهَبَا إِلىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغىٰ».

[٤٤] «فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشىٰ».

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٨ ـ ١٩، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٧.

٢ـ القصص (٢٨) / ١٦.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٦٤.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٩.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٩، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٨.

«قولاً ليّناً». نحو قوله: «هل لك إلى أن تزكّى * و أهديك إلى ربّك فتخشى».[١] لأنّ ظاهره الاستفهام و المشورة و عرض ما فيه الفوز العظيم. و قيل: وعداه شباباً لايهرم بعده و ملكاً لاينزع إلّا بالموت و أن تبقى له لذّة المطعم و المنكح إلى حين موته فإذا مات دخل الجنّة. فأعجبه ذلك. و كان لاينقطع أمراً دون هامان. فلمّا حضر أخبره فرعون أنّه يريد أن يقبل منه فقال هامان: قد كنت أرى أنّ لك عقلاً بيّناً! أنت ربّ [و] تريد أن تكون مربوباً! فقلبه عن [رأيه]. و قيل: لاتجبهاه بما يكره لما له من حقّ تربية موسى و لما ثبت له من حقّ مثل حقّ الأبوّة. وَ قيل: كنّياه. و هو من ذوي الكنى الثلاث: أبو العبّاس و أبوالوليد و أبومرّة. «لعلّه يتذكّر». الترجّي لهما. أي: اذهبا على رجائكما و طمعكما، و باشرا الأمر مباشرة من يرجو و يطمع أن يثمر عمله و لايخيب سعيه فهو يجتهد بأقصى وسعه. و فائدة إرسالهما إليه مع العلم بأنّه لايؤمن إلزام الحجّة. «و لو أنّا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربّنا لولاأرسلت إلينا رسولاً فنتّبع آياتك».[٢] أي: يتذكّر و يتأمّل فيذعن للحقّ. «أو يخشى» أن يكون الأمر كما تصفان.[٣]

قد ذهب بعض المعتزلة إلى أنّه تعالى لم يعلم أنّ فرعون يتذكّر أو يخشى. و قد أخطؤوا في تأويلهم. و لكن قوله ذلك ليكون أحرص لموسى و أخيه على الذهاب.[٤]

يحتمل أن يكون إنّما أمره بالقول اللّيّن لأنّه كان في موسى حدّة بحيث إذا غضب اشتعلت قلنسوته ناراً فعالج حدّته باللّين ليكون حليماً. و روي عن كعب أنّه قال: و الذي يحلف به كعب، إنّه مكتوب في التوراة: فقولا له قولاً ليّناً و سأقسي قلبه فلايؤمن.[٥]

عن سفيان قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: يجوز أن يطمع الله عباده في كون ما لايكون؟ قال: لا. فقلت: فكيف قال الله لموسى و هارون: «لعلّه يتذكّر أو يخشى» و قد علم أنّ فرعون لايتذكّر و لايخشى؟ فقال: إنّ فرعون تذكّر و خشي و لكن عند رؤية البأس حيث لم ينفعه

١ـ النازعات (٧٩) / ١٨ ـ ١٩.
٢ـ طه (٢٠) / ١٣٤.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٨، و الكشّاف ٣ / ٦٥ ـ ٦٦.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٦٠.
٥ـ تفسير النيسابوريّ ١٦ / ١١٠.

الإيمان. ألا تسمع يقول الله: «حتّى إذا أدركه الغرق قال آمنت»[١] فلم يقبل الله إيمانه.[٢]

[٤٥] «قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغىٰ».

«يفرط علينا»؛ أي: يعجل علينا بالعقوبة من جبروته و استكباره. «أو أن يطغى» بالتخطّي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لقسوة قلبه.[٣]

[٤٦] «قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَ أَرىٰ».

«إنّني معكما» بالنصرة و الحفظ. «أسمع» ما يسألكم فألهمكم جوابه. «و أرى» ما يقصدكما به فأدفعه عنكما.[٤]

[٤٧ ـ ٤٨] «فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَ السَّلَامُ عَلىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدىٰ * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلىٰ مَنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّىٰ».

ثمّ فسّر سبحانه ما أجمله فقال: «فأتياه». «فأرسل معنا بني إسرائيل»؛ أي: أطلقهم. «و لا تعذّبهم» بالتكاليف الصعبة و قتل الولدان. فإنّهم كانوا في أيدي القبطة يستخدمونهم و يقتلون أولادهم في عام دون عام. و تعقيب الإتيان بذلك دليل على أنّ تخليص المؤمنين من الكفرة أهمّ من دعوتهم إلى الإيمان. و يجوز أن يكون للتدريج في الدعوة. «بآية»؛ أي: بدلالة واضحة و معجزة من ربّك تشهد لنا بالنبوّة. «و السلام على منْ اتّبع». قال الزجّاج: لم يرد هنا بالسلام التحيّة. و إنّما معناه أنّ من اتّبع الهدى، سلم من عذاب الله. و يدلّ عليه قوله بعده: «إنّا قد أوحي إلينا أنّ العذاب على من كذّب و تولّى»؛ أي: إنّما يعذّب الله من

١ـ يونس (١٠) / ٩٠.
٢ـ معاني الأخبار / ٣٨٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٨، و الكشّاف ٣ / ٦٦.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٢.

كذّب بما جئنا به و من اتّبعه سلم من العذاب.[١]

[٤٩] «قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسىٰ».

«قال فمن ربّكما يا موسى» و هارون. و إنّما خاطب الاثنين و خصّ موسى [بالنداء] لأنّه الأصل و هارون وزيره و تابعه أو لأنّه عرف أنّ له رتّة و لأخيه فصاحة فأراد أن يفحمه. كما قال: «أم أنا خير من هذا الذي هو مهين و لا يكاد يبين».[٢] و أراد: أي جنّس من الأجناس ربّكما حتّى أفهم. فبيّن موسى أنّ الله ليس له جنس و إنّما يعرف سبحانه بأفعاله.[٣]

[٥٠] «قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ».

«كلّ شيء خلقه»؛ أي: صورته و شكله الذي يطابق كماله الممكن له. أو: أعطى خليقته كلّ شيء يحتاجون إليه. فقدّم المفعول الثاني لأنّه المقصود بيانه. و قيل: أعطى كلّ حيوان نظيره في الخلق و الصورة [زوجاً]. «ثمّ هدى»؛ أي: عرّفه [كيف يرتفق بما أعطي و]كيف يتوصّل به إلى بقائه و كماله اختياراً أو طبعاً.[٤]

[٥١] «قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولىٰ».

«فما بال القرون الأولى»؛ أي: ما حال الأمم الماضية مثل قوم نوح و عاد و ثمود؟ فإنّها عبدة الأوثان.[٥]

[٥٢] «قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَ لَا يَنْسىٰ».

«علمها عند ربّي»؛ أي: أعمالهم محفوظة عنده يجازيهم بها مكتوبة في اللّوح المحفوظ. و قيل: المراد [بالكتاب] ما تكتبه الملائكة. و قيل: إنّ فرعون إنّما قال: «فما بال القرون» حين

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٢، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٨.

٢ـ الزخرف (٤٣) / ٥٢.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٢، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٩.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣.

دعاه موسى إلى الإقرار بالبعث. أي: فما بالهم لم يبعثوا؟ «لا يضلّ ربّي»؛ أي: لا يذهب عليه شيء و لا ينسى ما كان من أمرهم بل يجازيهم بأعمالهم. و يجوز أن يكون سؤاله دخلاً على إحاطة قدرة الله بالأشياء كلّها و تخصيصه أبعاضها بالصور و الخواصّ المختلفة بأنّ ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الأشياء و جزئيّاتها و القرون الخالية مع كثرتهم و تمادي مدّتهم كيف أحاط علمه بهم و أحوالهم. فيكون معنى الجواب أنّ علمه محيط بذلك كلّه و أنّه مثبت عنده لا يضلّ و لا ينسى.(١)

•

[٥٣] «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَ سَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى».

«الذي جعل». صفة ربّي. «مهداً»؛ أي: فرشاً. «و مهاداً»(٢)؛ أي: فراشاً. «و سلك لكم»؛ أي: سهّل لكم في الأرض طرقاً تسلكونها. «أزواجاً»؛ أي: أصنافاً. سمّيت بذلك لازدواجها و اقتران بعضها ببعض. «من نبات شتّى»؛ أي: متفرّقات في الصور و الأغراض و المنافع.(٣)

[٥٤] «كُلُوا وَ ارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهىٰ».

«كلوا». حال من ضمير فأخرجنا على إرادة القول. أي: أخرجنا أصناف النبات قائلين: كلوا و ارعوا. و المعنى: معدّيها لانتفاعكم بالأكل و العلف آذنين فيه.(٤)

«إنّ في ذلك»؛ أي: فيما ذكر لدلالات لأولي العقول الذين ينتهون عمّا حرّم الله عليهم. إنّما قيل لأولي العقول [أولو النهى] لأنّهم ينهون الناس عن القبائح. و قيل: لأنّه ينتهى إلى آرائهم.(٥)

عن أبي عبدالله عليه السلام: نحن ـ و الله ـ أولو النهى. و هو ما أخبر الله و رسوله ممّا يكون بعده

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٩.

٢ـ قرأ أهل الكوفة و ... : «مهداً» و الباقون: «مهاداً». (مجمع البيان ٧ / ٢١)

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٤٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٠. ٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣ و ٢١.

من ادّعاء الأوّل الخلافة و القيام بها و الآخر بعده و الثالث بعدهما و بني أميّة. فأخبر رسول الله عليّاً بذلك و كان ما أخبر الله رسوله و قد انتهى إلينا عن عليّ. فنحن أولو النهى [انتهى] إلينا علم ذلك كلّه ـ الحديث.[١]

[٥٥] «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرىٰ».

«منها»؛ أي: من الأرض «خلقناكم». لأنّ آدم مخلوق من الأرض. أو لأنّ بني آدم خلقوا من النطفة و دم الطمث المتولّدين من الأغذية المنتهية إلى العناصر الغالبة عليها الأرضيّة. أو لما ورد في الخبر أنّ الملك يأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه من الأرض فيذرّها على النطفة. «و فيها نعيدكم» بالموت. لأنّ الجسد يصير تراباً فيختلط بالأرض إلّا من رفعه الله إلى السماء. «و منها نخرجكم» بالحشر و البعث بأن نخرجكم تراباً و طيناً ثمّ نحييكم بعد الإخراج.[٢]

[٥٦] «وَ لَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَ أَبىٰ».

«أريناه آياتنا كلّها»؛ أي: بصّرناه إيّاها. أو: عرّفناه صحّتها. و أراد بالآيات كلّها التسع المختصّة بموسى. أو إنّه أراه آياته و عدّ عليه ما أوتي غيره من المعجزات.[٣]

[٥٧] «قَالَ أَ جِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسىٰ».

«من أرضنا»؛ أي: أرض مصر. هذا تعلّل و تحيّر و دليل على أنّه علم كونه محقّاً حتّى خاف منه على ملكه. فإنّ ساحراً لا يقدر أن يخرج ملكاً مثله من أرضه.[٤]

[٥٨] «فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكَ مَوْعِداً لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لَا أَنْتَ مَكَاناً سُوىً».

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٦١.

٢ـ تفسير النيسابوريّ ١٦ / ١١٥.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٠.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٠.

«فاجعل بيننا و بينك موعداً لانخلفه نحن و لا أنت»؛ أي: اضرب بيننا و بينك موعداً مكاناً يعدّ لحضورنا لايقع بيننا في حضوره خلاف. ثمّ وصف المكان بأنّه تستوي مسافته على الفريقين. و «مكاناً» بدل من موعد. و يكون طباق الجواب في قوله: «موعدكم يوم الزينة» من حيث المعنى. فإنّ يوم الزينة يدلّ على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم. و يكون يوم عيد لهم فسمّي يوم الزينة لأنّ الناس يتزيّنون فيه و يزيّنون فيه الأسواق.(۱)

«مكاناً سوًى». قال ابن زيد: أي: مستوياً لايحجب شيئاً بارتفاعه و انخفاضه ليسهل على كلّ الحاضرين ما يجري بين الفريقين.(۲)

«لانخلفه». أبوبكر بالجزم. و أهل الحجاز و أبوعمرو: «سوًى» بكسر السين.(۳)

[۵۹] «قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى».

«و أن يحشر». عطف على اليوم أو الزينة. يعني ضحى ذلك اليوم. و إنّما عيّن موسى ذلك اليوم ليظهر الحقّ و ليزهق الباطل على رؤوس الأشهاد و يشيع ذلك في الأقطار.(٤)

«يوم الزينة». قال القاضي: الأظهر عندي أنّ قوله: «موعدكم يوم الزينة» من قول فرعون لأنّه الطالب للاجتماع. و قال الرازيّ: إنّه من كلام موسى ليكون الكلام مبنيّاً على السؤال و الجواب و لأنّ تعيين يوم الزينة إنّما يليق بالواثق بالغلبة لا بالمبطل المزوّر. على أنّ موعدكم خطاب الجمع و ليس هناك إلّا موسى و هارون. و يوم الزينة، قيل: يوم النوروز، و قيل: يوم عاشوراء، و قيل: يوم عيد لهم.(۵)

«يوم الزينة». بالنصب [هبيرة] عن حفص. و الباقون بالرفع.(٦)

۱ـ مجمع البيان ۷ / ۲۹، و تفسير البيضاويّ ۲ / ۵۰.

۲ـ تفسير النيسابوريّ ۱٦ / ۱۱۷.

۳ـ مجمع البيان ۷ / ۲٤.

٤ـ مجمع البيان ۷ / ۲۹، و تفسير البيضاويّ ۲ / ۵۰.

۵ـ تفسير النيسابوريّ ۱٦ / ۱۱۷.

٦ـ مجمع البيان ۷ / ۲٤.

[٦٠ ـ ٦١] «فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ * قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَ قَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ».

«فتولّى فرعون»؛ أي: انصرف و فارق موسى على هذا الوعيد. «كيده»؛ أي: حيلته و مكره. فوعظهم فقال: «ويلكم»؛ أي: ألزمكم الله الويل و العذاب. «لاتفتروا على الله» بأن تنسبوا معجزتي إلى السحر و سحركم أنّه حقّ، أو أن تنسبوا فرعون إلى أنّه إله معبود. «فيسحتكم»؛ أي: يستأصلكم بعذاب. «و قد خاب من افترى». كما خاب فرعون. فإنّه احتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه.[١]

«فيسحتكم». أهل الكوفة غير أبي بكر بضمّ الياء. و الباقون بفتح الياء و الحاء.[٢]

[٦٢] «فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَ أَسَرُّوا النَّجْوَىٰ».

«فتنازعوا»؛ أي: تنازعت السحرة في أمر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم: هذا ليس بكلام ساحر. و قيل: تشاورت السحرة فيما يهيّئوه من الحبال و العصيّ و فيمن يبتدئ بالإلقاء. «و أسرّوا النجوى». يعني أنّ السحرة أخفوا كلامهم و تناجوا فيما بينهم سرّاً من فرعون فقالوا: إن غلبنا موسى، اتّبعناه.[٣]

[٦٣] «قَالُوا إِنْ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَ يَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ».

«إن هذان». أبوعمرو: «إنّ هذين» و هو ظاهر. و ابن‌كثير و حفص: «إنّ هذان» بتشديد إنّ و هذان اسم إنّ على لغة بلحارث بن كعب. فإنّهم جعلوا الألف للتثنية و أعربوا المثنّى تقديراً. و قيل: اسمها ضمير الشأن المحذوف. و «هذان لساحران» خبرها. و قيل: إنّ بمعنى نعم و ما بعدها مبتدأ و خبر. و فيهما أنّ اللّام لايدخل خبر المبتدأ. و قيل: أصله: إنّه

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥١.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٤.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥١.

هذان لهما ساحران، فحذف الضمير. و فيه أنّ المؤكّد باللّام لا يليق به الحذف.[١]

«أن يخرجاكم» بالاستيلاء على أرضكم و يذهبا بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب بإظهار مذهبه و إعلاء دينه. لقوله: «إنّي أخاف أن يبدّل دينكم».[٢] و قيل: أرادوا أهل طريقتكم، و هم بنوإسرائيل، فإنّهم كانوا أرباب علم فيها بينهم. لقول موسى: «أرسل معنا بني إسرائيل».[٣][٤]

[٦٤] «فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفّاً وَ قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلىٰ».

«فأجمعوا». أبوعمرو بقطع الهمزة و فتح الميم.[٥] و يؤيّده قوله: «فجمع كيده».[٦]

«فأجمعوا كيدكم»؛ أي: اجعلوه مجمعاً عليه لا يتخلّف عنه واحد منكم. «صفّاً»: مصطفّين. لأنّه أهيب في صدور الرائين. قيل: كانوا سبعين ألفاً مع كلّ واحد منهم حبل و عصاً و أقبلوا عليه إقبالة واحدة.[٧]

[٦٥ ـ ٦٦] «قَالُوا يَا مُوسىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقىٰ * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَ عِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعىٰ».

«قالوا يا موسى إمّا أن تلقي»، مراعاة للأدب. «قال بل ألقوا»، مقابلة أدب بأدب وعدم مبالاة بهم.[٨]

عن أبي عبدالله عليه السلام: كان موعدهم يوم عيد لهم. فلمّا ارتفع النهار، جمع فرعون الخلق و السحرة. و كانت له قبّة طولها في السماء ثمانون ذراعاً و قد كانت كسيت بالفولاذ المصقول و إذا وقعت الشمس عليها، لم يقدر أحد أن ينظر إليها من لمع الحديد و وهج الشمس. و جاء فرعون و هامان و قعدا عليه ينظران. و أقبل موسى ينظر إلى السماء. فقالت السحرة

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥١.

٢ـ غافر (٤٠) / ٢٦.

٣ـ الشعراء (٢٦) / ١٧.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥١.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥١.

٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥١.

٨ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥١.

لفرعون: إنّا نرى رجلاً ينظر إلى السماء و لم يبلغ سحرنا السماء. و ضمنت السحرة من في الأرض. فلمّا ألقوا حبالهم و عصيّهم، أقبلت تضطرب مثل الحيّات. فألقى موسى العصا فذابت في الأرض مثل الرصاص، ثمّ طلع رأسها و فتحت فاها فوضعت شدقها العليا على رأس قبّة فرعون. ثمّ دارت و التقمت عصيّ السحرة و حبالهم. و انهزم الناس حين رأوا هولها. فقتل في الهزيمة من الازدحام عشرة آلاف رجل و امرأة و صبيّ. و دارت على قبّة فرعون. قال: فأحدث [فرعون] و هامان في ثيابهما و شاب رأسهما من الفزع. و مرّ موسى في الهزيمة مع الناس فناداه الله: «لاتخف». فرجع موسى و لفّ على يديه عباءة كانت عليه، ثمّ أدخل يده في فمه، فإذا هي عصاً كما كانت.(١)

«فإذا حبالهم»؛ أي: فألقوا فإذا حبالهم و عصيّهم. و ذلك أنّهم لطخوها بالزئبق، فلمّا ضربت عليها الشمس، اضطربت فخيّل إليه أنّها تتحرّك، و الضمير في إليه راجع إلى موسى، و قيل إلى فرعون.(٢)

«يخيّل». ابن عامر: «تخيّل» بالتاء، على إسناده إلى ضمير الحبال و العصيّ و إبدال «أنّها تسعى» منه بدل الاشتمال.(٣)

[٦٧] «فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسىٰ».

«فأوجس في نفسه»: فأضمر فيها خوفاً من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلّة البشريّة، أو من أن يختلج الناس شكّ فلايتّبعوه.(٤)

لم يوجس موسى خيفة على نفسه. [بل] أشفق من غلبة الجهّال و دول الضلّال.(٥)

[٦٨] «قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلىٰ».

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٢٠ ـ ١٢١.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥١ ـ ٥٢، و مجمع البيان ٧ / ٣١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٢.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٢.

٥ـ نهج البلاغة / ٥١، الخطبة ٤.

«أنت الأعلى» بالظفر و الغلبة.[١]

[٦٩] «وَ أَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَ لَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ».

«ما في يمينك». يعني العصا. «تلقف ما صنعوا»؛ أي: تبتلع ما صنعوا من الحبال و العصيّ. و لمّا ألق عصاه صارت حيّة و طافت حول الصفوف حتّى رآها الناس كلّهم ثمّ قصدت الحبال فابتلعتها كلّها. ثمّ أخذها موسى فعادت عصاً كما كانت. «كيد ساحر»؛ أي: مكره و حيلته. «و لا يفلح الساحر»؛ أي: لا يظفر بمطلوبه إذ لا حقيقة للسحر. «حيث أتى»؛ أي: حيث كان من الأرض.[٢]

«تلقف». ابن‌عامر بالرفع على الحال أو الاستئناف. و حفص بالجزم و التخفيف، على أنّه من لقفته بمعنى تلقّفته. و الآخرون مشدّدة مجزومة أصله تتلقّف فحذفت إحدى التاءين. و تاء التأنيث يحتمل التأنيث و الخطاب على إسناد الفعل إلى المسبّب. «كيد ساحر». حمزة و الكسائيّ: «سحر» بمعني ذي سحر، أو بتسمية الساحر سحراً على المبالغة، أو بإضافة الكيد إلى السحر للبيان. و إنّما وحّد الساحر لأنّ المراد به الجنس المطلق.[٣]

«و ألق ما في يمينك». لم يقل عصاك، تصغيراً لشأن العصا و تهويناً لأمر السحرة. أي: ألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك. فإنّه بقدرة الله يبتلع «ما صنعوا»؛ أي: زوّروا و افتعلوا، على وحدته و كثرتها و صغره و عظمها. أو هو تعظيم لشأنها. أي: لا تحتفل لهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة. فإنّ في يمينك شيئاً أعظم شأناً من كلّها.[٤]

[٧٠] «فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَ مُوسَىٰ».

«فألقي السحرة». لمّا تلقّفت ما صنعوا، تحقّق عند السحرة أنّه ليس بسحر و أنّه من

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٤.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٢.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٧٤.

آيات الله. فألقاهم ذلك على وجوههم سجّداً لله توبة عمّا صنعوا و تعظيماً لما رأوا. «بـربّ هارون و موسى». قدّم هارون لكبر سنّه، أو لرويّ الآية، أو لأنّ فرعون ربّ مـوسى في صغره فلو اكتفى على موسى أو قدّم ذكره فربما توهّم أنّ المراد فرعون و ذكر هارون على الاستتباع. روي أنّهم رأوا في سجودهم الجنّة و منازلهم فيها.(١)

[٧١] «قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَ لَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَ أَبْقَىٰ».

«آمنتم له»؛ أي: لموسى. و اللّام لتضمين الفعل معنى الاتّباع. «أن آذن لكـم». أي في الإيمان له. «لكبيركم»؛ أي: لعظيمكم في فنّكم و أعلاكم به. أو: لأستادكم و قد تواطأتم على ما فعلتم. «من خلاف»: اليد اليمنى و الرجل اليسرى. و هو في محلّ النصب على الحال. أي: لأقطّعنّها مختلفات. «في جذوع النخل». شبّه تمكّن المصلوب بـالجذع بـتمكّن المـظروف بالظرف. و هو أوّل من صلب. «أيّنا أشدّ عذاباً»؛ إنّا على إيمانكم أم ربّ موسى على ترككم الإيمان؟(٢)

[٧٢] «قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَـا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا».

«لن نوثرك»: لن نختارك على ما أتانا من الأدلّة الدالّة على صـدق مـوسى. «و الذي فطرنا». عطف على ما جاءنا. أو قسم. «ما أنت قاض»: ما أنت قاضيه؛ أي: صانعه، أو حاكم به. «إنّما تقضي»؛ أي: إنّما تصنع بسلطانك أو تحكم في هذه الحياة الدنيا دون الآخرة.(٣)

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٢.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٢، و مجمع البيان ٧ / ٣٤.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٤، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٣.

[٧٣ ـ ٧٤] «إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَ مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَ اللهُ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ * إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَ لَا يَحْيىٰ».

«خطايانا» من الكفر و المعاصي. «وما أكرهتنا عليه». لأنّ الملوك كانوا يجبرونهم على تعليم السحر كيلايخرج السحر من أيديهم. و قيل: إنّ السحرة قالوا لفرعون: أرنا موسى. فأراهم إيّاه و هو نائم و عصاه تحرسه. فقالوا: ليس هذا بسحر. إنّ الساحر إذا نام بطل سحره. فأبى عليهم إلّا أن يعملوا. فذلك إكراههم. «خير و أبقى»؛ أي: خير لنا منك، و ثوابه أبقى لنا من ثوابك. و هذا جواب لقوله: «و لتعلمنّ أيّنا أشدّ عذاباً و أبقى». و هاهنا انتهى الإخبار عن السحرة. ثمّ قال الله: «إنّه من يأت ربّه». و يحتمل أن يكون الآيات الثلاث من كلام السحرة. «مجرماً»؛ أي: كافراً. «لايموت فيها» فيستريح من العذاب. «و لايحيى» حياة فيها راحة.(١)

[٧٥] «وَ مَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلىٰ».

«عمل الصالحات»؛ أي: أدّى الفرائض. «الدرجات العلى»: المنازل الرفيعة.(٢)

[٧٦] «جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكّٰى».

«جنّات عدن». بدل من الدرجات. «تزكّى»؛ أي: تطهّر من أدناس الكفر و المعاصي.(٣)

[٧٧] «وَ لَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلىٰ مُوسىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَا تَخَافُ دَرَكاً وَ لَا تَخْشىٰ».

«أوحينا إلى موسى» بعد ما رأى فرعون من الآيات. «أسر بعبادي»؛ أي: سر بهم ليلاً من أرض مصر. «فاضرب لهم طريقاً»؛ أي: اجعل لهم طريقاً في البحر يابساً بضربك العصا

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٣.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٣.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٣.

لينفلق البحر. «لا تخاف دركاً». حال من المأمور. أي: آمناً من أن يدرككم فرعون. «و لاتخشى» من البحر غرقاً.[١]

«لا تخاف». قرأ حمزة: «لا تخف» على أنّه جواب الأمر. فيكون قوله: «و لاتخشى» مرفوعاً على الاستئناف. أي: و أنت لاتخشى. أو يكون معطوفاً على ما قبله و الألف للإطلاق كقوله: «و تظنّون بالله الظنونا».[٢][٣]

[٧٨] «فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ».

«فأتبعهم فرعون بجنوده»؛ أي: أتبعهم فرعون نفسه مع جنوده. فحذف المفعول الثاني. «فغشيهم من اليمّ»؛ أي: غطّاهم من اليمّ ما غطّاهم. و فيه مبالغة و وجازة. أي: غشيهم ما سمعت قصّته و لايعرف كنهه إلّا الله.[٤]

[٧٩] «وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ مَا هَدىٰ».

«و أضلّ فرعون قومه و ما هدى»؛ أي: أضلّهم في الدارين[٥]. و هو تكذيب لفرعون في قوله لقومه: «و ما أهديكم إلّا سبيل الرشاد».[٦] أو: أضلّهم في البحر و ما نجّاهم.[٧]

[٨٠] «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَ وَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوىٰ».

«يا بني إسرائيل». خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر و إهلاك فرعون على إضمار قلنا، أو للّذين منهم في عهد النبيّ ﷺ بما فعل بآبائهم. «و واعدناكم جانب الطور». و هو أنّ الله وعد موسى بعد أن أغرق فرعون ليأتي جانب الطور الأيمن فيؤتيه التوراة فيها الشرائع و

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٨.
٢ـ الأحزاب (٣٣) / ١٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٣ ـ ٥٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٤.
٥ـ المصدر: في الدين.
٦ـ غافر (٤٠) / ٢٩.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٤.

الأحكام. «و نزّلنا عليكم المنّ». يعني في التيه.[١]

أهل الكوفة غير عاصم: «أنجيتكم» و «واعدتكم» و «رزقتكم».[٢]

و قرئ: «الأيمن» بالجرّ على الجوار؛ مثله: جحر ضبّ خرب.[٣]

«جانب الطور الأيمن»؛ أي: الواقع على يمين من انطلق من مصر إلى الشام. و منفعة المواعدة عائدة إليهم و ان كان لنبيّهم.[٤]

[٨١] «كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ لَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَ مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوىٰ».

«كلوا من طيّبات ما رزقناكم»؛ أي: لذائذه. صورته صورة الأمر و المراد به الإباحة.[٥]

«لاتطغوا فيه»؛ أي: لاتعتدوا فيه فتأكلوا على الوجه المحرّم عليكم. و قيل: معناه: لاتتناولوا من الحلال للاستعانة على المعصية. «فيحلّ»؛ أي: فيجب. و من ضمّ الحاء فالمعنى: فينزل عليكم. أو المعنى: فلا تطغوا فيما رزقناكم بالإخلال بشكره و التعدّي فيما أحلّ الله لكم فيه كالسرف و البطر و المنع عن المستحقّ.[٦]

قرأ الكسائيّ: «يحُلّ» و «يحلُل» بالضمّ، من حلّ يحلّ، إذا نزل.[٧]

«غضبي»: عقوبتي. «فقد هوى»؛ أي: هلك. لأنّ من هوى من علوّ إلى أسفل فقد هلك. أو: هوى إلى النار. أو: صار إلى الهاوية.[٨]

[٨٢] «وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ».

«لمن تاب». أي عن الشرك. «و عمل صالحاً»؛ أي: أدّى الفرائض. «ثمّ اهتدى»؛ أي: استمرّ على الايمان، أو لم يسلك سبيل البدعة. و قال أبوجعفر بن عليّ بن الحسين عليهما السلام: ثمّ

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٤، و مجمع البيان ٧ / ٣٨.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٤.
٤ـ تفسير النيسابوريّ ١٦ / ١٢٥.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٤، و مجمع البيان ٧ / ٣٨.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٣٨، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٤.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٤.
٨ـ مجمع البيان ٧ / ٣٨.

اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت عليهم السلام. فو الله لو أنّ رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن و المقام ثمّ مات و لم يجئ بولايتنا، كبّه الله في النار على وجهه.[١]

[٨٣] «وَ مَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسىٰ».

«و ما أعجلك عن قومك». كانت المواعدة أن يوافي الميعاد هو و قومه أو مع جماعة من وجوه قومه. و هو متّصل بقوله: «و واعدناكم جانب الطور الأيمن». فعجل موسى من بينهم شوقاً و خلّفهم ليلحقوا به. فقيل: بأيّ سبب خلّفت قومك و سبقتهم و جئت وحدك.[٢]

«عن قومك». روي أنّ موسى قد مضى مع النقباء السبعين إلى الطور على الموعد المضروب ثمّ تقدّمهم شوقاً إلى كلام ربّه، فاستنكر تقدّمه. و ليس المراد جميع قومه؛ لقوله: «هم أولاء على أثري».[٣]

[٨٤] «قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلىٰ أَثَرِي وَ عَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضىٰ».

«قال» موسى في الجواب: «هم أولاء على أثري»؛ أي: من ورائي يدركونني عن قريب و ليس بيني و بينهم إلّا مسافة قريبة يتقدّم بها الرفقة بعضهم بعضاً. و قيل: معناه: هم على ديني و منهاجي. و قيل: إنّه قال: هم ينتظرون بعدي ما الذي آتيهم به و ليس يريد أنّهم يتّبعونه. «و عجلت إليك»؛ أي: سبقتهم إليك حرصاً على تحصيل رضاك.[٤]

[٨٥] «قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ».

«فتنّا قومك»: ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم. و هم الذين خلّفهم مع هارون و كانوا ستّمائة ألف ما نجا من عبادة العجل إلّا اثناعشر ألفاً. و قيل: معنى «فتنّا قومك»: عاملناهم معاملة المختبر ليظهر لغيرنا المخلص منهم من المنافق فيوالي المخلص و

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٨ ـ ٣٩.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٩.

٣ـ تفسير النيسابوريّ ١٦ / ١٢٦.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٩، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٤.

يعادي المنافق. «و أضلّهم السامريّ»؛ أي: دعاهم إلى الضلال فقبلوا منه و ضلّوا عند دعائه. فأضاف الضلال إلى السامريّ و الفتنة إلى نفسه، ليدلّ سبحانه على أنّ الفتنة غير الإضلال. و السامريّ منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة. و قيل: كان علجاً من كرمان. و قيل: من أهل موصل. و اسمه موسى بن ظفر. و كان منافقاً.[١]

«فتنّا». الفتنة هنا بمعنى الامتحان بتشديد التكليف. و ذلك أنّ السامريّ لمّا أخرج لهم ذلك العجل، صاروا مكلّفين بأن يستدلّوا بحدوث جملة الأجسام على أنّ العجل لايصلح للإلهيّة.[٢]

[المراد بقوله:] «فتنّا قومك» هو خلق العجل للامتحان. أي: امتحنّاهم بخلق العجل. و حملهم السامريّ على الضلال و أوقعهم فيه حيث قال لهم: «هذا إلهكم».[٣]

[٨٦] «فَرَجَعَ مُوسىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي».

«فرجع موسى»؛ أي: رجع من الميقات إلى بني إسرائيل بعد ما أخذ التوراة و استوفى الأربعين «غضبان» عليهم «أسفاً»: حزيناً على ما فعلوا. «أ لم يعدكم». أي بأن يعطيكم التوراة فيها هدًى و نور. «أفطال عليكم العهد»؛ أي: مدّة مفارقتي إيّاكم. «غضب من ربّكم» بعبادة العجل. «فأخلفتم موعدي»: وعدكم إيّاي بالثبات على الإيمان بالله و القيام على ما أمرتكم به. و قيل: إخلافهم موعده أنّه أمرهم أن يتمسّكوا بطريقة هارون و طاعته إلى أن يرجع.[٤]

«أم أردتم أن يحلّ عليكم». لأنّ مريد السبب ـ أعني خلف الموعد ـ مريد للمسبّب

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٤ ـ ٥٥، و مجمع البيان ٧ / ٣٩.

٢ـ تفسير النيسابوريّ ١٦ / ١٢٦.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٨٣.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٩ ـ ٤٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٥.

بالعرض. و إن كلّ أحد يريد حلول الغضب.[١]

[٨٧] «قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَ لٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ».

«بملكنا». نافع و عاصم: «بملكنا» بفتح الميم. و حمزة و الكسائيّ بضمّها. و ثلاثتها في الأصل لغات في مصدر ملكت الشيء. «حمّلنا». أبوعمرو و حمزة: «حملنا» بالفتح و التخفيف.[٢]

«بملكنا»؛ أي: بأن ملكنا أمرنا. إذ لوخلّينا و أمرنا و لو لم يسوّل لنا السامريّ، لما أخلفناه. و قيل: «قالوا»؛ أي: قال الذين لم يعبدوا العجل: [إنّا لم نطق ردّ عبدة العجل] لكثرتهم و قلتنا. «و لكنّا حمّلنا أوزاراً من زينة القوم»؛ أي: حمّلنا أثقالاً من حليّ [آل فرعون. و هو ما استعاروه من حليّهم] حين أرادوا السير و لم يردّوها [عند الخروج] مخافة أن يعلموا به. و قيل: ما ألقاه البحر إلى الساحل بعد إغراقهم. و لعلّهم سمّوها أوزاراً لأنّها آثام ـ فإنّ الغنائم لم تكن تحلّ بعد ـ أو لأنّهم كانوا مستأمنين و ليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربيّ. و قيل: إنّهم كانوا في حكم الأسراء فيما بينهم، فكان يحلّ لهم أخذ أموالهم. فعلى هذا لايمكن حمله على الإثم. «فقذفناها»؛ أي: ألقيناها في النار لتذوب. «فكذلك ألقى السامريّ» أيضاً مثل إلقائنا ليوهم أنّه منهم. روي أنّهم لمّا حسبوا أنّ العدّة قد كملت، قال لهم السامريّ: إنّما أخلف موسى ميعادكم. و ما معكم من حليّ القوم حرام عليكم. فالرأي أن نحفر [حفيرة] و نسجر فيها ناراً و نقذف كلّ ما معنا فيها. ففعلوا.[٣]

[٨٨] «فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَ إِلٰهُ مُوسىٰ فَنَسِيَ».

«عجلاً جسداً»؛ أي: أخرج لهم من ذلك الحليّ عجلاً جسيماً. «له خوار»؛ أي: صوت.

١ـ تفسير النيسابوريّ ١٦ / ١٢٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٥.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٤٢، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٥.

«فقالوا» ـ أي السامريّ و من تبعه ـ: هذا معبودكم و معبود موسى. «فنسي». قيل: إنّه من قول السامريّ و من تبعه. أي: نسي موسى أنّه إلهه. و هو قول ابن‌عبّاس. أو: تركه هنا و خرج يطلبه عند الطور. و قيل: هو من قول الله. أي: ترك السامريّ ما عليه من الايمان الذي بعث الله به موسى، إذ نسي الاستدلال على حدوث العجل و أنّه لايجوز أن يكون [إلهاً].[١]

[٨٩] «أَ فَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَ لَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَ لَا نَفْعاً».

«أفلايرون»؛ أي: أفلايرى بنوإسرائيل أنّ العجل الذي عبدوه و اتّخذوه إلهاً، لايردّ عليهم جواباً و لايملك لهم ضرّاً و لا نفعاً و من كان بهذه الصفة فإنّه لايصلح للعبادة؟ قال مقاتل: لمّا مضى من موعد موسى خمسة و ثلاثون يوماً، أمر السامريّ بني إسرائيل أن يجمعوا ما استعاروه من حليّ آل فرعون. و صاغه عجلاً في السادس و الثلاثين و السابع و الثامن. و دعاهم إلى عبادته في التاسع فأجابوه. و جاء موسى بعد كمال الأربعين. و كان السامريّ من قوم يعبدون البقر و كان حبّ ذلك في قلبه.[٢]

و في بعض الروايات أنّه لمّا قذف قبضة التراب في الحليّ المذاب و صار عجلاً، أشعر العجل و عدا و خار و صار له لحم و دم. و يروى أنّ إبليس ولج وسطه فخار و مشى. و يقال: إنّ السامريّ جعل مؤخّر العجل إلى حائط و حفر في الجانب الآخر في الأرض و أجلس فيه إنساناً فوضع فمه على دبره و خار و تكلّم فشبّه على جهّالهم حتى أضلّهم.[٣]

[٩٠] «وَ لَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَ إِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَ أَطِيعُوا أَمْرِي».

«من قبل»؛ أي: من قبل موعد موسى إليهم. «إنّما فتنتم به». يعني أنّ الله شدّد عليكم

١ـ مجمع البيان ٧ / ٤٢، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٥. ٢ـ مجمع البيان ٧ / ٤٢ ـ ٤٣.

٣ـ بحارالأنوار ١٣ / ٢٤٥.

التعبّد فاعلموا إلهكم و اعبدوه و لاتعبدوا العجل موعظة و نصحاً. أو أراد: فتنكم السامريّ به و أضلّكم. «و أطيعوا أمري» في عبادة الله و لاتطيعوا السامريّ في عبادة العجل.[١]

[٩١] «قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ».

«عاكفين»؛ أي: مقيمين على عبادته «حتّى يرجع إلينا موسى» فننظر أيعبده كما عبدناه أم لا. فاعتزلهم هارون في اثني عشر ألفاً. فلمّا رجع موسى و هو غضبان من عبادة العجل و سمع الصياح إذ كانوا يرقصون حول العجل و يضربون الدفوف و المزامير و استقبله هارون، فألقى الألواح و جعل يعاقب هارون.[٢]

[٩٢ ـ ٩٣] «قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَ فَعَصَيْتَ أَمْرِي».

«قال يا هارون ما منعك» من اتّباعي و اللّحوق بي فيمن أقام على إيمانه؟ و لا مزيدة مثلها في «ما منعك ألّا تسجد».[٣] و قيل: معناه: هلّا قاتلتهم إذ علمت أن لو كنت فيهم لقاتلتهم؟[٤]

«أ فعصيت أمري». يعني في قوله: «اخلفني في قومي و أصلح و لاتتّبع سبيل المفسدين».[٥] فلمّا أقام معهم و لم يبالغ في منعهم، نسبه إلى عصيانه. و قيل: إنّ صورته صورة الاستفهام، و المراد به التقرير. لأنّ موسى كان يعلم أنّ هارون لايعصيه في أمره. فإن قيل: إنّ الظاهر يقتضي أنّ موسى كان أمره باللّحاق به فعصى هارون أمره، قلنا: يجوز أن يكون أمره بذلك بشرط المصلحة، و رأى هارون الإقامة أصلح. و الشاهد يرى ما لايرى الغائب.[٦]

[٩٤] «قَالَ يَا بْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَ لَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي».

١ـ مجمع البيان ٧ / ٤٣.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٤٣.
٣ـ الأعراف (٧) / ١٢.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٤٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٦.
٥ـ الأعراف (٧) / ١٤٢.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٤٣.

«قال يابن أمّ». خصّ الأمّ استعطافاً و ترقيقاً. و قيل: لأنّه كان أخاه من الأمّ. و الجمهور على أنّهما كانا من أب و أمّ. «لاتأخذ بلحيتي و لا برأسي»؛ أي: بشعر رأسي. قبض عليهما يجرّه إليه من شدّة غيظه و فرط غضبه لله. و كان عليه السلام خشناً متصلّباً في كلّ شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل. «فرّقت بين بني إسرائيل»؛ يعني: لو فارقتهم أو قاتلتهم، لصاروا فرقاً، فريق يلحق بك، و فريق مع السامريّ، و فريق يتوقّفون شاكّين، مع أنّي لم آمن إن تركتهم أن يصيروا بالخلاف إلى تسافك الدماء و الثبات على اتّباع السامريّ، فإنّهم كانوا يمتنعون بعض الامتناع بإنكاري عليهم. «و لم ترقب قولي»؛ أي: لم تحفظ وصيّتي حين قلت: «اخلفني في قومي و أصلح».(١)

[٩٥] «قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ».

و لمّا ظهرت براءة ساحة هارون، أقبل على السامريّ فقال: «فما خطبك»؛ أي: ما شأنك و ما دعاك إلى ما صنعت؟ فكأنّه قال: ما هذا الخطب الجليل الذي أحدثت و ما حملك عليه؟(٢)

[٩٦] «قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي».

«بما لم يبصروا». حمزة و الكسائيّ بالتاء على الخطاب.(٣)

«بصرت بما لم تبصروا»؛ أي: رأيت ما لم تروه. أو: علمت ما لم تعلموه. و هو أنّ الرسول الذي جاءك روحانيّ لايمسّ أثره شيئاً إلّا أحياه. «قبضة». أي: قبضت قبضة تراب من أثر قدم جبرئيل فنبذتها في الحليّ المذاب أو في جوف العجل حتّى حيي. «و كذلك»؛ أي: كما حدّثتك يا موسى. «سوّلت»: زيّنت «لي نفسي» من أخذ القبضة و إلقائها في صورة

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٦، و مجمع البيان ٧ / ٤٤.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٤٤.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٦.

العجل.[١]

لمّا ذهب موسى إلى الميقات ليأتيهم بألواح التوراة و وعدهم الرجعة بعد ثلاثين يوماً، فعند ما انتهت جاءهم إبليس في صورة شيخ و قال لهم: إنّ موسى قد هرب فاجمعوا إليّ حليّكم حتّى أتّخذ لكم إلهاً تعبدونه. و كان السامريّ يوم غرق الله فرعون، أخذ تراباً من تحت حافر فرس جبرئيل. فلمّا اتّخذ لهم إبليس العجل قال: هات التراب الذي معك. فألقاه في جوف العجل فتحرّك و خار و نبت له الشعر.[٢]

«من أثر الرسول». فإن قلت: لم لم يقل جبرئيل أو روح القدس؟ قلت: حين حلّ بميعاد الذهاب إلى الطور، أرسل الله إلى موسى جبرئيل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فأبصره السامريّ فقال: إنّ لهذا شأناً. فقبض من تربة موطئة. فلمّا سأله موسى عن قصّته قال: فقبضت من أثر فرس المرسل إليك يوم حلول الميعاد. و لعلّه لم يعرف أنّه جبرئيل عليه السلام.[٣]

[٩٧] «قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَ إِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَ انْظُرْ إِلىٰ إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً».

«لا مساس». فأمر موسى بني إسرائيل أن لايخالطوه و لايقربوه. فصار السامريّ وحشيّاً يألف و لايؤلف و لايمسّ أحداً منهم. فمن مسّه، قرض ذلك الموضع بالمقراض. فكان كذلك حتّى هلك.[٤]

«لا مساس». يعني أنّ موسى أمر الناس بأمر الله أن لايخالطوه و لايؤاكلوه تضييقاً عليه. و المعنى: لك أن تقول لاأمسّ و لاأمسّ ما دمت حيّاً. [قال ابن عبّاس:] لك و لولدك. و المساس فعال من المماسّة. أي: لايمسّ بعضنا بعضاً. فصار السامريّ يهيم في البريّة مع

١ـ مجمع البيان ٧ / ٤٤، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٦.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٦١ ـ ٦٢.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٨٤.

٤ـ بحارالأنوار ١٣ / ٢٤٦.

السباع لايمسّ أحداً و لايمسّه أحد. عاقبه الله بذلك. و كان إذا لقي أحداً يقول: لا مساس؛ أي: لاتقربني و لاتمسّني، عقوبة له و لولده حتّى أنّ بقاياهم اليوم يقولون ذلك. و إن مسّ واحد من غيرهم واحداً منهم، حمّ كلاهما. «لن تخلفه». أهل البصرة بكسر اللّام. أي: ستأتيه و لاتخلّف لك عنه. «لنحرّقنّه». أبوجعفر بفتح النون و سكون الحاء و تخفيف الراء. و هو قراءة عليّ عليه السلام و ابن‌عبّاس.[١]

«لن تخلفه». من قرأ بكسر اللّام فهو من أخلفت الموعد، إذا وجدته خلفة.[٢]

«لن تخلفه»؛ أي: لن يخلفه الله و ينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا. و على قراءة أهل البصرة المعنى: لن تخلف الواعد إيّاه و ستأتيه لامحالة. فحذف المفعول الأوّل لأنّ المقصود هو الموعد. «ظلت»؛ أي: ظللت على عبادته مقيماً فحذف اللّام الأولى تخفيفاً.[٣]

«لنحرقنّه». أي بالنار. «ثمّ لننسفنّه»؛ أي: نذرينّه في البحر. قال ابن‌عبّاس: فحرقه ثمّ ذراه في البحر. و هذا يدلّ على أنّه كان حيواناً. و على القراءة الأخرى: «لنحرقنّه»؛ أي: لنبردنّه بالمبرد، يدلّ على أنّه كان ذهباً و فضّة و لم يصر حيواناً. و نبّه بذلك على أنّ ما يمكن سحقه أو إحراقه لايصلح للعبادة. و قال الصادق عليه السلام: إنّ موسى همّ بقتل السامريّ فأوحى الله إليه: لاتقتله يا موسى. فإنّه سخيّ.[٤]

قال الصادق عليه السلام: مابعث الله نبيّاً أو رسولاً قطّ إلّا كان في زمانه شيطانان يؤذيانه.[٥]

قيل: و إنّ ممّن عبد العجل أنكر عند موسى أنّه سجد له. فأمر موسى أن يبرد العجل بالمبارد و ألقى برادته في الماء، ثمّ أمر بني إسرائيل أن يشرب كلّ منهم من ذلك الماء. فالذين كانوا سجدوا له، ظهر له في البرادة شيء. فعند ذلك استبان من خالف ممّن ثبت على إيمانه.[٦]

١ـ مجمع البيان ٧ / ٤٧ و ٤٥.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٨٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٧.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٤٧.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٦٣ ـ ٦٤.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٦٣.

[٩٨] «إِنَّمَا إِلٰهُكُمُ اللّٰهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً».

ثمّ أقبل موسى على قومه فقال: «إنّما إلهكم الله»؛ أي: هو الذى يستحقّ العبادة. «وسع كلّ شيء علماً»؛ أي: يعلم كلّ شيء علماً تامّاً. و في ذلك دلالة على أنّ المعدوم يسمّى شيئاً لكونه معلوماً.(١)

[٩٩] «كَذٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَ قَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً».

ثمّ قال لنبيّه: «كذلك نقصّ»؛ أي مثل ذلك الاقتصاص ـ أي قصّة موسى ـ نقصّ عليك من أخبار الأمور الماضية و الأمم الدارجة، تبصرة لك و زيادة في علمك و تذكيراً للمستبصرين من أمّتك. «ذكراً»؛ أي: كتاباً مشتملاً على هذه الأقاصيص و الأخبار. و قيل: ذكراً جميلاً و صيتاً عظيماً بين الناس.(٢)

[١٠٠ ـ ١٠١] «مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً * خَالِدِينَ فِيهِ وَ سَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً».

«من أعرض عنه»؛ أي: عن الذكر. و قيل: عن الله. «وزراً»؛ أي: عقوبة ثقيلة يشقّ عليه حمله كما يشقّ حمل الثقيل. «خالدين» في [عذاب] ذلك الوزر و جزائه و هو الخلود في النار. «و ساء لهم يوم القيامة حملاً». و الحمل بمعنى المحمول. أي: بئس الوزر هذا الوزر لهم يوم القيامة.(٣)

[١٠٢] «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً».

«يوم ينفخ». بدل من يوم القيامة. «زرقاً». قال ابن‌عبّاس: يريد بالمجرمين المشركين يحشرون زرق العيون سود الوجوه. و الزرقة: الخضرة في سواد العين و المعنى في هذا تشويه

١ـ مجمع البيان ٧ / ٤٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٧.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٤٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٧.

الخلقة. و هي أسوأ ألوان العين و أبغضها إلى العرب. لأنّ الروم كانوا [أعدى] أعدائهم و هم [زرق العين. و قيل:] «زرقاً»: عمياً. لأنّ حدقة الأعمى تزراقّ. و قيل: عطاشاً تظهر في عيونهم كالزرقة.(١)

[١٠٣] «يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً».

«يتخافتون بينهم»: يخفضون أصواتهم بما يملأ صدورهم من الرعب و الهول. و الخفت: خفض الصوت. أي يقول المجرمون بعضهم لبعض: «إن لبثتم إلّا عشراً»؛ أي: مالبثتم إلّا عشر ليال في الدنيا. يستقصرون مدّة لبثهم فيها لزوالها أو لاستطالتهم مدّة الآخرة، أو في القبر؛ لقوله: «و يوم تقوم الساعة» ـ إلى آخر الآيات.(٢) و قال ابن عبّاس: يعني من النفخة الأولى إلى النفخة الثانية. و ذلك أنّه يكفّ عنهم العذاب فيما بين النفختين و هو أربعون سنة.(٣)

«ينفخ». أبو عمرو: «ننفخ» بالنون.(٤)

[١٠٤] «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً».

«بما يقولون». و هو مدّة لبثهم. «أمثلهم طريقة»: أعدلهم رأياً و علماً. [«إن لبثتم»؛ أي:] ما لبثتم «إلّا يوماً» في الدنيا أو في القبور. و إنّما قال ذلك لأنّ اليوم الواحد و العشرة إذا قوبلا بيوم القيامة و ما هم في النار من الأيّام، كان اليوم الواحد أقرب إليه. و هو كقوله: «لم يلبثوا إلّا عشيّة أو ضحاها».(٥)(٦)

[١٠٥ ـ ١٠٧] «وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً * فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً * لَا تَرىٰ فِيهَا عِوَجاً وَ لَا أَمْتاً».

١ـ مجمع البيان ٧ / ٤٧ ـ ٤٨، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٧ ـ ٥٨.

٢ـ الروم (٣٠) / ٥٥ ـ ٥٦.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٨، و مجمع البيان ٧ / ٤٨.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٤٥.

٥ـ النازعات (٧٩) / ٤٦.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٨، و مجمع البيان ٧ / ٤٨.

«يسألونك»؛ أي: يسألك منكرو البعث عند ذكر القيامة «عن الجبال» ما حالها. «فقل» يا محمّد ﷺ: «ينسفها ربّي»؛ أي: يجعلها بمنزلة الرمل ثمّ يرسل الرياح فتذريها. و قيل: يصيّرها كالهباء. «فيذرها قاعاً»: ملساء «صفصفاً»؛ أي: أرضاً مستوية ليس للجبل فيها أثر. «عوجاً و لا أمتاً». العوج: ما انخفض من الأرض. و الأمت: ما ارتفع من الروابي.[١]

«عوجاً». فإن قلت: فرّقوا بين العوج بالكسر و الفتح. فالأوّل في المعاني، و الثاني في الأعيان. و الأرض عين. فكيف صحّ فيها مكسور العين؟ قلت: اختيار هذا اللّفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء و نفي الاعوجاج. و ذلك أنّك لو عمدت إلى قطعة أرض و بالغت في تسويتها على عيون البصراء و اتّفقتم على أنّه لم يبق فيها اعوجاج ثمّ استطلعت رأي المهندس فيها و أمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسيّة، لعثر فيها على اعوجاج لايدرك بحاسّة البصر. فنفى الله ذلك العوج الذي لطف عن الإدراك إلّا بمقاييس الهندسة. و ذلك الاعوجاج لمّا لم يدرك إلّا بالقياس دون الإحساس، لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر.[٢]

[١٠٨] «يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً».

«يومئذ»؛ أي: يوم إذا نسفت. و يجوز أن يكون بدلاً ثانياً من يوم القيامة. «يتّبعون الداعي»: داعي الله إلى المحشر. قيل: هو إسرافيل قائماً على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كلّ أوب إلى صوبه لايميلون عنه و لايعدلون عن ندائه. أي: يتّبعونه سراعاً و لايلتفتون يميناً و لا شمالاً. و هو معنى قوله: «لا عوج له». «وخشعت»؛ أي: خضعت الأصوات بالسكون لعظمة الرحمن فلا تسمع إلّا صوتاً خفيّاً. و قيل: معناه: انّ الأصوات العالية بالأمر و النهي في

١ـ مجمع البيان ٧ / ٤٨.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٨٨.

الدنيا تنخفض و تذلّ أصحابها فلاتسمع منهم إلّا الهمس.[١]

«و خشعت الأصوات». عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: إذا كان يوم القيامة، جمع الله الناس في صعيد واحد حفاة عراة فيقفون في المحشر حتّى يعرقون عرقاً شديداً إلى أن تضايق أنفاسهم. فيمكثون كذلك ما شاء الله. ثمّ ينادي مناد من تلقاء العرش: أين نبيّ الرحمة محمّد صلى الله عليه وآله النبيّ الأمّيّ؟ فتقدم رسول الله أمام الناس كلّهم حتّى ينتهي إلى الحوض ـ و طوله مابين أيله إلى صنعاء ـ فيقف عليه و ينادي بابن عمّه و وصيّه فيقدم أمام الناس كلّهم فيقف معه. ثمّ يؤذن للناس، فبين وارد الحوض و مصروف عنه. ثمّ يجيء ملك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: الله يقول لك: يا محمّد، إنّ شيعة عليّ عليه السلام قد وهبتهم لك و صفحت عن ذنوبهم بحبّهم لك و لعترتك و ألحقتهم بك و جعلتهم في زمرتك فأوردتهم حوضك. قال الإمام عليه السلام: فكم من باك يومئذ و باكية. و لايبق أحد يتولّانا و يتبرّأ من أعدائنا إلّا كان في حزبنا.[٢]

[١٠٩] «يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلاً».

«لاتنفع الشفاعة»؛ أي: لاتنفع ذلك اليوم شفاعة أحد في غيره إلّا شفاعة من أذن له أن يشفع و رضي له قولاً من الأنبياء و الأولياء و الصدّيقين و الشهداء. أو يكون الاستثناء من أعمّ المفاعيل. أي: من أذن في أن يشفع له، فإنّ الشفاعة تنفعه. فمن على الأوّل مرفوع على البدليّة، و على الثاني منصوب بالمفعوليّة. «و رضي له قولاً»؛ يعني: رضي لأجله قول الشافع.[٣]

«إلّا من أذن». عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «لاتنفع الشفاعة إلّا من أذن له الرحمن» قال: لاينال شفاعة محمّد صلى الله عليه وآله يوم القيامة إلّا من أذن له بطاعة آل محمّد عليهم السلام و رضي له قولاً و عملاً فيهم فحيي على مودّتهم و مات عليها فرضي الله قوله و عمله فيهم. ثمّ قال: «و قد

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٨، و مجمع البيان ٧ / ٥٠.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٦٤.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٥٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٨.

خاب من حمل ظلماً لآل محمّد». كذا نزلت. ثمّ قال: «و من يعمل من الصالحات و هو مؤمن» بمحبّة آل محمّد و مبغض لعدوّهم.(١)

[١١٠] «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً».

«ما بين أيديهم». الضمير يرجع إلى الذين يتّبعون الداعي. أي: يعلم جميع حالاتهم في حياتهم و مماتهم، أو ما بين أيديهم من أحوال الآخرة و ما خلفهم من أحوال الدنيا. و لايحيط علمهم بمعلوماته. و قيل: بذاته.(٢)

قال عليه السلام: «ما بين أيديهم» ما مضى من أخبار الأنبياء. و «ما خلفهم» ما يأتي من أخبار القائم عليه السلام.(٣)

[١١١] «وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَ قَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً».

«و عنت»؛ أي: ذلّت و خضعت خضوع الأسير في يد من قهره. و المراد أرباب الوجوه. أسنده إلى الوجوه لأنّ أثر الذلّ يظهر عليها. و ظاهرها يقتضي العموم. و يجوز أن يراد وجوه المجرمين فيكون اللّام بدل الإضافة. و يؤيّده: «و قد خاب من حمل ظلماً»؛ أي: خاب عن ثواب الله من حمل شركاً إلى يوم القيامة.(٤)

[١١٢] «وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَ لَا هَضْماً».

«من الصالحات»؛ أي: بعض الصالحات. «و هو مؤمن». إذ الإيمان شرط في صحّة الطاعات و قبول الخيرات. «فلايخاف ظلماً و لا هضماً»؛ أي: فهو لايخاف أن يظلم و يزاد عليه في سيّئاته و لا أن يهضم بالنقص من حسناته. و من قرأ: «فلايخف» فهو على النهي. أي: فليأمن و لايخف الظلم و الهضم. و في هذه الآية دلالة على بطلان التحابط.(٥)

١ـ تأويل الآيات ١ / ٣١٨، ح ١٥.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٥٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٨.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٥١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٩.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٦٥.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٩، و مجمع البيان ٧ / ٥١ و ٤٩.

[۱۱۳] «وَ كَذٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَ صَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً».

«و كذلك». الكاف في محلّ النصب بأنّه صفة مصدر محذوف. أي: مثل إنزال هذه الآيات المتضمنّة للوعيد. «عربيّاً» كلّه على هذه الوتيرة. «و صرّفنا»؛ أي: كرّرنا ما فيه من الوعيد و ذكرناه على وجوه مختلفة و بيّنّاه بألفاظ متفرّقة. «لعلّهم يتّقون» المعاصي. و قيل: أن ينزل بهم ما نزل بأولئك. «أو يحدث لهم ذكراً»؛ أي: يجدّد القرآن لهم عظة و اعتباراً. و قيل: يحدث لهم شرفاً بإيمانهم به. و قيل: «لعلّهم يتّقون» المعاصي فتصير التقوى لهم ملكة «أو يحدث لهم ذكراً»: عظة و اعتباراً حين يسمعونها فيثبّطهم عنها. و لهذه النكتة أسند التقوى و الإحداث إلى القرآن.(۱)

«ذكراً». يعني ما يحدث من أمر القائم عليه السلام و السفيانيّ.(۲)

[۱۱٤] «فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَ لَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً».

«فتعالى الله»؛ أي: ارتفع صفاته عن صفات المخلوقين كما ارتفع في ذاته عن ذواتهم. «الملك»: النافذ أمره و نهيه الحقيق بأن يرجى وعده و يخشى وعيده. «الحقّ» في ملكوته يستحقّه لذاته. أو: الثابت في ذاته و صفاته. «و لاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه»؛ أي: لاتعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبرئيل من إبلاغه. فإنّه صلى الله عليه و آله كان يقرأ معه و يعجل بتلاوته مخافة نسيانه. أي: تفهّم ما يوحى إليك إلى أن يفرغ الملك من قراءته و لاتقرأ معه، ثمّ اقرأ بعد فراغه. عن ابن‌عبّاس. أو يكون معناه: لاتقرأه لأصحابك و لاتمله عليهم حتّى يتبيّن لك معانيه. أو معناه: لاتسأل إنزال القرآن قبل أن يأتيك وحيه. لأنّه تعالى إنّما

۱ـ مجمع البيان ۷ / ۵۰ ـ ۵۱، و تفسير البيضاويّ ۲ / ۵۹.

۲ـ تفسير القمّيّ ۲ / ٦۵.

ينزله بحسب المصلحة. «و قل ربّ زدني» قرآناً. لأنّ بزيادته زيادة العلم.(١)

«يقضى». يعقوب: «نقضي» بالنون «وحيه» بالنصب.(٢)

[١١٥] «وَ لَقَدْ عَهِدْنَا إِلىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً».

«عهدنا إلى آدم»؛ أي: أمرناه و وصّيناه أن لا يأكل من الشجرة، فترك الأمر و لم نجد له عقداً ثابتاً. و قيل: معناه: «فنسي» من النسيان الذي هو السهو «و لم نجد له عـزماً» عـلى الذنب. لأنّه أخطأ و لم يتعمّد. و قيل: فلم نجد له حفظاً لما أمر به. و بيان المعنى الأوّل أنّ آدم لو كان ذا عزيمة و تصلّب، لم يزلّه الشيطان و لم يستطع تغريره. و لعلّ ذلك كان في بدء أمره قبل أن يجرّب الأمور و يذوق حنظلها و عسلها. و عنه صلى الله عليه وآله: لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم، لرجح حلمه. و قد قال الله: «و لم نجد له عزماً».(٣)

«فنسي و لم نجد له عزماً». عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: «و لقد عهدنا إلى آدم» قال: عهد إليه في محمّد و الأئمّة من بعده عليهم السلام فترك و لم يكن له عزم أنّهم هكـذا. و إنّمـا سمّـوا أولي‌العزم لأنّهم عهد إليهم في محمّد و الأوصياء من بعده و في المهديّ و سـيرته فأجمـع عزمهم على أنّ ذلك كذلك و الإقرار به.(٤)

و عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «و لقد عهدنا إلى آدم من قبل» كلمات في محمّد و عليّ و الحسن و الحسين و الأئمّة من ذرّيّتهم عليهم السلام «فنسي و لم نجد له عزماً». هكذا والله نزلت الآية على محمّد صلى الله عليه وآله.(٥)

و عن أبي جعفر عليه السلام قال: أخذ الله الميثاق على النبيّين فقال: ألست بربّكم؟ قالوا: بلى. و أنّ هذا محمّد رسولي و أنّ عليّاً أميرالمؤمنين عليه السلام؟ قالوا: بلى. فثبت لهم النبوّة. ثمّ أخذ الميثاق على أولي‌العزم أنّي ربّكم و محمّد رسولي و عليّ أميرالمؤمنين و الأوصياء مـن بـعده ولاة

١ـ مجمع البيان ٧ / ٥١ ـ ٥٢، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٩.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٤٩.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٥٢، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٩.

٤ـ تأويل الآيات ١ / ٣١٨ ـ ٣١٩، ح ١٦.

٥ـ تأويل الآيات ١ / ٣١٩، ح ١٧.

أمري. قالوا: أقررنا يا ربّنا و شهدنا. و لم يجحد آدم و لم يقرّ فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهديّ و لم يكن لآدم عزيمة على الإقرار. و هو قوله: «و لم نجد له عزماً».(١)

[١١٦] «وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبىٰ».

عن الرضا عليه السلام: انّ آدم لمّا أكرمه الله بإسجاد الملائكة، قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل منّي؟ فنودي: انظر إلى ساق العرش. فوجد مكتوباً عليه: «لا إله إلّا الله. محمّد رسول الله. عليّ بن أبي طالب أميرالمؤمنين. و زوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين. و الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.» فقال آدم: يا ربّ من هؤلاء؟ قال عزّوجلّ: هؤلاء من ذرّيّتك. و هم خير منك و من جميع خلقي. فإيّاك أن تنظر اليهم بعين الحسد و تمنّى منزلتهم. فنظر و تمنّى، فتسلّط الشيطان عليه حتّى أكل من الشجرة. و تسلّط على حوّاء لنظرها إلى فاطمة عليها السلام بعين الحسد حتّى أكلت من الشجرة فأهبطا إلى الأرض.(٢)

المراد من الحسد هنا الغبطة التي لاينبغي لآدم عليه السلام.

«أبى». جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود و هو الاستكبار. و على هذا لايقدّر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله: «فسجدوا» لأنّ المعنى أظهر الإباء عن المطاوعة.(٣)

[١١٧] «فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقىٰ».

«فلايخرجنّكما»؛ أي: لايكون السبب في إخراجكما. «فتشقى»؛ أي: فتقع في تعب العمل و كدّ الاكتساب و النفقة على زوجتك و نفسك. و لذلك قال: «فتشقى» و لم يقل: فتشقيا. أو لأنّ شقاءه مستلزم لشقائها، إذ هو القيّم عليها.(٤)

[١١٨] «إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرىٰ».

١ـ تأويل الآيات ١ / ٣١٩ ـ ٣٢٠، ح ١٨.
٢ـ معاني الأخبار / ١٢٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٥٩ ـ ٦٠.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٠، و مجمع البيان ٧ / ٥٤.

«ألّاتجوع فيها»؛ أي: في الجنّة.[١]

[۱۱۹] «وَ أَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَ لَا تَضْحىٰ».

«و أنّك لاتظمأ». نافع و أبوبكر: «إنّك» بالكسر، و الباقون بالفتح. من قرأ بالفتح فتقديره: و إنّ لك أنّك لاتظمأ. و من كسر قطع الكلام الأوّل و استأنف.[٢]

من قرأ بالفتح فللعطف على «ألّاتجوع».[٣]

«و لاتضحي»؛أي: لا يصيبك حرّ الشمس. قالوا: ليس في الجنّة شمس و إنّما فيها ضياء و نور و ظلّ ممدود. فإن قلت: كيف جمع بين الجوع و العرى و بين الظمأ و الضحى؟ و الجوع من جنس الظمأ و العرى من جنس الضحى. قلت: لأنّ الظمأ أكثر ما يكون من شدّة الحرّ و الحرّ يكون من الضحى و هو الانكشاف للشمس، فجمع بينهما لاجتماعهما في المعنى. و كذلك الجوع و العرى متشابهات من حيث إنّ الجوع عرًى في الباطن من الغذاء و العرى للجسم في الظاهر.[٤]

[۱۲۰] «فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لَا يَبْلىٰ».

«شجرة الخلد»: الشجرة التي من أكل منها خلد و لم يمت أصلاً. فأضافها إلى الخلد لأنّه سبب بزعمه. «و ملك لايبلى» أي جديده [و] لايفنى.[٥]

عن الهرويّ قال: قلت للرضاعليه السلام: أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم و حوّاء ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها. فمنهم من يروي أنّها الحنطة. و منهم من يروي أنّها العنب. و منهم من يروي أنّها شجرة الحسد. فقال: كلّ ذلك حقّ. لأنّ شجرة الجنّة تحمل أنواعاً.

١ـ مجمع البيان ٧ / ٥٤.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٥٣.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ١٦ / ١٤٠.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٥٤.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٥٥، وتفسير البيضاويّ ٢ / ٦٠.

فكانت شجرة الحنطة و فيها عنب. و ليست كشجرة الدنيا.(۱)

[۱۲۱] «فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَ طَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَ عَصىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوىٰ».

«من ورق الجنّة». أخذا يلزقان الورق على سوآتهما للستر. و هو ورق التين. و قد مرّ التفسير في سورة الأعراف. «و عصى آدم ربّه فغوى». معناه: خالف آدم ما أمر به فخاب من ثوابه. و المعصية مخالفة الأمر، سواء كان الأمر واجباً أو ندباً. و لايمتنع أن يسمّى تارك النفل عاصياً كما يقولون: فلان أمرته بكذا و كذا من الخير فعصاني. و لفظ غوى يحتمل الخيبة. و يجوز أن يكون معناه: فخاب ممّا كان يطمع في أكل الشجرة من الخلود.(۲)

[۱۲۲] «ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدىٰ».

«اجتباه»؛ أي: اصطفاه الله للرسالة. «فتاب عليه»؛ أي: فقبل توبته و هداه إلى ذكره، أو إلى الكلمات التي تلقّاها منه.(۳)

[۱۲۳] «قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَ لَا يَشْقىٰ».

«اهبطا». الخطاب لآدم و حوّاء، أو له و لإبليس. ولمّا كانا أصل الذرّيّة، خاطبهما مخاطبتهم فقال: «بعضكم لبعض عدوّ» لأمر المعاش كما عليه الناس من التجاذب و التحارب. «فإمّا يأتينّكم منّي هدًى»: كتاب و رسول. «فلايضلّ». أي في الدنيا. «و لايشقى» في الآخرة.(٤)

عن الكاظم عليه السلام: فمن تبع هداي، هو أميرالمؤمنين عليه السلام.(٥)

۱ـ معاني الأخبار / ۱۲٤.

۲ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ٦۰، و مجمع البيان ۷ / ٥٥.

۳ـ مجمع البيان ۷ / ٥٥.

٤ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ٦۰.

٥ـ تأويل الآيات ۱ / ۳۲۰، ح ۱۹.

[١٢٤ ـ ١٢٥] «وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمىٰ وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً».

«و من أعرض عن ذكرى». يعني به ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام. «و نحشره يوم القيامة أعمى» البصيرة و القلب في الدنيا.[1]

عن أبي عبدالله عليه السلام: «فإنّ له معيشة ضنكاً»: هذه الآية ـ و الله ـ للنصّاب. قال الراوي ـ ابن عمّار ـ: جعلت فداك؛ قد رأيناهم دهرهم الأطول في الرخاء حتّى ماتوا! قال: ذاك ـ و الله ـ في الرجعة؛ يأكلون العذرة.[2]

«عن ذكري»؛ أي: عن القرآن و الدلائل التي أنزلها الله فيه. «معيشة ضنكاً»؛ أي: عيشاً ضيّقاً و هو أن يقتّر عليه الرزق عقوبة له على إعراضه. فإن وسّع عليه، فإنّه يضيّق عليه المعيشة بأن يمسكه و لاينفقه على نفسه؛ و إن أنفقه، فإنّ الحرص على الجمع و زيادة الطلب يضيّق المعيشة عليه. و قيل: هو عذاب القبر. و قيل: طعام الزقّوم و الضريع في جهنّم و إن كان في سعة الدنيا. و قيل: معناه أن يكون عيشه منغّصاً بأن ينفق إنفاق من لايوقن بالخلف. و قيل: هو الحرام في الدنيا الذي يؤدّي إلى النار. و ضنكاً مصدر وصف به و لذلك يستوي فيه المذكّر و المؤنّث. و قرئ: «ضنكى» كسكرى. «أعمى»؛ أي: أعمى البصر. عن ابن‌عبّاس. و قيل: أعمى عن الحجّة لايهتدي إليها. و الأوّل هو الوجه؛ لقوله: «لم حشرتني أعمى». قيل: إنّه يخرج من قبره بصيراً فيعمى في حشره. و عن معاوية بن عمّار قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن رجل لم يحجّ و له مال. قال: هو ممّن قال الله: «و نحشره يوم القيامة أعمى». قلت: سبحان الله! أعمى؟ قال: أعماه الله عن طريق الحقّ. و هو يدلّ على أنّ المراد أنّه أعمى عن جهات الخير.[3]

١ـ تأويل الآيات ١ / ٣٢١، ح ٢٠. عن أبي عبدالله عليه السلام. و فيه: «قال: أعمى البصر في الآخرة و أعمى القلب في الدنيا عن ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام.»

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٦٥.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٥٦، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٦١.

«حشرتني». بالفتح أبوجعفر و نافع و ابن‌كثير. «أعمى» بالإمالة حمزة.(١)

[١٢٦ ـ ١٢٧] «قَالَ كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَ كَذٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسىٰ * وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَ أَبْقىٰ».

«كذلك أتتك آياتنا»؛ أي: كما حشرناك أعمى جاءك محمّد و القرآن و الدلائل فأعرضت عنها و تعرّضت لنسيانها. «و كذلك اليوم تنسى»؛ أي: تترك في العذاب كالشيء المنسيّ.(٢)

«و كذلك نجزي»؛ أي: و كما ذكرنا نجزي من أشرك و جاوز الحدّ في العصيان. «و لم يؤمن بآيات ربّه»؛ أي: لم يصدّق بكتب الله و رسله. «أشدّ». أي من عذاب الدنيا و عذاب القبر. «و أبقى»؛ أي: أدوم. لأنّه لايزول و عذاب الدنيا و عذاب القبر يزول. و قيل: أشدّ و أبقى من ضنك العيش و من العمى. و لعلّه إذا دخل النار، زال عماه ليرى محلّه.(٣)

عن الكاظم عليه السلام: الآيات الأئمّة عليهم السلام. «تنسى»؛ أي: تترك في النار كما تركت الأئمّة و لم تطع أمرهم. «من أسرف» في عداوة أميرالمؤمنين و اتّبع غيره.(٤)

[١٢٨] «أَ فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهىٰ».

«أ فلم يهد لهم». مسند إلى الله أو الرسول. و قيل: المعنى: أ و لم يبيّن لأهل مكّة طريق الاعتبار كثرة إهلاكنا القرون قبلهم بتكذيبهم رسلنا فيعتبروا و يؤمنوا. «يمشون في مساكنهم». لأنّ أهل مكّة كانوا يتجرون إلى الشام فيمرّون بمساكن عاد و ثمود و يرون علامات الإهلاك [و في هذا تنبيه لهم و تخويف. أي:] أفلا يخافون أن يقع بهم مثل ما وقع بأولئك؟ «إنّ في ذلك لآيات»؛ أي: إهلاكنا إيّاهم لعبرة لذوي العقول.(٥)

١ـ تفسير النيسابوريّ ١٦ / ١٤٠.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٥٧.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٥٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٦١.

٤ـ تأويل الآيات ١ / ٣٢١، ح ٢١، عن أبي عبدالله عليه السلام.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ٥٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٦١.

[١٢٩] «وَ لَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى».

«كلمة سبقت من ربّك» في تأخير العذاب عن هؤلاء الكفّار إلى يوم القيامة. «لكان لزاماً»؛ أي: لكان مثل ما نزل بعاد و ثمود لازماً لهؤلاء الكفرة. و لزام مصدر وصف به. «و أجل مسمًّى» لأعمارهم أو لعذابهم ـ و هو يوم القيامة أو يوم بدر ـ لكان العذاب لازماً. و الفصل للدلالة على استقلال كلّ منهما بنفي لزوم العذاب.[١]

[١٣٠] «فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِهَا وَ مِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَ أَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ».

«على ما يقولون» من تكذيبك. «و سبّح بحمد ربّك»؛ أي: صلّ لربّك و أنت حامد له على ما ميّزك بالهدى. و قيل: معناه: سبّحه و احمده في هذه الأوقات. «قبل طلوع الشمس». يعني صلاة الفجر. «و قبل غروبها». يعني الظهرين أو العصر وحدها. «آناء اللّيل»؛ أي: ساعاته. عن ابن‌عبّاس: هي صلاة اللّيل. و قيل: أوّل المغرب و العشاء. وإنّما قدّم الزمان عليه لاختصاصه بمزيد الفضل. فإنّ القلب فيه أجمع و النفس أميل إلى الاستراحة، فكانت العبادة فيه أحمز. و لذلك قال الله: «إنّ ناشئة اللّيل هي أشدّ وطأً و أقوم قيلاً».[٢] «و أطراف النهار». يعني الظهر. لأنّ وقته عند الزوال و هو طرف النصف الأوّل و النصف الثاني. و قيل: إنّه تكرير لصلاة المغرب و الصبح إرادة الاختصاص. و من حمل التسبيح على الظاهر، قال: أراد بذلك المداومة على التسبيح و التحميد في عموم الأوقات. «لعلّك ترضى». متعلّق بسبّح. أي: سبّح في هذه الأوقات طمعاً أن تناول عند الله ما به ترضى.[٣]

«فترضى». الكسائيّ و أبوبكر: «ترضى» بالبناء للمفعول. أي: يرضيك ربّك.[٤]

[١٣١] «وَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ

١ـ مجمع البيان ٧ / ٥٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٦١.
٢ـ المزّمّل (٧٣) / ٦.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٥٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٢.

وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ».

«و لاتمدّنّ» ـ الآية. النزول: قال أبورافع: نزل برسول الله صلى الله عليه وآله ضيف. فبعثني إلى يهوديّ فقال: قل له: إنّ رسول الله يقول: بعني كذا و كذا من الدقيق و أسلفني إلى هلال رجب. فأتيته فقلت له. قال: لا أبيعه و لا أسلفه إلّا برهن. فقال: و الله لو باعني أو أسلفني لقضيته. و إنّي لأمين في السماء و أمين في الأرض. اذهب بدرعي الحديد إليه. فنزلت هذه الآية. «و لاتمدّنّ» ـ أي نظر عينيك ـ «إلى ما متّعنا به» استحساناً به و تمنّياً أن يكون لك مثله. «أزواجاً منهم»: أصنافاً من الكفرة. «زهرة الحياة الدنيا»؛ أي: بهجتها و نضارتها. منصوب بمحذوف دلّ عليه متّعنا، أو به على تضمّنه معنى أعطينا، أو بالبدل من محلّ به، أو بالذمّ. «لنفتنهم فيه»؛ أي: لنعاملهم معاملة المختبر لشدّة التعبّد في العمل بالحقّ في هذه الأمور و أداء الحقوق عنه. و قيل: «لنفتنهم»؛ أي: لنشدّد عليهم التعبّد بأن نكلّفهم متابعتك مع كثرة أموالهم و قلّة مالك. و قيل: معناه: لنعذّبهم به. لأنّ الله قد يوسّع الرزق على بعض أهل الدنيا تعذيباً له. «و رزق ربّك» الذي وعدك به في الآخرة «خير» ممّا متّعنا به هؤلاء في الدنيا.[۱]

«زهرة». يعقوب بفتح الهاء. و هي لغة، أو جمع زاهر، وصف لهم بأنّهم زاهرو الدنيا لتنعّمهم و بهاء زيّهم بخلاف ما عليه المؤمنون.[۲]

[۱۳۲] «وَ أْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْئَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوىٰ».

«و أمر أهلك»؛ أي: أهل بيتك و أهل دينك. «بالصلاة». عن أبي‌سعيد الخدريّ قال: لمّا نزلت هذه الآية، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي باب فاطمة و عليّ عليهما السلام تسعة أشهر عند كلّ صلاة فيقول: الصلاة. رحمكم الله. «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيراً».[۳] قال أبوجعفر عليه السلام: أمره الله أن يخصّ أهله دون الناس ليعلم الناس أنّ لأهله عند

۱ـ مجمع البيان ۷ / ۵۹، و تفسير البيضاويّ ۲ / ۶۲. ۲ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۶۲.
۳ـ الأحزاب (۳۳) / ۳۳.

الله منزلة ليست للناس. فأمرهم مع الناس عامّة ثمّ أمرهم خاصّة. «و اصطبر»؛ أي: اصبر «عليها»؛ أي: على فعلها و أمرهم بها. أو: داوم عليها. «لانسألك رزقاً» لخلقنا و لا لنفسك، بل كلّفناك العبادة و أداء الرسالة و ضمنّا رزق الجميع. أو المراد: نرزقك و أهلك، ففرّغ بالك لأمور الآخرة. «و العاقبة للتقوى»؛ أي: لأهل التقوى العاقبة المحمودة. روي أنّه عليه السلام إذا أصاب أهله ضرّ، أمرهم بالصلاة.[1]

[١٣٣] «وَ قَالُوا لَوْ لَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَ وَ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولىٰ».

«تأتهم». أهل المدينة و البصرة بالتاء. و الباقون بالياء.[2]

«قالوا». أي الكفّار. «لو لايأتينا» محمّد «بآية» اقترحنا عليه، كما أتى بها الأنبياء نحو الناقة. «أ و لم يأتهم بيّنة ما في الصحف»؛ أي: أ و لم يأتهم في القرآن بيان لما في الكتب الأولى من أنباء الأمم التي أهلكناها لمّا اقترحوا الآيات ثمّ كفروا بها؟ فماذا يؤمنهم أن يكون حالهم في سؤال الآية كحال أولئك؟ أو يكون المعنى أنّه أجابهم عن قولهم: «لو لاتأتينا بآية» أنّه أتاهم بالقرآن الذي فيه خلاصة ما في الصحف الأولى من التوراة و الإنجيل و سائر الكتب السماويّة. فإنّ اشتماله على زبدة ما فيها من العقائد و الأحكام مع أنّ الآتي بها أمّيّ لم يرها و لم يتعلّم ممّن علمها إعجاز بيّن. و فيه إشعار بأنّه كما يدلّ على نبوّته برهان لما تقدّمه من الكتب.[3]

[١٣٤] «وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزىٰ».

«و لو أنّا أهلكناهم». يعني كفّار قريش. «بعذاب من قبله»؛ أي: من قبل بعث محمّد صلّى الله عليه و آله و نزول القرآن. «لقالوا» يوم القيامة: هلّا أرسلت إلينا رسولاً يدعونا إلى طاعتك و يرشدنا

١ـ مجمع البيان ٧ / ٥٩ ـ ٦٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٢.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٥٨.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٦٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٢ ـ ٦٣.

إلى دينك فنعمل بآياتك من قبل أن نذلّ بالعذاب و نخزى في جهنّم؟ أو: من قبل أن نذلّ في الدنيا بالقتل و الأسر و نشق في الآخرة بالعذاب؟ فقطعنا عذرهم بإرسال الرسل.(١)

[١٣٥] «قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَ مَنِ اهْتَدىٰ».

«قل كلّ متربّص»؛ أي: قل يا محمّد: كلّ واحد منّا و منكم منتظر. فنحن ننتظر وعد الله لنا فيكم و أنتم متربّصون بنا الدوائر. «فتربّصوا» أنتم. أي: انتظروا. و هذا على وجه التهديد. «فسوف تعلمون من أصحاب» الدين المستقيم «و من اهتدى» إلى طريق الحقّ؛ نحن أم أنتم.(٢)

«كلّ متربّص»؛أي:كلّ منّا و منكم متربّص عاقبة أمره. و هذا الانتظار إمّا قبل الموت بسبب الأمر بالجهاد أو بظهور الدولة و الغلبة، أو بالموت، فإنّ كلّ واحد من الخصمين ينتظر موت صاحبه، و إمّا بعد الموت، و هو ظهور أمر الثواب و العقاب.(٣)

و عن الباقر عليه السلام: «و من اهتدى» إلى و لايتنا.(٤)

و عن الكاظم عليه السلام: «الصراط السويّ» هو القائم عليه [السلام]. و الهدى من اهتدى إلى طاعته.(٥)

١ـ مجمع البيان ٧ / ٦٠.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٦٠.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ١٦ / ١٧١.
٤ـ تأويل الآيات ١ / ٣٢٣، ح ٢٤.
٥ـ تأويل الآيات ١ / ٣٢٣، ح ٢٦.

٢١.
سورة الأنبياء

من قرأ سورة الأنبياء حبّاً لها، كان ممّن رافق الأنبياء أجمعين في جنّات النعيم، و كان مهيباً في أعين الناس حياة الدنيا.(١)

عنه ﷺ: من قرأ سورة الأنبياء ﷺ يحاسبه الله حساباً يسيراً و صافحه و سلّم عليه كلّ نبيّ ذكر اسمه في القرآن.(٢)

الأنبياء؛ يكتب للمريض و لمن طال فكره و سهره.(٣)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ».

«حسابهم»؛ أي: وقت حسابهم. يعني يوم القيامة. و إنّما وصف ذلك بالقرب لأنّه آت و كلّ ما هو آت قريب، و لأنّ أحد أشراط الساعة مبعث رسول الله ﷺ؛ فقد قال: بعثت و الساعة كهاتين. «و هم في غفلة» من دنوّها «معرضون» عن التفكّر فيها والتأهّب لها.(٤)

[٢] «مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ».

«من ذكر»؛ يعني: القرآن. «محدث» التنزيل مبتدأ التلاوة كنزول سورة بعد سورة و آية بعد آية. «إلّا استمعوه و هم يلعبون»؛ أي: لم يستمعوها استماع نظر و تدبّر و إنّما استمعوه استماع لعب و استهزاء. قال ابن عبّاس: معناه: يستمعون القرآن مستهزئين غافلة قلوبهم عمّا

١ـ ثواب الأعمال / ١٣٥، ح ١.
٢ـ المصباح / ٥٨٦.
٣ـ المصباح / ٦٠٧.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٦٢.

يراد بهم.[١]

[٣] «لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَ أَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَ فَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ».

«و أسرّوا النجوى»: بالغوا في إخفائها. يعني المشركين. ثمّ بيّن من هم فقال: «الذين ظلموا»؛ أي: أشركوا بالله. و هو بدل من واو أسرّوا، أو فاعل له و الواو علامة الجمع. أو مبتدأ و الجملة المتقدّمة خبره و أصله: و هؤلاء أسرّوا النجوى. فوضع الموصول موضعه تسجيلاً على فعلهم بأنّه ظلم. ثمّ بيّن سبحانه سرّهم الذي تناجوا به فقال: «هل هذا إلّا بشر مثلكم»؛ أي: إنّه آدميّ ليس مثل الملائكة. «أفتاتون السحر»؛ أي: أتقبلونه و أنتم تعلمون أنّه سحر؟ نفّروا الناس عنه بشيئين أحدهما أنّه بشر و الآخر أنّ ما أتى به سحر.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «الذين ظلموا» آل محمّد حقّهم.[٣]

[٤] «قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

حمزة و الكسائيّ و حفص: «قال ربّي». و الباقون: «قل ربّي».[٤]

«قل» يا محمّد «ربّي» الذي اصطفاني «يعلم القول»؛ أي: أسرار المتناجين، لايخفى عليه شيء من ذلك. «و هو السميع العليم» لأقوالهم، العالم بضمائرهم.[٥]

[٥] «بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ».

«بل قالوا أضغاث أحلام». بل للإضراب عمّا حكى الله أنّهم قالوا أوّلاً للإخبار عمّا قالوه ثانياً. أي: قالوا إنّ القرآن تخليط أحلام رآها في المنام. «بل افتراه»؛ أي: ثمّ قالوا: لا بل

١ـ مجمع البيان ٧ / ٦٢ ـ ٦٣.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٦٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٥.
٣ـ تأويل الآيات ١ / ٣٢٤، ح ١.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٦٢.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٦٣.

افتراه»؛ أي: تخلّقه و تخرّصه و افتعله من تلقاء نفسه. «بل هو شاعر»؛ أي: قالوا: بل هو شاعر. أي إنّه كلام شعريّ يخيّل إلى السامع معاني لا حقيقه لها.(١)

«أضغاث أحلام». هذا قول المتحيّر الذي بهره ما سمع، فمرّة يقول سحر و مرّة يقول شعر و مرّة يقول حلم، و لايجزم على أمر واحد. و هذا مناقضة ظاهرة.(٢)

«أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر». يجوز أن يكون الكلّ من الله تنزيلاً لأقوالهم في درجة الفساد. لأنّ كونه شعراً أبعد من كونه مفترًى، لأنّه مشحون بالحقائق والحكم ليس فيه مايناسبُ قول الشعراء؛ و هو من كونه أحلاماً لأنّه مشتمل على مغيبات طابقت الواقع و المفترى لايكون كذلك بخلاف الأحلام، و لأنّهم جرّبوا رسول الله ﷺ نيّفاً و أربعين سنة و ماسمعوا منه كذباً قطّ؛ و هو من كونه سحراً، لأنّه يجانسه من حيث إنّها من الخوارق. «فليأتنا بآية» ظاهرة يدركها الخاصّ و العامّ كما أتى بها الأوّلون من الأنبياء كالناقة و العصا.(٣)

[٦] «مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ».

«من قرية»؛ أي: أهل قرية. «أهلكناها» باقتراح الآيات لمّا جاءتهم. «أ فهم يؤمنون» لو جئتهم بها و هم أعتى منهم؟ و فيه تنبيه على أنّ عدم الإتيان بالمقترح للإبقاء عليهم؛ إذ لو أتى بها لم يؤمنوا و استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم.(٤)

[٧] «وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَاتَعْلَمُونَ».

«و ما أرسلنا قبلك إلّا رجالاً». هذا جواب لقولهم: «ما هذا إلّا بشر مثلكم». و المعنى: نرسل قبلك ـ يا محمّد ـ إلّا رجالاً من بني آدم نوحي إليهم لا ملائكة. فإنّ الشكل إلى الشكل

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٥، و مجمع البيان ٧ / ٦٣.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٦٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٥.
٤ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ٦٥.

أميل و به آنس. «فاسألوا أهل الذكر». روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال نحن أهل الذكر. و يعضده أنّ الله سمّى النبيّ ذكراً رسولاً. و قيل: أهل الذكر أهل التوراة و الإنجيل. أمرهم أن يسألوا عن حال الرسل المتقدّمة ليزول عنهم الشبهة. و الإحالة عليهم إمّا للإلزام، فإنّ المشركين كانوا يشاورونهم في أمر النبيّ و يثقون بقولهم، أو لأنّ إخبار الجمّ الغفير يوجب العلم و إن كانوا كفّاراً. قيل: هم أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم. و قيل: هم أهل القرآن، و هم العلماء بالقرآن.(١)

عن الباقر عليه السلام لمّا قيل له أهل الذكر هم اليهود و النصارى قال: إذاً يدعونكم إلى دينهم! ثمّ أومى إلى صدره و قال: نحن أهل الذكر. و الذكر يطلق على النبيّ صلى الله عليه وآله و على القرآن. و هم أهل النبيّ و أهل القرآن.(٢)

«نوحي» بالنون، حفص عن عاصم. و الباقون: «يوحي» بالياء.(٣)

[٨] «وَ مَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَ مَا كَانُوا خَالِدِينَ».

«و ما جعلناهم جسداً». هذا ردّ لقولهم: «ما لهذا الرسول يأكل الطعام و يمشي في الأسواق».(٤) أي: و ما جعلنا الأنبياء قبلك أجساداً لايأكلون الطعام و لايموتون حتّى يكون أكلك الطعام و شربك و موتك علّة في ترك الإيمان بك. فإنّا لم نخرجهم عن حدّ البشريّة بالوحي. و توحيد الجسد لإرادة الجنس، أو لأنّه مصدر في الأصل، أو على حذف المضاف، أو على تأويل الضمير بكلّ واحد.(٥)

[٩] «ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَ مَنْ نَشَاءُ وَ أَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ».

«ثمّ صدقناهم الوعد» بأنّ العاقبة الحميدة تكون لهم و أنجزنا ما وعدناهم به من النصر

١ـ مجمع البيان ٧ / ٦٤، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٥.
٢ـ تأويل الآيات ١ / ٣٢٤، ح ٢٣.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٦٤.
٤ـ الفرقان (٢٥) / ٧.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٦٤، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٥ـ ٦٦.

و النجاة و الظهور على الأعداء و ما وعدناهم به من الثواب «فأنجيناهم» من أعدائهم «و» أنجينا من المؤمنين «من نشاء» معهم «و أهلكنا المسرفين» في الكفر و المعاصي. و هذا تخويف لكفّار مكّة.(١)

[١٠] «وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ».

«و لقد أنزلنا إليكم» يا معشر قريش قرآناً «فيه ذكركم»؛ أي: شرفكم، إن تمسّكتم به. كقوله: «و إنّه لذكر لك و لقومك».(٢) و قيل: إنّ فيه ذكر ما يحتاجون إليه من أمر دينكم و دنياكم و ذكر مكارم أخلاقكم و محاسن الأفعال. «أفلاتعقلون» ما فضّلتم به على غيركم؟(٣)

و قوله تعالى: «كتاباً فيه ذكركم» عن الكاظم عليه السلام: أي: شرفكم و عزّكم. و هي طاعة الإمام الحقّ بعد النبيّ صلى الله عليه و آله.(٤)

[١١] «وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَ أَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ».

«و كم قصمنا»؛ أي: أهلكنا. أو: عذّبنا. «ظالمة»؛ أي: كافرة. يعني أهلها [«و أنشأنا بعدها»:] و أوجدنا بعد إهلاكها «قوماً آخرين».(٥)

[١٢] «فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ».

«أحسّوا»؛ أي: أدركوا بحواسّهم. «بأسنا»؛ أي: عذابنا. «إذا هم منها»: من القرية. أو: من العقوبة. [«يركضون»:] يهربون سراعاً هرب المنهزم من عدوّه.(٦)

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «فلمّا أحسّوا بأسنا» ـ الآية ـ قال: إذا قام القائم عليه السلام و بعث إلى بني أميّة بالشام فهربوا إلى الروم فيقول لهم أهل الروم: لاندخلكم حتّى تتنصّروا.

١ـ مجمع البيان ٧ / ٦٥.
٢ـ الزخرف (٤٣) / ٤٤.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٦٥.
٤ـ تأويل الآيات ١ / ٣٢٥، ح ٥.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٦٦.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٦٦.

فيعلّقوا في أعناقهم الصليب و يدخلونهم. فإذا نزل بحضرتهم أصحاب القائم، طلبوا الأمان و الصلح، فلم يقبلوا حتّى يدفعوا إليهم بني أميّة. فذلك قوله: «لا تركضوا و ارجعوا إلى ما أترفتم فيه».(١)

[۱۳] «لَا تَرْكُضُوا وَ ارْجِعُوا إِلىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَ مَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ».

«لعلّكم تسألون». قال: يسألهم عن كنوزهم و أموالهم و هو أعلم بها. «فما زالت تلك دعواهم» حتّى يقتلهم بالسيف.(٢)

«لا تركضوا»؛ أي: يقال لهم تقريعاً و توبيخاً: لا تهربوا «و ارجعوا إلى ما أترفتم فيه» من التنعّم و التلذّذ ـ و الإتراف: إبطار النعمة ـ «و» ارجعوا إلى «مساكنكم» التي كفرتم و ظلمتم فيها. و قيل: إنّهم لمّا أخذتهم السيوف، انهزموا مسرعين. فقالت لهم الملائكة بحيث يسمعون النداء: لا تركضوا وارجعوا إلى ما خوّلتم و نعّمتم فيه وارجعوا إلى مساكنكم. «لعلّكم تسألون» شيئاً من دنياكم. فإنّكم أهل ثروة و نعمة. و قيل: لعلّ رسولكم يسألكم أن تؤمنوا كما سألكم قبل نزول العذاب بكم. و هذا استهزاء بهم أيضاً. [أي:] لا سبيل إلى هذا، فدبّروا الأمر قبل حلوله. و قيل: لكي تسألوا عن أعمالكم و عن تنعّمكم في الدنيا بغير الحقّ و عمّا استحققتم به من العقاب.(٣)

«لعلّكم تسألون». تهكّم بهم و توبيخ لهم. أي: ارجعوا إلى نعيمكم و مساكنكم لعلّكم تسألون غداً عمّا جرى عليكم و نزل بأموالكم فتجيبوا السائل عن علم و مشاهدة. أو: ارجعوا و اجلسوا في مجالسكم حتّى يسألكم عبيدكم و يقولوا لكم: بماذا تأمرون، كعادة المنعّمين المخدمين.(٤)

[١٤] «قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ».

١ـ تأويل الآيات ١ / ٣٢٦ ـ ٣٢٧، ح ٨.

٢ـ تأويل الآيات ١ / ٣٢٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٦٦، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٦.

٤ـ الكشّاف ٣ / ١٠٦.

«قالوا» ندماً لمّا رأوا العذاب. «ظالمين». أي لأنفسنا حيث كذّبنا رسل ربّنا. و الويل: الوقوع في الهلكة. قيل: إنّ أهل حصورا[١] من قرى اليمن بعث إليهم نبيّ فقتلوه. فسلّط الله عليهم بخت نصّر فوضع السيف فيهم. و نادى مناد من السماء: يا لثارات الأنبياء! فندموا و قالوا ذلك.[٢]

[١٥] «فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ».

«فما زالت»؛ أي: لم يزالوا يقولون: يا ويلنا! و تلك دعواهم حتّى جعلناهم مثل الحصيد، و هو النبت المحصود، و لذلك لم يجمع. «خامدين»: ساكني الحركات.[٣]

[١٦] «وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ».

«لاعبين» بل خلقناهم لغرض صحيح؛ و هو أن يكون دلالة و نعمة و تعريضاً للثواب.[٤]

[١٧] «لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ».

«أن نتّخذ لهواً»؛ أي: ما يتلهّى به و يلعب. «لاتّخذناه» من عندنا ممّا يليق بحضرتنا من المجرّدات لا من الأجسام المرفوعة و الأجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف و تزريقها. و قيل: اللّهو المرأة و الولد، فيكون ردّاً على النصارى. أي: لو اتّخذنا نساء و أولاداً لاتّخذناه من أهل السماء لا من أهل الأرض. يريد لو كان ذلك جائزاً عليه، لم يتّخذه بحيث يظهر لهم و ستر ذلك حتّى لا يطّلعوا عليه. «إن كنّا فاعلين» ذلك. و يدلّ على جوابه الجواب المتقدّم. أي: إن كنّا فاعلين ذلك، لاتّخذناه من عندنا بحيث لا يصل علمه إليكم. و قيل: إنْ نافية. و الجملة كالنتيجة للشرطيّة.[٥]

١ـ تفسير البيضاويّ: حضور.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٦٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٦.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٦٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٦.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٦٧.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٦٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٧.

[١٨] «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَ لَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ».

«بل نقذف». إضراب عن اتّخاذ اللّهو و تنزيه لذاته من اللّعب. أي: بل من شأننا أن نغلب الحقّ الذي من جملته الجدّ على الباطل الذي من عداده اللّهو. «فيدمغه»؛ أي: فيمحقه. و إنّما استعار لذلك القذف، و هو الرمي المستلزم لصلابة المرميّ، و الدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشقّ غشاه المؤدّي إلى زهوق الروح، تصويراً لإبطاله به و مبالغة فيه. «و لكم الويل» أيّها الكفّار «ممّا تصفون» الله به من اتّخاذ الصاحبة و الولد و الشريك.(١)

[١٩] «وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ لَا يَسْتَحْسِرُونَ».

«و له من في السموات والأرض» ملكاً و خلقاً. فكيف يحتاج إلى الولد والشريك؟ «و من عنده». يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه [منزلة] المقرّبين عند الملوك. و هو معطوف على «من في السموات» و إفراده للتعظيم. أو مبتدأ خبره: «لايستكبرون عن عبادته»؛ أي: لايتعظّمون عنها. و أراد بذلك نفي البنوّة عنهم. لأنّ أحداً لايستعبد ابنه. «و لايستحسرون»؛ أي: لايملّون و لايعيون.(٢)

[٢٠] «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ».

«يسبّحون»؛ أي: ينزّهونه و يعظّمونه دائماً. «لايفترون». حال من الواو في يسبّحون.(٣)

[٢١] «أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ».

«أم اتّخذوا»: بل أتّخذوا؟ و الهمزة لإنكار اتّخاذهم. «من الأرض». صفة آلهة.(٤)

«أم اتّخذوا آلهة». هذه أم المنقطعة بمعنى بل و الهمزة، قد آذنت بالإضراب عمّا قبلها و

١ـ مجمع البيان ٧ / ٦٨، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٧، و مجمع البيان ٧ / ٦٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٧.

الإنكار لما بعدها. و المنكر هو اتّخاذهم «آلهة من الأرض هم ينشرون» الموتى. و يجوز أن يراد آلهة من جنس الأرض لأنّها إمّا أن تنحت من بعض الحجارة أو تعمل من بعض جواهر الأرض.(١)

«هم ينشرون»؛ أي: يحيون الأموات. و المعنى: انّ هؤلاء إذا كانوا لايقدرون على الإحياء الذي من قدر عليه قدر أن ينعم بالنعم التي يستحقّ بها العبادة، فكيف يستحقّون العبادة؟(٢)

«آلهة من الأرض و هم ينشرون». فإن قلت: كيف أنكر عليهم اتّخاذ آلهة تنشر و ماكانوا يدّعون ذلك لآلهتهم؟ و ذلك أنّهم كانوا كفّاراً ـ مع إقرارهم لله عزّ و جلّ بأنّه خالق السموات و الأرض «و لئن سألتهم من خلق السموات و الأرض ليقولنّ الله»(٣) و أنّه القادر على النشأة الأولى ـ منكرين البعث و يقولون: من يحيي العظام و هي رميم؟ فكيف يدّعونه للجماد الذي لايوصف بالقدرة؟ قلت: الأمر كما ذكرت، ولكنّهم بادّعائهم لها الإلهيّة يلزمهم أن يدّعوا لها الإنشار لأنّه لايستحقّ هذا الاسم إلّا القادر على كلّ مقدور و الإنشار من جملة المقدورات. و فيه باب من التهكّم بهم و التوبيخ و التجهيل و إشعار بأنّ ما استبعدوه من الله لايصحّ استبعاده لأنّ الإلهيّة لمّا صحّت، صحّ منها الاقتدار على الإبداء و الإعادة. و نحو قوله: «من الأرض» قولك: فلان من مكّة أو المدينة، تريد مكّيّ أو مدنيّ، و معنى نسبتها إلى الأرض الإيذان بأنّها الأصنام التي تعبد في الأرض. لأنّ الآلهة على ضربين، سماويّة و أرضيّة. و أمّا النكتة في «هم» من قوله: «هم ينشرون» فهو إفادة معنى التخصيص. كأنّه قيل: أم اتّخذوا آلهة لايقدر على الإنشار إلّا هم وحدهم؟(٤)

[٢٢] «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ».

«لو كان»؛ أي: لو كان في السماء و الأرض آلهة سوى الله لفسدتا و لم ينتظم أمرهم. و هذا

١ـ الكشّاف ٣ / ١٠٨ ـ ١٠٩.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٧٠.
٣ـ لقمان (٣١) / ٢٥.
٤ـ الكشّاف ٣ / ١٠٨ ـ ١٠٩.

هو دليل التمانع الذي بنى عليه المتكلّمون مسألة التوحيد. و تقريره: انّه لو كان مع الله إله آخر، لكانا قديمين. و القدم من أخصّ الصفات، فالاشتراك فيه يوجب التماثل. فيجب أن يكونا قادرين عالمين حيّين. ومن حقّ كلّ قادرين أن يصحّ كون أحدهما مريداً لضدّ ما يريده الآخر من إماتة و إحياء و نحو ذلك. فإذا فرضنا ذلك، فلايخلو إمّا أن يحصل مرادهما و ذلك محال، و إمّا أن لايحصل مرادهما فينتقض كونهما قادرين، و إمّا أن يقع مراد أحدهما و لايقع مراد الآخر فينتقض كون من لم يقع مراده من غير وجه منع معقول قادراً. فإذاً لايجوز أن يكون الآلهة إلّا واحداً. و لو قيل: إنّهما لايتمانعان. لأنّ ما يريده أحدهما يكون حكمة فيريده الآخر بعينه. فالجواب: انّ كلامنا في صحّة التمانع لا في وقوعه. و صحّة التمانع يكفي في الدلالة. لأنّه يدلّ على أنّ أحدهما متناهي القدرة البتّة فلايجوز أن يكون إلهاً. ثمّ نزّه سبحانه نفسه عن أن يكون معه إله فقال: «فسبحان الله ربّ العرش». خصّ العرش لأنّه أعظم المخلوقات.(١)

[٢٣] «لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ».

«لايسأل عمّا يفعل» لعظمته و قوّة سلطانه و تفرّده بالإلهيّة، و لأنّ أفعاله حكمة و صواب. «و هم يسألون» لأنّهم مملوكون مستعبدون. و الضمير لآلهة أو العباد.(٢)

[٢٤] «أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَ ذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ».

«أم اتّخذوا من دونه». كرّره استفظاعاً لشأنهم و استعظاماً لكفرهم. أي: وصفتم الله بأنّ له شريكاً فهاتوا برهانكم على ذلك إمّا من جهة العقل و إمّا من جهة الوحي. فإنّكم لاتجدون كتاباً من كتب الأوّلين إلّا و توحيد الله و تنزيهه عن الأنداد مدعوّ إليه. «هذا ذكر من معي»؛ أي: هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله و نفي الشركاء عنه كما ورد عليّ، فقد

١ـ مجمع البيان ٧ / ٧٠.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٨، و مجمع البيان ٧ / ٧٠.

ورد على جميع الأنبياء، فهو ذكر؛ أي: عظة للّذين معي، يعني أمّتي، و ذكر للّذين قبلي. يريد أمم الأنبياء.(١)

«بل أكثرهم لايعلمون الحقّ» و لايميزون بينه و بين الباطل. «فهم معرضون» عن التوحيد و اتّباع الرسول من أجل ذلك.(٢)

[٢٥] «وَمَاأَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ».

«لا إله»؛ أي: لامعبود على الحقيقة «إلّا أنا». فوجّهوا العبادة إليّ دون غيري.(٣)

[٢٦] «وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ».

«اتّخذ الرحمن ولداً». نزلت في مشركي العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله.«سبحانه». تنزيه له عن الولد. «بل» هم «عباد» مخلوقون فلايكونون أولاداً «مكرمون»: مقرّبون. و هذا هو الذي غرّهم حتّى سمّوهم أولاده.(٤)

عن أبي جعفر عليه السلام: «بل عباد مكرمون». و أومى بيده إلى صدره و قال: «لايسبقونه بالقول».(٥)

[٢٧] «لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ».

«لايسبقونه بالقول»: لايقولون شيئاً حتّى يقوله، كما هو ديدن العبيد المؤدّبين. و أصله: لايسبق قولهم قوله. «بأمره يعملون»: لايعملون قطّ ما لم يأمرهم به.(٦)

[٢٨] «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضىٰ وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ».

١ـ الكشّاف ٣ / ١١١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٨.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٧١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٨، و الكشّاف ٣ / ١١٢.
٥ـ تأويل الآيات ١ / ٣٢٨، ح ١٠.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٨.

«ما بين أيديهم و ما خلفهم»: لايخفى عليه خافية ممّا قدّموا و أخّروا. و هو كالعلّة لما قبله و التمهيد لما بعده. فإنّهم لإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم و يراقبون أحوالهم. «لمن ارتضى» الله دينه من المؤمنين. «خشيته»؛ أي: عظمته و مهابته. «مشفقون»: خائفون من التقصير في عبادته.(۱)

[۲۹] «وَ مَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الظّالِمِينَ».

«و من يقل منهم»؛ أي: من هؤلاء الملائكة. «إنّي إله» يحقّ له العبادة من دون الله. «فذلك» القائل «نجزيه جهنّم». يعني أنّ حالهم مثل حال سائر العبيد في استحقاق الوعيد. و هو على سبيل الفرض و التمثيل. و قيل: إنّه عنى إبليس. لأنّه الذي دعا الناس إلى عبادته.(۲)

«و من يقل منهم إنّي إله». قال عليه السلام: من زعم أنّه إمام و ليس بإمام.(۳)

«نجزي الظالمين»: من ظلم بالإشراك و ادّعاء الربوبيّة. و في هذه الآية دلالة على أنّ الملائكة ليسوا مطبوعين على الطاعات على ما قاله بعضهم و أنّهم مكلّفون.(٤)

[۳۰] «أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَ فَلَا يُؤْمِنُونَ».

«أو لم ير الذين كفروا»؛ أي: أو لم يعلموا. «كانتا رتقاً»؛ أي: ذات رتق. أو: مرتوقتين. و هو الضمّ و الالتحام. أي: كانتا حقيقة متّحدة و شيئاً واحداً. «ففتقناهما». أي بالتنويع و التمييز. أو كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المتخلفة حتّى صارت أفلاكاً، و كانت الأرضون واحدة فجعلت باختلاف كيفيّاتها و أحوالها طبقات و أقاليم. و قيل: كانت

۱ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ٦۸، و مجمع البيان ۷ / ۷۱ ـ ۷۲.

۲ـ مجمع البيان ۷ / ۷۲، و الكشّاف ۳ / ۱۱۳.

۳ـ تفسير القمّيّ ۲ / ٦۸.

٤ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ٦۹، و مجمع البيان ۷ / ۷۲.

السماء رتقاً لاتمطر و الأرض رتقاً لاتنبت ففتقنا السماء بالمطر و الأرض بالنبات. و هو المرويّ عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام. فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا و جمعها باعتبار الآفاق أو السموات بأسرها على أنّ لها مدخلاً في الإمطار. و الكفرة و إن لم يعلموا ذلك، فهم متمكّنون من العلم به نظراً، فإنّ الفتق عارض مفتقر إلى مؤثّر واجب ابتداء أو بوسط، أو استفساراً من العلماء و مطالعة الكتب. و إنّما قال: «كانتا» و لم يقل: كنّ، لأنّ المراد جماعة السموات و جماعة الأرض.[١]

«كانتا رتقاً»؛ أي: مظلمة، ففتقهما الله بإظهار النور فيهما. كقوله: «و آية لهم اللّيل نسلخ منه النهار».[٢] و قيل: الرتق حالة العدم؛ إذ ليس فيهما ذوات متميّزة فكأنّهما أمر واحد متّصل متشابه. و الفتق الإيجاد، لحصول التميز و انفصال بعض الحقائق عن البعض. فيكون كقوله: «فاطر السموات».[٣][٤]

«و جعلنا من الماء». جعل لايخلو أن يتعدّى إلى واحد أو اثنين. فإن تعدّى إلى واحد، فالمعنى: خلقنا من الماء كلّ حيوان. كقوله: «و الله خلق كلّ دابّة من ماء».[٥] أو: كأنّما خلقناه من الماء لفرط احتياجه إليه و حبّه له و قلّة صبره عنه. كقوله: «خلق الإنسان من عجل».[٦] و إن تعدّى إلى اثنين، فالمعنى: صيّرنا كلّ شيء حيّ بسبب من الماء لابدّ له منه. و قيل: معناه: و خلقنا من النطفة كلّ مخلوق حيّ. «أفلايؤمنون» مع ظهور الآيات؟[٧]

[٣١] «وَ جَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَ جَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ».

«رواسي»؛ أي: جبالاً ثوابت تمنع الأرض من الحركة و الاضطراب. «أن تميد»: كراهة

١ـ مجمع البيان ٧ / ٧٢، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٩.
٢ـ يس (٣٦) / ٣٧.
٣ـ الأنعام (٦) / ١٤.
٤ـ تفسير النيسابوريّ ١٧ / ١٨.
٥ـ النور (٢٤) / ٤٥.
٦ـ الأنبياء (٢١) / ٣٧.
٧ـ الكشّاف ٣ / ١١٣، و مجمع البيان ٧ / ٧٢، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٩.

أن تميد أو تضطرب. أو: لئلّاتميد. حذف [لا] لأمن الإلباس. «و جعلنا فيها»؛ أي: في الأرض و الجبال. «فجاجاً»؛ أي: طرقاً واسعة ليهتدوا إلى مقاصدهم في الأسفار. ثمّ بيّن الفجاج فقال: «سبلاً». و إنّما قدّم فجاجاً و هو وصف ليصير حالاً فيدلّ على أنّه حين خلقها خلقها كذلك. «يهتدون». أي إلى مصالحهم.(١)

«سبلاً»: جمع سبيل. سمّي الطريق سبيلاً لسلوك السابلة فيه. (ع)

[٣٢] «وَ جَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ هُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ».

«محفوظاً» عن الوقوع بقدرته، أو الفساد و الانحلال إلى الوقت المعلوم بمشيّته، أو استراق السمع بالشهب.(٢)

«عن آياتها»؛ أي: عن الاستدلال بما فيها من دلائل الحدوث. «معرضون» عن التفكّر.(٣)

[٣٣] «وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ».

«خلق اللّيل والنهار». بيان لبعض الآيات. «كلّ في فلك»؛ أي: كلّ واحد من الشمس و القمر. و التنوين بدل المضاف إليه. «يسبحون»؛ أي: يسرعون على [سطح] الفلك إسراع السابح على سطح الماء. و إنّما جمع باعتبار المطالع و جعل [الضمير] واو العقلاء لأنّ السباحة فعلهم.(٤)

[٣٤] «وَ مَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَ فَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ».

«و ماجعلنا» ـ الآية. لمّا أخبر الله نبيّه ﷺ ممّا يصيب أهل بيته من بعده و ادّعاء من يدّعي الخلافة دونهم و ما يقاسون من كيد الأعداء، اغتمّ رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية

١ـ مجمع البيان ٧ / ٧٣ ـ ٧٤، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٩.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٩.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٧٤.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٦٩ ـ ٧٠.

يعلمه أن ليس أحد بخالد و الذين هم الأعداء أيضاً غير خالدين. و ذلك قوله تعالى: «أ فإن متّ فهم الخالدون».[١]

«و ماجعلنا» ـ الآية. نزلت حين قالوا: «نتربّص به ريب المنون».[٢] و في معناه قوله:

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

و الفاء لتعلّق الشرط بما قبله. و الهمزة لإنكاره بعد ما تقرّر ذلك.[٣]

[٣٥] «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ».

«و نبلوكم بالشرّ و الخير فتنة»؛ أي: نعاملكم معاملة المختبر بالفقر و الغنى و ما تكرهون و ما تحبّون، ليظهر صبركم على ما تكرهون و شكركم فيما تحبّون. و عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه مرض فعاده إخوانه فقالوا: كيف نجدك[٤] يا أميرالمؤمنين؟ قال: بشرّ. قالوا: ما هذا كلام مثلك! قال: إنّ الله يقول: «و نبلوكم بالشرّ و الخير فتنة». [فالخير الصحّة و الغنى و الشرّ المرض و الفقر. «فتنة»؛] أي: ابتلاء و اختباراً. أو: شدّة تعبّد. «و إلينا ترجعون»؛ أي: إلى حكمنا تردّون للجزاء بالأعمال.[٥]

[٣٦] «وَ إِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَ هٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَ هُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمٰنِ هُمْ كَافِرُونَ».

«و إذا رآك» ـ يا محمّد ـ الكفّار و أنت تعيب آلهتهم وتدعوهم إلى التوحيد. «إن يتّخذونك»؛ أي: مايتّخذونك إلّا سخريّة يقول بعضهم لبعض: «أهذا الذي يذكر»؛ أي: يعيب «آلهتكم» بأنّها جماد لاتنفع و لاتضرّ. «بذكر الرحمن»؛ أي: بتوحيده. و قيل: بكتابه المنزل. «هم كافرون»؛ أي: جاحدون. فهم أحقّ [أن يهزأ بهم]. و تكرير الضمير للتأكيد و

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٧٠.

٢ـ الطور (٥٢) / ٣٠.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٠.

٤ـ المصدر: تجدك.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ٧٤.

التخصيص.[۱]

[۳۷] «خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ».

«خلق الإنسان من عجل». المراد بالإنسان إمّا آدم و [قيل في عجل ثلاث تأويلات. منها... و منها أنّ] معناه أنّه[۲] سرعة من خلقه، لأنّه لم يخلقه من نطفة ثمّ من علقة ثمّ من مضغة كما خلق غيره و إنّما أنشأه [إنشاء]. فكأنّه سبحانه نبّه بذلك على الآية العجيبة في خلقه. و [منها] أنّ آدم لما خلق و جعلت الروح في أكثر جسده، وثب عجلان مبادراً إلى ثمار الجنّة. و قيل: همّ بالوثوب. و روي ذلك عن أبي عبداللهعليه‌السلام. و إمّا أن يكون المراد بالإنسان الناس كلّهم. أي: خلق الإنسان على حبّ العجلة في أمره. يعني أنّه يستعجل في كلّ شيء يشتهيه. و للعرب عادة في استعمالهم هذا اللّفظ عند المبالغة؛ يقولون لمن يصفونه بكثرة النوم: ماخلق إلّا من نوم. و قيل: العجل هو الطين. عن أبي‌عبداللهعليه‌السلام.[۳] و قيل: معناه: خلق الإنسان من تعجيل من الأمر. لأنّه تعالى قال: «إنّما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون».[٤] عن أبي‌الحسن الأخفش. «سأريكم آياتي»: نقماتي في الدنيا كوقعة بدر و في الآخرة عذاب النار. «فلاتستعجلون» حلول العذاب بكم.[٥]

سؤال: قوله تعالى: «خلق الإنسان من عجل» فيه أنّ الآدميّ معذور على الاستعجال لأنّه له كالأمر الطبيعيّ الذي لابدّ منه. فلم رتّب عليه النهي بقوله: «فلاتستعجلون»؟ و أجيب بأنّ فيها تنبيهاً على أنّ ترك العجلة حالة شريفة. و قال جار الله: هذا كما ركّب فيه الشهوة و أمره أن يغلبها.[٦]

[۳۸] «وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

۱ـ مجمع البيان ۷ / ۷٦، و تفسير البيضاويّ ۲ / ۷۰.
۲ـ المصدر: «في» بدل «أنّه».
۳ـ المصدر: عن أبي‌عبيدة و جماعة.
٤ـ النحل (۱٦) / ٤۰.
٥ـ مجمع البيان ۷ / ۷٦، و تفسير البيضاويّ ۲ / ۷۰.
٦ـ تفسير النيسابوريّ ۱۷ / ۲۲.

«و يقولون»؛ أي: يقول المشركون للمسلمين: «متى هذا الوعد»؛ أي: يوم القيامة.[١]

[٣٩] «لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَ لَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَ لَا هُمْ يُنْصَرُونَ».

«لو يعلم الذين»؛ أي: لو علم الوقت الذي لايكفّون فيه عذاب النار عن وجوههم و لا عن ظهورهم. يعني أنّ النار تحيط بهم من جميع جوانبهم. و جواب لو محذوف. أي: لو علموا صدق ما وعدوا به، لما استعجلوا و لا قالوا متى هذا الوعد.[٢]

[٤٠] «بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَ لَا هُمْ يُنْظَرُونَ».

«بل تأتيهم» العدة أو النار أو الساعة. «بغتة»؛ أي: فجأة. «فتبهتهم»: تحيّرهم. «و لا هم ينظرون»؛ أي: لايؤخّرون إلى وقت آخر.[٣]

[٤١] «وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ».

لمّا تقدّم ذكر استهزاء الكفّار بالنبيّ والمؤمنين، سلّى الله نبيّهﷺ بقوله: «و لقد استهزئ برسل». أي كما استهزأ بك هؤلاء. «فحاق بالذين سخروا»؛ أي: حلّ بهم وبال استهزائهم. و قوله: «منهم»؛ أي: من الرسل.[٤]

[٤٢] «قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ مِنَ الرَّحْمٰنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ».

«قل من يكلؤكم»؛ أي: قل ـ يا محمّد ـ لهؤلاء الكفّار: من يحفظكم من بأس الرحمن وعذابه؟ و هو استفهام معناه النفي. أي: لاحافظ لكم من الرحمن. «ذكر ربّهم»؛ أي: عن

١ـ مجمع البيان ٧ / ٧٧.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٧٧.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٧٧، وتفسير البيضاويّ ٢ / ٧٠.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٧٨.

كتاب ربّهم. «معرضون» لا يلتفتون.[١]

[٤٣] «أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَ لَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ».

«أم لهم». أم هذه هي المنقطعة. أي: بل [أ] لهم آلهة؟ «و لا يستطيعون» جملة مستأنفة. لأنّه لا يستقيم أن يكون صفة الآلهة و لا حالاً عنها. لأنّ الله وصفها بقوله: «تمنعهم من دوننا» على زعمهم و «لا يستطيعون» ردّ هذه الصفة. المعنى: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم من عذابنا. و تمّ الكلام، ثمّ وصف آلهتهم بالضعف فقال: «لا يستطيعون نصر أنفسهم» فكيف ينصرونهم؟ و قيل: معناه: انّ الكفّار لا يستطيعون نصر أنفسهم. «و لا هم منّا يصحبون»؛ أي: و لا الكفّار يجارون من عذابنا. و قيل: «يصحبون»؛ أي: ينصرون.[٢]

[٤٤] «بَلْ مَتَّعْنَا هٰؤُلَاءِ وَ آبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَ فَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَ فَهُمُ الْغَالِبُونَ».

«بل متّعنا». إضراب عمّا توهّموا ببيان ما هو الداعي إلى حفظهم و هو الاستدراج و التمتّع بما قدّر لهم من الأعمار. «طال عليهم العمر» فغرّهم طول العمر و أسباب الدنيا حتّى أتوا ما أتوا. «ننقصها»؛ أي: ألم ير هؤلاء الكفّار أنّ الأرض يأتيها أمرنا فننقصها بتخريبها و بموت أهلها. و قيل: بموت العلماء. و روي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام. قال: نقصانها ذهاب عالمها. و قيل: معناه: ننقصها من جانب المشركين و نزيدها من جانب المسلمين. «أ فهم»؛ أي: أ فهؤلاء المشركون الغالبون أم نحن؟[٣]

أقول: فائدة: [بل] في هذه المقامات ـ «بل تأتيهم» و «بل هم» و «بل متّعنا» ـ الانتقال من جملة إلى أخرى أهمّ من الأولى.[٤]

١ـ مجمع البيان ٧ / ٧٨.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٧٨ ـ ٧٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٧١، و مجمع البيان ٧ / ٧٩.
٤ـ تفسير النيسابوريّ ١٧ / ٢٣.

[٤٥] «قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَ لَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ».

«قل» يا محمّد. «أنذركم» من عذاب الله و أخوّفكم بما أوحي إليّ. «و لايسمع الصمّ». شبّههم بالصمّ الذين لايسمعون النداء إذا نودوا لأنّهم لم ينتفعوا بالسمع. و المعنى: انّهم يستثقلون القرآن و سماعه و ذكر الحقّ. فهم في ذلك بمنزلة الأصمّ الذي لايسمع. «ينذرون»؛ أي: يخوّفون.[١]

«لايسمع». ابن‌عامر: «لاتسمع» بضمّ التاء و [«الصمّ»] بالنصب.[٢]

[٤٦] «وَ لَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ».

«نفحة»: أدنى شيء. و فيه مبالغات؛ ذكر المسّ، و ما في النفحة من معنى القلّة، فإنّ أصل النفح هبوب رائحة الشيء، والتاء الدالّ على المرّة. «من عذاب ربّك»: من الذي ينذرون به.[٣]

«ليقولنّ يا ويلنا»؛ أي: يدعون بالويل و الثبور.[٤]

[٤٧] «وَ نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ إِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَ كَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ».

و أمّا وزن الأعمال مع أنّها أعراض إمّا باعتبار أنّ الموزون صحائف الأعمال، و إمّا أنّه مبنيّ على تجسّم الأعمال كما دلّت عليه الأخبار.

سأل الزنديق أباعبدالله عليه السلام: أليس توزن الأعمال؟ قال: لا. لأنّ الأعمال ليست بأجسام و إنّما يحتاج إلى وزن الأشياء من جهل مقدارها. و إنّما معنى الميزان العدل. و معنى «من ثقلت موازينه»[٥]: من رجح عمله.[٦]

١ـ مجمع البيان ٧ / ٧٩.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٧٨.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٧١.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٨١.
٥ـ القارعة (١٠١) / ٦.
٦ـ بحارالأنوار ٧ / ٢٤٨.

أقول: بهذا الخبر أخذ الشيخ المفيد و أنكر الميزان الحقيقيّ؛ مع أنّ الأخبار الدالّة عليه كثيرة و حينئذٍ فالواجب علينا الإيمان بأصل الميزان. و أمّا كيفيّته و معناه، فهو موكول العلم إلى الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

«مثقال حبّة»؛ أي: مقدار حبّة. و من في قوله: «من خردل» إمّا للبيان أو للتبعيض فتكون الخردلة بمنزلة الدينار و الحبّة تسع الدينار، فتكون الحبّة بالنسبة إلى الخردلة مثل تلك النسبة. و المبالغة فيه أكثر كما نصّ عليه الفاضل النيشابوريّ.(١)

«و نضع»؛ أي: نحضر الموازين التي لا جور فيها بل كلّها عدل لأهل يوم القيامة أو في يوم القيامة. و قيل: معناه: نضع العدل في المجازاة بالحقّ لكلّ أحد على قدر استحقاقه من غير جور على أحد. «فلاتظلم نفس شيئاً» من حقّها أو من الظلم. «و إن كان» العمل أو الظلم «مثقال حبّة». و رفع نافع مثقال على كان التامّة. «أتينا بها»: أحضرناها. و على قراءة المدّ بمعنى جازينا بها، من الإيتاء، فإنّه قريب من أعطينا. «و كفى بنا حاسبين». إذ لا مزيد على علمنا و عدلنا.(٢)

«الموازين القسط». إفراد القسط لأنّه مصدر وصف به للمبالغة.(٣) و إنّما جمع الموازين لكثرة من يوزن أعمالهم. و هذا تفخيم. و يجوز أن يراجع إلى الوزنات.

يروى أنّ داوود عليه السلام سأل ربّه أن يريه الميزان. فلمّا رآه، غشي عليه. فلمّا أفاق قال: يا ربّ من ذا الذي يقدر أن يملأ كفّته حسنات؟ قال: يا داوود، إنّي إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة.(٤)

قرأ أبوجعفر و نافع: «مثقالُ» بالرفع. و قرأ: «آتينا» بالمدّ ابن‌عبّاس و جعفر بن محمّد عليهما السلام.(٥)

١ـ تفسير النيسابوريّ ١٧ / ٢٥.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٨١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٢.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٢.

٤ـ الكشّاف ٣ / ١٢٠.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ٨٠.

[٤٨] «وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسىٰ وَ هَارُونَ الْفُرْقَانَ وَ ضِيَاءً وَ ذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ».

«الفرقان و ضياء و ذكراً»؛ أي: الكتاب الجامع لكونه فارقاً بين الحقّ و الباطل و ضياء يستضاء به في هداية الدين و ذكراً يتّعظ به المتّقون أو ذكر ما يحتاجون إليه من الشرائع. و قيل: الفرقان النصر. و قيل: فرق البحر.(١)

[٤٩] «الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ».

«الذين يخشون ربّهم». صفة للمتّقين. «بالغيب»؛ أي: في حال الخلوة عن الناس. أو: في سرائرهم من غير رياء. «مشفقون» خائفون.(٢)

[٥٠] «وَ هٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ».

أراد بالذكر القرآن لأنّه ذكر ثابت نافع عظيم الفائدة. «أ فأنتم له منكرون». استفهام على معنى التوبيخ. أي: فلماذا تنكرونه؟(٣)

[٥١] «وَ لَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا بِهِ عَالِمِينَ».

«رشده»؛ أي: الحجج التي توصله إلى الرشد من معرفة الله. أو: هديناه صغيراً. «من قبل» موسى، أو من قبل محمّد و القرآن. أو: من قبل بلوغه. «وكنّا به عالمين» أنّه أهل لإيتاء الرشد و صالح للنبوّة.(٤)

[٥٢] «إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ».

«إذ قال». متعلّق بآتيناه، أو برشده، أو بمحذوف، أي: اذكر من أوقات رشده وقت قوله: «ما هذه التماثيل». تحقير لشأنها و توبيخ على إجلالها، لأنّ التمثال صورة لا روح فيها. قيل: إنّهم جعلوها أمثلة لعلمائهم الذين انقرضوا. و قيل: إنّهم جعلوها أمثلة للأجسام العلويّة. و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٢.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٢، و مجمع البيان ٧ / ٨١.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٨١.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٨٣.

المعنى: ما هذه التمثال التي أنتم مقيمون على عبادتها؟ و عن عليّ عليه السلام أنّه مرّ بقوم يلعبون بالشطرنج فقال: «ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون».(١)

«ما هذه التماثيل». تجاهل بهم و تغاب ليحقّر آلهتهم و يصغّر شأنها مع علمه بتعظيمهم و إجلالهم لها.(٢)

[٥٣] «قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ».

«قالوا وجدنا آباءنا». اعترفوا بالتقليد إذ لم يجدوا حجّة لعبادتهم إيّاها.(٣)

[٥٤] «قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

[٥٥] «قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ».

«أجئتنا بالحقّ»؛ أي: أنت فيما تقول محقّ عند نفسك أم لاعب؟ و إنّما قالوا ذلك لاستبعادهم إنكار عبادة الأصنام إذ ألفوا ذلك و اعتادوه.(٤)

[٥٦] «قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَ أَنَا عَلَىٰ ذٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ».

«بل ربّكم ربّ السموات». إضراب عن كونه لاعباً بإقامة البرهان على ما ادّعاه. «فطرهنّ»؛ أي: السموات و الأرض. أو: التماثيل، و هو أدخل في تضليلهم و إلزام الحجّة عليهم. «الشاهدين» شهادة تحقيق.(٥)

[٥٧] «وَ تَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ».

«و تالله لأكيدنّ أصنامكم»؛ أي: لأدبّرنّ في شأنهم تدبيراً خفيّاً يسوؤكم ذلك. و قيل:

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٢، و مجمع البيان ٧ / ٨٣.
٢ـ الكشّاف ٣ / ١٢١.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٨٣.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٨٣.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٣، و مجمع البيان ٧ / ٨٣.

قاله في سرّ من قومه و لم يسمع ذلك إلّا رجل منهم فأفشاه. «مدبرين». أي بعد أن تنطلقوا ذاهبين. قالوا: كان لهم في كلّ سنة مجمع و عيد إذا رجعوا منه دخلوا على الأصنام و سجدوا لها. فقالوا لإبراهيم: ألاتخرج معنا؟ فخرج. فلمّا كان ببعض الطريق قال: أشتكي رجلي. و انصرف.(١)

[٥٨] «فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ».

«فجعلهم جذاذاً»؛ أي: جعل أصنامهم قطعاً قطعاً. من الجذّ و هو القطع. «إلّا كبيراً لهم» تركه على حاله. يجوز أن يكون كبيرهم في الخلقة أو التعظيم. قالوا: جعل يكسرهنّ بفأس في يده وجعل الفأس في عنق الكبير. «لعلّهم إليه»؛ أي: إلى إبراهيم يرجعون فينبّئهم على حاله. أو: يرجعون إلى الكبير فيسألونه و هو لاينطق فيعلمون جهل من اتّخذه إلهاً. أو: يرجعون إلى الله و توحيده عند تحقّق عجز آلهتهم. قرأ الكسائيّ: «جذاذاً» بالكسر. و هو لغة فيه.(٢)

[٥٩] «قَالُوا مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ».

«لمن الظالمين» لنفسه، لأنّه يقتل إذا علم به أو أنّه ظلم بكسرها.(٣)

[٦٠] «قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ».

«قالوا سمعنا». أي قال الرجل الذي سمع من إبراهيم قوله: «لأكيدنّ» للقوم ما سمعه منه. فقالوا: سمعنا [أي:] بلغ إلينا. كما تقول: سمعت الله يقول، أو سمعت الرسول يقول [إذا بلغك عنه رسالة].(٤)

[٦١] «قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ».

١ـ مجمع البيان ٧ / ٨٣.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٨٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٣.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٨٤.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٨٤.

«على أعين الناس». في موضع الحال. أي: مرئيّاً مشهوداً بحيث يراه النـاس. «لعـلّهم يشهدون» عليه بما قاله فيكون ذلك حجّة عليه بما فعل. قالوا: كرهوا أن يأخذوه بغير بيّنة. و قيل: معناه: لعلّهم يشهدون عقابه.(١)

[٦٢] «قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ».

[٦٣] «قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ».

«قال بل فعله كبيرهم هذا». قيل: إنّه مقيّد بقوله: «إن كانوا ينطقون» فـعلّق الكـلام بشرط لا يوجد فلا يكون كذباً. أو إنّه خرج مخرج الخبر و ليس بخبر و إنّما هو إلزام يدلّ عليه الحال. و وجه الإلزام أنّ هذه الأصنام إن كانت آلهة كما تزعمون، فإنّما فعل ذلك بهم كبيرهم، لأنّ غير الإله لا يقدر أن يكسر الآلهة.(٢)

و في الكشّاف: انّ هذا من معاريض و لطائف هذا النوع لا تتغلغل إلّا أذهان الراضة من علماء المعاني. و القول فيه: انّ قصد إبراهيم لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصـادر عـنه إلى الصنم. و إنّما قصد تقريره لنفسه و إثباته لها على أسلوب تعريض يبلغ فـيه غـرضه مـن إلزامهم للحجّة و تبكيتهم. و هذا كما قال لك صاحبك ـ و قد كتبت كتاباً بخطّ رشيق و أنت شهير بحسن الخطّ ـ : أأنت كتبت هذا؟ و صاحبك أمّيّ لا يحسن الخطّ فقلت له: بل كتبته أنت! كان [قصدك بهذا الجواب] تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك و إثباته للأمّيّ. لأنّ إثباته ـ و الأمر دائر بينكما ـ للعاجز استهزاء به و إثبات للقادر. و لقـائل أن يـقول: غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفّة مرتّبة. و كان غيظ كبيرها أكبر و أشدّ لما رأى من زيادة تعظيمهم له. فأسند الفعل إليه لأنّه هو الذي تسبّب لإهانته بها. و الفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه.(٣)

١ـ مجمع البيان ٧ / ٨٥.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٨٥.
٣ـ الكشّاف ٣ / ١٢٤.

[٦٤] «فَرَجَعُوا إِلىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ».

«فرجعوا» بعد إلزامهم الحجّة، فقال بعضهم لبعض: «أنتم الظالمون» حيث تعبدون ما لايقدر على الدفع من نفسه و لا الأمر إلّا كما قال. و قيل: معناه: انّهم بعد أن رجعوا إلى عقولهم، أنطقهم الله بالحقّ فقالوا: «إنّكم أنتم الظالمون» لهذا الرجل في سؤاله. و هذه آلهتكم حاضرة فسلوها.[١]

[٦٥] «ثُمَّ نُكِسُوا عَلىٰ رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ».

«نكسوا على رؤوسهم»: انقلبوا إلى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة. شبّه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعلياً على أعلاه. «ما هؤلاء ينطقون». كيف نسألهم؟[٢]

[٦٦] «قَالَ أَ فَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَ لَا يَضُرُّكُمْ».

«أ فتعبدون من دون الله»، أي: أتوجّهون عبادتكم إلى من لايقدر على دفع الضرر عن نفسه و لا عن غيره.[٣]

[٦٧] «أُفٍّ لَكُمْ وَ لِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ».

«أفّ لكم». تضجّر منه على إصرارهم بالباطل البيّن. و أفّ صوت المتضجّر ومعناه: قبحاً و تبّاً لكم! «أفلاتعقلون» قبح صنيعكم؟[٤]

[٦٨] «قَالُوا حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ».

«قالوا» [أخذاً] في المضارّة لمّا عجزوا عن المحاجّة. «حرّقوه». فإنّ النار أهول ما يعاقب به. «إن كنتم فاعلين»؛ أي: ناصريها. و المعنى: فلاتنصرونها إلّا بتحريقه بالنار. قيل: الذي أشار عليهم بتحريق النار رجل من أكراد اسمه هينون من أهل فارس خسف الله به الأرض

١ـ مجمع البيان ٧ / ٨٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٤، و مجمع البيان ٧ / ٨٦.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٨٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٤.

فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة. و قيل: القائل نمرود. فجمعوا الحطب؛ حتّى أنّ الرجل منهم ليمرض فيوصي بكذا و كذا من ماله فيشترى به حطب، و حتّى أنّ المرأة لتغزل فتشتري به حطباً. فلمّا بلغوا من ذلك و أرادوا أن يلقوه في النار، لم يدروا كيف يلقونه. فجاء إبليس فدلّهم على المنجنيق. و هو أوّل منجنيق صنعت. فوضعوه فيها ثمّ رموه.(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ موسى أوجس في نفسه خيفة لمّا رأى الحبال و العصيّ و لم يوجسها إبراهيم حين وضع في المنجنيق و قذف به في النار. فقال: إنّ إبراهيم حين وضع في المنجنيق، كان مستنداً إلى ما في صلبه من أنوار حجج الله و لم يكن لموسى كذلك.(٢)

[٦٩] «قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَ سَلَاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ».

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا أضرمت النار على إبراهيم، شكت هوامّ الأرض إلى الله و استأذنته أن تصبّ عليها الماء. فلم يأذن الله لشيء إلّا للضفدع. فاحترق منه الثلثان و بقي الثلث.(٣)

قيل: و كان الوزغ ينفخ في نار إبراهيم. و كانت الضفادع تجيء بالماء في أفواهها لتطفئ النار.(٤)

«قلنا يا نار كوني برداً». لمّا جمعوا الحطب و ألقوه في النار. و هذا مثل. فإنّ النار جماد لايصحّ خطابه. و المراد: انّا جعلنا النار برداً عليه و سلاماً. كما قال سبحانه: «كونوا قردة».(٥) و قيل: يجوز أن يتكلّم الله سبحانه بذلك صلاحاً للملائكة و لطفاً لهم. و ذكر في كون النار برداً أنّ الله أحدث فيها برداً بدلاً من شدّة الحرارة، أو أنّ الله سبحانه حال بينها و بينه فلم تصل إليه. قيل: لو لم يقل: «و سلاماً» لكانت تؤذيه من شدّة بردها. و لو لم يقل: «على إبراهيم» لكان بردها باقياً إلى الأبد. و قال أبوعبدالله عليه السلام: لمّا أجلس إبراهيم في

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٤، و مجمع البيان ٧ / ٨٧.
٢ـ أمالي الصدوق / ٦٥٥.
٣ـ بحارالأنوار ٦١ / ٢٦٥، و الخصال / ٣٢٧، ح ١٨.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٧٣.
٥ـ البقرة (٢) / ٦٥.

المنجنيق و رمي به في النار، أتاه جبرئيل و سلّم عليه و قال: ألك حاجة؟ قال: أمّا إليك فلا. فلمّا [طرحوه، دعا الله فقال: يا الله يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد] فحسرت النار عنه و إنّه لمحتب و معه جبرئيل يتحدّثان في روضة خضراء. و [روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه] لمّا ألقي في النار، نزل عليه جبرئيل بقميص من الجنّة [وطنفسة من الجنّة] فألبسه القميص و أقعده على الطنفسة. و ما أحرقت النار من إبراهيم عليه السلام غير وثاقه.[١]

عن الرضا عليه السلام قال: لمّا رمي إبراهيم في النار، دعا الله بحقّنا فجعل الله النار عليه برداً و سلاماً.[٢]

[٧٠] «وَ أَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ».

«كيداً»؛ أي شرّاً. «الأخسرين». و هو أن سلّط على نمرود [و] خيله البعوض حتّى أخذت لحومهم و شربت دماءهم، و وقعت واحدة في دماغه حتّى أهلكته. أي إنّهم كادوه بسوء فانقلب عليهم ذلك.[٣]

[٧١] «وَ نَجَّيْنَاهُ وَ لُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ».

«و نجّيناه و لوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها» من العراق إلى الشام. و بركتها لأنّها بلاد خصيب. و قيل: إلى أرض بيت المقدس. لأنّ بها مقام الأنبياء.[٤]

[٧٢] «وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ نَافِلَةً وَ كُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ».

«نافلة». حال من «يعقوب». لأنّه زيادة من غير دعاء. لأنّ إبراهيم طلب الولد. «و كلّاً جعلنا»؛ أي: و جعلنا إبراهيم و إسحاق و يعقوب «صالحين» للنبوّة و الرسالة.[٥]

١ـ مجمع البيان ٧ / ٨٧.
٢ـ قصص الأنبياء / ١٠٥.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٨٧ ـ ٨٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٤، و مجمع البيان ٧ / ٨٩.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٨٩.

[۷۳] «وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَ كَانُوا لَنَا عَابِدِينَ».

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «و جعلناهم أئمّة»: يعني الأئمّة عليهم السلام من ولد فاطمة عليها السلام؛ يوحي إليهم بالروح في صدورهم.(۱)

«و جعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا»: يقتدى بهم في أفعالهم. «فعل الخيرات». قال ابن عبّاس: شرائع النبوّة. «و إقام الصلاة»؛ أي: إقامة. فحذف التاء لقيام المضاف إليه مقامها. و لاتحذف إلّا في الإضافة. «عابدين»؛ أي: مخلصين في العبادة.(۲)

[۷٤] «وَ لُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ».

«و لوطاً آتيناه حكماً»؛ أي: حكمة. و قيل: الحكم النبوّة. وقيل: هو الفصل بين الخصوم بالحقّ. أي: جعلناه حاكماً و علّمناه ما يحتاج إلى العلم به. «من القرية». هي قرية سدوم. «الخبائث». هو ما حكاه الله عنهم بقوله: «إنّكم لتأتون الرجال و تقطعون السبيل و تأتون في ناديكم المنكر»(۳) و غير ذلك من القبائح.(٤)

[۷٥] «وَ أَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ».

«في رحمتنا»؛ أي: أهل رحمتنا. أو: في جنّتنا. «من الصالحين»: الذين صلحت أفعالهم. و قيل: أراد أنّه من الأنبياء.(٥)

[۷٦] «وَ نُوحاً إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ».

«و نوحاً». عطف على قوله: «و لوطاً». «إذ نادى» ربّه بقوله: «لاتذر على الأرض من

۱ـ تأويل الآيات ۱ / ۳۲۸، ح ۱۲.

۲ـ مجمع البيان ۷ / ۸۹، و تفسير البيضاويّ ۲ / ۷٥.

۳ـ العنكبوت (۲۹) / ۲۹.

٤ـ مجمع البيان ۷ / ۸۹.

٥ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۷٥، و مجمع البيان ۷ / ۸۹.

الكافرين ديّاراً»[١] و قوله: «إنّي مغلوب فانتصر»[٢] إلى غير ذلك. «من قبل»؛ أي: من قبل إبراهيم و لوط. «من الكرب العظيم»: من الطوفان أو أذى قومه. و الكرب: الغمّ الشديد.[٣]

[٧٧] «وَ نَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ».

«و نصرناه من القوم»؛ أي: منعناه منهم بالنصرة حتّى لم يصلوا إليه بسوء. و قيل: إنّ من بمعنى على. عن أبي‌عبيدة. و قيل: إنّ نصر هنا مطاوع انتصر. أي: جعلناه منتصراً. «فأغرقناهم أجمعين» لاجتماع الأمرين: تكذيب الحقّ، و الانهماك في الشرّ.[٤]

«نوحاً». اسم نوح عبدالجبّار. و قيل: عبدالغفّار. و سمّي نوحاً لكثرة نياحته على قومه لمّا هلكوا.[٥]

[٧٨] «وَ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ».

«و داوود»؛ أي: و اذكر داوود و سليمان وقت حكمهما «في الحرث»؛ أي: الزرع أو الكرم الذي تدلّت عناقيده. «إذ نفشت»؛ أي: تفرّقت في رعيه. قيل: كان كرماً بدت عناقيده. فحكم داوود بالغنم لصاحب الكرم. قال سليمان: غير هذا يا نبيّ‌الله. قال: و ما ذاك؟ قال: تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه [حتّى يعود كما كان. و يدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتّى إذا عاد الكرم] كما كان، دفع كلّ واحد منهما إلى صاحبه ماله. روي ذلك عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام. و قال الجبّائيّ: أوحى الله إلى سليمان ما نسخ به حكم داوود الذي كان يحكم به قبل. و لم‌يكن ذلك عن اجتهاد. لأنّه لايجوز للأنبياء أن يحكموا

١ـ نوح (٧١) / ٢٦. ٢ـ القمر (٥٤) / ١٠.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٩٠ ـ ٩١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٥.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٩١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٥. ٥ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣٢٨.

باجتهاد. و هذا هو الصحيح المعوّل عليه. و قال عليّ بن عيسى و البلخيّ: يجوز أن يكون باجتهاد. و هو مردود لقوله: «و ما ينطق عن الهوى»[۱].[۲]

«نفشت»؛ أي: رعت [بالليل] بلا راع.[۳]

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ الإمامة عهد من الله معهود لرجال مسمّين ليس للإمام أن يزويها عن الذي يكون من بعده. إنّ الله أوحى إلى داوود أن اتّخذ وصيّاً من أهلك. و كان لداوود ولد يحبّه لحبّ أمّه، فقالت أمّه لداوود: اجعل ابني وصيّاً. فقال: ذاك أريد. و كان السابق في علم الله سليمان. فلم يلبث داوود أن ورد عليه رجلان يختصمان في الكرم و الغنم. فأوحى الله إلى داوود أن اجمع ولدك، فمن قضى بهذه القضيّة فأصاب فهو وصيّك من بعدك. فجمع داوود ولده و قضى سليمان بأولاد الغنم و أصوافها ذلك العام. فأوحى الله إلى داوود أنّ القضى في هذه القضيّة ما قضى به سليمان. يا داوود، أردت أمراً و أردنا أمراً غيره. فدخل داوود على امرأته فقال: أردنا أمراً و أراد الله غيره. و لم يكن إلّا ما أراد الله.[٤]

[۷۹] «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَ كُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَ عِلْماً وَ سَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ وَ كُنَّا فَاعِلِينَ».

عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: كان في بني إسرائيل رجل له كرم و نفشت فيه غنم لرجل باللّيل فأفسدته. فجاء صاحب الكرم إلى داوود يستعدي على صاحب الغنم فقال داوود: اذهبا إلى سليمان ليحكم بينكما. فحكم سليمان بينهما بأن يدفع ولد الغنم إلى صاحب الكرم. وكان هذا حكم داوود، و إنّما أراد أن يعرّف بني إسرائيل أنّ سليمان وصيّه بعده. و لو اختلفا في الحكم لقال: «لحكمهما شاهدين».[٥] كذا في تفسير عليّ بن إبراهيم.

و في محاسن البرقيّ عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «إذ يحكمان في الحرث» قال: لم يحكما. إنّما

۱ـ النجم (۵۳) / ۳.
۲ـ مجمع البيان ۷ / ۹۱، و تفسير البيضاويّ ۲ / ۷۵.
۳ـ بحارالأنوار ۱٤ / ۱۳۱. (ذكره العلاّمة المجلسيّ في بيانه.)
٤ـ الكافي ۱ / ۲۷۸.
۵ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۷۳ ـ ۷٤.

كانا يتناظران. «ففهّمناها سليمان».[١] أقول: يتناظران انتظاراً للوحي.

و في الفقيه عن أبي الحسن عليه السلام في قوله: يحكمان في الحرث، قال: كان حكم داوود رقاب الغنم. و الذي فهّم الله سليمان أن يحكم لصاحب الحرث باللّبن و الصوف ذلك العام.[٢] أقول: هذا الخبر يمكن حمله على التقيّة.

و في التهذيب عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ ما حكم به داوود في رقاب الغنم، كان حكم الأنبياء قبله. و أوحى الله إلى سليمان: أيّ غنم نفشت في الزرع، فليس لصاحب الزرع إلّا ما خرج من بطونها؛ و كذلك جرت السنّة بعد سليمان. و هو قول الله: «و كلّاً آتينا حكماً و علماً». فحكم كلّ واحد منهما بحكم الله عزّوجلّ.[٣]

«ففهّمناها سليمان»؛ أي: علّمناه الحكومة في ذلك، فقضى بذلك و هو ابن إحدى عشرة سنة. و روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قضى بحفظ المواشي على أربابها ليلاً و قضى بحفظ الحرث على أربابه نهاراً.[٤] «و كلّاً آتينا»؛ أي: كلّ واحد من داوود و سليمان أعطيناه حكمة و نبوّة. «و سخّرنا مع داوود». قيل: معناه: سيّرنا مع داوود الجبال حيث سار، فعبّر عن ذلك بالتسبيح لما فيه من الآية العظيمة التي تدعو إلى تسبيح الله و تنزيهه. و كذلك تسخير الطير له تسبيح يدلّ على أنّ مسخّرها قادر على ما لايقدر عليه العباد. و قيل: إنّ الجبال كانت تجاوبه بالتسبيح و كذلك الطير تسبّح معه بالغداة و العشيّ معجزة له. «و كنّا فاعلين»؛ أي: قادرين على هذه الأشياء.[٥]

[٨٠] «وَ عَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ».

«لبوس لكم». اللّبوس اسم السلاح كلّه عند العرب درعاً كان أو جوشناً أو سيفاً أو رمحاً. و قيل: هو الدرع. أي: علّمناه كيف يصنع الدرع. قال قتادة: أوّل من صنع الدرع

١ـ المحاسن ١ / ٢٧٧.
٢ـ الفقيه ٣ / ٥٧، ح ٢.
٣ـ التهذيب ٧ / ٢٢٥.
٤ـ الكافي ٥ / ٣٠١ عن الصادق عليه السلام.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٩٢.

داوود. و إنّما كانت صفائح جعل الله سبحانه الحديد في يده كالعجين. فهو أوّل من سردها و حلّقها فجمعت الخفّة و التحصين. فهو قوله: «لتحصنكم من بأسكم»؛ أي: لتحرزكم و تمنعكم من وقوع السلاح فيكم. و قيل: «من بأسكم»؛ أي: من حربكم. فإنّ البأس في اللّغة هو شدّة القتال. «فهل أنتم شاكرون» لنعم الله عليكم و على أنبيائه قبلكم؟ و هذا تقرير للخلق على شكره. فإنّ إنعامه على الأنبياء إنعام على الخلق. و قيل: إنّ سبب إلانة الحديد لداوود أنّه كان نبيّاً ملكاً و كان يطوف في ولايته متنكّراً يتعرّف أحوال عمّاله. فاستقبله جبرئيل ذات يوم على صورة آدميّ و سلّم عليه. فردّ السلام و قال: ما سيرة داوود؟ فقال: نعمت السيرة لولا خصلة فيه. فقال: و ما هي؟ قال: إنّه يأكل من بيت مال المسلمين. فشكره و أثنى عليه و قال: لقد أقسم داوود أنّه لايأكل من بيت مال المسلمين. فعلم الله صدقه فألان له الحديد.[١]

«لتحصنكم». في قراءة ابن‌عامر و حفص بالتاء. و في قراءة أبي‌بكر بالنون. و الباقون: «ليحصنكم» بالياء.[٢]

[٨١] «وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَ كُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ».

«و لسليمان الريح»؛ أي: و سخّرنا لسليمان الريح. و «عاصفة» حال. أي: شديدة الهبوب. قال ابن‌عبّاس: إذا أراد أن يعصف الريح عصفت و إذا أراد أن ترخي أرخت. و ذلك قوله: «رخاء حيث أصاب».[٣] «بأمره»؛ أي: بأمر سليمان. «إلى الأرض التي باركنا». هي أرض الشام. لأنّها كانت مأواه. و قيل: كانت الريح تجري به في الغداة مسيرة شهر و في الرواح كذلك. و كان يسكن بعلبكّ و يبني له بيت المقدس و يحتاج إلى الخروج إليها و إلى غيرها. و كان يخرج إلى مجلسه فتعكف عليه الطير و يقوم له الإنس و الجنّ حتّى يجلس على سريره و

١ـ مجمع البيان ٧ / ٩٢.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٩٠.
٣ـ ص (٣٨) / ٣٦.

يجتمع مع جنوده ثمّ تحمله الريح إلى حيث أراد. «بكلّ شيء عالمين». فما أعطيناه إلّا ما كان فيه الحكمة و الصلاح.[١]

[٨٢] «وَ مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَ يَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذٰلِكَ وَ كُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ».

«من يغوصون له» في البحر فيخرجون الجواهر و اللّآلي. «دون ذلك»؛ أي: سوى ذلك، كبناء المدن و القصور و اختراع الصنائع الغريبة؛ لقوله: «يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل».[٢] «حافظين» أن يزيغوا عن أمره أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلّتهم.[٣] «لهم»؛ أي: للأنبياء.

[٨٣] «وَ أَيُّوبَ إِذْ نَادىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

«و أيّوب»؛ أي: اذكر أيّوب حين دعا ربّه لمّا امتدّت المحنة به أنّي نالني الضرّ.[٤]

[٨٤] «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَ آتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَ ذِكْرىٰ لِلْعَابِدِينَ».

«فكشفنا»؛ أي: أزلنا ما به من الأوجاع. «و مثلهم معهم». قال ابن‌عبّاس: ردّ الله أهله الذين أهلكوا بأعيانهم و أعطاه مثلهم معهم و كذلك أمواله و مواشيه. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. و قيل: إنّه خيّر أيّوب فاختار إحياء أهله في الآخرة و مثلهم في الدنيا، فأوتي على ما اختار. و كان له سبع بنات و ثلاثة بنين. «رحمة من عندنا»؛ أي: نعمة منّا عليه. «و ذكرى للعابدين»؛ أي: موعظة لهم في الصبر. لأنّه لم يكن في عصر أيّوب أكرم على الله منه فابتلاه الله بالمحن العظيمة فأحسن الصبر عليها فينبغي الاقتداء به.[٥]

١ـ مجمع البيان ٧ / ٩٣ ـ ٩٤.
٢ـ سبأ (٣٤) / ١٣.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٩٤، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٦.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٩٤.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٩٤.

[٨٥] «وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَ ذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ».

«و إسماعيل»؛ أي: و اذكر هؤلاء الأنبياء وما أنعمت عليهم. «من الصابرين». صبروا على البلاء. فأمّا إسماعيل، فإنّه صبر ببلد غير ذي زرع و قام ببناء الكعبة. و أمّا إدريس، فإنّه صبر على الدعاء إلى الله. و كان أوّل من بعث إلى قومه فأبوا فأهلكهم الله و رفعه إلى السماء. و أمّا ذوالكفل، فقيل: هو إلياس. و قيل: كان نبيّاً سمّي ذا الكفل بمعنى أنّه ذو الضعف فله ضعف ثواب غيره ممّن هو في زمانه لشرف عمله. و عن أبي جعفر عليه السلام: انّه نبيّ مرسل و كان بعد سليمان. و كان يقضي بين الناس كما يقضي داوود. و كان اسمه عدويا بن ادارين.[١]

«ذاالكفل». هو بشر بن أيّوب.

[٨٦] «وَ أَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ».

[٨٧] «وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ».

«و ذا النون»؛ أي: اذكر ذا النون. و النون: الحوت. و صاحبها يونس بن متّى حين «ذهب مغاضباً» لقومه من حيث إنّه دعاهم إلى الايمان فلم يؤمنوا حتّى أوعدهم الله بالعذاب. فخرج من بينهم مغاضباً لهم، قبل أن يؤذن له. «أن لن نقدر عليه»: أن لن نضيّق عليه. و قد ضيّق الله عليه الطريق حتّى ألجأه إلى ركوب البحر ثمّ قذف فيه فابتلعه الحوت. «في الظلمات»: ظلمة اللّيل، و ظلمة بطن الحوت، و ظلمة البحر. [إنّي كنت من الظالمين».] قاله على سبيل الخشوع. لأنّ جنس البشر لايمتنع منه وقوع الظلم. قيل: لم يكن يونس في بطن الحوت على جهة العقوبة، بل على وجه التأديب.[٢]

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «إذ ذهب مغاضباً» قال: من أعمال قومه. «أن لن نقدر

١ـ مجمع البيان ٧ / ٩٤ ـ ٩٥.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٩٦.

عليه». قال: ظنّ أن لن يعاقب على ما صنع.(١)

سئل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: «فظنّ أن لن نقدر عليه»: ما كان سببه حتّى ظنّ ذلك؟ قال: وكله إلى نفسه طرفة عين.(٢)

و قال عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أمّ سلمة ففقدته من الفراش. فقامت تطلبه. فوجدته في جانب من البيت قائماً رافعاً يديه يبكي و يقول: اللّهمّ لاتكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً. فانصرفت إلى موضعها تبكي. و انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله لبكائها و قال: ما يبكيك يا أمّ سلمة؟ قالت: كيف لا أبكي و قد رأيتك و أنت بالمكان الذي أنت به من الله و تسأل أن لايكلك إلى نفسك طرفة عين أبداً؟ فقال: يا أمّ سلمة، و ما يؤمنني؟ و إنّما وكل الله يونس إلى نفسه طرفة عين، فكان منه ما كان.(٣)

«نقدر». يعقوب: «يقدر» بضمّ الياء.(٤)

[٨٨] «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَ كَذٰلِكَ نُنْجِي الْمُـؤْمِنِينَ».

«من الغمّ»؛ أي: بطن الحوت.(٥)

[قرئ:] «نُجّي المؤمنين» بنون واحدة و تشديد الجيم.(٦) أصله: ننجي، فحذفت النون الثانية.(٧)

[٨٩] «وَ زَكَرِيَّا إِذْ نَادىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ».

«و زكريّا»؛ أي: و اذكر زكريّا إذ دعا ربّه. «فرداً»؛ أي: بغير وارث. «خير الوارثين». هذا ثناء على الله بأنّه الباقي بعد فناء خلقه. عن الحارث قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ليس لي ولد. فقال: ادع و أنت ساجد: ربّ هب لي من لدنك ذرّيّة طيّبة؛ إنّك سميع الدعاء.(٨) ربّ

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٧٥.
٢ـ تفسيرالقمّيّ ٢ / ٧٤.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٧٥.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٩٥.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٩٧.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٩٦.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٧.
٨ـ آل عمران (٣) / ٣٨.

لاتذرني فرداً و أنت خير الوارثين. قال: فقلت ، فولد لي عليّ و الحسين.[١]

روي أنّه لمّا بارز عليّ عَمراً، رفع النبيّ صلى الله عليه و آله يديه فقال: اللّهمّ أخذت منّي عبيدة بن الحارث يوم بدر. و أخذت منّي الحمزة يوم أحد. و هذا عليّ. «فلاتذرني فرداً و أنت خير الوارثين».[٢]

[٩٠] «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ وَهَبْنَا لَهُ يَحْيىٰ وَ أَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ يَدْعُونَنَا رَغَباً وَ رَهَباً وَ كَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ».

«و أصلحنا له زوجه» بأن كانت عقيمة فجعلناها ولوداً، أو هرمة فصارت شابّة، أو سيّئة الخلق فصارت حسنة الخلق. «إنّهم»؛ يعني: زكريّا و زوجته و يحيى. و قيل: الأنبياء الذين تقدّم ذكرهم. «يسارعون»؛ أي: يبادرون «في الخيرات»؛ أي: إلى الطاعات. «رغباً و رهباً»؛ أي: للرغبة في الثواب و الرهبة من العقاب. و قيل: رغباً ببطون الأكفّ و رهباً بظهورها. «لنا خاشعين»؛ أي: متواضعين. و قيل: الخشوع: المخافة الثابتة في القلب.[٣] و المعنى: انّهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصلة.[٤]

[٩١] «وَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَ جَعَلْنَاهَا وَ ابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ».

«و التي»؛ أي: اذكر مريم التي «أحصنت»؛ أي: حفظت «فرجها» من الحلال والحرام. «فنفخنا فيها من روحنا»؛ أي: أجرينا فيها روح المسيح كما يجري الهوى بالنفخ. و أضاف الروح إلى نفسه على وجه الملك تشريفاً له في الاختصاص بالذكر. و قيل: معناه: أمرنا جبرئيل فنفخ في جيب درعها فخلقنا المسيح في رحمها. «آية للعالمين». لأنّها جاءت من غير فحل و تكلّم في المهد بما يوجب براءة ساحتها من العيب.[٥]

١ـ مجمع البيان ٧ / ٩٧.
٢ـ تأويل الآيات ١ / ٣٢٩، ح ١٣.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٩٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٨.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٩٨ ـ ٩٩.

[٩٢] «إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ».

«إنّ هذه أمّتكم أمّة واحدة»؛ أي: هذا دينكم. و هو دين الإسلام و التوحيد. و أصل الأمّة الجماعة التي لها مقصد واحد. فجعلت الشريعة أمّة لاجتماعهم [بها] على مقصد واحد. و قيل: معناه: هؤلاء الذين تقدّم ذكرهم من الأنبياء فريقكم الذي يلزمكم الاقتداء بهم في حال اجتماعهم على الحقّ. كما يقال: هؤلاء أمّتنا؛ أي: فريقنا و موافقونا على مذهبنا.(١)

[٩٣] «وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ».

«و تقطّعوا». ذكر اليهود و النصارى بالاختلاف فقال: «و تقطّعوا أمرهم»؛ أي: فرّقوا دينهم فيما بينهم يلعن بعضهم بعضاً. و التقطّع هنا بمنزلة التقطيع. «كلّ»؛ أي: كلّ ما اجتمع و افترق «إلينا»؛ أي: إلى حكمنا «راجعون» يوم القيامة.(٢)

[٩٤] «فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَ إِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ».

«فلا كفران لسعيه»؛ أي: فلا جحود لإحسانه في عمله، بل يشكر و يثاب عليه. «كاتبون» ؛ أي: نأمر ملائكتنا أن يكتبوا ذلك. أو: ضامنون جزاءه.(٣)

[٩٥] «وَ حَرَامٌ عَلىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ».

«و حرام على قرية» ـ الآية. فيه وجوه: أحدها أنّ لا مزيدة. أي: حرام على قرية مهلكة بالعقوبة أن يرجعوا إلى دار الدنيا. و قيل: يريد: حتم منّي و المراد أنّ الله كتب [على] من هلك أن لا يرجع إلى الدنيا. و في ذلك تخويف لكفّار مكّة بأنّهم إذا عذّبوا و أهلكوا، لم يرجعوا إلى الدنيا كغيرهم من الأمم المهلكة. و ثانيها أنّ معناه: حرام على قرية وجدناها

١ـ مجمع البيان ٧ / ٩٩.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٩٩.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٩٩.

هالكة بالذنوب أن يتقبّل منهم عمل، لأنّهم لايرجعون إلى التوبة. و ثالثها أنّ معناه: حرام ألّا يرجعوا بعد المماة بل يرجعوا أحياء للمجازاة. و عن أبي جعفر عليه السلام: كلّ قرية أهلكها الله بعذاب فإنّهم لايرجعون. حمزة و الكسائيّ و أبوبكر: «و حرم» بالكسر بغير ألف. و هو لغة في الحرام.(١)

«حرام على قرية». عن أبي جعفر عليه السلام و أبي عبدالله عليه السلام: كلّ قرية أهلكها الله بالعذاب، لايرجع أهلها في الرجعة. و هذه الآية من أقوى الدلائل على الرجعة. فإنّه لاينكر أحد من أهل الإسلام أنّ الناس كلّهم يرجعون في القيامة من هلك و من لم يهلك. فقوله: «لايرجعون» يعني في الرجعة. فأمّا في القيامة فيرجعون حتّى يدخلوا النار.(٢)

[٩٦] «حَتّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ».

«حتّى». متعلّق بحرام أو بلايرجعون. أي: يستمرّ الامتناع أو عدم الرجوع إلى قيام الساعة و ظهور أماراتها و هو فتح سدّ يأجوج و مأجوج. و هي حتّى التي يحكى الكلام بعدها و المحكيّ هو الجملة الشرطيّة.(٣)

لمّا تقدّم أنّهم لايرجعون إلى الدنيا، وعدهم بالرجوع إلى الآخرة و بيّن علامة ذلك فقال: «حتّى إذا فتحت يأجوج»؛ أي: إذا فتحت جهتهم. و المعنى: انفرج سدّهم. و ذلك من أشراط الساعة. «حدب». و هو ما ارتفع من الأرض. يعني أنّهم يتفرّقون في الأرض فلايرى أكمة [إلّا] و قوم [منهم] يهبطون منها مسرعين. و قيل: إنّ قوله: «هم» كناية عن الخلق يخرجون من قبورهم إلى الحشر. و في قراءة مجاهد: «من كلّ جدث» و هو القبر.(٤)

[٩٧] «وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ».

١ـ مجمع البيان ٧ / ٩٩ و ٩٨.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٧٥ ـ ٧٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٩.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٠١ ـ ١٠٢.

«و اقترب الوعد الحقّ»؛ أي: الموعود الصدق. أي: اقترب قيام الساعة. «فـإذا هـي شاخصة»؛ أي: القصّة أنّ أبصار الكافرين تشخص في ذلك اليوم لاتكاد تطرف من شدّة هول ذلك اليوم ينظرون إلى تلك الأهوال. «قد كنّا في غـفلة مـن هـذا» بأشـغال الدنـيا فلم‌نتفكّر به. «بل كنّا ظالمين» بعبادتنا غير الله.(١)

[٩٨] «إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ».

«و ما تعبدون». يعني الأوثان. «حصب جهنّم»؛ أي: وقودها. و أمّا عيسى و العزير و الملائكة فيخرجون من ظاهر الآية بلفظة ما. لأنّ ما لما لايعقل، و لأنّ الخطاب لأهل مكّة و إنّما كانوا يعبدون الأصنام. و أمّا فائدة دخول الأصنام النار، فليعذّب بها المشركون الذين عبدوها فيكون زيادة في حسرتهم. و قيل: إنّ المراد بقوله: «و ما تعبدون مـن دون الله» الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة غير الله فأطاعوهم فكأنّهم عبدوهم. كما قال: «يا أبت لاتعبد الشيطان».(٢) «أنتم لها واردون»؛ أي: في جهنّم داخلون.(٣)

«حصب». قراءة عليّ عليه السلام: «حطب» بالطاء.(٤)

«إنّكم و ما تعبدون». لمّا نزلت هذه الآية، قال ابن الزبعرى: أليست اليهود عبدوا عزيراً و النصارى المسيح و بنومليح الملائكة؟ فقال صلى الله عليه و آله: بل هم عبدوا الشـياطين التي أمـرتهم بذلك.(٥)

[٩٩] «لَوْ كَانَ هٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَ كُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ».

«لو كان هؤلاء» الأصنام والشياطين «آلهة» كما تزعمون، ما دخلوا النار. «و كلّ» من العابد و المعبود خالدون في النار.(٦)

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٠٢.
٢ـ مريم (١٩) / ٤٤.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٠٢.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٠٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٩، و الكشّاف ٣ / ١٣٦.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ١٠٢.

[١٠٠] «لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ هُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ».

«زفير»؛ أي: صوت كصوت الحمار. و هو شدّة تنفّسهم في النار عند إحراقها لهم. «لايسمعون» ما ينتفعون به و إنّما يسمعون صوت المعذّبين و صوت الملائكة الذين يعذّبونهم. و قيل: يجعلون في توابيت من نار فلايسمعون شيئاً و لايرى أحد منهم أنّ في النار أحداً يعذّب غيره. و عن ابن مسعود: لمّا نزلت هذه الآية، جاء عبدالله بن الزبعرى إلى رسول الله فقال: يا محمّد، ألست تزعم أنّ عزيراً رجل صالح و كذلك عيسى و مريم؟ قال: بلى. [قال:] فإنّ هؤلاء يعبدون من دون الله فهم في النار! فأنزل الله: «إنّ الذين سبقت منّا» ـ الآية.(١)

[١٠١] «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنىٰ أُولٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ».

عن أبي عبدالله عليه السلام: «إنّ الذين سبقت» ـ الآية ـ نزلت في شيعة عليّ عليه السلام؛ آمنون في ظلّ العرش يفزع الخلائق و لايفزعون.(٢)

«إنّ الذين سبقت لهم منّا الحسنى». يعني عزيراً و المسيح و الملائكة. و على هذا يعمّ الخطاب و يكون ما إمّا بمعنى من أو بما يعمّه. فإن قلت: لم قرنوا بآلهتهم؟ قلت: لأنّهم لايزالون لمقارنتهم في زيادة غمّ حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم و النظر إلى وجه العدوّ باب من العذاب. و لأنّهم قدّروا أنّهم يستشفعون بهم في الآخرة فإذا صادفوا الأمر على عكس ما قدّروا، لم يكن شيء أبغض إليهم منهم.(٣)

«الحسنى»؛ أي: الموعدة بالجنّة.(٤)

«إنّ الذين سبقت». الآية ناسخة لقوله: «و إن منكم إلّا واردها»(٥).(٦)

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٠٢.

٢ـ تأويل الآيات ١ / ٣٣١، ح ١٨.

٣ـ الكشّاف ٣ / ١٣٦، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٧٩.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٠٢.

٥ـ مريم (١٩) / ٧١.

٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٧٧.

[١٠٢] «لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَ هُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ».

«حسيسها»؛ أي: صوتها التي يحسّ. «اشتهت أنفسهم» من نعيم الجنّة. قيل: الذين سبقت لهم منّا الحسنى عزير و المسيح و الملائكة استثناهم من جملة ما يعبدون من دون الله. و قيل: إنّها عامّة في كلّ من سبقت له الموعدة بالسعادة.(١)

[١٠٣] «لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَ تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ».

«الفزع الأكبر»؛ أي: الخوف الأعظم، و هو عذاب الله، أو النفخة الأخيرة؛ لقوله: «و يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات و من في الأرض إلّا من شاء الله».(٢) و قيل: هو حين يذبح الموت على صورة كبش أملح و ينادى: يا أهل الجنّة، [خلود لا موت] و يا أهل النار، خلود لا موت. «و تتلقّاهم»؛ أي: تستقبلهم بالتهنية يقولون لهم: «هذا يومكم».(٣)

و قوله: «لايحزنهم الفزع الأكبر». عن أبي جعفر عليه السلام: انّ الله إذا أراد جمع الخلائق، أمر منادياً فاجتمع الجنّ و الإنس. ثمّ يأذن لسماء الدنيا فتنزل فتكون من وراء الناس. ثمّ يأذن للسماء الثانية فتنزل و هي ضعف الأوّل. فإذا رآها أهل سماء الدنيا قالوا: جاء ربّنا؟ فيقال: هو آت. ثمّ هكذا كلّ سماء تنزل وراء الأخرى و هي ضعف التي تليها. ثمّ ينزل الله في ظلّ من الغمام و الملائكة و قضي الأمر. ثمّ يأمر الله منادياً ينادي: «يا معشر الجنّ و الإنس إن استطعتم» ـ الآية.(٤) ثمّ بكى طويلاً. ثمّ قال: إنّ رسول الله و عليّاً عليهما السلام و شيعتهم على كثبان من المسك فوق منابر من نور لايفزعون.(٥)

[١٠٤] «يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٠٣.
٢ـ النمل (٢٧) / ٨٧.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٠٣.
٤ـ الرحمن (٥٥) / ٣٣.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٧٧.

عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ».

«يوم». مقدّر باذكر، أو ظرف للايحزنهم أو تتلقّاهم. و ذلك لأنّها نشرت مظلّة لبني آدم. «كطيّ السجلّ للكتب»؛ أي: طيّاً كطيّ الطومار لأجل الكتابة أو لما يكتب أو كتب فيه. و قيل: السجلّ ملك يطوي كتب الأعمال إذا رفعت إليه، أو كاتب كان لرسول الله ﷺ. «كما بدأنا أوّل خلق نعيده»؛ أي: نعيد ما خرقناه مبتدأ إعادة مثل بدئنا إيّاه في كونها إيجاداً عن العدم. و ما كافّة أو مصدريّة. «وعداً». مفعول مقدّر بفعله تأكيداً لنعيده. «علينا»؛ أي: علينا إنجازه.(١)

«نطوي». أبوجعفر: «تطوى» بالتاء و الضمّ «السماء» بالرفع. و أهل الكوفة غير أبي‌بكر: «للكتب» على الجمع. و الباقون: «للكتاب».(٢)

من قرأ: «للكتب» على الجمع، فمعناه: للمكتوبات. أي: لما يكتب فيها من المعاني الكثيره.(٣)

«السجلّ». اسم الملك الذي يطوي الكتب. و معنى يطويها هاهنا؛ أي: يفنيها فتتحوّل دخاناً و الأرض نيراناً.(٤)

[١٠٥] «وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ».

«في الزبور». هو كتاب داوود «من بعد الذكر»؛ أي: التوراة. و قيل: المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة، و بالذكر اللّوح المحفوظ. «أنّ الأرض»؛ يعني: أرض الجنّة. فهو مثل قوله: «الذين يرثون الفردوس».(٥) و قيل: هي الأرض المعروفة يرثها أمّة محمّد بالفتوح بعد إجلاء الكفّار. و قال أبوجعفر عليه السلام: هم أصحاب المهديّ عليه السلام في آخر الزمان.(٦)

عن أبي جعفر عليه السلام «أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون»: هم آل محمّد صلوات الله

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٠.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٠٤.
٣ـ الكشّاف ٣ / ١٣٧.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٧٧.
٥ـ المؤمنون (٢٣) / ١١.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٠، و مجمع البيان ٧ / ١٠٦.

عليهم. و قوله: «قوم عابدين» هم شيعتنا.(١) و الأرض أرض الجنّة.(٢)

[١٠٦] «إِنَّ فِي هٰذَا لَبَلَاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ».

«إنّ في هذا»؛ أي: في الذي أخبرناكم به ممّا توعّدنا به الكفّار من الخلود في النار و ما وعدنا به المؤمنين من الجنّة. و قيل: معناه: انّ في هذا القرآن و دلائله «لبلاغاً»؛ أي: كفاية و وصلة إلى البغية. و البلاغ: سبب الوصول إلى الحقّ. «لقوم عابدين»: أي مخلصين لله.(٣)

[١٠٧] «وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ».

«رحمة للعالمين»؛ أي: نعمة عليهم. [رحمة] للمؤمن في الدنيا و الآخرة، و رحمة للكافر بأن عوفي ممّا أصاب الأمم من المسخ و الخسف. عن ابن‌عبّاس. و قيل في كونه رحمة للكافرين: إنّه عرضه للإيمان و الثواب الدائم و هداه و إن لم‌يهتد؛ كمن قدّم الطعام إلى جائع فلم‌يأكل فإنّه منعم عليه و إن لم‌يقبل. و في الآية دلالة على بطلان قول أهل الجبر في أنّه ليس لله على الكافرين نعمة.(٤)

[١٠٨] «قُلْ إِنَّمَا يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

«مسلمون»؛ أي: منقادون مستسلمون بأن تتركوا عبادة غير الله. و قيل: معناه الأمر. أي: أسلموا.(٥)

[١٠٩] «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلىٰ سَوَاءٍ وَ إِنْ أَدْرِي أَ قَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ».

«آذنتكم»؛ أي: أعلمتكم بالحرب إيذاناً «على سواء»؛ أي: إعلاماً نستوي نحن و أنتم

١ـ تأويل الايات ١ / ٣٣٢، ح ١٩ و ٢٠.

٢ـ تأويل الايات ١ / ٣٣٢، ح ٢١، عن الكاظم عليه السلام.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٠٧.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٠٧.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٠٧.

في علمه لا أستبدّ به أنا دونكم لتتأهّبوا لما يراد بكم. و مثله قوله: «فانبذ إليهم على سواء».[١] و قيل: معناه: أعلمتكم بما يجب الإعلام على سواء في الإيذان لم أبيّن الحقّ لقوم دون قوم و لم أكفّه عن قوم دون قوم. و قيل: أعلمتكم أنّي على سواء؛ أي: عدل و استقامة رأي بالبرهان الواضح. «و إن أدري»؛ أي: و ما أدري «أقريب أم بعيد ما توعدون» من غلبة المسلمين أو من الحشر و يوم القيامة، لكنّه كائن لا محالة.[٢]

[١١٠] «إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَ يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ».

«يعلم الجهر من القول»: ما تجهرون به من الطعن في الإسلام و «ما تكتمون» من الأحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه.[٣]

[١١١] «وَ إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَ مَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ».

«و إن أدري»: و ما أدري لعلّ تأخير جزائكم استدراج لكم و زيادة في افتتانكم أو امتحان لكم لينظر كيف تعملون. «و متاع إلى حين»؛ أي: تتمتّعون إلى وقت انقضاء آجالكم.[٤]

[١١٢] « قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَ رَبُّنَا الرَّحْمٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ».

«احكم بالحقّ»: اقض بيننا و بين أهل مكّة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب و التشديد عليهم. و [قيل:] معناه: احكم بحكمك الحقّ و هو إظهار الحقّ على الباطل. «على ما تصفون» من كذبكم و باطلكم في قولكم: «هل هذا إلّا بشر مثلكم» و قولكم: «اتّخذ الرحمن ولداً». و قيل: معناه: المستعان على دفع ما تصفون.[٥]

«قال». حفص: «قال». و الباقون: «قل». و أبوجعفر: «ربُّ احكم». و يعقوب: «ربّي احكم».[٦]

١ـ الأنفال (٨) / ٥٨.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٠٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٨١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨١، و مجمع البيان ٧ / ١٠٨.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢/ ٨١، و مجمع البيان ٧/ ١٠٨.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ١٠٤.

٢٢.
سورة الحجّ

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة الحجّ في كلّ ثلاثة أيّام، لم تخرج سنته حتّى يخرج إلى بيت الله الحرام. و إن مات في سفره، دخل الجنّة.[١]

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، أعطي من الأجر بعدد من حجّ أو اعتمر.[٢]

الحجّ؛ من كتبها في رقّ غزال [و جعلها] في جنب مركب، أتته الرياح و لم يسلم. و من كتبها و رشّها في موضع وال أو قاض، لم يتهنّ بعيش فيه إلّا أن يخرج منه.[٣]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ».

نزلت الآيتان من أوّل السورة ليلاً في غزوة بني المصطلق ـ و هو حيّ من خزاعة ـ و الناس يسيرون. فنادى رسول الله صلى الله عليه وآله فحثّوا المطيّ حتّى لحقوه. فقرأها عليهم، فلم ير باكياً أكثر من تلك اللّيلة. فلمّا أصبحوا، لم يحطّوا السرج عن الدوابّ و لم يضربوا الخيام و الناس من بين باك و حزين متفكّر. فقال: أ تدرون [أيّ يوم] ذاك اليوم؟ [قالوا: الله و رسوله أعلم. قال:] ذاك يوم يقول الله لآدم: ابعث بعث النار [من ولدك]. فيقول آدم: من كم و كم؟ فيقول الله: من كلّ ألف تسعمائة و تسعة و تسعين إلى النار و واحد إلى الجنّة. فبكى المسلمون. فقال: أبشروا؛ ما أنتم في الناس إلّا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود. و إنّي

١ـ المصباح / ٥٨٦.
٢ـ المصباح / ٥٨٦.
٣ـ المصباح / ٦٠٨.

لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنّة و هم مائة و عشرون صفّاً ثمانون منها من أمّتي. «اتّقوا ربّكم»؛ أي: عذابه. «زلزلة الساعة»؛ أي: زلزلة الأرض يوم القيامة. لأنّها تقارن قيام الساعة و تكون معها. و قيل: إنّ هذه الزلزلة تكون قبل قيام الساعة لكنّها من أشراطها. «شيء عظيم»؛ أي: أمر هائل. و قيل: معناه: أنّ شدّة يوم القيامة أمر صعب.(١)

«شيء عظيم». قالت المعتزلة: في الآية دلالة على أنّ المعدوم شيء لأنّ الله سمّى زلزلة الساعة شيئاً مع أنّها معدومة. و أجابت الأشاعرة بأنّ المراد هو أنّها إذا وجدت كانت شيئاً عظيماً.(٢)

[٢] «يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارىٰ وَ مَا هُمْ بِسُكَارىٰ وَ لٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ».

«ترونها»؛ أي: الزلزلة أو الساعة. «تذهل»؛ أي: تشغل كلّ مرضعة عن ولدها وتنساه. «كلّ ذات حمل حملها». فيه دلالة على أنّ الزلزلة تكون في الدنيا. فإنّ الرضاع و وضع الحمل إنّما يتصوّر فيها. و من قال: المراد به يوم القيامة، قال: إنّه تهويل لأمر القيامة و تعظيم لما يكون فيها من الشدائد. أي: لو كان ثمّ مرضعة لذهلت، أو حامل لوضعت، و إن لم يكن هناك مرضعة و لا حامل. «سكارى» من شدّة الخوف. «و ما هم بسكارى» من الشراب. يعني أنّهم يضطربون اضطراب السكران. و قد بيّنه بقوله: «ولكنّ عذاب الله شديد».(٣)

«حملها». قال: [كلّ] امرأة تموت حاملاً تضع حملها يوم القيامة.(٤)

«سكارى». أهل الكوفة غير عاصم: «سكرى و ما هم بسكرى». و هو جمع كصرعى و جرحى.(٥)

فإن قيل: لم قيل: «مرضعة» دون مرضع؟ قلت: المرضعة هي التي في حال الإرضاع

١ـ مجمع البيان ٧ / ١١٢ ـ ١١٣.

٢ـ تفسير النيسابوريّ ١٧ / ٦٧.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١١٣.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٧٨.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ١١٠.

ملتقمة ثديها الصبيّ و المرضع التي من شأنها أن ترضع. فإذا ذهلت المرضعة، فالمرضع بالطريق الأولى.[١]

[٣] «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ».

«و من الناس». إخبار عن المشركين الذين يخاصمون في التوحيد. و قيل: المراد النضر بن الحارث. فإنّه كان كثير الجدال؛ يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأوّلين، و ينكر البعث، و يتّبع كلّ شيطان يغويه. و إن كان المراد النضر، فالمراد بالشيطان شياطين الإنس. لأنّه كان يأخذ من الأعاجم و اليهود ما يطعن به على المسلمين.[٢]

الشيطان المريد: العاتي. سمّي به لخلوّه عن كلّ خير.[٣]

[٤] «كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَ يَهْدِيهِ إِلىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ».

«كتب عليه أنّه من تولّاه فأنّه يضلّه». معناه: يتّبع كلّ شيطان كتب الله على ذلك الشيطان في اللّوح المحفوظ أنّه يضلّ من تولّاه. و قوله: «فأنّه يضلّه» خبر لمن أو جواب له. أي: فشأنه أنّه يضلّه. و قيل: معناه. كتب على الشيطان أنّ من تولّاه أضلّه الله. و قيل: معناه: كتب على المجادل بالباطل أنّ من اتّبعه و والاه فإنّه يضلّه عن الدين. و قرئ بكسر انّ في الموضعين على حكاية المكتوب أو إضمار القول. «و يهديه إلى عذاب السعير». أي بالحمل على مايؤدّي إليه.[٤]

«أنّه من تولّاه فأنّه يضلّه». قال صاحب الكشّاف: إنّ الأوّل فاعل كتب، و الثاني عطف عليه. و فيه نظر. لأنّ «من» يبقى بلا جواب إن جعلت شرطيّة أو بلا خبر إن جعلت موصولة. و الصحيح أنّ قوله: «فأنّه» مبتدأ أو خبر مبتدأ محذوف. و التقدير: من تولّاه،

١ـ الكشّاف ٣ / ١٤٢.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ١١٣.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ١٧ / ٦٨.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ١١١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٢ ـ ٨٣.

فشأنه أن يضلّه أو أن يضلّه ثابت. اللّهمّ إلّا إذا جعلت من موصوفة.[١]

[٥] «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّىٰ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَ تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ».

ثمّ ذكر سبحانه الحجّة في البعث ـ لأنّ أكثر الجدال كان فيه ـ فقال: يا أيّها الناس إن كنتم في شكّ من النشور، فالدليل على صحّته «إنّا خلقناكم»؛ أي: أصلكم و هو آدم، أو الأغذية التي يتكوّن منها المنيّ. و من قدر على أن يصيّر التراب بشراً سويّاً حيّاً في الابتداء، يقدر على أن يحيي العظام و يعيد الأموات. «من نطفة»؛ أي: خلق أولاده في أرحام الأمّهات. و هي الماء القليل يكون من الذكر و الأنثى. «من علقة». أي بأن تصير النطفة علقة و هي القطعة من الدم الجامد. «من مضغة»؛ أي: شبه قطعة من اللّحم ممضوغة. فإنّ معنى المضغة مقدار ما يمضغ من اللّحم. «مخلّقة»؛ أي: تامّة الخلق أو غير تامّة. أو: مصوّرة و غير مصوّرة. و هي ما كان سقطاً لاتخطيط فيه و لا تصوير. «لنبيّن لكم» بهذا التدريج قدرتنا و حكمتنا و أنّ ما قبل التغيّر و الفساد و التكوّن مرّة قبلها أخرى و أنّ من قدر على تغييره و تصويره أوّلاً قدر ثانياً. و حذف المفعول إيماء إلى أنّ أفعاله هذه يتبيّن فيها من قدرته و حكمته ما لايحيط به الذكر. «و نقرّ في الأرحام»؛ أي: نبقي في أرحام الأمّهات ما نشاء إلى وقت تمامه. «ثمّ نخرجكم» من بطون أمّهاتكم [«طفلاً»:] و أنتم أطفال. و الطفل بمعنى المصدر، فهو مثل رجال عدل. و قيل: أراد: ثمّ نخرج كلّ واحد منكم طفلاً. «أشدّكم». و هو حال اجتماع العقل و القوّة و تمام الخلق. و قيل: وقت الاحتلام. «من يتوفّى». أي قبل بلوغ الأشدّ. أي: يموت في

١ـ تفسير النيسابوريّ ١٧ / ٦٨.

حال صغره أو شبابه. «أرذل العمر»؛ أي: أسوأه، لأنّه لايرجو بعده صحّة و لا قوّة. و هو الهرم و الخرف. «لكيلايعلم»؛ أي: ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفوليّة من سخافة العقل و قلّة الفهم فينسى ما علمه [و] من عرفه. و إنّه استدلال ثان على إمكان البعث بما يعتري الإنسان في أسنانه من الأمور المختلفة و الأحوال المتضادّة. فإنّ من قدر على ذلك، قدر على نظائره.[١]

«لنبيّن لكم». غاية لقوله: «خلقناكم». أي: إنّما نقلناكم من حال إلى حال لنبيّن لكم بهذا التدريج قدرتنا.[٢]

«هامدة»؛ أي: يابسة من النبات. «الماء»؛ أي: المطر. «اهتزّت»؛ أي: تحرّكت بالنبات. «و ربت»؛ أي: زادت في النبات. أو: انتفخت لظهور نباتها. «زوج»؛ أي: صنف «بهيج»؛ أي: حسن الصورة و اللّون. و هذه دلالة ثالثة كرّرها الله في كتابه لظهورها و كونها مشاهدة.[٣]

[٦] «ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتىٰ وَ أَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«ذلك». إشارة إلى ما ذكر من خلق الإنسان في أطوار مختلفة و تحويله على أحوال متضادّة و إحياء الأرض بعد موتها. و هو مبتدأ خبره «بأنّ الله هو الحقّ»؛ أي: بسبب أنّه الثابت في نفسه الذي به يتحقّق الأشياء. أو: ليعلموا أنّ الله الذي يحقّ له العبادة دون غيره. «و أنّه يحيي الموتى»: [و أنّه يقدر على إحيائها] و إلّا لما أحيا النطفة و الأرض الميتة.[٤]

[٧] «وَ أَنَّ السّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَ أَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ».

«و» ليعلموا «أنّ الساعة»؛ أي: يوم القيامة «آتية» لا شكّ فيها «و أنّ الله» يحيي أهل القبور للجزاء.[٥]

١ـ مجمع البيان ٧ / ١١٣ ـ ١١٤، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٣.

٢ـ تفسير النيسابوريّ ١٧ / ٦٩.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١١٩، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٣.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٣.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ١١٥.

[٨] «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لَا هُدًى وَ لَا كِتَابٍ مُنِيرٍ».

«و من الناس». عن ابن‌عبّاس أنّه أبوجهل بن هشام. و قيل: كرّرت كما كرّرت سائر الأقاصيص. و قيل: الأوّل في المقلّدين بكسر اللّام و هذا في المقلّدين بفتحها. و قيل: المراد بالعلم العلم الضروريّ، و بالهدى الاستدلال و النظر لأنّه يهدي إلى المعرفة، و بالكتاب المنير الوحي. أي: يجادل بظنّ و تخمين لا بأحد هذه الثلاثة.[١]

«من يجادل». قال: نزلت في أبي‌جهل أخزاه الله.[٢]

«بغير علم و لا هدًى»؛ أي: لايرجع فيما يقوله إلى علم و لا دلالة «و لا كتاب منير»؛ أي: مضيء يؤدّي من تمسّك به إلى الحقّ. و المعنى أنّه لايتّبع أدلّة العقل و لا أدلّة السمع و إنّما يتّبع الهوى و التقليد.[٣]

[٩] «ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَ نُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ».

«ثاني عطفه»؛ أي: متكبّراً. و ثني العطف كناية عن التكبّر كليّ الجيد. أو: معرضاً عن الحقّ استخفافاً به. «ليضلّ عن سبيل الله». علّة للجدال. أي: ليضلّ الناس عن الدين. و من فتح الياء أراد ليضلّ هو عن طريق الحقّ. «في الدنيا خزي»؛ أي: هوان و ذلّة. و قيل: هو ما أصابهم يوم بدر. «عذاب الحريق»؛ أي: النار التي تحرقهم.[٤]

«ثاني عطفه». العطف: المنكب. و قال الجوهريّ: عطفا الرجل: جانباه من لدن رأسه إلى وركه. و فلان ثنى عطفه عنّي؛ أي: أعرض.[٥]

«ثاني عطفه» عن الحقّ «ليضلّ» عن الايمان.[٦]

١ـ الكشّاف ٣ / ١٤٦.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٧٩.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١١٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٤، ومجمع البيان ٧ / ١١٦.
٥ـ تفسير النيسابوريّ ١٧ / ٧١.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٧٩.

[١٠] «ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَ أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ».

«ذلك بما قدّمت يداك». على الالتفات و إرادة القول. أي يقال له يوم القيامة: ذلك الخزي و التعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر و المعاصي. «ليس بظلّام للعبيد». و إنّما هو مجاز على أعمالهم. و المبالغة لكثرة العبيد.(١)

[١١] «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ».

«من يعبد الله علىٰ حرف»؛ أي: على طرف من الدين لا ثبات له فيه. [أو على ضعف في العبادة] كضعف القائم على حرف جبل [أي] على طرفه. و ذلك من اضطرابه في طريق العلم. و قيل: الدين حرفان؛ أحدهما اللّسان، و الثاني القلب. فمن اعترف بلسانه وحده، فهو على حرف. «فإن أصابه خير»: عافية و خصب و كثرة مال، اطمأنّ على عبادة الله بذلك الخير. «و إن أصابته فتنة»؛ أي: اختبار بجدب و قلّة مال، «انقلب على وجهه»؛ أي: رجع إلى الكفر. «خسر الدنيا و الآخرة». الدنيا بفراقه، و الآخرة بنفاقه. و قيل: خسر في الدنيا العزّ و الغنيمة، و في الآخرة الثواب و الجنّة.(٢)

«و من الناس من يعبد الله على حرف»؛ أي: شكّ. عن أبي عبدالله عليه السلام: نزلت هذه الآية في قوم وحّدوا الله و خرجوا من الشرك و لم يعرفوا أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه و آله فهم يعبدون الله على شكّ في محمّد و ما جاء به فأتوا رسول الله فقالوا: ننظر إن كثرت أموالنا و عوفينا في أبداننا و أولادنا، علمنا أنّه صادق و أنّه رسول الله، و إن كان غير ذلك نظرنا. فأنزل الله: «فإن أصابه خير اطمأنّ به و إن أصابته فتنة انقلب على وجهه»؛ أي، انقلب مشركاً. ومنهم من عرف فدخل الإيمان في قلبه فهو مؤمن. ومنهم من يلبث على شكّه. و منهم من ينقلب

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٤.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٤ ، و مجمع البيان ٧ / ١١٩ ـ ١٢٠.

إلى الشرك.[١]

«و من الناس من يعبد الله». روي أنّها نزلت في أعاريب قدموا المدينة فكان أحدهم إذا صحّ بدنه ونتجت فرسه مهراً سريّاً و ولدت امرأته غلاماً سويّاً و كثر ماله و ماشيته قال: ما أصبت منذ دخلت في ديني إلّا خيراً، و اطمأنّ. و إذا كان الأمر بخلافه قال: ما أصبت إلّا شرّاً، و انقلب. و عن أبي‌سعيد أنّ يهوديّاً أسلم فأصابه مصائب فتشاءم بالإسلام، فأتى النبيّ ﷺ فقال: أقلني. فقال: إنّ الإسلام لايقال. فنزلت.[٢]

«خسر الدنيا والآخرة». المصاب بالمحنة، بترك التسليم لقضاء الله و الخروج إلى ما يسخط الله، جامع على نفسه محنتين؛ إحداهما ذهاب ما أصيب به، و الثانية ذهاب ثواب الصابرين. فهو خسران الدارين.[٣]

عن يعقوب: «خاسِرَ الدنيا والآخرةِ» بالجرّ. «خاسرَ» منصوب على الحال.[٤]

[١٢] «يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَ مَا لَا يَنْفَعُهُ ذٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ».

«يدعو من دون الله»؛ أي: يعبد جماداً لايضرّ بنفسه و لاينفع. «ذلك هو الضلال البعيد» عن المقصد. مستعار من ضلال من أبعد في التيه ضالّاً.[٥]

[١٣] «يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلىٰ وَ لَبِئْسَ الْعَشِيرُ».

«لمن ضرّه» بكونه معبوداً ـ لأنّه يوجب القتل في الدنيا و العذاب في الآخرة ـ «أقرب من نفعه» الذي يتوقّع بعبادته و هو الشفاعة و التوسّل إلى الله. و اللّام معلّقة ليدعو من حيث إنّه بمعنى يزعم و الزعم قول مع اعتقاد، أو داخلة على الجملة الواقعة مقولاً إجراء له مجرى القول. أي يقول الكافر ذلك بدعاء و صراخ حين يرى استضراره به. أو مستأنفه على

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٧٩.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٤.

٣ـ الكشّاف ٣ / ١٤٦ ـ ١٤٧.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١١٦.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٤.

أنّ يدعو تكرير للأوّل و من مبتدأ خبره «لبئس المولى»؛ أي: الناصر.[١]

«العشير»؛ أي: المعاشر المخالط. يعني الصنم يخالطه العابد و يصاحبه.[٢]

«يدعو لمن ضرّه» فإن قلت: الضرر و النفع منفيّان عن الأصنام مثبتان لها في الآيتين. و هذا تناقض. قلت: إذا حصل المعنى ذهب الوهم. و ذلك أنّ الله سفّه الكافر بأنّه يعبد جماداً لايضرّ و لاينفع و هو يعتقد فيه بجهله و ضلاله أنّه ينتفع به في الشفاعة، ثمّ قال: يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء و صراخ حين يرى استضراره بالأصنام و دخوله النار بعبادتها و لايرى أثر الشفاعة: «لمن ضرّه أقرب من نفعه».[٣]

[١٤] «إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ».

«يفعل ما يريد» بأهل طاعته من الكرامة و بأهل معصيته من الإهانة، لايمنعه مانع.[٤]

قالت الأشاعرة: في قوله: «يفعل مايريد» دليل على أنّ الله خالق الإيمان و فاعله. لأنّه يريد الإيمان من العبد بالاتّفاق. و أجاب الكعبيّ بأنّه يفعل ما يريده لا ما يريد أن يفعله غيره.[٥]

[١٥] «مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ».

«من كان يظنّ أن لن ينصره الله». كلام فيه اختصار. و المعنى: انّ الله ناصر رسوله في الدنيا و الآخرة. فمن كان يظنّ خلاف ذلك و يتوقّعه من غيظه، فليمدد بسبب إلى السماء؛ أي: ليستقصّ في إزالة غيظه أو جزعه بأن يفعل كلّ ما يفعله الممتلئ غضباً أو المبالغ جزعاً

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٤.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٢٠.
٣ـ الكشّاف ٣ / ١٤٧.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٢٠.
٥ـ تفسير النيسابوريّ ١٧ / ٧٣.

حتّى يمدّ حبلاً إلى سماء بيته؛ أي: سقفه.[١]

«من كان يظنّ» ـ الآية. عن أبي جعفر عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله وعدني أن ينصرني بعليّ بن أبي طالب عليه السلام. فاشتدّ ذلك على القوم أن خصّ عليه السلام بالنصرة و أغاظهم ذلك. فأنزل الله: «من كان يظنّ أن لن ينصره الله» محمّداً بعليّ عليه السلام «في الدنيا و الآخرة فليمدد بسبب إلى السماء». قال: ليضع حبلاً في عنقه إلى سماء بيته يمدّه حتّى يختنق فيموت فينظر هل يذهبنّ كيده غيظه.[٢]

«من كان يظنّ». الظنّ في كتاب الله ظنّ يقين و ظنّ شكّ. فهذا ظنّ شكّ. قال: من شكّ أنّ الله لن يثيبه في الدنيا و الآخرة، «فليمدد بسبب إلى السماء»؛ أي: يجعل بينه و بين الله دليلاً «ثمّ ليقطع»؛ أي: يميّز. «كيده»؛ أي: حيلته.[٣]

«ثمّ ليقطع»؛ أي: يختنق. من قطع، إذا اختنق. فإنّ المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه. يعني أنّ الله ناصر نبيّه و لاينفعه غيظه. و هو قوله: «فلينظر»؛ أي: فليصوّر في نفسه «هل يذهبنّ كيده»؛ أي: صنعه و حيلته. «ما يغيظ»؛ أي: غيظه. أو: الذي يغيظه من نصر الله. هذا قول أكثر المفسّرين. و قيل: معناه: فليطلب شيئاً يصل به إلى السماء المعروفة ثمّ ليقطع نصر الله و وحيه عن محمّد و ليزل بكيده ما يغيظ من نصرة الله له و نزول الوحي عليه. يعني لا سبيل له إلى ذلك فليتجرّع غيظه. و إنّما ذكر السماء لأنّ النصر يأتيه من جهتها. و قيل: إنّ الهاء عائدة إلى من. و النصر بمعنى الرزق. يقال: أرض منصورة؛ أي: ممطورة. و المعنى: انّ من ظنّ أنّ الله لايرزقه في الدنيا و الآخرة، فليختنق نفسه. يعني لايمكنه تكثير رزقه. أي كما لايقدر أن يزيد فيما رزقه الله بهذا النوع من الكيد، كذلك لايقدر عليه بسائر أنواع الكيد. و هذا مثل ضربه الله لهذا الجاهل الذي يسخط لما أعطاه الله. أي مثله مثل من فعل بنفسه هذا.[٤]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٥.
٢ـ تأويل الآيات ١ / ٣٣٤.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٨٠ ـ ٨١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٥، و مجمع البيان ٧ / ١٢٠ ـ ١٢١.

[١٦] «وَ كَذٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ أَنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ».

«و كذلك أنزلناه». بيّن سبحانه أنّه نزّل الآيات حجّة على الخلق فقال: «و كذلك»؛ أي: مثل ما تقدّم من آيات القرآن «أنزلناه»؛ يعني: القرآن «آيات بيّنات»؛ أي: حجج واضحات على التوحيد و العدل و الشرائع. «و أنّ الله»؛ أي: و أنزلنا إليك أنّ الله «يهدي» إلى الدين أو النبوّة أو الثواب «من يريد» هداه. أو: يثبّت على الهدى من يريد ثباته.[١]

[١٧] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هَادُوا وَ الصَّابِئِينَ وَ النَّصَارىٰ وَ الْمَجُوسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ».

«يفصل بينهم» بالحكومة بينهم و تميز المحقّ من المبطل أو الجزاء فيجازي كلّاً ما يليق به و يدخله المحلّ المعدّ له. و إنّما أدخلت إنّ على كلّ واحد من طرفي الجملة لمزيد التأكيد.[٢]

[١٨] «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبَالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَ مَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ».

«ألم تر»؛ أي: ألم تعلم يا محمّد. و المراد جملة المكلّفين. «من في السموات و من في الأرض» من العقلاء ويسجد له الشمس والقمر و ما بعده. وصف سبحانه هذه الأشياء بالسجود؛ و هو الخضوع و الذلّ و الانقياد لخالقها فيما يريده منها. «و كثير من الناس». يعني المؤمنين الذين يسجدون لله سجود طاعة. و انقطع ذكر الساجدين، ثمّ ابتدأ فقال: «و كثير حقّ عليه العذاب» أي ممّن أبى السجود. «و من يهن الله»؛ أي: يهنه الله بأن يشقيه و يدخله جهنّم، «فما له من مكرم» بالسعادة؛ أي: بإدخاله الجنّة. لأنّه لايملك العقوبة [و المثوبة] سواه.[٣]

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٢١ ـ ١٢٢، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٥.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٥.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٢٢.

اعلم أنّ أهل الأديان و أرباب الملل اتّفقوا على عذاب النار و ثواب الجنّة كما نطقت به الآيات و الأخبار. و أمّا حكماء الفلاسفة، فقد أطبقوا على نفيه. قال شارح المقاصد في تقرير مذهبهم في الجنّة و النار و الثواب و العقاب: أمّا القائلون بعالم المثل، فيقولون بالجنّة و النار و سائر ما ورد به الشرع من التفاصيل ولكن في عالم المثل لا من حيث المحسوسات المحضة على ما يقول به الإسلاميّون. و أمّا الأكثرون فيجعلون ذلك من قبيل اللّذّات و الآلام العقليّة. و ذلك أنّ النفوس البشريّة سواء جعلت أزليّة، كما هو رأي أفلاطون، أو لا، كما هو رأي أرسطو، فهي أبديّة عندهم لايفنى بخراب البدن بل تبق ملتذّة بكمالاتها مبتهجة بإدراكاتها، و ذلك سعاداتها و ثوابها و جنانها على اختلاف المراتب و بتفاوت الأحوال، أو متألّمة بفقد الكمالات و فساد الاعتقادات، و ذلك شقاوتها و عقابها و نيرانها على ما لها من اختلاف التفاصيل. و إنّما لم تتنبّه لذلك في هذا العالم لاستغراقها في تدبير البدن و انغماسها في كدورات عالم الطبيعة. فما ورد في لسان الشرع من تفاصيل الثواب و العقاب و ما يتعلّق بذلك في السمعيّات، فهي مجازات و عبارات عن تفاصيل أحوالها في السعادة و الشقاوة و اختلاف أحوالها في اللّذّات و الآلام و التدرّج فيما لها من دركات الشقاوة إلى درجات السعادة. فإنّ الشقاوة السرمديّة إنّما هي بالجهل المركّب الراسخ و الشرارة المضادّة للملكة الفاضلة لا الجهل البسيط و الأخلاق الخالية عن غايتي الفضل و الشرارة. فإنّ شقاوتها منقطعة بل ربما لاتقتضي الشقاوة أصلاً. ثمّ طوّل في تفصيل مقالاتهم. و هذا الاعتقاد بمراحل من الشرائع و كلام المرسلين و هم لها نافون. «و سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون».

[١٩] «هٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ».

«خصمان». الخصم يستوي فيه الواحد و الجمع و الذكر و الأنثى. قيل: نزلت في ستّة نفر من المؤمنين و الكفّار تبارزوا يوم بدر؛ و هم: عليّ و حمزة و عبيدة بن الحارث، و الكفّار

عتبة بن ربيعة قتله حمزة و الوليد بن عتبة قتله عليّ عليه السلام و شيبة بن ربيعة قتله عبيدة. عن أبي ذرّ الغفاريّ. و قيل: نزلت في أهل القرآن و أهل الكتاب. و قيل: في المؤمنين و الكافرين. «خصمان»؛ أي: جمعان اختصموا في دين ربّهم. فقال أهل الكتاب: نحن أولى بالله منكم. لأنّ ديننا قبل دينكم. و قال المسلمون: نحن أحقّ بالله؛ آمنّا بكتابنا و كتابكم و نبيّنا و نبيّكم. و قيل: معنى اختصموا اقتتلوا يوم بدر. «ثياب من نار». قيل: جعل لهم ثياب نحاس من نار و هي أشدّ ما يكون حرّاً. قيل: النار تحيط بهم كإحاطة الثياب. «الحميم»؛ أي: الماء المغليّ.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام «هذا خصمان» قال: نحن و بنو أميّة. قلنا: صدق الله و رسوله. و قالوا: كذب الله و رسوله. «كفروا». يعني بني أميّة. «ثياب من نار»؛ أي: يغشاهم من النار كالأثواب للإنسان، فتسترخي شفته [السفلى] حتّى تبلغ سرّته و تقلص شفته العليا حتّى تبلغ وسط رأسه.[٢]

«فالّذين كفروا». عن أبي جعفر عليه السلام: كفروا بولاية أميرالمؤمنين و الأئمّة عليهم السلام.[٣]

[٢٠] «يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَ الْجُلُودُ».

«يصهر به»؛ أي: يذاب به «ما في بطونهم» من الأمعاء[٤] «و الجلود».[٥]

[٢١ - ٢٢] «وَ لَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ».

و المقامع: الأعمدة.[٦]

«مقامع من حديد» لو اجتمع الثقلان ما أقلّوا مقمعاً من الأرض. و [قال الحسن:] النار ترميهم بلهبها حتّى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً. فإذا انتهوا إلى

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٢٣ ـ ١٢٤.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٨٠.
٣ـ تأويل الآيات ١ / ٣٣٤، ح ٤.
٤ـ في النسخة زيادة: «تساقط».
٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٢٤.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٨٠.

أسفلها، ضربهم زفير لهبها فلايستقرّون ساعة. و ذلك قوله: «كـلّما أرادوا أن يخـرجـوا» ـ الآية ـ أي: يردّوا إليها بالمقامع و يقال لهم: ذوقوا عذاب النار. هذا لأحد الخصمين. و أمّا الخصم الآخر المؤمنون، فهو قوله: «إنّ الله يدخل الذين آمنوا» ـ الآية.[١]

[٢٣] «إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ».

«إنّ الله يدخل» ـ الآية. غيّر الأسلوب فيه و أسند الإدخال إلى الله و أكّده بإنّ، تعظيماً لشأن المؤمنين. «يحلّون فيها». من حلّيت المرأة، إذا ألبستها الحليّ. «و لؤلؤ» بالجرّ عطف على «أساور» لا على «ذهب» لأنّه لم يعهد السوار منه إلّا أن يراد المرصّعة به. و نصبه عـاصم للعطف على محلّها أو إضمار الناصب مثل يؤتون.[٢]

«لؤلؤاً». أهل المدينة و عاصم: «لؤلؤاً» بالنصب. و الباقون بالجرّ. و ترك أبوجعفر الهمزة الأولى في جميع القرآن.[٣]

[٢٤] «وَ هُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَ هُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ».

«إلى الطيّب من القول»: التوحيد و الإخلاص. «صراط الحميد»: الولاية.[٤]

«و هدوا إلى الطيّب»؛ أي: أرشدوا في الجنّة إلى التحيّات الحسنة يحيّي بعضهم بعضاً و يحيّيهم الله و ملائكته بها. و قيل: أرشدوا إلى شهادة أن لا إله إلّا الله و الحمد لله. «صراط الحميد»: المحمود. و هو الله و صراطه الإسلام و طريق الجنّة.[٥]

و قوله: «و هدوا إلى الطيّب من القول» قال: إلى ولاية أميرالمؤمنين. و هم حمزة و جعفر و عبيدة و سلمان و أبوذرّ و المقداد و عمّار.[٦]

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٢٤.
٢ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ٨٦.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٢٣.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٨٣.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٢٥ ، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٧.
٦ـ تأويل الآيات ١ / ٣٣٤، ح ٥.

[٢٥] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَ الْبَادِ وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ».

«كفروا و يصدّون»؛ أي: صدّوا. أو: كفروا فيما مضى و يصدّون الآن عن طاعة الله. «جعلناه للناس». أي مستقرّاً و متعبّداً. أو: خلقناه لكلّ الناس لم نخصّ به بعضاً دون بعض. قال الزجّاج: الوقف على «للناس» وقف تامّ. و العاكف: المقيم. و البادي: الطاري. أي: إنّهما مستويان في سكناه غير أنّه لايخرج أحد من بيته. فلذا قيل: إنّ كراء دور مكّة و بيعها حرام. و المراد بالمسجد على هذا الحرم. و قيل: المراد عين المسجد. لأنّ المشركين كانوا يمنعون المسلمين من الصلاة و الطواف فيه و يقولون نحن أربابه. «بإلحاد». قيل: هو الشرك. و قيل: استحلال الحرام. و قيل: كلّ ذنب حتّى شتم الخادم. و قيل: هو دخول مكّة بغير إحرام. و قيل: إنّ الآية نزلت في الذين صدّوا رسول الله صلى الله عليه وآله من مكّة عام الحديبيّة. «سواء». حفص عن عاصم بالنصب. و الباقون بالرفع.(١)

«سواء» بالرفع خبر مقدّم و الجملة مفعول ثان لجعلناه. و نصبه [حفص] على أنّه المفعول و العاكف مرتفع به.(٢)

«بإلحاد». عن أبي عبدالله عليه السلام: نزلت فيمن ألحد بأميرالمؤمنين عليه السلام.(٣)

[٢٦] «وَ إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَ طَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْقَائِمِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ».

«بوّأنا». فإن قلت: كيف يكون النهي عن الشرك و الأمر بتطهير البيت تفسيراً للتبوئة؟ قلت: كانت التبوئة مقصودة من أجل العبادة، فكأنّه قال: تعبّدنا إبراهيم قلنا له: لاتشرك بي شيئاً.(٤)

«و إذ بوّأنا»؛ أي: اذكر ـ يا محمّد ـ إذ وطّأنا لإبراهيم مكان البيت و عرّفناه ذلك بما

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٢٧ ـ ١٢٨ و ١٢٦.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٧.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٨٣.
٤ـ الكشّاف ٣ / ١٥٢.

جعلنا له من العلامة. و ذلك أنّ الله لمّا أمره ببناء الكعبة، لم يدر أين يبني، فبعث الله ريحاً يقال لها الحجوج[١] فكنست ما حول الكعبة عن الأساس الأوّل الذي كان البيت عليه قبل أيّام الطوفان. و قيل: المعنى: جعلنا البيت مثواه و مسكنه. «ألّاتشرك بي شيئاً»؛ أي: أوحينا إليه ألّاتعبد غيري. كأنّه قال: وحّدني في هذا البيت. لأنّ معنى لاتشرك بي وحّدني. «و طهّر بيتي» من الشرك و عبادة الأوثان. و المراد بالقائمين المقيمين بمكّة. و قيل: القائمين في الصلاة.[٢]

[٢٧] «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَ عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ».

«و أذّن في‌الناس»: و أعلمهم بوجوب الحجّ. و هو خطاب لإبراهيم، فإنّه قام في المقام فنادى: يا أيّها الناس، إنّ الله دعاكم إلى الحجّ. فأجابوا: لبّيك اللّهمّ لبّيك. فأسمع الله صوت إبراهيم كلّ من سبق في علم الله أنّه يحجّ إلى يوم القيامة. و أوّل ما أجابه أهل اليمن. و قيل: المخاطب به محمّد صلى الله عليه و آله. فأذّن في حجّة الوداع؛ أي: أعلمهم بوجوب الحجّ. «يأتوك رجالاً»؛ أي: مشاة على أرجلهم. «كلّ ضامر»؛ أي: ركباناً على الإبل. و لايدخل بعير و لا غيره الحرم إلّا و قد هزل. «فجّ عميق»؛ أي: طريق بعيد. عن ابن‌عبّاس: «رجّالاً» بالتشديد و الضمّ. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام.[٣]

«ضامر». [الضامر]: البعير المهزول.

[٢٨] «لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ».

«منافع»: تجارات الدنيا و ثواب الآخرة. و قيل: منافع الآخرة. و هو المرويّ عن

١ـ المصدر: فبعث الله ريحاً خجوجاً.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٢٨.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٢٨ ـ ١٢٩ و ١٢٦.

الباقرعليه السلام. و المعنى: ليحضروا ما ندبهم الله إليه و هو ما فيه نفع الآخرة. «و يذكروا اسم الله في أيّام معلومات». قيل: هي أيّام العشر من ذي الحجّة. و قيل: أيّام التشريق يوم النحر. «على ما رزقهم من بهيمة الأنعام»؛ أي: على ذبح و نحر ما رزقهم من الأنعام الثلاثة. و هذه الأيّام تختصّ بذلك. و قيل: إنّ الذكر هو التكبير بمنى [عقيب] خمس عشرة صلاة أوّلها صلاة الظهر. و البهيمة أصلها من الإبهام، لأنّها لاتفصح كما يفصح الحيوان الناطق. و الأنعام مشتقّ من النعمة و هو اللّين. سمّيت بذلك للين خفافها.[١]

«فكلوا منها»؛ أي: من بهيمة الأنعام. و هذا إباحة و ندب و ليس بواجب، إزاحة لما عليه الجاهليّة من التحرّج فيه. و البائس: الذي ظهر عليه آثار البؤس من الجوع و العرى. و قيل: البائس: الذي يمدّ يده للسؤال.[٢]

[٢٩] «ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَ لْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ».

«ليقضوا تفثهم»؛ أي: ليزيلوا وسخ الإحرام من تقليم الأظفار و أخذ الشعر. و قيل: هو الخروج من الإحرام إلى الإحلال. «و ليوفوا نذورهم» نحو ما نذروا من البدن و أعمال البرّ في أيّام الحجّ. و إن كان على الرجل نذور، فالأفضل أن يفي بها. «و ليطّوّفوا». يعني طواف الزيارة. لأنّه من أركان الحجّ. و روى أصحابنا أنّ المراد به طواف النساء. «العتيق». لأنّه أعتق من أن تصل الجبابرة إلى تخريبه. و أمّا الحجّاج، فإنّه قصد إخراج ابن الزبير منه دون التسلّط عليه. أو لأنّه أعتق من الطوفان. أو لأنّه قديم بناه آدم ثمّ جدّده إبراهيم.[٣]

[٣٠] «ذٰلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ أُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ».

«ذلك». قيل: هاهنا وقف. أي: هكذا أمر الحجّ و المناسك. و هو و أمثاله يطلق للفصل

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٣٠.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٣٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٨.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٣٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٨.

بين كلامين. «حرمات الله». و هو ما يجب القيام به. و اختار أكثر المفسّرين في معنى الحرمات هنا أنّها المناسك لدلالة ما يتّصل بها من الآيات على ذلك. «فهو خير له»؛ أي: التعظيم خير له في الآخرة. «إلّا ما يتلى عليكم». يعني في سورة المائدة من الميتة و المنخنقة و الموقوذة و نحوها «من الأوثان». من هنا للبيان. أي: الرجس الذي هو الأوثان. و روى أصحابنا أنّ اللّعب بالشطرنج و النرد و سائر أنواع القمار من ذلك. و قيل: إنّهم كانوا يلطخون الأوثان بدماء قرابينهم فسمّي ذلك رجساً. «قول الزور»؛ يعني: الكذب. و روى أصحابنا أنّه يدخل فيه الغناء و سائر الأقوال الملهية. و الزور من الزَّور ـ بالفتح ـ و هو الانحراف.[١]

[٣١] «حُنَفَاءَ لِلّٰهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ».

«حنفاء لله غير مشركين»؛ أي: مستقيمي الطريقة على ما أمر الله. و هي نصب على حال. أي: حجّاجاً مخلصين لا يشركون في تلبية الحجّ به أحداً. «خرّ من السماء»؛ أي: سقط منها. «فتخطفه الطير»؛ أي: تأخذه بسرعة. يريد: تخطف لحمه. قال الزجّاج: معناه: بعد من أشرك به من الحقّ كبعد من خرّ من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح. و قال غيره: شبّه حال المشركين بحال الهاوي من السماء في أنّه لا يملك لنفسه حيلة فهو هالك لا محالة. «أو تهوي». يجوز أن يكون أو للتخيير؛ كما في قوله: «أو كصيّب»[٢] أو للتنويع، فإنّ من المشركين من لا خلاص له أصلاً و منهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد.[٣]

«فكأنّما خرّ». يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركّب والمفرّق. فإن كان تشبيهاً مركبّاً، فكأنّه قال: من أشرك بالله، فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده [نهاية] بأن صوّر حاله بصورة حال من خرّ من السماء فاختطفه الطير فتفرّق مزعاً في حواصلها أو عصفت به الريح حتّى هوت به في بعض المطاوح البعيدة. و إن كان مفرّقاً، فقد شبّه الايمان في علوّه

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٣٠ ـ ١٣١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٨.

٢ـ البقرة (٢) / ١٩.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٣٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٨.

بالسماء و الذي ترك الايمان و أشرك بالله بالساقط من السماء و الأهواء التي تتوزّع أفكاره بالطير المختطفة و الشيطان الذي يطوّح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي.(١)

«خرّ من السماء». لأنّه سقط من أوج الايمان إلى حضيض الكفر فتخطفه الطير. فإنّ الأهواء المردية توزّع أفكاره.(٢)

«فتخطفه». قرأ أهل المدينة بفتح الخاء و التشديد. و الباقون بسكون الخاء و التخفيف.(٣)

[٣٢] «ذٰلِكَ وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ».

«ذلك»؛ أي: الأمر ذلك الذي ذكرنا. «شعائر الله»؛ أي: معالم دين الله التي نصبها لطاعته. قيل: هي مناسك الحجّ كلّها. و قيل: هي البدن و تعظيمها استسمانها و استحسانها. و عن ابن‌عبّاس: الشعائر جمع شعيرة؛ و هي البدن إذا أشعرت بأن يشقّ سنامها من الجانب الأيمن ليعلم أنّها هدي. فالذي يهدي مندوب إلى طلب الأثمن(٤) و الأعظم. «فإنّها»؛ أي: فإنّ تعظيمها. فحذف المضاف. «تقوى القلوب». أضافه إلى القلوب لأنّ حقيقة التقوى تقوى القلب.(٥)

[٣٣] «لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ».

«لكم فيها»؛ أي: في الشعائر التي هي البدن «منافع» و هو ركوب ظهرها و شرب لبنها إذا احتيج إليها. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. «إلى أجل مسمًّى»: إلى أن تنحر. «ثمّ محلّها»؛ أي: [محلّ] الهدي و البدن الكعبة. و قيل: الحرم كلّه. و قال أصحابنا: إن كان الهدي للحجّ،

١ـ الكشّاف ٣ / ١٥٥.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٨.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٣١ ـ ١٣٢.

٤ـ المصدر: الأسمن.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٣٣.

فمحلّه منى. و إن كان للعمرة المفردة، فمحلّه مكّة قبالة الكعبة بالجزورة.(١)

[٣٤] «وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَ بَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ».

«و لكلّ أمّة»؛ أي: لكلّ أهل دين «منسكاً»؛ أي: متعبّداً. أو: قرباناً يتقرّبون به إلى الله. «ليذكروا اسم الله» دون غيره و يجعلوا نسيكتهم لوجهه. علّل الجعل به تنبيهاً على أنّ المقصود من المناسك تذكّر المعبود عند ذبح الأنعام. و فيه تنبيه على أنّ القربان يجب أن يكون نعماً. «إله واحد». فلاتذكروا على ذبائحكم إلّا الله وحده. «فله أسلموا»؛ أي: انقادوا. «و بشّر المخبتين»؛ أي: المتواضعين و المخلصين.(٢)

«منسكاً». حمزة و الكسائيّ: «منسكاً» بالكسر. أي: موضع نسك.(٣)

[٣٥] «الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ الصَّابِرِينَ عَلىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَ الْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ».

ثمّ وصفهم فقال: «الذين إذا ذكر الله وجلت»؛ أي: إذا خوّفوا بالله، خافوا هيبة منه لإشراق أشعّة جلاله على قلوبهم. «و الصابرين على ما أصابهم» من البلايا و المصائب في طاعة الله. «و المقيمي الصلاة» في أوقاتها يؤدّونها. و [على قراءة «الصلاة» بالنصب] حذفت النون للتخفيف لا لتعاقبها الإضافة. و شبّه ذلك بالّذين و اللّذان في قوله: «و إنّ الذي حانت بفلج دماؤهم».(٤)

[٣٦] «وَ الْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَ أَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ كَذٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٣٣.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٩، و مجمع البيان ٧ / ١٣٤.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٩.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٣٤ و ١٣٢. و تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٩ ،

لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

«و البدن»: جمع بدنة ـ كخشبة. سمّيت به الإبل لعظم بدنها. أي: جعلنا البدن من شعائر الله؛ أي: أعلام دينه التي شرعها الله. «لكم فيها خير»؛ أي: منافع دينيّة و دنيويّة. «فاذكروا اسم الله عليها»؛ أي: في حال نحرها. قال ابن‌عبّاس: [هو أن يقول:] الله أكبر. لا إله إلّا الله. و الله أكبر. اللّهمّ منك و لك. «صوافّ». هو أن تنحر و هي صافّة؛ أي: قائمة ربطت يداها ما بين الرسغ و الخفّ إلى الركبة. عن أبي عبدالله عليه السلام. و أمّا البقر، فإنّه يشدّ يداها و رجلاها. و الغنم يشدّ ثلاث قوائم منها و يطلق رجل واحدة. «وجبت جنوبها»؛ أي: سقطت إلى الأرض. و هو عبارة عن خروج الروح منها. «فكلوا منها». إذن و ليس بأمر. لأنّ أهل الجاهليّة كانوا يحرّمونها على نفوسهم. و قيل: إنّ الأكل منها واجب إذا تطوّع بها.(١)

«القانع». عن أبي عبدالله عليه السلام: القانع الذي يسأل فيرضى. و المعترّ: الذي يعتري رحلك ـ أي يقصده ـ ممّن لا يسأل. و روي عنهم عليهم السلام أنّه ينبغي أن يطعم ثلثه و يعطي للقانع و المعترّ ثلثه و يهدي لأصدقائه الثلث الباقي.(٢)

«كذلك»؛ أي: مثل ما وصفنا من نحرها قياماً. «سخّرناها لكم» مع عظمها و قوّتها حتّى تأخذوها منقادة فتعقلوها و تحبسوها صافّة قوائمها ثمّ تطعنون [في] لبابها. «لعلّكم تشكرون» إنعامنا عليكم بالتقرّب و الإخلاص.(٣)

[٣٧] «لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَ لَا دِمَاؤُهَا وَ لٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوىٰ مِنْكُمْ كَذٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلىٰ مَا هَدَاكُمْ وَ بَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ».

«لن تنال الله» «ولكن تناله» بالتاء يعقوب. و قرأ الأوّل بالتاء أبو جعفر. و قرأ الباقون بالياء فيهما.(٤)

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٨٩، و مجمع البيان ٧ / ١٣٧.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٣٧ ـ ١٣٨.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٩٠.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٣٥.

«لن ينال الله»؛ أي: لن يصيب رضاه و لن يقع موقع القبول منه «لحومها» المتصدّق بها «و لا دماؤها» المهراقة بالنحر من حيث إنّها لحوم و دماء، ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم إلى تعظيم أمر الله و التقرّب إليه و الإخلاص له. قيل: كان أهل الجاهليّة إذا ذبحوا القرابين، لطخوا الكعبة بدمائها قربة إلى الله. فهمّ به المسلمون، فنزلت. «كذلك سخّرها». كرّره تذكيراً للنعمة و تعليلاً بقوله: «و لتكبّروا الله»: لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لايقدر عليه غيره فتوحّدوه بالكبرياء. و قيل: هو التكبير عند الإهلال أو الذبح. «على ما هداكم»: أرشدكم إلى تسخيرها و كيفيّة التقرّب بها. و على متعلّقة بتكبّروا لتضمّنه معنى الشكر. «المحسنين»؛ أي: المخلصين فيما يأتونه و يذرونه.(۱)

[۳۸] «إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ».

«إنّ الله يدفع عن الذين آمنوا» غائلة المشركين. و قرأ الكوفيّون: «يدافع»؛ أي: يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه. «كلّ خوّان كفور». و هم الذين خانوا الله بأن جعلوا معه شريكاً و كفروا نعمه. و [قيل:] من تقرّب إلى الأصنام بذبيحته، فهو خوّان كفور.(۲)

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا» قال: نحن الذين يدافع الله عنّا ما أذاعت شيعتنا. يعني أنّ بعض شيعتهم يذيع عنهم بعض أسرارهم إلى أعدائهم، يقصد بذلك أذاهم أو لايقصد، فإنّ الله يدافع عنهم. «إنّ الله لايحبّ كلّ خوّان» لمودّتهم «كفور» بولايتهم.(۳)

[۳۹] «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ».

ثمّ بيّن سبحانه إذنه لهم في قتال الكفّار بعد تقدّم بشارتهم بالنصرة فقال: «أذن للّذين يقاتلون بأنّهم ظلموا»؛ أي: بسبب أنّهم ظلموا. و كان المشركون يؤذون المسلمين و لايزال

۱ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۹۰.
۲ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۹۰، ومجمع البيان ۷ / ۱۳۸.
۳ـ تأويل الآيات ۱ / ۳۳۷، ح ۱۲.

يجيء مشجوج و مضروب إلى رسول الله ﷺ و يشكون إليه فيقول: اصبروا. فإنّي لم أومر بالقتال حتّى هاجر و أنزل الله هذه الآية بالمدينة. و هي أوّل آية نزلت في القتال. و تقدير الآية: أذن للمؤمنين بالقتال من أجل أنّهم ظلموا بالإخراج من ديارهم و قصدوا بالإيذاء و الإهانة. «و إنّ الله على نصرهم». وعد لهم بالنصر. معناه أنّه سينصرهم.(١)

«أذن». قرأ أهل المدينة و حفص: «أذن» بضمّ الألف «يقاتلون» بفتح التاء. و أبوعمرو و أبوبكر: «أذن» بضمّ الألف «يقاتلون» بكسر التاء.(٢)

[٤٠] «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَ لَوْ لَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَوَاتٌ وَ مَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَ لَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ».

«الذين أخرجوا من ديارهم». أي من مكّة إلى المدينة إن كانت الآية مدنيّة. أو إلى الحبشة إن كانت مكّيّة. «بغير حقّ»؛ أي: موجب استحقّوا به. «إلّا أن يقولوا ربّنا الله». على طريقة قول النابغة: «و لا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم». و قيل: منقطع.(٣)

عن أبي جعفر عليه السلام: «الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقّ» قال: نزلت في عليّ و حمزة و جعفر عليهم السلام. ثمّ جرت في الحسين عليه السلام.(٤)

«الذين أخرجوا». قال: نزلت في الحسين عليه السلام حين طلبه يزيد بن معاوية عليهما اللّعنة ليحمله إلى دمشق فخرج إلى الكوفة و قتل بالطفّ.(٥)

عن أبي عبدالله عليه السلام «أذن للّذين يقاتلون»: انّ العامّة تزعم أنّ المعنيّ بذلك رسول الله ﷺ لمّا أخرجه قريش من مكّة. و إنّما هو القائم عليه السلام إذا خرج يطلب بدم

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٣٨.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٣٥.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٣٨، و تفسير البيضاويّ ٣ / ٩٠.

٤ـ تأويل الآيات ١ / ٣٣٩، ح ١٧.

٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٨٤.

الحسين عليه السلام و هو يقول: نحن طلّاب الترة و أولياء الدم.[١]

«و لولا دفع الله الناس» بتسليط المؤمنين على الكافرين، «لهدّمت»: لخرّبت باستيلاء المشركين على أهل الملل «صوامع» الرهبانيّة «و بيع» النصارى «و صلوات»؛ أي: كنائس اليهود. و سمّيت بها لأنّها تصلّى فيها. و قيل: أصله صلوتا بالعبرانيّة فعرّبت. و «مساجد» [المسلمين]. يذكر فيها اسم الله». صفة للأربع، أو لمساجد خصّت بها تفضيلاً. «و لينصرنّ الله من ينصره»؛ أي: ينصر دينه. وقد أنجز وعده بأن سلّط المهاجرين و الأنصار على صناديد العرب و أكاسرة العجم و قياصرتهم و أورثهم أرضهم و ديارهم.[٢]

و إنّما دفع بالمسلمين عن سائر أهل الأديان، لأنّ متعبّداتهم يجري فيها ذكر الله في الجملة ليست بمنزلة بيوت الأصنام. و تفسير الآية على قول الأكثرين: و لولا دفع الله، لهدم في شرع كلّ نبيّ مكان عبادتهم؛ فهدم في زمان موسى الكنائس، و زمن عيسى الصوامع، و زمن محمّد صلى الله عليه و آله المساجد؛ فيكون الدفع عنهم قبل التحريف.[٣]

أهل المدينة و يعقوب: «دفاع الله» بالألف. «لهدّمت». أهل المدينة خفيفة الدال. و الباقون بالتشديد. و أظهر التاء عاصم و يعقوب و أدغمه الآخرون. «صلوات». قرأ جعفر بن محمّد عليه السلام: «صُلُوات» بضمّ الصاد و الدال.[٤]

[٤١] «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوُا الزَّكَاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ».

«الذين إن مكّنّاهم». وصف سبحانه من ذكرهم من المهاجرين. «أقاموا الصلاة» بحقوقها. و قال أبوجعفر عليه السلام: نحن هم. «عاقبة الأمور»؛ أي: يبطل كلّ ملك سوى ملكه فتصير الأمور إليه بلا مانع و منازع.[٥]

١ـ تفسيرالقمّيّ ٢ / ٨٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٩٠ ـ ٩١.
٣ـ تفسير النيسابوريّ ١٧ / ٩٣.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٣٥.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٠.

عن أبي جعفرعليه السلام في قول الله: «الذين إن مكّـنّاهم» إلى قوله: «و لله عاقبة الأمور» قال: هذه آية لآل محمّد المهدي عليهم السلام و أصحابه يملّكهم الله مشارق الأرض و مغاربها و يـظهر الدين و يميت به البدع و الباطل حتّى لايرى أثر من الظلم و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر.(١)

[٤٢ ـ ٤٣] «وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادٌ وَ ثَمُودُ * وَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَ قَوْمُ لُوطٍ».

ثمّ عزّى نبيّه عن تكذيبهم إيّاه [و] خوّف مكذّبيه بذكر من كذّبوا نبيّهم فأهلكوا فقال: «و إن يكذّبوك» يا محمّد «فقد كذّبت قبلهم قوم نوح»: كلّ أمّة من هذه الأمم كذّبت نبيّها.(٢)

[٤٤] «وَ أَصْحَابُ مَدْيَنَ وَ كُذِّبَ مُوسىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ».

«و كذّب موسى». لم يقل: و قوم موسى، لأنّ قومه بنوإسرائيل و كانوا آمنوا به و إنّـما كذّبه فرعون و قومه. و هم القبط. «فأمليت للكافرين»؛ أي: أخّرت عقوبتهم و أمـهلتهم حتّى انصرمت آجالهم المقدّرة. «فكيف كان نكير»؛ أي: نكيري عليهم بتغيير النعمة محنة و الحياة هلاكاً و العمارة خراباً.(٣)

«نكير»؛ يعني: نكيري. [«نكيري»] بإثبات الياء في الحالين أينما وقع [يعقوب].(٤)

[٤٥] «فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَ هِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلىٰ عُـرُوشِهَا وَ بِـئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ».

«فكأيّن من قرية»؛ أي: و كم من قرًى أهلكناها بإهلاك أهلها. «فهي خـاوية عـلى

١ـ تأويل الآيات ١ / ٣٤٣ ـ ٣٤٤، ح ٢٥.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٠.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٠، تفسيرالبيضاويّ ٢ / ٩١.
٤ـ تفسير النيسابوريّ ١٧ / ٩٧.

عروشها». خاوية؛ أي: ساقطة. و العروش: السقوف. أي: ساقط حيطانها على سقوفها بأن تعطّلت بنيانها فخرّت سقوفها ثمّ تهدّمت حيطانها فسقطت فوق السقوف. «و بئر معطّلة». عطف على قرية. أي: و كم بئر عاطلة في الوادي تركت لايستقى منها لهلاك أهلها. «و قصر مشيد»؛ أي: مرفوع أو مجصّص خلّيناه عن ساكنيه. و قيل: المراد ببئر بئر على سفح جبل بحضرموت، و بقصر قصر مشرف على قلّته. كانا لقوم حنظلة بن صفوان النبيّ من بقايا قوم صالح. فلمّا قتلوه، أهلكهم الله و عطّلهما. و في تفسير أهل البيت عليهم السلام قوله: «و بئر معطّلة» أنّ المعنى: و كم من عالم لاينتفع بعلمه.[١]

«أهلكناها» قرأ أهل البصرة: «أهلكتها».[٢]

«بئر معطلة و قصر مشيد». هو مثل ضرب لآل محمّد عليهم السلام. فالبئر المعطّلة: التي لا يستقى منها. و هو الإمام الغائب عليه السلام. فهو لايقتبس منه العلم إلى حين ظهوره. و القصر المشيد: المرتفع. هو مثل لأميرالمؤمنين عليه السلام و الأئمّة صلوات الله عليهم و فضائلهم المنتشرة في العالمين المشرفة على الدنيا. و قيل في ذلك شعر:

مثل لآل محمّد مستطرف　　بئر معطّلة و قصر مشرف
فعليّ القصر الذي لا يرتقى　　و البئر علمهم الذي لاينزف[٣]

عن الكاظم عليه السلام قال: البئر المعطّلة الإمام الصامت. و القصر المشيد الإمام الناطق.[٤]

و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: القصر المشيد رسول الله صلّى الله عليه و آله. و البئر المعطّلة عليّ عليه السلام.[٥]

و عن أبي عبدالله عليه السلام: أميرالمؤمنين عليه السلام القصر المشيد. و البئر المعطّلة فاطمة عليها السلام. و ولدها معطّلون من الملك.[٦]

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٤١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٩١.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٣٩.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٨٥.
٤ـ تأويل الآيات ١ / ٣٤٤، ح ٢٧.
٥ـ تأويل الآيات ١ / ٣٤٤، ح ٢٨.
٦ـ تأويل الآيات ١ / ٣٤٤، ح ٢٦.

[٤٦] «أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ».

«أفلم يسيروا في الأرض»؛ أي: أفلم يسر قومك ـ يا محمّد ـ في أرض اليمن و الشام. حثّ لهم إلى أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا. و هم، و إن كانوا قد سافروا، لكن لم يسافروا لذلك. «يعقلون بها» ما نزل بمن كذّب قبلهم. أو: يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار و الاستدلال. «يسمعون بها» أخبار الأمم المكذّبة، أو ما يجب أن يسمع من الوحي. «فإنّها». الضمير للقصّة. و الجملة بعدها تفسيرها. «تعمى القلوب» عن الاعتبار؛ أي: ليس الخلل في مشاعرهم و إنّما إيفت قلوبهم باتّباع الهوى و الانهماك في التقليد. و ذكر الصدور للتأكيد. و قيل: لمّا نزل: «و من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى».(١) قال ابن أمّ مكتوم: يا رسول الله، أنا في الدنيا أعمى. أفأكون في الآخرة أعمى؟ فنزلت.(٢)

إن قلت: أيّ فائدة في ذكر الصدور؟ قلت: الذي تعورف أنّ العمى على الحقيقة مكانه البصر و استعماله في القلب استعارة و مثل. فلمّا أريد إثبات ما هو خلاف الحقيقة، احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين و فضل تعريف.(٣)

[٤٧] «وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ لَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ».

«و يستعجلونك» يا محمّد. أي: يستبطئون العذاب الذي وعدتهم نزوله. «و لن يخلف الله وعده» في إنزال العذاب بهم. قال ابن‌عبّاس: يعني يوم بدر. «و إنّ يوماً عند ربّك كألف سنة». فيه وجوه. أحدها: انّ يوماً من أيّام الآخرة يكون كألف سنة من أيّام الدنيا. و معناه أنّهم يستعجلون العذاب و إنّ يوماً من أيّام عذابهم في الآخرة كألف سنة منه في الدنيا. و

١ـ الإسراء (١٧) / ٧٢.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٢، تفسير البيضاويّ ٢ / ٩١ ـ ٩٢.
٣ـ الكشّاف ٣ / ١٦٢.

ثانيها: انّ المعنى: [و إنّ] يوماً عند ربّك و ألف سنة في قدرته واحد. فلا فرق بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب و بين تأخيره في القدرة إلّا أنّه سبحانه تفضّل بالإمهال و لا يفوته شيء. و ثالثها: انّ يوماً واحداً كألف سنة في مقدار العذاب و شدّته؛ أي: لشدّته و عظمته كمقدار ألف سنة من أيّام الدنيا على الحقيقة. و كذلك نعيم الجنّة، يكون نعيم يوم في الجنّة مثل نعيم ألف سنة في الدنيا لو بقي منعماً فيها. ثمّ الكافر يستعجل ذلك العذاب لجهله. و هذا كما يقال في المثل: إنّ أيّام السرور قصار و أيّام الهموم طوال. «تعدّون». قرأ أهل الكوفة بالياء.[١]

[٤٨] «وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَ هِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ».

ثمّ أعلم سبحانه أنّه أخذ قوماً بعد الإمهال فقال: «و كأيّن من قرية و هي ظالمة» مستحقّة لتعجيل العذاب، ثمّ أهلكتها. «و إليّ المصير»: يصير كلّ أحد.[٢]

[٤٩] «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ».

«نذير مبين»؛ أي: مبيّن لكم ما يجب عليكم فعله و ما يجب عليكم تركه.[٣]

[٥٠] «فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ».

عن الكاظم عليه السلام في قوله تعالى: «فالذين آمنوا» ـ الآية ـ قال: أولئك آل محمّد صلوات الله عليهم.[٤]

«رزق كريم». يعني نعيم الجنّة.[٥]

[٥١] «وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ».

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٢ ـ ١٤٣.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٣.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٣.
٤ـ تأويل الآيات ١ / ٣٤٥، ح ٢٩.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٣.

«و الذين سعوا في آياتنا»؛ أي: بذلوا الجهد في إبطال آياتنا. «معاجزين»؛ أي: مغالبين. و قيل: مقدّرين أنّهم يسبقوننا. و قيل: ظانّين أن يعجزوا الله أي يفوتونه. و من قرأ: «معجّزين» فمعناه: مثبّطين لمن أراد اتّباع النبيّ ﷺ.[١]

«معاجزين». قرأ ابن كثير و أبو عمرو: «معجّزين» بالتشديد.[٢]

[٥٢] «وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

«و ما أرسلنا من قبلك» ـ الآية. قال عامّة المفسّرين في سبب نزول الآية: إنّه ﷺ لمّا شقّ عليه إعراض قومه عنه، تمنّى في نفسه أن لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه لحرصه على إيمانهم. و كان ذات يوم جالساً في ناد من أنديتهم و نزل عليه سورة و النجم إذا هوى، فقرأها عليهم حتّى بلغ: «أفرأيتم اللّات و العزّى * و مناة الثالثة الأخرى» و كان ذلك التمنّي في نفسه. فجرى على لسانه: تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى. فلمّا سمعت قريش ذلك، فرحوا. و مضى رسول الله في قراءته حتّى ختم السورة. فلمّا سجد في آخرها، سجد معه المسلمون و المشركون. فتفرّقت قريش مسرورين و قالوا: قد ذكر محمّد آلهتنا بأحسن الذكر. فأتاه جبرئيل و قال: ما صنعت؟ تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله! فحزن رسول الله و خاف خوفاً شديداً، فأنزل الله هذه الآية. و اعترض على هذه الرواية المحقّقون بالقرآن و السنّة و المعقول. لقوله: «و ما ينطق عن الهوى».[٣] و سئل محمّد بن إسحاق [بن خزيمة] عن هذه القصّة فقال: وضعها الزنادقة. و هو ﷺ إنّما بعث لنفي الأوثان، فكيف يثبتها؟[٤] كذا قال الفاضل النيشابوريّ مع كلام طويل بعده.

و قال المرتضى: لا يخلو التمنّي في الآية من أن يكون معناه التلاوة ـ قال حسّان بن ثابت:

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٣.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٣.

٣ـ النجم (٥٣) / ٣.

٤ـ تفسير النيسابوريّ ١٧ / ١٠٤ ـ ١٠٥.

«تمنّى كتاب الله أوّل ليلة» ـ أو يكون من تمنّي القلب. فعلى الأوّل معناه: انّ من أرسل قبلك من الرسل كان إذا أدّى إلى قومه، حرّفوا عليه و زادوا فيما يقوله و نقصوا؛ كما فعلت اليهود. و أضاف ذلك إلى الشيطان، لأنّه يقع بغروره. «فينسخ الله ما يلقي الشيطان»؛ أي: يزيله. و خرج هذا على وجه التسلية للنبيّ صلى الله عليه وآله لمّا كذب المشركون عليه و أضافوا إلى تلاوته في مدح آلهتهم ما لم يكن فيها. فيكون قوله: تلك الغرانيق العلى، من كلام بعض الحاضرين من الكفّار أوهم أنّ ذلك من القرآن. و إن كان المراد تمنّي القلب، فمعناه: انّ الرسول صلى الله عليه وآله متى تمنّى بقلبه شيئاً، وسوس إليه الشيطان بالباطل يدعوه إليه، و ينسخ الله ذلك و يبطله بما يرشده إليه من ترك استماع غروره. و ما قالوه في تلك الرواية، إن وقع منه عمداً، فمناف للآيات و الأخبار؛ و إن وقع سهواً، فالساهي لايجوز أن يقع منه مثل هذه الألفاظ المطابقة لوزن السورة و نظمها. و قيل: إنّ المراد بالغرانيق الملائكة و قد جاء في ذلك الحديث فتوهّم المشركون أنّه يريد آلهتهم. و قيل: إنّ ذلك كان قرآناً منزلاً في وصف الملائكة فلمّا ظنّ المشركون المراد به آلهتهم، نسخت تلاوته. و يجوز أن يكون لمّا انتهى النبيّ صلى الله عليه وآله إلى ذكر اللّات و العزّى، قال الشيطان هاتين الكلمتين رافعاً صوته فألقاهما في تلاوته في غمار الناس فظنّ الجهّال أنّ ذلك من قول النبيّ فسجدوا عند ذلك. و الغرانيق: جمع غرنوق؛ و هو الحسن الجميل. «ثمّ يحكم الله آياته» ؛ أي: يبقي آياته و أوامره محكمة لا سهو فيها و لا غلط.[١]

«من رسول». من هنا زائدة. و إنّما ذكر لفظي النبيّ و الرسول لاختلاف فائدتهما. فالرسول من أرسله الله و لايحمل عند الإطلاق على غير الرسول صلى الله عليه وآله، و النبيّ الذي له الرفعة العظيمة بالإرسال. فهما واحد إلّا أنّ الرسول يعمّ الملائكة و البشر. فلذلك جمع بينهما. «و ما أرسلنا». متّصل بما تقدّم من أحوال الكفّار و تمتّعهم بالدنيا. و لمّا رأى النبيّ صلى الله عليه وآله ما بأصحابه من الإقتار، تمنّى لهم الدنيا، فبيّن سبحانه أنّ ذلك من وساوس الشيطان و أنّ ما

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٤ ـ ١٤٦.

وعدهم الله من نعيم الآخرة خير.(١)

«و ما أرسلنا». عن عليّ بن الحسين عليه السلام: انّ علم عليّ عليه السلام في [آية] واحدة و هي قوله: «و ما أرسلنا من قبلك من رسول و لا نبيّ و لا محدّث». و كان عليّ عليه السلام و كذلك الأئمّة.(٢) و قال [أبوجعفر عليه السلام]: المحدّث الذي يسمع كلام الملائكة و حديثهم و لايرى شيئاً بل ينقر في آذانه و ينكت في قلبه.(٣)

و قوله: «إلّا إذا تمنّى» ـ الآية ـ عن أبي جعفر عليه السلام أنّه خرج رسول الله صلى الله عليه وآله و قد أصابه جوع شديد، فأتى رجلاً من الأنصار فذبح له عناقاً و هيّأ له بسراً و رطباً فتمنّى رسول الله عليّاً عليه السلام و قال: يدخل عليكم رجل من أهل الجنّة. فجاء أبوبكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ عليّ عليه السلام. فنزلت هذه الآية و فيها هكذا: فينسخ الله مايلقي الشيطان بعليّ حين جاء بعدهم ثمّ يحكم الله آياته. و بيانه أنّ قوله: «في أمنيّته»؛ أي: فيما يتمنّاه و يلقي الشيطان شيئاً لايحبّه رسول الله و لايهواه. و بيان ما ألقي هي أمنيّة النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه ألقى إلى أوليائه وساوسه و [أوحى إليهم] أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله أضافه فلان فاذهبوا إليه لتتناولوا من الطعام و تحوزوا فضل ذلك المقام، فأتوا قبل عليّ عليه السلام ليكون ذلك فتنة للّذين في قلوبهم مرض. «فينسخ الله ما يلقي الشيطان» و هو ما أضمره أولياؤه في أنفسهم من أنّ ما فعلوه يكون لهم فضيلة فينسخه الله بأن جعله لهم رذيلة حيث إنّهم جاؤوا بغير ما تمنّاه النبيّ. «ثمّ يحكم الله آياته»؛ أي: أمر آياته. [و آياته] النبيّ و عليّ صلوات الله عليهما.(٤)

[٥٣] «لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ».

«ليجعل ما يلقي الشيطان»؛ أي: ليجعل ذلك تشديداً في التعبّد وامتحاناً. يعني أنّه شدّد المحنة و التكليف على الذين في قلوبهم شكّ و على القاسية قلوبهم من الكفّار فيلزمه الدلالة

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٤ ـ ١٤٦.

٢ـ انظر: تأويل الآيات ١ / ٣٤٥ ـ ٣٤٦، ح ٣٠ و ٣١.

٣ـ تأويل الآيات ١ / ٣٤٦ ـ ٣٤٧، ح ٣٢.

٤ـ انظر: تأويل الآيات ١ / ٣٤٧ ـ ٣٤٨، ح ٣٣ و ٣٤.

على الفرق بين ما يحكمه الله و بين ما يلقي الشيطان. «لفي شقاق»؛ أي: في معاداة و مخالفة بعيدة عن الحقّ.(١)

[٥٤] «وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

«أنّه»؛ أي: القرآن «الحقّ» لايجوز عليه التبديل و التغيير. «فيؤمنوا به»؛ أي: يثبتوا على إيمانهم و يزدادوا إيماناً إلى إيماهم. «فتخبت»؛ أي: تخشع و تتواضع.(٢)

[٥٥] «وَ لَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ».

«في مرية»؛ أي: في شكّ. «منه»؛ أي: من القرآن. «عذاب يوم عقيم». قيل: إنّه عذاب يوم بدر. و سمّاه عقيماً لأنّه لا مثل له لعظم أمره، لقتال الملائكة فيه. و قيل: سمّي ذلك اليوم عقيماً، لأنّه لم يكن للكفّار فيه خير فهو كالريح العقيم الذي لاتأتي بخير. و قيل: المراد به يوم القيامة. و المعنى: تأتيهم علامات الساعة أو عذاب يوم القيامة. سمّاه عقيماً لأنّه لا ليلة بعده.(٣)

[٥٦ ـ ٥٧] «الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ».

إدخال الفاء في خبر الذين الثاني ـ «فأولئك» ـ دون الأوّل تنبيه على أنّ إثابة المؤمنين بالحسنات تفضّل من الله و أنّ عقاب الكافرين مسبّب عن أعمالهم. و لذلك قال: «لهم عذاب» و لم يقل: هم في عذاب.(٤)

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٦.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٦.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٦.

٤ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ٩٤.

[٥٨] «وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقاً حَسَناً وَ إِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ».

«و الذين هاجروا»؛ أي: فارقوا أوطانهم و خرجوا من مكّة إلى المدينة ثمّ قتلوا في الجهاد أو ماتوا في الغربة. «رزقاً حسناً». هو رزق الجنّة.(١)

«و الذين هاجروا». عن أبي عبدالله عليه السلام: نزلت في أميرالمؤمنين عليه السلام خاصّة.(٢)

«ثمّ قتلوا أو ماتوا». إنّما سوّى بين من قتل في الجهاد و بين من مات حتف [أنفه] في الوعد لاستوائهما في القصد و أصل العمل. روي أنّ بعض الصحابة قالوا: يا نبيّ الله، هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير. و نحن نجاهد معك كما جاهدوا. فما لنا إن متنا معك؟ فنزلت.(٣)

«قتلوا». ابن‌عامر بالتشديد.(٤)

[٥٩] «لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَ إِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ».

«مدخلاً يرضونه». لأنّ لهم في الجنّة ما تشتهي الأنفس و تلذّ الأعين. و المدخل يجوز أن يكون بمعنى المكان أو بمعنى المصدر. «لعليم» بأحوالهم «حليم» في عدم معاجلة الكفّار بالعقوبة.(٥)

[٦٠] «ذٰلِكَ وَ مَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ».

«ذلك»؛ أي: الأمر الذي قصصنا عليك. «ومن عاقب»؛ أي: من جازى الظالم بمثل ما ظلمه. قال الحسن. معناه: قاتل المشركين كما قاتلوه. و الأوّل لم يكن عقوبة، ولكنّه كقولهم

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٧.

٢ـ تأويل الآيات ١ / ٣٤٨ ـ ٣٤٩، ح ٣٥.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٩٤.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٧.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٧.

الجزاء بالجزاء لازدواج الكلام. «ثمّ بغي عليه»؛ أي: ظلم بإخراجه من منزله. يعني ما فعله المشركون من البغي على المسلمين حتّى أخرجوهم إلى مفارقة ديارهم. «لينصرنّه الله». يعني المظلوم الذي بغي عليه. روي أنّ الآية نزلت في قوم من مشركي مكّة لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرّم فقالوا: إنّ أصحاب محمّد صلى الله عليه و آله لايقاتلون في هذا الشهر الحرام، فحملوا عليهم. فناشدهم المسلمون أن لايقاتلوهم في الشهر الحرام، فأبوا. فأظفر [الله] بهم المسلمين.[١]

«ذلك و من عاقب» ـ الآية. هو رسول الله صلى الله عليه و آله لمّا أخرجته قريش و هرب منهم إلى الغار و طلبوه ليقتلوه، فعاقبهم الله يوم بدر و قتل من أعيانهم سبعين و أسر مثلهم. فلمّا قبض رسول الله صلى الله عليه و آله طلب بدمائهم و اجترؤوا على آل الرسول عليهم السلام و استشهد الحسين عليه السلام ثمّ بغي عليه. «لينصرنّه الله». يعني بالقائم من ولده عليهم السلام.[٢]

«لعفوّ غفور». أي للمنتصر حيث اتّبع هواه في الانتقام و أعرض عمّا ندب الله إليه بقوله: «و لمن صبر و غفر إنّ ذلك لمن عزم الأمور».[٣] و فيه تعريض للحثّ على العفو و المغفرة. فإنّه تعالى مع كمال قدرته لمّا كان يعفو و يغفر، فغيره بذلك أولى.[٤]

[٦١] «ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَ أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ».

«ذلك»؛ أي: ذلك النصر. «بأنّ الله يولج اللّيل»؛ أي: يدخل ما ينتقص من ساعات اللّيل في النهار و ما انتقص من ساعات النهار في اللّيل. «سميع» لدعاء المؤمنين.[٥]

«يولج اللّيل». أي بتحصيل ظلمة اللّيل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس و عكس ذلك بإطلاعها.[٦]

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٧ ـ ١٤٨.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٨٦ ـ ٨٧.
٣ـ الشورى (٤٢) / ٤٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٩٤.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٩.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٩٤ ـ ٩٥.

[٦٢] «ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ».

«ذلك» الذي فعل من نصر المؤمنين «بأنّ الله هو الحقّ»؛ أي: ذو الحقّ في قوله و فعله. «هو الباطل». لأنّه ليس عنده نفع و لا ضرر. «الكبير»: العظيم. «يدعون». قرأ ابن‌كثير و نافع و ابن‌عامر بالتاء على مخاطبة المشركين.[١]

[٦٣] «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ».

«ألم تر». استفهام تقرير. ولذلك رفع «فتصبح» عطفاً على «أنزل» إذ لو نصب جواباً، لدلّ على نفي الاخضرار، كما في قولك: ألم تر أنّي جئتك فتكرمني، و المقصود إثباته. و إنّما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان.[٢]

«لطيف» بأرزاق عباده من حيث لايحتسبون. «خبير» بما في قلوبهم. و قيل: اللّطيف: المحيط بتدبير دقائق الأمور.[٣]

[٦٤] «لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّ اللهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ».

«الغنيّ» في ذاته عن كلّ شيء. «الحميد»: المستوجب للحمد بصفاته و أفعاله.[٤]

[٦٥] «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ».

«سخّر لكم ما في الأرض»: جعلها مذلّلة لكم معدّة لمنافعكم. و الفلك عطف على ما أو على اسم أنّ. «تجري في البحر». حال منها أو خبر. «أن تقع»: من أن تقع، أو كراهة أن تقع،

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٩ و ١٤٨.

٢ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ٩٥.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٩.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٤٩.

بأن خلقها على صورة متداعية إلى الاستمساك. «إلّا بإذنه»: إلّا بمشيّته. و ذلك يوم القيامة. و فيه ردّ لاستمساكها بذاتها فإنّها مساوية لسائر الأجسام في الجسميّة فيكون قابلاً للميل الهابط قبول غيرها. «لرؤوف رحيم». حيث هيّأ لهم أسباب الاستدلال و فتح عليهم أبواب المنافع و دفع عنهم أبواب المضارّ.(١)

[٦٦] «وَ هُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ».

«أحياكم» بعد أن كنتم جماداً عناصر و نطفاً. «ثمّ يميتكم» إذا جاء أجلكم. «ثمّ يحييكم» في الآخرة. «لكفور»: لجحود للنعم بعد ظهورها.(٢)

[٦٧] «لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَ ادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدىً مُسْتَقِيمٍ».

«لكلّ أمّة»؛ أي: لكلّ قرن مضى. «جعلنا منسكاً»؛ أي: شريعة «هم ناسكوه»؛ أي: عالمون بها. و قيل: موضعاً يعتادونه لعبادة الله ومناسك الحجّ من هذا. و قيل: موضع قربان؛ أي: متعبّداً في إراقة الدماء منًى أو غيره. «فلاينازعنّك». نهي لهم عن المنازعة. لأنّ دينك أظهر من أن يقبل النزاع. و قيل: نهي له؛ لأنّ المنازعة تكون بين اثنين. لأنّ المنازعة إنّما تنفع طالب الحقّ و هؤلاء أهل مراء. و منازعتهم قولهم: أتأكلون ما قتلتم و لاتأكلون ما قتله الله؟ يعنون الميتة. أي: فلايخاصمنّك في أمر الذبح. و قيل: معناه: ليس لهم أن ينازعوك في شريعتهم. فإنّ شريعتك ناسخة لجميع الشرائع. «وادع إلى ربّك»: إلى توحيده و إلى دينه. إنّك على دين قيّم.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام: لمّا نزلت هذه الآية: «لكلّ أمّة جعلنا منسكاً» جمعهم النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ قال: يا معشر المهاجرين و الأنصار، إنّ الله يقول: «لكلّ أمّة جعلنا منسكاً». المنسك هو

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٩٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٩٥.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٠، و تفسيرالبيضاويّ ٢ / ٩٦.

الإمام. ألا إنّ لزوم الإمام و طاعته هو الدين و المنسك. عليّ بن أبي طالب عليه السلام إمامكم بعدي. فإنّي أدعوكم إلى هداه. فإنّه على هدًى مستقيم. فقام القوم يتعجّبون من ذلك و يقولون: لانرضى طاعته أبداً.(١)

[٦٨] «وَ إِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ».

«و إن جادلوك». أي في أمر الذبيحة. «فقل الله أعلم» بتكذيبكم فيجازيكم به. و هذا قبل الأمر بالقتال. و قيل: معناه: و إن جادلوك على سبيل المراء و التعنّت بعد لزوم الحجّة، فلاتجادلهم على هذا الوجه و ادفعهم بهذا القول. و قيل: معناه: و إن نازعوك في نسخ الشريعة، فحاكمهم إلى الله.(٢)

[٦٩] «اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ».

«الله يحكم بينكم»؛ أي: يفصل بين المؤمنين منكم و الكافرين بالثواب و العقاب يوم القيامة كما فصل في الدنيا بالحجج و الآيات.(٣)

[٧٠] «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّ ذٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ».

«في كتاب». هو اللّوح المحفوظ. كتبه فيه قبل حدوثه، فلايهمّنّك أمرهم مع علمنا به و حفظنا له. «إنّ ذلك»؛ أي: الإحاطة به و إثباته في اللّوح أو الحكم بينكم. «على الله يسير»؛ أي: كتبته(٤) في اللّوح لايحتاج إلى معالجة خطوط و حروف و إنّما يقول له كن فيكون. و قيل: إنّ الحكم يسير على الله.(٥)

١ـ تأويل الآيات ١ / ٣٤٩، ح ٣٧.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٠.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٩٦.

٤ـ كذا في المصدر أيضاً. و الظاهر أنّ الصحيح كتابته.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢/ ٩٦، و مجمع البيان ٧ / ١٥٠.

[٧١] «وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَ مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ».

«سلطاناً»؛ أي: حجّة تدلّ على جواز عبادته. «و ما ليس لهم به علم»؛ أي: ما حصل لهم من ضرورة العقل أو استدلاله. «و ما للظالمين» الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم «من نصير» يقرّر مذهبهم أو يدفع العذاب عنهم.(١)

[٧٢] «وَ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ».

«و إذا تتلى عليهم» ـ الآية. قال: كان القوم إذا نزلت في أميرالمؤمنين عليه السلام آية في كتاب الله فيها فرض طاعة أو فضيلة فيه أو في أهله، سخطوا ذلك و كرهوا حتّى همّوا به و أرادوا به العظيم، و أرادوا برسول الله صلى الله عليه و آله أيضاً ليلة العقبة غيظاً و غضباً و حسداً، حتّى نزلت هذه الآية.(٢)

«آياتنا». يعني من القرآن و غيره من حجج الله. «بيّنات»؛ أي: واضحات لمن تفكّر فيها. «تعرف في وجوه»؛ أي: تعرف يا محمّد. «المنكر»؛ أي: الإنكار. [يريد أثر الإنكار] من الكراهة و العبوس. «يسطون»؛ أي: يبطشون من شدّة الغيظ. «بشرّ من ذلكم»؛ أي: أكره إليكم من هذا القرآن الذي تسمعون و أشدّ عليكم منه. ثمّ فسّر فقال: «النار»؛ أي: هو النار.(٣)

«بشرّ من ذلكم»: من غيظكم على التالين و سطوتكم عليهم. أو: ممّا أصابكم من الزجر بسبب ما نتلو عليكم. «النار»؛ أي: هو النار. كأنّه جواب سائل قال: ما هو؟ و يجوز أن

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٩٦.
٢ـ تأويل الآيات ١ / ٣٥٠، ح ٣٨.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٥١.

يكون مبتدأ خبره «وعدها الله».[١]

[٧٣] «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ».

«ضرب مثل». و هو أنّه ضرب مثل هؤلاء الذين يعبدون الأصنام بمن عبد من لايخلق ذباباً. و قيل: معناه: أثبت حديث يتعجّب منه فاستمعوا لتقفوا على جهل الكفّار. من قولك: ضربت خيمة؛ أي: نصبتها و أثبتّها. و قيل: معناه: جعل ذلك كالشيء اللّازم الثابت. من قولك: ضرب السلطان الجزية على أهل الذمّة. «إنّ الذين يدعون[٢] من دون الله». يعني الأصنام. و كانت ثلاثمائة و ستّون صنماً؛ حول الكعبة. «لن يخلقوا ذباباً» في صغره و قلّته. «و إن يسلبهم الذباب شيئاً» ممّا عليهم. قال ابن‌عبّاس: كانوا يطلون أصنامهم بالزعفران فيجفّ فيأتي الذباب فيختلسه. «لايستنقذوه»؛ أي: لايقدرون على استنقاذه منه. «الطالب و المطلوب». الطالب الذباب. و المطلوب الصنم. عن ابن‌عبّاس. و روي عنه على العكس من هذا. فيكون معناه: ضعف السالب و المسلوب.[٣]

ثمّ عجب من ضعف الأصنام والذباب بقوله: «ضعف الطالب والمطلوب». فالصنم كالطالب من حيث إنّه يطلب خلق الذباب أو يطلب استنقاذ ما سلبه منه.[٤]

«لن يخلقوا ذباباً». الذباب من الذبّ لأنّه يذبّ. و جمعه أذبّة و ذبّان. «و لو اجتمعوا له» [؛ أي: للخلق. هو] بجوابه المقدّر في موضع الحال جيء به للمبالغة. أي: لايقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه. فكيف إذا كانوا منفردين؟ كانوا يطلون الأصنام بالطيب و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٩٦.

٢ـ قرأ يعقوب و سهل: «إنّ الّذين يدعون» بالياء و الباقون بالتاء. (المجمع ٧ / ١٥١)

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٢.

٤ـ تفسير النيسابوريّ ١٧ / ١٣٢.

العسل و يغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله.[١]

[٧٤] «مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ».

«ما قدروا الله حقّ قدره»؛ أي: ماعظّموه حقّ عظمته حيث جعلوا هؤلاء الأصنام شركاء له. «لقويّ عزيز»؛ أي: لايقدر أحد على مغالبته.[٢]

[٧٥] «اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ».

«من الملائكة رسلاً». يعني جبرئيل و ميكائيل. «و من الناس». يعني الأنبياء.[٣]

[٧٦] «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ إِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ».

«بين أيديهم»؛ أي:أيدي الخلائق من القيامة و أحوالها و ما يكون في مستقبل أحوالهم. «و ما خلفهم»؛ أي: ما يخلفونه من دنياهم. و قيل: ما بين أيديهم؛ أي: أوّل أعمالهم. و ما خلفهم: آخر أعمالهم. «ترجع الأمور» يوم القيامة، فلايكون لأحد أمر و لا نهي.[٤]

[٧٧] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

عن أبي الحسن عليه السلام في قوله: «يا أيّها الذين آمنوا اركعوا» ـ الآية ـ: أمرهم بما افترض عليهم من الصلاة و العبادة. و أمّا فعل الخيرات، فهو طاعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه و آله.[٥]

«و اسجدوا». كان الناس أوّل ما أسلموا يسجدون بلا ركوع و يركعون بلا سجود. فأمروا أن يكون صلاتهم بركوع و سجود.[٦]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٩٧.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٢.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٢.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٣.

٥ـ تأويل الآيات ١ / ٣٥١، ح ٤١.

٦ـ الكشّاف ٣ / ١٧٢.

«و اركعوا و اسجدوا» في صلاتكم. أمر بهما لأنّهم ما كانوا يفعلونهما أوّل الإسلام. أو: صلّوا. و عبّر بهما عن الصلاة لأنّهما أعظم أركانها. أو: اخضعوا [لله] و خرّوا سجّداً.(١)

«اركعوا و اسجدوا»؛ أي: صلّوا. «و اعبدوا ربّكم» بما تعبّدكم [به] من العبادات. «و افعلوا الخير». يريد صلة الأرحام و مكارم الأخلاق أو ما هو أعمّ من ذلك.(٢)

[٧٨] «وَ جَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ اعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلىٰ وَ نِعْمَ النَّصِيرُ».

عن أبي جعفرعليه السلام في قوله: «يا أيّها الذين آمنوا» إلى قوله: «هو اجتباكم» قال: إيّانا عنى. و نحن المجتبون. و لم يجعل الله علينا في الدين من حرج؛ و هو أشدّ الضيق. «ملّة أبيكم إبراهيم». إيّانا عنى خاصّة. «هو سمّاكم المسلمين من قبل» في الكتب الماضية. «و في هذا». يعني القرآن. «ليكون الرسول شهيداً عليكم». فرسول الله صلى الله عليه و آله شهيد علينا على ما بلّغنا عن الله. و نحن الشهداء على الناس. فمن صدّق، يوم القيامة صدّقناه. و من كذّب، كذّبناه.(٣)

«جاهدوا». أكثر المفسّرين حملوا الجهاد هاهنا على جميع أعمال الطاعة. و قالوا: حقّ الجهاد أن يكون بنيّة خالصة صادقة. و قيل: هو مجاهدة النفس و الهوى. «هو اجتباكم»؛ أي: اختاركم لدينه. «من حرج»؛ أي: ضيق لا مخرج منه و لا مخلص من عقابه، بل جعل التوبة و الكفّارات و ردّ المظالم مخلصاً من الذنوب. فلا عذر لأحد في ترك الاستعداد للقيامة. و قيل: الحرج تكليف ما لا يطاق. و قيل: المعنى أنّه رخّص عند الضرورات كالقصر و التيمّم و أكل الميتة. «ملّة أبيكم»؛ أي: دينه. لأنّ ملّة إبراهيم داخلة في ملّة محمّدصلى الله عليه و آله. و إنّما سمّاه أباً

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٩٧.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٣ ـ ١٥٤.
٣ـ تأويل الآيات ١ / ٣٥١، ح ٤٠.

للجميع لأنّ حرمته على المسلمين كحرمة الوالد على الولد. كما قال: «و أزواجه امّهاتهم».[١] و قيل: لأنّ العرب من ولد إسماعيل و أكثر العجم من ولد إسحاق و هما ابنا إبراهيم، فالغالب عليهم أنّهم أولاده. أو لأنّه أبو رسول الله و هو كالأب لأمّته من حيث إنّه سبب لحياتهم الأبديّة. و «هو سمّاكم»؛ أي: الله. و قيل: هو راجع إلى إبراهيم. كما قال: «و من ذرّيّتنا أمّة مسلمة لك».[٢] «من قبل»؛ أي: من قبل إنزال القرآن. يعني في الكتب المتقدّمة. «و في هذا»؛ أي: في القرآن. و الضمير إذا كان لإبراهيم فتسميتهم مسلمين في القرآن و إن لم يكن منه لكنّه كان بسبب تسميته من قبل في قوله: «و من ذرّيّتنا أمّة مسلمة لك». و قيل: و في هذا بيان تسميته إيّاكم مسلمين. «ليكون الرسول» يوم القيامة. متعلّق بسمّاكم. «شهيداً عليكم» بأنّه بلّغكم ـ فيدلّ على قبول شهادته اعتماداً على عصمته ـ أو بطاعة من أطاع و عصيان من عصى. «شهداء على الناس» بتبليغ الرسل إليهم، أو بأن تبلّغوا إليهم ما بلّغه الرسول إليكم.[٣]

«حقّ جهاده». حقّ منصوب على المصدر. «من حرج». من زائدة. «ملّة أبيكم». منصوب بإضمار فعل. تقديره: اتّبعوا أو الزموا ملّة أبيكم.[٤]

«ليكون». متعلّق بقوله: «هو اجتباكم». أي فضّلكم على الأمم لهذا الغرض.[٥]

«و آتوا الزكاة»؛ أي: تقرّبوا إلى الله بأنواع الطاعات، لأنّه خصّكم بهذا الفضل و الشرف. «و اعتصموا بالله»؛ أي: ثقوا به في مجامع أموركم و لاتطلبوا الإعانة و النصرة إلّا منه. «هو مولاكم»؛ أي: ناصركم و متولّي أموركم.[٦]

١ـ الأحزاب (٣٣) / ٦.
٢ـ البقرة (٢) / ١٢٨.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٩٨.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٣.
٥ـ تفسير النيسابوريّ ١٧ / ١٤١.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٩٨.

٢٣.
سورة المؤمنين

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة المؤمنين، ختم له بالسعادة إذا كان يدمن قراءتها كلّ جمعة. وكان منزله في الفردوس الأعلى مع النبيّين و المرسلين.[١]

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها، يبشّره الملائكة بالروح والريحان و ما يقرّ به [عينه] عند نزول ملك الموت.[٢]

المؤمنون؛ من كتبها ليلاً و جعلها في خرقة حرير خضراء و علّقها عليه، لم يشرب الخمر.[٣]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ * قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ».

«قد أفلح»؛ أي: فاز بثواب الله «المؤمنون»: الذين صدّقوا بالله و برسله. و قيل معنى أفلح بقي. أي: قد بقيت أعمالهم الصالحة. قال الفرّاء: يجوز أن يكون قد هنا لتأكيد الفلاح للمؤمنين. و يجوز أن يكون للتقريب؛ مثل قد قامت الصلاة. أي: الفلاح قد حصل لهم و إنّهم عليه في الحال.[٤]

[٢] «الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ».

«خاشعون»؛ أي: خاضعون لايرفعون أبصارهم عن موضع سجودهم. روي أنّه صلى الله عليه وآله

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٦.

٢ـ المصباح / ٥٨١.

٣ـ المصباح / ٦٠٨.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٧.

رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته فقال: أما إنّه لو خشع قلبه، لخشعت جوارحه. والخشوع في الصلاة كما يكون في القلب ـ و هو أن يفرّغ قلبه بجميع الهمّة لها و الإعراض عمّا سواها ـ يكون بالجوارح و هو ترك الالتفات و العبث. و كان رسول الله ﷺ يرفع طرفه إلى السماء في صلاته. فلمّا نزلت، طأطأ رأسه و رمى ببصره إلى الأرض.(١)

[٣] «وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ».

«عن اللّغو». اللّغو: كلّ قول أو فعل لا فائدة فيه يعتدّ بها. فذلك قبيح يجب الإعراض عنه. و قيل: هو الباطل أو جميع المعاصي. قيل: هو الشتم. فإنّ كفّار مكّة كانوا يشتمون النبيّ ﷺ و أصحابه فنهوا عن إجابتهم. و عن أبي عبدالله عليه السلام: هو أن يتقوّل الرجل عليك بالباطل أو يأتيك بما ليس فيك فتعرض عنه لله. و في رواية أخرى أنّه الغناء و الملاهي.(٢)

[٤] «وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ».

«للزكاة فاعلون»؛ أي: مؤدّون.(٣)

[٥] «وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ».

«لفروجهم حافظون». المراد بها هنا فروج الرجال؛ بدلالة قوله: «إلّا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم».(٤)

[٦] «إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ».

«أو ما ملكت أيمانهم»؛ أي: إنّهم يلامون في إطلاق ما حظر عليهم و أمروا بحفظه إلّا على أزواجهم. و دلّ على المحذوف ذكر اللّوم في قوله: «لأنّهم غير ملومين». و ملك اليمين المراد به

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٧.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٨.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٨.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٨.

الإماء.[١]

«إلّا على أزواجهم»؛ أي: لايبذلونها إلّا على زوجاتهم و سريّاتهم. و على صلة لحافظين. من قولك: احفظ على عنان فرسي. أو حال. أي: حفظوها في كافّة الأحوال إلّا في حال التزوّج أو التسرّي.[٢]

[٧] «فَمَنِ ابْتَغىٰ وَرَاءَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ العَادُونَ».

«وراء ذلك»؛ أي: سوى الأزواج والولائد المملوكة. «العادون»؛ أي: الظالمون المتجاوزون إلى ما لايحلّ لهم.[٣]

[٨] «وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَاعُونَ».

«راعون»؛ أي: حافظون وافون. و أمانات الله العبادات. و أمانات العباد العواري و الودائع و الشهادات و نحوها. و أمّا العهود، فهي أوامر الله و نذور الإنسان و العقود الجارية.[٤]

[٩] «وَ الَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ».

«يحافظون»؛ أي: يقيمونها في أوقاتها. و أعاد الصلاة تنبيهاً على عظم قدرها و علوّ رتبتها عنده تعالى.[٥]

[١٠ ـ ١١] «أُولٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

«هم الوارثون». عن النبيّ صلى الله عليه وآله: ما منكم من أحد إلّا و له منزلان: منزل في الجنّة، و منزل في النار. فإن مات و دخل النار، ورث أهل الجنّة منزله. و قيل: معنى الوراثة هنا أنّ

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٨.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٩٩.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٨.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٨.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٨.

الجنّة و نعيمها يؤول إليهم من غير اكتساب، كما يؤول المال إلى الوارث من غير اكتساب.[١]

[١٢] «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ».

«و لقد خلقنا الإنسان». المراد بالانسان ولد آدم. و هو اسم جنس يقع على الجميع. و أراد بالسلالة الماء يسلّ من الظهر سلّاً. و السلالة: صفوة الشيء التي يخرج منها. «من طين»؛ أي: من طين آدم لأنّها تولّدت من طين خلق منه؛ أي: من نطفة سلّت تلك النطفة من طين. و قيل: أراد بالإنسان آدم لأنّه استلّ من أديم الأرض.[٢]

السلالة: الصفوة من الطعام و الشراب. و الطعام من أصل الطين. و هو معنى «سلالة من طين».[٣]

[١٣] «ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ».

«ثمّ جعلناه»؛ أي: ابن آدم. «في قرار مكين»؛ يعني: الرحم. مكّن فيه الماء و استقرّ فيه إلى بلوغ أمده.[٤]

[١٤] «ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ».

«فخلقنا المضغة عظاماً»؛ أي: جعلنا تلك القطعة من اللّحم عظاماً. «ثمّ أنشأناه خلقاً آخر»؛ أي: نفخنا فيه الروح. «فتبارك الله»: استحقّ التعظيم. «أحسن الخالقين». لا تفاوت في خلقه. و أصل الخلق: التقدير. قال حذيفة في هذه الآية: يصنعون و يصنع الله. و الله خير الصانعين. و فيه دلالة على أنّ الخلق يطلق على فعل غير الله مجازاً. فإنّ المراد من الخلق إيجاد الشيء مقدّراً تقديراً لا تفاوت فيه و هذا إنّما يكون من الله. و دليله قوله: «ألا له

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٥٨ و ١٥٩.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٦٠ ـ ١٦١.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٨٩.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٦١.

الخلق و الأمر».[١]

و روي: انّ عبدالله بن سعيد كان كاتباً لرسول الله ﷺ. فلمّا بلغ إلى قوله: «خلقاً آخر» خطر بباله: فتبارك الله أحسن الخالقين. فلمّا أملاها رسول الله كذلك، قال عبدالله: إن كان محمّد نبيّاً يوحى إليه، فأنا نبيّ يوحى إليّ. فلحق بمكّة مرتدّاً. و لو صحّ هذا، فإنّ هذا القدر لايكون معجزاً و لايمتنع أن يتّفق ذلك لواحد منّا. لكن هذا الشقيّ شبّه على نفسه لما كان في نفسه من الكفر و الحسد للنبيّ ﷺ.[٢]

«عظاماً فكسونا العظام». ابن‌عامر و أبوبكر: «عظماً فكسونا العظم» على الإفراد. و عن يعقوب: «عظماً فكسونا العظام». و الباقون على الجمع في الموضعين.[٣]

«ثمّ خلقنا النطفة علقة» بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء، و صيّرناها بعد مضغة ـ أي: قطعة لحم ـ و صلّبنا ذلك اللّحم فصار عظاماً. و اختلاف العواطف لتفاوت الاستحلالات و الجمع لاختلافها في الهيئة و الصلابة. «ثمّ أنشأناه خلقاً آخر». احتجّ به أبوحنيفة على أنّ من غصب بيضة فأفرخت عنده، لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لأنّه خلق آخر.[٤]

[١٥ ـ ١٦] «ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ».

«تبعثون». أي للجزاء. أخبر سبحانه أنّ هذه البنية العجيبة المبنيّة على أحسن إتقان و إحكام تنقض بالموت لغرض صحيح و هو البعث و الإعادة. و هذا لايمنع من الإحياء في القبور.[٥]

[١٧] «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَ مَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ».

١ـ الأعراف (٧) / ٥٤.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٦١.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٦٠.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٠ ـ ١٠١.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٦١.

«سبع طرائق»؛ أي: سبع سموات. كلّ سماء طريقة. سمّيت بذلك لأنّها طرائق الملائكة. و قيل: الطرائق: الطباق. كلّ طبقة طريقة. «و ما كنّا عن الخلق غافلين». إذ بنينا فوقهم سموات أطلعنا فيها الشمس و القمر و الكواكب. و قيل: معناه: و ما خلقناهم عبثاً بل خلقناهم عالمين بأحوالهم.(١)

«طرائق». الطرائق: السموات. لأنّه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل. و كلّ شيء فوقه مثله، فهو طريقة. أو لأنّها طرق الملائكة و متقلّباتهم.(٢)

[١٨] «وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ».

«بقدر»؛ أي: بقدر الحاجة. «فأسكنّاه في الأرض»؛ أي: في المستنقعات و الغدران لينتفع الناس بها في الصيف عند انقطاع المطر. و قيل: معناه: جعلناه عيوناً في الأرض. و عنه ﷺ: انّ الله أنزل من الجنّة خمسة أنهار؛ سيحون نهر الهند، و جيحون نهر بلخ، و دجلة، و الفرات، و النيل، أجراها الله في الأرض. و ذلك قوله: «و أنزلنا من السماء ماء بقدر».(٣)

«ذهاب به»؛ أي: إزالتها بالإفساد أو التصعيد أو التعميق بحيث يتعذّر استنباطه. و في تنكير ذهاب إيماء إلى كثرة طرقه و مبالغة في الإيعاد به.(٤)

[١٩] «فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ».

«من نخيل و أعناب». خصّمها لأنّها ثمار أهل الحجاز من المدينة و الطائف فذكّرهم الله بالنعم التي عرفوها.(٥)

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٦٢.
٢ـ الكشّاف ٣ / ١٧٩.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٦٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠١.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٦٢.

«لكم فيها»؛ أي: في الجنّات. «و منها»؛ أي: من الجنّات ثمارها و زروعها. و يجوز أن يكون الضميران للنخيل و الأعناب؛ أي: لكم في ثمرتها أنواع من الفواكه الرطب و التمر و العنب والزبيب و العصير و الدبس و غير ذلك.[١]

[٢٠] «وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَ صِبْغٍ لِلْآكِلِينَ».

«و شجرة»؛ أي: و أنشأنا لكم بهذا المطر شجرة. يعني شجرة الزيتون. و خصّها بالذكر لما فيها من العبرة بأنّه لايتعاهدها إنسان بالسقي و هي تخرج الثمرة التي يكون منها الدهن الذي تعظم به المنفعة. و سيناء: اسم المكان الذي به هذا الجبل، في أصحّ الأقوال. و هي اسم حجارة بعينها أضيف الجبل إليها. و قيل: سيناء: البركة. أي: جبل البركة. و قيل: طور سيناء الجبل الكثير الشجر الذي نودي منه موسى ما بين مصر و أيلة. «تنبت بالدهن»؛ أي: تنبت ثمرها بالدهن لأنّه يعصر من الزيتون الزيت. «و صبغ للآكلين». الصبغ: ما يصبغ به من الأدم. لأنّ الخبز يلوّن بالصبغ إذا غمس فيه للائتدام. و المراد بالصبغ الزيت. عن ابن عبّاس. فإنّه يدهن به ويؤتدم. جعل الله في هذه الشجرة أدماً و دهناً. فالأدم الزيتون، و الدهن الزيت.[٢]

«طور سيناء». أهل الحجاز و أبوعمرو: «طور سيناء» بكسر السين. و ابن‌كثير و أبوعمرو: «تنبت بالدهن» بضمّ التاء الأولى.[٣]

«شجرة». قال: الشجرة الزيتون. و هو مثل رسول الله و أمير المؤمنين عليهما السلام.[٤]

«و شجرة». عطف على جنّات. «طور سيناء». لايخلو من أن يكون الطور للجبل و سيناء اسم بقعة أضيف إليها و المركّب منهما علم له كامرئ القيس؛ و منع صرفه للتعريف و العجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للألف. لأنّه فيعال من السناء بالمدّ و هو الرفعة أو بالقصر و هو النور، أو ملحق بفعلال كعلباء من السين إذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف

١ـ تفسير البيضاويّ ٢/ ١٠١.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٦٤ ـ ١٦٥.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٦٣.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٩١.

قراءة سيناء بفتح السين فإنّه فيعال أو فعلاء ـ كصحراء ـ لا فعلال، إذ ليس في كـلامهم. «تنبت بالدهن»؛ أي: ملتبساً بالدهن و مستصحباً له. «و صبغ». معطوف على الدهن. أي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به و يسرج منه و كونه أدماً يصبغ به الخبز.[١]

[٢١] «وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ».

«لعبرة»؛ أي: دلالة تستدلّوا بها على قدرة الله. «ممّا في بطونها». أراد به اللّبن. «منافع كثيرة» في ظهورها و شعورها و أولادها. «فمنها تأكلون»؛ أي: من لحومها.[٢]

[٢٢] «وَ عَلَيْهَا وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ».

«و عليها»؛ أي: على الابل خاصّة.[٣]

[٢٣] «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ».

«نوحاً». سمّي به لكثرة نوحه على نفسه.[٤]

[٢٤] «فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَ لَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ»

«فقال الملأ»؛ أي: الأشراف قالوا لعوامّهم. «ما سمعنا بهذا». يعنون نوحاً. أي: ما سمعنا به أنّه نبيّ.[٥]

«يتفضّل عليكم»؛ أي: يترأّس بأن يصير متبوعاً. «لأنزل ملائكة» و لم ينزل بشراً

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠١ ـ ١٠٢.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٦٥.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٦٥.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٦٥.
٥ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٠٢.

آدميّاً. «ما سمعنا بهذا»؛ أي: الذي يدعونا إليه نوح في الأمم الماضية.[١]

[٢٥] «إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ».

«به جنّة»؛ أي: حالة جنون. فانتظروا بموته لتستريحوا منه. أو: فانتظروا إفاقته من الجنون فيرجع عمّا هو عليه. أو: احبسوه مدّة ليرجع عن قوله.[٢]

[٢٦] «قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ».

«قال ربّ انصرني». قال ذلك بعد [ما] أيس من إيمانهم. «ربّ انصرني» بإهلاكهم، أو بإنجاز ما وعدتهم من العذاب. «بما كذّبون»: بدل تكذيبهم إيّاي، أو بسببه.[٣]

[٢٧] «فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَ وَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَ فَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَ لَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ * فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

«بأعيننا»؛ أي: بكلاءتنا. كأنّ معه من الله حفّاظاً يكلؤونه بعيونهم لئلّا يتعرّض له و لايفسد عليه مفسد عمله. و منه قولهم: عليه من الله [عين] كالئة.[٤]

«بأعيننا»؛ أي: بحفظنا؛ نحفظه أن تخطئ فيه أو يفسده عليك مفسد. «و وحينا»؛ أي: أمرنا و تعليمنا كيف تصنع. «فإذا جاء أمرنا» بالركوب أو نزول العذاب. «و فار التنّور». روي أنّه قيل لنوح: إذا فار الماء من التنّور، اركب أنت و من معك. فلمّا نبع الماء منه، أخبرته امرأته فركب. و محلّه في مسجد الكوفة عن يمين الداخل ممّا يلي باب كندة. «فاسلك فيها»؛ أي: أدخل فيها «من كلّ زوجين اثنين»: من كلّ أمّتي الذكر و الأنثى واحدين مزدوجين.

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٦٥.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٦٥.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٢.

٤ـ الكشّاف ٣ / ١٨٢.

حفص: «من كلٍّ زوجين» [بالتنوين]؛ أي: من كلّ نوع زوجين، و اثنين تأكيد. «و أهلك»؛ أي: أهل بيتك. أو: من آمن معك. «سبق عليه القول»؛ أي: القول من الله بإهلاكه لكفره. و إنّما جيء بعلى لأنّ السابق ضارّ، كما جيء باللّام حيث كان نافعاً في قوله: «إنّ الذين سبقت لهم منّا الحسنى».[1] «و لا تخاطبني في الذين ظلموا». أي تدعو لهم بالإنجاء. «إنّهم مغرقون» لا محالة، لظلمهم بالإشراك و المعاصي، و من هذا شأنه لا يشفع له و لا يشفع فيه. كيف و قد أمره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله: «فإذا استويت أنت» ـ الآية. و هو كقوله: «فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين».[2] [3]

[٢٩] «وَ قُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبارَكاً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ».

«أنزلني» في السفينة، أو في الأرض «منزلاً مباركاً»: يتسبّب لمزيد الخير في الدارين. و إنّما أفرده بالأمر و المعلّق به أن يستوي هو و من معه، إظهاراً لفضله و إشعاراً بأنّ في دعائه مندوحة عن دعائهم فإنّه يحيط بهم.[4]

أبوبكر عن عاصم: «منزلاً» بفتح الميم و كسر الزاء، و الباقون بضمّ الميم و فتح الزاء.[5]

[٣٠] «إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ وَ إِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ».

«إنّ في ذلك»؛ أي: فيما فعل بنوح و قومه «لآيات» يستدلّ بها و يعتبر أولو الاعتبار. «و إن كنّا لمبتلين»: لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم. أو: لممتحنين عبادنا بهذه الآيات. و إن هي المخفّفة. و اللّام هي الفارقة.[6]

[٣١] «ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ».

«قرناً آخرين»». قيل: هم عاد قوم هود. لأنّه المبعوث بعد نوح. و قيل: يعني ثمود.

١ـ الأنبياء (٢١) / ١٠١.
٢ـ الأنعام (٦) / ٤٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٢ ـ ١٠٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٣.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٦٦.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٣.

لأنّهم أهلكوا بالصيحة.(١)

[٣٢] «فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ».

«رسولاً منهم». [هو] هود أو صالح. و إنّما جعل القران(٢) موضع الإرسال ليدلّ على أنّه لم يأتهم من مكان غير مكانهم و إنّما أوحي إليه و هو بين أظهرهم. «أن اعبدوا الله». تفسير لأرسلنا. أي: قلنا لهم على لسان رسلهم: اعبدوا الله. «أفلاتتّقون» عذاب الله؟(٣)

[٣٣] «وَ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَ أَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ».

«بلقاء الآخرة»؛ أي: بلقاء ما فيها من الثواب و العقاب، أو بمعاده إلى الحياة الثانية بالبعث.(٤)

«و أترفناهم في الحياة الدنيا» بكثرة الأموال و الأولاد. «مثلكم». أي في الصفة و الحال. «يأكل ممّا تأكلون». تقرير للماثلة يعني أنّه ليس أولى بالرسالة منّا.(٥)

[٣٤] «وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ».

«لخاسرون» حيث أذللتم أنفسكم.(٦)

[٣٥] «أَ يَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرَاباً وَ عِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ».

«مخرجون». أي من قبوركم أحياء. و أنّكم تكرير للأوّل، أكّد به لمّا طال الفصل بينه و

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٠.

٢ـ كذا في النسخة. و في المصدر: «القول» بدل «القران» و لا وجه له أيضاً. و الظاهر أنّ الصحيح «القوم» أو «القرن» كما يدلّ عليه «فيهم».

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٣.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٣.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٣، و مجمع البيان ٧ / ١٧٠.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٤.

بين خبره.[۱]

[۳٦] «هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ».

«هيهات»؛ أي: بعد إخراجكم جدّاً حتّى امتنع. «هيهات لما توعدون». أبوجعفر: «هيهات» بالكسر. و هو جمع و أصله هيهيات.[۲]

[۳۷] «إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا وَ مَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ».

«إن هي إلّا حياتنا» أي: ليس الحياة إلّا التي نحن فيها القريبة منّا. «نموت و نحيى»؛ أي: يموت منّا قوم و يحيى قوم و لانبعث. و قيل: يموت الآباء و يحيى الأبناء. و قيل: يموت قوم و يولد قوم. «و ما نحن بمبعوثين» بعد ذلك.[۳]

[۳۸] «إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً وَ مَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ».

«بمؤمنين»؛ أي: بمصدّقين فيما يقول.[٤]

[۳۹] «قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ».

[٤۰] «قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ».

«قال عمّا قليل»؛ أي: قال الله. عن قليل من الزمان و الوقت. يعني عند الموت، أو عند نزول العذاب. و ما هاهنا مزيدة.[٥]

[٤۱] «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

«فأخذتهم الصيحة». صاح بهم جبرئيل صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم. «بالحقّ»؛

۱ـ مجمع البيان ۷ / ۱۷۰، تفسير البيضاويّ ۲ / ۱۰٤.

۲ـ مجمع البيان ۷ / ۱۷۰ و ۱٦۷ ـ ۱٦۸.

۳ـ مجمع البيان ۷ / ۱۷۰.

٤ـ مجمع البيان ۷ / ۱۷۰.

٥ـ مجمع البيان ۷ / ۱۷۰.

أي: باستحقاقهم العقاب بكفرهم. «فجعلناهم غثاء». و هو ما جاء [به] السيل من نبات قد يبس من قصب و عيدان و شجر. أي: جعلناهم هلكى قد يبسوا كما يبس الغثاء. «فبعداً»؛ أي: ألزم الله بعداً من الرحمة. «للقوم الظالمين»: المشركين المكذّبين.[١]

[٤٢] «ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ».

«قروناً»؛ أي: أمماً و أهل أعصار.[٢]

«قروناً آخرين». الظاهر أنّهم قوم صالح و لوط و شعيب، كما ورد قصصهم على هذا الترتيب في الأعراف و في هود و في غيرهما. و عن ابن عبّاس أنّهم بنوإسرائيل. و المعنى: انّا ما أخلينا الدنيا من المكلّفين أنشأناهم وبلغناهم حدّ التكليف حتّى قاموا مقام من كان قبلكم.[٣]

[٤٣] «مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَ مَا يَسْتَأْخِرُونَ».

«ماتسبق من أمّة». هذا وعيد للمشركين المكذّبين. معناه: ما تموت أمّة قبل أجلها المضروب لها و لاتتأخّر عنه. و قيل: عنى به العذاب الموعود لهم على التكذيب. و الأجل المحتوم لايتقدّم و لايتأخّر، و هو المراد هنا. و الأجل المشروط بحسب الشرط.[٤]

[٤٤] «ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَ جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ».

أبوعمرو: «تترًى» بالتنوين، على أنّه مصدر بمعنى المواترة وقع حالاً.[٥]

«تترى»؛ أي: متواترين واحداً بعد واحد. من الوتر و هو الفرد. والتاء بدل من الواو، و الألف للتأنيث، لأنّ الرسل جماعة. «فأتبعنا بعضهم بعضاً» في الإهلاك؛ أي: أهلكنا بعضهم

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٧١.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٧١.

٣ـ تفسير النيسابوريّ ١٨ / ١٧.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٧١ ـ ١٧٢.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٥.

في أثر بعض. «و جعلناهم أحاديث» يتحدّث بهم على طريق المثل في الشرّ. و لا يقال هذا في الخير. أي: صيّرناهم بحيث لم يبق بين الناس منهم إلّا حديثهم.[١]

الأحاديث: اسم جمع للحديث. و منه أحاديث رسول الله ﷺ. و يكون جمعاً للأحدوثة التي هي مثل الأضحوكة و الألعوبة و الأعجوبة. و هي ما يتحدّث به الناس تلهّياً و تعجّباً. المراد هاهنا.[٢]

[٤٥] «ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسىٰ وَ أَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ».

«بآياتنا»؛ أي: بالآيات التسع. «و سلطان مبين»: حجّة واضحة ملزمة للخصم. و يجوز أن يراد به العصا ـ و إفرادها لأنّه أوّل المعجزات و أنّها تعلّقت بها معجزات شتّى كانقلابها حيّة و تلقّفها ما أفكته السحرة و انفلاق البحر و نحو ذلك ـ [و أن يراد به المعجزات] و بالآيات الحجج.[٣]

[٤٦] «إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ».

«و ملئه». و هم الأشراف. خصّهم بالذكر لأنّ الآخرين كانوا أتباعاً لهم. «فاستكبروا». أي عن الإيمان. «عالين»؛ أي: متكبّرين.[٤]

[٤٧] «فَقَالُوا أَ نُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَ قَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ».

«لبشرين». سمّي الإنسان بشراً لانكشاف بشرته، و غيره من الحيوان مغطّى البشرة. «عابدون»؛ أي: مطيعون طاعة العبد مواليه. و قيل: كان بنوإسرائيل يعبدون فرعون و فرعون يعبد الأوثان.[٥]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٥، و مجمع البيان ٧ / ١٧٢.

٢ـ الكشّاف ٣ / ١٨٨.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٥.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٢، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٥.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٢.

[٤٨] «فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ».

«من المهلكين» في بحر قلزم.(١)

[٤٩] «وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ».

«الكتاب»؛ أي: التوراة. «لعلّهم»؛ أي: لعلّ بني إسرائيل. و لايجوز عود الضمير إلى فرعون و قومه، لأنّ التوراة نزلت بعد إغراقهم.(٢)

[٥٠] «وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً وَ آوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَ مَعِينٍ».

«و جعلنا ابن مريم و أمّه آية» بولادتها إيّاه من غير مسيس. فالآية أمر واحد مضاف إليهما. أو: و جعلنا ابن مريم آية بأن تكلّم في المهد و ظهر منه معجزات أخر و أمّه آية بولادتها من غير مسيس. فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها. «و آويناهما»؛ أي: جعلنا مأواهما مكاناً مرتفعاً مستوياً متّسعاً. و الربوة أرض بيت المقدس، فإنّها مرتفعة ـ أو دمشق، أو مصر، فإنّ قرارها على الربى. و قيل: هي حيرة الكوفة و سوادها. و القرار مسجد الكوفة. و المعين الفرات. عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام.(٣)

عن محمّد بن عبدالله قال: ركبت مع الصادق عليه السلام من الكوفة. فلمّا سرنا حيال قرية قريبة من الفرات، نزل فصلّى ركعتين و قال: ولد عيسى في مكاني هذا. و موضع النخلة كان خلفي. و القرار و الماء المعين هو الفرات. و الربوة جبل النجف.(٤)

«قرار»؛ أي: مستقرّ من أرض منبسطة. و قيل: ذات ثمار و زرع. فإنّ ساكنيها يستقرّون فيها لأجلها. «و معين»؛ أي: و ماء معين ظاهر جار. من معن الماء، إذا جرى. و أصله الإبعاد في الشيء. أو من الماعون، و هو النفعة، لأنّه نفّاع. أو مفعول من عانه إذا أدركه بعينه، لأنّه لظهوره مدرك بالعيون. وصف ماءها بذلك، لأنّه جامع لأسباب التنزّه و طيب المكان.(٥)

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٦، و مجمع البيان ٧ / ١٧٢.
٤ـ بحارالأنوار ١٤ / ٢١٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٦.

[٥١] «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ اعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ».

«يا أيّها الرسل». خطاب لجميع الأنبياء، لا على أنّهم خوطبوا بذلك دفعة ـ لأنّهم أرسلوا في أزمنة مختلفة ـ بل على معنى أنّ كلّاً منهم خوطب به في زمانه. فيدخل فيه عيسى دخولاً أوّليّاً. فيكون ابتداء كلام تنبيهاً على أنّ أسباب التنعّم لم يكن له خاصّة و أنّ إباحة الطيّبات للأنبياء شرع قديم و احتجاجاً على الرهبانيّة في رفض الطيّبات. و قيل: النداء له و لفظ الجمع للتعظيم. و الطيّبات ما يستلذّ من المباحات.(١)

«يا أيّها الرسل». الأظهر عندي أنّه خطاب لنبيّناﷺ ذكر ذلك بعد انقضاء أخبار الرسل و في الحقيقة المراد به الأمّة. و في تقديم الأكل من الطيّبات على الأمر بالعمل الصالح دلالة على أنّ العمل الصالح لابدّ أن يكون مسبوقاً بالأكل الحلال.(٢)

[٥٢] «وَ إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ».

«و إنّ هذه»؛ أي: و لأنّ هذه. و المعلّل به «فاتّقون». أو: و اعلموا أنّ هذه. و قيل: إنّه معطوف على «ما تعملون». «أمّتكم»؛ أي: ملّتكم ملّة واحدة، أو متّحدة في العقائد و أصول الشرائع و جماعتكم جملة واحدة متّفقة على الإيمان و التوحيد في العبادة. و نصب أمّة على الحال. «فاتّقون» في شقّ العصا و مخالفة الكلمة.(٣)

أهل الكوفة: «و إنّ هذه» بالكسر على الاستئناف. و ابن‌عامر بالفتح و التخفيف. و الباقون بالفتح مشدّدة.(٤)

[٥٣] «فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ».

«فتقطّعوا أمرهم»: جعلوه أدياناً مختلفة. أو: فتفرّقوا و تحزّبوا. و أمرهم منصوب بنزع

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٦.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ١٨ / ٢٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٦.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٣.

الخافض. «زبراً»: قطعاً. جمع زبر[١] الذي بمعنى الفرقة. و هو حال من أمرهم، أو حال من الواو، [أو] مفعول ثان لتقطّعوا فإنّه متضمّن معنى جعل.[٢]

«كلّ حزب»؛ أي: فريق «بما لديهم» من الدين راضون به يرون أنّهم على الحقّ.[٣]

[٥٤] «فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ».

«فذرهم» يا محمّد «في غمرتهم»؛ أي: جهلهم و ضلالهم «حتّى حين»؛ أي: وقت الموت أو العذاب.[٤]

«في غمرتهم»: الغمرة: الماء الذي يغمر القامة. فضرب مثلاً لما هم مغمورون فيه من الجهل و الضلالة. أو شبّهوا باللّاعبين في غمرة الماء، لما هم عليه من الباطل. سلّى رسول الله صلى الله عليه و آله بذلك و نهى عن الاستعجال بعذابهم و الجزع عن تأخيره.[٥]

«فذرهم» يا محمّد صلى الله عليه و آله «في غمرتهم»؛ أي: شكّهم و شركهم يخوضون.[٦]

[٥٥ ـ ٥٦] «أَ يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَ بَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ».

«أيحسبون أنّما نمدّهم». معناه: أيظنّ هؤلاء الكفّار أنّ ما نعطيهم من الأموال و الأولاد لرضانا عنهم و كرامتهم علينا؟ ليس الأمر كما ظنّوا، بل ذلك استدراج لهم لهوانهم علينا. و عنه صلى الله عليه و آله: انّ الله يقول: عبدي المؤمن، إذا قتّرت عليه شيئاً من الدنيا، يحزن. و إنّما ذلك لقربه منّي. و يفرح إذا بسطت له الدنيا. و ذلك لبعده منّي. ثمّ تلا هذه الآية إلى قوله: «لا يشعرون». ثمّ قال: إنّ ذلك فتنة لهم. و معنى «نسارع» نسرع و نعجل. و تقديره: نسارع لهم به في الخيرات. فحذف به للعلم به. و الشعور: العلم الذي يدقّ معلومه على صاحبه كدقّة الشعر.

١ـ المصدر: زبور.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٦.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٤.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٤.
٥ـ الكشّاف ٣ / ١٩١.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٩١.

و قيل: هو العلم من جهة المشاعر و هي الحواسّ. و لهذا لا يوصف به القديم سبحانه.[١]

«نسارع لهم في الخيرات»؛ أي: إنّ ذلك الإمداد ليس إلّا استدراجاً لهم إلى المعاصي. «في الخيرات». يجوز أن يراد في جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين. «بل لايشعرون». استدراك لقوله: «أيحسبون». يعني: بل هم أشباه البهائم لا شعور لهم حتّى يتفكّروا في ذلك أهو استدراج أم مسارعة في الخير.[٢]

[٥٧] «إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ».

ثمّ بيّن حال الأبرار بعد بيان حال الفجّار فقال: «إنّ الذين هم من خشية»؛ أي: [من خشية] عذاب ربّهم «مشفقون»: خائفون.[٣]

[٥٨] «وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ».

«بآيات ربّهم» من القرآن و الحجج.[٤]

[٥٩] «وَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ».

«لايشركون». أي في عبادته.[٥]

[٦٠] «وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ».

قراءة النبيّ صلى الله عليه وآله و عائشة و ابن‌عبّاس: «يأتون ما أتوا» بالقصر.[٦]

«ما آتوا». قال: من العبادة و الطاعة.[٧]

«يؤتون ما آتوا»؛ أي: يعطون ما أعطوا من الزكاة و الصدقة أو كلّ أعمال البرّ. «و

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٥.
٢ـ الكشّاف ٣ / ١٩١.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٦.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٦.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٦.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٥.
٧ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٩١.

قلوبهم وجلة»؛ أي: خائفة. و قال أبوعبدالله عليه السلام معناه: خائفة ألّا يقبل منهم. «أنّهم إلى ربّهم راجعون»؛ أي: لأنّ مرجعهم إليه. أو: من أنّ مرجعهم اليه و هو يعلم ما يخفى عليهم.(١)

«يأتون ما أتوا» بالقصر. أي: يفعلون ما فعلوا من الطاعات.(٢)

«و الذين يؤتون ما آتوا». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: لا خير في العيش إلّا لرجلين: رجل يزداد كلّ يوم خيراً؛ و رجل يتدارك سيّئته بالتوبة ـ و لا يقبل التوبة إلّا بولايتنا و محبّتنا ـ و رضي بقوته نصف مدّ كلّ يوم و ما ستر عورته و أكنّ رأسه و هم مع ذلك خائفون وجلون ودّوا أنّه حظّهم من الدنيا. كذلك وصفهم الله فقال: «و الذين يؤتون ما آتوا [...]». آتوا] و الله [الطاعة مع] المحبّة و هم مع ذلك، خائفون، لا خوف شكّ، بل هم خائفون أن يكونوا مقصّرين في ولايتنا و طاعتنا.(٣)

[٦١] «أُولٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ هُمْ لَهَا سَابِقُونَ».

«أولئك يسارعون»؛ أي: الذين جمعوا هذه الصفات يبادرون إلى الطاعات و يسارعون إليها رغبة منهم فيها. «سابقون»؛ أي: هم لأجل تلك الخيرات سابقون إلى الجنّة. و قيل: معناه: هم إليها سابقون. و قيل: سبقوا الأمم إلى الخيرات. و قال ابن‌عبّاس: سابقون فيها أمثالهم من أهل البرّ و التقوى.(٤)

«يسارعون في الخيرات»؛ أي: إنّهم يتعجّلون في الدنيا وجوه الإكرام؛ كما قال: «فآتاهم الله ثواب الدنيا و حسن ثواب الآخرة».(٥) و فيه إثبات ما نفى من الكفّار للمؤمنين. «لها سابقون»؛ أي: ينالونها قبل الآخرة حيث عجّلت لهم في الدنيا.(٦)

«في الخيرات». عن أبي جعفر عليه السلام قال: يعني عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم يسبقه أحد.(٧)

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٦، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٧.
٣ـ تأويل الآيات ١ / ٣٥٤.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٦.
٥ـ آل عمران (٣) / ١٤٨.
٦ـ الكشّاف ٣ / ١٩٢.
٧ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٩٢.

[٦٢] «وَ لَا نُكَلِّفُ نَفساً إِلَّا وُسْعَهَا وَ لَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ».

«و لدينا»؛ أي: يشهد لكم و عليكم كتب الملائكة بأمرنا و هو صحائف الأعمال أو اللّوح المحفوظ. «لايظلمون» بزيادة العقاب أو نقصان الثواب.[١]

[٦٣] «بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هٰذَا وَ لَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ».

«بل». ردّ لما سبق و ابتداء الكلام. أي: قلوب الكفّار في غفلة شديدة «من هذا» الكتاب المشتمل على الوعد و الوعيد و هو القرآن، أو كتاب الحفظة. أو «من هذا» الذي وصف به هؤلاء. «و لهم أعمال» خبيثة «من دون ذلك»؛ أي: من غير الشرك. «هم لها عاملون»؛ أي: معتادون فعلها. و قيل: من دون ذلك؛ أي: أدون و أصغر من الشرك.[٢]

«من هذا»؛ يعني: من القرآن.[٣]

«من دون ذلك». قال: ما كتب لهم في اللّوح المحفوظ قبل أن يخلقوا، فهم لكلّ الأعمال المكتوبة عاملون. (ع)

[٦٤] «حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ».

«مترفيهم»؛ أي: متنعّميهم و رؤساءهم بعذاب الآخرة أو بعذاب الدنيا و هو عذاب السيف يوم بدر. عن ابن‌عبّاس. و قيل: هو الجوع حين دعا النبيّ ﷺ فقال: اللّهمّ اشدد وطأتك على مضر و اجعلها عليهم سنين كسني يوسف، فابتلاهم الله بالقحط حتّى أكلوا الجيف و الكلاب. «إذا هم يجأرون»؛ أي: يجزعون لشدّة العذاب. أو: يصرخون إلى الله بالتوبة فلايقبل منهم.[٤]

[٦٥] «لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ».

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٨، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٧.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٨، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٧.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٩٢.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٨.

«لاتجأروا»؛ أي: يقال لهم: لاتتضرّعوا اليوم. «إنّكم منّا». تعليل للنهي. أي: لاتجأروا فإنّه لاينفعكم، اذ لاتمنعون منّا و لايلحقكم نصر و معونة من جهتنا.(١)

[٦٦] «قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ».

«آياتي»؛ أي: القرآن. «تنكصون»؛ أي: تعرضون عن سماعها.(٢)

«تتلى عليكم»؛ أي: تقرأ. «فكنتم» أيّها الكافرون المعذّبون «على أعقابكم تنكصون»؛ أي: ترجعون القهقرى مكذّبين.(٣)

[٦٧] «مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ».

«تهجرون». نافع: «تهجرون» بضمّ التاء، من أهجر. أي: تكثرون من الإهجار، و هو الإفحاش في القول.(٤)

«مستكبرين به»؛ أي: متكبّرين على سائر الناس بالحرم أو بالبلد ـ يعني مكّة ـ أن لايظهر عليكم فيه أحد. و قيل: مستكبرين بمحمّد ﷺ أن تطيعوه و بالقرآن أن تقبلوه. فالهاء كناية عن غير مذكور في الجميع. و مستكبرين منصوب على الحال من قوله: «تنكصون». «سامراً»؛ أي: تسمرون باللّيل؛ أي: تتحدّثون في معايب النبيّ. «تهجرون» الحقّ بالإعراض عنه. و «تُهجرون»؛ أي: تفحشون في المنطق.(٥)

«مستكبرين به». الضمير للتكذيب أو للبيت، فإنّهم كانوا يفتخرون به، أو لآياتي فإنّها بمعنى كتابي. و الباء متعلّقة بمستكبرين، لأنّه بمعنى مكذّبين أو لأنّ استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه، أو بقوله: «سامراً»؛ أي: تسمرون بذكر القرآن و الطعن فيه. و هو في الأصل مصدر جاء على لفظ الفاعل. و قرئ: «سمراً» جمع سامر. «تهجرون». من

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٨، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٨.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٨.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٨.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٧.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٨ ـ ١٧٩.

الهَجر بالفتح، إمّا بمعنى القطيعة أو الهذيان ـ أي: تعرضون عن القرآن أو تهذون في شأنه ـ أو الهُجر بالضمّ [أي] الفحش.(١)

«مستكبرين به». تعلّق الباء بسامراً. أي: تسمرون بذكر القرآن و بالطعن فيه. و كانوا يجتمعون حول البيت باللّيل و يسمرون و كانت عامّة سمرهم ذكر القرآن و تسميته سحراً أو شعراً و سبّ رسول الله ﷺ. و السامر نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع.(٢)

«سامراً تهجرون»؛ أي: جعلتموه سمراً و هجرتموه.(٣)

[٦٨] «أَ فَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ».

«أ فلم يدّبّروا القول»؛ أي: ألم يتدبّروا القرآن فيعرفوا ما فيه من العبر و الدلالات على صدق محمّد ﷺ ؟ «ما لم يأت». قال ابن عبّاس: يريد: أليس قد أرسلنا نوحاً و النبيّين إلى قومهم؟ و كذلك أرسلنا محمّداً.(٤)

«ما لم يأت آباءهم» من الأمن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الأقدمون كإسماعيل و أعقابه فآمنوا بالله و كتبه و رسله و أطاعوه.(٥)

[٦٩] «أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ».

«أم لم يعرفوا رسولهم». قال ابن عبّاس: أليس هو محمّد الذي عرفوه صغيراً و كبيراً و صادق اللّسان أميناً وافياً بالعهد؟ و في هذا توبيخ لهم بالإعراض عنه ما عرفوا صدقه مع شرف نسبه قبل الدعوة.(٦)

[٧٠] «أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ».

«يقولون به جنّة». يريد: أيّ جنون ترون به؟ و فيه دلالة على جهلهم حيث أقرّوا له

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٨.

٢ـ الكشّاف ٣ / ١٩٤.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٩٢.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٩.

٥ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٠٨.

٦ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٩.

بالعقل و الصدق أوّلاً ثمّ نسبوه إلى الجنون. و إنّما قالوا ذلك لينفروا الناس عنه أو لأنّه يطمع في إيمانهم فهو يطمع في غير مطمع. «بل جاءهم بالحقّ»؛ أي: الدين الحقّ و ليس به جنون. «كارهون». لأنّه لم يوافق مرادهم.[١]

«و أكثرهم للحقّ كارهون». قيّد الحكم بالأكثر لأنّه كان منهم من ترك الإيمان استنكافاً من توبيخ قومه أو لقلّة فطنته و عدم فكرته لا لكراهة الحقّ.[٢]

[٧١] «وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ».

«و لو اتّبع الحقّ أهواءهم». الحقّ هو الله. أي: لو جعل الله لنفسه شريكاً كما يهوون، لفسدت السموات و الأرض. كما تقدّم في قوله: «لو كان فيهما آلهة إلّا الله».[٣] و قيل: الحقّ ما يدعو إلى المصالح. و الأهواء ما تدعو إلى المفاسد. و لو اتّبع الحقّ داعي الهوى، لدعا إلى المقابح و لفسد التدبير في السموات و الأرض، لأنّها مدبّرة بالحقّ لا بالهوى. «و من فيهنّ»؛ أي: لفسد من فيهنّ. و هو إشارة إلى العقلاء من الملائكة و الإنس و الجنّ. و وجه فساد العالم بذلك أنّه يوجب بطلان الأدلّة و أن لا يوثق بوعد و لا وعيد و لا يؤمن انقلاب عدل الحكيم. «بذكرهم»؛ أي: بما فيه شرفهم و فخرهم، لأنّ الرسول منهم و القرآن نزل بلسانهم. «فهم عن ذكرهم»؛ أي: شرفهم «معرضون» و بالذلّ راضون. و قيل: الذكر البيان للحقّ.[٤]

«و لو اتّبع الحقّ أهواءهم». قال: الحقّ رسول الله و أمير المؤمنين عليه السلام. و لو اتّبع رسول الله و أمير المؤمنين عليه السلام قريشاً «لفسدت» بعدم الثبات.[٥]

[٧٢] «أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ».

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٨.
٣ـ الأنبياء (٢١) / ٢٢.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٧٩.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٩٢. و فيه: «لفسدت السموات...» ففساد السماء إذا لم تمطر و فساد الأرض إذا لم تنبت و فساد الناس في ذلك.

«أم تسألهم» يا محمّد على ما جئت به من القرآن و الايمان «خرجاً»؛ أي: أجراً و مالاً يعطونك فيورث ذلك تهمة في حالك أو يثقل عليهم قبول قولك لأجله. «فخراج»؛ أي: رزق «ربّك» في الدنيا «خير» منه. و قيل: فأجر ربّك في الآخرة خير منه. «خير الرازقين»؛ أي: أفضل من أعطى. و فيه دلالة على أنّ في العباد من يرزق غيره بإذن الله.(۱)

«أم تسألهم». قيل: إنّه قسيم قوله: «أم يقولون به جنّة». «فخراج». قرأ ابن عامر: «خرجاً فخرج» و حمزة و الكسائيّ: «خراجاً فخراج» للمزاوجة.(۲)

[۷۳] «وَ إِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

«إلى صراط مستقيم». قال: إلى ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام.(۳)

«إلى صراط مستقيم»؛ أي: التوحيد و إخلاص العبادة.(٤)

[۷٤] «وَ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ».

«عن الصراط». عن الكاظم عليه السلام قال: عن ولايتنا أهل البيت.(٥)

«لناكبون»؛ أي: عادلون عن طريق الحقّ. أو: عادلون عن طريق الجنّة في الآخرة يؤخذ بهم يمنة و يسرة إلى النار.(٦)

و قوله: «لناكبون» أي عن الإمام.(۷)

[۷٥] «وَ لَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَ كَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ».

«و لو رحمناهم و كشفنا ما بهم من ضرّ»؛ أي: رددناهم إلى دار التكليف، «للجّوا في طغيانهم يعمهون». مثل قوله: «و لو ردّوا لعادوا».(۸) و قيل: إنّه في الدنيا. أي: لو رحمناهم و

۱ـ مجمع البيان ۷ / ۱۸۱.

۲ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۱۰۹.

۳ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۹۲.

٤ـ مجمع البيان ۷ / ۱۸۱.

٥ـ تأويل الآيات / ۳٥٤ ـ ۳٥٥، ح ٦.

٦ـ مجمع البيان ۷ / ۱۸۱.

۷ـ تفسير القمّيّ ۲ / ۹۳.

۸ـ الأنعام (٦) / ۲۸.

كشفنا ما بهم من جوع و نحوه، لتمادوا في ضلالتهم يتردّدون.[١]

[٧٦] «وَ لَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَ مَا يَتَضَرَّعُونَ».

«بالعذاب»؛ أي: بالجدب و ضيق الرزق و القتل بالسيف يوم بدر. «فما استكانوا»؛ أي: ماتواضعوا و لا انقادوا «و مايتضرّعون»؛ أي: مايرغبون إلى الله في الدعاء. و قال أبوعبدالله عليه السلام: الاستكانة الدعاء. و التضرّع رفع اليد في الصلاة.[٢]

[٧٧] «حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ».

«باباً ذا عذاب». و ذلك حين دعا النبيّ صلى الله عليه و آله على أهل مكّة بالجوع. فإنّه أشدّ من الأسر و القتل. و قيل: فتحنا عليهم باباً من عذاب جهنّم في الآخرة. و قيل: ذلك حين فتح مكّة. و قال أبوجعفر عليه السلام: هو في الرجعة. «مبلسون»؛ أي: آيسون من كلّ خير متحيّرون.[٣]

[٧٨] «وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ».

«السمع و الأبصار» لتحسّوا بها ما نصب بها من الآيات. «و الأفئدة» لتتفكّروا فيها و تستدلّوا بها إلى غير ذلك من الفوائد. «قليلاً ما تشكرون»: تشكرونها شكراً قليلاً. لأنّ العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لأجلها و الإذعان لما نحها من غير إشراك و ما صلة للتأكيد. و قيل: معناه: انّكم لاتشكرون ربّ هذه النعم فتوحّدونه.[٤]

[٧٩] «وَ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ».

«ذرأكم»؛ أي: أوجدكم.[٥]

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٨١.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٨١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٩.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٨١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٠٩، و مجمع البيان ٧ / ١٨١.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٨١.

[٨٠] «وَ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ لَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ».

«اختلاف اللّيل و النهار». يعني بالزيادة و النقصان أو ذهاب أحدهما و مجيء الآخر. «أ فلا تعقلون» فتعلموا أنّ لذلك صانعاً قادراً حكيماً لا يستحقّ الإلهيّة سواه؟[١]

[٨١] «بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ».

«بل قالوا»؛ أي: قال أهل مكّة. «الأوّلون»: آباؤهم و من دان بدينهم من المنكرين للبعث بعد الموت.[٢]

[٨٢] «قَالُوا أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَاباً وَ عِظَاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ».

ثمّ حكى مقالتهم: «أ إذا متنا» ـ الآية. [و قالوا ذلك استبعاداً][٣] و لم يتأمّلوا أنّهم كانوا قبل ذلك تراباً فخلقوا.[٤]

[٨٣] «لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا هٰذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ».

«هذا من قبل»؛ أي: [وعد آباؤنا] هذا الذي تعدنا من البعث من قبل مجيئك، فما صدق وعدهم. «إلّا أساطير الأوّلين»؛ أي: إلّا أكاذيب قد سطروا ما لا حقيقة له. جمع أسطورة. لأنّه يستعمل فيما يتلهّى به كالأعاجيب و الأضاحيك.[٥]

[٨٤] «قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ».

ثمّ احتجّ على هؤلاء المنكرين للبعث و النشور فقال: «قل» لهم يا محمّد: «لمن الأرض و من فيها»؛ أي: من خلقها إن كنتم من أهل العلم؟ فيكون استهانة بهم و تقريراً لفرط

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٨١ ـ ١٨٢.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٢، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٠.

٣ـ في النسخة: «استبعاداً لهم» بدل ما بين المعقوفتين.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٢، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٠.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٢ ـ ١٨٣، و تفسير البيضاويّ ٢/ ١١٠.

جهالتهم حتّى جهلوا مثل هذا الجهل الواضح.[١]

[٨٥] «سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ قُلْ أَ فَلَا تَذَكَّرُونَ».

قرأ أهل البصرة: «سيقولون الله» في الآيتين.[٢]

«سيقولون لله». لأنّهم كانوا يقرّون بأنّ الله هو الخالق. «قل». أي بعد ما قالوه. «أفلاتذكّرون» فتعلموا أنّ من فطر الأرض ومن فيها ابتداء قدر على إيجاده ثانياً؟ فإنّ بدء الخلق ليس بأهون من إعادته.[٣]

[٨٦] «قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ».

ثمّ زاد في الحجّة فقال: «قل» لهم يا محمّد أيضاً: من مالك السموات السبع و مدبّر العرش العظيم؟ لأنّهم كانوا يقرّون بأنّ الله خالق السموات و العرش.[٤]

[٨٧] «سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ قُلْ أَ فَلَا تَتَّقُونَ».

«أفلاتتّقون» عذابه على الإشراك به و إنكار المعاد؟[٥]

[٨٨] «قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ».

«ملكوت». هو مبالغة في الملك، كالجبروت و البرهوت. و قيل: «ملكوت كلّ شيء» خزائن كلّ شيء. «و هو يجير و لايجار عليه»؛ أي: يمنع من السوء من يشاء و لايمتنع منه من أراده بسوء. يقال: آجرت فلاناً، إذا استغاث بك فحميته. و آجرت عليه، إذا حميت منه. و يحتمل أن يكون أراد في الدنيا. [أي] من قصد عبداً من عباده بسوء، قدر على منعه؛ و من أراده الله [بسوء] لم يقدر على منعه أحد. أو أراد في الآخرة. أي: يجير من العذاب، و لايجار

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٠.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٢.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٠.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٣.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٣.

عليه منه. و تعديته بعلى لتضمّن معنى النصرة. «إن كنتم تعلمون» ذلك، فأجيبوا.[١]

[٨٩] «سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ».

«فأنّى تسحرون»؛ أي: فكيف يخيّل إليكم الحقّ بالباطل مع وضوح الحقّ؟ و قيل: معناه: كيف تعمون عن هذا؟ من قولهم: سحرت أعيننا فلم تبصر. و قيل: معناه: فمن أين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع تظاهر الأدلّة؟[٢]

[٩٠] «بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ».

«بل أتيناهم»؛ أي: جئناهم بالحقّ و بيّنّا لهم الحقّ الذي فيه بيان كذبهم ولكنّهم أصرّوا على باطلهم و كذبهم.[٣]

[٩١] «مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَ لَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلٰى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ».

ثمّ أكّد سبحانه ما قدّمه من أدلّة التوحيد بقوله: «ما اتّخذ الله من ولد»؛ أي: لم يجعل ولد غيره ولد نفسه. أي لم يتبنّ ولداً له، لتقدّسه عن مماثلة أحد. «من إله» يساهم في الإلهيّة. و من زائدة. «إذاً لذهب». جواب محاجّتهم و جزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه. أي: لو كان معه آلهة كما يقولون، لذهب كلّ واحد منهم بما خلقه و استبدّ به و امتاز ملكه عن ملك الآخرين و وقع بينهم التحارب و التغالب، كما هو حالة ملوك الدنيا، فلم يكن بيده وحده ملكوت كلّ شيء. و اللّازم باطل بالإجماع و الاستقراء و قيام البرهان على استناد جميع الممكنات إلى واجب واحد. «عمّا يصفون» من الولد و الشريك، لما سبق من الدليل على

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٠.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٠.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٠.

فساده.(١)

[٩٢] «عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَتَعَالىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ».

«عالم». أهل المدينة و أهل الكوفة غير حفص بالرفع. و الباقون بالجرّ على الصفة. و هو دليل [آخر] على نفي الشريك بناء على توافقهم في أنّه المتفرّد بذلك. و لهذا رتّب عليه «فتعالى عمّا يشركون» بالفاء.(٢)

[٩٣] «قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ».

«إمّا تريَنّي»: إن كان لابدّ أن تريني. لأنّ ما و النون للتأكيد. «ما يوعدون» من العذاب في الدنيا و الآخرة.(٣)

[٩٤] «رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

«في القوم الظالمين»؛ أي: قريناً لهم في العذاب. و هو إمّا لهضم النفس، أو لأنّ شؤم الظلمة قد يعمّ من وراءهم؛ كما قال: «و اتّقوا فتنة لاتصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة».(٤) عن الحسن أنّه تعالى أخبر نبيّه ﷺ أنّ له في أمّته نقمة و لم يطلعها على وقتها، فأمره بهذا الدعاء.(٥)

[٩٥] «وَ إِنَّا عَلىٰ أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ».

«ما نعدهم لقادرون» لكنّا نؤخّره علماً بأنّ بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون، أو لأنّا لانعذّبهم و أنت فيهم. و لعلّه ردّ لإنكارهم الموعود و استعجالهم له استهزاء به. و قيل: قد

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٠ ـ ١١١.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٤، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١١١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١١.

٤ـ الأنفال (٨) / ٢٥.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١١.

أراه و هو قتل بدر أو فتح مكّة.[١]

«ما نعدهم». قال الكلبيّ: هذا أمر شهده أصحاب رسول الله ﷺ بعد موته. و عن ابن عبّاس و جابر بن عبدالله أنّهما سمعا رسول الله يقول في حجّة الوداع و هو بمنى: لاترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. و أيم الله لئن فعلتموها، لتعرفنّي في كتيبة يضاربونكم. قال: فغمز من خلف منكبه الأيسر، فالتفت فقال: أو عليّ. فنزلت: «قل ربّ».[٢]

[٩٦] «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ».

ثمّ أمره ﷺ بالصبر إلى أن ينقضي الأجل المضروب للعذاب فقال: «ادفع بالتي هي أحسن»؛ أي: ادفع بالإغضاء و الصفح إساءة المسيء. و هذا قبل الأمر بالقتال. و قيل: معناه: ادفع باطلهم بلسان الحجّة على ألطف الوجوه و أوضحها. «بما يصفون»؛ أي: بما يقولون من الشرك فنجازيهم بما يستحقّونه.[٣]

«ادفع بالتي هي أحسن السيّئة». و هو الصفح عنها و الإحسان في مقابلتها بحيث لم يؤدّ [إلى] و هن في الدين. و قيل: هي كلمة التوحيد. و السيّئة الشرك. و قيل: هي الأمر بالمعروف. و السيّئة المنكر. «بما يصفون»؛ أي: بوصفهم إيّاك على خلاف حالك و أقدر على جزائهم فكل إلينا أمرهم.[٤]

[٩٧] «وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ».

«أعوذ»؛ أي: أعتصم. «همزات الشياطين»؛ أي: وساوس الشياطين و شرورهم.[٥]

«همزات الشياطين»: وساوسهم. و أصل الهمز: النخس. و الجمع للمرّات، أو لتنويع

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١١.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٦.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٦.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١١.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٦ ـ ١٨٧.

الوساوس، أو لتعدّد المضاف إليه.(١)

[٩٨] «وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ».

«يحضرون»: يقاربوني و يصدّوني عن طاعتك. و قيل: أن يحضرون في الصلاة و عند تلاوة القرآن.(٢)

[٩٩ـ ١٠٠] «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَ مِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ».

«حتّى إذا جاء». متعلّق بيصفون ـ و ما بينهما اعتراض لتأكيد الإغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان أن يزلّه عن الحلم و يغريه على الانتقام ـ أو بقوله: «لكاذبون». «قال ربّ ارجعون». يقول ذلك تحسّراً على ما فرط فيه من الإيمان و الطاعة لمّا اطّلع على الأمر. «ارجعون»؛ أي: ردّوني إلى الدنيا. و الواو لتعظيم المخاطب. و قيل: لتكرير قوله ارجعني. «فيما تركت»؛ أي: في الإيمان الذي تركته. أي: لعلّي آتي الإيمان و أعمل فيه. و قيل: في المال، أو في الدنيا. و عنهﷺ: إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا: نرجعك إلى الدنيا؟ فيقول: إلى دار الهموم و الأحزان؟ بل قدوماً إلى الله. و أمّا الكافر فيقول: ربّ ارجعون. «كلّا». ردع عن طلب الرجعة و استبعاد لها. «إنّها كلمة». يعني قوله: «ربّ ارجعون» ـ اه. «هو قائلها» لا محالة لتسلّط الحسرة عليه. «و من ورائهم»: أمامهم. و الضمير للجماعة. «برزخ»؛ أي: حائل بينهم و بين الرجعة إلى يوم البعث. و هو إقناط كلّيّ من الرجوع إلى الدنيا لما علم أنّه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا و إنّما الرجوع فيه إلى حياة تكون في الآخرة.(٣)

«ربّ ارجعون». قال الصادقعليه‌السلام: نزلت في مانع الزكاة؛ يسأل الرجعة عند الموت. «هو قائلها»؛ أي: يقولها بلسانه و ليس لها حقيقة. مثل: «و لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه».(٤) و عن

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١١.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٧.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١١ ـ ١١٢.

٤ـ الأنعام (٦) / ٢٨.

الجرجانيّ أنّه سأل الرضا عليه السلام: أيعرف القديم سبحانه الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون؟ فقال: ويحك! إنّ مسائلك لصعبة. أما تسمع قوله تعالى: «و لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه». «برزخ»؛ أي: حاجز بين الموت و البعث في القيامة من القبور.[١]

«قائلها». أي وحده لايجاب إليها.[٢]

«من ورائهم برزخ». قال: الثواب و العقاب بين الدنيا و الآخرة. و هو ردّ على من أنكر عذاب القبر و الجزاء ثواباً و عقاباً قبل يوم القيامة. و هو قول الصادق عليه السلام: و الله ما أخاف عليكم إلّا البرزخ. فأمّا إذا صار الأمر إلينا، فنحن أولى بكم.[٣]

[١٠١] «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لَا يَتَسَاءَلُونَ».

«في الصور». يعني لقيام الساعة. «فلا أنساب بينهم» تنفعهم لزوال التراحم و التعاطف من فرط الحيرة و استيلاء الدهشة بحيث يفرّ المرء من أخيه و أمّه و أبيه و صاحبته و بنيه. أو: فلا أنساب بينهم يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم. «و لايتساءلون»؛ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً لاشتغاله بنفسه. و هو لايناقض قوله: «و أقبل بعضهم على بعض يتساءلون».[٤] لأنّه أي التناكر ـ عند النفخة، و التعارف عند المحاسبة و دخول أهل الجنّة الجنّة و أهل النار النار.[٥]

«في الصور». و هو قرن ينفخ فيه إسرافيل بالصوت الهائل علامة لوقت إعادة الخلق. «فلا أنساب بينهم». عنه صلى الله عليه وآله: كلّ حسب و نسب ينقطع إلّا حسبي و نسبي. «و لايتساءلون». عن[٦] قوله: «فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون» فلا منافاة بينهما للحمل

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٧.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٢٠٣.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٩٤.

٤ـ الطور (٥٢) / ٢٥.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٢.

٦ـ كذا في النسخة. و الظاهر سقوط كلمات عند التلخيص أو الكتابة. راجع المصدر.

على أنّ للقيامة أحوالاً و مواطن.(١)

«و لايتساءلون» لكثرة الاشتغال. عن النبيّ صلى الله عليه و آله: ثلاثة مواطن تذهل [فيها] كلّ نفس: حين يؤمر لكلّ إنسان بكتابه،(٢) و عند الموازين، و على جسر جهنّم.(٣)

[١٠٢] «فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولٰئِكَ هم الْمُفْلِحُونَ».

«فمن ثقلت موازينه»؛ أي: موزونات عقائده و أعماله. أي: و من كانت له عقائد و أعمال صالحة يكون لها وزن و قدر. «هم المفلحون»؛ أي: الفائزون بالدرجات.(٤)

[١٠٣] «وَ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ».

«و من خفّت موازينه»؛ أي: لم يكن له وزن. و هم الكفّار؛ لقوله: «فلانقيم لهم يوم القيامة وزناً».(٥) «خسروا أنفسهم»: ضيّعوا زمان استكمالها و أبطلوا استعدادها لنيل كمالها.(٦)

[١٠٤] «تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَ هُمْ فِيهَا كَالِحُونَ».

«تلفح وجوههم»؛ أي: يصيبهم لهبها. «كالحون»؛ أي: عابسون. و قيل: هو أن تتقلّص شفاههم وتبدو أسنانهم كالرؤوس المشويّة.(٧)

«كالحون»؛ يعني: مفتوحي [الفم] متربّدي الوجوه.(٨)

[١٠٥] «أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ».

عن أبي جعفر عليه السلام: «ألم تكن آياتي تتلى عليكم» في عليّ عليه السلام.(٩)

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٨٩.

٢ـ المصدر: حين يرمى إلى كلّ إنسان كتابه.

٣ـ تفسير النيسابوريّ ١٨ / ٣٢.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٢.

٥ـ الكهف (١٨) / ١٠٥.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٢.

٧ـ مجمع البيان ٧ / ١٩٠.

٨ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٩٤.

٩ـ تأويل الآيات ١ / ٣٥٦.

[۱۰۶] «قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَ كُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ».

«شقوتنا»؛ أي: ذنوبنا المؤدّية إلى الشقاء. أهل الكوفة غير عاصم: «شقاوتنا» بالألف و فتح الشين. الشقوة مصدر كالفطنة.(۱)

[۱۰۷ ـ ۱۰۹] «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَؤُا فِيهَا وَ لَا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ».

[۱۱۰] «فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَ كُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ».

«سخريّاً»؛ أي: كنتم ـ يا معاشر الكفّار ـ تستهزؤون [بهم]. و قيل: معناه: تستعبدونهم و تصرفونهم في أعمالكم. و قيل: إنّهم كانوا إذا آذوا المؤمنين قالوا: انظروا إلى هؤلاء! رضوا من الدنيا بالعيش الدنيّ طمعاً في ثواب الآخرة! و ليس وراءهم آخرة و لا ثواب! «أنسوكم ذكري» لاشتغالكم بالسخريّة بهم.(۲)

«سخريّاً». نافع و حمزة و الكسائيّ: «سُخريّاً» بضمّ السين، مصدر سخر زيدت فيها ياء النسبة للمبالغة. و عند الكوفيّين المكسور بمعنى الهزء، و المضموم من السخرة بمعنى الانقياد.(۳)

[۱۱۱] «إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ».

«بما صبروا» على أذاكم واستهزائكم. «أنّهم هم الفائزون» بمجامع مراداتهم. و هو ثاني مفعولي جزيتهم.(۴)

«هم الفائزون». عن أبي جعفر عليه السلام: هم شيعة آل محمّد صلى الله عليه وآله.(۵)

۱ـ مجمع البيان ۷ / ۱۹۰ و ۱۸۸.

۲ـ مجمع البيان ۷ / ۱۹۰.

۳ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۱۱۳.

۴ـ مجمع البيان ۷ / ۱۹۲، و تفسير البيضاويّ ۲ / ۱۱۳.

۵ـ تأويل الآيات ۱ / ۳۵۶، ح ۱۰.

و قرأ حمزة و الكسائيّ: «إنّهم هم الفائزون» بالكسر على الاستئناف.(١)

[١١٢ ـ ١١٣] «قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِّينَ».

«قال». أي الله أو الملك المأمور. «كم لبثتم في الأرض»؛ أي: في القبور أو في الدنيا. «عدد سنين». تمييز لكم. «يوماً أو بعض يوم». استقلّوا حياتهم في الدنيا لطول مكثهم في النار. و لم يكن ذلك كذباً منهم لأنّهم أخبروا بما عندهم. و قيل: المراد يوماً أو بعض يوم من أيّام الآخرة. أو لأنّها كانت أيّام سرورهم و أيّام السرور قصار. أو لأنّها منقضية و المنقضي في حكم المعدوم. «فاسأل العادّين»: الذين يتمكّنون من عدّ أيّامها إن أردت تحقيقها ـ فإنّا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكّرها و إحصائها ـ أو الملائكة الذين يعدّون أعمار الناس(٢) و يحصون أعمالهم.(٣)

ابن كثير و حمزة و الكسائيّ: «قل كم لبثتم» على أنّه [أمر] للملك أو لبعض رؤساء أهل النار.(٤)

[١١٤] «قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ».

«إن لبثتم إلّا قليلاً». تصديق لهم في مقالهم. «لو أنّكم كنتم تعلمون» قصر أعماركم في الدنيا و طول مكثكم في الآخرة في العذاب، لما اشتغلتم بالكفر و المعاصي.(٥)

و في قراءة الكوفيّين: «قال إن لبثتم». و الباقون: «قل».(٦)

[١١٥] «أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٣.

٢ـ في النسخة: «أهل النار» بدل «الناس».

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٣، و مجمع البيان ٧ / ١٩٢.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٣.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٣، و مجمع البيان ٧ / ١٩٢.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٣. و فيه: «و في قراءة حمزة و الكسائيّ: قل». فلايصحّ ما في المتن لأنّهما كوفيّان.

«أنّما خلقناكم عبثاً». توبيخ لهم على تغافلهم. و عبثاً بمعنى عابثين أو مفعول له. أي لم نخلقكم تلهّياً بكم و إنّما خلقناكم لنعبّدكم و نجازيكم على أعمالكم. و هو كالدليل على البعث. «و أنّكم إلينا». معطوف على «أنّما خلقناكم» أو «عبثاً». «لاترجعون». حمزة و الكسائيّ و يعقوب: «لاترجعون» بفتح التاء و كسر الجيم.(١)

[١١٦] «فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ».

«فتعالى الله» من أن يعمل شيئاً عبثاً. «الملك الحقّ»: الذي يحقّ له الملك مطلقاً. فإنّ من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه و في حال دون حال. «ربّ العرش الكريم»؛ أي: الحسن. و قيل: الكريم: الكثير الخير، لكثرة ما فيه من الخير لمن حوله ولإتيان الخير من جهته.(٢)

[١١٧] «وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ».

«و من يدع مع الله إلهاً»؛ أي: يعبده. «لا برهان له به». صفة أخرى لإلهاً لازمة له ـ فإنّ الباطل لا برهان به ـ جيء بها للتأكيد. «حسابه عند ربّه» يجازيه على قدر ما يستحقّه. «لايفلح الكافرون»؛ أي: لايسعد الجاحدون لنعم الله.(٣)

[١١٨] «وَ قُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَ ارْحَمْ وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ».

و لمّا حكى الله أقوال الكفّار، أمر نبيّه صلى الله عليه وآله بالتبرّي منهم و الانقطاع إلى الله فقال: «قل» يا محمّد «ربّ اغفر».(٤)

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٣.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٩٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٤، و مجمع البيان ٧ / ١٩٣.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٩٣.

٢٤.

سورة النور

عنه صلى الله عليه وآله: من قرأ النور، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كلّ مؤمن و مؤمنة فيما مضى و فيما بقي.[١]

و عنه صلى الله عليه وآله: لاتنزلوا نساءكم الغرف. و لاتعلّموهنّ الكتابة. و علّموهنّ الغزل و سورة النور. [وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: ...] و حصّنوا بها نساءكم. فإنّ من أدمن قراءتها في كلّ يوم، لم‌يزن أحد من أهل بيته أبداً حتّى يموت. فإذا مات شيّعه إلى قبره سبعون ألف ملك و يستغفرون الله له حتّى يدخل إلى قبره.[٢]

النور: من جعلها في فراشه الذي ينام فيه، لم‌يحتلم. و من كتبها في طشت نحاس و محاها و سقاها الدابّة المريضة و رشّ عليها من الماء، برئت.[٣]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ * سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَ فَرَضْنَاهَا وَ أَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».

ابن‌كثير و أبوعمرو: «فرّضناها» بالتشديد، لكثرة فرائضها أو المفروض عليهم أو للمبالغة في إيجابها.[٤]

«سورة»؛ أي: هذه سورة أنزلها جبرئيل بأمرنا و أوجبنا عليكم العمل بها. و قيل:

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٩٤.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٩٤.

٣ـ المصباح / ٦٠٨.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٥.

معناه: و قدّرنا فيها الحدود. على قراءة التشديد[١] معناه: فصّلناها و بيّنّا فيها فرائض مختلفة. «آيات بيّنات»؛ أي: دلالات واضحات على وحدانيّتنا و كمال قدرتنا. و قيل: أراد بها الحدود و الأحكام التي شرع فيها. «لعلّكم تذكّرون»؛ أي: لكي تتذكّروا فتعملوا بما فيها.[٢]

[٢] «الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَ لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ وَ لْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».

ثمّ ذكر سبحانه تلك الآيات فقال: «الزانية والزاني»؛ أي: من زنى من الرجال و من زنت من النساء. «مائة جلدة». يعني إذا كانا حرّين بالغين بكرين غير محصنين. و لو كان أحدهما محصناً، كان عليه الرجم بلا خلاف. و الإحصان هو أن يكون له فرج يغدو إليه و يروح على وجه الدوام و يكون حرّاً. و أمّا العبد، فلايكون محصناً، و كذلك الأمة، و إنّما عليهما نصف الحدّ خمسون جلدة. «فاجلدوا». خطاب للأئمّة: أو من كان منسوباً من جهتهم. لأنّه ليس لأحد أن يقيم الحدود إلّا الأئمّة عليهم السلام و ولاتهم بلا خلاف. «رأفة»؛ أي: رحمة تمنعكم من إقامة الحدود عليهما فتعطّلوا الحدود. و قيل: رأفة تمنع من الجلد الشديد، بل أوجعوهما ضرباً و لاتخفّفوا كما يخفّف في حدّ الشارب. «في دين الله»؛ أي: طاعته و حكمه. «و ليشهد»؛ أي: و ليحضر حال إقامة الحدّ عليهما زيادة في التنكيل. فإنّ التفضيح قد ينكّل أكثر ممّا ينكّل التعذيب. و الطائفة جماعة من المؤمنين ثلاثة فصاعداً. و قيل: أقلّه رجل واحد. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. و يدلّ عليه: «و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا».[٣] و هذا الحكم يثبت للواحد كما يثبت للجمع.[٤]

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٩٦ ـ ١٩٧. ٢ـ مجمع البيان ٧ / ١٩٦ ـ ١٩٧.

٣ـ الحجرات (٤٩) / ٩.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ١٩٦، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٥ ـ ١١٦.

«رأفة». ابن‌كثير بفتح الهمزة. لغة في سكونها.[١]

[٣] «الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَ الزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَ حُرِّمَ ذٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ».

«الزاني»؛ أي: الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنى، لايرغب في نكاح الصوالح، بل يميل إلى شكله. و كذلك الزانية و المشركة تقرب منه في خبث الفعل. و الآية نزلت في رجل من المسلمين استأذن النبيّ ﷺ في أن يتزوّج أمّ مهزول زانية كان لها علم، ونزلت في فقراء المهاجرين حيث رغبوا في نكاح موسرات كانت في المدينة من بغايا المشركين. فنزلت الآية و قرن الزنى بالشرك في الموضعين تغليظاً لأمر الزنى. و الآية، و إن كان ظاهرها الخبر، فهو في معنى النهي لقوله: «و حرّم ذلك على المؤمنين». و احتمل في الكشّاف أن تكون الآية خبراً محضاً على معنى أنّ عادتهم جارية على ذلك و على المؤمن أن لايدخل نفسه تحت هذه العادة.[٢] و ظاهر النكاح في الآية العقد لا الوطي. و قيل: هي بمعناه. و فيه فساد المعنى؛ و هو أن يكون معناه: الزاني لايزني إلّا بزانية و الزانية لاتزني إلّا بزان. و يؤيّد كونه بمعنى العقد روايات عديدة بأنّ الآية المذكورة وردت في رجال و نساء كانوا على عهد رسول الله ﷺ مشهورين بالزنى فنهى الله عن أولئك الرجال و النساء، و الناس اليوم على تلك المنزلة، من شهر بشيء من ذلك أو أقيم عليه حدّ، فلاتزوّجوه حتّى تعرفوا توبته.[٣] و مقتضى ذلك عدم جواز نكاح المشهورة بالزنى أو المحدودة قبل التوبة دواماً و متعة. و قد صرّح الصدوق بأنّ من تمتّع بالزانية فهو زان. و إليه ذهب ابن البرّاج. ولكنّ المشهور بين الأصحاب الجواز على كراهية استناداً إلى الأصل و إلى ما ورد في خبري زرارة و عليّ بن يقطين، و أجابوا عن الآية تارة بأنّ المراد بها الوطي و أخرى بأنّه كان محرّماً في أوّل الإسلام

١ـ مجمع البيان ٧ / ١٩٥ و ١٩٦.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٢١٣.
٣ـ انظر: المجمع ٧ / ١٩٧ ـ ١٩٨، الكافي ٥ / ٣٥٤، ح ١ و ٢ و ٣.

ثمّ نسخ بقوله: «و أنكحوا الأيامى منكم» ـ الآية[١] ـ فإنّها تتناول المسافحات. و لعلّ المنع هو الأقوى. و قد حرّرنا الكلام فيه في كتابنا شرحي التهذيب و الاستبصار بما لا مزيد عليه.

[٤ ـ ٥] «وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَ لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ❁ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«و الذين يرمون المحصنات»؛ أي: يقذفون العفائف من النساء بالزنى و الفجور. «بأربعة شهداء» يشهدون أنّهم رأوهنّ يفعلن ذلك. «فاجلدوهم». و هو بإطلاقه يتناول الحرّ و العبد. و الشيخ في المبسوط على أنّ العبد على النصف أعني أربعين جلدة. و هو مع كونه خلاف المشهور يخالف الروايات أيضاً. و شروط الإحصان الموجبة للحدّ بالقذف أن يكون بالغاً عاقلاً مسلماً عفيفاً عن الزنى. و متى اختلّت، أو واحدة منها، فلا حدّ على قاذفه. نعم، يجب التعزير، و إن كان القذف للمتظاهر بالزنى، على المشهور. و تردّد الشهيد في التعزير بقذف المتظاهر به. بل الظاهر من الدليل هو العدم بل الاستحباب؛ لقوله في حديث ابن بزيع: من تمام العبادة الوقيعة في أهل الريب. و لا فرق في ثبوت الحكم بين الذكر و الأنثى. و تخصيص المحصنات بالذكر إمّا بخصوص الواقعة ـ فإنّها نزلت في عائشة ـ و إمّا لأنّ قذف النساء أغلب و أشنع. «و لا تقبلوا لهم شهادة» أيّ شهادة كانت، لأنّه مفتر. «أبداً»؛ أي: في جميع الأحوال إلّا حال التوبة. «إلّا الذين تابوا» عن القذف. قال الشيخ في النهاية: توبته أن يكذّب نفسه فيما كان قذف به. و في المبسوط: أن يقول: القذف باطل حرام. و لا أعود إلى ما قلت. «و أصلحوا». أي بالاستمرار على التوبة. و اعتبر الشيخ إظهار العمل الصالح في قبول شهادته و جماعة على الاجتزاء بالتوبة في قبول الشهادة.

١ـ النور (٢٤) / ٣٢.

[٦ـ٩] «وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَ الْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَ يَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَ الْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ».

عن ابن‌عبّاس: لمّا نزلت: «و الذين يرمون المحصنات» قال عاصم بن عديّ: يا رسول الله، إن رأى رجل منّا مع امرأته رجلاً فأخبر بما رأى، جلد ثمانين، و إن التمس أربعة شهداء، كان الرجل قضى حاجته ثمّ مضى! قال: كذلك يا عاصم. فخرج سامعاً مطيعاً. فلم‌يصل إلى منزله حتّى استقبله هلال بن أميّة يسترجع فقال: وجدت شريك بن إسحاق على بطن امرأتي. فرجع إلى النبيّ ﷺ و أخبره هلال بالذي كان. فبعث إليها فقال: ما يقول زوجك؟ فأنكرت. فأنزل الله آية اللّعان: «و الذين يرمون أزواجهم» ـ اه.[١]

غير أبي‌بكر من أهل الكوفة: «فشهادة أحدهم أربعُ شهادات» بالرفع. و الباقون: «أربعَ شهادات» بالنصب. قرأ نافع: «أنْ لعنةُ الله» ساكنة النون من «أن»، «لعنة الله» بالرفع. و «أن غضِب الله» بكسر الضاد و رفع «الله». و قرأ يعقوب: «أن لعنةُ الله» و «أن غضبُ الله» برفع «لعنة» و «غضب» جميعاً. و الباقون «أنّ لعنةَ الله» و «أنّ غضب الله» بالتشديد و النصب في الموضعين. قرأ حفص: «و الخامسة» الثانية بالنصب، و الباقون بالرفع.[٢]

«و الذين يرمون أزواجهم». أي بالزنى؛ إمّا بقذفهنّ ـ مثل: أنت زانية ـ أو بنفي الولد. و هذا الحكم مخصوص بالعفيفة، فلايثبت اللّعان بقذف المشهورة بالزنى. «إلّا أنفسهم». يحتمل أن يكون إلّا بمعنى غير صفة لما تقدّمه. و يحتمل أن يكون ذكرها للمبالغة في نفي الشاهد. فإنّ النفوس مدّعية لا شاهدة. و قد يستدلّ بظاهر الآية على أنّ الزوج إذا كان أحد الشهود الأربعة، فإنّها تحدّ و لا لعان؛ كما ذهب إليه بعض أصحابنا. و ذهب بعض أصحابنا إلى عدم جواز ذلك و أوجبوا في هذه الصورة حدّ الثلاثة و لعان الزوج. و عليه بعض الأخبار.

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٠١.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٠٠.

«فشهادة أحدهم أربع شهادات». إن قرئ بنصب أربع، كان «شهادة أحدهم» [مبتدأ حذف أو خبر] مبتدأ محذوف. أي: فالواجب أن يشهد أحدهم أربع شهادات. و نصب الأربع على المصدريّة. و إن قرئ بالرفع، كان خبراً للشهادة. «بالله». متعلّق بالشهادات. «لمن الصادقين» فيما رماها به من الزنى أو نفي الولد. أي يقول أربع مرّات: أشهد بالله أنّي لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنى. «و الخامسة أن لعنة الله عليه» جاعلاً للمجرور بعلى ياء المتكلّم. «إن كان من الكاذبين» فيما رماها به من الزنى و نفي الولد. و هذه الشهادات [الأربع تقوم مقام الشهود] الأربعة في إسقاط حدّ القذف عنه. و لو لم يفعلها، حدّ للقذف. «و يدرأ عنها العذاب»؛ أي: يسقط عنها الحدّ «أن تشهد أربع شهادات بالله إنّه لمن الكاذبين» فيما رماها به، متلفّظة بذلك. «و الخامسة». بالنصب على قراءة حفص، لعطفها على أربع، و بالرفع مبتدأ خبره «أنّ غضب الله عليها إن كان من الصادقين» فيه. و خصّت الملاعنة [بأن تخمس بغضب الله] للتغليظ عليها لأنّها هي أصل الفجور و منبعه. و دلالة الآية على ثبوت اللّعان بقذف الزوجة ظاهر. و قال ابن بابويه في المقنع: «لايكون اللّعان إلّا بنفي الولد» نظراً إلى ظاهر رواية أبي بصير، و هي ضعيفة السند لاتقاوم ظاهر الآية.[١]

[١٠] «وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ».

«و لولا فضل الله». جواب لولا محذوف. أي: لولا فضل الله عليكم بالنهي عن الزنى و إقامة الحدود، لتهالك الناس و انقطع الأنساب. و قيل: معناه: لولا فضل الله عليكم و أنّه عوّاد على من تاب بالرحمة حكيم فيما فرضه من الحدود، لنال الكاذب منهما عذاب عظيم. أي لبيّن الكاذب منهما فيقام عليه الحدّ، أو لعاجلكم بالعقوبة، و لفضحكم فيما ترتكبون من الفاحشة.[٢]

١ـ مسالك الأفهام ٤ / ١١٢ و ١١٦ و ١١٨ و ١٢٢ ـ ١٢٣.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٠٣.

[١١] «إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

«إنّ الذين جاؤوا بالإفك». و هو أبلغ ما يكون [من الكذب]. من الإفك، و هو الصرف، لأنّه قول مأفوك عن وجهه. و المراد ما أفك به على عائشة. و ذلك أنّه ﷺ استصحبها في غزوة بني المصطلق. فأذن ليلة في القفول بالرحيل، فمشت لقضاء حاجتها، ثمّ عادت إلى الرحل، فلمست صدرها، فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع. فرجعت لتطلبه، فظنّ الذي كان يرحلها أنّها دخلت الهودج فرحله على مطيّتها و سار. فلمّا عادت إلى منزلها، لم تجد ثمّ أحداً. فجلست حتّى يرجع إليها منشد. و كان صفوان بن المعطل السلميّ قد عرس وراء الجيش، فأدلج فأصبح عند منزلها، فعرفها فأناخ راحلته فركبتها فقادها حتّى أتيا الجيش فاتّهمت به. «عصبة منكم»: جماعة، و هي من العشرة إلى الأربعين، منهم عبدالله بن أبيّ و حسّان بن ثابت. و هي خبر إنّ. و قوله: «لاتحسبوه شرّاً لكم» مستأنف. و الخطاب للرسول ﷺ و عائشة و صفوان و من اغتمّ بسببه. و الهاء للإفك. «خير لكم» لاكتسابكم به الثواب و إنزال الآيات في التبرئة و تهويل الوعيد لمن تكلّم فيكم و الثناء على من ظنّ بكم خيراً. «لكلّ امرئ منهم»؛ أي: لكلّ جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصّاً به. «و الذي تولّى كبره»؛ أي: تحمّل معظمه «منهم» و هو ابن أبيّ، فإنّه بدأ به أو أذاعه عداوة لرسول الله ﷺ. و كان يقول: و الله ما نجا صفوان منها و لا نجت منه. «عذاب عظيم» في الدنيا و الآخرة. و ذلك أنّه جلد ابن أبيّ و طرده و شهّره بالنفاق.(١)

«إنّ الذين جاؤوا» ـ الآية. روت العامّة أنّها نزلت في عائشة و ما رميت به في غزوة بني المصطلق. و أمّا الخاصّة، فإنّهم رووا أنّها نزلت في مارية القبطيّة و ما رمتها به عائشة. عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ حزن عليه حزناً شديداً. فقال عائشة: ما الذي يحزنك عليه؟ فما هو إلّا ابن جريح! فبعث رسول الله عليّاً عليه السلام و أمره بقتله.

١ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١١٧ ـ ١١٨، و مجمع البيان ٧ / ٢٠٦.

فذهب و معه السيف. و كان جريح القبطيّ في حائط له. فلمّا رأى عليّاً عليه السلام مغضباً، هرب من بين يديه و صعد نخلة، و صعد خلفه، فرمى بنفسه فبدت عورته، فإذا ليس ما للرجال و لا ما للنساء. فانصرف عليّ عليه السلام فأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحمد لله الذي يصرف السوء عنّا أهل البيت.(١)

«كبره». يعقوب: «كُبره» بضمّ الكاف، لغة فيه.(٢)

[١٢] «لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُـؤْمِنُونَ وَ الْمُـؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَ قَالُوا هٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ».

«لولا إذ سمعتموه»؛ أي: هلّا حين سمعتم هذا الإفك «ظنّ المؤمنون و المؤمنات» بالّذين هم كأنفسهم «خيراً». لأنّ المؤمنين كلّهم كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الأمور. و هو كقوله: «فسلّموا على أنفسكم».(٣) فيكون خطاباً لمن سمعه فسكت و لم يصدّق و لم يكذّب. و قيل: هو خطاب لمن أشاعه و معناه: [هلّا] إذا سمعتم هذا الحديث ظننتم بها ما تـظنّونه بأنفسكم لو خلوتم بها؟ و ذلك لأنّها كانت أمّ المؤمنين و من خلا بأمّه فإنّه لايطمع فيها و هي لاتطمع فيه. «و قالوا هذا إفك مبين»: ظاهر.(٤)

[١٣] «لَوْ لَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولٰئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ».

«لولا جاؤوا عليه». [من جملة المقول] تقريراً لكونه كذباً. فإنّ ما لا حجّة عليه كذب. «عند الله»؛ أي: في حكمه.(٥)

[١٤] «وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ٩٩ ـ ١٠٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٧.
٣ـ النور (٢٤) / ٦١.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٠٧.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٨.

عَذَابٌ عَظِيمٌ».

«و لولا فضل الله عليكم» بأن أمهلكم لتتوبوا و لم يعاجلكم بالعقوبة، «لمسّكم»؛ أي: أصابكم «فيما أفضتم»؛ أي: فيما خضتم فيه من الإفك «عذاب» لا انقطاع له.[١]

[١٥] «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَ تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَ هُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ».

ثمّ ذكر الوقت الذي كان يصيبهم العذاب فيه لولا فضله فقال: «إذ تلقّونه بألسنتكم»؛ أي: يرونه بعضكم عن بعض. و قيل: معناه: تقبلونه من غير دليل. و لذلك أضافه إلى اللّسان. «و تحسبونه هيّناً»؛ أي: تظنّون أنّ ذلك هيّن؛ أي: سهل لا إثم فيه. «و هو عند الله عظيم» في الوزر.[٢]

هذه ثلاثة آثام مترتّبة علّق بها مسّ العذاب: تلقّي الإفك بألسنتهم، و التحدّث به من غير تحقّق، و استصغارهم لذلك و هو عند الله عظيم.[٣]

[١٦] «وَ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهٰذَا سُبْحَانَكَ هٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ».

ثمّ زاد سبحانه في الإنكار عليهم فقال: «و لولا إذ سمعتموه قلتم»؛ أي: هلّا قلتم حين سمعتم ذلك الحديث: لا يحلّ لنا أن نخوض في هذا الحديث. «سبحانك» يا ربّنا. «هذا» الذي قالوه «بهتان عظيم». و قيل: إنّ سبحانك هنا معناه التعجّب. و قيل: معناه: ننزّهك ربّنا من أن نعصيك بهذه المعصية.[٤]

«نتكلّم بهذا». يجوز أن يكون الإشارة إلى القول المخصوص و أن يكون إلى نوعه. فإنّ قذف آحاد الناس محرّم شرعاً. و [«سبحانك»] معناه تنزيه الله من أن يكون حرم نبيّه

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٠٧.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٠٧.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٨.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٠٨.

فاجرة. فإنّ فجورها ينفّر عنه و يخلّ بمقصود الزواج بخلاف كفرها[١] كما في امرأتي نوح و لوط.

[١٧] «يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

«يعظكم الله»؛ أي: ينهاكم. و قيل: معناه: كراهة أن تعودوا.[٢]

[١٨] «وَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

«و يبيّن الله لكم الآيات» في الأمر و النهي.[٣]

[١٩] «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ اللهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ».

ثمّ هدّد القاذفين فقال: «إنّ الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة» كالزنى و القبائح «في الذين آمنوا» بأن ينسبوها إليهم و يقذفوهم بها «لهم عذاب أليم في الدنيا» بإقامة الحدود «و الآخرة» بعذاب النار.[٤]

«في الدنيا والآخرة». لقد ضرب رسول الله ﷺ عبدالله بن أبيّ و حسّاناً و قعد صفوان لحسّان فضربه ضربة بالسيف و كفّ بصره. [و قوله:] «و الله يعلم و أنتم لاتعلمون» في نهاية حسن الموقع. لأنّ الأعمال القلبيّة محبّة الخير أو الشرّ لايطّلع عليه كما هي إلّا الله و إنّما نعرف نحن شيئاً منها بالقرائن و الأمارات.[٥]

[٢٠] «وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ».

«و لولا فضل الله». الجواب محذوف. أي: لعاجلكم بالعقوبة ولكنّه برحمته أمهلكم

١ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١١٨.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٠٨.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٠٨.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٠٨.
٥ـ تفسير النيسابوريّ ١٨ / ٣٢.

لتتوبوا و تندموا.[١]

[٢١] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَ مَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ مَا زَكىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَ لٰكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَ اللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

نافع: «خطْوات» بالسكون.[٢]

عن يعقوب: «ما زكّى» بالتشديد.[٣]

«خطوات الشيطان»؛ أي: طرقه و آثاره التي تؤدّي إلى مرضاته كإشاعة الفاحشة. «و لولا فضل الله عليكم» بأن أمركم بما تصيرون به أزكياء، «ما زكى منكم من أحد»: ما صار منكم أحد زكيّاً. و من في قوله: «من أحد» مزيدة. و قيل: معناه: ما طهر منكم أحد من وسوسة الشيطان. «ولكنّ الله يزكّي»: يطهّر بلطفه من يشاء.[٤] و قيل: معناه: «و لولا فضل الله عليكم و رحمته» بتوفيق التوبة الماحية للذنوب و شرع الحدود المكفّرة لها، «ما زكى»؛ أي: ما طهر من دنسها. «ولكنّ الله يزكّي من يشاء». أي بحمله على التوبة و قبولها.[٥]

[٢٢] «وَ لَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبىٰ وَ الْمَسَاكِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَ لْيَعْفُوا وَ لْيَصْفَحُوا أَ لَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«و لا يأتل». أبو جعفر: «و لا يتألّ» من تألّى إذا حلف. وفي الحديث: و من يتألّ على الله يكذّبه. و هو الذي يحلف فيقول: و الله لايدخل الجنّة فلان و النار فلان. و روي عن النبيّ ﷺ[٦]: «و لتعفوا و لتصفحوا» بالتاء كما يروى بالياء أيضاً.[٧]

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٠٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٩.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٠٩.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢١٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٩.
٦ـ المصدر: روي عن عليّ عليه السلام.
٧ـ مجمع البيان ٧ / ٢٠٩.

«و لا يأتل»؛ أي: لا يحلف. افتعال من الأليّة. أو: لا يقصّر من الألو. و نزلت الآيـة في مسطح و كان ابن خالة أبي‌بكر من المهاجرين من جملة أهل بدر. و كان أبوبكر يجري عليه [و يقوم بنفقته] لفقره. فلمّا خاض في الإفك، قطعها و حلف [أن] لا ينفعه بنفع. فلمّا نزلت الآية، عاد إلى ما كان. و قيل: نزلت في جماعة من الصحابة أقسموا أن لا يتصدّقوا على رجل تكلّم بشيء من الإفك و لا يواسوهم. عن ابن‌عبّاس و غيره. «أولو الفضل منكم» في الدين «و السعة» في المال «أن يؤتوا»؛ أي: على أن لا يؤتوا. «أولي القربى و المساكين و المهاجرين». صفات لموصوف واحد ـ أي ناساً جامعين لها، لأنّ الكلام فيمن كان كذلك و في مسطح ـ أو لموصوفات أقيمت مقامها فيكون في تعليل المقصود. قال الجبّائيّ: و في قصّة مسطح دلالة على أنّه قد يجوز أن تقع المعاصي ممّن شهد بدراً بخلاف قول النواصب. «و ليصفحوا» عمّن أساء إليهم. «غفور رحيم» مع كمال قدرته، فتخلّقوا بأخلاقه.[١]

[٢٣] «إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

«يرمون المحصنات»؛ أي: يقذفون العفائف «الغافلات» عمّا قذفن به. «لعنوا في الدنيا» بالحدّ و ردّ الشهادة. «و في الآخرة» بعذاب النار. و هذا الوعيد لجميع المكلّفين. عن ابن‌عبّاس.[٢]

[٢٤] «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«يوم تشهد». بيّن سبحانه أنّ ذلك العذاب يكون في يوم تشهد ألسنتهم عليهم بالقذف و سائر أعضائهم بمعاصيهم. و شهادة الجوارح إمّا بأنّ الله يبنيها بنية يمكنها الكلام و النطق من جهتها فتكون ناطقة؛ أو أنّ الله يفعل فيها كلاماً يتضمّن الشهادة فيكون المتكلّم هو الله

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١١٩ ـ ١٢٠، و مجمع البيان ٧ / ٢١٠ ـ ٢١١.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٢٠، و مجمع البيان ٧ / ٢١١.

دون الجوارح؛ أو أنّه يجعل فيها علامات تقوم مقام النطق بالشهادة. و أمّا شهادة الألسن، فإذا رأوا أنّه لاينفعهم الجحود. و أمّا الختم على الأفواه، فيجوز أن يكون في حال شهادة الأيدي و الأرجل.(١)

[٢٥] «يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ».

«يوفّيهم الله دينهم الحقّ»؛ أي: يتمّم لهم جزاءهم الحقّ. فالدين هنا بمعنى الجزاء. و يجوز أن يكون المراد: جزاء دينهم الحقّ، فحذف المضاف.(٢)

«و يعلمون» لمعاينتهم الأمر «أنّ الله هو الحقّ المبين»: الثابت بذاته، الظاهر في ألوهيّته، لايشاركه في ذلك غيره و لايقدر على الثواب و العقاب سواه. أو: ذو الحقّ البيّن؛ أي: العادل الظاهر عدله. و من كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة.(٣)

[٢٦] «الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَ الْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَ الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَ الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولٰئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ».

أي: الخبيثات من الكلم، للخبيثين من الرجال. و الخبيثون من الرجال، للخبيثات من الكلم. و كذلك القول في الطيّبات. ألاترى أنّك تسمع الخبيث من الرجل الصالح فتقول: غفر الله لفلان. ما هذا من خلقه. أو معناه: الخبيثات من السيّئات، للخبيثين من الرجال. فيكون المراد من الطيّبات الحسنات. أو يكون المراد: الخبيثات من النساء، للخبيثين من الرجال. و كذلك حكم الطيّبات من النساء. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام. قال: هي مثل قوله: «الزاني لاينكح إلّا زانية أو مشركة».(٤) و ذلك أنّ أناساً همّوا أن يتزوّجوا منهنّ فنهاهم الله عن ذلك و كره ذلك لهم. «اولئك مبرّؤون ممّا يقولون»؛ أي: الطيّبون منزّهون عن الكلام الخبيث. «لهم»؛ أي: لهؤلاء الطيّبين من الرجال و النساء «مغفرة» من الله لذنوبهم «و رزق كريم»

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢١١.
٢ـ مجمع البيان ٧ /٢١١.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٢٠.
٤ـ النور (٢٤) / ٣.

في الجنّة.[١]

[٢٧] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».

«تستأنسوا» ؛ أي: تستأذنوا. قال ابن عبّاس: أخطأ الكاتب فيه. و كان يقرأ: «تستأذنوا». و قيل: تستأنسوا بالتنحنح و الكلام الذي يقوم مقام الاستئذان. و قد بيّن الله ذلك في قوله: «و إذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا».[٢] عن أبي أيّوب الأنصاريّ قال: قلنا: يا رسول الله ﷺ ما الاستئناس؟ قال: يتكلّم الرجل بالتسبيحة و التحميدة و التكبيرة و يتنحنح على أهل البيت. و روي أنّ رجلاً قال للنبيّ ﷺ: أستأذن على أمّي؟ فقال: نعم. قال: إنّها ليس لها خادم غيري. فأستأذن عليه كلّما دخلت؟ قال: أتحبّ أن تراها عريانة؟ قال الرجل: لا. قال: فاستأذن عليها. «و تسلّموا على أهلها». قيل: إنّ فيها تقديماً و تأخيراً. أي: حتّى تسلّموا على أهلها و تستأذنوا. و قيل: معنى تستأنسوا تسلّموا. فقد روي أنّ رجلاً استأذن على رسول الله ﷺ فتنحنح، فقال ﷺ لامرأة يقال لها روضة: قومي إلى هذا فعلّميه و قولي له: قل: السلام عليكم. أأدخل؟ فسمعها الرجل فقالها. فقال: ادخل. «ذلكم»؛ أي: الدخول بالاستئذان. «تذكّرون» أوامر الله و نواهيه فتتّبعونها.[٣]

«تستأنسوا». إمّا من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش. لأنّ الذي يطرق باب غيره لايدري أيؤذن له أم لا، فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له، استأنس. فالمعنى: حتّى يؤذن لكم. أو يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام من آنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً. أي: حتّى تستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا. و يجوز أن يكون من الإنس، و هو أن يتعرّف هل ثمّ إنسان. «ذلكم»؛ أي: الاستئذان و التسليم «خير لكم» من تحيّة الجاهليّة و من الدخول بغير إذن. و كان أهل الجاهليّة إذا

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢١٢ ـ ٢١٣. ٢ـ النور (٢٤) / ٥٩.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢١٣.

دخل الرجل منهم بيتاً غير بيته قال: حيّيتم صباحاً، و حيّيتم مساء، ثمّ يدخل. فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد. فصدّ الله عن ذلك و علّم الأحسن.(١)

[٢٨] «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَ إِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ».

«فإن لم تجدوا فيها أحداً» يأذن لكم في الدخول، «فلاتدخلوها». لأنّه ربما كان فيها ما لايجوز أن تطّلعوا عليه. «حتّى يؤذون لكم»: [حتّى يأذن لكم] أرباب البيوت. بيّن سبحانه بهذا أنّه لايجوز دخول دار بغير إذن صاحبها و إن لم يكن فيها و لايجوز أن يتطلّع إلى المنزل ليرى من فيه فيستأذنه إذا كان الباب مغلقاً؛ لقوله ﷺ: إنّما جعل الاستئذان لأجل النظر إلّا أن يكون الباب مفتوحاً، لأنّ صاحبه أباح النظر بالفتح. «فارجعوا». و ذلك بأن يأمروا بالانصراف صريحاً أو يوجد منهم ما يدلّ عليه. «أزكى لكم»؛ أي: أنفع لكم و أطهر لقلوبكم.(٢)

[٢٩] «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَ اللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا تَكْتُمُونَ».

«جناح»؛ أي: حرج و إثم. «أن تدخلوا بيوتاً». أي بغير استئذان. «فيها متاع لكم». قيل: المراد بها الخانات والحمّامات و الأرحية. عن الصادق عليه السلام. وتكون معنى «متاع لكم» استمتاع. و قيل: إنّها الخرابات المعطّلة يدخلها الإنسان لقضاء الحاجة. و قيل: الحوانيت و بيوت التجّار التي فيها أمتعة الناس. فإنّهم جاؤوا ببيوعهم فجعلوها فيها و قالوا للناس هلمّوا. و الأولى حمله على الجميع.(٣)

«متاع لكم». المتاع: المنفعة، [كالاستكنان] من الحرّ و البرد و إيواء الرحل و السلع.(٤)

١ـ الكشّاف ٣ / ٢٢٥ ـ ٢٢٧.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢١٣ ـ ٢١٤.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢١٤.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٢٢٨.

[۳۰] «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذٰلِكَ أَزْكىٰ لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ».

«يغضّوا». الغضّ: النقصان. أي: يغضّوا عمّا لايحلّ لهم. «من أبصارهم». من مزيدة أو للتبعيض. و عن أبي عبدالله عليه السلام: كلّ موضع في القرآن ذكر فيه حفظ الفروج، فهو عن الزنى إلّا في هذا الموضع، فإنّ المراد به الستر حتّى لاينظر إليه أحد. «أزكى»؛ أي: أطهر و أنفى للتهمة.[۱]

فإن قلت: كيف دخلت «من» في غضّ البصر دون حفظ الفروج؟ قلت: دلالة على أنّ أمر النظر أوسع. ألاترى أنّ المحارم لابأس بالنظر إلى شعورهنّ و صدورهنّ و كذلك الجواري المستعرضات ينظر إلى وجهها و كفّيها و قدميها. و أمّا أمر الفرج، فضيق. و كفاك فرقاً أن أبيح النظر إلّا ما استثني منه و حظر الجماع إلّا ما استثني منه. و أمّا تقدّم غضّ الأبصار على حفظ الفروج، فلأنّ النظر بريد الزنى و رائد الفجور و البلوى فيه أشدّ و أكثر و لايكاد يقدر على الاحتراس منه.[۲]

في حديث ابن أمّ مكتوم الأعمى لمّا دخل على النبيّ صلّى الله عليه و آله و أمر نساءه بدخول البيت لئلّا يرينه[۳] دلالة على المنع من رؤية الرجال الأجانب لهنّ مطلقاً. و نقل العلّامة في التذكرة عن بعض علمائنا جواز النظر إلى وجه الرجل و كفّيه كنظر الرجل إلى وجه المرأة و كفّيها. و قال بعضهم: إنّها تنظر إلى ما يبدو عند الحاجة[۴] دون غيره إذ لا حاجة إليه. و قال بعضهم: إنّها تنظر إلى جميع بدنه إلّا مابين السرّة و الركبة بخلاف بدن المرأة، فإنّه كلّه عورة. و فيه ما لايخفى.

[۳۱] «وَ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَ لَا يُبْدِينَ

۱ـ مجمع البيان ۷ / ۲۱۶ ـ ۲۱۷.
۲ـ الكشّاف ۳ / ۲۲۹ ـ ۲۳۰.
۳ـ الكافي ۵ / ۵۳۴، و الكشّاف ۳ / ۲۲۹ ـ ۲۳۰.
۴ـ في مسالك الأفهام ۳ / ۲۶۹: عند المهنة.

زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ لْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَ لَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَ تُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

«إلّا ما ظهر منها». الحقّ أنّ الآية لاتخلو من إجمال و الروايات أيضاً مختلفة في ذلك. و لايبعد استثناء الكفّين و العينين و الحاجبين، كما اقتضته صحيحة الفضيل بن يسار. و ذهب الشيخ إلى جواز النظر إلى وجه الأجنبيّة و كفّيها إذا لم يخف الفتنة؛ لقوله: «إلّا ما ظهر منها». مفسّر بالوجه و الكفّين. و في التبيان بعد أن نقل الأقوال في تفسير الزينة قال: و أجمعوا على أنّ الوجه و الكفّين ليس بعورة لجواز إظهاره في الصلاة.[1] و هذا المقام في غاية الإشكال، و الاحتياط و إن كان واضحاً إلّا أنّه يعسر في بعض الموارد خصوصاً في البيوت الكثيرة النساء و الرجال. و إنّما لم يذكر الأعمام و الأخوال في جملة المحارم لئلّايصفه العمّ عند ابنه و الخال كذا. و معناه ـ كما قال الزمخشريّ ـ أنّ سائر القرابات يشترك الابن و الأب في المحرميّة إلّا العمّ والخال و أبناؤهما.[2] «أو ما ملكت أيمانهنّ». قيل: العبيد. و قيل: الإماء. و هو الصحيح. لأنّ عبد المرأة بمنزلة الأجنبيّ منها خصيّاً كان أو فحلاً، كما هو المشهور بين أصحابنا. نعم، في بعض أخبارنا ما يدلّ على جواز نظر العبد إلى مولاته، لكنّها محمولة إمّا على التقيّة أو على صغر المملوك أو كبره و هرمه. فيكون المراد من النساء الحرائر و ما ملكت الإماء، فلا تكرار. «أولي الإربة»: الحاجة إلى النساء. و في الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام: المراد به الأحمق الذي لا يأتي النساء.[3] «لم يظهروا»؛ أي: لم يميّزوا بين عورات النساء و غيرهنّ. و

١ـ التبيان ٧ / ٤٢٩.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

٣ـ الكافي ٥ / ٥٢٣.

قيل: إنّه مأخوذ من ظهر على فلان، إذا قوي عليه. يعني لم‌يبلغوا أوان القدرة على الوطي. و لعلّ حدّه المراهقة فلايجوز لمراهق البلوغ النظر.

«و لايبدين»؛ أي: لايظهرن مواضع الزينة لغير محرم. و لم‌يرد نفس الزينة. لأنّ ذلك يحلّ النظر إليه. و قيل: الزينة زينتان؛ ظاهرة و باطنة. فالظاهرة لايجب سترها و لايحرم النظر إليها. قيل: الظاهرة الثياب. و قيل: الكحل و السواد و الخاتم. و قيل: الوجه و الكفّان. و في تفسير عليّ بن إبراهيم الكفّان و الأصابع. «بخمرهنّ». الخمر: المقانع. أمرن بإلقاء المقانع على صدورهنّ تغطية لنحورهنّ. لأنّهنّ كنّ يلقين مقانعهنّ على ظهورهنّ فتبدو صدورهنّ. و كنى عن الصدور بالجيوب. «و لايبدين زينتهنّ». يعني الزينة الباطنة التي لايجوز كشفها في الصلاة. و قيل: معناه: لايضعن الجلباب و الخمار. عن ابن‌عبّاس. «إلّا لبعولتهنّ» تحريكاً لشهوتهم. و قد لعن النبيّ صلى الله عليه وآله التي لاتكتحل و لاتختضب، و التي إذا طلبها زوجها للجماع قالت سوف أفعل، و التي تقول أنا حائض و هي غير حائض. «أو آبائهنّ» إلى قوله: «أو بني أخواتهنّ». فيجوز إبداء الزينة لهم من غير استدعاء لشهوتهم. «أو نسائهنّ». يعني المؤمنات. و لايحلّ لهنّ أن يتجرّدن لنساء أهل الكتاب. «أيمانهنّ». أي من الإماء. لايحلّ للعبد أن ينظر إلى شعر مولاته. و قيل: العبيد و الإماء. و روي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام. «أو التابعين غير أولي الإربة». قيل: هو الذي يتّبعك لا حاجة له في النساء. و هو الأبله و العنّين الذي لا إرب له في النساء. و قيل: الخصيّ المجبوب. عن الشافعيّ. و قيل: الشيخ الهمّ لذهاب إربه. «أو الطفل». يريد بهم الصبيان الذين لم‌يعرفوا عورات النساء و لم‌يقووا عليها لعدم شهوتهم. فإذا بلغوا مبلغ الشهوة، فحكمهم حكم الرجال. «ليعلم ما يخفين». قيل: كانت المرأة تضرب برجلها لتسمع قعقعة الخلخال فيها، فنهاهنّ عن ذلك.(١)

«إلّا ما ظهر منها». عن أبي جعفر عليه السلام: هي الثياب و الكحل و الخاتم و الخضاب و السواد.(٢) يعني الوسمة و موضعها.

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢١٧ ـ ٢١٨.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٠١. و فيه في آخره: السوار.

«غير». أبو جعفر و ابن‌عامر: «غيرَ» بالنصب، إمّا على الاستثناء أو على الحال. «أيّها المؤمنون». ابن‌عامر: «أيّهُ المؤمنون» بضمّ الهاء. لأنّ الهاء عنده كأنّه نفس الكلمة.(١)

[٣٢] «وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامىٰ مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَ إِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

«و أنكحوا الأيامى منكم»؛ أي: زوّجوا ـ أيّها المؤمنون ـ من لا زوج له من أحرار رجالكم و نسائكم. و هذا أمر ندب و استحباب. «من عبادكم و إمائكم»؛ أي: زوّجوا المستورين من عبادكم و ولائدكم. و قيل: معنى الصلاح هنا الإيمان. ثمّ رجع إلى الأحرار فقال: «إن يكونوا فقراء» لا سعة لهم للتزويج، «يغنهم الله من فضله». قال أبوعبدالله عليه السلام: من ترك التزويج مخافة العيلة، فقد ساء ظنّه بالله. و تلى هذه الآية.(٢)

«و الصالحين من عبادكم و إمائكم»؛ أي: من غلمانكم و جواريكم. و قرئ: «من عبيدكم». و لعلّ تخصيص الصالحين لشدّة الاهتمام بشأنهم و لأنّ إحصان دينهم أهمّ. و قيل: المراد الصالحون للنكاح و القيام بحقوقه.(٣)

[٣٣] «وَ لْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتّٰى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَ آتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَ لَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«يبتغون الكتاب»؛ أي: يطلبون المكاتبة. من الكتب و هو الجمع، لما فيه من ضمّ النجوم بعضها إلى بعض. و هو أن يقول الرجل لمملوكه: كاتبتك على ألف درهم مثلاً تؤدّيها في نجوم معلومة. و معناها: كتبت لك على نفسي أن تعتق منّي إذا وفيت المال، و كتبت لي على نفسك

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢١٥.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢١٩ ـ ٢٢٠.

٣ـ مسالك الأفهام ٣ / ١٧١.

أن تني بذلك. و قد يستدلّ بظاهر الآية على اشتراط التكليف في العبد، كما هو قول أصحابنا و الشافعيّة. فإنّ قوله: «يبتغون» دالّ على الطلب، و غير المكلّف لايتصوّر منه الطلب. و جوّز أبوحنيفة كتابة الصبيّ. و «الذين» مع صلته مبتدأ خبره «فكاتبوهم». و دخلت الفاء لتضمّن معنى الشرط. و الأمر محمول على الندب عند أكثر العلماء. و جماعة [قليلة] من العامّة على الوجوب. «خيراً»؛ أي: ديانة و أمانة. و هو اختيار السيّد. أو: كسباً و أمانة. و هو اختيار الشيخ. و جماعة على الجمع بين المفسّرين لإطلاق الخير عليهما في الآيات و الأخبار. «و آتوهم من مال الله». أمر للموالي بأن يبذلوا شيئاً من أموالهم. و في معناه حطّ شيء من [مال] الكتابة عنهم. و هو غير مقدّر و ربما قدّر بالربع أو السبع. و ظاهر الشيخ في المبسوط أنّه واجب نظراً إلى ظاهر الأمر. و في الخلاف: إذا كاتب عبده و كان السيّد تجب عليه الزكاة، وجب أن يعطيه شيئاً من زكاته يحتسب به من مال مكاتبته. و إن لم يكن ممّن وجب عليه الزكاة، كان ذلك مستحبّاً غير واجب. ثمّ قال: و قوله تعالى: «و آتوهم من مال الله» نحمله على من تجب عليه الزكاة أو على الاستحباب. و يجوز أن يكون متوجّهاً إلى غير سيّد المكاتب ممّن وجب عليه الزكاة. ألاترى إلى قوله: «من مال الله الذي آتاكم» تنبيهاً على ما يجب فيه الزكاة.(١)

«و ليستعفف الذين لايجدون نكاحاً». أمر من الله لمن لايجد السبيل إلى أن يتزوّج بأن لايجد المهر و النفقة أن يتعفّف و يصبر حتّى يوسّع الله عليه. «فتياتكم»؛ أي: إماءكم. «على البغاء»؛ أي: الزنى. «تحصّناً»؛ أي: تعفّفاً. لأنّ الإكراه لايتصوّر إلّا عند إرادة التحصّن. لأنّها إذا لم ترد التحصّن، بغت بالطبع. فهذا فائدة الشرط. «عرض الحياة الدنيا». أي من كسبهنّ و بيع أولادهنّ.(٢)

كانت العرب و قريش يشترون الإماء ويجعلون عليهم الضريبة الثقيلة و يقولون: اذهبوا و ازنوا و اكتسبوا. فنهاهم الله عن ذلك. «غفور رحيم». أي لهنّ، لايؤاخذهنّ لمكان

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ١٦٦ ـ ١٧٠.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٢٠ ـ ٢٢١.

الإكراه. عن أبي جعفرعليه السلام أنّها منسوخة بقوله: «أتين بفاحشة فعليهنّ نصف ما على المحصنات من العذاب»[١].[٢]

«إكراههنّ». عن ابن‌عبّاس: «من بعد إكراههنّ لهنّ غفور رحيم». و روي عن أبي عبدالله‌عليه السلام.[٣]

[٣٤] «وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَ مَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ».

«آيات مبيَّنات». يعني الآيات التي بُيّنت في هذه السورة و أوضحت فيها الأحكام و الحدود. و على قراءة الكسر، لأنّها بَيَّنت الأحكام والحدود. «مثلاً»؛ أي: أخباراً من [الأمم] الماضية و قصصاً لهم و شبهاً من حالهم بحالكم لتعتبروا بها. «و موعظة»؛ أي: زجراً «للمتّقين» عن المعاصي.[٤]

[٣٥] «اللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَ لَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

«الله نور السموات و الأرض»؛ أي: هادي أهل السموات والأرض إلى ما فيه مصالحهم. عن ابن‌عبّاس. أو: منوّرهما بالكواكب و مزيّنهما بالملائكة و الأنبياء و العلماء. أو: مدبّرهما. كما يقال في الفائق في التدبير: نور القوم. «مثل نوره»؛ أي: صفة نوره العجيبة الشأن. و هو النور الذي هدى به المؤمنين و هو الإيمان في قلوبهم. و كان أبيّ يقرأ: «مثل نور من آمن به». و قيل: نوره الذي هو القرآن في القلب. عن ابن‌عبّاس. و قيل: هو الأدلّة على

١ـ النساء (٤) / ٢٥.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٠٢.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢١٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٢٣، و مجمع البيان ٧ / ٢٢١.

توحيده و عدله. فإنّها ظاهرة كظهور النور. «كمشكاة»: كصفة مشكاة. و هي الكوّة الغير النافذة. «مصباح»؛ أي: سراج ضخم ثاقب. «في زجاجة»؛ أي: في قنديل من الزجاج. «كوكب درّيّ»؛ أي: تلك الزجاجة مثل الكوكب العظيم الذي يشبه الدرّ في صفائه. أو من الدرء بمعنى الدفع؛ لأنّه يدفع الظلام بنوره. «يوقد من شجرة مباركة»؛ أي: يشتعل ذلك السراج من دهن شجرة مباركة هي شجرة الزيتون. لأنّ فيها أنواع المنافع. و قيل: إنّها مع كونها أصفاء و أضواء بارك[١] فيها سبعون نبيّاً منهم إبراهيم. «لا شرقيّة و لا غربيّة»؛ أي: لا يقع عليها ظلّ الشرق و لا الغرب، بل يقع عليها الشمس طول النهار. فيكون على قلّة أو في صحراء واسعة؛ فإنّ زيتها يكون أصفى. و قيل: إنّها من شجر الشام و هي وسط المعمورة و زيتونها أجود الزيتون. «يكاد زيتها يضيء» بنفسه من غير نار لفرط ضيائه. «نور على نور»؛ أي: نور مضاعف. فإنّ نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت و زهرة القنديل و ضبط المشكاة لأشعّته. و هو مثل لما نوّر الله به قلب المؤمن من المعارف و العلوم بنور مثل هذه المشكاة. و قيل: إنّه تشبيه للهدى من حيث إنّه محفوف بظلمات أوهام الناس و خيالاتهم بالمصباح. «لنوره»؛ أي: لهذا النور الثابت. «و يضرب الله الأمثال» إدناء للمعقول من المحسوس توضيحاً و بياناً.[٢]

«مثل نوره». [اختلف في هذا المشبّه و المشبّه به على أقوال. فقيل: إنّه] مثل ضربه الله لنبيّه ﷺ. و المشكاة صدره. و الزجاجة قلبه و المصباح فيه النبوّة. «لا شرقيّة و لا غربيّة»: لا يهوديّة و لا نصرانيّة. «من شجرة». يعني شجرة النبوّة و هي إبراهيم. «يكاد» نور محمّد ﷺ يتبيّن للناس و لو لم يتكلّم به. عن جماعة من المفسّرين. و قيل: المشكاة إبراهيم. و الزجاجة إسماعيل. و المصباح محمّد ﷺ من شجرة إبراهيم لا يهوديّة و لا نصرانيّة بل مصلّاه الكعبة. يكاد محاسن محمّد تظهر قبل أن يوحى إليه. «نور على نور»؛ أي: نبيّ من نسل

١ـ كذا. و في المجمع: «و قيل: إنّه خصّ الزيتونة لأنّ دهنها أصفى و أضوأ. و قيل ... و قيل: لأنّه بارك» بدل العبارة الأخيرة.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٢٤ ـ ٢٢٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٢٤.

نبيّ. و قيل: المشكاة عبد المطّلب. و الزجاجة عبدالله. و المصباح النبيّ صلى الله عليه و آله. «لا شرقيّة و لا غربيّة» بل مكّيّة وسط الدنيا. و عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «كمشكاة فيها مصباح» قال: نور العلم في صدر النبيّ. «المصباح في زجاجة». الزجاجة صدر عليّ عليه السلام صار علم النبيّ إلى صدر عليّ عليه السلام. «يوقد من شجرة». نور العلم. «يكاد زيتها يضيء»؛ أي: يكاد العالم من آل محمّد يتكلّم بالعلم قبل أن يسأل. «نور على نور»؛ أي: إمام مؤيّد بنور العلم في أثر إمام من آل محمّد من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة. و إن كان المثل للمؤمن، فالمشكاة نفسه، و الزجاجة صدره، و المصباح الإيمان و القرآن في قلبه، و الشجرة المباركة، أي الإخلاص لله. «لا شرقيّة و لا غربيّة». لايصيب المؤمن شيء من الفتن. «نور على نور». كلامه نور و عمله نور.(١)

«درّيّ». أبوجعفر و ابن‌كثير: «دُرّيّ» بضمّ الدال و تشديد الياء «تَوَقَّد» بوزن تكسّر. و أبوعمرو و الكسائيّ: «دِرّيء» بكسر الدال و المدّ و الهمزة.(٢)

[٣٦] «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَ الْآصَالِ».

«في بيوت». يتعلّق بما قبله. أي كمشكاة في بعض بيوت الله و هي المساجد. كأنّه قيل: مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت و كيت. أو بما بعده و هو «يسبّح». أي: يسبّح له رجال في بيوت. و فيها تكرير. كقولك: زيد في الدار جالس فيها. أو بمحذوف. أي: سبّحوا في بيوت. و المراد بالإذن الأمر. و رفعها بناؤها. و عن ابن‌عبّاس: هو المساجد؛ أمر الله أن تبنى. أو تعظيمها و الرفع من قدرها. «و يذكر فيها اسمه» عامّ [في] كلّ ذكر. «بالغدوّ»؛ أي: أوقات الغداة. «و الآصال». جمع أصل و هي العشيّ.(٣)

«في بيوت». عن أبي‌الحسن عليه السلام «في بيوت» قال: بيوت آل محمّد؛ بيت عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين و حمزة و جعفر عليهم السلام. و قوله: «بالغدوّ و الآصال». يعني به الصلاة في

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٢٥ ـ ٢٢٦.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٢٢.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٢٤٢.

أوقاتها. ثمّ وصفهم بقوله: «رجال».(١)

«يسبّح». قرأ ابن عامر: «يسبَّح» بالفتح على إسناده إلى أحد الظروف و رفع «رجال» بما يدلّ عليه.(٢)

[٣٧] «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ».

«رجال لاتلهيهم». عن أبي جعفرعليه السلام: انّهم قوم إذا حضرت الصلاة، تركوا التجارة و انطلقوا إلى الصلاة. و هم أعظم أجراً ممّن لم يتّجر.(٣)

«تجارة». التجارة: صناعة التاجر؛ و هو الذي يبيع و يشتري للربح. أي: لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة. ثمّ خصّ البيع لأنّه أدخل في الإلهاء من قبل أنّ التاجر إذا اتّجهت له بيعة رابحة و هي طلبته الكلّيّة من صناعته، ألهته ما لايلهيه شرى شيء يتوقّع فيه الربح في الوقت الثاني. لأنّ هذا يقين و ذاك مظنون. «و إقام الصلاة». التاء في إقامة عوض من العين الساقطة للإعلال و الأصل إقوام. فلمّا أضيفت، أقيمت الإضافة مقام حرف التعويض فأسقطت. «تتقلّب فيه القلوب و الأبصار». إمّا أن تتقلّب و تتغيّر في أنفسها و هو أن تضطرب من الهول و الفزع و تشخص؛ كقوله: «و إذ زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر».(٤) و إمّا أن تتقلّب أحوالها و تتغيّر فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعاً عليها لاتفقه و تبصر الأبصار بعد أن كانت مطبوعاً عليها لاتبصر.(٥)

[٣٨] «لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

١ـ تأويل الآيات ١ / ٣٦٢، ح ١٠.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٢٥.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

٤ـ الأحزاب (٣٣) / ١٠.

٥ـ الكشّاف ٣ / ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

«ليجزيهم الله أحسن ما عملوا»؛ أي: أحسن جزاء أعمالهم. و المعنى: يسبّحون و يخافون، ليجزيهم ثوابهم مضاعفاً و يزيدهم على الثواب تفضّلاً. «و الله يرزق» ما يتفضّل به «بغير حساب». فأمّا الثواب، فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق.(١)

[٣٩] «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَ اللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ».

«و الذين كفروا». أي بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام.

«كسراب». السّراب ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب ـ أي: يجري ـ على وجه الأرض كالماء الجاري. و القيعة بمعنى القاع أو جمع قاع؛ و هو المنبسط المستوي من الأرض. شبّه ما يعمله من لايعتقد الإيمان من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله ثمّ تخيب في العاقبة أمله و يلقى خلاف ما قدّر بسراب يراه الكافر يوم القيامة و قد غلبه العطش فيحسبه ماء فيأتيه فلايجد ما رجاه و يجد زبانية الله عنده يأخذونه إلى جهنّم فيسقونه الحميم و الغسّاق. وهم الذين قال الله فيهم: «و قدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً».(٢) و قيل: نزلت في عتبة بن ربيعة بن أميّة قد كان تعبّد و لبس المسوح و التمس الدين في الجاهليّة ثمّ كفر في الإسلام.(٣)

«و وجد الله عنده». هذا في الظاهر خبر عن الضمآن، و المراد به الخبر عن الكفّار. لأنّه لمّا ضرب الظمآن مثلاً للكفّار، جعل الخبر عنه كالخبر عنهم. و المعنى: وجد أمر الله أو جزاءه.(٤)

[٤٠] «أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ

١ـ الكشّاف ٣ / ٢٤٢ ـ ٢٤٣.
٢ـ الفرقان (٢٥) / ٢٣.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٢٤٣ ـ ٢٤٤.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣٠.

مِنْ نُورٍ».

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «أو كظلمات» قال: فلان و فلان. «موج من فوقه موج». قال: أصحاب الجمل و صفّين و نهروان. «ظلمات بعضها فوق بعض». قال: بنو أميّة. «إذا أخرج يده» أميرالمؤمنين عليه السلام في ظلماتهم. أي إذا نطق بالحكمة بينهم، لم يقبلها إلّا من أقرّ بولايته.[١]

و عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «أو كظلمات» قال: فلان و فلان. «يغشاه موج». يعني نعثل. «من فوقه موج»: طلحة و الزبير. «ظلمات بعضها فوق بعض»: معاوية و يزيد و فتن بني أميّة. «إذا أخرج يده» في ظلمتهم «لم يكد يراها و من لم يجعل الله له نوراً». يعني إماماً من ذرّيّة فاطمة عليها السلام. «فما له من نور»: من إمام يوم القيامة يمشي بنوره.[٢]

«أو كظلمات». عطف على كسراب. و أو للتخيير؛ فإنّ أعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب، و لكونها خالية عن نور الحقّ كالظلمات المتراكمة من لجج البحر و الأمواج و السحاب. أو للتنويع؛ فإنّ أعمالهم إن كانت حسنة، فكالسراب، و إن كانت قبيحة، فكالظلمات. أو للتقسيم باعتبار وقتين؛ فإنّها كالظلمات في الدنيا و كالسراب في الآخرة. «في بحر لجّيّ»؛ أي: ذي لجّ. «يغشاه»: يغشى البحر «موج من فوقه موج»؛ أي: أمواج مترادفة متراكمة من فوق الموج الثاني «سحاب» غطّى النجوم و حجب أنوارها. و الجملة صفة أخرى للبحر. «ظلمات»؛ أي: هذه ظلمات. «إذا أخرج يده» و هي أقرب ما يرى إليه.[٣]

«في بحر لجّيّ»؛ أي: كثير الماء. «إذا أخرج يده». أي الواقع فيه. «لم يكد يراها»؛ أي: لم يقارب الرؤية فضلاً عنها.[٤] شبّه أعمالهم أوّلاً في فوات نفعها و حضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئاً [و لم يكفه خيبة و كمداً أن لم يجد شيئاً كغيره من السراب]

١ـ تأويل الآيات ١ / ٣٦٥، ح ١٥.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٠٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٢٦.
٤ـ في المصدر: «لم يقرب أن يراها فضلاً عن أن يراها.» و عبارة المتن قاصرة عن المعنى. و الصحيح على سياقه: فضلاً عن وصولها.

حتّى وجد عنده الزبانية تنقله إلى النار و لاتسقيه الماء. و شبّهها ثانياً في ظلمتها و سوادها لكونها باطلة و خالية من نور الحقّ بظلمات متراكمة من لجّ البحر و الأمواج و السحاب. ثمّ قال: و من لم يولّه نور توفيقه و عصمته و لطفه، فهو في ظلمة الباطل لا نور له. و هذا الكلام يجري مجرى الكنايات. لأنّ الألطاف إنّما تردف الإيمان و العمل أو كونهما مترقّبين. ألاترى إلى قوله: «و الذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا»[١] ـ الآية.[٢]

«سحاب ظلمات». قرأ ابن كثير: «سحابُ» بغير تنوين «ظلماتٍ» بالجرّ [فأضاف السحاب إلى الظلمات لاستقلال السحاب و ارتفاعه في وقت كون هذه الظلمات كما تقول: سحاب[٣]] رحمة، إذا ارتفع وقت الرحمة.[٤]

[٤١] «أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ وَ اللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ».

«ألم تر»؛ أي: ألم تعلم من طريق الوحي و الاستدلال.[٥]

«يسبّح له»؛ أي: ينزّهه عمّا لايليق به أهل السموات و أهل الأرض بألسنتهم. و قيل: عنى به العقلاء و غيرهم و كنى عن الجميع بلفظ من تغليباً للعقلاء. «و الطير»؛ أي: و يسبّح له الطير حال كونها واقفات في الجوّ مصطفّات الأجنحة في الهوى. و تسبيحها ما يرى عليها من آثار الحدوث. «كلّ»؛ أي: كلّ واحد ممّا ذكر أو من الطير «قد علم صلاته و تسبيحه»؛ أي: قد علم الله دعاءه و تنزيهه اختياراً أو طبعاً؛ لقوله: «و الله عليم بما يفعلون». أو: علم كلّ، على تشبيه حاله في الدلالة على الحقّ و الميل إلى النفع على وجه يخصّه بحال من علم ذلك. مع أنّه لايبعد أن يلهم الله الطير دعاء و تسبيحاً كما ألهمها علوماً دقيقة في أسباب

١ـ العنكبوت (٢٩) / ٦٩.	٢ـ الكشّاف ٣ / ٢٤٤.

٣ـ يوجد في النسخة بدل ما بين المعقوفتين سطران ممحوّ بعض كلماتها بحيث لم نتمكّن من إخراجه و تصحيحه فحذفناها.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٢٩.	٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٢٧.

تعيّشها لايكاد يهتدي إليها العقلاء.(١)

عن أميرالمؤمنينعليه السلام في قوله: «و الطير صافّات» ـ الآية ـ : انّ لله ملكاً على صورة الديك أملح أشهب، براثنه في الأرضين السفلى، و عرفه مثنيّ تحت العرش. له جناح بالمشرق من النار و جناح بالمغرب من الثلج. فإذا حضر وقت الصلاة، قام على براثنه و صفّق بجناحيه كما يصفّق الديكة في منازلكم. ثمّ ينادي: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له. و أشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله سيّد النبيّين و أنّ وصيّه خير الوصيّين. سبّوح قدّوس ربّ الملائكة و الروح. فتصفّق الديكة في منازلكم. فلايبقى على وجه الأرض ديك إلّا أجابه بنحو قوله. و هذا معنى «قد علم كلّ صلاته و تسبيحه»؛ أي: كلّ من ديكة منازلكم قد علم صلاة ذلك الديك و تسبيحه فيتابعه في قوله و فعله.(٢)

عن أبي عبداللهعليه السلام قال: ما من طير يصاد في برّ أو بحر و لايصاد سائب من وحش إلّا بتضييعه التسبيح.(٣)

[٤٢] «وَ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَى اللهِ الْمَصِيرُ».

«لله ملك السموات والأرض». فإنّه الخالق لهما و لما فيهما.(٤)

[٤٣] «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ».

«يزجي سحاباً»؛ أي: يسوقه سوقاً رفيقاً إلى حيث يريد ثمّ يضمّ بعضه إلى بعض فيجعل القطع المتفرّقة منه قطعة واحدة. «ركاماً»؛ أي: متراكماً بعضه فوق بعض. «الودق»؛

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣٢ ـ ٢٣٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٢٧.

٢ـ تأويل الآيات ١ / ٣٦٥ ـ ٣٦٦.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٠٧. و فيه: و لايصاد شيء من الوحش ـ الخ.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٢٧.

أي: المطر يخرج من فتوقه. «و ينزّل من السماء»؛ أي: الغمام. «من جبال فيها»: من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها و جمودها. «من برد». بيان للجبال. و المفعول محذوف. أي: ينزّل مبتدئاً من السماء من جبال فيها من برد برداً. و يجوز أن يكون من الثانية أو الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول. و قيل: المراد بالسماء المظلّة و فيها جبال من برد كما في الأرض جبال من حجر. و ليس في العقل قاطع [يمنعه].[١]

«يؤلّف». قرأ نافع برواية ورش: «يولفه» بغير همز.[٢]

«يذهب». قرأ أبوجعفر: «يُذْهِب» بضمّ الياء وكسر الهاء، على زيادة الباء.[٣]

المشهور أنّ الأبخرة إذا تصاعدت و لم يتخلّلها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهوى و قوي البرد هناك، اجتمع و صار سحاباً. فإن لم يشتدّ البرد، تقاطر مطراً. و إن اشتدّ، فإن وصل إلى الأجزاء البخاريّة قبل اجتماعها، نزل ثلجاً، و إلّا نزل برداً. و قد يبرد الهواء برداً مفرطاً فينقبض و ينعقد سحاباً و ينزل منه المطر أو الثلج. وكلّ ذلك لابدّ و أن يستند إلى إرادة الحكيم لقيام الدليل على أنّه موجبة لاختصاص الحوادث بمحالّها و أوقاتها.[٤]

«فيصيب به»؛ أي: بالبرد؛ أي: بضرره. «من يشاء» فيهلك زرعه. و يصرف ضرره عمّن يشاء. فيكون إصابته نقمة و صرفه نعمة. «يكاد سنا برقه»؛ أي: يقرب ضوء برق السحاب من أن يذهب بالبصر و يخطفه لشدّة لمعانه.[٥]

[٤٤] «يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ».

«يقلّب الله اللّيل و النهار» بالمعاقبة بينهما، أو بنقص أحدهما و زيادة الآخر، أو بتغيّر أحوالهما بالحرّ و البرد و الظلمة و النور، أو بما يعمّ ذلك.[٦]

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٢٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٢٧.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣١.
٤ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٢٧.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣٣.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢/ ١٢٧ ـ ١٢٨.

«إنّ في ذلك» التقليب، لو فيما تقدّم ذكره «لعبرة»؛ أي: دلالة على وجود الصانع القديم و إحاطة علمه و نفاذ مشيّته.[١]

[٤٥] «وَ اللّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«خلق كلّ دابّة»؛ أي: حيوان يدبّ على الأرض. حمزة و الكسائيّ: «خالق». «من ماء» هو جزء مادّته أو ماء مخصوص هو النطفة، فيكون تنزيلاً للغالب منزلة الكلّ؛ إذ من الحيوانات ما يتولّد لا عن نطفة. و قيل: إنّ أصل الخلق من الماء. لأنّ الله خلق الماء و جعل بعضه ناراً فخلق الجنّ منها، و بعضه ريحاً فخلق منه الملائكة، و بعضه طيناً فخلق منه آدم. فأصل الحيوان كلّه الماء. كما قال: «و جعلنا من الماء كلّ شيء حيّ».[٢] «على بطنه» كالحيّة و الحوت. «على أربع» كالأنعام. و لم يذكر ما يمشي على أكثر من الأربع، لأنّه كالذي يمشي على أربع في رأي العين فترك ذكره. قال البلخيّ: إنّ الفلاسفة تقول: ما له قوائم كثيرة، فإنّ اعتماده إذا سعى على أربعة قوائم. و قال أبو جعفر عليه السلام: و منهم من يمشي على أكثر من ذلك. «يخلق الله ما يشاء»؛ أي: يخترع ما يشاء و ينشئه من الحيوان و نحوه.[٣]

[٤٦] «لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَ اللّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

[٤٧] «وَ يَقُولُونَ آمَنَّا بِاللّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَ مَا أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ».

«و يقولون آمنّا بالله» ـ الآية. عن ابن عبّاس قال: لمّا قدم النبيّ صلى الله عليه وآله المدينة، أعطى عليّاً عليه السلام و عثمان أرضاً فقال: أعلاها لعثمان، و أسفلها لعليّ عليه السلام. فقال عليّ عليه السلام لعثمان: إنّ

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٢٨، و مجمع البيان ٧ / ٢٣٣.

٢ـ الأنبياء (٢١) / ٣٠.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٢٨، و مجمع البيان ٧ / ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

أرضي لاتصلح إلّا بأرضك. فاشتر منّي أو بعني. فقال له: أنا أبيعك. فاشترى منه عليّ عليه السلام. فقال له أصحابه: أيّ شيء صنعت؟ بعت أرضك من عليّ عليه السلام و أنت لو أمسكت عليه الماء، ما أنبتت أرضه شيئاً حتّى يبيعك بحكمك! قال: فجاء عثمان إلى عليّ عليه السلام فقال له: لا أجيز البيع. فقال: بعت و رضيت وليس ذلك لك. قال: فاجعل بيني و بينك رجلاً. [قال عليّ عليه السلام: النبيّ صلى الله عليه وآله. فقال عثمان: هو ابن عمّك، ولكن اجعل بيني و بينك غيره. فقال عليّ عليه السلام: لاأحاكمك إلى غير النبيّ صلى الله عليه وآله و النبيّ شاهد علينا.] فأبى ذلك. فأنزل الله الآيات إلى قوله: «هم المفلحون».(١)

قيل: نزلت الآيات في رجل من المنافقين كان بينه و بين رجل من اليهود حكومة، فدعاه اليهوديّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و دعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف. و حكى البلخيّ أنّه كانت بين عليّ عليه السلام و عثمان منازعة في أرض(٢) ـ ثمّ حكى نحواً ممّا ذكرناه في الحاشية الفوقانيّة.

«و أطعنا»؛ أي: أطعناهما فيما حكما. «ثمّ يتولّى»؛ أي: يعرض عن طاعتهما طائفة. «من بعد ذلك»؛ أي: من بعد قولهم: «آمنّا». و في هذا دلالة على أنّ القول المجرّد لايكون إيماناً؛ إذ لو كان كذلك، لماصحّ النفي بعد الإثبات.(٣)

[٤٨] «وَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ».

«دعوا إلى الله»؛ أي: إلى حكمه و شريعته. «معرضون» عمّا يدعون إليه. أبوجعفر: «ليُحْكَم» بضمّ الياء و فتح الكاف في الموضعين.(٤)

[٤٩] «وَ إِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ».

«و إن يكن»؛ أي: و إن علموا أنّ الحقّ يقع لهم، «يأتوا إليه»؛ أي: إلى النبيّ صلى الله عليه وآله مسرعين

١ـ تأويل الآيات ١ / ٣٦٧، ح ١٨.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣٦.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣٦.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣٦ و ٢٣٥.

منقادين.(١)

[٥٠] «أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولُهُ بَلْ أُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ».

قال سبحانه منكراً عليهم: «أ في قلوبهم مرض»؛ أي: شكّ من نبوّتك و نفاق. و هو استفهام يريد به التقرير. «أم ارتابوا» في عدلك بأن رأوا منك تهمة فزال يقينهم بك؟ «أن يحيف الله»؛ أي: يجور الله و رسوله عليهم في الحكم. [لأنّه] لا وجه في الامتناع إلّا أحد هذه الوجوه الثلاثة. «بل أولئك هم الظالمون». إضراب عن القسمين الأخيرين لتحقيق القسم الأوّل.(٢)

«بل أولئك هم الظالمون»؛ أي: لايخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله، و إنّما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحقّ عليهم و يتمّ لهم جحوده و ذلك شيء لايستطيعونه في مجلس رسول الله ﷺ.(٣)

[٥١] «إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

ثمّ وصف الله المؤمنين فقال: إنّما كان قولهم إذا دعوا إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهم أن يقولوا: سمعنا قوله و أطعنا أمره، و إن كان ذلك فيما يضرّهم. و روي عن أبي جعفر عليه السلام أنّ المعنيّ بالآية أمير المؤمنين عليه السلام.(٤)

[٥٢] «وَ مَنْ يُطِعِ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشَ اللهَ وَ يَتَّقْهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ».

قوله: «و يتّقه»؛ أي: يتّق عقابه بامتثال أوامره و اجتناب نواهيه. أبوجعفر و قالون عن

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣٦.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣٦، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٢٨ ـ ١٢٩.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٢٤٩.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣٧.

نافع و يعقوب: «و يتّقِهِ» بكسر القاف و الهاء مكسورة مختلسة غير مشبعة. و أبوعمرو و حمزة و أبوبكر بكسر القاف و سكون الهاء. و حفص بسكون القاف و كسر الهاء غير مشبعة. و الباقون: «يتّقِهِ» بكسر القاف و الهاء مشبعة.(١)

[٥٣] «وَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ».

«و أقسموا»؛ أي: حلفوا بالله أغلظ أيمانهم وقدر طاقتهم أنّك إن أمرتنا بالخروج في غزواتك، لخرجنا معك. «قل» لهم يا محمّد: لاتحلفوا. و تمّ الكلام. «طاعة» حسنة للنبيّ صلى الله عليه و آله خالصة صادقة، أفضل و أحسن من قسمكم بما لاتصدقون فيه. فحذف خبر المبتدأ للعلم به. و قيل: معناه: لتكن منكم طاعة. و القول المعروف هو المعروف صحّته.(٢)

[٥٤] «قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَ عَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَ إِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ».

«فإن تولّوا». أصله: تتولّوا، فحذف إحدى التاءين. أي: إن تعرضوا عن طاعة الله و الرسول، فإنّما على الرسول ما كان من تبليغ الرسالة و عليكم ما كلّفتم من الطاعة.(٣)

عن أبي الحسن عليه السلام: «عليه ما حمّل». أي من السمع و الطاعة و الصبر. «و عليكم ما حمّلتم» من العهود التي أخذها عليكم في عليّ عليه السلام و ما بيّن لكم في القرآن من فرض طاعته. فقوله: «و إن تطيعوه تهتدوا» [أي: و إن تطيعوا عليّاً، تهتدوا.] «و ما على الرسول إلّا البلاغ». هكذا نزلت.(٤)

«و ما على الرسول إلّا البلاغ» ؛ أي: ليس عليه إلّا الهداية لا الاهتداء.(٥)

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣٧ و ٢٣٥.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣٨.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣٨.
٤ـ تأويل الآيات ١ / ٣٦٨، ح ٢٠.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣٨.

[٥٥] «وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضىٰ لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ».

«وعد الله الذين آمنوا». الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله و لمن معه. و «منكم» للبيان كالّتي في آخر سورة الفتح. وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر و يورثهم الأرض.[١]

«ليستخلفنّهم في الأرض»؛ أي:ليورثنّهم أرض الكفّار من العرب و العجم فيجعلهم سكّانها و ملوكها. «الذين من قبلهم». يعني بني إسرائيل، إذ أهلك الله الجبابرة بمصر و أورثهم أرضهم و أموالهم. و قيل: لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه المدينة، رمتهم العرب عن قوس واحدة و كانوا لايبيتون الّا مع السلاح و لايصبحون إلّا فيه. فقالوا: ترون أنّا نعيش حتّى نبيت مطمئنّين آمنين لانخاف إلّا الله؟ فنزلت هذه الآية. و قيل: أراد بالأرض أرض مكّة. لأنّ المهاجرين كانوا يسألون ذلك. «دينهم». يعني دين الإسلام. و تمكينه أن يظهره على الدين كلّه. و المراد تمكينهم من إظهاره بعد أن كانوا يخفونه. «من بعد خوفهم»؛ أي: بعد أن كانوا خائفين بمكّة آمنين بقوّة الإسلام. و قد فعل الله ذلك بهم و بمن كان بعدهم من هذه الأمّة. و قيل: معناه: ليبدّلنّهم من بعد خوفهم في الدنيا أمناً في الآخرة. كما روي أنّ الله لايجمع على عبد خوف الدنيا و الآخرة و لايجمع له أمن الدنيا و الآخرة. «يعبدونني لايشركون». استئناف كلام في الثناء عليهم. و معناه: لايخافون غيري. أو: لايراؤون بعبادتي أحداً. «و من كفر بعد ذلك»؛ أي: بعد هذه النعم. قيل: هي واردة في أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله. و قيل: هي عامّة في أمّة محمّد صلى الله عليه وآله. و المرويّ عن أهل البيت عليهم السلام أنّها في المهديّ. عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قرأ هذه و قال: هم و الله شيعتنا. يفعل ذلك بهم على يدي رجل منّا. و هو مهديّ هذه الأمّة. و هو الذي قال رسول الله: لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم، لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي، يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و

١ـ الكشّاف ٣ / ٢٥١.

جوراً. فعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا النبيّ و أهل بيته و تضمّنت الآية البشارة لهم بالاستخلاف و ارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهديّ منهم، و يكون المراد بقوله: «كما استخلف الذين من قبلهم» هو أن جعل الصالح للخلافة خليفته مثل آدم و داوود و سليمان، كما قال: «إنّي جاعل في الأرض خليفة».(١) «يا داوود إنّا جعلناك خليفة».(٢) «فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب و الحكمة و آتيناهم ملكاً عظيماً».(٣) و [على] هذا إجماع أهل البيت عليهم السلام.(٤)

«ليستخلفنّهم». جواب قسم مضمر تقديره: وعدهم الله و أقسم ليستخلفنّهم. أو الوعد في تحقّقه منزل منزلة القسم. «يعبدونني». حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد. «بعد ذلك»؛ أي: بعد الوعد أو حصول الخلافة. «هم الفاسقون»: الكاملون في فسقهم، حيث ارتدّوا بعد وضوح هذه الآيات، أو كفروا تلك النعمة العظيمة.(٥)

ابن كثير و أبوبكر: «ليبدلنّهم» من الإبدال و الباقون بالتشديد من التبديل.(٦)

[٥٦] «وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ».

[٥٧] «لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ وَ لَبِئْسَ الْمَصِيرُ»

«و لاتحسبنّ» يا محمّد الكفّار «معجزين» الله عن إدراكهم و إهلاكهم. و «في الأرض» صلة معجزين. و في قراءة: «و لايحسبنّ» بالياء «الذين كفروا» فاعل. و المعنى: و لايحسبنّ الكفّار في الأرض أحداً معجزاً لله. فيكون «معجزين في الأرض» مفعوليه. «و مأواهم النار» عطف عليه من حيث المعنى. كأنّه قيل: الذين كفروا ليسوا معجزين و مأواهم النار.(٧)

«لاتحسبنّ». ابن عامر و حمزة بالياء، على أنّ الضمير فيه لمحمّد صلى الله عليه وآله كقراءة التاء.(٨)

١ـ البقرة (٢) / ٣٠.
٢ـ ص (٣٨) / ٢٦.
٣ـ النساء (٤) / ٥٤.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣٩ ـ ٢٤٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٢٩ ـ ١٣٠.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٢٣٨.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٠.
٨ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٠.

[٥٨] «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَ لَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

«يا أيّها الذين آمنوا». [المراد به] خطاب الرجال و النساء غلب فيه الرجال؛ لما روي من أنّ غلام أسماء بنت [أبي] مرثد دخل عليها في وقت كرهته، فنزلت.[١] و قيل: إنّ دخول النساء فيه من باب الأولويّة.[٢] «من قبل صلاة الفجر». محلّه النصب، بدلاً من «ثلاث مرّات» أو الرفع خبراً لمحذوف، أي: هي من قبل صلاة الفجر. «من الظهيرة». بيان للحين.

«ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم». أي مروا عبيدكم و إماءكم أن يستأذنوا عليكم إذا أرادوا الدخول في مواضع خلواتكم. عن ابن‌عبّاس. و قيل: أراد العبيد خاصّة. و هو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام.[٣]

و في صحيحة ابن يسار: هم المملوك من الرجال و النساء.[٤] و قوله: «الذين ملكت» يشمل البالغين و الصغار، و يكون الأمر للصغار على وجه التأديب، كما يؤمرون بالصلاة السبع. «و الذين لم يبلغوا الحلم»؛ أي: الصبيان من الأحرار بشرط التميز. «ثلاث مرّات» في مجموع ساعات اللّيل والنهار. «من قبل صلاة الفجر». لأنّه وقت القيام من المضجع و طرح ما ينام فيه من الثياب و لبس ثياب اليقظه. «و حين تضعون ثيابكم»؛ أي: ثياب اليقظة للقيلولة. «من الظهيرة». بيان للحين. «ومن بعد صلاة العشاء». لأنّه وقت التجرّد عن اللّباس و وقت خلوّ الرجل بامرأته. و المراد تمام اللّيل. «ثلاث عورات». لأنّ الناس يختلّ سترهم فيها. و منه الأعور لاختلال عينه. أو لأنّ الإنسان يضع ثيابه فيها فتبدو عورته. و كان الناس من الصحابة يعجبهم أن يواقعوا نساءهم في هذه الساعات الثلاث ليغتسلوا و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٠.
٢ـ مسالك الأفهام ٣ / ٢٩٠.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٤٢.
٤ـ الكافي ٥ / ٥٣٠، ح ٤.

يخرجوا إلى الصلاة.[١] و الاستئذان شامل لسائر العبارات[٢] و في بعض الأخبار أنّه بالسلام. و ظاهر الأمر الوجوب. و هو بالنسبة إلى البالغين ظاهر و إلى غيرهم للإرشاد. و الجبّائيّ على الوجوب [على الأطفال أيضاً في هذه الأوقات الثلاثة].[٣] «ليس عليكم و لا عليهم جناح» أيّها المؤمنون. أي بعد هذه الأوقات الثلاث في ترك الاستئذان. [«طوّافون عليكم»؛] أي: هم طوّافون عليكم للخدمة. و الجملة استئناف مبيّنة للعذر الموجب للترخّص في ترك الاستئذان، لأنّهم يطوفون عليكم للخدمة و تطوفون عليهم للاستخدام، فلو حتم الاستئذان في كلّ وقت، أدّى إلى الحرج. «بعضكم على بعض»؛ أي: بعضكم طائف على بعض. و ليس في هذه الآية ما ينافي آية الاستئذان[٤] فلاتنسخها. لأنّ هذه في الصبيان و مماليك المدخول عليه و تلك في الأحرار البالغين.

«ثلاث عورات». قرأ حمزة و الكسائيّ و أبوبكر بالنصب بدلاً من «ثلاث مرّات» و الباقون بالرفع، أي: هي ثلاث أوقات يختلّ فيها ستركم. و يجوز أن يكون مبتدأ خبره ما بعده.[٥]

[٥٩] «وَ إِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ».

«الأطفال منكم». أي الأحرار دون المماليك. «فليستأذنوا» في جميع الأوقات. «الذين من قبلهم»: الذين بلغوا من قبلهم، أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله تعالى: «يا أيّها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتّى تستأنسوا» ـ الآية. و المعنى أنّ الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير الإذن إلّا في العورات الثلاث، فإذا بلغوا وجب عليهم الاستئذان في جميع

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٤٣.

٢ـ في مسالك الأفهام ٣ / ٢٩١ ـ و المتن مأخوذ منه ـ: و إطلاق الاستئذان يقتضي عدم تعيّن عبارة فيه.... و في بعض الأخبار أنّه بالسلام، و هو على الاستحباب.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٤٢.

٤ـ الآية ٢٧ من نفس السورة.

٥ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٣٠.

الأوقات كالكبار. و في الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام: من بلغ الحلم منكم، فلا يلج على أمّه و لا على أخته و لا على بنته و لا على من سوى ذلك إلّا بإذن. و لا إذن لأحد حتّى يسلّم. فإنّ السلام طاعة الرحمن. و في الكشّاف: هذا عندهم كالشريعة المنسوخة.(١)

[٦٠] «وَ الْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَ أَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَ اللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

«و القواعد». و هنّ العجائز التي قعدن عن الحيض و الحمل. جمع قاعد لا قاعدة. لأنّها من الصفات المختصّة بالمؤنّث ـ كحائض ـ فلم يحتج إلى علامة التأنيث. «لا يرجون نكاحاً» لكبرهنّ. «فليس عليهنّ جناح»: حرج «أن يضعن ثيابهنّ»؛ أي: الثياب الظاهرة كالملحفة و الجلباب الذي فوق الخمار. و قرأ ابن عبّاس: «أن يضعن جلابيبهنّ». و الجملة خبر المبتدأ. و صحّ دخول الفاء في الخبر لتضمّن المبتدأ معنى الشرط. «غير متبرّجات بزينة»؛ أي: غير قاصدات بوضع ثيابهنّ إظهار زينتهنّ التي أمر الله بإخفائها في قوله: «و لا يبدين زينتهنّ» بل مجرّد التخفيف عن أنفسهنّ. «و أن يستعففن» عن وضع الجلباب «خير لهنّ» من الوضع. لأنّه أبعد من التهمة. و عن أبي عبدالله عليه السلام: لا بأس أن يضعن ثيابهنّ. قال: الخمار و الجلباب.(٢) و في رواية أخرى عنه عليه السلام: وضع الجلباب وحده.(٣)

[٦١] «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمىٰ حَرَجٌ وَ لَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَ لَا عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ٢٩٣ ـ ٢٩٨.

٢ـ الكافي ٥ / ٥٢٢، ح ١: عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قرأ: «أن يضعن ثيابهنّ» قال: الخمار و الجلباب.

٣ـ الكافي ٥ / ٥٢٢، ح ٢.

جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ».

لمّا تقدّم ذكر الاستئذان، عقّبه سبحانه بذكر رفع الحرج عن المؤمنين في الانبساط في الأكل و الشرب فقال ليس على هذه الثلاثة حرج. و قد قيل في تأويله وجوه. الأوّل: ليس عليكم حرج في مؤاكلتهم. لأنّهم كانوا يتحرّجون في ذلك و يقولون: إنّ الأعمى لايبصر فنأكل جيّد الطعام دونه، و الأعرج لايتمكّن من الجلوس، و المريض يضعف عن الأكل. عن ابن‌عبّاس. الثاني: إنّ المسلمين كانوا إذا غزوا خلّفوا زمناهم و كانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم و يقولون: قد أحللنا لكم أن تأكلوا من بيوتنا. و كان أولئك يتحرّجون من ذلك و يقولون: لاندخلها و هم غيّب. فنفى الله سبحانه الحرج عن الزمنى في أكلهم من بيت من يدفع إليهم المفتاح إذا خرج للغزو. الثالث: انّه ليس على هؤلاء حرج في التخلّف عن الجهاد. و يكون قوله: «ولا على أنفسكم» كلاماً مستأنفاً. فأوّل الكلام في الجهاد و آخره في الأكل. الرابع: انّ الزمنى و المرضى رخّص الله لهم في الأكل من بيوت من سمّاهم في الآية. و ذلك أنّ قوما من الصحابة كانوا إذا لم‌يكن عندهم ما يطعمونهم، ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم و قراباتهم، و كان أهل الزمانة يتحرّجون من أن يطعموا ذلك الطعام لأنّه يطعمهم غير مالكيه.(١)

«و لا على أنفسكم»؛ أي: ليس عليكم حرج في أنفسكم «أن تأكلوا من بيوتكم». أي التي تملكونها. فإنّ ذلك هو الظاهر من الإطلاق. و لعلّ النكتة فيه مع ظهور الإباحة، الإشارة إلى مساواة ما ذكر فيها و التنبيه على أنّ الأقارب المذكورين و الصديق ينبغي جعلهم بمثابة النفس في أن يحبّ لهم ما يحبّ لها كما جعل بيوتهم كبيته. و قيل: هي بيوت الأزواج و العيال. لأنّ بيت المرأة كبيت الرجل. و قيل: هي بيوت الأولاد. لأنّهم لم‌يذكروا في الأقارب مع أنّهم أولى منهم بالموافقة. لأنّ بيت الولد كبيته؛ لقوله صلى الله عليه و آله: أنت و مالك

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

لأبيك.[١]

لم يذكر في الآية بيوت الأولاد، إمّا لأنّ بيت الولد بيت الإنسان نفسه؛ لقوله ﷺ: أنت و مالك لأبيك. و يحتمل إخراج بيوت الأزواج و الأولاد من الآية لأنّ الأزواج و الأولاد و كما قال الله في سورة التغابن: «إنّ من أزواجكم و أولادكم عدوّاً لكم فاحذروهم».[٢] و قال أيضاً: «إنّما أموالكم و أولادكم فتنة».[٣] و ورد أنّ من الأزواج من يتمنّى موت الزوج و أنّ من الأولاد من يتمنّى موت الوالد ليرث ماله. بيت: من يتمنّى موتك يرضى أن....[٤]

«ما ملكتم مفاتحة». و هو ما يكون تحت أيديكم و تصرّفكم من ضيعة أو ماشية و كالة و حفظاً. فلابأس أن يأكل من ثمر حائطه و يشرب من لبن ماشيته. و قيل: هي بيوت المماليك.[٥]

و المفاتح جمع مفتح؛ و هو ما يفتح به. «أو صديقكم»؛ أي: بيوت صديقكم. [و الصديق] يكون واحداً و جمعاً. و مقتضى الآية جواز الأكل من بيوتهم مع غيبتهم و حضورهم. و العلماء خصّوها بما إذا لم يعلم الكراهة و لو بالقرائن الحاليّة. و هو الفرق بين بيوت المذكورين و غيرهم من حيث إنّ بيوت غيرهم يشترط العلم بالرضا فيها. و هذه الرخصة في أكل مال القرابات و هم لايعلمون ذلك، كالرخصة لمن دخل حائطاً و هو جائع أن يصيب من ثمره. و مقتضى الآية الاقتصار على الأكل. فلايجوز الحمل إطعام الغير. و في جواز دخول البيت لغير الأكل خلاف. و لعلّ الجواز أقوى.

«أن تأكلوا من بيوتكم» ـ الآية. نزلت لمّا هاجر النبيّ ﷺ و آخى بين المسلمين من المهاجرين و الأنصار و آخى بين أبي‌بكر و عمر و [بين] عثمان و عبدالرحمن و بين طلحة و الزبير و بين سلمان و أبي‌ذرّ و بين المقداد و عمّار و ترك أميرالمؤمنين عليه السلام لنفسه. و كان بعد

١ـ مسالك الأفهام ٣ / ٢٧.
٢ـ التغابن (٦٤) / ١٤.
٣ـ التغابن (٦٤) / ١٥.
٤ـ كلمات آخر الفقرة ممحوّة لايقرأ. و الظاهر أن هذه الحاشية لغير المؤلّف رحمه الله.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٤٦، و مسالك الأفهام ٣ / ٢٨.

ذلك إذا بعث رسول الله ﷺ أحداً في غزوة أو سريّة، يدفع الرجل مفتاح منزله إلى أخيه في الدين و يقول له: خذ ما شئت. و كل ما شئت. و كان منهم من يمتنع من ذلك حتّى ربما فسد الطعام في ذلك البيت حتّى نزل: «ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً». يعني إن حضر صاحبه أو لم يحضر إذا ملكتم مفاتحه.[١]

و عن الإمام جعفربن محمّد عليهما السلام: من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الأنس و الثقة و الانبساط و طرح الحشمة بمنزلة النفس و الأب و الأخ و الابن. و عن ابن عبّاس: الصديق أكبر من الوالدين. إنّ أهل النار لمّا استغاثوا، لم يستغيثوا بالآباء و الأمّهات و إنّما قالوا: «فما لنا من شافعين * و لا صديق حميم».[٢] «جميعاً أو اشتاتاً»: مجتمعين أو متفرّقين. نزلت في بني ليث بن عمرو: كانوا يتحرّجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد نهاره منتظراً إلى اللّيل، فإن لم يجد من يؤاكله أكل مضطرّاً. و قيل: تحرّج قوم من الأنصار عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل و زيادة بعضهم على بعض. «فإذا دخلتم بيوتاً» من هذه البيوت لتأكلوا، فابدؤوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم ديناً و قرابة. «تحيّة من عند الله»: ثابتة بأمر الله مشروعة من لدنه. [و] وصفها بالبركة و الطيب لأنّها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير و طيب الرزق. و في الحديث أنّ السلام على الناس يطول العمر، و على أهل المنزل يكثر الخير في البيت. و قيل: إن لم يكن في البيت أحد، فليقل: السلام علينا من ربّنا. السلام علينا و على عباد الله الصالحين. السلام على أهل البيت و رحمة الله. و «تحيّة» منصوب بسلّموا لأنّها [في] معنى تسليماً. كقولك: قعدت جلوساً.[٣]

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «فإذا دخلتم بيوتاً فسلّموا على أنفسكم» قال: إن كان في البيت أحد، فليسلّم عليهم. و إن لم يكن فيه أحد فليقل: السلام علينا من ربّنا. يقول الله: «تحيّة من عندالله مباركة طيّبة». و قيل: إذا لم ير الداخل في البيت أحداً، يقول: السلام

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٠٩.
٢ـ الشعراء (٢٦) / ١٠٠ ـ ١٠١.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

عليكم و رحمة الله، يقصد به الملكين اللّذين يقومان عليه.[١]

[٦٢] «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ رَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«إنّما المؤمنون» ـ الآية. أراد الله أن يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهبين عن مجلس رسول الله ﷺ بغير إذنه إذا كانوا معه على أمر جامع، فجعل ترك ذهابهم حتّى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله و الإيمان برسوله. و هو تعريض بحال المنافقين و تسلّلهم لواذاً. و الأمر الجامع: الذي يجمع له الناس. فوصف الأمر بالجامع على سبيل المجاز. و ذلك نحو مقاتلة عدوّ أو تشاور في خطب مهمّ أو تضامّ لإرهاب مخالف. أو الأمر الذي يعمّ بضرره أو بنفعه. و في قوله: «أمر جامع» دلالة على أنّه خطب جليل لابدّ لرسول الله ﷺ فيه من ذوي رأي و قوّة يظاهرونه عليه بالرأي. فمفارقتهم في تلك الحال ممّا يشقّ عليه و يشعب عليه رأيه. فمن ثمّ ضيّق عليهم الأمر. قيل: إنّها نزلت في حفر الخندق.[٢] و كان ذلك من أهمّ الأيّام حتّى تولّى رسول الله ﷺ بنفسه و شغل عن أربع صلوات. و كان قوم يتسلّلون من بينهم بغير إذن.

«لبعض شأنهم»؛ أي: ما يعرض لهم من المهامّ. و فيه أيضاً مبالغه و تضييق للأمر. «فأذن لمن شئت منهم». تفويض للأمر إلى رسول الله ﷺ. «و استغفر لهم الله» بعد الإذن. فإنّ الاستئذان و لو لعذر قصور؛ فإنّه تقديم لأمر الدنيا على أمر الدين. «غفور» لفرطات العباد. «رحيم» بالتيسير عليهم.[٣]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٠٩.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٢٥٩. و الظاهر أنّ ما يأتي بعده مأخوذ من حاشية نسخة الكشّاف الموجودة عند المؤلّف حيث كتب في آخر الفقرة: «من ف و حواشيه».

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٢.

[٦٣] «لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«لاتجعلوا دعاء الرسول»؛ أي: لاتقيسوا دعاءه إيّاكم على دعاء بعضكم بعضاً في جواز الإعراض و المساهلة في الإجابة و الرجوع بغير إذن. فإنّ المبادرة إلى إجابته واجبة و المراجعة بغير إذنه محرّمة. و قيل: لاتجعلوا نداءه و تسميته كنداء بعضكم بعضاً باسمه و رفع الصوت به و النداء من وراء الحجرات، ولكن بلقبه المعظّم، مثل يانبيّ الله و يا رسول الله، مع التوقير و خفض الصوت. أو: لاتجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلاتبالوا بسخطه. فإنّ دعاءه موجب. أو: لاتجعلوا دعاءه ربّه كدعاء صغيركم كبيركم و فقيركم غنيّكم يجيبه مرّة ويردّه أخرى. فإنّ دعاءه مستجاب. «يتسلّلون»؛ أي: يخرجون خفية قليلاً قليلاً من الجماعة. «لواذاً»؛ أي: ملاوذة بأن يستتر بعضكم ببعض حتّى يخرج، أو يلوذ بمن يؤذن له لينطلق معه كأنّه تابعه. و انتصابه على الحال. «يخالفون عن أمره»؛ أي: يصدّون عن أمره. «فتنة»؛ أي: محنة في الدنيا. «عذاب أليم» في الآخرة.[١]

«لواذاً». قال ابن‌عبّاس: هو أن يلوذ بغيره فيهرب. و ذلك أنّ المنافقين كان يثقل عليهم خطبة النبيّ ﷺ يوم الجمعة فيلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار من غير استئذان. و قيل: كانوا يتسلّلون في الجهاد رجوعاً منه. و في قوله: «فليحذر الذين» ـ الآية ـ دلالة على أنّ أوامره ﷺ على الإيجاب.[٢]

«فتنة»؛ أي: بليّة. «عذاب أليم»؛ أي: القتل.[٣]

«فتنة». و عن جعفر بن محمّد عليهما السلام: سلطان جائر.[٤]

[٦٤] «أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَ يَوْمَ يُرْجَعُونَ

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٣.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٤٩.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١٠.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٢٦٠.

إِلَيْهِ فَيُـنَـبِّـئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

«قد يعلم ما أنتم عليه» أيّها المؤمنون المكلّفون من الموافقة و المخالفة. و إنّما أكّد علمه بقد لتأكيد الوعيد. «و يوم يرجعون»: يوم يرجع المنافقون إليه للجزاء. و يجوز أن يكون الخطاب أيضاً مخصوصاً بهم على طريق الالتفات. «بما عملوا» من سوء الأعمال.[1]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٣.

٢٥.
سورة الفرقان

عن إسحاق بن عمّار، عن أبي الحسن عليه السلام قال: يا بن عمّار، لاتدع قراءة تبارك الذي نزّل الفرقان. فإنّ من قرأها كلّ ليلة، لم يعذّبه الله أبداً و لم يحاسبه، و كان منزله في الفردوس الأعلى.[١]

الفرقان؛ عنه صلى الله عليه و آله: من قرأها، بعث و هو مؤمن بأنّ الساعة آتية لا ريب فيها و أنّ الله يبعث من في القبور، و أدخل الجنّة بغير حساب.[٢]

الفرقان؛ من كتبها و دخل على قوم بينهم بيع أو شراء، تفرّقوا، و لم يقرب موضعه شيء من الهوامّ.[٣]

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ * تَبَارَكَ الَّذي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً».

«تبارك الذي». تفاعل من البركة. أي: عظمت بركاته و كثرت. و قيل: معناه: تقدّس و جلّ بما لم يزل عليه من الصفات و لايزال كذلك فلايشاركه فيها غيره. و أصله من بروك الطير. فكأنّه قال: ثبت و دام فيما لم يزل و لايزال. عن جماعة من المفسّرين. «الفرقان»؛ أي: القرآن الذي يفرق بين الحقّ و الباطل. «ليكون». أي عبده [«نذيراً»:] مخوّفاً بالعقاب و

١ـ ثواب الأعمال / ١٣٥ ـ ١٣٦، ح ١، و مجمع البيان ٧ / ٢٥٠.

٢ـ المصباح / ٥٨٦.

٣ـ المصباح / ٦٠٨.

داعياً لهم إلى الرشاد.[١]

سمّي القرآن فرقاناً لأنّه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقاً مفصولاً بين بعضه و بعض في الإنزال. ألاترى إلى قوله: «و قرآناً فرّقناه».[٢] «ليكون» أي العبد أو الفرقان.[٣]

[٢] «الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَـهُ شَرِيكٌ فِي الْمُـلْكِ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً».

«و لم يتّخذ ولداً» كما زعمت اليهود و النصارى. «فقدّره تقديراً». التقدير تبيين مقادير الأشياء للعباد. أي: قدّر الأشياء بأن كتبها في الكتاب الذي كتبه الملائكة عطفاً[٤] لهم. و قيل: خلق كلّ شيء فقدّر طوله و عرضه و لونه و صفاته.[٥]

«و خلق كلّ شيء»؛ أي: أحدثه إحداثاً مراعًى فيه التقدير حسب إرادتـه، كـخلقة الإنسان من موادّ مخصوصة و صور و أشكال معيّنة. «فقدّره تقديراً»؛ أي: قدّره و هيّأه لما أراد منه من الخصائص و الأفعال، كتهيئة الإنسان للإدراك و الفهم و مزاولة الأعـمال. أو: فقدّره للبقاء إلى أجل مسمًّى. و قد يطلق الخلق لمجرّد الإيجاد مـن غـير نـظر إلى وجـه الاشتقاق، فيكون المعنى: و أوجد كلّ شيء فقدّره في إيجاده حتّى لايكون متفاوتاً.[٦]

لا احتياج إلى هذه الوجوه. لأنّ الخلق بمعنى التقدير، فيكون معناه: و قدّر كلّ شيء فقدّره.

[٣] «وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ وَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَ لَا نَفْعاً وَ لَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَ لَا حَيَاةً وَ لَا نُشُوراً».

«آلهة». يعني الأصنام. «و لا نشوراً»؛ أي: إعادة بعد الموت. يعني: كيف يعبدون من

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٢.

٢ـ الإسراء (١٧) / ١٠٦.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٢٦٢.

٤ـ المصدر: لطفاً.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٢.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٤.

لا يقدر على شيء من ذلك؟[١]

«يخلقون». لأنّ عبدتهم ينحتونهم و يصوّرونهم. «لأنفسهم ضرّاً»؛ أي: دفع ضرر. «و لا نفعاً»؛ أي: جلب نفع. «موتاً»؛ أي: لايملكون إماتة أحد و لا إحياءه و بعثته ثانياً. و من كان كذلك فبمعزل عن الألوهيّة.[٢]

[٤] «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَ أَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْماً وَ زُوراً».

«إن هذا إلّا إفك»؛ أي: ما هذا القرآن إلّا كذب «افتراه» محمّد و اختلقه. «و أعـانه». قالوا: أعان محمّداً على هذا القرآن عداس و يسار و حبر و كانوا من أهل الكتاب. «ظلماً و زوراً» ؛ أي: شركاً و كذباً، حين زعموا أنّ القرآن ليس من الله.[٣]

[٥] «وَ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً».

قالوا: إنّ هذا الذي يقرؤه محمّد و يخبر به، إنّما يتعلّمه من اليهود ثمّ يستكتبه من علماء النصارى عن رجل يقال له: ابن قبيطة ينقله عنه بالغداة و العشيّ. فحكى سبحانه قولهم.[٤]

«و قالوا أساطير الأوّلين»؛ أي: قالوا أيضاً: هذه أحاديث المتقدّمين و ما سـطروه في كتبهم انتسخها «فهي تملى عليه» طرفي النهار، يحفظها و ينسخها. و الأصيل: العشيّ. لأنّه أصل اللّيل و أوّله. و في هذا بيان مناقضتهم و كذبهم. لأنّهم قالوا: افتراه، ثمّ قالوا: تملى عليه، فقد افتراه غيره. و قالوا: إنّه كتب، و قد علموا أنّه لايحسن الكتابة فكيف كتب؟[٥]

«اكتتبها»؛ أي: كتبها لنفسه. أو: استكتبها. «فهي تملى عليه» ليحفظها؛ فإنّه أمّيّ لا يقدر أن يكرّر من الكتاب أو ليكتب.[٦]

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٢ ـ ٢٥٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٥.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٣.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١١.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٣.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٥.

[٦] «قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً».

«قل» يا محمّد تكذيباً لقولهم: أنزل القرآن الذي يعلم الخفيّات في السموات و الأرض.[١]

«أنزله الذي يعلم السرّ». لأنّه أعجزكم عن آخركم لفصاحته و تضمّن إخباراً عن مغيبات مستقبلة و أشياء مكنونة لايعلمها إلّا عالم الأسرار، فكيف يجعلونه أساطير الأوّلين؟ «غفوراً رحيماً». فلذلك لايعجّل عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها و استحقاقكم أن يصبّ عليكم [العذاب] صبّاً.[٢]

[٧] «وَ قَالُوا مَا لِهٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْ لَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً».

«يأكل الطعام» كما نأكل «و يمشي» كما نمشي «في الأسواق». «لولا»؛ أي: هلّا أنزل إليه ملك فيكون معيناً له على الإنذار و التخويف.[٣]

«ما لهذا الرسول». أي الذي يزعم الرسالة. و فيه تهكّم و استهانة. «يأكل الطعام و يمشي» مثلنا. أي: إن صحّ دعواه، فما له لايخالف حاله حالنا؟ و ذلك لعمههم و قصور نظرهم على المحسوسات. فإنّ تميّز الرسل عمّن عداهم ليس بأمور جسمانيّة و إنّما هو بأحوال نفسانيّة؛ كما أشار إليه بقوله: «قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد».[٤] «لولا أنزل إليه ملك» ليعلم صدقه بتصديق الملك.[٥]

[٨] «أَوْ يُلْقىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَ قَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً».

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٥.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٣.
٤ـ الكهف (١٧) / ١١٠.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٥.

«كنز» لأجل [أن] يستغني به عن طلب المعاش. «جنّة»؛ أي: بستان «يأكل» هو من ثمارها. و من قرأ بالنون، فيكون المعنى: نأكل نحن معه و نـتّبعه. «و قـال الظـالمون»؛ أي: المشركون للمؤمنين: ما تتّبعون إلّا رجلاً مخدوعاً مغلوباً على عقله.(١)

«أو تكون له جنّة». هذا على سبيل التنزّل. أي: إن لم يلق إليه كنز، فلا أقلّ أن يكون له بستان كالدهاقين فيتعيّش بريعه. «و قال الظالمون». [وضع الظالمون موضع ضميرهم](٢) تسجيلاً عليهم بالظلم.(٣)

«يأكل». أهل الكوفة غير عاصم: «نأكل» بالنون.(٤)

عن أبي جعفرعليه السلام أنّه قرأ: و قال الظالمون لآل محمّد حقّهم إن تتّبعون إلّا رجلاً مسحوراً. يعنون محمّداً صلوات الله عليه و آله.(٥)

[٩] «انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً».

«الأمثال»؛ أي: الأشباه. لأنّهم تارة قالوا مسحور، و تارة محتاج تمنّوا له الكنز، و تارة انّه ناقص عن الأمور يحتاج إلى الملك. «فضلّوا» بهذا عن وجه الصواب. «فلايستطيعون سبيلاً» لإلزامك الحجّة من الوجوه المذكورة، أو إلى إبطال أمرك. أو: لا يستطيعون سبيلاً إلى الحقّ مع ردّهم الدلائل و اتّباعهم التقليد.(٦)

عن أبي جعفرعليه السلام: فلايستطيعون إلى ولاية عليّعليه السلام سبيلاً. و عليّ هو السبيل.(٧)

[١٠] «تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَ يَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً».

«تبارك»؛ أي: تقدّس «الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك» الذي اقترحه من الكنز

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٣.

٢ـ في النسخة: «أي هم» بدل مابين المعقوفتين.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٥.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥١.

٥ـ تأويل الآيات ١ / ٣٧١، ح ١.

٦ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٤.

٧ـ تأويل الآيات ١ / ٣٧١، ح ١.

و البستان و هو جنّات تجرى من تحتها الأنهار و يجعل لك في كلّ بستان قصراً. و أراد في الآخرة. أي: سيعطيك في الآخرة أكثر ممّا قالوا. و قيل: في الدنيا. لأنّ جبرئيل عرض عليه ذلك كلّه فاختار الزهد في الدنيا.(١)

«و يجعل». عطف على محلّ الجزاء. و قرأ ابن‌كثير و ابن‌عامر بالرفع. لأنّ الشرط إذا كان ماضياً، جاز في جزائه الجزم و الرفع. و يجوز أن يكون استئنافاً بوعد يكون له في الآخرة.(٢)

[١١] «بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَ أَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً».

«بل كذّبوا بالساعة»؛ أي: ما كذّبوك لأنّك تأكل الطعام و تمشي في الأسواق، بل لأنّهم لم يقرّوا بالبعث. «سعيراً»؛ أي: ناراً تتلظّى.(٣)

«بل كذّبوا بالساعة» فقصرت أنظارهم على الحطام الدنيويّة و ظنّوا أنّ الكرامة إنّما هي بالمال فطعنوا فيك بالفقر. أو فلذلك كذّبوك لا لما تمحّلوا من المطاعن الفاسدة. «سعيراً»: ناراً شديدة الاستعار. و قيل: هو اسم لجهنّم. فيكون صرفه باعتبار المكان.(٤)

«بالساعة». عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ اللّيل و النهار اثنتاعشرة ساعة. و انّ أميرالمؤمنين عليه السلام أشرف ساعة منهما. و هو قوله تعالى: «بل كذّبوا بالساعة و أعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً».(٥)

[١٢] «إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَ زَفِيراً».

ثمّ وصف ذلك السعير فقال: «إذا رأتهم من مكان بعيد»؛ أي: من مسيرة مائة عام. و عن أبي عبدالله عليه السلام: من مسيرة سنة. و نسب الرؤية إلى النار مجازاً و إنّما يرونها هم، لأنّ ذلك أبلغ. كأنّها تراهم رؤية الغضبان الذي يزفر غيظاً. و ذلك قوله: «سمعوا لها تغيّظاً و زفيراً». و

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٣ / ١٣٦.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٦ ـ ٢٥٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٦.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١٢.

تغيّظها تقطّعها عنده شدّة اضطرابها. و زفيرها صوتها عند شدّة التهابها كالتهاب الرجل المغتاظ. و قيل: التغيّظ للنار، و الزفير لأهلها.[١] «إذا رأتهم»: إذا كانت بمرأى منهم. «تغيّظاً و زفيراً». [شبّه صوت] غليانها بصوت المغتاظ و زفيره. هذا، و إنّ الحياة لمّا لم تكن مشروطة عندنا بالبنية، أمكن أن يخلق الله فيها حياة فترى و تتغيّظ و تزفر. و قيل: إنّ ذلك لزبانيتها على حذف المضاف.[٢]

[١٣] «وَ إِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً».

«و إذا ألقوا» من النار في مكان ضيّق عليهم كما يضيّق الزجّ في الرمح. «مقرّنين»؛ أي: مصفّدين قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال. و قيل: قرنوا مع الشياطين في السلاسل. «دعوا هنالك ثبوراً»؛ أي: دعوا بالويل و الهلاك على أنفسهم كما يقول [القائل]: وا ثبوراه؛ أي: وا هلاكاه.[٣]

«ضيّقاً» لزيادة العذاب. فإنّ الكرب مع الضيق و الروح مع السعة. و لذلك وصف الله الجنّة بأنّ عرضها السموات و الأرض.[٤]

«دعوا هنالك»؛ أي: في ذلك المكان.[٥]

[١٤] «لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَ ادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً».

«لاتدعوا» ويلاً واحداً. أي: لا ينفعكم هذا و إن كثر منكم. قال الزجّاج: معناه: هلاككم أكثر من أن تدعوا مرّة واحدة.[٦]

«لاتدعوا». أي يقال لهم ذلك. «ثبوراً كثيراً». لأنّ عذابهم أنواع كثيرة كلّ نوع منها ثبور لشدّته أو لأنّه يتجدّد؛ [لقوله تعالى:] «كلّما نضجت جلودهم»[٧].[٨]

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٦.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٧.
٤ـ آل عمران (٣) / ١٣٣.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٦.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٧.
٧ـ النساء (٤) / ٥٦.
٨ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٦.

«ثبوراً واحداً». عن زيد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: إذا كان يوم القيامة، أمر الله الناس بإتباع كلّ إمام جائر إلى النار، فيدعون بالويل و الثبور و يقولون لإمامهم: يا من أهلكنا، هلمّ الآن فخلّصنا ممّا نحن فيه! فعندها يقال لهم: «لاتدعوا اليوم ثبوراً واحداً».[١]

[١٥] «قُلْ أَ ذٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَ مَصِيراً».

«أ ذلك خير». [الإشارة إلى العذاب] و الاستفهام و التفضيل للتقريع مع التهكّم. أو إلى الكنز و الجنّة. «كانت لهم» في علم الله أو اللّوح. أو لأنّ ما وعده الله في تحقّقه كالواقع.[٢]

«أ ذلك»، يعني ما ذكره من السعير «خير أم جنّة الخلد»؟ «مصيراً»: مستقرّاً.[٣]

[١٦] «لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلىٰ رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُولاً».

«وعداً مسؤولاً». عن ابن عبّاس: معناه: انّ الله وعدهم الجزاء فسألوه الوفاء فوفى. أو: انّ الملائكة سألوا الله [تعالى ذلك لهم فأجيبوا إلى مسألتهم. و قيل. إنّهم سألوا الله تعالى] في الدنيا الجنّة، فأجابهم في الآخرة إلى ما سألوا.[٤]

[١٧] «وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَ أَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ».

«يحشرهم». ابن كثير و يعقوب و حفص بالياء. و الباقون بالنون. «فيقول». قرأ ابن عامر: «فنقول» بالنون.[٥]

«و ما يعبدون». يعني عيسى و عزيراً و الملائكة. و قيل: يعني الأصنام. «ضلّوا السبيل»؛ أي: طريق الجنّة و النجاة.[٦]

«أأنتم أضللتم». إن قلت: الله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤول عنه. فما فائدة هذا

١ـ تأويل الآيات ١ / ٣٧١.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٦ ـ ١٣٧.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٧.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٧.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٧.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٧.

السؤال؟ قلت: فائدته أن يجيبوا بما أجابوا حتّى يبكّت عبدتهم بتكذيبهم إيّاهم فيبهتوا و تزيد حسرتهم، و ذلك يكون نوعاً من عذابهم، و يفرح المؤمنون بحالهم و نجاتهم من فضيحة أولئك، و ليكون حكاية ذلك في القرآن لطفاً للمكلّفين. و فيه كسر بيّن لقول من يزعم أنّ الله يضلّ عباده حيث يقول للمعبودين من دونه: «أأنتم أضللتموهم أم هم ضلّوا» فيتبرّؤون من إضلالهم و يقولون: بل أنت تفضّلت على هؤلاء و آبائهم فجعلوا النعمة التي حقّها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر و نسيان الذكر، و ذلك سبب الهلاك. فإذا برّأت الملائكة و الرسل أنفسهم من نسبة الإضلال الذي هو عمل الشياطين إليهم، فهم لربّهم الغنيّ العدل أشدّ تنزيهاً. و لقد نزّهوه حين أضافوا إليه التفضّل بالنعمة و أسندوا نسيان الذكر إلى الكفرة فشرحوا الإضلال في قوله: «يضلّ من يشاء». و لو كان هو المضلّ على الحقيقة، لكان الجواب أن يقول: أنت أضللتهم.(١)

[١٨] «قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَ لٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ آبَاءَهُمْ حَتّٰى نَسُوا الذِّكْرَ وَ كَانُوا قَوْماً بُوراً».

«قالوا». يعني المعبودين من الملائكة والإنس أم الأصنام إذا أحياهم الله و أنطقهم. «قالوا سبحانك»: تنزيهاً لك عن الشريك و عن أن يكون معبود سواك. «ما كان ينبغي لنا أن نتّخذ»؛ أي: ليس لنا أن نوالي أعداءك بل أنت وليّنا من دونهم. و قيل: معناه: و ما كان لنا و للعابدين أن نأمر أحداً يعبدنا و لايعبدك. فإنّا لو أمرناهم بذلك، لكنّا واليناهم و نحن لانوالي من يكفر بك. و على قراءة: «نُتّخذ» بالمجهول، معناه: ما كان يحقّ لنا أن نعبد. «ولكن متّعتهم»؛ أي: طوّلت أعمارهم و أعمار آبائهم و متّعتهم بالأموال «حتّى نسوا الذكر» المنزل على الأنبياء. «و كانوا قوماً بوراً»: هالكين.(٢)

«قالوا سبحانك». تعجّب منهم ممّا قيل لهم. لأنّهم أنبياء و ملائكة معصومون فما أبعدهم

١ـ الكشّاف ٣ / ٢٦٨ ـ ٢٧٠.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

عن الإضلال. أو نطقوا بسبحانك ليدلّوا على أنّهم المسبّحون الموسومون بذلك، فكيف يليق بحالهم أن يضلّوا عباده. «نسوا الذكر»؛ أي: ذكر الله و الايمان به أو القرآن و الشرائع. «بوراً». البور: الهلاك. يوصف به الواحد و الجمع. و يجوز أن يكون جمع بائر كعائذ و عوذ.[١]

عن يعقوب: «أن نُتّخذ» بضمّ النون و فتح الخاء. و هو المرويّ عن جعفر بن محمّد عليهما السلام.[٢]

[١٩] «فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَ لَا نَصْراً وَ مَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً».

عن ابن كثير: «بما يقولون» بالياء. و حفص: «فما تستطيعون» بالتاء. و الباقون بالياء.[٣]

«فقد كذّبوكم»؛ أي: يقول الله عند ذلك: فقد كذّبكم المعبودون أيّها المشركون «بما تقولون»؛ أي: بقولكم أنّهم آلهة شركاء لله. و من قرأ بالياء، فمعناه: فقد كذّبوكم بقولهم: «سبحانك ما كان» ـ الآية. «فما يستطيعون صرفاً»؛ أي: فما يستطيع المعبودون صرف العذاب عنكم «و لا نصراً» لكم بدفع العذاب عنكم. و على قراءة التاء معناه: فما تستطيعون أيّها المتّخذون الشركاء صرف العذاب عن أنفسكم و لا أن تنصروا أنفسكم بمنع العذاب. «و من يظلم منكم» نفسه بالشرك «نذقه» في الآخرة «عذاباً كبيراً».[٤]

«صرفاً». قيل: الصرف التوبة. و قيل: الحيلة. من قولهم: إنّه ليتصرّف؛ أي: يحتال.[٥]

[٢٠] «وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَ يَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَ جَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَ تَصْبِرُونَ وَ كَانَ رَبُّكَ بَصِيراً».

«و ما أرسلنا قبلك» يا محمّد صلى الله عليه وآله «من المرسلين إلّا أنّهم ليأكلون الطعام». احتجاج

١ـ الكشّاف ٣ / ٢٧٠.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٥.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٥.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٨.
٥ـ الكشّاف ٣ / ٢٧١.

عليهم في قولهم: «ما هٰذا الرسول» ـ الآية. أي: فقل لهم كذلك كان من تقدّم من الرسل. «لبعض فتنة». كالفقراء، فإنّهم فتنة الأغنياء. فإنّ المستهزئين من قريش كانوا يقولون: انظروا إلى هؤلاء الذين اتّبعوا محمّداً من موالينا و أراذلنا. قال الله لهٰؤلاء الفقراء: «أتصبرون» أيّها الفقراء على فقركم و لاتفعلون ما يؤدّي إلى مخالفتنا. «و كان ربّك بصيراً»؛ أي: عليماً.(١)

عن أبي جعفر عليه السلام قال: جمع رسول الله أميرالمؤمنين و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام و أغلق عليه و عليهم الباب و قال: يا أهلي و أهل الله، إنّ الله يقرأ عليكم السلام. و هذا جبرئيل معكم في البيت و يقول: إنّ الله يقول: قد جعلت عدوّكم لكم فتنة. فما تقولون؟ قالوا: نصبر يا رسول الله لأمر الله حتّى نقدم على الله و نستكمل ثوابه. فقد سمعناه يعد الصابرين. فبكى رسول الله. فنزلت هذه الآية: «و جعلنا بعضكم لبعض فتنة» ـ الآية.(٢)

«فتنة»؛ أي: محنة و ابتلاء. و هذا تصبّر لرسول الله صلى الله عليه و آله على ما قالوه من أكله الطعام و مشيه في الأسواق بعد ما احتجّ عليهم بسائر الرسل. يقول: و جرت عادتي على ابتلاء بعضكم ـ أيّها الناس ـ ببعض. يعني أنّه ابتلى المرسلين بالمرسل إليهم و بمناصبتهم لهم العداوة و طلب منهم الصبر الجميل. و موقع «أتصبرون» بعد ذكر الفتنة موقع «أيّكم» بعد الابتلاء في قوله: «ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً».(٣) و قيل: معناه: جعلناك فتنة لهم. لأنّك لو كنت غنيّاً صاحب كنوز، لكان ميلهم إليك للدنيا. فإنّما بعثناك فقيراً ليكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيويّ. و قيل: كان أبوجهل و جماعة يقولون: إن أسلمنا و قد أسلم قبلنا عمّار و نحوه، ترفّعوا علينا بالسابقة. فهو افتتان بعضهم ببعض.(٤)

[٢١] «وَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً».

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٨.
٢ـ تأويل الآيات ١ / ٣٧٢، ح ٣.
٣ـ هود (١١) / ٧.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٢٧٢.

«لايرجون لقاءنا»؛ أي: جزاء لقائنا. و هذا عبارة عن إنكارهم البعث. «لولا أنـزل»؛ أي: هلّا أنزل الملائكة ليخبرونا بأنّ محمّداً نبيّ أو نرى الله فيخبرنا بذلك و يأمرنا باتّباعه؟ و هذا يدلّ على أنّهم كانوا مجسّمة. ثمّ أقسم الله فقال: «لقد استكبروا» بهذا القول؛ أي: طلبوا الكبر و التجبّر بغير حقّ. «و عتوا عتوّاً كبيراً»: طغوا طغياناً عظيماً.[١]

[٢٢] «يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَ يَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً».

ثمّ أعلم الله أنّ الوقت الذي يرون [فيه الملائكة] هو يوم القيامة و أنّ الله قد حرمهم البشرى في ذلك اليوم. «لا بشرى»؛ أي: لا بشارة للمجرمين بالجنّة والثواب يوم القيامة.[٢]

«حجراً محجوراً». ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرّفة المنصوبة بأفعال متروك إظهارها نحو معاذ الله. و هذه الكلمة كانوا يتكلّمون بها عند لقاء عدوّ أو هجوم نازلة أو نحو ذلك، يضعونها موضع الاستعاذة. قال سيبويه: و يقول الرجل للرجل: أتفعل كذا و كـذا؟ فيقول: حجراً محجوراً. و هي من حجره، إذا منعه. لأنّ المستعيذ طـالب مـن الله أن يمـنع المكروه، فكان المعنى: أسأل الله أن يمنع ذلك منعاً و يحجره حجراً.[٣]

«حجراً محجوراً». [أصل] الحجر: الضيق. و منه حجر إبراهيم. «و يقولون»؛ أي: يقول الملائكة لهم: حراماً محرّماً عليكم سماع البشرى. و قيل: معناه: و يقول المجرمون للملائكة كما كانوا يقولون في الدنيا إذا لقوا من يخافون منه القتل: حجراً محجوراً دماؤنا. قال الخليل: كان الرجل يرى الرجل الذي يخاف منه القتل في الجاهليّة في الأشهر الحـرم، فـيقول: حـجراً محجوراً؛ أي: حرام عليك حرمتي في هذا الشهر، فلايبدؤه بشرّ. فإذا كان يوم القيامة رأوا الملائكة فقالوا ذلك ظنّاً منهم أنّه ينفعهم. و قيل: معناه: حراماً محرّماً أن يدخل الجنّة إلّا من قال: لا إله إلّا الله. و وصفه بمحجوراً للتأكيد. كقولهم: موت مائت.[٤]

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٦١. ٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٦١.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٩ ـ ٢٦٢، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٩.

[٢٣] «وَ قَدِمْنَا إِلىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً».

«و قدمنا»؛ أي: عمدنا إلى ما عملوا في كفرهم من المكارم ـ كقرى الضيف و صلة الرحم و إغاثة الملهوف ـ فأحطبناه لفقد ما هو شرط اعتباره. و هو تشبيه حالهم و أعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم إلى أشيائهم فمزّقها و أبطلها و لم يبق لها أثراً. و الهباء: غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوّة. من الهبوة؛ وهو الغبار. و المنثور صفته.[١]

[٢٤] «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَ أَحْسَنُ مَقِيلاً».

«مستقرّاً»؛ أي: مكاناً يستقرّ فيه في أكثر الأوقات للتجالس و التحادث. «و أحسن مقيلاً»: مكاناً يؤوى [إليه] للاسترواح بالأزواج والتمتّع بهنّ. و أفعل التفضيل هنا بمعنى أصل الفعل أو بالإضافة إلى ما للمترفين في الدنيا.[٢]

[٢٥] «وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَ نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلاً».

«تشقّق». أهل الكوفة و أبوعمرو: «تشقّق» خفيفة الشين، و الباقون مشدّدة الشين. و ابن‌كثير: «و نُنْزِل الملائكةَ» بنونين خفيفة والملائكة بالنصب.[٣]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الغمام هو أميرالمؤمنين عليه السلام.[٤]

«بالغمام»؛ أي: بسبب طلوع الغمام منها. و هو الغمام المذكور في قوله: «هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام و الملائكة».[٥] «و نزّل الملائكة تنزيلاً» في ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد. و قيل: المعنى: تتشقّق السماء و عليها غمام. كما يقال: ركب الأمير بسلاحه. و السموات كلّها يتشقّق يوم القيامة و نزّل منها الملائكة.[٦]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٩.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٥٩.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١٣.
٥ـ البقرة (٢) / ٢١٠.
٦ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٣٩، و مجمع البيان ٧ / ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

[٢٦] «الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً».

«الملك يومئذ الحقّ»؛ أي: الملك الذي هو الملك حقّاً ملك الرحمن يوم القيامة و يزول ملك سائر الملوك. «عسيراً» لشدّته عليهم و يهون على المؤمن كأدنى صلاة صلّاها في دار الدنيا.(١)

روى أصحابنا في قوله: «الملك يومئذ» قال: إنّ الملك للرحمن اليوم [و قبل اليوم] و بعد اليوم، ولكن إذا قام القائم عليه السلام لم يعبد إلّا الله.(٢)

[٢٧] «وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً».

«يعضّ الظالم». قيل: المراد كلّ ظالم. فإنّه يأكل يديه من فرط الحسرة حتّى يذهبها إلى المرفقين، ثمّ تنبتان، و لا يزال هكذا ندامة على ما فعل. و قيل: عقبة بن أبي معيط. كان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وآله فدعاه إلى ضيافة. فأبى أن يأكل طعامه حتّى ينطق بالشهادتين، ففعل ذلك. و كان أُبيّ بن خلف صديقه فعاتبه و قال: صبأت؟ فقال: لا ولكن آلى أن لا يأكل من طعامي و هو في بيتي، فاستحييت فشهدت له. فقال: لا أرضى منك إلّا أن تأتيه فتطأ قفاه و تبزق في وجهه. فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل ذلك. فقال عليه السلام: لا ألقاك خارجاً من مكّة إلّا علوت رأسك [بالسيف]. فأسر يوم بدر فأمر عليّاً عليه السلام بقتله. و طعن أُبيّاً بأحد في المبارزة فرجع إلى مكّة و مات.(٣)

عن أبي جعفر عليه السلام: «سبيلاً» يعني عليّ بن أبي طالب عليه السلام.(٤) و لا من عبد و لا أمة أعطى بيعة أمير المؤمنين عليه السلام في الظاهر و نكثها في الباطن، إلّا إذا حضره الموت أُري مكانه في النار و مكانه في الجنّة لو بقي على الإيمان به. فعند ذلك يقول: يا ليتني اتّخذت مع الرسول سبيلاً

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٦٣.
٢ـ تأويل الآيات ١ / ٣٧٢ ـ ٣٧٣، ح ٤.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٦٣ و ٢٦٠ ـ ٢٦١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٣٩ ـ ١٤٠.
٤ـ تأويل الآيات ١ / ٣٧٣، ح ٦.

بقبول ولاية عليّ عليه السلام.(١)

«سبيلاً»؛ أي: طريقاً إلى الجنّة. أو: طريقاً واحداً و هو طريق الحقّ و لم تتشعّب بي طرق الضلالة.(٢)

[٢٨] «يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً».

«يا ويلتى». عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: و الله ما كنى الله في كتابه حتّى قال: «لم أتّخذ فلاناً خليلاً». و إنّما هي في مصحف عليّ: يا ويلتى ليتني لم أتّخذ الثاني خليلاً. و سيظهر يوماً. و معناه أنّ الظالم العاضّ هو الأوّل.(٣)

قال: «فلاناً» الثاني. «عن الذكر». يعني الولاية. «و كان الشيطان». يعني الثاني.(٤)

«فلاناً». يعني من أضلّه. و فلان كناية عن الأعلام. أو «فلاناً» يعني أبيّاً.(٥)

[٢٩] «لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَ كَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً».

«عن الذكر» يعني ذكر الله أو الإسلام «بعد إذ جاءني» و تمكّنت منه. و تمّ الكلام هنا. ثمّ قال الله: «و كان الشيطان». يعني الخليل المضلّ أو إبليس ـ لأنّه حمله على مخالفته و مخالفة الرسول ـ أو كلّ من تشيطن من جنّ و إنس. «خذولاً» يواليه حتّى يؤدّيه إلى الهلاك ثمّ يتركه.(٦)

[٣٠] «وَ قَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً».

«و قال الرسول». يعني محمّداً صلّى الله عليه و آله في الآخرة شكاية إلى الله. «مهجوراً» بأن تركوه و صدّوا عنه، أو هجروا و لغوا فيه إذا سمعوه، أو زعموا أنّه هجر و أساطير الأوّلين فيكون

١ـ تأويل الآيات ١ / ٣٧٣ ـ ٣٧٤، ح ٧، عن تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام عن النبيّ صلّى الله عليه و آله.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٠.

٣ـ تأويل الآيات ١ / ٣٧٤، ح ٨.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١٣.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٠، و مجمع البيان ٧ / ٢٦٣.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٠، و مجمع البيان ٧ / ٢٦٣.

أصلها: مهجوراً فيه. و فيه تخويف لقومه. فإنّ الأنبياء إذا شكوا إلى الله قومهم، عجّل لهم العذاب.[١]

[٣١] «وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَ كَفىٰ بِرَبِّكَ هَادِياً وَ نَصِيراً».

«و كذلك جعلنا»؛ أي: كما جعلنا لك عدوّاً من مشركي قومك، جعلنا «لكلّ نبيّ عدوّاً من المجرمين». فاصبر كما صبروا. و المعنى أنّه تعالى أمر الأنبياء أن يدعوهم إلى الإيمان و ترك ما ألفوه من دينهم، و كانت هذه أسباباً داعية إلى العداوة. و هو معنى قوله: «جعلنا». «و كفى بربّك»؛ أي: حسبك بالله هادياً إلى الحقّ و ناصراً لأوليائه في الدين أو الدنيا، أو هادياً إلى طريق قهرهم.[٢]

[٣٢] «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَ رَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً».

«جملة واحدة»؛ أي: دفعة واحدة كالتوراة و الإنجيل و الزبور. و هو اعتراض لا طائل تحته. لأنّ الإعجاز لايختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرّقاً. مع أنّ للتفريق فوائد منها ما أشار إليه بقوله: «كذلك» ـ الآية.[٣]

«كذلك». جواب لهم. أي: كذلك أنزل مفرّقاً، و الحكمة أن يقوى به فؤادك حتّى تعيه و تحفظه. لأنّ المتلقّن إنّما يقوى على حفظ العلم شيئاً بعد شيء و لو ألقي عليه جملة واحدة، لتعيّا بحفظه. و الرسول صلى الله عليه و آله فارقت حاله حال موسى و داوود و عيسى حيث كان أمّيّاً لايقرأ و لايكتب فلم يكن له بدّ من التلقّن والتحفّظ، فأنزل عليه منجّماً في ثلاث و عشرين سنة. و أيضاً فكان ينزل على حسب الحوادث و جوابات السائلين. و لأنّ بعضه منسوخ و بعضه ناسخ و لايتأتّى ذلك إلّا فيما أنزل مفرّقاً. و قوله: «كذلك» إشارة إلى ما

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٠.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٦٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٠.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٠.

تضمّنه قوله: «لولا نزّل عليه جملة واحدة». فكأنّه قال: لم أنزل مفرّقاً؟ و يجوز أن يكون من تمام كلام الكفرة و لذلك وقف عليه، فيكون حالاً و الإشارة إلى الكتب السابقة. «و رتّلناه»؛ أي: قرأنا عليك شيئاً فشيئاً على تمهّل. و قيل: فصّلناه تفصيلاً.(١)

[٣٣] «وَ لَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً».

«و لا يأتونك بمثل»؛ أي: بسؤال عجب كأنّه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوّتك، «إلّا جئناك بالحقّ» الدامغ له في جوابه و بما هو أحسن بياناً أو معنىً من سؤالهم. أو: لا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلّا كانت هذه حاله، إلّا أعطيناك من الأحوال ما يحقّ لك في حكمتنا و ما هو أحسن كشفاً لما بعثت به.(٢)

[٣٤] «الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَ أَضَلُّ سَبِيلاً».

«يحشرون على وجوههم»؛ أي: يسحبون إلى النار. و هم كفّار مكّة. و في الحديث: يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف على الدوابّ، و صنف على الأقدام، و صنف على الوجوه. و الذي أمشاه على رجليه، قادر أن يمشيه على وجهه. كذا في الحديث. «شرّ مكاناً و أضلّ». والمفضّل عليه هو الرسول عليه السلام على طريقة قوله: «هل أنبّئكم بشرّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله و غضب عليه».(٣) و قد قال كفّار مكّة لمحمّد و أصحابه: هم شرّ خلق الله، فقال الله سبحانه: «أولئك شرّ مكاناً»؛ أي: منزلاً و مصيراً، و أضلّ ديناً و طريقاً.(٤)

[٣٥] «وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ جَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً».

ثمّ ذكر حديث الأنبياء و أممهم تسلية للنبيّ عليه السلام فقال: «و لقد آتينا موسى». و قوله:

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٠، و مجمع البيان ٧ / ٢٦٥ ـ ٢٦٦، و الكشّاف ٣ / ٢٧٨.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤١. ٣ـ المائدة (٥) / ٦٠.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٦٦، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤١.

«وزيراً» يعني يوازره في الدعوة و إعلاء الكلمة. و لاينافي ذلك مشاركته في النبوّة. لأنّ المتشاركين في الأمر متوازران عليه.(١)

[٣٦] «فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً».

«كذّبوا». يعني فرعون و قومه. «فدمّرناهم»؛ أي: فذهبا إليهم فكذّبوهما فأهلكناهم إهلاكاً بأمر فيه أعجوبة.(٢)

[٣٧] «وَ قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَ جَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً».

«و قوم نوح»؛ أي: أغرقنا قوم نوح لمّا كذّبوا نوحاً ومن قبله أو نوحاً وحده. و كان تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكلّ. «و جعلناهم»؛ أي: جعلنا إغراقهم أو قصّتهم عبرة للناس. «و أعتدنا»؛ أي: هيّأنا للظالمين عذاباً سوى ما حلّ بهم في الدنيا.(٣)

[٣٨] «وَ عَاداً وَ ثَمُودَ وَ أَصْحَابَ الرَّسِّ وَ قُرُوناً بَيْنَ ذٰلِكَ كَثِيراً».

«و عاداً و ثمود». عطف على هم في جعلناهم، أو على الظالمين لأنّ المعنى: و وعدنا الظالمين. أو: و أهلكنا عاداً و ثمود. «و أصحاب الرسّ»: قوم كانوا يعبدون الأصنام، فبعث إليهم شعيباً فكذّبوه فبيناهم حول الرسّ ـ و هي البئر الغير المطويّة ـ فانهارت فخسف بهم و بديارهم. و قيل: أصحاب الرسّ كانت نساؤهم سحّاقات. عن أبي عبداللهعليه السلام.(٤)

عن أبي عبداللهعليه السلام قال: أدخلت امرأة مع مولاة لها على أبيعليه السلام فقالت: ما تقول في اللّواتي مع اللّواتي؟ قال: إذا كان يوم القيامة، أتي بهنّ فألبسن جلباباً من نار و قناعاً من نار

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٦٦، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤١.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٦٦، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤١.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٦٦، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤١.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤١، و مجمع البيان ٧ / ٢٦٦ـ ٢٦٧.

و أدخل في أجوافهنّ و فروجهنّ أعمدة من النار و قذف بهنّ في النار. فقالت: ليس هذا في القرآن. قال: بلى، قوله: «و عاداً و ثمود و أصحاب الرسّ». فهنّ الرسيّات.(١)

«و أصحاب الرسّ». قيل: هم أصحاب النبيّ حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء. و هي أعظم ما يكون من الطير، سمّيت لطول عنقها. و كانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح و هي تنقضّ على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد. فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة. ثمّ إنّهم قتلوا حنظلة فأهلكوا.(٢)

«و قروناً»؛ أي: و أهلكنا قروناً بين عاد و أصحاب الرسّ على تكذيبهم. و قيل: بين نوح و أصحاب الرسّ. و القرن سبعون سنة.(٣)

و عن عليّ عليه السلام: انّ أهل الرسّ قوم كانوا يعبدون شجرة الصنوبر رسّوا نبيّهم في الأرض. و قيل: هم قوم كانت لهم قرًى على شاطئ نهر يقال له الرسّ من بلاد المشرق، فبعث الله إليهم نبيّاً من ولد يهوذا بن يعقوب، فكذّبوه و حفروا له بئراً فأرسلوه فيها و قالوا: نرجو أن ترضى عنّا آلهتنا. و كان عامّة قومهم يسمعون أنين نبيّهم يتمنّى الموت حتّى مات. فأرسل الله عليهم ريحاً حمراء عاصفة و صارت الأرض تحتهم [حجر] كبريت متوقّداً. و أظلّتهم سحابة فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص.(٤)

[٣٩] «وَ كُلّاً ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَ كُلّاً تَبَّرْنَا تَتْبِيراً».

«ضربنا له الأمثال»؛ أي: بيّـنّا له الأحكام في الدين والدنيا. «تـبّرنا»؛ أي: أهـلكنا إهلاكاً على تكذيبهم.(٥)

[٤٠] «وَ لَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَ فَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١٣ ـ ١١٤.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٢٨٠.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٦٧.
٤ـ تفسير النيسابوريّ ١٩ / ١٤.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٦٧.

لَا يَرْجُونَ نُشُوراً».

«و لقد أتوا». يعني قريشاً، مرّوا مراراً في متاجرهم إلى الشام «على القرية». يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط أمطرت عليها الحجارة. «أفلم يكونوا يرونها» فيتّعظوا بما يرون فيها من آثار عذاب الله «بل كانوا» كفرة [«لايرجون نشوراً»:] لايتوقّعون نشوراً و لا عاقبة. و لذلك لم ينظروا و لم يتّعظوا فمرّوا بها كما مرّت ركابهم. أو: لايأملون نشوراً [كما يأمله المؤمنون] طمعاً في الثواب. أو: لايخافونه، على اللّغة التهاميّة.(١)

[٤١] «وَ إِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَ هٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً».

«إن يتّخذونك»؛ أي: إذا رأوك الكفّار ـ يا محمّد ـ ما يتّخذونك إلّا موضع هزء أو مهزوءاً به و يقولون على وجه السخريّة: «أهذا الذي» ـ الآية.(٢)

[٤٢] «إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْ لَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَ سَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً».

«إن كاد»؛ أي: لقد كاد يضلّنا عن عبادة آلهتنا على وجه يؤدّي إلى هلاكنا لفرط اجتهاده في الدعاء إلى التوحيد وكثرة ما يورد ممّا يسبق إلى الأذهان أنّها حجج و معجزات. «لولا أن صبرنا عليها»: ثبتنا على عبادتها. و الجواب محذوف. أي: لأزالنا عن ذلك. «و سوف يعلمون حين» ينزل بهم العذاب في الآخرة، من أخطأ طريقاً عن الهدى أهم أم المؤمنون.(٣)

[٤٣] «أَ رَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ أَ فَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً».

«أرأيت» ـ الآية. قال: نزلت في قريش. و ذلك أنّه ضاق عليهم المعاش فخرجوا من

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٢.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٢، و مجمع البيان ٧ / ٢٦٩.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٢، و مجمع البيان ٧ / ٢٦٩.

مكّة و تفرّقوا. و كان الرجل إذا رأى شجرة حسنة أو حجراً حسناً هواه فعبده. و كانوا ينحرون لها و يطلخونها بالدم و تسمّونها سعد صخرة. و كان إذا أصابهم داء في الإبل و الأغنام، جاؤوا إلى الصخرة يتمسّحون بها الإبل و الغنم. فجاء رجل من العرب بإبل له يريد أن يتمسّح بالصخرة لإبله و يبارك عليها [فنفرت إبله] و تفرّقت. فقال:

أتيت إلى سعد ليجمع شملنا   و شتّتنا سعد فما نحن من سعد

و ما سعد إلّا صخرة مستوية   من الأرض لاتهدي لغيّ و لا رشد

و رأى رجل الثعلب يبول على سعده فقال:

و ربّ يبول الثعلبان برأسه   لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب[1]

«هواه»؛ أي: ما يهواه. و كان الرجل من المشركين يعبد الحجر و الصنم، فإذا رأى أحسن منه، رمى به و أخذ يعبد الآخر. أو معناه: انّه أطاع هواه و بنى عليه دينه لايسمع حجّة و لايتبصّر دليلاً. «أفأنت تكون عليه وكيلاً»: حفيظاً تمنعه عن الشرك والمعاصي و حاله هذا. و الاستفهام الأوّل للتقرير و التعجّب. و الثاني للإنكار.[2]

[٤٤] «أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً».

«أم تحسب»؛ أي: بل أتحسب «أنّ أكثرهم يسمعون» ما تقوله سماع طلب للإفهام «أو يعقلون» ما تقرؤه عليهم و ما يعاينون من المعجزات و الدلائل حتّى تهتمّ بشأنهم و تطمع في إيمانهم. و تخصيص الأكثر لأنّه كان منهم من آمن و منهم من عقل الحقّ و كابر استكباراً و خوفاً على الرئاسة. «إن هم إلّا كالأنعام»؛ أي: ما هم إلّا كالبهائم التي تسمع النداء و لاتعقل، «بل هم أضلّ سبيلاً» منها. لأنّها تنقاد لمن يتعهّدها و تميز من يحسن إليها ممّن يسيء إليها و تطلب ما ينفعها و تتجنّب ما يضرّها، و هؤلاء لاينقادون لربّهم و لايعرفون إحسانه من

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١٤.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٢، مجمع البيان ٧ / ٢٦٩.

إساءة الشيطان و لا يطلبون الثواب النافع و لا يتّقون العقاب الضارّ. و لأنّها إن لم تعتقد حقّاً و لم تكتسب خيراً، لم تعتقد باطلاً و لم تكتسب شرّاً، بخلاف هؤلاء. و لأنّ جهالتها لا تضرّ بأحد، و جهالة هؤلاء تؤدّي إلى هيج الفتن و صدّ الناس عن الحقّ. و لأنّها غير متمكّنة عن طلب الكمال فلا تقصير منها و لا ذمّ، و هؤلاء مقصّرون مستحقّون أعظم العقاب.(١)

«بل هم أضلّ». لأنّ الأنعام تسبّح الله بخلاف الكفّار. ثمّ ذكر طرفاً من دلائل التوحيد مع ما فيها من عظيم الإنعام. فأوّلها الاستدلال من أحوال الظلّ.(٢)

[٤٥] «أَ لَمْ تَرَ إِلىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً».

« إلى ربّك»؛ أي: فعل ربّك، ثمّ حذف المضاف. و قيل: معناه: ألم تعلم. و الظلّ ما بين طلوع الفجر و الشمس، و هو أطيب الأحوال. و قد وصف به الجنّة في قوله: «و ظلّ ممدود»(٣) إذ لم يكن معه شمس. و قال أبوعبيدة: الظلّ ما نسخته الشمس، و هو بالغداة. و الفيء ما نسخ الشمس، و هو بعد الزوال. و قيل: مدّ الظلّ من وقت غروب الشمس إلى وقت طلوعها، فيكون الظلّ باللّيل لأنّه ظلّ الأرض. «لجعله ساكناً»: مقيماً لا يزول و لا ينسخه الشمس. فهو مثل قوله: «قل أرأيتم إن جعل الله عليكم اللّيل سرمداً إلى يوم القيامة».(٤) أي إنّه قادر على تسكين الشمس حتّى يبقى الظلّ ممدوداً بخلاف ما يقوله الفلاسفة. «عليه»؛ أي: على الظلّ بمعنى أنّه لولا الشمس، لما عرف الظلّ؛ و لولا النور، لما عرفت الظلمة. و قيل: معناه: ثمّ جعلنا الشمس عليه دليلاً بإذهابها إيّاه عند مجيئها. و قيل: لأنّ الظلّ يتّبع الشمس في طوله و قصره كما يتّبع السائر الدليل فإذا ارتفعت الشمس، قصر الظلّ.(٥)

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٢ ـ ١٤٣، و مجمع البيان ٧ / ٢٦٩.

٢ـ تفسير النيسابوريّ ١٩ / ١٧.

٣ـ الواقعة (٥٦) / ٣٠.

٤ـ القصص (٢٨) / ٧١.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٦٩ ـ ٢٧٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٣.

[٤٦] «ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً».

«ثمّ قبضناه»؛ أي: قبضنا الظلّ في ارتفاع الشمس. لأنّ الشمس كلّما تعلو ينقص الظلّ، فجعل سبحانه ذلك قبضاً و أخبر أنّه يسير؛ أي: سهل عليه لايعجزه. و قيل: «يسيراً»؛ أي: قليلاً حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون. فقيل: معناه: ثمّ قبضنا الظلّ بغروب الشمس إلى الموضع الذي حكمنا بكون الظلّ فيه قليلاً ثمّ في الموضعين لتفاضل الأمور.[١]

«ثمّ قبضناه». يعني قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه و هي الأجرام النيّرة.[٢]

[٤٧] «وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَ النَّوْمَ سُبَاتاً وَ جَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً».

«لباساً»؛ أي: غطاء ساتراً للأشياء بالظلام كاللّباس. «سباتاً»: راحة للأبدان بقطع المشاغل. و أصل السبت: القطع. «نشوراً» تنتشرون فيه لمعايشكم. أو بعث من النوم بعث الأموات. و يكون إشارة إلى أنّ النوم و اليقظة أنموذج للموت و النشور.[٣]

[٤٨] «وَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً».

ابن‌كثير: «أرسل الريح» على التوحيد إرادة للجنس. «بشراً». عاصم بالباء مخفّف بشر جمع بشور بمعنى مبشّر. و الباقون: «نشراً» بالنون. أي: ناشرات للسحاب. جمع نشور. و قرأ ابن‌عامر بالسكون على التخفيف، و حمزة و الكسائيّ به و بفتح النون، على أنّه مصدر وصف به. «بين يدى رحمته»؛ يعني: قدّام المطر. «طهوراً»؛ أي: مطهّراً؛ لقوله: «ليطهّركم به»[٤].[٥]

[٤٩] «لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَ نُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَ أَنَاسِيَّ كَثِيراً».

«لنحيي به»؛ أي: بالنبات. و تذكير «ميتاً» لأنّ البلدة في معنى البلد. «و نسقيه»؛ أي:

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٧٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٣.

٢ـ تفسير النيسابوريّ ١٩ / ١٨.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٧٠، وتفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٣.

٤ـ الأنفال (٨) / ١١.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٣.

لنسقي من ذلك الماء «أنعاماً و أناسيّ»؛ أي: أهل البلد الذين يعيشون بالحيا. و لذلك نكّر الأنعام و الأناسيّ. و تخصيصهم لأنّ أهل المدن و القرى يقيمون بقرب الأنهار و المنابع. و أناسيّ جمع إنسيّ أو إنسان على أنّ أصله أناسين فقلبت النون ياء.[١]

[٥٠] «وَ لَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً».

«و لقد صرّفناه»؛ أي: صرّفنا هذا القول بين الناس في القرآن و سائر الكتب، أو المطر بينهم في البلدان المختلفة و الأوقات المتغايرة و الصفات المتفاوتة من وابل و طلّ و غيرهما. و عن ابن‌عبّاس: ما عام بأمطر من عام؛ ولكنّ الله قسم ذلك بين عباده على ما يشاء. و تلا هذه الآية. أو في الأنهار، أو في المنابع.[٢] «إلّا كفوراً»؛ أي: إلّا كفران النعمة و قلّة الاكتراث لها، أو جحودها بأن يقولوا: مطرنا بنوء كذا و كذا. و من لا يرى الأمطار إلّا من الأنواء، كان كافراً بخلاف من يرى أنّها من خلق الله و الأنواء وسائط و أمارات يجعله الله تعالى. و الأنواء منازل القمر؛ و هي ثمانية و عشرون. و قيل: فأبوا إلّا كفوراً؛ بالبعث و النشور.[٣]

[٥١] «وَ لَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً».

«نذيراً»؛ أي: نبيّاً ينذر أهلها فيخفّ عليك أعباء النبوّة، لكن قصرنا الأمر إليك إجلالاً و تفضيلاً لك على سائر الرسل. فقابل ذلك بالثبات و الاجتهاد في إظهار الحقّ.[٤]

[٥٢] «فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَ جَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً».

«فلاتطع الكافرين» فيما يدعونك إليه من المداهنة. «و جاهدهم به»؛ أي: بالقرآن. أو: بترك طاعتهم المدلول عليه بقوله: «فلاتطع». و المعنى أنّهم يجتهدون في إبطال حقّك،

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٤، و مجمع البيان ٧ / ٢٧٠.

٢ـ كذا. و في المصدر (البيضاويّ): «أو في الأنهار و المنافع». و الظاهر أنّ الصحيح: المناقع ـ بالقاف.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٤، و مجمع البيان ٧ / ٢٧١.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٤.

فقابلهم بالاجتهاد في إزاحة باطلهم. «جهاداً كبيراً». لأنّ مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف. أو لأنّ مخالفتهم و معاداتهم فيما بين أظهرهم مع عتوّهم و ظهورهم. أو لأنّه جهاد مع كلّ الكفرة، لأنّه مبعوث إلى كافّة القرى. و يدلّ على أنّ من أجلّ الجهاد جهاد المتكلّمين في ردّ شبه المبطلين.(١)

[٥٣] «وَ هُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَ هٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً».

«مرج البحرين». سمّى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين. و الفرات: البليغ العذوبة. و الأجاج نقيضه. و مرجهما: خلّاهما متجاورين متلاصقين بحيث لايتمازجان. من مرج دابّته، إذا خلّاها في المرج، و هو المرعى. «برزخاً»؛ أي: حاجزاً من قدرته. «و حجراً محجوراً». هذه هي الكلمة السابقة التي يقولها المتعوّذ و هي هنا واقعة على سبيل المجاز. كأنّ كلّ واحد من البحرين يتعوّذ من صاحبه [و يقول له: حجراً محجوراً. كما قال: «لايبغيان»(٢)؛ أي: لايبغي أحدهما على صاحبه] بالممازجة. فانتفاء البغي ثمّ كالتعوّذ هاهنا؛ جعل كلّ واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوّذ منه. و هي من أحسن الاستعارات. و قيل: [حدّاً] محدوداً. و ذلك كدجلة تدخل البحر فتشقّه و تجري في خلاله فراسخ لايتغيّر طعمها. و قيل: المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل، و الملح البحر الكبير، و بالبرزخ ما يحول بينهما من الأرض. فيكون القدرة في الفضل و اختلاف الصفة مع أنّ مقتضى طبيعة كلّ [أجزاء] عنصر أن تضامّت و تلاصقت و تشابهت في الكيفيّة.(٣)

«حجراً محجوراً»؛ يعني: حراماً محرّماً بأن يغيّر أحد منهما طعم الآخر.(٤)

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٧٣، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٤.

٢ـ الرحمن (٥٥) / ٢٠.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٢٨٦ ـ ٢٨٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٤ ـ ١٤٥.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١٥.

[٥٤] «وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ كَانَ رَبُّكَ قَدِيراً».

«نسباً و صهراً». عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام بأسانيد متكثّرة أنّها نزلت في عليّ عليه السلام لأنّه ابن عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله و زوج ابنته.(١)

«من الماء بشراً». يعني الذي اختمر به طينة آدم. أو جعل جزءاً من مادّة البشر ليقبل الأشكال و الهيآت بسهولة. أو النطفة. «نسباً و صهراً». أي قسم البشر قسمين: ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان و فلانة بنت فلان، و ذات صهر أي إناثاً يصاهر بهنّ، نحو قوله تعالى: «فجعل منه الزوجين الذكر و الأنثى».(٢) قيل: النسب الذي لايحلّ نكاحه و الصهر النسب الذي يحلّ نكاحه كبنات العمّ و بنات الأخوال. و قال ابن سيرين: نزلت في النبيّ و عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام زوج فاطمة عليها السلام. فهو ابن عمّه و زوج ابنته، فكان نسباً و صهراً.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ الله جعل آدم من الماء العذب و خلق زوجته من سنخه فبرأها من ضلعه الأسفل فجرى بذلك الضلع بينهما نسباً. ثمّ زوّجها إيّاه فجرى بينهما بسبب ذلك صهراً. و ذلك قوله: «نسباً و صهراً». فالنسب ما كان بسبب صهر النساء.(٤)

«قديراً» حيث خلق من مادّة واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة و طباع متضادّة و جعله قسمين متباعدين.(٥)

[٥٥] «وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَ لَا يَضُرُّهُمْ وَ كَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيراً».

«ما لاينفعهم و لايضرّهم». يعني الأصنام أو كلّ ما عبد من دون الله. إذ ما من مخلوق يستقلّ بالنفع و الضرّ. «ظهيراً»: أي: معاوناً للشياطين على ربّه بالمعاصي. أو لأنّه يتابع

١ـ انظر: البرهان ٧ / ١٨٠ ـ ١٨٥.
٢ـ القيامة (٧٥) / ٣٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٥، و مجمع البيان ٧ / ٢٧٣.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١٤ ـ ١١٥.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٥.

الشيطان. و قيل: «ظهيراً»؛ أي: هيّناً حقيراً منبوذاً وراء الظهر. من قولهم: ظهر فلان بحاجتي، إذا نبذها وراء ظهره. و منه قوله: «و اتّخذتموه وراءكم ظهريّاً».[١] قالوا: عنى بالكافر أباجهل.[٢]

«ظهيراً». قد يسمّى الإنسان ربّاً. كقوله: «اذكرني عند ربّك».[٣] و كلّ مالك لشيء يسمّى ربّه. فقال: «الكافر» الثاني، كان على أميرالمؤمنين عليه السلام ظهيراً.[٤]

[٥٦ ـ ٥٧] «وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِيراً * قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً».

«ما أسألكم عليه»؛ أي: على تبليغ الرسالة الذي يدلّ عليه «إلّا مبشّراً و نذيراً». «إلّا من شاء» أن يتقرّب إلى الله بالإيمان و الطاعة. فصوّر ذلك بصورة الأجر من حيث إنّه مقصود فعله و استثناه منه قطعاً لشبهة الطمع و إظهاراً لغاية الشفقة، حيث اعتدّ بإنفاعك نفسك بالتعرّض للثواب أجراً وافياً مرضيّاً، و إشعاراً بأنّ طاعاتهم تعود عليه بالثواب لأنّها بدلالته. و قيل: الاستثناء منقطع. أي: إنّي لا أسألكم لنفسي أجراً، ولكن لا أمنع من إنفاق المال في طلب مرضاة الله بل أحثّ عليه.[٥]

[٥٨] «وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَ كَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً».

«و توكّل على الحيّ الذي لايموت» في استكفاء شرورهم و الإغناء عن أجورهم. فإنّه الحقيق بأن يتوكّل عليه دون الأحياء الذين يموتون. فإنّهم إذا ماتوا ضاع من توكّل عليهم. «و سبّح بحمده»: و نزّهه عن صفات النقصان مثنياً عليه بأوصاف الكمال طالباً لمزيد

١ـ هود (١١) / ٩٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٥، و مجمع البيان ٧ / ٢٧٣.
٣ـ يوسف (١٢) / ٤٢.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١٥.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٥، و مجمع البيان ٧ / ٢٧٤.

الإنعام بالشكر على سوابغه. «و كفى بذنوب عباده» ما ظهر منها و ما بطن «خبيراً»: مطّلعاً. فلا عليك أن آمنوا أو كفروا.(١)

«و سبّح بحمده»؛ أي: احمده منزّهاً له عمّا لايجوز عليه في صفاته بأن تقول: الحمد لله ربّ العالمين على نعمه و إحسانه الذي لايقدر عليه غيره، و نحو ذلك.(٢)

[٥٩] «الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمٰنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً».

«الذي خلق». لعلّ ذكره زيادة تقرير لكونه [حقيقاً] بأن يتوكّل عليه من حيث إنّه الخالق للكلّ والمتصرّف فيه.(٣)

«في ستّة أيّام». يعني مقدار هذه المدّة. لأنّه لم يكن حينئذ نهار و لا ليل. و قيل: في ستّة أيّام من أيّام الآخرة، و كلّ يوم ألف سنة. و الظاهر أنّها من أيّام الدنيا. [و عن مجاهد:] أوّلها يوم الأحد. و آخرها يوم الجمعة. و وجهه أن يسمّي الله لملائكته تلك الأيّام المقدّرة بهذه الأسماء، فلمّا خلق الشمس و أدارها، جرت التسمية على هذه الأيّام. و أمّا الداعي إلى هذه العدد ـ أعني الستّة ـ دون سائر الإعداد، فلانشكّ أنّه داعي حكمة و إن كنّا لانطّلع عليه. و هو الجواب في أن لم يخلقها في لحظة. و قيل: تعليماً لخلقه الرفق و التثبّت في الأمور. «الذي خلق» مبتدأ و «الرحمن» خبره. «فاسأل به خبيراً». الباء في به صلة اسأل. و هو كما يتعدّى بعن لتضمينه معنى التفتيش، يتعدّى بالباء لتضمينه معنى الاعتناء. أي: فاسأل عمّا ذكر من الخلق و الاستواء عالماً يخبرك بحقيقته، و هو الله أو جبرئيل أو من وجده في الكتب المتقدّمة، ليصدّقك فيه. و قيل: الضمير للرحمن. أي: إن أنكروا إطلاقه على الله، فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم. و على هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ و الخبر ما بعده. أو يكون الباء صلة خبيراً. أي: سل عنه رجلاً عارفاً يخبرك

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٥

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٧٤.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٥.

برحمتة. أو: فاسأل بسؤاله خبيراً. كقولك: رأيت به أسداً؛ أي: برؤيته. و المعنى: إن سألته وجدته خبيراً. يعني الله تعالى. و قيل: الباء بمعنى عن.[١]

[٦٠] «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمٰنِ قَالُوا وَ مَا الرَّحْمٰنُ أَ نَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَ زَادَهُمْ نُفُوراً».

«قالوا و ما الرحمن». هو اسم من أسماء الله تعالى في الكتب المتقدّمة. و لم يكونوا يعرفونه و كانوا يقولون: ما نعرف الرحمن إلّا الذي باليمامة، يعنون مسيلمة. و «ما الرحمن» يجوز أن يكون سؤالاً عن المسمّى به، لأنّهم ماكانوا يعرفونه بهذا الاسم. و يجوز أن يكون سؤالاً عن معناه، لأنّه لم يكن مستعملاً في كلامهم كما استعمل الرحيم. و قيل: إنّهم ظنّوا أنّه أراد به غيره و لذلك قالوا: أنسجد لما تأمرنا بسجوده من غير عرفان؟ و قيل: لأنّه كان معرّباً لم يسمعوه. «و زادهم» أي الأمر بسجود الرحمن «نفوراً» عن الايمان.[٢]

«لما تأمرنا». حمزة و الكسائيّ: «لما يأمرنا» بالياء، على أنّه قول بعضهم لبعض.[٣]

[٦١] «تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَ جَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَ قَمَراً مُنِيراً».

«بروجاً». يريد منازل النجوم السبعة السيّارة: زحل و المشتري و المرّيخ و الشمس و الزهرة و عطارد و القمر. و البروج اثناعشر: الحمل و الثور و الجوزاء و السرطان و الأسد و السنبلة و الميزان و العقرب و القوس و الجديّ و الدلو و الحوت. «سراجاً». يعني الشمس. ومن قرأ: «سرجاً» أراد الكواكب معها.[٤]

«سراجاً». أهل الكوفة غير عاصم: «سُرُجاً» بضمّتين من غير ألف.[٥]

١ـ الكشّاف ٣ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩، وتفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٥ ـ ١٤٦، و مجمع البيان ٧ / ٢٧٤.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٧٥، و الكشّاف ٣ / ٢٨٩، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٤٦.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٤٦.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٧٩.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٧٦.

[٦٢] «وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً».

«خلفة»؛ أي: يخلف كلّ واحد منهما صاحبه فيما يحتاج أن يعمل فيه، فمن فاته عمل اللّيل، استدركه بالنهار و بالعكس. و هو قوله: «لمن أراد أن يذّكّر». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: تقضى صلاة اللّيل بالنهار و صلاة النهار باللّيل. و [قيل: معناه] انّه جعلهما متخالفين في البياض و السواد. «لمن أراد أن يذّكّر»؛ أي: يتفكّر و يستدلّ [بذلك] على أنّ لهما مدبّراً لايشبهها فيوجّه العبادة إليه. «شكوراً»؛ أي: شكر نعمة ربّه عليه فيهما. و على القول الأوّل، أراد النافلة بعد أداء الفريضة.[١]

[٦٣] «وَ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً».

«و عباد الرحمن»؛ أي: أفاضل عباده. و هذه إضافة [التخصيص و] التشريف. كما يقال: ابني الذي يطيعني، توبيخاً لأولاده الذين لايطيعونه. «هوناً»؛ أي: بالسكينة و الوقار و الطاعة غير أشرين و لا متكبّرين و لا مفسدين. و قال أبوعبدالله عليه السلام: هو الرجل يمشي بسجيّته التي جبل عليها لايتكلّف و لايتجبّر. و قيل: معناه: حلماء علماء لايجهلون و إن جهل عليهم. «وإذا خاطبهم الجاهلون» بما يكرهونه، «قالوا سلاماً»؛ أي: سداداً من القول لايقابلونهم بمثل قولهم من الفحش. و قيل: «سلاماً»؛ أي: قولاً يسلمون فيه من الإثم. أو سلّموا عليهم. كما قال: «و إذا سمعوا اللّغو أعرضوا عنه و قالوا لنا أعمالنا و لكم أعمالكم سلام عليكم».[٢] و هذه صفة نهارهم. و أمّا ليلهم، فيراوحون بين أطرافهم.[٣]

«و عباد الرحمن». عن أبي جعفر عليه السلام: هم الأئمّة عليهم السلام. «يمشون على الأرض هوناً» خوفاً من عدوّهم.[٤]

«و عباد». جمع عابد، كتاجر و تجار. «هوناً» هيّنين. أو: مشياً هيّناً، مصدر وصف به.

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٧٩.

٢ـ القصص (٢٨) / ٥٥.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٧٩.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١٦.

«سلاماً»؛ أي: تسلّماً منكم و متاركة لكم لا خير بيننا و لا شرّ. أو: سداداً من القول يسلمون فيه من الإيذاء و الإثم. و لاينافيه آية القتال لتنسخه. فإنّ المراد به الإغضاء عن السفهاء و ترك مقابلتهم في الكلام.(١)

[٦٤] «وَ الَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِيَاماً».

«و الذين يبيتون لربّهم». و كلّ من أدركه اللّيل، فقد بات، نام أو لم ينم. «سجّداً و قياماً»؛ أي: في حال الصلاة.(٢)

[٦٥] «وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً».

«اصرف عنّا عذاب جهنّم». أي يدعون بهذا الدعاء. «غراماً»؛ أي: لازماً غير مفارق.(٣)

[٦٦] «إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَ مُقَاماً».

«ساءت مستقرّاً»؛ أي: إنّ جهنّم بئس موضع قرار و إقامة هي.(٤)

[٦٧] «وَ الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كَانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوَاماً».

«لم يسرفوا و لم يقتروا». قيل: الإسراف: النفقة في المعاصي. و الإقتار: الإمساك عن حقّ الله. و قيل: السرف، مجاوزة الحدّ في النفقة. و الإقتار: التقصير عمّا لابدّ منه. و عنه عليه السلام: من أعطى في غير حقّ، فقد أسرف. و من منع عن حقّ، فقد قتر. و عن أميرالمؤمنين عليه السلام: ليس في المأكول و المشروب سرف و إن كثر. «قواماً». القوام ـ بالفتح ـ: العدل و الاستقامة. و قال أبوعبدالله عليه السلام: القوام هو الوسط. و عن عليّ عليه السلام: أربعة لايستجاب لهم دعوة: رجل كان

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٦.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٧٩.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٧٩.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٨٠.

له مال فأفسده فيقول: يا ربّ ارزقني. فيقول: ألم آمرك بالاقتصاد؟[١]

«لم يسرفوا و لم يقتروا»: لم يجاوزوا حدّ الكرم و لم يضيّقوا تضيق الشحيح.[٢]

[٦٨] «وَ الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ وَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً».

«و لا يزنون». فيه دلالة على أنّ أعظم الذنوب بعد الشرك القتل و الزنى. «يلق أثاماً»؛ أي: عقوبة و جزاء لما فعل. و قيل: إنّ أثاماً اسم واد في جهنّم.[٣]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أثاماً». [أثام] واد من صفر مذاب يكون من عبد غير الله ومن قتل النفس التي حرّم الله و الزناة يضاعف لهم فيه العذاب.[٤]

[٦٩] «يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً».

«يضاعف له العذاب». و قيل: المضاعفة عقاب الدنيا و عقاب الآخرة. «مهاناً»؛ أي: و يخلد و يدوم في العذاب مستخفّاً به.[٥]

«يضاعف». أبوبكر: «يضاعفُ» بالرفع على الاستئناف أو الحال. و ابن‌كثير و يعقوب: «يضعّفْ» بالجزم و ابن‌عامر بالرفع. و أبوعمرو[٦]: «و يُخلد» بالبناء للمفعول مخفّفاً.[٧]

[٧٠] «إِلَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَ كَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً».

«يبدّل الله». قيل: التبديل في الدنيا طاعة الله بعد عصيانه و ذكر الله بعد نسيانه. و قيل: يبدّلهم الله بقبح أعمالهم في الشرك محاسن الأخلاق و الأعمال في الإسلام، و بالشرك إيماناً، و

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٨٠.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٧.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٨٠ ـ ٢٨١.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١٦.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٨١.
٦ـ المصدر: «قرئ» بدل «أبوعمرو».
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٧.

بقتل المؤمنين قتل الكافرين، و بالزنى عفّة و إحصاناً. و قيل: معناه أن يمحو السيّئات عن العبد و يثبت له بدلها الحسنة. كما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه و نحّوا عنه كبارها. فيقال له: عملت يوم كذا كذا و كذا. و هو مقرّ لا ينكر، و هو مشفق من الكبائر فيقول أعطوه مكان كلّ سيّئة عملها حسنة. فيقول: إنّ لي ذنوباً ما أراها هاهنا! قال: و لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ضحك حتّى بدت نواجذه.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا أراد الحفظة أن تكتب على زائر الحسين عليه السلام سيّئة، قالت الملائكة للحفظة: كفّوا. فتكفّ. فإذا عمل حسنة، قال لهم: اكتبوا. «أولئك يبدّل الله».[٢]

[٧١] «وَ مَنْ تَابَ وَ عَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَاباً».

«يتوب إلى الله متاباً»؛ أي: يرجع إليه مرجعاً عظيماً جميلاً. و فرّق عليّ بن عيسى بين التوبة إلى الله و التوبة من القبيح لقبحه بأنّ التوبة إلى الله يقتضي طلب ثوابه و ليس كذلك التوبة من القبيح لقبحه. فعلى هذا يكون المعنى: من عزم على التوبة من المعاصي، فإنّه ينبغي أن يوجّه توبته إلى الله بالقصد إلى طلب جزائه و رضائه عنه. فإنّه يرجع إلى الله فيكافيه. و قيل: من تاب و عمل صالحاً، فقد انقطع إلى [الله]. فاعرفوا ذلك له. فقد حاز شرفاً.[٣]

«متاباً». يعني بإخلاص و نيّة صادقة.[٤]

[٧٢] «وَ الَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً».

«لايشهدون الزور»؛ أي: لايحضرون مجالس الباطل. و يدخل فيه مجالس الغناء و الفحش. و قيل: الزور: الشرك. و قيل: الكذب. و قيل: أعياد أهل الذمّة. و عن أبي عبدالله عليه السلام: هو الغناء و شهادة الزور. «مرّوا باللّغو». أصل اللّغو: الفعل الذي لا فائدة

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٨١.
٢ـ تأويل الآيات ١ / ٣٨٣، ح ٢٢.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٨٣.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١٧.

فيه.[١] اللّغو: المعاصي كلّها. أي: مرّوا به مرّ الكرماء الذين لايرضون باللّغو، لأنّهم لايدخلون فيه و لايخوضون مع أهله. و قيل: هو أن يمرّوا بمن يسبّهم فيصفحوا عنه و بمن يستعين بهم على حقّ فيعينونه. و عن أبي جعفرؑ: هم الذين إذا أرادوا ذكر الفرج، كنوا عنه.[٢]

«الزور». قال: الغناء و مجالس اللّهو.[٣]

[٧٣] «وَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَ عُمْيَاناً».

«إذا ذكّروا بآيات ربّهم» بالوعظ أو القراءة، «لم يخرّوا عليها»: لم يقيموا عليها غير واعين و لا مبصرين لها كمن لايسمع و لايبصر، بل أكبّوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية. فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل. و قيل: الهاء للمعاصي المدلول عليها باللّغو.[٤]

[٧٤] «وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَ ذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً».

قرأ أبوعمرو و أهل الكوفة غير حفص: «وذرّيّتنا». «قرّة أعين»؛ أي: اجعل أزواجنا و ذرّيّاتنا قرّة أعين بأن نراهم يطيعون [الله]. أو: ارزقنا من أزواجنا أولاداً و من ذرّيّاتنا أعقاباً أهل طاعة تقرّ بهم أعيننا في الدنيا بالصلاح و في الآخرة بالجنّة. فإنّ المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة الله، سرّ بهم قلبه و قرّت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين و توقّع لحوقهم به في الجنّة. و من ابتدائيّة أو بيانيّة.[٥]

«للمتّقين إماماً» يهتدون بنا في أمر الدين بإفاضة العلم و التوفيق للعمل. و توحيده

١ـ جاءت هذه العبارة في المصدر في آخر الفقرة. و ما يأتي بعدها في المتن في معنى اللّغو قول بعض المفسّرين.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٨٣.

٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١٧.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٨.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٨٢ و ٢٨٤، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٨.

لدلالته على الجنس، أو لأنّ المراد: اجعل كلّ واحد منّا، أو لأنّهم كنفس واحدة لاتّحاد طريقتهم و اتّفاق كلمتهم. و قيل: جمع آمّ ـ كصائم و صيام ـ و معناه: قاصدين لهم مهتدين بهم.(١)

«و اجعلنا للمتّقين إماماً». عن أبي عبدالله عليه السلام: لقد سألوا الله عظيماً أن يجعلهم للمتّقين أئمّة! فقيل: و كيف هو يابن رسول الله صلى الله عليه و آله؟ قال: إنّما أنزل الله: «و اجعل لنا من المتّقين إماماً».(٢)

[٧٥] «أُولٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَ يُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَ سَلَاماً».

«أولئك»: من جمع هذه الأوصاف. «يجزون الغرفة»: أعلى مواضع الجنّة. و هي اسم جنس أريد به الجمع. كقوله: «و هم في الغرفات آمنون»(٣) و للقراءة بها. و قيل: هي اسم من أسماء الجنّة. «بما صبروا» على المشاقّ و رفض الشهوات و تحمّل المجاهدات. «تحيّة و سلاماً»: دعاءً بالتعمير و السلام. أي: يحيّيهم الملائكة و يسلّمون عليهم. أو: يحيّي بعضهم بعضاً و يسلّم عليه.(٤)

قرأ: «يلقون» بفتح الياء و التخفيف أهل الكوفة غير حفص. و الباقون بضمّ الياء و التشديد.(٥)

[٧٦] «خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَ مُقَاماً».

[٧٧] «قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً».

«قل ما يعبؤ»؛ أي: ما يصنع بكم ـ أو لا يعتدّ بكم ـ لولا عبادتكم. فإنّ شرف الانسان و كرامته بالمعرفة و الطاعة، و إلّا فهو و سائر الحيوانات سواء. و قيل: ما يصنع بعذابكم لولا

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٨.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١٧.
٣ـ سبأ (٣٤) / ٣٧.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٨.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٨٢.

دعاؤكم معه آلهة. و ما إن جعلت استفهاميّة، فمحلّها النصب على المصدر. كأنّه قيل: أيّ عبء يعبأ بكم؟ «فقد كذّبتم» بما أخبرتكم به حيث خالفتموه. و قيل: فقد قصّرتم في العبادة. من قولهم: كذب القتال، إذا لم يبالغ فيه. «يكون لزاماً»؛ أي يكون جزاء التكذيب لازماً يحيق بكم لا محالة، أو أثره لازماً بكم حتّى يكبّكم في النار. و قيل: المراد قتل يوم بدر؛ فإنّه لوزم بين القتلى لزاماً.(١)

عن يزيد بن معاوية [العجلّي] قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: كثرة القراءة أفضل أو كثرة الدعاء أفضل؟ فقرأ هذه الآية. «فسوف يكون لزاماً»؛ أي: فسوف يكون عقابه لتكذيبكم إيّاه لازماً لكم.(٢)

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٤٨ ـ ١٤٩.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٨٥.

٢٦.
سورة الشعراء

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ الطواسين الثلاث ليلة الجمعة، كان من أولياء الله و في جواره و كنفه، و لم يصبه في الدنيا بؤس أبداً، و أعطي في الآخرة من الأجر حتّى يرضى و فوق الرضا، و زوّجه الله من الحور مائة زوجة، و أسكنه الله في جنّة عدن وسط الجنّة مع الأنبياء و المرسلين و الوصيّين الراشدين.(١)

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأ الشعراء، كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بنوح و كذّب به و بهود و شعيب و صالح و إبراهيم و عيسى و محمّد عليهم السلام.(٢)

الشعراء: من علّقها على ديك أبيض أفرق ثمّ أطلقه، فإنّه يمشي و يقف، فحيث ما وقف فإنّه وجد كنز أو سحر.(٣)

[١] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * طسم».

«طسم». هو من حروف اسم الله الأعظم المرموز.(٤)

«طسم». أهل الكوفة: «طسم» بالإمالة، و الباقون بالفتح و التفخيم و ابن‌كثير أشدّ فتحاً و تفخيماً. و أبوجعفر و حمزة بإظهار النون من سين عند الميم، و الآخرون يدغمون. قيل: إنّ «طسم» و «طس» من أسماء القرآن. و قيل: إنّ «طسم» قسم و هو من أسماء الله. و قيل: أقسم الله بطوله و سنائه و ملكه. و عنه صلى الله عليه و آله: الطاء طور سيناء. و السين الإسكندريّة. و

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٨٦.

٢ـ المصباح / ٥٨٧.

٣ـ المصباح / ٦٠٨.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١٨.

الميم مكّة. و قيل: الطاء شجرة طوبى. و السين سدرة المنتهى. و الميم محمّد صلى الله عليه وآله.[١]

[٢] «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ».

«تلك». إشارة إلى ما ليس بحاضر لكنّه متوقّع فهو كالحاضر. أي: الآيات التي وعدتم بها هي آيات القرآن الذي يبيّن الحقّ من الباطل. و قيل: الإشارة إلى السورة أو القرآن.[٢]

«تلك». المراد به السورة أو القرآن. و المعنى: آيات هذا المؤلّف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين.[٣]

[٣] «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ».

«لعلّك». لعلّ للإشفاق. يعني: أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك «ألّايكونوا»: لئلّايؤمنوا، أو لامتناع إيمانهم.[٤]

«باخع»؛ أي: مهلك نفسك بأن يقيموا على الكفر. أي: أشفق على نفسك أن تقتلها خيفة أن لا يؤمنوا.[٥]

[٤] «إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ».

عن أبي جعفر عليه السلام: نزلت في قائم آل محمّد عليهم السلام ينادى [باسمه] من السماء.[٦]

و في حديث آخر عنه عليه السلام قال: يخضع لها رقاب بني أميّة. و ذلك بارز [عند زوال] الشمس. و هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام يبرز عند زوال الشمس و تركد الشمس على رؤوس الناس ساعة حتّى يبرز وجهه و يعرف الناس حسبه و نسبه. ثمّ قال: إنّ بني أميّة ليختبئ الرجل منهم إلى جنب شجرة فتقول: خلفي رجل من بني أميّة فاقتلوه.[٧]

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٨٨، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٠.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٢٩٨.

٤ـ الكشّاف ٣ / ٢٩٨.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٨٨، و تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٥٠.

٦ـ تأويل الآيات ١ / ٣٨٦، ح ٢.

٧ـ تأويل الآيات ١ / ٣٨٦ ـ ٣٨٧، ح ٣.

و عن أميرالمؤمنينعليه السلام: انتظروا الفرج في ثلاث: اختلاف أهل الشام فيما بينهم، و الرايات السود من خراسان، و الفزعة في شهر رمضان. أما سمعتم قول الله: «إن نشأ ننزّل» ـ الآية. قال: إنّه لتخرج الفتاة من خدرها و يفزع اليقظان.[١]

«آية»؛ أي: علامة تلجئهم إلى الايمان. «فظلّت أعناقهم لها خاضعين»؛ أي: منقادين. و أصله: فظلّوا لها خاضعين. فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع و ترك الخبر على أصله. و قيل: لمّا وصفت الأعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم. و قيل: المراد بها الرؤساء. و قيل: الجماعات، من قولهم: جاءنا عنق من الناس، لفوج منهم. و ظلّت عطف على ننزّل، عطف «و أكن» على «فأصّدّق».[٢] لأنّه لو قيل أنزلنا بدله لصحّ. قال ابن‌عبّاس: نزلت فينا و في بني‌أميّة. قال: ستكون لنا عليهم الدولة فتخضع لنا أعناقهم بعد صعوبتها و تلين.[٣]

[٥] «وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ».

«من ذكر»: موعظة، أو طائفة من القرآن. «من الرحمن» يوحيه [إلى] نبيّه. «محدث»: مجدّد إنزاله لتكرير التذكير. «معرضين». جدّدوا إعراضاً عنه و إصراراً على ما كانوا عليه.[٤]

[٦] «فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبٰؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ».

«فقد كذّبوا» بالذكر بعد إعراضهم و أمعنوا في تكذيبه بحيث أدّى بهم إلى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمناً في قوله: «فسيأتيهم». أي إذا مسّهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة. «أنباء ما كانوا به يستهزئون» من أنّه كان حقّاً أم باطلاً و كان حقيقاً بأن يصدّق و يعظّم قدره أو يكذّب و يستخفّ أمره.[٥]

١ـ تأويل الآيات ١ / ٣٨٧، ح ٤.

٢ـ المنافقون (٦٣) / ١٠: «فأصّدّق و أكن من الصالحين».

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٠، و مجمع البيان ٧ / ٢٨٩.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٠.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٠.

[٧] «أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ».

«إلى الأرض»؛ أي: إلى عجائبها. «زوج»؛ أي: صنف. «كريم»: محمود كثير المنفعة.[١]

قال الشعبيّ: الناس نبات الأرض؛ كما قال الله: «و الله أنبتكم من الأرض نباتاً».[٢] فمن دخل الجنّة، فهو كريم. و من دخل النار، فهو لئيم.[٣]

[٨] «إِنَّ فِي ذٰلِك لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ».

«ذلك»؛ أي: إنبات تلك الأصناف. «لآية» على أن منبتها تامّ القدرة و الحكمة، سابغ النعمة و الرحمة.[٤]

[٩] «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ».

[١٠] «وَ إِذْ نَادىٰ رَبُّكَ مُوسىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

ثمّ ذكر سبحانه أقاصيص أنبيائه تسلية للرسول ﷺ و تحريضاً له على الصبر ثقة بنزول النصر. «و إذ نادى»؛ أي: اذكر و اتل عليهم الوقت الذي نادى فيه ربّك. و قوله: «الظالمين» يعني الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي و ظلموا بني إسرائيل بأن ساموهم سوء العذاب.[٥]

[١١] «قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَ لَا يَتَّقُونَ».

قوم فرعون». عطف بيان. «ألا يتّقون». إنّما قال بالياء على الحكاية. و معناه: أما آن لهم أن يتّقوا و يصرفوا عن نفوسهم العقوبة؟[٦]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥١.
٢ـ نوح (٧١) / ١٧.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٨٩.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥١.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩١.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩١.

«ألا يتّقون». استئناف أتبعه إرساله للإنذار تعجيباً له من إفراطهم في الظلم.[١]

[١٢] «قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ».

«أن يكذّبون». أي بالرسالة.[٢]

[١٣] «وَ يَضِيقُ صَدْرِي وَ لَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ».

«و يضيق صدري» بتكذيبهم إيّاي. «و لا ينطلق لساني» بكلام للعقدة التي كانت فيه. «فأرسل إلى هارون» أخي ليعاونني. و إنّما طلب المعاونة حرصاً على القيام بالطاعة.[٣]

«فأرسل إلى هارون». رتّب استدعاء ضمّ أخيه إليه على الأمور الثلاثة: خوف التكذيب، و ضيق القلب انفعالاً عنه، و ازدياد الحبسة في اللّسان بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق، لأنّها إذا اجتمعت، [مسّته] الحاجة إلى معين يقوّي قلبه و ينوب منابه متى تعتريه حبسة حتّى لا تختلّ دعوته و لا تنقطع حجّته. و قراءة: «و يضيق» بالنصب عطف على «يكذّبون» فيكون من جملة ما خاف منه.[٤]

«يضيق». قرأ يعقوب: «يضيقَ» و «لا ينطلقَ» بالنصب فيهما.[٥]

[١٤] «وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ».

«و لهم عليّ ذنب». هو قتل القبطيّ. وكان خبّاز فرعون و اسمه فاتون. يعني: و لهم عليّ تبعة ذنب و هي قود ذلك القتل.[٦]

«عليّ ذنب». يعني قتل القبطيّ. أي: انّ لهم عليّ دماً فأخاف أن يقتلوني بتلك النفس لا بإبلاغ الرسالة. فإنّه علم أنّ الله إذا بعث رسولاً تكفّل بمعونته على تبليغ رسالته.[٧]

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥١.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩١.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥١.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٠.
٦ـ الكشّاف ٣ / ٣٠٣.
٧ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩١.

«ذنب»؛ أي: تبعة ذنب. فحذف المضاف. و هو قتل القبطيّ. و إنّما سمّاه ذنباً على زعمهم. «فأخاف أن يقتلون» به قبل أداء الرسالة. و هو أيضاً ليس تعلّلاً، و إنّما هو استدفاع للبليّة المتوقّعة، كما أنّ ذلك استمداد و استظهار في أمر الدعوة.(١)

[١٥] «قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ».

«قال» الله: «كلّا». و هو زجر. أي: لايكون القتل به. فإنّي لاأسلّطهم عليك. «فاذهبا» أنت و أخوك. إجابة لما طلبه موسى. «بآياتنا»: معجزاتنا. إنّا نحفظكم و نحن سامعون ما يجري بينكم.(٢)

«فاذهبا»؛ أي: ارتدع ـ يا موسى ـ عمّا تظنّ فاذهب أنت و الذي طلبته. «إنّا معكم». يعني موسى و هارون و فرعون. «مستمعون» لما يجري بينكما و بينه فأظهركما عليه. مثّل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعاً لما يجري بينهم و ترقّباً لإمداد أوليائه منهم مبالغة في الوعد بالإعانة.(٣)

[١٦] «فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«إنّا رسول». أفرد الرسول لأنّه مصدر وصف به، أو لاتّحادهما للأخوّة، أو لوحدة المرسل ـ بالكسر ـ و المرسل به، أو لأنّه أراد أنّ كلّ واحد منّا.(٤)

«إنّا رسول». لأنّ الرسول قد يكون بمعنى الجمع.(٥)

[١٧] «أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ».

«أرسل معنا بني إسرائيل»؛ أي: خلّهم يذهبوا معنا إلى الشام.(٦)

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥١.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩١ ـ ٢٩٢.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥١ ـ ١٥٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٢.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٢.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٢.

«أرسل معنا»؛ أي: أطلقهم من الاستعباد و خلّ عنهم.(١)

[١٨] «قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَ لَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ».

«وليداً»؛ أي: طفلاً. سمّي به لقربه من الولادة.(٢)

«وليداً»؛ أي: صبيّاً صغيراً. «و لبثت»؛ أي: أقمت عندنا سنين كثيرة و هي ثماني عشرة سنة. عن ابن‌عبّاس. و قيل: ثلاثين سنة. و قيل: أربعين سنة. و إنّما قال ذلك امتناناً عليه بإحسانه إليه.(٣)

[١٩] «وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ».

«فعلتك». يعني قتل القبطيّ. «من الكافرين» بإلهك إذ كنت معنا على ديننا الذي تقول إنّه كفر.(٤)

«من الكافرين» بنعمتي، حتّى عمدت إلى قتل خواصّي. يعني القبطيّ. و يجوز أن يكون حكماً مبتدأ عليه بأنّه من الكافرين بإلهيّته.(٥)

[٢٠] «قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ».

«من الضالّين»؛ أي: فعلت هذه الفعلة و أنا من الجاهلين لم أعلم أنّها تبلغ القتل. و قيل: معناه: من الناسين. و قيل: الضالّين عن النبوّة لم يوح إليّ تحريم قتله.(٦)

[٢١] «فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ».

«ففررت منكم» حذراً على نفسي إلى مدين «لمّا خفتكم» أن تقتلوني بمن قتلته.

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٢.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٢.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٢.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٢.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٢.

«حكماً»؛ أي: نبوّة. «من المرسلين»: من جملتهم.(١)

[٢٢] «وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ».

«أن عبّدت». محلّه الرفع، على أنّه خبر محذوف أو بدل من «نعمة»، أو [الجرّ] بإضمار الباء.(٢)

«عبّدت». يقال: عبّده، إذا اتّخذه عبداً. و في معناه أقوال. أحدها: انّ فيه اعترافاً بأنّ تربيته له كانت نعمة على موسى و إنكاراً للنعمة في ترك استعباده. و يكون ألف التوبيخ مضمراً. أي: أو تلك نعمة تمنّها عليّ أن عبّدت بني إسرائيل و لم تعبّدني؟ و ثانيها: انّه إنكار المنّة أصلاً و معناه: أتمنّ عليّ أن ربّيتني مع استعبادك قومي؟ قد أحبط نعمتك عندي ما فعلته مع قومي. و ثالثها: انّ معناه: انّك لو كنت لاتسعبد بني إسرائيل و لاتقتل أبناءهم، لكانت أمّي مستغنية عن قذفي في اليمّ. فكأنّك تمنّ عليّ بما كان بلاؤك سبباً له. و رابعها: انّ فيه بيان أنّه ليس لفرعون عليه منّة لأنّ الذي تولّى تربيته أمّه و غيرها من بني إسرائيل بأمر فرعون لمّا استعبدهم. فيكون معناه: انّك تمنّ عليّ بأن استعبدت بني إسرائيل حتّى ربّوني.(٣)

[٢٣] «قَالَ فِرْعَوْنُ وَ مَا رَبُّ الْعَالَمِينَ».

«و ما ربّ العالمين». هذا السؤال لايخلو إمّا أن يريد به: أيّ شيء هو من الأشياء التي شوهدت و عرفت أجناسها؟ فأجاب بما يستدلّ به عليه من أفعاله الخاصّة [ليعرفه أنّه ليس بشيء ممّا شوهد و عرف من الأجرام والأعراض و أنّه شيء مخالف لجميع الأشياء. و إمّا أن يريد به: أيّ شيء هو على الإطلاق؟ تفتيشاً عن حقيقته الخاصّة] ما هي. فأجابه بأنّ الذي إليه سبيل و هو الكافي في [معرفته] معرفة ثباته بصفاته استدلالاً بأفعاله الخاصّة على

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٣.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٣.

ذلك، و أمّا التفتيش عن حقيقته الخاصّة التي هي فوق فطر العقول، فتفتيش عمّا لا سبيل إليه و السائل عنه متعنّت غير طالب للحقّ. و الذي يليق بحال فرعون و يدلّ عليه الكلام، أن يكون سؤاله هذا إنكاراً لأن يكون للعالمين ربّ سواه لادّعائه الإلهيّة. فلمّا أجاب موسى بما أجاب، عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبيّة إلى غيره. فلمّا ثنّى بتقرير قوله، جنّنه إلى قومه و طنز به حيث سمّاه رسولهم. فلمّا ثلّث بتقرير آخر، قال: لئن اتّخذت إلهاً غيري. هذا يدلّ على صحّة هذا الوجه الأخير.[١]

[٢٤] «قَالَ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ».

«إن كنتم موقنين»؛ يعني: إن كان يرجى منكم الإيقان الذي يؤدّي إليه النظر الصحيح، نفعكم هذا الجواب. و إلّا لم ينفع. أو: إن كنتم موقنين بشيء قطّ، فهذا أولى ما توقنون به لظهوره و إنارة دليله. «لمن حوله». كانوا أشراف قومه. و كانوا خمسمائة رجل عليهم الأساور. و كانت للملوك خاصّة. فإن قلت: ذكر السموات و الأرض و ما بينهما قد استوعب به الخلائق كلّها. فما معنى ذكرهم و ذكر آبائهم بعد ذلك و ذكر المشرق و المغرب؟ قلت: قد عمّم أوّلاً ثمّ خصّص من العامّ للبيان أنفسهم و آباءهم. لأنّ أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه و من ولد منه و ما شاهد و عاين من الدلائل على الصانع و الناقل من هيئة إلى هيئة و حال إلى حال من وقت ميلاده إلى وقت وفاته. ثمّ خصّص المشرق و المغرب لأنّ طلوع الشمس من أحد الخافقين و غروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة و حساب مستو، من أظهر ما استدلّ به، و لظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالإحياء و الإماتة على نمرود «فبهت الذي كفر»[٢].[٣]

[٢٥] «قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ».

١ـ الكشّاف ٣ / ٣٠٧.

٢ـ البقرة (٢) / ٢٥٨.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٣٠٨.

«ألا تستمعون» أسأله عن الكيفيّة فيجيبني عن الصفات؟[١]

«حوله»؛ أي: مستقرّين حوله. فهو ظرف وقع موقع الحال.[٢]

[٢٦] «قَالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ».

[٢٧] «قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ».

«لمجنون». لأنّي أسأله عن ماهيّة ربّ العالمين فيجيبني عن غير ذلك كما يفعل المجنون.[٣]

[٢٨] «قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ».

فإن قلت: كيف قال أوّلاً: «إن كنتم موقنين» و آخراً: «إن كنتم تعقلون»؟ قلت: لاين أوّلاً. فلمّا رأى منهم شدّة الشكيمة في العناد و قلّة الإصغاء إلى عرض الحجج، خاشن و عارض «إنّ رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون» بقوله: «إن كنتم تعقلون».[٤]

«إن كنتم تعقلون»؛ أي: تعلمون أنّه يستحقّ العبادة بهذه الصفات.[٥]

[٢٩] «قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ».

«قال لئن اتّخذت إلهاً غيري»، عدولاً إلى التهديد عن المحاجّة بعد الانقطاع؛ كما هو ديدن المعاند المحجوج. و استدلّ به على ادّعائه للألوهيّة و إنكاره للصانع و أنّ تعجّبه بقوله: «ألا تستمعون» من نسبة الربوبيّة إلى غيره. و لعلّه كان دهريّاً اعتقد أنّ من ملك قطراً أو تولّى أمره بقوّة طالعه استحقّ العبادة من أهله.[٦]

فإن قلت: ألم يكن لأسجننّك أخصر من «لأجعلنّك من المسجونين» و مؤدّياً مؤدّاه؟ قلت: أمّا أخصر، فنعم. و أمّا مؤدّ مؤدّاه، فلا. لأنّ معناه: لأجعلنّك واحداً ممّن عرفت حالهم

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٤ (عند تفسير الآية ٣٤).
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٤.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٣٠٨.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٤.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٣.

في سجوني. و كان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوّة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فرداً لايبصر فيها و لايسمع، فكان ذلك أشدّ من القتل.(١)

[٣٠] «قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ».

«أو لو جئتك». الواو للحال دخلت عليها همزة الاستفهام. معناه: أتفعل ذلك و لو جئتك بشيء مبين؛ أي: جائياً بالمعجزة.(٢)

[٣١] «قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ».

و في قوله: «إن كنت من الصادقين» أنّه لايأتي بالمعجزة إلّا الصادق في دعواه. لأنّ المعجزة تصديق من الله لمدّعي النبوّة، و الحكيم لايصدّق الكاذب. و من العجب أنّ مثل فرعون لم يخف عليه هذا و خفي على ناس من أهل القبلة حيث جوّزوا القبيح على الله حتّى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات. و تقديره: إن كنت من الصادقين في دعواك أتيت به. فحذف الجزاء.(٣)

[٣٢] «فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ».

«ثعبان مبين»: ظاهر الثعبانيّة لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الأشياء المزوّرة بالشعوذة. و روي أنّها انقلبت حيّة ارتفعت في السماء قدر ميل و انحطّت مقبلة إلى فرعون و جعلت تقول: يا موسى، مرني بما شئت. و يقول فرعون: أسألك بالّذي أرسلك إلّا أخذتها. فأخذها فعادت عصاً.(٤)

«ثعبان مبين» فهرب فرعون ومن حوله و قال: ياموسى، أنشدك بالله و الرضاع إلّا ما كففتها عنّا! فكفّها. فلمّا أخذ موسى العصا، همّ فرعون بتصديقه. فقال له هامان: بينما أنت إله

١ـ الكشّاف ٣ / ٣٠٨ـ ٣٠٩.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٣٠٩.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٣٠٩.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٣١٠.

تعبد إذ صرت تابعاً لعبد! فقال فرعون لمن حوله: «إنّ هذا لساحر عليم». و كان فرعون و هامان غلبا الناس بالسحر و به ادّعى فرعون الإلهيّة.(١)

صارت العصا ثعباناً كأعظم ما يكون أسود مدلهمّ له قوائم أربع قصار غلاظ، و له ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة رأسه و عنقه و كاهله و يكسر بقوائمه الصخور الصلاب، و له عينان تلتهبان ناراً و منخران تنفخان سموماً، و على مفرقه شعر كأمثال الرماح، و له أنياب و أضراس، و له فحيح و صرير فابتلعت ما ألقوا من الحبال و العصيّ. و انهزم الناس فزعين وطئ بعضهم بعضاً حتّى مات منهم في ذلك الزحام خمسة و عشرون ألفا. و انهزم فرعون و قد استطلق بطنه في يومه ذلك عن أربعمائة جلسة، ثمّ بعد ذلك إلى أربعين مرّة في اليوم و اللّيلة إلى أن هلك.(٢)

[٣٣] «وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ».

«للناظرين». دليل على أنّ بياضها كان شيئاً تجتمع النظّارة على النظر إليه لخروجه عن العادة و كان بياضاً نوريّاً. روي أنّ فرعون لمّا أبصر الآية الأولى قال: فهل غيرها؟ فأخرج يده فقال له: ما هذه؟ قال: يدك. فأدخلها في إبطه ثمّ نزعها و لها شعاع يكاد يغشي الأبصار و يسدّ الأفق. و لقد تحيّر فرعون لمّا رأى الآيتين حتّى حطّ عن منكبيه دعوى الربوبيّة و بلغت به الاستكانة لمن سمّاهم عبيده أن طفق يؤامرهم.(٣)

[٣٤] «قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ».

«لساحر عليم». هذا قول باهت إذا غلب و متمحّل إذا ألزم.(٤)

[٣٥] «يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَا ذَا تَأْمُرُونَ».

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١١٩.

٢ـ بحارالأنوار ١٣ / ١٤٩ ـ ١٥٠.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٣١٠.

٤ـ الكشّاف ٣ / ٣١٠.

فلمّا توجّهت الثعبان نحو فرعون، وثب عن سريره و أحدث حتّى قام به بطنه في يومه ذلك أربعين مرّة. و كان أكثر ما يأكل الموز لكيلايكون له ثفل فيحتاج إلى القيام. و كان هذه الأشياء ممّا زيّن له أن قال ما قال. «فما ذا تأمرون»؛ أي: ما تشيرون في قتلها؟ و كان من حوله أولاد رشدة و لم يكونوا أولاد زنىً، فمن ثمّ لايشيرون عليه بالقتل. و أمّا من حضر واقعة الطفوف فكلّهم كانوا أولاد زنىً أو من الحيض، فمن ثمّ فعلوا ما فعلوا.

«تأمرون». من المؤامرة و هي المشاورة. أو من الأمر الذي هو ضدّ النهي. جعل العبيد آمرين و ربّهم مأموراً لما استولى عليه من فرط الدهش و الحيرة.[١]

[٣٦ ـ ٣٧] «قَالُوا أَرْجِهْ وَ أَخَاهُ وَ ابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ».

«أرجه». من أرجأته، إذا أخّرته. ومنه المرجئة؛ و هم الذين لايقطعون بوعيد الفسّاق و يقولون: هم مرجؤون لأمر الله. و المعنى: أخّره و مناظرته لوقت اجتماع السحرة. و قيل: احبسه. «حاشرين»: شرطاً يحشرون السحرة. و عارضوا قوله: «إنّ هذا لساحر» بقولهم: «بكلّ سحّار» فجاؤوا بصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه و ليسكنوا بعض قلقه.[٢]

[٣٨] «فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ».

«لميقات»؛ أي: لوقت يوم بعينه اختاروه و عيّنوه وهو عيد لهم يوم الزينة.[٣]

[٣٩] «وَ قِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ».

«و قيل للناس»؛ أي: لأهل [مصر].[٤]

«و قيل للناس هل أنتم مجتمعون» استبطاء لهم في الاجتماع، حثّاً على مبادرتهم إليه.[٥]

١ـ الكشّاف ٣ / ٣١٠.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٣١١.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٥.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٥.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٤.

[٤٠] «لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ».

«لعلّنا»؛ أي: لعلّنا نتّبع السحرة في دينهم إن غلبوا. أو الترجّي باعتبار الغلبة المقتضية للاتّباع و مقصودهم الأصليّ أن لا يتّبعوا موسى لا أن يتّبعوا السحرة. فساقوا الكلام مساق الكناية، لأنّهم إذا اتّبعوهم لم يتّبعوا موسى.(١)

[٤١] «فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَ إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ».

«أ إنّ لنا لأجراً»؛ أي: جزاء على غلبتنا إيّاه إن نحن غلبناه.(٢)

قال ابن عبّاس: قال فرعون لمّا رأى من سلطان الله في اليد و العصا: إنّا لا نغالب موسى إلّا بمن هو مثله. فأخذ غلماناً من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الغرماء يعلّمونهم السحر كما يعلّم الصبيان الكتاب في الكتّاب، فعلّموهم سحراً كثيراً. فبعث فرعون إلى السحرة فجاء بهم و معهم معلّمهم فقالوا له: ماذا صنعت؟ فقال: قد علّمتهم سحراً لا يطيق له سحر أهل الأرض إلّا أن يكون أمر من السماء. ثمّ بعث فرعون فلم يترك في سلطانه ساحراً إلّا أتى به. فقيل: كانوا اثنين و سبعين ساحراً. [و قيل: كانوا سبعين ساحراً] غير رئيسهم. و كان الذي يعلّمهم ذلك رجلين مجوسيّين من أهل نينوا. و قيل: كانوا اثني عشر ألفاً. و قيل: بضعاً و ثلاثين ألفاً. و قيل: سبعين ألفاً. و قيل: ثمانين ألفاً. فاختار منهم سبعة آلاف، ثمّ اختار منهم سبعمائة، ثمّ اختار منهم سبعين.(٣)

[٤٢] «قَالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ».

«قال نعم و إنّكم إذاً لمن المقرّبين» عندي أشارككم في ملكي. قالوا: و إن غلبنا موسى و أبطل سحرنا، علمنا أنّ ما جاء به ليس من قبل السحر و لا الحيلة [و] آمنّا به و صدّقناه. قال فرعون: إن غلبكم موسى، صدّقته أنا معكم أيضاً.(٤)

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٤.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٥.
٣ـ بحار الأنوار ١٣ / ١٤٧.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٢٠.

[٤٣] «قَالَ لَهُمْ مُوسىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ».

قال موسى للسحرة: «ألقوا ما أنتم ملقون». هذا بصورة الأمر و المراد به التحدّي.[١]

«قال لهم موسى». أي بعد ما قالوا: «إمّا أن تلقي و إمّا أن نكون نحنْ الملقين»[٢].[٣]

[٤٤] «فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَ عِصِيَّهُمْ وَ قَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ».

«بعزّة فرعون». العزّة: القوّة التي يمتنع بها من لحاق ضيم. و هذا القول قسم منهم و إن كان غير مبرور.[٤]

[٤٥] «فَأَلْقىٰ مُوسىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ».

«ما يأفكون»: ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم و تزويرهم فيخيّلون حبالهم و عصيّهم أنّها حيّات تسعى.[٥]

«تلقف ما يأفكون»؛ أي تتناول جميع ما موّهوا به.[٦]

[٤٦] «فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ».

«فألقي السحرة ساجدين». يدلّ على أنّهم لمّا رأوا ما رأوا، لم يتمالكوا أنفسهم فكأنّهم أخذوا فطرحوا على وجوههم. أو إنّه تعالى ألقاهم بما خوّلهم من التوفيق.[٧]

«ساجدين» لمّا بهرهم ما أظهره موسى عليه السلام من قلب العصا حيّة و علموا أنّ ذلك من عند الله.[٨]

[٤٧ ـ ٤٨] «قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسىٰ وَ هَارُونَ».

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٦.
٢ـ الأعراف (٧) / ١١٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٤.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٦.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٥.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٦.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٥.
٨ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٦.

«قالوا آمنّا». بدل من ألقي بدل الاشتمال. أو حال بإضمار قد.[١]

[٤٩] «قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ».

«آمنتم له»؛ أي: أصدّقتم له فيما يدعو إليه. «قبل أن آذن لكم». أي أنا في تصديقه. «لكبيركم»؛ أي: أستاذكم و عالمكم. «فلسوف تعلمون» ما أفعله عقوبة لكم على تصديقكم إيّاه. ثمّ فسّر ذلك بقوله: «لأقطّعنّ». «من خلاف». يعني قطع اليد من جانب و الرجل من جانب آخر. «و لأصلّبنّكم» مع ذلك على الجذوع.[٢]

«آمنتم». حمزة و الكسائيّ و أبوبكر: «أآمنتم» بهمزتين. «علّمكم السحر» فعلّمكم شيئاً دون شيء و لذلك غلبكم. أو تواطأتم على ذلك. أراد به التلبيس على قومه لئلّا يعتقدوا أنّهم آمنوا على بصيرة و ظهور حقّ.[٣]

[٥٠] «قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ».

«قالوا لا ضير»؛ أي: لا ضرر علينا فيما تفعله. «إنّا إلى ربّنا»؛ أي: إلى ثواب ربّنا راجعون فيجازينا على إيماننا و صبرنا بالنعيم الدائم الذي لا ينقضي. قال الحسن: لم يصل فرعون إلى قتل واحد منهم و لا قطعه. و قيل: إنّ أوّل من قطع الأيدي و الأرجل فرعون.[٤]

«إنّا إلى ربّنا منقلبون». قال: فحبس فرعون من آمن بموسى في السجن حتّى أرسل الله عليهم الطوفان و الجراد و القمّل و الضفادع و الدم فأطلق عنهم.[٥]

[٥١] «إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ».

«خطايانا»؛ أي: ما فعلناه من السحر و غيره. «أوّل المؤمنين» بنبوّة موسى. أي أوّل من

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٥.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٥.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٦.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٢١.

آمن من آل فرعون. لأنّ بني إسرائيل كانوا آمنوا به.[١]

«أن كنّا»؛ أي: لأن كنّا. و قرئ: «إن كنّا» على الشرط لهضم النفس و عدم الثقة بالخاتمة.[٢]

[٥٢] «وَ أَوْحَيْنَا إِلىٰ مُوسىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ».

«أن أسر». روي أنّه مات في تلك اللّيلة في كلّ بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتّى خرج موسى بقومه.[٣]

«أن أسر». نافع و ابن‌كثير: «أنِ اسْر» بكسر النون و وصل الألف من سرى.[٤]

«إنّكم متّبعون». علّة الأمر بالإسراء. أي: أسر بهم حتّى إذا اتّبعوكم مصبحين كان لكم تقدّم عليهم بحيث لايدركونكم قبل وصولكم إلى البحر بل يكونون على أثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فأطبقه عليهم فأغرقهم.[٥]

«متّبعون»: يتّبعكم فرعون و جنوده ليحولوا بينكم و بين الخروج من أرض مصر.[٦]

[٥٣ ـ ٥٤] «فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ».

«حاشرين»: [و بعث في المدائن حاشرين و حشر الناس] و قدّم مقدّمته في ستّمائة ألف و ركب هو في ألف ألف.[٧]

«حاشرين» يحشرون له الجيش ليقبضوا على موسى و قومه لمّا ساروا بأمر الله. فلمّا حضروا عنده، قال لهم فرعون: «إنّ هؤلاء»؛ يعني: أصحاب موسى «لشرذمة قليلون». قال المفسّرون: و كان الشرذمة الذين قلّلهم فرعون ستّمائة ألف.[٨]

«قليلون». و إنّما استقلّهم ـ و كانوا ستّمائة و سبعين ألفاً ـ بالإضافة إلى جنوده. إذ روي

١ـ مجمع البيان ٧ / ٢٩٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٥.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٣١٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٥.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٥.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٠.
٧ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٢١.
٨ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٠.

أنّه خرج و كانت مقدّمته سبعمائة ألف.[۱]

[۵۵] «وَ إِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ».

«لغائظون»؛ أي: إنّهم غائظون لمخالفتهم إيّانا في الدين ثمّ لخروجهم من أرضنا على كره منّا و ذهابهم بالحليّ التي استعاروها و خلوصهم من استعبادنا.[۲]

[۵۶] «وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ».

ابن‌عامر و أهل الكوفة: «حاذرون» بالألف. و الباقون بغير ألف. «حذرون»؛ أي: خائفون شرّهم. و «حاذرون»؛ أي: ذوو أداة و قوّة مستعدّون شاكون في السلاح.[۳]

«حذرون»؛ أي: عادتنا الحذر. و قرأ الكوفيّون: «حاذرون». و الأوّل للثبات و الثاني للتجدّد.[٤]

[۵۷] «فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ».

ثمّ أخبر سبحانه عن كيفيّة إهلاكهم بقوله: « فأخرجناهم» يعني آل فرعون «من جنّات»؛ أي: بساتين «و عيون» جارية فيها.[۵]

[۵۸] «وَ كُنُوزٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ».

«و كنوز»: أموال مخبأة و خزائن و دفائن. «و مقام كريم»؛ أي: منابر يخطب عليها الخطباء. عن ابن‌عبّاس. و قيل: هو مجالس الأمراء و الرؤساء التي كان يحفّ بها الأتباع فيأتمرون بأمرهم. و قيل: المنازل الحسان.[٦]

[۵۹] «كَذٰلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ»

۱ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۱۵۶.
۲ـ مجمع البيان ۷ / ۳۰۰.
۳ـ مجمع البيان ۷ / ۳۰۰.
٤ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۱۵۶.
۵ـ مجمع البيان ۷ / ۳۰۰.
٦ـ مجمع البيان ۷ / ۳۰۰.

«كذلك». يحتمل ثلاثة أوجه: النصب، على: أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفنا. و الجرّ، على أنّه وصف لمقام. أي: مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم. و الرفع، على أنّه خبر لمبتدأ محذوف. أي: الأمر كذلك.(١)

«كذلك»؛ أي: كما وصفنا لك أخبارهم. «و أورثناها بني إسرائيل». و ذلك أنّ الله ردّ بني إسرائيل إلى مصر بعد ما أغرق فرعون و قومه و أعطاهم جميع ما كان لقوم فرعون من الأموال و العقار.(٢)

[٦٠] «فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ».

[٦١] «فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ».

[٦٢] «قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ».

«كلّا»؛ أي: لن يدركونا و لا يكون ما تظنّون، فانتهوا عن هذا القول. «إنّ معي ربّي» بنصره. «سيهدين»؛ أي: سيرشدني إلى طريق النجاة.(٣)

«سيهدين»: سينجيني.(٤)

[٦٣] «فَأَوْحَيْنَا إِلىٰ مُوسىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ».

فقال يوشع بن نون: يا نبيّ الله، بم أمرك ربّك؟ قال: بعبور البحر. فأقحم يوشع فرسه في الماء. [و أوحى الله إلى موسى «أن اضرب بعصاك البحر». فضربه] فانفلق اثناعشر طريقاً و أخذ كلّ سبط في طريق. فكان الماء لمّا ارتفع على رؤوسهم مثل الجبل، وقع شعاع الشمس في أرض البحر فيبس كما حكى عزّ و جلّ. و لمّا دخل موسى و أصحابه البحر،

١ـ الكشّاف ٣ / ٣١٥.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٠.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٠.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٢١.

جزعت الفرقة التي كانت في طريق موسى فقالوا: يا موسى، أين إخواننا؟ فقال: معكم في البحر. فلم يصدّقوه. فأمر الله البحر فصارت طاقات حتّى نظر بعضهم إلى بعض و تحدّثوا.[١]

«كلّ فرق». الفرق: الجزء المتفرّق منه.[٢]

«البحر». هو النيل. و قيل: بحر قلزم ما بين اليمن و مكّة إلى مصر. «فانفلق»؛ أي: فضرب فانشقّ البحر و ظهر فيه اثناعشر طريقاً و قام الماء [عن يمين الطريق و يساره كالجبل العظيم. و الفِرق الاسم] لما انفرق، و الفَرق المصدر.[٣]

[٦٤] «وَ أَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ».

«و أزلفنا»؛ أي: قرّبنا إلى البحر فرعون و قومه حتّى أغرقناهم. و قيل: قرّبناهم إلى المنيّة لمجيء وقت هلاكهم.[٤]

[٦٥ ـ ٦٦] «وَ أَنْجَيْنَا مُوسىٰ وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ».

[٦٧] «إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ».

«إنّ في ذلك»؛ أي: في فرق البحر و إنجاء بني إسرائيل و إغراق فرعون و قومه لدلالة واضحة على توحيد الله و صفاته التي لايشاركه فيها غيره. «و ما كان أكثرهم مؤمنين». معناه: انّهم مع هذا البرهان الباهر ما آمن أكثرهم. فلاتستوحش ـ يا محمّد ـ من قعود قومك عن الحقّ الذي تدلّهم عليه. فقد جروا على عادة أسلافهم.[٥]

«و ما كان أكثرهم»؛ أي: ما تنبّه عليها أكثرهم، إذ لم يؤمنوا من بقي في مصر من القبط و بنو إسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتّخذوا العجل و قالوا: «لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة»[٦].[٧]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٢١ ـ ١٢٢.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٣١٦.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٠.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٠ ـ ٣٠١.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠١.
٦ـ البقرة (٢) / ٥٥.

[٦٨] «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ».

«العزيز» في سلطانه «الرحيم» بعباده. و قيل: «العزيز» في انتقامه من أعدائه «الرحيم» في إنجائه من الهلاك لأوليائه. قيل: إنّه لم يؤمن من أهل مصر غير آسية امرأة فرعون و مؤمن آل فرعون و مريم التي دلّت على عظام يوسف.[٨]

[٦٩] «وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ».

«نبأ إبراهيم». فإنّه شجرة الأنبياء و به افتخار العرب.[٩]

[٧٠ـ ٧١] «إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ».

«إذ قال لأبيه و قومه» على وجه الإنكار عليهم: «ما تعبدون»؟[١٠]

فإن قلت: «ما تعبدون» سؤال عن المعبود فحسب. و كان القياس أن يقولوا: أصناماً. كقوله: «و يسألونك ماذا ينفقون قل العفو».[١١] «ماذا قال ربّكم قالوا الحقّ»[١٢] «ماذا أنزل ربّكم قالوا خيراً».[١٣] قلت: هؤلاء قد جاؤوا بقصّة أمرهم كاملة كالمبتهجين بها و المفتخرين، فاشتملت على جواب إبراهيم و على ما قصدوه من إظهار ما في نفوسهم من الابتهاج و الافتخار. ألا ترى كيف عطفوا على قولهم «فنظلّ لها عاكفين» و لم يقتصروا على زيادة «نعبد» وحده؟[١٤]

«فنظلّ لها»؛ أي: ندوم. و قيل: كانوا يعبدونها بالنهار دون اللّيل.[١٥]

«فنظلّ لها عاكفين»؛ أي: نقيم على عبادتها [مداومين].[١٦]

٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٧.

٨ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠١.

٩ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٣.

١٠ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٣.

١١ـ البقرة (٢) / ٢١٩.

١٢ـ سبأ (٣٤) / ٢٣.

١٣ـ النحل (١٦) / ٣٠.

١٤ـ الكشّاف ٣ / ٣١٧.

١٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٧.

١٦ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٣.

[٧٢] «قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ».

«هل يسمعونكم»؛ أي: يسمعون دعاءكم «إذ تدعون»؟ و معناه: هل يستجيبون دعاءكم إذا دعوتموهم؟[١]

[٧٣] «أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ».

«أو يضرّون»؛ أي: يضرّونكم إذا تركتم عبادتها.[٢]

[٧٤] «قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ».

«بل وجدنا آباءنا». هذا إخبار عن تقليدهم آباءهم في عبادة الأصنام.[٣]

[٧٥ ـ ٧٦] «قَالَ أَ فَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ».

«ما كنتم تعبدون»؛ أي: الذي كنتم تعبدونه من الأصنام «أنتم» الآن «و آباؤكم الأقدمون»؛ أي: و الذي كان آباؤكم يعبدونهم.[٤]

[٧٧] «فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ».

«فإنّهم عدوّ لي». أي الأصنام و عباد الأصنام عدوّ لي، إلّا أنّه غلب ما يعقل. و قيل فيه: إنّما عنى الأصنام. و إنّما قال: «فإنّهم» فجمعهم جمع العقلاء لمّا وصفها بالعداوة التي لاتكون إلّا من العقلاء. و جعل الأصنام كالعدوّ في الضرر من جهة عبادتها. «إلّا ربّ العالمين». استثناء من جميع المعبودين.[٥]

«عدوّ لي». يريد أنّهم أعداء لعابديهم من حيث إنّهم يتضرّرون من جهتهم فوق ما يتضرّر الرجل من جهة عدوّه، لكنّه صوّر الأمر في نفسه تعريضاً لهم؛ فإنّه أنفع في النصح

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٣.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٣.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٣.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٣.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٣.

من التصريح، إشعاراً بأنّها نصيحة بدأ بها بنفسه ليكون أدعى إلى القبول. و إفراد العدوّ لأنّه في الأصل مصدر أو بمعنى النسب.(١)

«إلّا ربّ العالمين». استثناء منقطع. و يجوز أن يكون غير منقطع على تقدير: و إنّ جميع من عبدتم عدوّ لي إلّا ربّ العالمين. و قد عبدوا مع الله الأصنام.(٢)

[٧٨] «الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ».

«فهو يهدين»؛ أي: يرشدني إلى ما فيه نجاتي.(٣)

«فهو يهدين». و مبدأ الهداية بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين إلى امتصاص دم الحيض من الرحم و منتهاها الهداية إلى طريق الجنّة و التنعّم بلذائذها.(٤)

[٧٩] «وَ الَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَ يَسْقِينِ».

[٨٠] «وَ إِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ».

«و إذا مرضت». و إنّما قال: «مرضت» دون أمرضني، لأنّ كثيراً من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه و مشاربه و غير ذلك. و من ثمّ قالت الحكماء: لو قيل لأكثر الموتى: ما سبب آجالكم؟ قالوا: التخم.(٥)

[٨١] «وَ الَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ».

«يحيين». يعني في القيامة.(٦)

[٨٢] «وَ الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ».

«أن يغفر لي خطيئتي». إنّما قال ذلك على سبيل الانقطاع إلى الله لا أنّ له خطيئة. لأنّه

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٧.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٣.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٧.
٥ـ الكشّاف ٣ / ٣١٩.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٣.

معصوم. و قيل: معناه: أطمع أن يغفر لمن يشفّعني فيه؛ فأضافه إلى نفسه. و هذا الكلام إنّما صدر على وجه الاحتجاج على قومه و الإخبار بأنّه لايصلح للإلهيّة إلّا من فعل هذه الأفعال.[١]

«يوم الدين». فإن قلت: لم علّق مغفرة الخطيئة بيوم الدين و إنّما تغفر في الدنيا؟ قلت: لأنّ أثرها يتبيّن يومئذ و هو الآن خفيّ لايعلم.[٢]

[٨٣] «رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ».

«هب لي حكما». يعني النبوّة. و قيل: المراد علماً إلى علم و فقهاً إلى فقه. «و ألحقني بالصالحين». أي من قبلي من النبيّين في الدرجة و المنزلة. أو: افعل بي من اللّطف ما يؤدّيني إلى الصلاح و الاجتماع مع النبيّين في الثواب. و الصلاح هو الاستقامة على ما أمر الله به و دعا إليه.[٣]

«و ألحقني بالصالحين»: وفّقني للكمال في العمل لأنتظم به في عداد الكاملين في الصلاح.[٤]

[٨٤] «وَ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ».

«و اجعل لي لسان صدق في الآخرين»؛ أي: ثناء حسناً في آخر الأمم و ذكراً جميلاً و قبولاً عامّاً في الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة. فأجاب الله دعاءه فكلّ الأديان يثنون عليه و يقرّون بنبوّته. و قيل: معناه: و اجعل لي ولد صدق في آخر الأمم يدعو إلى الله؛ و هو محمّد صلى الله عليه و آله.[٥]

و عن أبي عبدالله عليه السلام: أنّه عرضت على إبراهيم ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: اللّهمّ

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٣ ـ ٣٠٤.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٣٢٠.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٨.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٤.

اجعله من ذرّيّتي. ففعل الله ذلك.(١)

«و اجعل لي لسان صدق». قال: هو أميرالمؤمنين عليه السلام.(٢)

[٨٥] «وَ اجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ».

[٨٦] «وَ اغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ»

«و اغفر لأبي» بالهداية و التوفيق للإيمان. «إنّه كان من الضالّين» عن طريق الحقّ. و إن كان هذا الدعاء بعد موته، فلعلّه كان لظنّه أنّه كان يخفي الإيمان تقيّة من نمرود. و لذلك وعده. أو لأنّه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفّار.(٣)

«من الضالّين»؛ أي: من الذاهبين عن الصواب في اعتقاده. و وصفه بأنّه ضالّ يدلّ على أنّه كان كافراً كفر جهالة لا كفر عناد. وقد تقدّم الكلام فيه في سورة التوبة.(٤)

[٨٧] «وَ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ».

«و لا تخزني» بتعذيب والدي. «يبعثون». أي العباد.(٥)

«يوم يبعثون»؛ أي: لا تعيّرني بذنب يوم يحشر الخلائق. و هذا كان منه على وجه الانقطاع إلى الله؛ و إلّا فالقبيح منفيّ عن الأنبياء عليهم السلام.(٦)

[٨٨ ـ ٨٩] «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ».

«إلّا من أتى الله»؛ أي: إلّا حال من أتى الله «بقلب سليم». و هو من قوله: «تحيّة بينهم ضرب وجيع». أي أن يكون القلب السليم بدلاً عن المال و البنين. و إن شئت حملت الكلام على المعنى و جعلت المال و البنين في معنى الغنى؛ كأنّه قال: لا ينفع غنًى إلّا غنى من أتى الله

١ـ تأويل الآيات ١ / ٣٨٨، ح ٨.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٢٣.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٨.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٤.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٥٨.

٦ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٤.

بقلب سليم. لأنّ غنى الرجل في دينه سلامة قلبه؛ كما أنّ غناه في دنياه بماله و بنيه. و لك أن تجعل الاستثناء منقطعاً بتقدير المضاف و هو الحال و المراد بها سلامة القلب و ليست هي من جنس المال و البنين. و قيل: مَن مفعول لاينفع. أي: لاينفع مال و لابنون إلّا رجلاً سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله و مع بنيه حيث أرشدهم. و من بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم باللّديغ من خشية الله.(١)

«بقلب سليم». عن أبي جعفرعليه السلام: الذي يلقى الله و ليس فيه أحد سواه.(٢)

«بقلب سليم» من الشكّ و الشرك أو الفساد و المعاصي. و خصّ القلب بالسلامة لأنّه إذا سلم سلمت الجوارح من الفساد. و عن أبي عبداللهعليه السلام أنّه القلب الذي سلم من حبّ الدنيا. و يؤيّده قول النبيّصلى الله عليه وآله: حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة.(٣)

[٩٠] «وَ أُزْلِفَتِ الْجَـنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ».

«و أزلفت»؛ أي: قربت لهم ليدخلوها.(٤)

«و أزلفت الجنّة». يعني تكون قريبة من موضع السعداء حتّى يوقعون في القيامة(٥) و يغتبطون بأنّهم المحشورون إليها.(٦)

[٩١ ـ ٩٢] «وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ».

«و برّزت»؛ أي: أبرزت و كشفت الغطاء عنها للضالّين عن طريق الحقّ و الصواب. «و قيل لهم» في ذلك اليوم على وجه التوبيخ: «أين ما كنتم تعبدون من دون الله» من الأصنام و الأوثان و غيرهما؟(٧)

«برّزت الجحيم». و النار تكون بارزة للأشقياء بمرأى منهم يتحسّرون على أنّهم

١ـ الكشّاف ٣ / ٣٢٠ ـ ٣٢١.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٢٣.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٥.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٥.
٥ـ كذا في النسخة. و في المصدر: «ينظرون اليها» بدل «حتّى يوقعون في القيامة».
٦ـ الكشّاف ٣ / ٣٢١.
٧ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٥.

المسوقون إليها فيهلكون غمّاً في كلّ لحظة و يوبّخون على إشراكهم.[١]

[٩٣] «مِنْ دُونِ اللهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ».

«هل ينصرونكم» بدفع العذاب عنكم في ذلك اليوم «أو ينتصرون» لكم إذا عوقبتم؟ و قيل: «ينتصرون»؛ أي: يمتنعون من العذاب.[٢]

[٩٤ ـ ٩٥] «فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَ الْغَاوُونَ * وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ».

«فكبكبوا فيها». قال عليه السلام: نزلت في قوم وصفوا عدلاً و خالفوه إلى غيره. و من خبر آخر فإنّهم بنوأميّة. «و الغاوون». هم بنو فلان. قالوا و هم فيها يختلفون.[٣]

«فكبكبوا»؛ أي: جمعوا و طرحوا بعضهم على بعض. و قيل: نكسوا فيها على رؤوسهم. «هم». يعني الآلهة التي يعبدونها. «و الغاوون»؛ أي: العابدون. و المعنى اجتمع المعبودون من دون الله و العابدون لها في النار. «و جنود إبليس»؛ أي: كبكب معهم جنود إبليس. يريد من اتّبعه من ولده و ولد آدم.[٤]

[٩٦] «قَالُوا وَ هُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ».

«قالوا»؛ أي: قال هؤلاء و هم في النار يخاصم بعضهم بعضاً.[٥]

«و هم فيها يختصمون». يجوز أن ينطق الله الأصنام حتّى يصحّ التقاول و التخاصم. و يجوز أن يجري ذلك بين العصاة و الشياطين.[٦]

[٩٧ ـ ٩٨] «تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ».

«إن كنّا». إن هي المخفّفة من المثقّلة. أي: إنّا كنّا لفي ضلال مبين. «إذ نسوّيكم»؛ أي: إذ

١ـ الكشّاف ٣ / ٣٢١ ـ ٣٢٢.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٥.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٢٣.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٥.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٥.
٦ـ الكشّاف ٣ / ٣٢٢.

سوّيناكم بالله و عدلناكم به في توجيه العبادة إليكم.[۱]

[۹۹] «وَ مَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ».

«إلّا المجرمون»؛ أي: أوّلونا الذين اقتدينا بهم. و قيل: الكافرون الذين دعونا إلى الضلال.[۲]

و المراد بالمجرمين الذين أضلّوهم رؤساؤهم و كبراؤهم. كقوله: «إنّا أطعنا سادتنا و كبراءنا فأضلّونا السبيلا»[۳].[٤]

[۱۰۰ ـ ۱۰۲] «فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَ لَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».

ثمّ أظهروا الحسرة فقالوا: «فما لنا من شافعين» يشفعون لنا و يسألون في أمرنا. «و لا صديق حميم»؛ أي: ذي قرابة يهمّه أمرنا. و المعنى: ما لنا شفيع من الأباعد و لا صديق من الأقارب. و ذلك حين يشفع الملائكة و النبيّون. و عن أبي عبدالله عليه السلام: لنشفعنّ لشيعتنا ـ ثلاث مرّات ـ حتّى يقول الناس: «فما لنا من شافعين * و لا صديق حميم». و عنه عليه السلام: انّ المؤمن ليشفع يوم القيامة لأهل بيته فيشفّع فيهم حتّى يبقى خادمه فيقول و يرفع سبّابته: يا ربّ خويدمي! كان يقيني الحرّ و البرد. فيشفّع فيه. و إنّ المؤمن ليشفع لجاره و ما له حسنة فيقول: يارب جاري! كان يكفّ عنّي الأذى. فيشفّع فيه. و إنّ أدنى المؤمنين شفاعة ليشفّع في ثلاثين إنساناً.[۵]

و إنّما جمع الشافعين و وحّد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة و قلّة الصديق.[٦]

و عن بعض الحكماء أنّه سئل عن الصديق قال: اسم لا معنى له.[۷]

۱ـ مجمع البيان ۷ / ۳۰۵.
۲ـ مجمع البيان ۷ / ۳۰۵.
۳ـ الأحزاب (۳۳) / ٦۷.
٤ـ الكشّاف ۳ / ۳۲۲.
۵ـ مجمع البيان ۷ / ۳۰۵ ـ ۳۰٦.
٦ـ الكشّاف ۳ / ۳۲۲.
۷ـ الكشّاف ۳ / ۳۲۳.

«كرّة»؛ أي: رجعة إلى الدنيا فنكون من المصدّقين فتحلّ لنا الشفاعة.[١]

[١٠٣] «إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ».

«إنّ في ذلك»؛ أي: فيما قصصناه «لآية»؛ أي: دلالة لمن نظر فيها و اعتبر بها. «و ما كان أكثرهم مؤمنين». فيه تسلية للنبيّ صلى الله عليه و آله و إعلام له بأنّ الشرّ قديم.[٢]

[١٠٤] «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ».

[١٠٥] «كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ».

«المرسلين». لأنّ من كذّب رسولاً واحداً من رسل الله، فقد كذّب الجماعة. و قال أبوجعفر عليه السلام: يعني نوحاً و الأنبياء الذين كانوا بينه و بين آدم.[٣]

[١٠٦] «إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ».

«أخوهم نوح». أي في النسب لا في الدين. «ألا تتّقون» عذاب الله في تكذيبي؟[٤]

[١٠٧ ـ ١٠٨] «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَ أَطِيعُونِ».

«أمين». أي على الرسالة. «و أطيعون» فيما أمركم به من الإيمان و التوحيد.[٥]

[١٠٩] «وَ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«عليه»؛ أي: على الدعاء إلى التوحيد. «من أجر». من زائدة.[٦]

[١١٠] «فَاتَّقُوا اللهَ وَ أَطِيعُونِ».

«فاتّقوا الله و أطيعون». كرّره لاختلاف المعنى. لأنّ التقدير: فاتّقوا الله و أطيعون لأنّي

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٦.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٦.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٧.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٧.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٧.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٧.

رسول أمين. و اتّقوا الله و أطيعون لأنّي لا أسألكم عليه أجراً فتخافوا تلف أموالكم به. و كلّ واحد من هذين المعنيين يقوّي الداعي على قبول قول الغير و يبعّد عن التهمة.(١)

[١١١] «قَالُوا أَ نُؤْمِنُ لَكَ وَ اتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ».

قرأ يعقوب: «و أتباعك الأرذلون». «و اتّبعك الأرذلون»؛ أي سفلة الناس و أراذلهم. و قيل: يعنون الحاكة والأساكفة. يعني: لو اتّبعناك، لصرنا مثلهم و معدودين من جملتهم. و هذا جهل منهم. لأنّه ليس في إيمان الأرذلين ما يوجب تكذيبه. فإنّ الرذل إذا أطاع سلطانه استحقّ القرب عنده دون الشريف العاصي.(٢)

«الأرذلون». و هكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول الله ﷺ. و ما زالت أتباع الأنبياء كذلك حتّى صارت من سماتهم. ألاترى إلى هرقل ملك الروم حين سأل أباسفيان عن أتباع رسول الله فلمّا قال: ضعفاء الناس و أراذلهم، قال: ما زالت أتباع الأنبياء كذلك.(٣)

[١١٢] «قَالَ وَ مَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«و ما علمي»؛ أي: ما أعلم أعمالهم و صنائعهم و لم أكلّف و إنّما كلّفت أن أدعوهم إلى الله و قد أجابوني إليه.(٤)

«و ما علمي»: أيّ شيء علمي؟ و المراد انتفاء علمه بإخلاص أعمالهم لله و اطّلاعه على سرّ أمرهم و باطنه. و إنّما قال هذا لأنّهم قد طعنوا ـ مع استرذالهم ـ في إيمانهم و أنّهم لم يؤمنوا عن نظر و بصيرة و إنّما آمنوا هوًى و بديهة. كما حكى الله عنهم في قوله: «الذين هم أراذلنا بادي الرأي».(٥) و يجوز أن يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسّر قولهم الأرذلين بما هو الرذالة عنده ثمّ يبني جوابه على ذلك فيقول: ما عليّ إلّا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن أسرارهم

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٨.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٧ـ ٣٠٨.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٣٢٤.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٨.
٥ـ هود (١١) / ٢٧.

و الشقّ عن قلوبهم و إن [كان] لهم عمل سيّئ، فالله محاسبهم و مجازيهم عليه.[١]

[١١٣] «إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ».

«إن حسابهم». أي الذين تزعمون أنّهم الأرذلون.[٢]

«لو تشعرون». قصد بذلك ردّ اعتقادهم و إنكار أن يسمّى المؤمن رذلاً و إن كان أفقر الناس و أوضعهم نسباً. فإنّ الغنى غنى الدين و النسب نسب الدين.[٣]

[١١٤] «وَ مَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ».

[١١٥] «إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ».

«إن أنا إلّا نذير مبين»؛ أي: ليس عليّ إلّا إنذاركم إنذاراً بيّناً بالبرهان الصحيح ثمّ أنتم أعلم بشأنكم.[٤]

«إن أنا». كالعلّة لما قبله. أي: ما أنا إلّا رجل مبعوث لإنذار المكلّفين عن الكفر و المعاصي، سواء كانوا أغنياء أو أذلّاء. فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء؟[٥]

[١١٦] «قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ».

«لئن لم تنته»؛ أي: لم ترجع عمّا تقوله و تدعو إليه. «لتكوننّ من المرجومين» بالحجارة.[٦]

[١١٧] «قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ».

«إنّ قومي كذّبون». ليس هذا بإخبار بالتكذيب، لأنّ الله يعلمه، ولكنّه أراد: انّي

١ـ الكشّاف ٣ / ٣٢٤.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٨. قد ورد في المصدر هذه العبارة في شرح الآية الآتية.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

٤ـ الكشّاف ٣ / ٣٢٥.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٠ ـ ١٦١.

٦ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٨.

لأدعوك عليهم لما غاظوني و آذوني، و إنّما أدعوك لأجلك و لأجل دينك و لأنّهم كذّبوني في وحيك و رسالاتك.(١)

[١١٨] «فَافْتَحْ بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ فَتْحاً وَ نَجِّنِي وَ مَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».

«فافتح»؛ أي: احكم.(٢)

«فافتح»؛ أي: فاقض بيننا قضاء بالعذاب. لأنّه قال: «و نجّني و من معي من المؤمنين».(٣)

[١١٩] «فَأَنْجَيْنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ».

«في الفلك المشحون»؛ أي: السفينة المملوّة من الناس و غيرهم من الحيوانات.(٤)

[١٢٠] «ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ».

«بعد»؛ أي: بعد نجاة نوح و من معه. «الباقين»: الخارجين من السفينة.(٥)

[١٢١] «إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ».

«لآية»؛ أي: دلالة واضحة على توحيد الله.(٦)

[١٢٢] «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ».

«العزيز» في إهلاك قوم نوح بالغرق «الرحيم» في إنجائه نوحاً و من معه في الفلك.(٧)

[١٢٣] «كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ».

١ـ الكشّاف ٣ / ٣٢٥.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٣٢٥.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٨.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٨.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٨.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٨.
٧ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٨.

«كذّبت عاد». التأنيث لمعنى القبيلة. لأنّه أراد بعاد القبيلة.[١]

[١٢٤] «إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ».

«أخوهم». أي في النسب. «ألا تتّقون» الله باجتناب معاصيه؟[٢]

[١٢٥ ـ ١٢٧] «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَ أَطِيعُونِ * وَ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

[١٢٨] «أَ تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ».

«بكلّ ريع»؛ أي: بكلّ مكان مرتفع. أو: بكلّ طريق. «آية تعبثون»؛ أي: بناء لاتحتاجون إليه لسكناكم و إنّما تريدون به اللّهو و اللّعب. و قيل: إنّهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارّة و السابلة فيسخروا منهم و يعبثوا بهم. و قيل: إنّهم كانوا يبنون بيوتاً للحمام بروجاً لها.[٣]

«آية تعبثون». الآية العلم. و كانوا ممّن يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتّخذوا في طرقهم أعلاماً طوالاً فعبثوا بذلك، لأنّهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم.[٤]

[١٢٩] «وَ تَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ».

«مصانع»؛ أي: حصوناً و قصوراً مشيّدة. و قيل: مأخذاً للماء تحت الأرض. «لعلّكم تخلدون»؛ أي: كأنّكم تخلدون فيها فلاتموتون. فإنّ هذه الأبنية بناء من يطمع في الخلود و لايتفكّر في الموت.[٥]

[١٣٠] «وَ إِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ».

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٠.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٠.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٠.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٣٢٦.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٠.

«بطشتم». قال: بالجور من غير استحقاق.[١]

«و إذا بطشتم». البطش: الأخذ باليد. أي: إذا بطشتم بأحد تريدون إنزال عقوبة بـه، عاقبتموه عقوبة من يريد التجبّر بارتكاب العظائم. و قيل: معناه: و إذا عاقبتم، قتلتم. فمعنى الجبّار القتّال على الغضب بغير حقّ.[٢]

[١٣١] «فَاتَّقُوا اللهَ وَ أَطِيعُونِ».

[١٣٢] «وَ اتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ».

«أمدّكم بما تعلمون»؛ أي: أعطاكم ما تعلمون من الخير. و الإمداد إتباع الثاني ما قبله شيئاً بعد شيء على انتظام. و هؤلاء أمدّوا بأنواع من النعم.[٣]

[١٣٣ ـ ١٣٤] «أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَ بَنِينَ * وَ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ».

فإن قلت: كيف قرن البنين بالأنعام؟ قلت: هم الذين يعينونهم على حفظها و القيام عليها.[٤]

[١٣٥] «إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ».

«أخاف عليكم» إن عصيتموني. «يوم عظيم»: يوم القيامة.[٥]

[١٣٦] «قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ».

«أ وعظت»؛ أي: أ نهيتنا أم لم تكن من الناهين لنا. أي: لانقبل ما تدعونا إليه على كلّ حال.[٦]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٢٣: «قال: تقتلون بالغضب من غير استحقاق.»

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٠.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٠ ـ ٣١١.

٤ـ الكشّاف ٣ / ٣٢٦.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣١١.

٦ـ مجمع البيان ٧ / ٣١١.

فإن قلت: لو قيل: أ وعظت أم لم تعظ، لكان أخصر و المعنى واحد. قلت: بينهما فرق. لأنّ المراد: سواء علينا أ فعلت هذا الفعل الذي هو وعظ أم لم تكن أصلاً من أهله و مباشريه. فهو أبلغ في قلّة اعتدادهم بوعظه من قولك: أم لم تعظ.[١]

[١٣٧] «إِنْ هٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ».

ابن‌كثير و أهل البصرة: «خلق الأوّلين» بفتح الخاء. «إن هذا إلّا خَلق الأوّلين»؛ أي: ما هذا الذي جئتنا به إلّا كذب الأوّلين الذين ادّعوا النبوّة و لم يكونوا أنبياء و أنت مثلهم. و من قرأ بضمّ الخاء، فالمعنى: ما هذا الذي نحن عليه من تشييد الأبنية و اتّخاذ المصانع و البطش الشديد إلّا عادة الأوّلين من قبلنا. و قيل: معناه: ما هذا الذي نحن فيه إلّا عادة الأوّلين في أنّهم كانوا يحيون و يموتون و لا بعث و لا حساب.[٢]

[١٣٨] «وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ».

«و ما نحن بمعذّبين» على ما تدّعيه، لا في الدنيا و لا بعد الموت.[٣]

[١٣٩] «فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ».

«فأهلكناهم» بعذاب الاستئصال.[٤]

[١٤٠ ـ ١٤٥] «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَ لَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَ أَطِيعُونِ * وَ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

[١٤٦ ـ ١٤٧] «أَ تُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ».

١ـ الكشّاف ٣ / ٣٢٧.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٠٩ و ٣١١.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣١١.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣١١.

«أ تتركون»؛ أي: أ تظنّون أنّكم تتركون فيما أعطاكم من الخير في هذه الدنيا. «آمنين» من الموت و العذاب. و هذا إخبار بأنّ ما هم فيه من النعم لاتبقى عليهم. ثمّ عدّد نعمهم التي كانوا فيها فقال: «في جنّات»؛ أي: بساتين يسترها الشجر «و عيون» جارية.(١)

«فيما هاهنا»؛ أي: في الذي استقرّ في هذا المكان من النعيم. ثمّ فسّره بقوله: «في جنّات و عيون».(٢)

[١٤٨] «وَ زُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ».

و قوله: «و نخل» بعد قوله: «و جنّات» و هي تتناول النخل أوّل شيء، إمّا للتنبيه على انفراده عنها بالفضل عليها، و إمّا أن يريد بالجنّات غيرها من الشجر ـ لأنّ اللّفظ يصلح لذلك ـ ثمّ يعطف عليها النخل. و الهضيم: اللّطيف الضامر. و طلع إناث النخل فيه لطف. و في طلح الفحاحيل غلظ. و كذلك طلع النخل البرنيّ ألطف من طلع ما عداه. فذكّرهم نعمة الله في أن وهب لهم أجود النخل و أنفعه. لأنّ الإناث ولّادة التمر و البرنيّ أجود التمر و أطيبه. و يجوز أن يريد أنّ نخيلهم أصابت جودة المنابت و سعة الماء و سلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير. و إذاكثر الحمل، هضم ـ أي: صفر ـ و إذا قلّ، جاء فاخراً. و قيل: الهضيم: اللّيّن النضيج. كأنّه قال: و نخل قد أرطب ثمره.(٣)

«هضيم»؛ أي: يانع. و قيل: هو الرطب اللّيّن. و قيل: هو الذي ليس فيه نوًى.(٤)

«هضيم»؛ أي: ممتلئ.(٥)

[١٤٩] «وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ».

«فارهين». قرأ أهل الكوفة و الشام: «فارهين» بالألف. و الباقون: «فرهين» بغير ألف.

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٣.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٣٢٧.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٣.

٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٢٣.

«فرهين»؛ أي: أشرين بطرين.(١)

[١٥٠ ـ ١٥٢] «فَاتَّقُوا اللهَ وَ أَطِيعُونِ * وَ لَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ».

«أمر المسرفين». أي الرؤساء منهم و هم تسعة رهط من ثمود الذين عقروا الناقة. ثمّ وصفهم بالإفساد [فقال: «الذين يفسدون في الأرض»].(٢)

و أمّا فائدة قوله: «و لايصلحون» فهو الدلالة على [أنّ] فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين مخلوط ببعض الصلاح.(٣)

[١٥٣] «قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ».

«من المسحّرين»؛ أي: قد أصبت السحر ففسد عقلك فصرت لاتدري ما تقول. و هو بمعنى المسحورين و المراد: سحرت مرّة بعد أخرى. و قيل: معناه: أنت مخلوق مثلنا لك سحر ـ أي: رئة ـ تأكل و تشرب. فلم صرت أولى منّا بالنبوّة؟(٤)

[١٥٤] «مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ».

«فأت بآية»؛ أي: بمعجزة تدلّ على صدقك.(٥)

[١٥٥] «قَالَ هٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ».

[١٥٦] «وَ لَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ».

«يوم عظيم». عظم اليوم لعظم ما يحلّ فيه. و هو أبلغ من تعظيم العذاب.(٦)

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٢ ـ ٣١٣.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٣.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٣٢٨.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٣.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٣.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٣.

[١٥٧] «فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ».

«فعقروها». أسند العقر إلى كلّهم لأنّ عاقرها إنّما عقرها برضاهم. و لذلك أخذوا جميعاً. «نادمين» على عقرها، خوفاً من العذاب لا ندامة و توبة، أو عند معاينة العذاب، و لذلك لم ينفعهم.(١)

«فعقروها». روي أنّ مسطعاً ألجأها إلى مضيق في شعب فرماها بسهم فأصاب رجلها فسقطت، ثمّ ضربها قدار. روي أنّ عاقرها قال: لا أعقرها حتّى ترضوا أجمعين. فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون: أ ترضين؟ فتقول: نعم. و كذلك صبيانهم.(٢)

[١٥٨] «فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ».

«فأخذهم العذاب» الموعود. «و ما كان أكثرهم مؤمنين». في نفي الايمان عن أكثرهم في هذا المعرض إيماء بأنّه لو آمن أكثرهم أو شطرهم، لما أخذوا بالعذاب. و إنّ القريش إنّما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم.(٣)

[١٥٩ ـ ١٦٤] «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَ أَطِيعُونِ * وَ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

[١٦٥ ـ ١٦٦] «أَ تَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَ تَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ».

«أ تأتون»؛ أي: أ تصيبون الذكران من جملة الخلائق «و تذرون»: تتركون ما خلق لكم من الأزواج و النساء؟ «عادون»؛ أي: ظالمون متعدّون الحلال إلى الحرام و الطاعة إلى

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٣.
٢ـ الكشاف ٣ / ٣٢٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٣ ـ ١٦٤.

المعصية.[١]

«من العالمين». يعني غيركم. أو: أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم و غلبة الإناث فيهم كأنّهنّ قد أعوزنكم؟ و المراد بالعالمين على الأوّل كلّ من ينكح و على الثاني الناس. «ما خلق لكم»؛ أي: لأجل استمتاعكم. «من أزواجكم». لبيان ما، إن أريد جنس الإناث؛ أو للتبعيض، إن أريد به العضو المباح منهنّ فيكون تعريضاً بأنّهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم أيضاً. «عادون»: متجاوزون عن حدّ الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات. أو: أحقّاء بأنّ يوصفوا بالعدوان لارتكابهم هذه الجريمة.[٢]

[١٦٧] «قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ».

«لئن لم تنته». أي عمّا تدّعيه.[٣]

«لم تنته» و ترجع عمّا تقوله و لم تمتنع عن دعوتنا و تقبيح أعمالنا. «من المخرجين» عن بلدنا.[٤]

«من المخرجين»؛ أي: من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا و طردناه من بلدنا. و لعلّهم كانوا يخرجون من أخرجوا على أسوأ حال من تعنيف و احتباس لأملاكه و كما يكون حال الظلمة إذا أجلوا بعض من يغضبون عليه و كما كان يفعل أهل مكّة بمن يريد المهاجرة.[٥]

[١٦٨] «قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ».

«من القالين»؛ أي: المبغضين غاية البغض لا أقف عن الإنكار عليه بالإبعاد. و هو أبلغ من أن يقول: إنّي لعملكم قال، لدلالته على أنّه معدود في زمرتهم مشهور بأنّه من جملتهم.[٦]

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٤ ـ ٣١٥.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٤.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٤.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٥.

٥ـ الكشّاف ٢ / ٣٣٠.

٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٤.

«من القالين»؛ أي: الكاملين في قلاكم. و القلى: البغض الشديد كأنّه بغض يقلي الفؤاد و الكبد. و المراد القلى من حيث الدين و التقوى.[١]

«من القالين»؛ أي: من المبغضين الكارهين.[٢]

[١٦٩] «رَبِّ نَجِّنِي وَ أَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ».

«ممّا يعملون»؛ أي: من عاقبة ما يعملونه و هو العذاب النازل.[٣]

[١٧٠] «فَنَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ».

«فنجّيناه و أهله». يعني من العذاب الذي وقع بهم. أو أنجيناه و أهله من نفس عملهم و يكون النجاة من العذاب النازل بهم تبعاً لذلك. و الأوّل أوضح. و يدلّ عليه قوله: «إلّا عجوزاً في الغابرين».[٤]

«و أهله»: أهل بيته و المتّبعين له على دينه بإخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب.[٥]

[١٧١] «إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ».

أراد بالعجوز امرأته. لأنّها كانت تدلّ أهل الفساد على أضيافه فكانت من الباقين في العذاب و هلكت فيما بعد مع من خرج من القرية بما أمطره الله الحجارة.[٦]

[١٧٢] «ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ».

«ثمّ دمّرنا الآخرين»: أهلكناهم بالخسف. و قيل: بالائتفاك و هو الانقلاب.[٧]

[١٧٣] «وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ».

١ـ الكشّاف ٢ / ٣٣١.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٥.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٥.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٥.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٤.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٥.
٧ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٥.

«و أمطرنا عليهم» أي على من كان غائباً منهم عن القرية الحجارة من السماء. «فساء»؛ أي: بئس و اشتدّ مطرهم.(١)

[١٧٤ ـ ١٧٥] «إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ».

[١٧٦] «كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ».

«أصحاب الأيكة». و هي الغيضة ذات الشجر الملتفّ. و هم أهل مدين. عن ابن‌عبّاس. و عن قتادة أنّهم غيرهم أرسل الله شعيباً إلى أمّتين.(٢)

الأيكة: غيضة تنبت ناعم الشجر. يريد غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله إليهم شعيباً كما بعث إلى مدين و كان أجنبيّاً منهم. و قيل: الأيكة شجر ملتفّ و كان شجر المقل. و ابن‌كثير و نافع و ابن‌عامر بحذف الهمزة و إلقاء حركتها على اللّام.(٣)

[١٧٧] «إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ».

«إذ قال لهم شعيب». و لم‌يقل: أخوهم، لأنّه لم‌يكن من نسبهم و كان من أهل مدين. فلذلك قال في ذلك الموضع: «و إلى مدين أخاهم شعيباً»(٤).(٥)

يروى أنّ شعيباً بعث إلى أمّتين: أصحاب مدين، و أصحاب الأيكة. فأهلكت مدين بصيحة جبرئيل عليه السلام و أهلكت أصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلّة. و ذلك أنّه حبس عنهم الريح سبعاً و سلّط عليهم الحرّ فأخذ بأنفاسهم لاينفعهم ظلّ و لا ماء و لا شرب فاضطرّوا إلى أن خرجوا إلى الصحراء فأظلّتهم سحابة و وجدوا لها برداً و نسيماً فاجتمعوا تحتها

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٥.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٦ ـ ٣١٧.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٥.

٤ـ الأعراف (٧) / ٨٥.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٧.

فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا.[١]

[١٧٨ ـ ١٧٩] «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَ أَطِيعُونِ».

[١٨٠] «وَ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«و ما أسألكم عليه من أجر». حكاية عن كلّ نبيّ، لأنّ أخذ الأجرة على الرسالة يوجب التنفير عن قبول قولهم.[٢]

[١٨١] «أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ».

«و أوفوا الكيل»؛ أي: أعطوا الواجب وافياً غير ناقص. و يدخل فيه إيفاء الكيل و الوزن و الذرع و العدد. «من المخسرين»؛ أي: من الناقصين للكيل و الميزان.[٣]

[١٨٢] «وَ زِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ».

«بالقسطاس المستقيم»؛ أي: بالعدل الذي لا حيف فيه. يعني: زنوا وزناً يجمع الإيفاء و الاستيفاء.[٤]

«بالقسطاس المستقيم»؛ أي: بالميزان السويّ.[٥]

[١٨٣] «وَ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَ لَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ».

«و لاتبخسوا الناس »؛ أي: لاتنقصوا الناس حقوقهم و لاتمنعوها. «و لاتعثوا في الأرض»؛ أي: لاتسعوا في الأرض بالفساد. و العثيّ أشدّ الفساد و الخراب.[٦]

١ـ تفسير النيسابوريّ ١٩ / ٧٦ ـ ٧٧، والكشّاف ٣ / ٣٣٤.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٧.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٧.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٧.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٥.

٦ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٧.

[١٨٤] «وَ اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ».

«و الجبلّة»؛ أي: الخليقة «الأوّلين». يعني: و خلق الأمم المتقدّمين.(١)

«و الجبلّة الأوّلين»؛ أي: ذوي الجبلّة الأوّلين. يعني من تقدّمهم من الخلائق.(٢)

[١٨٥ ـ ١٨٦] «قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَ إِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ».

«و ما أنت إلّا بشر». أتوا بالواو للدلالة على أنّه جامع بين وصفين منافيين للرسالة، مبالغة في التكذيب.(٣)

«و إن نظنّك»؛ أي: و إنّا نظنّك كاذباً من جملة الكاذبين. و إن هذه هي المخفّفة من المثقّلة.(٤)

«لمن الكاذبين». نصف القرآن باعتبار الآيات.

[١٨٧] «فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ».

«فأسقط». لعلّه جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد. قرأ حفص: «كسفا» بفتح السين، و الباقون بالسكون.(٥)

«كسفاً من السماء»؛ أي: قطعاً. جمع كسفة. «من الصادقين» في دعواك.(٦)

[١٨٨] «قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ».

«أعلم بما تعملون»؛ أي: بما تستوجبون عليها من العقاب. فإن أراد عقابكم بالكسف، فعل، و إن أراد عقاباً آخر، فإليه الحكم و المشيّة.(٧)

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٥.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٧.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٥.
٦ـ الكشّاف ٣ / ٣٣٣.
٧ـ الكشّاف ٣ / ٣٣٣.

«أعلم بما تعملون». يعني إن كان في علمه أنّه إن بقّاكم تبتم أو تاب بعضكم، لم يقتطعكم بالعذاب و إلّا أتاكم بعذاب الاستئصال.[١]

[١٨٩] «فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ».

«فأخذهم» الله بما اقترحوا من عذاب الظلّة، إن أرادوا بالسماء السحاب، و إن أرادوا المظلّة، فقد خالف بهم عن مقترحهم.[٢]

«يوم الظلّة»؛ أي: السحابة التي قد أظلّتهم فاحترقوا تحتها.[٣]

[١٩٠ ـ ١٩١] «إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ».

[١٩٢] «وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«و إنّه لتنزيل». يعني ما نزل من هذه القصص و الآيات. و المراد بالتنزيل المنزّل.[٤]

ثمّ بيّن سبحانه أمر القرآن بعد أن قصّ أخبار الأنبياء عليهم السلام ليتّصل بها حديث نبيّنا صلى الله عليه و آله فقال: «و إنّه لتنزيل ربّ العالمين».[٥]

«و إنّه لتنزيل». عن أبي عبدالله عليه السلام: الولاية لأميرالمؤمنين عليه السلام يوم غدير خمّ.[٦]

[١٩٣] «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ».

«نزل». أهل الحجاز و أبوعمرو و حفص: «نزل» بالتخفيف «الروحُ الأمين» بالرفع. و الباقون: «نزّل» بالتشديد «الروحَ الأمين» بالنصب. [«نزّل بـه»؛ أي:] نـزّل الله بـالقرآن «الروح الأمين»؛ أي: جبرئيل. و هو أمين عليه لايغيّره و لايبدّله. و سمّاه روحاً لأنّه يحيى

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٧.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٣٣٤.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٧.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٣٣٤.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٩ ـ ٣٢٠.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٢٤.

به الدين. و قيل: لأنّ جسمه روحانيّ.(١)

[١٩٤] «عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ».

«على قلبك»؛ أي: حفّظكه و فهّمك إيّاه و أثبته في قلبك إثبات ما لاينسى.(٢)

«على قلبك». هذا على سبيل التوسّع. لأنّ الله يسمعه جبرئيل فيحفظه، و ينزل به على الرسول و يقرأ عليه فيعيه و يحفظه، فكأنّه نزل به على قلبه. «لتكون من المنذرين»: لتخوّف به الناس.(٣)

[١٩٥] «بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ».

«بلسان». إمّا أن يتعلّق بالمنذرين. أي: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللّسان. و هم خمسة: هود و صالح و شعيب و إسماعيل و محمّد ﷺ. أو يتعلّق بنزّل. أي: نزّله باللّسان العربيّ لتنذر به، لأنّه لو نزّله باللّسان الأعجميّ لتجافوا عنه أصلاً و لقالوا: ما نصنع بما لانفهمه، فيتعذّر الإنذار. و في هذا الوجه أنّ تنزيله بالعربيّة التي هي لسانك تنزيل له على قلبك، لأنّك تفهمه و تفهّمه قومك، و لو كان أعجميّاً، لكان نازلاً على سمعك دون قلبك، لأنّك تسمع أجراس حروف لاتفهم معانيها. و قد يكون الرجل عارفاً بعدّة لغات، فإذا كلّم بلغته التي نشأ عليها، لم يكن قلبه إلّا إلى معاني الكلام يتلقّاها بقلبه و لايفطن للألفاظ كيف جرت. و إذا كلّم بغير لغته الأصليّة [و إن كان ماهراً بمعرفتها، كان نظره أوّلاً في ألفاظها ثمّ في معانيها]. فهذا تقرير أنّه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربيّ.(٤)

«بلسان عربيّ»؛ أي: بلغة العرب. «مبين» للناس ما يحتاجون إليه. و قيل: أراد لسان قريش ليفهموا ما فيه و لايقولوا ما نفهم ما يقول محمّد. و قد تضمّنت هذه الآية تشريف

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣١٨ و ٣٢٠.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٣٣٤.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٠.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

هذه اللّغة. و لذلك اختارها لأهل الجنّة.[١]

[١٩٦] «وَ إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ».

«و إنّه»؛ أي: القرآن. يعني ذكره. «لفي زبر الأوّلين»: مثبت في سائر الكتب السماويّة. و قيل: إنّ معانيه فيها. و به احتجّ أبوحنيفة على جواز القراءة بالفارسيّة في الصلاة لكونه قرآناً. و قيل: الضمير لرسول الله ﷺ و كذلك في «أن يعلمه». و ليس بواضح.[٢]

«و إنّه»؛ أي: و إنّ ذكر القرآن و خبره «لفي زبر الأوّلين»؛ أي: كتب الأوّلين على وجه البشارة لمحمّد ﷺ. و قيل: معناه أنّه أنزل على سائر الأنبياء من الدعاء إلى التوحيد و العدل و أقاصيص الأمم مثل الذي نزل في القرآن.[٣]

[١٩٧] «أَ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ».

«أو لم يكن لهم» علم علماء بني إسرائيل بمجيئه على ما تقدّمت البشارة دلالة [لهم] على صحّة نبوّته؟ لأنّ العلماء الذين آمنوا من بني إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم، و كانت اليهود تبشّر به و تستفتح على العرب به. و كان ذلك سبب إسلام الأوس و الخزرج. و علماء بني إسرائيل عبدالله بن سلام و أصحابه.[٤]

«آيةً». بالنصب، خبر «يكن» و «أن يعلمه» هو الاسم. و على القراءة الأخرى[٥] «آيةٌ» اسم و «أن يعلمه» خبر، أو يكون في «تكن» ضمير القصّة و «آية أن يعلمه» جملة واقعة موقع الخبر. و أمّا كتابة «علموا» بالواو، فهو على لغة من يميل الألف إلى الواو، كما في الصلوة و الزكوة.[٦]

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٠.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٣٣٥.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٠.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٠.
٥ـ قرأ ابن‌عامر: «أو لم تكن» بالتاء «آيةٌ» بالرفع. (المجمع ٧ / ٣١٨)
٦ـ الكشّاف ٣ / ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

[١٩٨ ـ ١٩٩] «وَ لَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ».

«الأعجمين»: جمع أعجميّ على التخفيف.(١)

و الأعجم: الذي لايفصح. و الأعجميّ أبلغ منه. و قرأ الحسن: «الأعجميّين». «و لو نزّلناه على بعض» الأعاجم الذي لايحسن العربيّة. «فقرأه عليهم» فصيحاً معجزاً، لكفروا به و لتكلّفوا لجحودهم عذراً و لسمّوه سحراً.(٢)

«على بعض الأعجمين»؛ أي: لو نزّلنا القرآن على رجل ليس من العرب أو من لايفصح، «ماكانوا به مؤمنين»: لم يؤمنوا به و أنفوا من اتّباعه، لكنّا أنزلناه بلسان العرب على أفصح رجل منهم من أشرف بيت ليتدبّروا فيه و ليكون أدعى إلى اتّباعه و تصديقه.(٣)

[٢٠٠ ـ ٢٠١] «كَذٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ».

«كذلك»: كما أنزلنا القرآن عربيّاً مبيناً «سلكناه»: أدخلناه و أوقعناه في قلوب الكافرين بأن أمرنا النبيّ ﷺ حتّى قرأه عليهم و بيّنه لهم. ثمّ بيّن أنّهم مع ذلك لايؤمنون به حتّى يروا العذاب فيلجئهم إلى الإيمان. و هذا إخبار عن الكفّار الذين علم الله أنّهم لايؤمنون به أبداً.(٤)

«سلكناه». أي الكفر و التكذيب. و هو مجاز عن تمكّنه في قلوبهم حتّى كأنّهم مجبولون عليه. و قوله: «لايؤمنون به» موضح لما قبله.(٥)

[٢٠٢ ـ ٢٠٣] «فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٦.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٣٣٦ ـ ٣٣٧.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٠.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٠.
٥ـ الكشّاف ٣ / ٣٣٧.

«فيأتيهم». أي العذاب الذي يتوقّعونه و يستعجلونه. «منظرون»؛ أي: مؤخّرون لنؤمن و نصدّق.(١)

[٢٠٤] «أَ فَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ».

«قال مقاتل: لمّا أوعدهم النبيّ ﷺ بالعذاب، استعجلوا العذاب تكذيباً به. فقال الله: «أ فبعذابنا يستعجلون» توبيخاً لهم.(٢)

[٢٠٥] «أَ فَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ».

«سنين». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خروج القائم عليه السلام.(٣)

«إن متّعناهم»: أنظرناهم و متّعناهم بشيء من الدنيا ثمّ أتاهم العذاب، لم يغن عنهم ما تمتّعوا في تلك السنين من النعيم لازديادهم في الآثام. و هو استفهام في معنى التقرير.(٤)

[٢٠٦ ـ ٢٠٧] «ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ».

[٢٠٨ ـ ٢٠٩] «وَ مَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ * ذِكْرَىٰ وَ مَا كُنَّا ظَالِمِينَ».

«منذرون»؛ أي: إلّا بعد إقامة الحجج عليهم بتقديم الإنذار. «ذكرى». مفعول له. أي: لأجل التذكير و الموعظة لهم ليتّعظوا. «ظالمين». أي بالإهلاك من غير إرسال. و فيه إبطال لقول من يقول إنّ كلّ ظلم و كفر في الدنيا فهو من إرادته. و غاية الظلم أن يعاقب عباده على ما خلقه فيهم و أراده منهم. تعالى عن ذلك و تقدّس.(٥)

[٢١٠ ـ ٢١١] «وَ مَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَ مَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَ مَا يَسْتَطِيعُونَ».

«و ما تنزّلت به»؛ أي: بالقرآن «الشياطين» كما يزعمه بعض المشركين. «و

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٠ ـ ٣٢١.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢١.
٣ـ تأويل الآيات ١ / ٣٩٢، ح ١٨.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢١.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢١.

ما يستطيعون»؛ أي: لايقدرون على ذلك. لأنّ الله يحرس المعجزة [عن] أن يموّه بها المبطل.(١)

«و ما تنزّلت». كانوا يقولون: إنّ محمّداً كاهن و ما يتنزّل عليه من جنس ما يتنزّل به الشياطين على الكهنة. فكذّبوا بأنّ ذلك ممّا لايتسهّل للشياطين و لايقدرون عليه لأنّهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء.(٢)

[٢١٢] «إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ».

«لمعزولون»؛ أي: مصروفون عن استماع القرآن عن المكان الذي يسمعون ذلك، ممنوعون عنه بالشهب الثاقبة. قالت قريش: إنّما تجيء بالقرآن الشياطين فتلقيه على لسان محمّد ﷺ فأكذبهم الله.(٣)

[٢١٣] «فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ».

«فلاتدع مع الله». الخطاب للنبيّ ﷺ و المراد به المكلّفون.(٤)

[٢١٤] «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ».

«و أنذر عشيرتك»؛ أي: أقاربك بالإفصاح من غير تليين بالقول كما تدعو إليه مقاربة العشيرة. خصّهم بالذكر حتّى ينقطع طمع الأجانب عن مداهنتهم في الدين. و قيل: إنّه أمر أن يبدأ بهم في الإنذار و الدعاء إلى الله ثمّ بالّذين يلونهم. و روي أنّه لمّا نزلت هذه الآية، جمع رسول الله ﷺ بني عبدالمطّلب ـ و هم يومئذ أربعون رجلاً ـ فصنع لهم رجل شاة [فأكلوا] حتّى تضلّعوا. ثمّ قال: إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي و رهطي. و إنّ الله لم يبعث نبيّاً إلّا جعل له من أهله أخاً و وزيراً و وارثاً و وصيّاً و خليفة في أهله. فأيّكم يقوم فيبايعني

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢١.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٣٢٩.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢١.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٢.

على أنّه أخي و وزيري و وصيّي و يكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي؟ فسكت القوم. فقال: ليقومنّ قائمكم أو ليكوننّ في غيركم. أعاد الكلام ثلاث مرّات. فقام عليّ عليه السلام فبايعه. فأجابه فقال: ادن منّي. فدنا منه. ففتح فاه و مجّ في فيه من ريقه و تفل بين كتفيه و ثديبه. فقال أبولهب: بئس ما حبوت به ابن عمّك أن أجابك فملأت فاه و وجهه بزاقاً! فقال صلى الله عليه و آله: ملأت فاه حكمة و علماً.(١)

«و أنذر عشيرتك الأقربين». أمر بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه.(٢)

[٢١٥] «وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».

«و اخفض جناحك»؛ أي: تواضع لهم و حسّن أخلاقك معهم.(٣)

«لمن اتّبعك». من إمّا للتبيين، لأنّ «من اتّبعك» أعمّ ممّن اتّبع لدين أو غيره، أو للتبعيض، على أنّ المراد من المؤمنين المشارفون للإيمان أو المصدّقون باللّسان.(٤)

و في قراءة ابن مسعود: «و أنذر عشيرتك الأقربين و رهطك منهم المخلصين». و روي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام هذا بلفظه.(٥)

[٢١٦] «فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ».

«فإن عصوك». يعني أقاربك بعد إنذارك إيّاهم و خالفوك فيما تدعوهم إليه. «فقل إنّي بريء» من عبادتكم الأصنام.(٦)

[٢١٧] «وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ».

قرأ أهل المدينة و ابن [عامر]: «فتوكّل» بالفاء، و الباقون بالواو. «على العزيز» المنتقم

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٢ ـ ٣٢٣.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٣٢٩.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٣.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٨.
٥ـ تأويل الآيات ١ / ٣٩٥.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٣.

من أعدائه «الرحيم» لأوليائه، ليكفيك كيد أعدائك.(١)

[٢١٨] «الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ».

«تقوم» في صلاتك. أو: حين تقوم باللّيل. لأنّه لايطّلع عليه أحد غيره. أو: حين تقوم للإنذار و أداء الرسالة.(٢)

[٢١٩] «وَ تَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ».

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «و تقلّبك في الساجدين» قال: في عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين و أهل بيته عليهم السلام.(٣)

«و تقلّبك»؛ أي: و يرى تصرّفك «في الساجدين»: في المصلّين بالركوع و السجود و القيام و القعود. و المعنى: يراك حين تقوم إلى صلاة اللّيل منفرداً و تقلّبك في الساجدين إذا صلّيت في جماعة. و قيل: معناه: و تقلّبك في أصلاب الموحّدين من نبيّ إلى نبيّ حتّى أخرجك نبيّاً. و هو المرويّ عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام. و عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: لاترفعوا قبلي و لاتضعوا قبلي. فإنّي أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي. ثمّ تلا هذه الآية.(٤)

«و تقلّبك في الساجدين»: تردّدك في تصفّح أحوال المتهجّدين. كما روي أنّه لمّا نسخ فرض قيام اللّيل، طاف تلك اللّيلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون، حرصاً على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير من أصواتهم بذكر الله و التلاوة.(٥)

[٢٢٠] «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

«السميع العليم»: يسمع ما تتلو في صلاتك و يعلم ما تضمر فيها.(٦)

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٣.

٣ـ تأويل الآيات ١ / ٣٩٦، ح ٢٣.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٨.

٦ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٤.

[٢٢١] «هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ».

لمّا أخبر سبحانه أنّ القرآن ليس ممّا تنزّل به الشياطين و أنّه وحي من الله، عقّبه بذكر من تنزّل عليه الشياطين.[١]

[٢٢٢] «تَنَزَّلُ عَلىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ».

«أفّاك أثيم»؛ أي: على كلّ فاجر كاذب. و هم الكهنة. و قيل: طليحة و مسيلمة. و أنت لست بكذّاب و لا أثيم فلاتتنزّل عليك الشياطين و إنّما تتنزّل عليك الملائكة.[٢]

[٢٢٣] «يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ».

«يلقون السمع»؛ أي: الشياطين يلقون ما يسمعونه إلى الكذّابين و الكهنة و يخلطونه كثيراً من الأكاذيب و يوحونه إليهم. و استراق الشياطين السمع من الملائكة و إلقاؤه إلى الكهنة، قبل أن يوحى إليه «فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً».[٣][٤]

«يلقون السمع»؛ أي: الأفّاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقّون منهم ظنوناً و أمارات لنقصان علمهم فيضمّون إليها على حسب تخيّلاتهم أشياء لاتطابق البرهان. كما جاء في الحديث: الكلمة يختطفها الجنّيّ فيقرّها في أذن وليّه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة. و لاكذلك محمّد ﷺ فإنّه أخبر عن مغيبات كثيرة لاتحصى و قد تطابق كلّها. و قد فسّر الأكثر بالكلّ؛ لقوله: «كلّ أفّاك أثيم». و الأظهر أنّ الأكثريّة باعتبار أقوالهم على [معنى أنّ] هؤلاء قلّ من يصدق منهم فيما يحكي عن الجنّيّ. و قيل: الضمائر للشياطين. أي: يلقون السمع إلى الملأ الأعلى قبل أن يرجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات و يلقون إلى أوليائهم و أكثرهم كاذبون [فيما يوحون] به، إذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلّمت به الملائكة لشرارتهم أو

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٥.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٥.

٣ـ الجنّ (٧٢) / ٩.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٥.

لقصور فهمهم.(١)

[٢٢٤ ـ ٢٢٦] «وَ الشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ».

«و الشعراء يتّبعهم الغاوون». عن ابن عبّاس: شعراء المشركين. [و ذكر مقاتل أسماءهم فقال:] منهم ابن الزبعرىٰ [و...] تكلّموا بالكذب و قالوا: نحن نقول مثل ما قال محمّد. و اجتمع إليهم غواة من قومهم يسمعون أشعارهم و يروون عنهم حين يهجون النبيّ و أصحابه. فذلك قوله: «يتّبعهم الغاوون». و قيل: أراد بالشعراء الذين غلبت عليهم الأشعار حتّى اشتغلوا بها عن القرآن و السنّة و أكثرهم فسّاق غواة. و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: هم قوم تعلّموا و تفهّموا بغير علم فضلّوا و أضلّوا و هم «في كلّ واد»؛ أي: في كلّ فنّ من الكذب يتكلّمون و في كلّ لغو يخوضون يمدحون و يذمّون بالباطل. «لا يفعلون»؛ أي: يحثّون على أشياء لا يفعلونها و ينهون عن أشياء يرتكبونها.(٢)

«يتّبعهم». قرأ نافع على التخفيف. «و الشعراء يتّبعهم الغاوون». و أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله ليسوا كذلك. و هو استئناف أبطل كونه شاعراً. و قرّره بقوله: «ألم تر أنّهم في كلّ واد يهيمون». لأنّ أكثر مقدّماتهم خيالات لا حقيقة لها و أكثر كلماتهم في الغزل و تمزيق الأعراض و القدح في الأنساب و الوعد الكاذب و الافتخار الباطل و مدح من لا يستحقّه. و إليه أشار بقوله: «و أنّهم يقولون ما لا يفعلون». فكأنّه لمّا كان إعجاز القرآن من جهة المعنى و اللّفظ و قد قدحوا في المعنى بأنّه ممّا تنزّلت به الشياطين و في اللّفظ بأنّه من جنس كلام الشعراء، تكلّم في القسمين و بيّن منافاة القرآن لهما و مضادّة حال الرسول حال أربابهما.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام: «و الشعراء يتّبعهم الغاوون» نزلت في الذين غيّروا دين الله و تركوا ما أمر الله. ولكن هل رأيتم شاعراً قطّ تبعه أحد؟ إنّما عنى الذين وضعوا ديناً بآرائهم فتبعهم

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٨.

٢ـ تأويل الآيات ١ / ٤٠٠، ح ٣١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٨ ـ ١٦٩.

الناس.(١)

و عن الفرزدق أنّ سليمان بن عبدالملك سمع قوله:

فبتن بجانبيّ مصرعات و بتّ أفضّ أغلاق الختام

فقال: وجب عليك الحدّ. قال: درأ الله عنّي الحدّ يا أميرالمؤمنين. فتلا قوله: «و أنّهم يقولون ما لايفعلون».(٢)

[٢٢٧] «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ ذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ».

«إلّا الذين آمنوا». استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله و يكون أكثر أشعارهم في التوحيد و الثناء على الله و الحثّ على طاعته، و لو قالوا هجواً أرادوا به الانتصار ممّن هجاهم، كعبدالله بن رواحة و حسّان بن ثابت. وكان عليه السلام يقول لحسّان: قل و روح القدس معك. و قال لكعب بن مالك: اهجهم. فو الذي نفسي بيده لهو أشدّ عليهم من النبل.(٣)

«من بعد ما ظلموا». يعني شعراء المسلمين الذين قابلوا هجو المشركين و انتصروا منهم. و هو نظير قوله: «لايحبّ الله الجهر بالسوء من القول إلّا من ظلم».(٤) «أيّ منقلب». و هو النار.(٥)

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: «و سيعلم الذين ظلموا آل محمّد عليهم السلام حقّهم أيّ منقلب ينقلبون». هكذا نزلت.(٦)

و قوله: «و انتصروا من بعد ما ظلموا» قال: هم أميرالمؤمنين و ولده عليهم السلام. «و سيعلم الذين ظلموا» آل محمّد حقّهم.(٧)

١ـ تأويل الآيات ١ / ٤٠٠، ح ٣١.
٢ـ تفسير النيسابوريّ ١٩ / ٨٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٦٩.
٤ـ النساء (٤) / ١٤٨.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٦.
٦ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٢٥.
٧ـ تأويل الآيات ١ / ٤٠٠، ح ٣١. عن الصادق عليه السلام.

۲۷.
سورة النمل

عنه صلی الله علیه و آله: من قرأ طس سليمان، كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق سليمان و كذّب به.[۱]

عنه صلی الله علیه و آله: من قرأها، كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق سليمان و كذّب به و هود و صالح و شعيب و إبراهيم علیهم السلام و يخرج من قبره و هو ينادي: لا إله إلّا الله.[۲]

و عن الصادق علیه السلام: من قرأ الطواسين الثلاث ـ الحديث، و قد مرّ.

النمل: من أراد ألّا يخرج عليه الدرهم الزيف، فليقرأ عليه آخر آية من النمل.[۳]

[۱] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ * طس * تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَ كِتَابٍ مُبِينٍ».

«تلك آيات». الإشارة إلى آي السورة. و الكتاب المبين، إمّا اللّوح و إبانته أنّه خطّ فيه ما هو كائن فهو يبيّنه للناظرين، أو القرآن و إبانته لما أودع فيه من الحكم و الأحكام أو لصحّته بإعجازه، و عطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى.[٤]

[۲] «هُدىً وَ بُشْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ».

«هدًى و بشرى». حالان من الآيات. و العامل فيهما معنى الإشارة.[٥]

۱ـ مجمع البيان ۷ / ۳۲۷.
۲ـ المصباح / ٥٨٧.
۳ـ المصباح / ٦٠٨.
٤ـ تفسيرالبيضاويّ ۲ / ۱۷۰.
٥ـ تفسيرالبيضاويّ ۲ / ۱۷۰.

[٣] «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ».

[٤] «إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ».

«زيّنّا لهم أعمالهم» بأن خلقنا فيهم شهوة القبيح الداعية إلى فعل المعاصي ليجتنبوا المشتهى. «فهم يعمهون» عن هذا المعنى و يتردّدون. و قيل: معناه: حرمناهم التوفيق [عقوبة] لهم على كفرهم فتزيّنت أعمالهم في أعينهم و حلّيت في صدورهم.(١)

«زيّنّا لهم أعمالهم». فإن قلت: كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته و قد أسنده إلى الشيطان في قوله: «و زيّن لهم الشيطان أعمالهم»(٢)؟ قلت: الإسناد إلى الله عزّ و جلّ مجاز من باب الاستعارة. و ذلك أنّه متّعهم بطول العمر و سعة الرزق و جعلوا إنعام الله بذلك ذريعة إلى اتّباع شهواتهم، فكأنّه زيّن لهم بذلك أعمالهم. و إليه أشارت الملائكة في قولهم: «ولكن متّعتهم و آباءهم حتّى نسوا الذكر».(٣) و يجوز أن يكون من باب المجاز الحكميّ. لأنّ إمهاله الشيطان و تخليته حتّى يزيّن لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند إليه. و قيل: هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها، زيّنها لهم الله فعموا عنها و ضلّوا. و العمه: التحيّر و التردّد.(٤)

[٥] «أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَ هُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ».

«سوء العذاب»: القتل و الأسر يوم بدر.(٥)

«هم الأخسرون»: أي: لا أحد أخسر صفقة منهم لأنّهم يخسرون الثواب و يحصلون بدلاً منه العقاب.(٦)

[٦] «وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ».

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٩.
٢ـ النمل (٢٧) / ٢٤.
٣ـ الفرقان (٢٥) / ١٨.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٣٤٨.
٥ـ الكشّاف ٣ / ٣٤٨.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٩.

«لتلقّ القرآن»؛ أي: تعطاه. لأنّ الملك تلقيه من قبل الله سبحانه. و قيل: معناه: لتلقّن.[١]

«حكيم عليم» أيّ حكيم [و] أيّ عليم. و الجمع بينهما، مع أنّ العلم داخل في الحكمة، للإشعار بأنّ علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقائد و الشرائع و منها ما ليس كذلك كالقصص و الأخبار عن المغيبات.[٢]

[٧] «إِذْ قَالَ مُوسىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ».

ثمّ شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله: «و إذ قال موسى». «سآتيكم منها». و جمع الضمير، إن صحّ أنّه لم يكن معه غير امرأته، لما كنى عنها بالأهل. و السين للدلالة على بعد المسافة و الوعد بالإتيان و إن أبطأ.[٣]

«إذ قال موسى»؛ أي: اذكر قصّة موسى «إذ قال لأهله»؛ أي: امرأته بنت شعيب. «آنست»؛ أي: أبصرت و رأيت ناراً. «سآتيكم منها بخبر»؛ أي: الزموا مكانكم لعلّي آتيكم من هذه النار بخبر عن الطريق. لأنّه كان أضلّ الطريق. «بشهاب قبس»؛ أي: شعلة نار. و إنّما قال لامرأته: «آتيكم» على خطاب الجمع، لأنّه أقامها مقام الجماعة في الأنس بها في الأمكنة الموحشة. «لعلّكم تصطلون»؛ أي: لكي تستدفئوا بها. و ذلك لأنّه قد أصابهم البرد و كانوا شاتين. قرأ أهل الكوفة: «بشهاب قبس» منوّناً غير مضاف. و قرأ الباقون: «بشهاب قبس» مضافاً.[٤]

القبس: النار المقبوسة.[٥]

«بشهاب قبس»: شعلة نار مقبوسة. و إضافة الشهاب إليه لأنّه يكون قبساً و غير قبس. و نوّنه الكوفيّون على أنّ القبس بدل منه أو وصف له لأنّه[٦] بمعنى

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٢٩.

٢ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٧١.

٣ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٧١.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٣٠و ٣٢٨.

٥ـ الكشّاف ٣ / ٣٤٩.

٦ـ في النسخة زيادة: «لا يكون قبساً».

المقبوس.[١]

[٨] «فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَ مَنْ حَوْلَهَا وَ سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

«جاءها»؛ أي: جاء موسى إلى النار. يعني التي ظنّ أنّها نار و هي نور. «نودي أن بورك من في النار». لمّا رأى موسى النار، وقف قريباً منها فرآها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة فلم تكن النار تحرق الشجرة و لا رطوبة الشجرة تطفئ النار. فعجب منها و أهوى إليها بضغث في يده ليقتبس منها [فهالت إليها] فخافها فتأخّر عنها. ثمّ لم تزل تطمعه و يطمع فيها إلى أن نودي، و هو نداء الوحي. «في النار»؛ أي: بورك فيمن في النار، و هم الملائكة، «و من حولها» يعني موسى. و كان فيها ملائكة لهم زجل بالتقديس و التسبيح. و من حولها هو موسى لأنّه بالقرب منها. و مخرجه الدعاء و المراد به الخبر. و قيل: بورك من في النار سلطانه. فالبركة ترجع إلى اسم الله تعالى. و قيل: معناه: بورك من أتى في طلب النار و هو موسى و من حولها الملائكة. أي: دامت البركة لموسى و الملائكة. و هذا تحيّة من الله لموسى بالبركة. «سبحان الله»؛ أي: تنزيهاً له من أن يكون جسماً يحتاج إلى جهة أو يكون ممّن يتكلّم بآلة.[٢]

«أن بورك»: أي بورك. فإنّ النداء فيه معنى القول. «من في النار و من حولها»؛ أي: [من] في مكان النار ـ و هو البقعة المباركة المذكورة في قوله: «نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة»[٣] ـ و من حول مكانها. و الظاهر أنّه عامّ في كلّ من في تلك البقعة و حواليها من أرض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الأنبياء و كفاتهم أحياء و أمواتاً خصوصاً تلك البقعة التي كلّم الله فيها موسى. «و سبحان الله». من تمام ما نودي به، لئلّايتوهّم من السماع تشبيهاً.[٤]

١ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٧١.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٣٠ ـ ٣٣١.

٣ـ القصص (٢٨) / ٣٠.

٤ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ /١٧١.

[٩] «يَا مُوسىٰ إِنَّهُ أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

«أنا الله»؛ أي: إنّ الذي يكلّمك هو الله الذي لايغالب.(١)

«إنّه أنا الله». الهاء للشأن، و «أنا الله» جملة مفسّرة له.(٢)

[١٠] «وَ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسىٰ لَاتَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ».

ثمّ أراه آية يعرف بها صحّة النداء فقال: «و ألق عصاك». فألقاها فصارت حيّة.«كأنّها جانّ»؛ أي: [تتحرّك] كما يتحرّك الجانّ. و هي الحيّة التي ليست بعظيمة. و إنّما شبّهها بالجانّ في خفّة حركتها و اهتزازها مع أنّها ثعبان في عظمها و لذلك هاله ذلك حتّى «ولّى مدبراً»؛ أي: رجع إلى ورائه. «و لم يعقّب»؛ أي: لم يرجع. و المفسّرون يقولون: لم يلتفت و لم يقف. «إنّي لايخاف لديّ». هذا تسكين من الله لموسى.(٣)

«و ألق عصاك» عطف على بورك. «لايخاف لديّ المرسلون»؛ أي: لايكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون.(٤)

[١١] «إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«إلّا من ظلم»؛ أي: لكن من ظلم نفسه بفعل القبيح من غير المرسلين. فيكون استثناء منقطعاً. و إنّما حسن ذلك لاجتماع الأنبياء و غيرهم في معنًى يشملهم و هو التكليف. «ثمّ بدّل حسنا»؛ أي: توبة و ندماً على ما فعله من القبيح. «غفور رحيم»؛ أي: ساتر لذنبه.(٥)

«إلّا من ظلم»؛ أي: ولكن من ظلم منهم؛ أي: فرطت منهم صغيرة ممّا يجوز على الأنبياء كالذي فرط من آدم و يونس و داوود و سليمان و إخوة يوسف و من موسى بوكزة القبطيّ.

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٣١.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٧١.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٣١.

٤ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٧١.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣٣٢.

و يوشك أن يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى. و هو من التعريضات التي يـلطف مأخذها. و سمّاه ظلماً كما قال موسى: «ربّ إنّي ظلمت نفسي»[١][٢].

[١٢] «وَ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ».

«و أدخل يدك». أعطاه آية أخرى. «في تسع آيات»؛ أي: مع تسع آيات أخـر أنت مرسل بها إلى فرعون. «فاسقين»: خارجين عن طاعة الله.[٣]

«في جيبك». لأنّه كان بمدرعة صوف لا كمّ لها. «من غير سوء»؛ أي: آفة كبرص. «في تسع آيات»: في جملتها، أو معها، على أنّ التسع هي الفلق و الطوفان و الجراد و القمّل و الضفادع و الدم و الطمسة و الجدب في بواديهم و النقصان في مزارعهم.[٤]

[١٣] «فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ».

قرأ عليّ بن الحسين عليه السلام: «مبصرة» بفتح الميم و الصاد. «مبصرة»: واضحة بيّنة على من أبصر أنّها خارجة عن قدرة البشر.[٥]

«مبصرة»: بيّنة. اسم فاعل أطلق للمفعول، إشعاراً بأنّها لفرط اجتلائها للأبصار بحيث يكاد تبصر نفسها لو كانت ممّا تبصر، أو مبصرة كلّ من نظر إليها و تأمّل فيها.[٦]

[١٤] «وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ».

«و جحدوا بها». الباء زائدة. أي: أنكروها و لم يقرّوا أنّها من عند الله «و استيقنتها أنفسهم»: علموها بقلوبهم. و إنّما جحدوها بألسنتهم ظلماً على بني إسرائيل ـ أو على

١ـ القصص (٢٨) / ١٦.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٣٥١.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٣٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٧٢.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣٣١ و ٣٣٣.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٧٢.

أنفسهم ـ و طلباً للعلوّ و تكبّراً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى. «عاقبة المفسدين». و هو الإغراق في الدنيا و الإحراق في الآخرة.(١)

[١٥] «وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْماً وَ قَالَا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلىٰ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ».

«علماً»؛ أي علماً بالقضاء بين الخلق و بكلام الطير و الدوابّ. عن ابن‌عبّاس. «فضّلنا على كثير» بأن جعلنا أنبياء و بالمعجزة و العلم و إلانة الحديد و تسخير الشياطين.(٢)

[١٦] «وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ».

«و ورث سليمن داوود». يدلّ على أنّ الأنبياء يورّثون المال كتوريث غيرهم. و قيل: معناه أنّه ورثه علمه و نبوّته و حكمته و ملكه دون سائر أولاده و كانوا تسعة عشر. و معنى الميراث هنا أنّه قام مقامه في ذلك. فأطلق عليه اسم الإرث كما أطلق على الجنّة اسم الإرث. و هذا خلاف الظاهر و الصحيح عند أهل‌البيت عليهم السلام هو الأوّل. و قال سليمان مظهراً لنعمة الله: «يا أيّها الناس» ـ الآية.(٣)

«منطق الطير». إطلاق المنطق على أصوات الطيور إمّا مجازاً و إمّا حقيقة لأنّ منها ما له كلام مهجيّ كالطوطي. و قيل: إنّ الطير كانت تكلّم الناس معجزة له كما أخبر عن الهدهد. [و لعلّ سليمان عليه الصلاة و السلام مهما سمع صوت حيوان، علم بقوّته القدسيّة التخيّل الذي صوّته و الغرض الذي توخّاه به.] و من ذلك أنّه مرّ ببلبل يصوّت و يرقص فقال: [يقول:] إذا أكلت نصف تمرة، فعلى الدنيا العفا. و صاحت فاختة فقال: إنّها تقول: ليت الخلق لم يخلقوا. فلعلّه كان صوت البلبل عن شبع و فراغ بال و صياح الفاختة عن مقاساة

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٣٣.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٣٤.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٣٤.

شدّة. و الضمير في «علّمنا» و «أوتينا» له و لأبيه، أو له وحده على عادة الملوك. «من كلّ شيء» يؤتى الأنبياء و الملوك. و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أعطي سليمان ملك مشارق الأرض و مغاربها. فملك سبعمائة سنة و ستّة أشهر ملك أهل الدنيا كلّهم و أعطي [علم] كلّ شيء و منطق كلّ شيء. «إنّ هذا لهو الفضل». من سليمان على وجه الاعتراف بنعم الله. و يحتمل أن يكون من قول الله سبحانه على وجه الإخبار.(١)

[١٧] «وَ حُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ».

«و حشر لسليمان»؛ أي: جمع له جنوده. لأنّه كان إذا أراد سفراً، جمع له طوائف من هؤلاء الجنود على بساط ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء و الأرض. و كان معسكره مائة فرسخ خمسة و عشرون منها للإنس و خمسة و عشرون للجنّ و مثلها للوحش و الطير. و كان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة صريحة و سبعمائة سريّة فيأمر الريح العاصف فترفعه و يأمر الرخاء فتسير به. فأوحى الله [إليه] و هو يسير بين السماء و الأرض أنّي زدت في ملكك أنّه لايتكلّم أحد من الخلائق بشيء إلّا جاءت الريح فأخبرتك. و قد نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في إبريسم. و كان يوضع فيه منبر من الذهب فيقعد و حوله ثلاثة آلاف كرسيّ من ذهب و فضّة يقعد الأنبياء على كراسيّ الذهب و العلماء على كراسيّ الفضّة و تظلّه الطير بأجنحتها حتّى لايقع عليه الشمس و ترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح و من الرواح إلى الصباح. «فهم يوزعون»؛ أي: يمنعون. لأنّ على كلّ صنف من جنوده وزعة ترد أوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا و لايتفرّقوا.(٢)

[١٨] «حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٣٤ ـ ٣٣٥، و تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٧٣.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ».

قال الزمخشريّ: روي أنّ قتادة دخل الكوفة و التفت عليه الناس فقال: سلوا عمّا شئتم. و كان أبوحنفية حاضراً ـ و هو غلام حدث ـ فقال: سلوه عن نملة سليمان ذكراً كانت أم أنثى. فسألوه، فأفحم. فقال أبوحنيفة: كانت أنثى؛ بدليل قوله: «قالت نملة». و ذلك أنّ النملة مثل الحمامة و الشاة في وقوعها على الذكر و الأنثى فيميز بينهما بعلامة نحو قوله: حمامة ذكر، و حمامة أنثى.[١] انتهى. و قال ابن الحاجب: إنّ مثل الشاة و الحمامة و النملة من الحيوانات تأنيث لفظيّ. و لذلك كان قول من زعم أنّ النملة في قوله: «قالت نملة» أنثى لورود تاء التأنيث في قالت وهماً، لجواز أن يكون مذكّراً في الحقيقة و ورود التأنيث كورودها في فعل المؤنّث اللّفظيّ. و لذا قيل: إفحام قتادة خير من جواب أبي‌حنيفة.

أقول: أمّا قتادة، فإنّه أراد أن يرتقي إلى غير محلّه؛ كما ورد أنّه قال: إنّ عليّ بن أبي‌طالب قال على هذا المنبر: «سلوني قبل أن تفقدوني» و أنا أقول ذلك. فأفحمه أبوحنيفة مع حداثة سنّه. فغلّطه ابن‌الحاجب. فالقوم ما بين مفحم و غالط. و الحمد لله.

«أتوا على واد النمل»: أشرفوا على واد بالطائف، و قيل بالشام. «قالت نملة»؛ أي: صاحت للنمل. و كانت رئيسة لها. و فهم صوتها سليمان. فلذا عبّر عنه بقوله: «قالت». «لايحطمنّكم»؛ أي: لايكسّرنّكم و لايطأنّكم. «و هم لايشعرون» بمكانكم، و إلّا لم يفعلوا. و كأنّها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم و الإيلام. و قيل: استئناف. أي: فهم سليمان و القوم لايشعرون. و هذا يدلّ على أنّ سليمان و جنوده كانوا ركباناً و مشاة على الأرض و لم تحملهم الريح، و إلّا لما خافت النملة. و لعلّ هذه القصّة كانت قبل تسخير الريح. قال ابن‌عبّاس: فوقف سليمان بجنوده حتّى دخل النمل مساكنها.[٢]

«واد النمل». هو واد ينبت الذهب و الفضّة وقد وكّل الله به النمل. و قد قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ لله وادياً ينبت الذهب و الفضّة و قد حماه بأضعف خلقه ـ و هو النمل ـ

١ـ الكشّاف ٣ / ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٣٦، و تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٧٣.

لو رامته البخاتيّ، ما قدرت عليه.[١]

عن الرضا عليه السلام: انّ النملة لمّا قالت: «ادخلوا مساكنكم» قال لها سليمان: أما عملت أنّي نبيّ الله و أنّي لا أظلم أحداً؟ فلم حذّرتهم ظلمي؟ قالت النملة: خشيت أن ينظروا إلى زينتك فيفتتنوا بها فيبعدوا عن الله تعالى ذكره.[٢]

تلك النملة كانت اسمها طاخية.[٣] من اللّيلة الطخياء، و هي المظلمة.

[١٩] «فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلىٰ وَالِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَ أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ».

«فتبسّم» من حذرها و تحذيرها، أو بما خصّه الله من إدراك همسها و فهم غرضها.[٤]

«ضاحكاً». قيل: لظهور عدله حيث [بلغ عدله في الظهور مبلغاً عرفه] النمل. و قيل: إنّ الريح أطارت كلامها إليه من ثلاثة أميال حتّى سمع ذلك [فتبسّم من حذرها]. «أوزعني»؛ أي: ألهمني. «أنعمت عليّ» بأن علّمتني منطق الطير و أكرمتني بالنبوّة و الملك، و على والدي بالنبوّة و فصل الخطاب و ألنت له الحديد، و على والدتي بأن زوّجتها نبيّك. «و أن أعمل»؛ أي: وفّقني لأن أعمل صالحاً في المستقبل. «في عبادك». قال ابن‌عبّاس: يعني إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و من بينهم من النبيّين. أي: أدخلني في جملتهم و أثبت اسمي مع أسمائهم.[٥]

[٢٠] «وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ».

«و تفقّد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد»؛ أي: ما للهدهد لا أراه؟ تقول العرب: ما لي أراك كئيباً؟ فهو من باب القلب الذي يوضحه المعنى. و سبب تفقّده الهدهد أنّه احتاج إليه

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٢٩ ـ ١٢٧.
٢ـ علل الشرائع ١ / ١٩٢.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٣٥٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٧٣.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣٣٦.

في سفره لأنّه كان دليله على الماء، لأنّه كان يرى الماء في بطن الأرض كما يراه في القارورة.
و قال أبوحنيفة لأبي عبدالله عليه السلام: كيف تفقّد سليمان الهدهد من بين الطيور؟ قال: لأنّ الهدهد يرى الماء في بطن الأرض. فضحك أبوحنيفة و قال: كيف لايرى الفخّ في التراب؟ فقال: أماعلمت أنّه إذا نزل القدر غشي البصر؟ و قيل: كانت الطيور تظلّه من الشمس. فلمّا أخلّ الهدهد بمكانه، بان بطلوع الشمس عليه.[١]

«أم كان من الغائبين». أم منقطعة. كأنّه لمّا لم يره، ظنّ أنّه حاضر و لايراه لساتر ستره أو غير ذلك فقال: «ما لي لاأرى»؟ ثمّ احتاط فلاح له أنّه غائب فأضرب عن ذلك و أخذ يقول: أهو غائب؟ كأنّه يسأل عن صحّة ما لاح له.[٢]

[٢١] «لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ».

«عذاباً شديداً» كنتف ريشه و إلقائه في الشمس أو حيث النمل تأكله، أو جعله مع ضدّه. «أو لأذبحنّه» ليعتبر به أبناء جنسه. «بسلطان مبين»: بحجّة تبين عذره.[٣]

«أو ليأتينّي». ابن‌كثير: «أو ليأتينّني» بنونين أولاهما مشدّدة. من قرأ: «ليأتينّي» حذف النون الثالثة التي هي قبل ياء المتكلّم لاجتماع النونات. و من قرأ: «ليأتينّني» فهو على الأصل.[٤]

و سأل سليمان عريف الطير ـ و هو النسر ـ عن الهدهد، فلم‌يجد عنده علمه. ثم قال لسيّد الطير ـ و هو العقاب ـ: عليّ به. فارتفعت فنظرت، فإذا هو مقبل. فقال الهدهد: بحقّ الله إلّا تركتني. فقالت: ثكلتك أمّك! إنّ نبيّ الله حلف ليعذّبنّك. فقال: و ما استثنى؟ قالت: بلى. [قال:] أو ليأتينّي بعذر مبين. فلمّا قرب من سليمان، أرخى ذنبه و جناحيه يجرّها على الأرض تواضعاً له. فلمّا دنا منه، أخذ برأسه فمدّه إليه. فقال: يا نبيّ الله، اذكر وقوفك بين يدي

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٣٩ ـ ٣٤٠.
٢ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٧٣ ـ ١٧٤.
٣ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٧٤.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

الله. فارتعد سليمان و عفا عنه.[١]

[٢٢] «فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ».

«فمكث غير بعيد»؛ أي: فلم يلبث سليمان إلّا زماناً يسيراً حتّى جاء الهدهد فأتاه الهدهد بحجّة فقال: «أحطت»؛ أي: اطّلعت على ما لم يطّلع عليه و لم يخبرك به الجنّ و لم يطّلع عليه الإنس. و في مخاطبته إيّاه بذلك، تنبيه له على أنّ في أدنى خلق الله من أحاط بما لم تحط به لتتحاقر إليه نفسه و يتصاغر إليه علمه.[٢]

«فمكث». قرأ عاصم و يعقوب: «فمكث» بفتح الكاف، و الباقون بضمّها. و قرأ أبوعمرو و ابن‌كثير في رواية البزّيّ: «من سبأ» بفتح الهمزة غير منصرف. و ابن‌كثير في رواية القوّاس: «سبا» بغير همز. و مكَث و مكُث لغتان. و سبأ إن جعلته اسم الحيّ أو أبا القبيلة، كان منصرفاً؛ و إن جعلته اسم القبيلة، كان غير منصرف.[٣]

«من سبأ». و هي اسم مدينة بأرض اليمن بعث الله إلى أهلها اثني‌عشر نبيّاً. و عنه ﷺ أنّ سبأ رجل ولد له عشرة أولاد من العرب تيامن منهم ستّة و تشاءم أربعة.[٤]

«فقال أحطت» بإدغام الطاء في التاء بإطباق و بغير إطباق. قالوا: و فيه دليل على بطلان قول الرافضة أنّ الإمام لايخفى عليه شيء و لايكون في زمانه أحد أعلم منه.[٥]

لايخفى ما في كلامه على الرافضة من التهافت و البطلان. لأنّ للرافضة أصولاً و قواعد مأخوذة من كلام الأئمّة الأطهار عليهم السلام. فلمّا لم يطّلع عليها، أتى بما قال.

[٢٣] «إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ».

«تملكهم»؛ أي: تتصرّف فيهم بحيث لايعترض عليها أحد. «من كلّ شيء». إخبار عن

١ـ الكشّاف ٣ / ٣٥٨.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٤٠، و الكشّاف ٣ / ٣٥٩.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٣٧ و ٣٣٨.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٤٠.
٥ـ الكشّاف ٣ / ٣٥٩.

سعة ملكها. أي: من كلّ شيء يحتاج إليه الملوك من زينة الدنيا. و هي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ و ولدها أربعون ملكاً آخرهم أبوها. «عرش عظيم»؛ أي: سرير أعظم من سريرك. و كان مرصّعاً بالجواهر. و كان ثلاثين ذراعاً و ارتفاعه في الهواء كذلك. و قيل: المراد بالعرش الملك. روي أنّه عليه السلام لمّا أتمّ بناء بيت‌المقدس، تجهّز للحجّ فوافى الحرم فأقام به ما شاء. ثمّ توجّه إلى اليمن فخرج من مكّة صباحاً فوافى صنعاء ظهيرة فأعجبته نزاهة أرضها، فنزل بها، ثمّ لم يجد الماء. و كان الهدهد رائده لأنّه يحسن طلب الماء. فتفقّده لذلك فلم يجده؛ إذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهداً واقعاً فانحطّ إليه فتواصفا فطار معه لينظر ما وصف له، ثمّ رجع بعد العصر و حكى ما حكى من عجائب قدرة الله و ما خصّ به خاصّة عباده.[١]

«عرش عظيم». إن قلت: كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان؟ قلت: يجوز أن يستصغر حالها إلى حال سليمان عليه السلام فاستعظم لها ذلك العرش. و يجوز أن لايكون لسليمان مثله و إن عظمت مملكته في كلّ شيء. و أمّا خفاء مكانها على سليمان و بينهما مسافة ثلاثة أيّام، فلعلّه لمصلحة كما أخفى مكان يوسف على يعقوب.[٢]

[٢٤] «وَجَدْتُهَا وَ قَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ».

«زيّن لهم الشيطان أعمالهم». يعني عبادة الشمس و غيرها. «فصدّهم عن السبيل» الحقّ «فهم لايهتدون» إليه.[٣]

«يسجدون للشمس». لأنّهم كانوا مجوساً يعبدون الشمس.[٤]

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٤١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٧٤.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٣٦٠ ـ ٣٦١.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٧٤.

٤ـ الكشّاف ٣ / ٣٦٠.

[۲۵] «أَلَّا يَسْجُدُوا لِلّٰهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ».

«ألّايسجدوا»؛ أي: فصدّهم لئلّايسجدوا. أو: زيّن لهم ألّايسجدوا، على أنّه بدل من أعمالهم. و على قراءة: «ألا» بالتخفيف، يكون للتنبيه و يا للنداء و المنادى محذوف. أي: ألا يا قوم اسجدوا. فيكون استئنافاً من الله أو من سليمان و الوقف على «لايهتدون».[۱]

«يخرج الخبء». هو المخبوء و هو ما أحاط به غيره حتّى منع من إدراكه. و هو مصدر وصف به. و ما يخرجه الله من العدم إلى الوجود يكون بهذه المنزلة. و قيل: الخبء: الغيب. يعني: يعلم غيب السموات و الأرض. و قيل: خبء السماء المطر. و خبء الأرض النبات و الأشجار. «ألّايسجدوا». قرأ أبوجعفر و الكسائيّ: «ألايسجدوا» خفيفة اللّام. و قرأ الكسائيّ و حفص عن عاصم: «ما تخفون و ما تعلنون» بالتاء، و الباقون بالياء.[۲]

[۲۶] «اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ».

[۲۷] «قَالَ سَنَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ».

«قال سننظر»؛ أي: سنعرف. من النظر بمعنى التأمّل.[۳]

[۲۸ ـ ۲۹] «اذْهَبْ بِكِتَابِي هٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَا ذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ».

«اذهب بكتابي». و ذلك أنّ سليمانعليه السلام كتب كتاباً و ختمه بخاتمه ثمّ دفعه إليه. «فألقه إليهم»؛ يعني: إلى أهل سبأ. «ثمّ تولّ عنهم»؛ أي: استتر منهم قريباً منهم بعد إلقاء الكتاب. فمضى بالكتاب و ألقاه إليهم. فلمّا رأته بلقيس «قالت» لقومها: «ياأيّها الملأ»؛ أي: الأشراف.

۱ـ تفسيرالبيضاويّ ۲ / ۱۷۴. ۲ـ مجمع البيان ۷ / ۳۴۱ ـ ۳۴۲، و ۳۳۷.

۳ـ تفسيرالبيضاويّ ۲ / ۱۷۵.

قال قتادة: أتاها الهدهد و هي نائمة مستلقية إلى قفاها. فألقى الكتاب على نحرها فقرأته. و قيل: كانت لها كوّة مستقبلة للشمس يقع الشمس عند ما تطلع فيها فإذا نظرت إليها سجدت. فجاء الهدهد إلى الكوّة فصدّها بجناحه، فارتفعت الشمس و لم تعلم. فقامت تنظر. فرمى الهدهد الكتاب إليها. فلمّا أخذت الكتاب، جمعت الأشراف ـ و هم ثلاثمائة و اثناعشر قبيلاً ـ ثمّ قالت لهم: «إنّه ألقي إليّ كتاب كريم». وصفته بالكرم لأنّه كان مختوماً ـ كما جاء في الحديث: إكرام الكتاب ختمه ـ أو لأنّه صدّره ببسم الله الرحمن الرحيم، أو لحسن خطّه و جودة لفظه و بيانه، أو لأنّه من ملك كريم يملك الإنس و الجنّ و الطيور، لأنّها سمعت به.[١]

[٣٠ ـ ٣١] «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَ أْتُونِي مُسْلِمِينَ».

«إنّه من سليمان»؛ أي: الكتاب منه و إنّ المكتوب فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم ألّاتعلوا عليّ و أتوني مسلمين». فإنّ هذا القدر جملة ما في الكتاب. و «ألّاتعلوا» في محلّ الرفع على أنّه بدل من الكتاب. و قيل: إنّ «أن» بمعنى أي، مثلها في: «و انطلق الملأ منهم أن امشوا»:[٢] أي امشوا. أي: لاتتكبّروا عليّ و أتوني منقادين فيما أدعوكم، أو مؤمنين بالله و رسوله. و كذا كانت الأنبياء تكتب كتبها موجزة مقصورة على الدعاء إلى الطاعة.[٣]

«إنّه من سليمان». إنّ الله خصّ سورة الفاتحة محمّداً صلى الله عليه وآله و شرّفه بها و لم يشرك معه فيها أحداً من الأنبياء ما خلا سليمان فإنّه أعطاه منها «بسم الله الرحمن الرحيم». ألاتراه يحكي عن بلقيس حين قالت: «إنّي ألقي إليّ كتاب كريم إنّه من سليمان و إنّه بسم الله الرحمن الرحيم».[٤]

[٣٢] «قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ».

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٤٢ ـ ٣٤٣.

٢ـ ص (٣٨) / ٦.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٤٣.

٤ـ تفسير العسكريّ عليه السلام / ٢٩.

«أفتوني»؛ أي: أشيروا عليّ الصواب. «قاطعة»؛ أي: ماضية. «حتّى تشهدون»؛ أي: تحضرون و تشيرون. و هذا ملاطفة منها لقومها في الاستشارة منهم.[١]

[٣٣] «قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَ أُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَ الْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ».

«أولو قوّة» و قدرة. «و الأمر إليك»؛ أي: مفوّض إليك في القتال و تركه. «ماذا تأمرين». أي لنمتثله.[٢]

[٣٤] «قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَ كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ».

«قالت» مجيبة لهم عن التعريض بالقتال: «إنّ الملوك إذا دخلوا قرية» عنوة عن قتال «أفسدوها»؛ أي: خرّبوها و أهانوا أشرافها كي يستقيم لهم الأمر. و صدّقها الله فيما قالت فقال: «و كذلك يفعلون». أي و كما قالت هي. و قيل: إنّه من قولها.[٣]

[٣٥] «وَ إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ».

«و إنّي مرسلة إليهم»؛ أي: إلى سليمان و قومه «بهديّة» أصانعه بذلك عن ملكي. «فناظرة»؛ أي: منتظرة «بم يرجع المرسلون» بقبول أم ردّ. لأنّها عرفت عادة الملوك في حسن موقع الهدايا عندهم. و كان غرضها أن يتبيّن لها بذلك أنّه ملك أو نبيّ. فإن قبل الهديّة، تبيّن أنّه ملك و عندها ما ترضيه. و إن ردّها، تبيّن أنّه نبيّ. قيل: أهدت إليه مائتي غلام و مائتي جارية ألبست الغلمان لباس الجواري و ألبست الجواري لباس الغلمان حتّى لايعرفوا. و قيل: أهدت إليه صفائح الذهب في أوعية الديباج. فلمّا بلغ ذلك سليمان، أمر

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٤٤.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٤٤.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٤٤ـ٣٤٥.

الجنّ فموّهوا الآجر بالذهب و ألقوه في الطريق. فلمّا جاؤوا، رأوه ملقًى في الطريق في كلّ مكان. فلمّا رأوا ذلك، صغر في أعينهم ما جاؤوا به. و قيل: إنّها أرسلت مع ذلك حقّة فيها درّة يتيمة غير مثقوبة و دعت رجلاً من أشراف قومها اسمه المنذر و ضمّ إليه رجالاً من قومها أصحاب رأي و عقل و كتبت إليه أن ميّز بين الوصفاء و الوصائف و أخبر بما في الحقّة قبل فتحها و اثقب الدرّة ثقباً مستوياً من غير علاج جنّ و لا إنس. و قالت للرسول: انظر إليه عند الدخول. فإن نظر إليك نظر غضب، فاعلم أنّه ملك فلايهولنّك أمره فإنّا أعزّ منه. و إن نظر إليك نظر لطف، فاعلم أنّه نبيّ مرسل. فانطلق الرسول بالهدايا و أقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان فأخبره. فأمر سليمان الجنّ أن يبسطوا في موضع فيه هو إلى بضع فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذهب و الفضّة و أن يجعلوا حول الميدان حائطاً شرفه من الذهب و الفضّة. ثمّ قال للجنّ: اجمعوا أولادكم. فاجتمع خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان و يساره. ثمّ قعد سليمان على سريره و وضع له أربعة آلاف كرسيّ عن يمينه و مثلها عن يساره و اصطفّت الشياطين فراسخ و كذلك الإنس و الطير و الوحوش. فلمّا دنا القوم و نظروا إلى سليمان، تقاصرت إليهم أنفسهم و رموا بما معهم من الهدايا. فلمّا وقفوا بين يديه، نظر إليهم نظراً حسناً. فأعطوه كتاب الملكة، فنظر فيه فقال: أين الحقّة؟ فأخبره جبرئيل بما فيها. فقال للرسول: إنّ فيها درّة غير مثقوبة. فقال: صدقت. فاثقب الدرّة و أدخل الخيط. فأرسل سليمان إلى الأرضة، فجاءت، فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها حتّى خرجت من الجانب الآخر. ثمّ ميّز بين الغلمان و الجواري بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم و أيديهم، فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية بإحدى يديها ثمّ تجعله على اليد الأخرى ثمّ تضرب به الوجه و الغلام كان يأخذ من الآنية يضرب به وجهه. و قيل: إنّها أرسلت مع هداياها عصاً كان يتوارثها ملوك حمير و قالت: أريد أن تعرّفني رأسها من أسفلها. فأرسل سليمان العصا إلى الهواء و قال: أيّ الرأسين سبق إلى الأرض، فهو أصلها.[١]

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

[٣٦] «فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ».

«فلمّا جاء سليمان»؛ أي: جاء الرسول سليمان. «أتمدّونن». و هذا استفهام إنكار. «فما آتاني الله» من الملك و النبوّة خير ممّا أعطاكم من أموال الدنيا. «بهديّتكم تفرحون». أي إذا أهدى بعضكم إلى بعض. «أتمدّونن». حمزة و يعقوب: «أتمدّونّي» بنون واحدة مشدّدة.[١]

[٣٧] «ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَ هُمْ صَاغِرُونَ».

ثمّ قال للرسول: ارجع بهداياك. «لا قبل»؛ أي: لا طاقة و لا قدرة لهم على دفعها. «منها»؛ أي: من القرية. «صاغرون»؛ أي: ذليلون إن لم يأتوني مسلمين.[٢]

[٣٨] «قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ».

و لمّا رجع إليها الرسول و عرفت أنّه نبيّ و أنّها لاتقاومه، فتجهّزت للمسير إليه و أخبره جبرئيل عليه السلام أنّها خرجت من اليمن مقبلة إليه، قال سليمان لأشراف عسكره: «يا أيّها الملأ أيّكم يأتيني بعرشها»؟ و ذلك أنّه أعجبته صفته فأراد أن يراه. و ظهر له آثار إسلامها فأحبّ أن يملك عرشها قبل أن تسلم فيحرم عليه أخذ مالها. و قيل: أراد أن يختبر عقلها و فطنتها بذلك هل تعرفه أم لا. و قيل: أراد أن يجعل ذلك دليلاً و معجزة على صدق نبوّته، لأنّها خلّفته في دارها و وكلت به ثقات قومها يحرسونه. «مسلمين»؛ أي: موحّدين. أو: منقادين.[٣]

[٣٩ ـ ٤٠] «قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَ إِنِّي عَلَيْهِ

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٤٦ و ٣٤٤.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٤٦.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٤٨.

لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ».

«عفريت»؛ أي: قويّ مارد. «مقامك»؛ أي: مجلسك الذي تقضي فيه. «عليه»: على حمله. «أمين». أي على ما فيه من الذهب و الجواهر. و كان سليمان يجلس في مجلسه للقضاء غدوة إلى نصف النهار. فقال سليمان: أريد أسرع من ذلك. «قال الذي عنده». هو آصف بن برخيا وزير سليمان و ابن أخته و كان صدّيقاً يعرف الاسم الأعظم. و أمّا «الكتاب» فقيل: المراد به اللّوح المحفوظ. و قيل: كتاب سليمان إلى بلقيس. «قبل أن يرتدّ إليك طرفك». و ذلك أنّه قال لسليمان: انظر إلى السماء. فما طرف حتّى جاء به فوضعه بين يديه. و المعنى: حتّى يرتدّ إليك طرفك بعد مدّه إلى السماء. و اختلف في كيفيّة مجيئة على وجوه. و المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام أنّ الأرض طويت له. «مستقرّاً عنده»: موضوعاً بين يديه. «ليبلوني»؛ أي: ليختبرني هل أقوم بشكر هذه النعمة أم أكفر بها. «لنفسه». لأنّ فائدة شكره عائدة إليه. «غنيّ». أي عن شكر العباد. «كريم»؛ أي: متفضّل على عباده شاكرهم و كافرهم لايمنعه كفرهم عن الإفضال عليهم.[١]

عن الجواد عليه السلام أنّه سأله أخوه موسى قال: أخبرني عن سليمان أكان محتاجاً إلى علم آصف بن برخيا؟ فقال عليه السلام: اكتب يا أخي: بسم الله الرحمن الرحيم. سألته عن قول الله في كتابه: «قال الذي عنده علم من الكتاب» هو آصف بن برخيا و لم يعجز سليمان عن معرفة [ما عرفه] آصف، لكنّه عليه السلام أحبّ أن يعرّف أمّته من الإنس و الجنّ أنّه الحجّة من بعده. و ذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله. ففهّمه الله ذلك لئلّا يختلف في إمامته و دلالته، كما فهّم سليمان في حياة داوود ليتعرّف إمامته و نبوّته من بعده لتأكيد الحجّة على الخلق.[٢]

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ اسم الله الأعظم ثلاثة و سبعون حرفاً. و إنّما كان عند آصف

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٤٨ ـ ٣٥٠.

٢ـ بحارالأنوار ١٤ / ١٢٧.

منها حرف واحد. فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه و بين سرير بلقيس حتّى تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة العين. و نحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان و سبعون حرفاً. و حرف عند الله تبارك و تعالى استأثر به.[١]

[٤١] «قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ».

«نكّروا لها عرشها»؛ أي: غيّروا لها سريرها إلى حال تنكره إذا رأته. و أراد بذلك اعتبار عقلها. «أتهتدي». أي إلى معرفة عرشها بفطنتها بعد التغيير. و قيل: «أتهتدي»؛ أي: أتستدلّ بعرشها على قدرة الله و صحّة نبوّتي و تهتدي بذلك إلى طريق الإيمان أم لا. قال ابن عبّاس: فنزع ما كان على العرش من الفصوص و الجواهر. أو ما كان أحمر جعل أخضر و بالعكس.[٢]

[٤٢] «فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَ أُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَ كُنَّا مُسْلِمِينَ».

«كأنّه هو». فلم تثبته و لم تنكره. و دلّ ذلك على كمال عقلها حيث لم يقل لا، إذ كان يشبه سريرها، و لم يقل نعم، لأنّها وجدت فيه ما غيّر و بدّل و لأنّها خلّفته في بيتها و حمله في تلك المدّة إلى ذلك الموضع غير داخل في قدرة البشر. «و أوتينا العلم». أي بصحّة نبوّة سليمان. «من قبلها»؛ أي: من قبل الآية في العرش. «و كنّا طائعين» لأمر سليمان. و قيل: إنّه من كلام سليمان و معناه: و أوتينا العلم بإسلامها و مجيئها طائعة قبل مجيئها.[٣]

«و أوتينا العلم». من تتمّة كلامها كأنّها ظنّت أنّه أراد بذلك اختبار عقلها و إظهار معجزة لها فقالت: أوتينا العلم بكمال قدرة الله و صحّة نبوّتك قبل هذه الحالة أو المعجزة بما تقدّم من الآيات.[٤]

١ـ الكافي ١ / ٢٣٠، ح ١.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٠.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٠.
٤ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٧٧.

[٤٣] «وَ صَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ».

«و صدّها ما كانت تعبد»؛ أي: منعها عبادة الشمس عن الإيمان بالله بعد رؤية تلك المعجزات. فتكون ما موصولة فاعل صدّ. و قيل: معناه: و صدّها سليمان عمّا كانت تعبده من دون الله و حال بينها و بينه و منعها منه، فيكون ما في موضع النصب.[1]

[٤٤] «قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَ كَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

الصرح: القصر. و قيل: صحن الدار. و الممرّد: المملّس. روي أنّ سليمان أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج أبيض و أجرى تحته الماء و ألقى عليه دوابّ البحر السمك و غيره و وضع سريره في صدره فجلس عليه و عكف عليه الطير و الجنّ و الإنس. و إنّما فعل ذلك ليزيدها استعظاماً لأمره و تحقّقاً لنبوّته و ثباتاً على الدين. و زعموا أنّ الجنّ كرهوا أن يتزوّجها فتفضي إليه بأسرارهم، لأنّها كانت بنت جنيّة. و قيل: خافوا أن يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الإنس و الجنّ فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك أشدّ و أفظع، فقالوا له: إنّ في عقلها شيئاً. و هي شعراء الساقين. و رجلها كحافر الحمار. فاختبر عقلها بتنكير العرش، و اتّخذ الصرح ليتعرّف ساقها و رجلها فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقاً و قدماً إلّا أنّها شعراء، ثمّ صرف بصره و ناداها: «إنّه صرح ممّرد من قوارير». و قيل: هي السبب في اتّخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتّخذوها. و نكحها سليمان و أحبّها و أقرّها على ملكها. فأمر الجنّ فبنوا لها بلداً و قصراً. و كان يزورها في الشهر مرّة فيقيم عندها ثلاثة أيّام، و ولدت له. و قيل: بل زوّجها ذا تبع ملك همدان و سلّطه على اليمن. و أمر زوبعة أمير جنّ اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع. و لم يزل أميراً حتّى مات سليمان. «ظلمت نفسي».

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٠.

تريد بكفرها فيما تقدّم. و قيل: حسبت أنّ سليمان يغرقها في اللّجّة فقالت: ظلمت نفسي بسوء ظنّي بسليمان.[١]

«و كشفت عن ساقيها». روي أنّه أمر قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج أبيض و جرى من تحته الماء و وضع سريره في صدره فجلس عليه. فلمّا أبصرته، ظنّته ماء راكداً فكشفت عن ساقيها.[٢]

[٤٥] «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ».

«أخاهم». أي في النسب. «أن اعبدوا»؛ أي: بأن اعبدوا الله.[٣]

«فريقان»: فريق مؤمن و فريق كافر. و قيل: أريد بالفريقين صالح و قومه قبل أن يؤمن منهم أحد. «يختصمون» يقول كلّ فريق: الحقّ معي.[٤]

[٤٦] «قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ».

السيّئة العقوبة. و الحسنة التوبة. فإن قلت: ما معنى استعجالهم بالسيّئة قبل الحسنة؟ و إنّما يكون ذلك إذا كانتا متوقّعتين إحداهما قبل الأخرى. قلت: كانوا يقولون لجهلهم: إنّ العقوبة التي يعدها صالح، إن وقعت بزعمه، تبنا حينئذ و استغفرنا ـ مقدّرين أنّ التوبة مقبولة في ذلك الوقت ـ و إن لم يقع، فنحن على ما نحن عليه. فخاطبهم صالح على حسب قولهم و اعتقادهم ثمّ قال لهم: هلّاتستغفرون الله قبل نزول العذاب و لعلّكم ترحمون؟ تنبيهاً لهم على الخطأ فيما قالوه و تجهيلاً فيما اعتقدوه.[٥]

١ـ الكشّاف ٣ / ٣٧٠.
٢ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٧٨.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٤.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٣٧١.
٥ـ الكشّاف ٣ / ٣٧١.

«بالسيّئة قبل الحسنة»؛ أي: بالعذاب قبل الرحمة. أي: لم قلتم إن كان ما أتيتنا به حقّاً فأتنا بالعذاب؟ و سمّي العذاب سيّئة لأنّه جزاء على السيّئة. «لولا تستغفرون»؛ أي: هلّاتطلبون مغفرته من الشرك بأن تؤمنوا.(١)

[٤٧] «قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ».

«اطّيّرنابك»؛ أي: تشأمنا بك و بمن على دينك. و ذلك [أنّهم] قحط المطر عنهم و جاءوا فقالوا: أصابنا هذا الشرّ من شؤمك و شؤم أصحابك. «قال» لهم صالح: «طائركم عند الله»: الشؤم أتاكم من عند الله بكفركم.(٢)

«قالوا اطّيّرنا». كان الرجل منهم يخرج مسافراً فيمرّ بطائر فيزجره، فإن مرّ سانحاً تيمّن، و إن مرّ بارحاً تشأّم. و السانح: الطائر الذي يكون بيمينه إلى الزاجر. و البارح خلافه. فلمّا نسبوا الخير و الشرّ إلى الطائر، استعير لما كان سببهما من قدرة الله و قسمته أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة و النقمة. و منه قولهم: طائر الله لا طائرك؛ أي: قدر الله الغالب الذي ينسب إليه الخير و الشرّ لا طائرك الذي تتشأّم به و تتيمّن. فلمّا قالوا: اطّيّرنا بكم؛ أي: تشأّمنا، و كانوا قد قحطوا، قال: «طائركم عندالله»؛ أي: سببكم الذي يجيء، منه خيركم و شرّكم عند الله و هو قدره و قسمته إن شاء رزقكم و إن شاء حرمكم. و يجوز أن يريد: عملكم مكتوب عند الله. فمنه نزل بكم عقوبة لكم و فتنة. و منه قوله: «طائركم معكم».(٣) «تفتنون»؛ أي: تختبرون. أو: تعذّبون. أو: يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة.(٤)

[٤٨] «وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ».

«وكان في المدينة» ـ و هي الحجر ـ تسعة أنفس، و هم الذين سعوا في عقر الناقة و كانوا

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٤.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٤.
٣ـ يس (٣٦) / ١٩.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٣٧١.

عتاة قوم صالح و من أبناء أشرافهم. «و لا يصلحون». يعني من شأنهم الإفساد البحت الذي لايختلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح.(١)

[٤٩] «قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ».

أهل الكوفة: «لتبيّتنّه» ـ غير عاصم ـ بالتاء و ضمّ التاء الثانية «ثمّ لتقولنّ» بالتاء و ضمّ اللّام. «قالوا تقاسموا»؛ أي: قالوا فيما بينهم: احلفوا بالله: «لتبيّتنّه»؛ أي: لتقتلنّ صالحاً و أهله بياتاً. و من قرأ بالنون، فكأنّهم قالوا: أقسموا لنفعلنّ. و الأمر بالقسم في القراءتين داخل في الفعل منهم.(٢)

«تقاسموا». يحتمل أن يكون أمراً و خبراً في محلّ الحال بإضمار قد. أي: قالوا متقاسمين. و التقاسم: التحالف. و البيات: مباغتة العدوّ ليلاً. فإن قلت: كيف يكونون صادقين و قد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه؟ قلت: كأنّهم اعتقدوا أنّهم إذا بيّتوا صالحاً و بيّتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثمّ قالوا: «ما شهدنا مهلك أهله» فذكروا أحدهما، كانوا صادقين، لأنّهم فعلوا البياتين جميعاً لا أحدهما. و مهلك يحتمل المصدر و الزمان و المكان.(٣)

«و إنّا لصادقون»؛ أي: و نحلف أنّا لصادقون. أو: والحال إنّا لصادقون فيما ذكرنا. لأنّ الشاهد للشيء غير المباشر له عرفاً.(٤)

[٥٠ ـ ٥١] «وَ مَكَرُوا مَكْراً وَ مَكَرْنَا مَكْراً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ».

«و مكروا مكراً» بهذه المواضعة. «و مكرنا مكراً» بأن جعلناها سبباً لإهلاكهم «و هم

١ـ الكشّاف ٣ / ٣٧٢.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٢ ـ ٣٥٤.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٣٧٢ ـ ٣٧٣.
٤ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٧٩.

لايشعرون» بذلك. روي أنّه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلّي فيه، فقالوا: زعم أنّه يفرغ منّا إلى ثلاث. فنفرغ منه و من أهله قبل الثلاث. فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه، فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم في الشعب فهلكوا ثمّ، و هلك الباقون في أماكنهم بالصيحة. كما أشار إليه بقوله: «فانظر كيف كان عاقبة مكرهم». و كان، إن جعلت ناقصة، فخبرها كيف و «إنّا دمّرناهم» استئناف أو خبر لمحذوف لا خبر لكان لعدم العائد. و إن جعلت تامّة، فكيف حال. و قرأ أهل الكوفة: «أنّا دمّرناهم» بالفتح على أنّه خبر لمبتدأ محذوف أو بدل من اسم كان أو خبر له و كيف حال.[١]

أهل الحجاز و أبوعمرو: «إنّا دمّرناهم» بكسر الألف، و الباقون بالفتح.[٢]

[٥٢] «فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ».

«خاوية»؛ أي: خالية. من خوى البطن، إذا خلا. أو: ساقطة منهدمة. من خوى النجم، إذا سقط. «لقوم يعلمون» فيتّعظون.[٣]

[٥٣] «وَ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ».

«و أنجينا الذين آمنوا»: صالحاً و من معه. «يتّقون» الكفر و المعاصي.[٤]

[٥٤] «وَ لُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ».

«و لوطاً»؛ أي: اذكر لوطاً. «و أنتم تبصرون»؛ أي: تعلمون فحشها. من بصر القلب. و اقتراف القبائح من العالم بقبحها أقبح. أو: يبصرها بعضكم من بعض. لأنّهم كانوا يعلنونها فتكون أفحش.[٥]

«الفاحشة»؛ يعني: الخصلة القبيحة الظاهرة القبح.[٦]

١ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٧٩.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٣.
٣ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٧٩.
٤ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٧٩.
٥ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٧٩.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٦.

[٥٥] «أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ».

بيان لإتيانهم الفاحشة و تعليله بالشهوة للدلالة على قبحه و التنبيه على أنّ الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر. «من دون النساء» اللّاتي خلقن لذلك. «تجهلون»: تفعلون فعل من جهل قبحها. أو: تجهلون العاقبة.[١]

«تجهلون». قال ابن عبّاس: تجهلون القيامة و عاقبة العصيان.[٢]

«تجهلون». أراد بالجهل السفاهة و المجانة التي كانوا عليها حتّى لاينافي قوله: «و أنتم تبصرون». فإن قلت: تجهلون صفة لقوم. و الموصوف غائب. فهلّا [طابقت] الصفة الموصوف فقرئ بالياء؟ قلت: اجتمعت الغيبة و المخاطبة، فغلبت المخاطبة لأنّها أقوى و أرسخ أصلاً من الغيبة.[٣]

[٥٦] «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ».

«يتطهّرون»: يتنزّهون عن أفعالنا أو عن الأقذار و يعدّون فعلنا قذراً.[٤]

«يتطهّرون». عن ابن عبّاس أنّه استهزاء.[٥]

[٥٧] «فَأَنْجَيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ».

«قدّرناها من الغابرين»: قدّرنا كونها من الباقين في العذاب.[٦]

[٥٨] «وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ».

«مطراً». و هو الحجارة. «المنذرين»: الذين أبلغهم لوط النذارة و أعلمهم بموضع المخافة

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٧٩.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٦.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٣٧٤.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٧٩.
٥ـ الكشّاف ٣ / ٣٧٤.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٨٠.

ليتّقوها فخالفوا ذلك.(١)

[٥٩] «قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ».

ثمّ قال سبحانه لنبيّه: «قل» يا محمّد: «الحمد لله»، شكراً على نعمه بأن وفّقنا للإيمان. أو: «قل الحمد لله» على هلاك الأمم الكافرة. «الذين اصطفى»؛ أي: اصطفيناهم، و هم الأنبياء. و قيل: أصحاب محمّد و أمّته. و معنى السلام عليهم أنّهم سلموا من عذاب الكفّار. و قيل: آل محمّد عليهم السلام. [ثمّ] قال سبحانه مخاطباً للمشركين: «آلله خير أمّا يشركون» يا أهل مكّة؟ يعني: الله خيرٌ لمن عبده أم الأصنام لعابديها؟ و هذا إلزام للحجّة على المشركين بعد ذكر هلاك الكفّار. و المعنى أنّ الله نجّى من عبده من الهلاك و الأصنام لم تغن شيئا عن عابديها عند نزول العذاب. و إنّما قال ذلك لأنّهم توهّموا في عبادة الأصنام خيراً.(٢)

«قل الحمد لله». أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيّته و حكمته و أن يستفتح بحمده و السلام على أنبيائه و المصطفين من عباده. و فيه تعليم حسن و توقيف على أدب جميل و بعث على التيمّن بالذكرين و الاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى إلى السامعين و إصغائهم إليه و إنزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع. و لقد توارث العلماء و الخطباء و الوعّاظ كابراً عن كابر هذا الأدب فحمدوا الله و صلّوا على رسول الله أمام كلّ علم مفاد و قبل كلّ موعظة و خطبة و تبعهم المترسّلون في أوائل الكتب. و قيل: هو متّصل بما قبله و أمر بالتحميد على الهالكين من كفّار الأمم و الصلاة على الأنبياء و أشياعهم. و قيل: هو خطاب للوط و أن يحمد الله على إهلاك كفّار قومه و يسلّم على من اصطفاه الله و عصمه من ذنوبهم.(٣)

«يشركون». أهل البصرة و عاصم: «يشركون» بالياء، و الباقون بالتاء على الخطاب.(٤)

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٦.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٦.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٣٧٥.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٥.

[٦٠] «أَمَّنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَ إِلٰهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ».

«أمّن خلق السموات و الأرض». تقديره: أمّا يشركون خير أم من خلق السموات و الأرض؟ «حدائق»؛ أي: رياضاً و بساتين. و الحديقة: البستان الذي عليه حائط. و كلّ ما أحاط به البناء فهو حديقة. «ذات بهجة»؛ أي: منظر حسن يبتهج به من رآه. و لم يقل: ذوات بهجة، لأنّه أراد تأنيث الجماعة. و لو أراد تأنيث الأعيان لقال ذوات. «ما كان لكم». أي لم يكونوا يقدرون على إنبات شجرها. «أإله مع الله». استفهام إنكار. معناه: هل معبود سواه أعانه على صنعه؟ بل ليس معه إله. «قوم يعدلون» بالله غيره. يعني كفّار مكّة.(١)

«فأنبتنا به». عدل به عن الغيبة إلى التكلّم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته و التنبيه على أنّ إنبات الحدائق البهيّة المختلفة الأنواع المتباعدة [الطباع] من الموادّ المتشابهة، لا يقدر عليه غيره. كما أشار إليه بقوله: «ما كان لكم». «يعدلون» أي عن الحقّ الذي هو التوحيد.(٢)

«أإله مع الله». عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «أإله مع الله» قال: إمام هدًى مع إمام ضلال في قرن واحد. يعني كما أنّه لايجوز أن يكون إله مع الله سبحانه، كذا لايجوز أن يكون إمام هدًى مع إمام ضلال في قرن واحد. لأنّ الهدى و الضلال لايجتمعان في زمن من الأزمان و الزمان لايخلو من إمام هدًى من الله يهدي الخلق.(٣)

[٦١] «أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَ جَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَ جَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَ إِلٰهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

«أمّن جعل الأرض». بدل من «أم من خلق السموات». «بين البحرين»؛ أي: خليجي فارس و الروم.(٤)

«قراراً»؛ أي: مستقرّة لاتميل و لاتميد بأهلها. «خلالها»؛ أي: وسطها. «رواسي»؛ أي:

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٧ ـ ٣٥٨.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٨٠.
٣ـ تأويل الآيات ١ / ٤٠١، ح ٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٨٠.

جبالاً ثوابت [أثبت] بها الأرض. «حاجزاً»؛ أي: مانعاً من قدرته بين العذب و الملح فلايختلط أحدهما بالآخر. «لايعلمون». أي توحيد ربّهم و كمال سلطانه.(١)

[٦٢] «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَ إِلٰهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ».

«المضطرّ»؛ أي: المكروب المجهود. و إجابة المضطرّ هي فعل ما يدعو به. و هذا ما يكون إلّا من قادر على الإجابة. و رأس المضطرّين المذنب الذي يدعوه و يسأله المغفرة. و منهم الخائف الذي يسأله الأمن، و المريض الذي يطلب العافية، و المحبوس الذي يطلب الخلاص. و إنّما خصّ المضطرّ و إن كان قد يجيب غير المضطرّ، لأنّ رغبته أقوى و سؤاله أخضع. «و يكشف السوء»؛ أي: يدفع الشدّة. «خلفاء الأرض»: يخلف كلّ قرن منكم القرن الذي قبله، فيهلك قرناً و ينشئ قرناً. و قيل: يجعلكم خلفاء من الكفّار بنزول بلادهم و طاعة الله بعد شركهم. «قليلاً ما تذكّرون»؛ أي: تتّعظون. و من قرأ بالياء، [فالمعنى:] قليلاً ما يذّكّر هؤلاء المشركون.(٢)

«المضطرّ». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: المضطرّ هو القائم عليه السلام.(٣)

و قال الصادق عليه السلام: القائم عليه السلام هو المضطرّ إذا صلّى في المقام و دعا الله فأجابه و كشف السوء و جعله خليفة في الأرض. و هذا ممّا تأويله بعد تنزيله.(٤)

«المضطرّ». اللّام فيه للجنس لا للاستغراق، فلايلزم منه إجابة كلّ مضطرّ. «ما تذكّرون»؛ أي: تذكّرون آلاءه تذكّراً قليلاً. و ما مزيدة. و المراد بالقلّة العدم أو الحقارة المزيحة للفائدة. حفص و الكسائيّ: «تذكّرون» بالتاء و تخفيف الذال.(٥)

«تذكّرون». أبوعمرو و هشام: «يذّكّرون» بالياء، و الباقون بالتاء.(٦)

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٨.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٨.
٣ـ تأويل الآيات ١ / ٤٠٢، ح ٥.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٢٩.
٥ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٨٠ ـ ١٨١.
٦ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٧.

[٦٣] «أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَ إِلٰهٌ مَعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ».

«أمّن يهديكم»؛ أي: أمّا تشركون خير أم من يرشدكم إلى القصد و السمت في البرّ و البحر بما نصب لكم من العلامات و الدلالات من الكواكب و القمر إذا ضللتم؟ كقوله: «و هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البرّ و البحر».[١] «بشراً بين يدي رحمته». مضى تفسيره و وجوه القراءات فيه.[٢]

«بين يدي رحمته». يعني المطر. و لو صحّ أنّ السبب الأكثريّ في تكوّن الريح معاودة الأدخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرّها و تمويجها الهواء، فلا شكّ أنّ الأسباب الفاعليّة و القابليّة لذلك من خلق الله و الفاعل للسبب فاعل للمسبّب. «عمّا يشركون»؛ أي: تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق.[٣]

[٦٤] «أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أَ إِلٰهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«يبدأ الخلق»: يوجده على غير مثال، ثمّ يميته «ثمّ يعيده» بعد الإفناء. و إنّما قال ذلك لأنّهم أقرّوا بأنّه الخالق فيلزمهم الإقرار بالبعث من حيث إنّ من قدر على الإنشاء، قدر على الإعادة. «يرزقكم من السماء». أي بإنزال المطر و بإخراج الثمار و النبات. «هاتوا برهانكم»؛ أي: حجّتكم «إن كنتم صادقين» أنّ لي شريكاً صنع شيئاً من هذه الأشياء. فإذا لم يقدروا على إقامة البرهان على ذلك، فاعلموا أنّه لا إله معي و لا يستحقّ العبادة سواي.[٤]

«ثمّ يعيده». و الكفرة، و إن أنكروا الإعادة، فهم محجوجون بالحجج الدالّة عليها.[٥]

١ـ الأنعام (٦) / ٩٧.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٩.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٨١.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٥٩.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٨١.

[٦٥] «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَ مَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ».

«إلّا الله». إن قلت: لم رفع اسم الله و الله يتعالى أن يكون ممّن في السموات و الأرض؟ قلت: قد جاء على لغة بني تميم؛ يقولون: ما في الدار أحد إلّا حمار، يريدون: ما فيها إلّا حمار، كأنّ أحداً لم يذكر. فإن قلت: ما الداعي إلى اختيار المذهب التميميّ على الحجازيّ؟ قلت: دعت إليه نكتة سرّيّة حيث أخرج المستثنى مخرج قوله: «إلّا اليعافير» بعد قوله: «و بلدة ليس بها أنيس» ليؤول المعنى إلى قولك: إن كان الله ممّن في السموات و الأرض فهم يعلمون الغيب. يعني أنّ علمهم الغيب في استحالته كاستحالة أن يكون الله منهم. كما أنّ معنى ما في البيت: إن كانت اليعافير أنيساً، ففيها أنيس، بتّاً للقول بخلوّها من الأنيس. فإن قلت: هلّا زعمت أنّ الله ممّن في السموات و الأرض كما يقول المتكلّمون: الله في كلّ مكان، على معنى أنّ علمه في الأماكن كلّها فكأنّ ذاته فيها، حتّى لاتحمله على مذهب بني تميم؟ قلت: يأبى ذلك أنّ كونه في السموات و الأرض مجاز و كونهم فيهنّ حقيقة و إرادة المتكلّم بعبارة واحدة حقيقة و مجازاً غير صحيحة. على أنّ قولك: من في السموات و الأرض، و جمعك بينهم و بينه في إطلاق اسم واحد [فيه] إيهام تسوية و الإيهامات مزالة عنه و عن صفاته.
«أيّان»؛ أي: متى «يبعثون».[١]

[٦٦] «بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ».

أهل البصرة و أبوجعفر و ابن‌كثير: «بل أدرك» بقطع الأوّل و سكون اللّام و الدال. و عن أبي‌بكر: «بل ادّرك» موصولة الألف مشدّدة الدال [بلا ألف بعدها].[٢] و ذكر صاحب الكشّاف فيها اثنتاعشرة قراءة. (ع)

«بل ادّارك»؛ أي: تدارك، فأدغمت التاء في الدال. و معنى أدرك علمهم: انتهى و

١ـ الكشّاف ٣ / ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٦٠.

تكامل؛ و ادّارك: تتابع و استحكم. و هو على وجهين. أحدهما: انّ سبب استحكام العلم و تكامله بأنّ القيامة كائنة لا ريب فيها حاصلة [لهم] و مكنوا [من] معرفته و هم شاكّون جاهلون. و ذلك قوله: «بل هم في شكّ منها بل هم منهاعمون». يريد المشركين ممّن في السموات و الأرضين، لأنّهم لمّا كانوا في جملتهم نسب فعلهم إلى الجميع. و حاصل المعنى أنّه لمّا ذكر أنّ العباد لايعلمون الغيب و لا يشعرون بالبعث الكائن و وقته الذي يكون فيه و كان هذا وصفاً لقصور علمهم، وصل به أنّ عندهم عجزاً أبلغ منه و هو أنّهم يقولون للكائن الذي لابدّ أن يكون ـ و هو وقت جزاء أعمالهم ـ لايكون، مع أنّ عندهم أسباب معرفة كونه و استحكام العلم به. و الوجه الثاني: انّ وصفهم باستحكام العلم و تكامله تهكّم بهم كما تقول لأجهل الناس: ما أعلمك! على سبيل الهزء. و ذلك حيث شكّوا و عموا عن إثباته الذي الطريق إليه مسلوك فضلاً أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق إلى معرفته. و في أدرك و ادّارك وجه آخر، و هو أن يكون أدرك بمعنى انتهى و فني، من قولك: أدركت الثمرة، لأنّ تلك غايتها التي عندها تعدم. و قد فسّره الحسن باضمحلّ علمهم. و تدارك، من تدارك بنو فلان، إذا تتابعوا في الهلاك. فإن قلت: هذه الإضرابات الثلاث ما معناها؟ قلت: ما هي إلّا تنزيل لأحوالهم و وصفهم أوّلاً بأنّهم لايشعرون وقت البعث، ثمّ بأنّهم لايعلمون أنّ القيامة كائنة، ثمّ بأنّهم يخبطون في شكّ و مرية فلايزيلونه و الإزالة مستطاعة، ثمّ بما هو أسوأ حالاً و هو العمى و أن يكون مثل البهيمة قد عكف همّه على بطنه و فرجه لايخطر بباله حقّاً و لا باطلاً. و قد جعل الآخرة مبدأ عماهم و منشأه، فلذلك عدّاه بمن دون عن. لأنّ الكفر بالعاقبة و الجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لايتدبّرون و لايتبصّرون.[١]

«بل ادّارك». لمّا أخبر سبحانه عن الكفّار أنّهم لايشعرون متى يبعثون و أنّهم شاكّون، عقّبه بأنّهم يعلمون حقيقة ذلك يوم القيامة فقال: «بل ادّارك»؛ أي: تتابع منهم العلم و تلاحقوا حتّى كمل علمهم في الآخرة بما أخبروا به في الدنيا. فالماضي بمعنى الاستقبال. «بل

١ـ الكشّاف ٣ / ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

هم في شكّ منها» في الدنيا. يعني أنّ ما جهلوه و سقط علمه عنهم، علموه في الآخرة. و قيل: إنّ الآية إخبار عن ثلاث طوائف: طائفة أقرّت بالبعث، و طائفة شكّت فيه، و طائفة نفته كما قال «بل هم منها عمون»؛ أي: عن معرفتها. و هو جمع عمي و هو أعمى القلب لتركه التدبّر.(١)

[٦٧] «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَ إِذَا كُنَّا تُرَاباً وَ آبَاؤُنَا أَ إِنَّا لَمُخْرَجُونَ».

«الذين كفروا» بإنكارهم البعث. «لمخرجون» من القبور مبعوثون. يقولون ذلك على طريق الاستبعاد. قرأ أهل المدينة: «إذا كنّا تراباً» بكسر الألف «آنّا لمخرجون» بالاستفهام بهمزة واحدة ممدودة. و عن أبي جعفر و قالون غير ممدودة. و قرأ ابن‌عامر و الكسائيّ «أإذا» بهمزتين «إنّنا» [بنونين]. و ابن‌كثير و يعقوب: [«أذا» «أنّا» بالاستفهام فيهما جميعاً بهمزة واحدة غير ممدودة. و قرأ عاصم و حمزة و خلف:] «أإذا» «أإنّا» بالاستفهام فيهما جميعاً بهمزتين.(٢)

[٦٨] «لَقَدْ وُعِدْنَا هٰذَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ».

«لقد وعدنا هذا»؛ أي: البعث «نحن» فيما مضى «و آباؤنا» من قبلنا فلم‌يكن ممّا قالوه شيء. «إلّا أساطير الأوّلين»؛ أي: أكاذيبهم التي كتبوها.(٣)

[٦٩] «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ».

«كيف كان». تخويف لهم بأن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذّبين قبلهم.(٤)

[٧٠] «وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ».

«و لاتحزن عليهم»: على تكذيبهم. «ضيق». و هو ما يضيق به الصدر. «ممّا يمكرون»؛

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٦٢.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٦٢ و ٣٦٠.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٦٢.
٤ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٨٢.

أي: يدبّرون في أمرك. فإنّ الله ينصرك عليهم. ابن‌كثير: «في ضيق» بكسر الضاد، و الباقون بفتحها.(١)

[٧١] «وَ يَقُولُونَ مَتىٰ هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«هذا الوعد» الذي تعدنا ـ يا محمّد ـ من العذاب. «صادقين» بأنّه يكون.(٢)

[٧٢] «قُلْ عَسىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ».

«ردف لكم»؛ أي: قرب «بعض الذي تستعجلون» من العذاب. و عسى موجبة من الله. و هذا البعض القتل و الأسر يوم بدر و باقيه بعد الموت.(٣)

[٧٣] «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ».

«لذو فضل على الناس» بتأخير عقوبتهم على المعاصي. «لايشكرون»: لايعرفون حقّ النعمة فلايشكرونه، بل يستعجلون لجهلهم وقوعه.(٤)

[٧٤] «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ مَا يُعْلِنُونَ».

«تكنّ صدورهم»: ما تخفيه «و ما يعلنون» من عداوتك، فيجازيهم عليها.(٥)

[٧٥] «وَ مَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ».

«و ما من غائبة»؛ أي: خصلة غائبة. يعني ما أخفاه عن خلقه و غيّبه عنهم. «إلّا في كتاب مبين»؛ أي: مبين في اللّوح المحفوظ مكتوب فيه. أو: إلّا في علمه تعالى محفوظ. كما يقول القائل: أفعالك عندي مكتوبة.(٦)

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٦٢ و ٣٦٠.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٦٢.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

٤ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٨٢.

٥ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٨٢.

٦ـ مجمع البيان ٧ / ٣٦٣.

[٧٦] «إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ».

«يقصّ على بني إسرائيل»؛ أي: يخبرهم «أكثر الذي هم فيه يختلفون» كحديث [مريم] و عيسى و النبيّ المبشّر به في التوراة ـ حيث قال بعضهم هو يوشع و قال بعضهم هو منتظر لم يأت بعد ـ و كالتشبيه و التنزيه و أحوال الجنّة و النار و عزير و المسيح. و كان ذلك معجزة لنبيّنا ﷺ إذ كان لايدرس كتبهم و لايقرؤها ثمّ أخبرهم بما فيها.(١)

[٧٧] «وَ إِنَّهُ لَهُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ».

«للمؤمنين». فإنّهم المنتفعون به.(٢)

[٧٨] «إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ».

«يقضي بينهم بحكمه». يريد: بين المختلفين في الدين يوم القيامة. و أشار بذلك إلى شيئين: أحدهما أنّ الحكم له فلاينفذ حكم غيره فيوصل إلى كلّ ذي حقّ حقّه؛ و الآخر أنّه وعد المظلوم بالانتصاف من الظالم. «و هو العزيز» فلايردّ قضاؤه «العليم» فيجازي كلّاً بحسب عمله. و في هذه الآية تسلية للمحقّين من الذين خولفوا في أمور الدين و أنّ أمرهم يؤول إلى أن يحكم بينهم ربّ العالمين.(٣)

[٧٩] «فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ».

ثمّ خاطب الله نبيّه فقال: «فتوكّل على الله» و لاتبال بمعاداتهم. «إنّك على الحقّ». و المحقّ أولى بالتوكّل من المبطل. و هذا الخطاب شامل لسائر المؤمنين.(٤)

[٨٠] «إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتىٰ وَ لَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ».

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٦٤، و تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٨٣.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٨٣.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٦٤ ـ ٣٦٥.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٦٥، و تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٨٣.

«إنّك لاتسمع الموتى». تعليل آخر للأمر بالتوكّل من حيث إنّه يقطع طمعه عن متابعتهم و معاضدتهم رأساً. و إنّما شبّهوا بالموتى لعدم انتفاعهم بإسماع القرآن و ما يتلى عليهم، كما شبّهوا بالصمّ في قوله: «و لاتسمع الصمّ الدعاء إذا ولّوا مدبرين». و ذلك أنّ الأصمّ إذا كان قريباً فالإنسان يطمع في إسماعه فإذا أدبر و تباعد انقطع الطمع في إسماعه.(١)

«تسمع». ابن‌كثير: «يسمع» بالياء و «الصمّ» بالرفع.(٢)

[٨١] «وَ مَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ».

«و ما أنت بهادي العمي» حيث لاتحصل الهداية إلّا بالبصر. جعل سبحانه الجهل بمنزلة العمى لأنّه يمنع عن إدراك الحقّ كما يمنع العمى عن إدراك المبصرات. «إن تسمع»؛ أي: ماتسمع إلّا من يطلب الحقّ بالنظر في آياتنا. «فهم مسلمون»؛ أي: منقادون. و قيل: «مسلمون»: موحّدون منقادون مخلصون. و قيل: معناه: مايجدي إسماعك إلّا لمن يؤمن ـ أي هو في علم الله كذلك ـ فهم مسلمون؛ أي: مخلصون.(٣)

قرأ حمزة: «و ما أنت تهدي العمي».(٤)

[٨٢] «وَ إِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ».

«إنّ الناس». أهل العراق غير أبي‌عمرو: «أنّ الناس» بفتح الهمزة، و الباقون بكسرها. «أنّ الناس» بالفتح على معنى بأنّ الناس.(٥)

«و إذا وقع القول»؛ أي: إذا نزل العذاب بهم عند اقتراب الساعة، «أخرجنا لهم دابّة».

١ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٨٣ ، و مجمع البيان ٧ / ٣٦٥.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٦٤.

٣ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٨٣، و مجمع البيان ٧ / ٣٦٥.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٦٤.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣٦٤.

تخرج من بين الصفا و المروة فتخبر المؤمن بأنّه مؤمن و الكافر بأنّه كافر. و عند ذلك يرتفع التكليف. و هو علم من أعلام الساعة يخرج ليلة الجمع و الناس يسيرون إلى منى. و عن ابن‌عبّاس أنّها دابّة من دوابّ الأرض لها زغب و ريش و أربع قوائم. و عن عليّ عليه السلام: أنا صاحب العصا و الميسم. و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رجل لعمّار: إنّ آية في كتاب الله أفسدت قلبي. و هي هذه الآية. فأيّ دابة هي؟ قال عمّار: و الله ما أجلس و لا آكل و لا أشرب حتّى أريكها. فجاء معه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام و هو يأكل تمراً و زبداً فقال: يا أبا اليقظان، هلمّ. فجلس عمّار يأكل معه. فتعجّب الرجل منه. فلمّا قام عمّار، قال له الرجل: كيف هذا؟ قال: أريتكها إن كنت تعقل. «تكلّمهم»؛ أي: تحدّثهم بأنّ هذا مؤمن و هذا كافر. و قيل: تكلّمهم [بأن] تقول لهم: «إنّ الناس كانوا بآياتنا لايوقنون». و هو الظاهر. و قيل: «بآياتنا» معناه: بكلامها و خروجها.(١)

«و إذا وقع القول». سمّي معنى القول و مؤدّاه بالقول، و هو ما وعدوا به من قيام الساعة و العذاب، و وقوعه حصوله. و المراد مشارفة الساعة و ظهور أشراطها و حين لاتنفع التوبة. و دابّة الأرض الجساسة. جاء في الحديث أنّ طولها ستّون ذراعاً لايدركها طالب و لايفوتها هارب و لها أربع قوائم تخرج من المسجد الحرام فتقول: «إنّ الناس كانوا بآياتنا لايوقنون». يعني أنّ الناس كانوا لايوقنون بخروجي، لأنّ خروجها من الآيات. و تقول: ألا لعنة الله على الظالمين. و قيل: تكلّمهم ببطلان الأديان كلّها سوى دين الإسلام.(٢)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انتهى رسول الله صلى الله عليه و آله إلى أميرالمؤمنين عليه السلام و هو راقد في جانب من المسجد و قد جمع رملاً تحت رأسه و قال: قم يا دابّة الله. فقال رجل معه: يا رسول الله، يسمّي بعضنا بعضاً بهذا الاسم؟ فقال: لا و الله، ما هو إلّا خاصّة له. هو الدابّة التي ذكر الله في كتابه. ثمّ قال: يا عليّ، إذاكان آخر الزمان، أخرجك الله في أحسن صورة و معك ميسم تسم به أعداءك. فقال رجل للإمام عليه السلام: إنّ العامّة تقول إنّما هذه الدابّة تكلّمهم. فقال عليه السلام: كلّمهم

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٦٥ ـ ٣٦٦.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٣٨٣ ـ ٣٨٤.

الله في نار جهنّم. إنّما هو يكلمهم من الكلام.(١)

[٨٣] «وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ».

«و يوم نحشر». يعني يوم القيامة. «ممّن يكذّب». بيان للفوج. و من في «من كلّ أمّة» للتبعيض. لأنّ أمّة كلّ نبيّ و أهل كلّ قرن شامل للمصدّقين و المكذّبين. «يوزعون»: يحبس أوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا. و هو عبارة عن كثرة عددهم و تباعد أطرافهم.(٢)

[٨٤] «حَتَّى إِذَا جَاؤُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَ لَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«إذا جاؤوا» إلى المحشر. «و لم تحيطوا». الواو للحال. أي: أكذّبتم بها بادي الرأى غير ناظرين فيها نظراً يحيط علمكم بكنهها و أنّها حقيقة بالتصديق أو التكذيب؟ أو للعطف. أي: أ جمعتم بين التكذيب بها و عدم إلقاء الأذهان لتحقّقها؟ «أمّا ذا كنتم»؛ أي: أم أيّ شيء كنتم تعملونه بعد ذلك؟ و هو للتبكيت، إذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلايقدرون أن يقولوا فعلنا غير ذلك.(٣)

[٨٥] «وَ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ».

«وقع القول عليهم»: حلّ بهم العذاب الموعود ـ و هو كبّهم في النار بعد ذلك ـ بسبب ظلمهم و هو التكذيب بآيات الله. «فهم لاينطقون» باعتذار لشغلهم بالعذاب.(٤)

[٨٦] «أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».

«ألم يروا» ليتحقّق لهم التوحيد و يرشدهم إلى تجويز الحشر و بعثة الرسل؟ لأنّ تعاقب النور و الظلمة على وجه مخصوص غير متعيّن بذاته لايكون إلّا بقدرة قاهرة و أنّ من قدر

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٣٠.
٢ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٨٣.
٣ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٨٣ ـ ١٨٤.
٤ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٨٣ ـ ١٨٤.

على إبدال الظلمة بالنور في مادّة واحدة، قدر على إبدال الموت بالحياة في موادّ الأبدان. و كذلك جعل اللّيل للأبصار «ليسكنوا فيه» بالنوم و القرار. «و النهار مبصراً». فإنّ الأصل ليبصروا فيه، فبولغ فيه بجعل الإبصار حالاً من أحواله المجعول عليها بحيث لاينفكّ عنها. «لآيات لقوم يؤمنون» لدلالتها على الأمور الثلاثة.(١)

[٨٧] «وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ وَ كُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ».

«و يوم ينفخ». منصوب باذكر. و يجوز أن يكون على حذف في الكلام و تقديره: و يوم ينفخ في الصور يكون النشأة الثانية. «ففزع من في السموات»؛ أي: ماتوا لشدّة الخوف. و قيل: هي ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع، و الثانية نفخة الصعق، و الثالثة نفخة القيامة لربّ العالمين. «و كلّ»؛ أي: كلّ من الأحياء الذين ماتوا ثمّ أحيوا «أتوه»: يأتونه في المحشر «داخرين»: أذلّاء صاغرين.(٢)

«في الصور». و هو القرن. و قيل: إنّه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش إذا نفخ في البوق. «من في السموات» من الهول. و عبّر عنه بالماضي لتحقّق وقوعه. «إلّا من شاء» أن لايفزع بأن يثبت قلبه. قيل: هم جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و عزرائيل. و قيل: الحور و الخزنة و حملة العرش. و قيل: الشهداء. و قيل: موسى [لأنّه] صعق مرّة. و لعلّ المراد ما يعمّ ذلك.(٣)

[٨٨] «وَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ».

«جامدة»: واقفة مكانها لاتسير و لاتتحرّك. «مرّ السحاب». أي في السرعة. و ذلك

١ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٨٤.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٧٠.
٣ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٨٤.

التحرّك إذا أزيلت الجبال من أماكنها للتلاشي. «صنع الله»؛ أي: صنع الله ذلك صنعاً. و انتصب بما دلّ [عليه قوله:] «و هي تمرّ مرّ السحاب». «أتقن»؛ أي: أحكم خلقه و سوّاه على ما ينبغي.(١)

«صنع الله». من المصادر المؤكّدة كقوله: «وعد الله»(٢) إلّا أنّ مؤكّده محذوف و هو الناصب ليوم ينفخ. و المعنى. و يوم ينفخ في الصور فكان كيت و كيت، أثاب الله المحسنين و عاقب المجرمين. ثمّ قال: «صنع الله الذي» يريد به الإثابة و المعاقبة. و جعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها حيث قال: «صنع الله الذي أتقن كلّ شيء». يعني أنّ مقابلة الحسنة بالثواب و السيّئة بالعقاب من جملة إحكامه و إتقانه.(٣)

[٨٩] «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ».

«من فزع». أهل الكوفة: «من فزع» منوّناً «يومئذ» بفتح الميم. و أهل المدينة بغير تنوين «يومئذ» بكسر الميم.(٤)

فإن قلت: ما الفرق بين الفزعين؟ قلت: الفزع الأوّل هو لايخلو منه أحد عند الإحساس لشدّة تقع و هول يفجأ من رعب و هيبة و إن كان المحسن يأمن لحاق الضرر به. و أمّا الثاني، فالخوف من العذاب. و من قرأ: «من فزعٍ» بالتنوين، فيحتمل معنيين: من فزع واحد و هو العقاب، و أمّا ما يلحق الإنسان من التهيّب و الرعب لما يرى من الأهوال فلايخلون منه لأنّ البشريّة يقتضي ذلك؛ و من فزع شديد مفرط الشدّة لايكتنهه الوصف و هو خوف النار.(٥)

«خير منها». إذ ثبت له الشريف بالخسيس و الباقي بالفاني و سبعمائة بواحدة. و قيل: «خير منها»؛ أي: خير حاصل من جهتها و هو الجنّة. «من فزع يومئذ». قيل: إذا أطبقت النار على أهلها، فزعوا فزعة لم يفزعوا مثلها و أهل الجنّة آمنون من ذلك الفزع. و من قرأ

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٧٠.
٢ـ نساء (٤) / ١٢٢.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٣٨٧.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٦٨.
٥ـ الكشّاف ٣ / ٣٨٨

بالتنوين، فالمراد فزع واحد من أفزاع ذلك اليوم.[١]

[٩٠] «وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«بالسيّئة»؛ أي: بالكفر و الشرك. «فكبّت وجوههم»؛ أي: ألقوا في النار منكوسين. «هل تجزون»؛ أي: إنّ هذا جزاء أعمالكم و ليس بظلم. و عن أميرالمؤمنين عليه السلام في قوله: «من جاء بالحسنة» قال: الحسنة حبّنا. و السيّئة بغضنا.[٢]

«هل تجزون». على الالتفات، أو بإضمار القول، أو قيل لهم ذلك.[٣]

[٩١] «إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

ثمّ قال سبحانه لنبيّه: قل لهم: «إنّما أمرت أن أعبد ربّ هذه البلدة». يعني مكّة. «حرّمها»؛ أي: جعلها حرماً آمناً يحرم فيها ما يحلّ في غيرها لاينفر صيدها و لايختلى خلاها. «و له كلّ شيء»؛ أي: هو مالك كلّ شيء ممّا أحلّه و حرّمه فيحرّم ما شاء و يحلّ ما شاء.[٤]

«إنّما أمرت أن أعبد». أمر الرسول أن يقول لهم ذلك بعد ما بيّن المبدأ و المعاد و شرح أحوال القيامة إشعاراً بأنّه قد أتمّ الدعوة و قد كملت و ما عليه بعد إلّا الاشتغال بشأنه و الاستغراق في عبادة ربّه. «من المسلمين»؛ أي: المنقادين و الثابتين على ملّة الإسلام.[٥]

[٩٢] «وَ أَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ».

«أتلو القرآن»؛ أي: أواظب على تلاوته لينكشف لي حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً، أو

١ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٨٤ ـ ١٨٥، و مجمع البيان ٧ / ٣٧١.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٧١.

٣ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٨٥.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٧١.

٥ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٨٥.

اتّباعه. «فمن اهتدى» باتّباعه إيّاي في ذلك. «لنفسه». فإنّ منافعه عائدة إليه. «و من ضلّ» بمخالفتي. «من المنذرين». فلا عليّ من وبال ضلاله شيء؛ إذ ما على الرسول إلّا البلاغ و قد بلّغت.[١]

[٩٣] «وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ».

«الحمد لله» على نعمة النبوّة، أو على ما علّمني و وفّقني للعمل. «سيريكم آياته» الظاهرة كوقعة بدر و خروج دابّة الأرض، أو في الآخرة فتعرفون أنّها آيات الله و لكن لاتنفعكم المعرفة. «بغافل عمّا تعملون». فلاتحسبوا أنّ تأخير عذابهم لغفلته عن أعمالهم.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الآيات أميرالمؤمنين و الأئمّة صلوات الله عليهم في الرجعة يعرفهم أعداؤهم إذا رأوهم. و الدليل على أنّ الآيات الأئمّة عليهم السلام قول أميرالمؤمنين عليه السلام: ما لله آية أعظم منّي.[٣]

«عمّا تعملون». أهل المدينة و ابن‌عامر و حفص: «عمّا تعملون» بالتاء، و الباقون بالياء.[٤]

١ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٨٥.
٢ـ تفسيرالبيضاويّ ٢ / ١٨٥.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٣٢.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٦٨.

۲۸.
سورة القصص

عنه ﷺ: من قرأ طسم القصص، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بموسى و كذّب به.[۱]

القصص: من كتبها و علّقها على عبد، أمن عليه من الزنى و الهرب و الخيانة. و كذا [إذا] علّقت على وجع الكبد و البطن و المطحول. و من شربها بماء المطر، نفعته من جميع الأسقام.[۲]

[۱] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * طسم».

[۲] «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ».

«الكتاب المبين»: الظاهر.[۳]

[۳ ـ ٤] «نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسىٰ وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ».

«نتلو عليك»؛ أي: نقرؤه بقراءة جبرئيل. و يجوز أن يكون بمعنى ننزل مجازاً. «من نبأ»؛ أي: بعض نبئها. «إنّ فرعون». استئناف مبيّن لذلك البعض.[٤]

۱ـ مجمع البيان ۷ / ۳۷۳.

۲ـ المصباح / ۶۰۸.

۳ـ مجمع البيان ۷ / ۳۷٤.

٤ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۱۸۶.

«بالحقّ»؛ أي: محقّقين. «لقوم يؤمنون»: لمن سبق في علمنا أنّه يؤمن. لأنّ التلاوة إنّما تنفع هؤلاء. «شيعاً»: فرقاً يشيّعونه على ما يريد و يطيعونه، أو يشيّع بعضهم بعضاً في طاعته. أو: فرقاً مختلفة قد أغرى بينهم العداوة؛ و هم بنو إسرائيل و القبط. «من المفسدين». لأنّ القتل ما كان إلّا من فعل المفسدين. لأنّه فعل لا طائل تحته، صدق الكهنة أو كذبوا.[١]

«و الأرض»: مصر. «شيعاً»؛ أي: فرقاً. لأنّه فرّق بني إسرائيل و القبط. و المعنى: يكرم أقواماً و يذلّ آخرين بالاستعباد و الاستعمال في الأعمال الشاقّة. و قيل: معناه: جعل بني إسرائيل أصنافاً في الخدمة و التسخير. «يستضعف طائفة منهم». يعني بني إسرائيل. ثمّ فسّر ذلك فقال: «يذبّح أبناءهم و يستحيي نساءهم»؛ أي: يقتل الأبناء و يستبقي البنات. و ذلك أنّ بعض الكهنة قال له: إنّ مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملكك. و قيل: إنّ فرعون رأى في منامه أنّ ناراً أقبلت من بيت المقدس حتّى اشتملت على بيوته فأحرقت القبط و تركت بني إسرائيل. فسأل علماء قومه فقالوا: يخرج من هذا البلد رجل يكون هلاك مصر على يديه. «من المفسدين» بالقتل و العمل بالمعاصي.[٢]

[٥] «وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ».

«و نريد». يعني أنّ فرعون كان يريد هلاك بني إسرائيل و نحن نريد أن نمنّ عليهم و نجعلهم قادة و رؤساء يقتدى بهم. «و نجعلهم الوارثين» لديار فرعون و قومه و أموالهم.[٣]

قال عليّ بن إبراهيم: روي في الخبر أنّ الله تبارك و تعالى أحبّ أن يخبر رسوله ﷺ بخبر فرعون فقال: «إنّ فرعون علا» ـ الآية ـ ثمّ انقطع خبر موسى و عطف على أهل بيت محمّد عليهم السلام فقال: «و نريد» ـ الآية. و إنّما عنى بهم آل محمّد. و لو كان عنى فرعون و هامان [لقال: و نري فرعون و هامان] و جنودهما منه[٤] ما كانوا يحذرون. فلمّا قال: «منهم» علمنا

١ـ الكشّاف ٣ / ٣٩١ ـ ٣٩٢.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٧٤ ـ ٣٧٥.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٧٥.
٤ـ المصدر: منهما. و في هامشه: ... و في بقيّة النسخ: منه.

أنّه عنى آل محمّد عليهم السلام.[١]

و امّا قوله: «و نريد» فهو جملة معطوفة على قوله: «إنّ فرعون» لأنّها نظير تلك في وقوعها تفسيراً لنبأ موسى و فرعون.[٢]

[٦] «وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ».

قال عليّ بن إبراهيم: «و نري فرعون و هامان و جنودهما». يعني الذين غصبوا آل محمّد عليهم السلام حقوقهم. و هو مثل قوله عليه السلام في خطبة يوم بويع له: ألا و قد أهلك الله فرعون و هامان و خسف بقارون.[٣]

أقول: المراد بفرعون و هامان الأوّلان الأعرابيّان، و بقارون فعلان، لأنّه كان شبيهاً له في جمع الأموال و كنزها و إنفاقها على غير أهلها من أقاربه و بني أميّة و هو السبب في قتله. ربما سأل الناس عن اسم أمّ موسى. و هذه عبارة التوراة معرّبة: فتزوّج عمران يوخابد ابنة عمّه فولدت له موسى و هارون.

«و نمكّن لهم»؛ أي: لبني إسرائيل. «في الأرض». يعني مصر. و قد صحّت الرواية عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: و الذي فلق الحبّة و برأ النسمة، لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها. و تلا عقيب ذلك: «و نريد» ـ الآية. و نظر أبوجعفر عليه السلام إلى أبي‌عبدالله عليه السلام فقال: هذا من الذين قال الله: «و نريد» ـ اه. و قال عليّ بن الحسين عليهما السلام: و الذي بعث محمّداً بالحقّ بشيراً و نذيراً، إنّ الأبرار منّا أهل‌البيت و شيعتهم بمنزلة موسى و شيعته، و إنّ عدوّنا و أشياعهم بمنزلة فرعون و أشياعه. «منهم»؛ أي: من بني إسرائيل. «يحذرون». أي من ذهاب الملك على يدي رجل منهم. «و نري». أهل الكوفة غير عاصم: «و يرى» بالياء مفتوحة و فتح الراء و إمالة فتحتها و رفع الأسماء الثلاثة بعدها.[٤]

١ـ تأويل الآيات ١ / ٤١٤ ـ ٤١٥.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٣٩٢.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٣٣ ـ ١٣٤.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٧٥ و ٣٧٤.

[٧] «وَ أَوْحَيْنَا إِلىٰ أُمِّ مُوسىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لَا تَخَافِي وَ لَاتَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ».

«و أوحينا»؛ أي: ألهمنا أمّ موسى. و قيل: أتاها جبرئيل بذلك. و قيل: كان رؤيا في المنام عبّره بعض علماء بني إسرائيل. «أن أرضعيه» ما لم تخافي عليه الطلب. فإذا خفت عليه القتل فألقيه في النيل. «و لاتخافي» عليه الضيعة. «و لاتحزني» من فراقه. «إنّا رادّوه إليك» سالماً. و ذلك أنّها لمّا حملت بموسى، كتمت أمرها و ذلك شيء ستره الله. فلمّا كانت السنة التي يولد فيها موسى، بعث فرعون القوابل و أمرهنّ بالمبالغة في التفحّص و حملت أمّ موسى فلم يعرف لها حمل فكانت القوابل لايتعرّضن لها فولدت موسى لم يطّلع عليها إلّا أخت موسى مريم. فكتمته أمّه ثلاثة أشهر. فلمّا خافت عليه، عملت له تابوتاً ثمّ ألقته في البحر ليلاً.[١]

«لاتخافي و لاتحزني». الخوف غمّ يلحق الإنسان لمتوقّع. و الحزن غمّ يلحقه لواقع و هو فراقه. فنهيت عنهما جميعاً و أومنت بالوحي إليها. و روي أنّه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد. و روي أنّها حين ضربها الطلق، كانت بعض القوابل الموكّلة بها مصافية لها. فلمّا وقع على الأرض، هالها نور بين عينيه و دخل حبّه قلبها، ثمّ قالت: لاأخبر فرعون فاحفظيه. فلمّا خرجت، جاء عيون فرعون، فوضعته في تنّور مسجور لما طاش من عقلها. فلمّا خرجوا، سمعت بكاءه فوجدت النار عليه برداً و سلاماً. فلمّا ألحّ فرعون في طلب الولدان، ألقته في اليمّ.[٢]

[٨] «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَ حَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ».

«فالتقطه آل فرعون»؛ أي: أخذوه من غير طلب. «ليكون لهم» في عاقبة أمره «عدوّاً و حزناً»، لأنّهم أخذوه لهذا. «خاطئين»؛ أي: عاصين في أعمالهم فعاقبهم الله بأن ربّى عدوّهم

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٧٧.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٣٩٣.

على يديهم. أو: خاطئين بأنّهم قتلوا ألوفاً لأجله ثمّ أخذوه يربّونه ليفعل بهم ما كانوا يحذرون. و كانت القصّة في ذلك أنّ النيل جاء بالتابوت إلى موضع فيه فرعون و امرأته على شطّ النيل، فلمّا رأته امرأته، ألقى الله حبّه في قلبها. و كانت من بنات الأنبياء من بني إسرائيل. فلمّا نظر فرعون إلى موسى، غاظه ذلك و قال: كيف أخطأ الذبح هذا الغلام؟ فقال آسية: هذا أكبر من [ابن] سنة و أنت أمرت بذبح ولدان هذه السنة.(١)

«حزناً». قرأ أهل الكوفة غير عاصم: «و حزناً» بضمّ الحاء و سكون الزاء. و هو لغة في الفتح.(٢)

و اللّام في «ليكون» لام التعليل المجازيّ. لأنّه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوّاً و لكنّ المحبّة؛ لكن لمّا كانت العداوة ثمرة التقاطهم، شبّه بالداعي. فاللّام مستعارة لما يشبه التعليل.(٣)

[٩] «وَ قَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ».

«قرّة عين لي ولك». لأنّه لم يكن لهما ولد. قال فرعون: قرّة عين لك. فأمّا لي فلا. قال رسول الله ﷺ: لو أقرّ فرعون بكونه قرّة عين له، لهداه الله به كما هداها و لكنّه أبى لما كتب عليه من الشقاء. «و لا يشعرون» أنّ هلاكهم على يديه أو أنّه الذي يطلبونه.(٤)

«قرّة عين». خبر مبتدأ محذوف أي هذا.(٥)

«لا تقتلوه». بلفظ الجمع للتعظيم. «أن ينفعنا». فإنّ فيه مخائل اليمن و دلائل النفع. و ذلك لما رأت من نور بين عينيه و ارتضاعه إبهامه لبناً و برء البرصاء بريقه و قد عجز الأطبّاء

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٧٨، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٨٧.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٧٧.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٣٩٤.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٧٨.

٥ـ الكشّاف ٣ / ٣٩٤.

عنه. «لايشعرون» [أنّهم على الخطأ] في طمع النفع منه و التبنّي له.[١]

[١٠] «وَ أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسىٰ فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْ لَا أَنْ رَبَطْنَا عَلىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».

«فارغاً»؛ أي: خالصاً من كلّ شيء إلّا من ذكر موسى. أو: صار فارغاً من الحزن لعلمها بأنّ ابنها ناج، سكوناً إلى [ما] وعدها الله، أو لسماعها أنّ فرعون عطف عليه و تبنّاه. «إن كادت»: إنّها كادت تبدي بذكر موسى فتقول يا ابناه، من شدّة الغمّ. أو: كادت تصيح على ابنها مشفقة عليه من الغرق. أو همّت أن تقول إنّها أمّه لمّا رأته عند الإرضاع لشدّة سرورها. «و ربطنا على قلبها» بالصبر و الثبات. و جواب لولا محذوف. أي: لأظهرته. «من المؤمنين»؛ أي: المصدّقين بوحينا و قولنا: «إنّا رادّوه إليك».[٢]

«فارغاً»؛ أي: صفراً من العقل. لأنّها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون، طار عقلها.[٣]

[١١] «وَ قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ».

«و قالت». أي أمّ موسى. «لأخته»؛ أي: كلثمة. «قصّيه»؛ أي: اتّبعي أثره و تعرّفي خبره. «عن جنب»؛ أي: بعد، أو جانب تنظر إليه كأنّها لاتريده. أي: من مكان جنب. «لايشعرون» أنّها تقصّ خبره أو أنّها أخته.[٤]

[١٢] «وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ نَاصِحُونَ».

«و حرّمنا»؛ أي: منعناه أن يرتضع من المرضعات. «من قبل» مجيء أخته، أو من قبل ردّه على أمّه. «يكفلونه لكم»؛ أي: يضمنون لكم القيام بأمره. «له ناصحون»؛ أي: مشفقون.

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٨٧.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٧٨ ـ ٣٧٩، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٨٧ ـ ١٨٨.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٣٩٥.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٨٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٨٨.

و قيل: إنّها لمّا قالت ذلك، قال هامان: إنّها تعرفه و أهله. خذوها حتّى تخبر بحاله. فقالت: إنّما أردت: للملك ناصحون. فمضت فأتت بأمّها و موسى على يد فرعون يبكي و هو يعلّله. فلمّا وجد ريحها، استأنس و التقم ثديها. فقال لها: من أنت منه؟ فقد أبى كلّ ثدي إلّا ثديك! قالت: إنى امرأة طيّبة الريح طيّبة اللّبن لاأوتى بصبيّ إلّا قبلني. فدفعه إليها و أجرى عليها. فرجعت به إلى بيتها من يومها. و هو قوله: «فرددناه إلى أمّه».[١]

[١٣] «فَرَدَدْنَاهُ إِلىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ وَ لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

«تقرّ عينها» بولدها. «و لاتحزن» بفراقه. «و لتعلم» علم مشاهدة. «لايعلمون» أنّ وعده حقّ فيرتابون فيه أو أنّ الغرض الأصليّ من الردّ علمها بذلك و ما سواه تبع. و فيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون.[٢]

«و لكنّ أكثرهم لايعلمون». يشبه أن يكون تعريضاً بما صدر منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت و أصبح فؤادها فارغاً. يروى أنّها حين ألقت التابوت في اليمّ جاءها الشيطان فقال لها: يا أمّ موسى، كرهت أن يقتل فرعون موسى فتؤجري ثمّ ذهبت فتولّيت قتله؟ فلمّا أتاها الخبر بأنّ فرعون أصابه قالت: وقع في يد العدوّ، فنسيت وعد الله.[٣]

[١٤] «وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوىٰ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ».

«و لمّا بلغ أشدّه»: مبلغه الذي لايزيد عليه نشؤه. و ذلك من ثلاثين إلى أربعين سنة. لأنّ العقل يكمل حينئذ. و روي أنّه لم يبعث نبيّ إلّا على رأس الأربعين. «و استوى» قدّه أو عقله. «آتيناه حكماً»؛ أي: نبوّة «و علماً» بالدين. «و كذلك»؛ أي: مثل ذلك الذي فعلناه بموسى و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٨٨، و مجمع البيان ٧ / ٣٨٠ ـ ٣٨١.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٨٨.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٣٩٧.

أمّه «نجزي المحسنين» على إحسانهم.(١)

[١٥ ـ ١٦] «وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ».

«المدينة». يعني مصر. «حين غفلة»: في وقت لايعتاد دخولها. قيل: كان وقت القيلولة. و قيل: بين العشاءين إمّا خوفاً من فرعون أو حياء من الناس لأنّ فرعون أخرجه منها. «يقتتلان»؛ أي: يختصمان في أمر الدين أو الدنيا. «هذا من شيعته». أحدهما ممّن شايعه على دينه و هم بنوإسرائيل و الآخر من مخالفيه و هم القبط. و الإشارة على الحكاية. قيل: كان القبطيّ يسخر الإسرائيليّ ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون. و قيل: كان أحدهما مسلماً و الآخر كافراً. «فوكزه»؛ أي: دفع في صدره بجمع كفّه. «فقضى عليه»؛ أي: فقتله. «من عمل الشيطان»؛ أي: بسببه حتّى هيّج غضبي فضربته، فهو من إغرائه. و ذكر المرتضى ﵀ له وجهين. أحدهما: انّ المراد أنّ التزيين لقتله و تركي لما ندبت إليه من تأخيره حتّى يفوتني ما أستحقّه عليه من الثواب من عمل الشيطان. و الآخر: يريد أنّ عمل المقتول من عمل الشيطان، يبيّن بذلك أنّه مخالف لله مستحقّ للقتل.(٢)

في خبر عليّ بن الجهم قال: سأل المأمون الرضا ﵇ عن قول الله: «فوكزه موسى». قال الرضا ﵇: إنّ موسى دخل مدينة من مدائن فرعون بين المغرب و العشاء «فوجد فيها رجلين» إلى قوله: «فقضى عليه»؛ أي: على العدوّ بحكم الله. [فوكزه] فمات. قال: «هذا من عمل الشيطان» يعني الاقتتال الذي كان وقع بين الرجلين، لا ما فعله موسى من قتله. «إنّه» يعني الشيطان «عدوّ مضلّ مبين». قال المأمون: فما معنى قول موسى: «ربّ إنّي ظلمت نفسي

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٨٨.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٨١ ـ ٣٨٢، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٨٨.

فاغفرلي»؟ قال: يقول: إنّي وضعت نفسى غير موضعها بدخولي هذه المدينة «فاغفرلي»؛ أي: استرني من أعدائك لئلّايظفروا بي فيقتلوني.(١)

سؤال: قالوا: هذا القتل إمّا أن يكون مستحقّاً أو غير مستحقّ. فإن كان غير مستحقّ، فالأنبياء لايجوز عليهم ذلك عندكم لا قبل النبوّة و لا بعدها. و إن كان مستحقّاً، فلا معنى لندمهعليه السلام و عليه استغفاره منه. و الجواب: انّ القتل إنّما وقع على سبيل تخليص المؤمن من يد الظالم و لم يكن مقصوداً في نفسه. و كلّ إثم وقع على هذا الوجه، فهو حسن غير قبيح، سواء كان القاتل مدافعاً عن نفسه أو غيره. و أمّا قوله: «ربّ إنّي ظلمت نفسي» بقتل القبطيّ، فالمراد أنّهم لو علموا لقتلوني. و قال المرتضى: إنّما قال ذلك على سبيل الانقطاع و الرجوع إلى الله و الاعتراف بالتقصير عن حقوق نعمه أو من حيث حرم نفسه الثواب المستحقّ بفعل الندب. «فاغفرلي» معناه معنى قول آدم: «ربّنا ظلمنا» ـ الآية. و قبول الاستغفار و التوبة قد يسمّى غفراناً.(٢)

«هذا من عمل الشيطان». احتجّ بها من طعن في عصمة الأنبياء بأنّ ذلك القبطيّ إمّا أن يقال إنّه كان مستحقّ القتل أو لم يكن. فإن كان الأوّل، فلم يقال: «هذا من عمل الشيطان»؟ و إن كان الثاني، كان معصية و ذنباً. و الجواب: إنّه يجوز أن يقال إنّه لكفره مباح الدم. و أمّا قوله: «هذا من عمل الشيطان» ففيه وجوه. أحدها: انّ الله، و إن أباح قتل الكفّار، إلّا أنّه كان الأولى تأخيره إلى زمان آخر. فلمّا قتل، فقد ترك المندوب. فهو قوله: «هذا من عمل الشيطان». و ثانيها: انّ قوله «هذا» إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه. فقوله: «هذا من عمل الشيطان» المراد منه بيان كونه مخالفاً لله مستحقّاً للقتل. و ثالثها: أن يكون قوله: «هذا» إشارة إلى المقتول. يعني أنّه من جند الشيطان و حزبه. و أمّا قوله: «فاغفرلي»؛ أي: فاغفرلي ترك المندوب. و فيه وجه آخر؛ و هو أن يكون المراد: ربّ ظلمت نفسي حيث

١ـ بحار الأنوار ١١ / ٨٠، و عيون الأخبار ١ / ١٩٨ ـ ١٩٩.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

قتلت هذا الملعون. فإنّ فرعون لو عرف ذلك، لقتلني به. «فاغفرلي»؛ أي: استره علـيّ و لاتوصل خبره إلى فرعون. «فغفر له». أي: ستره عن الوصول إلى فرعون. و يؤيّده قوله عقيبه: «ربّ بما أنعمت عليّ» ـ الآية. و لو كانت إعانة المؤمن هاهنا سبباً للمعصية، لما قال ذلك.

[۱۷] «قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ».

قال موسى: «ربّ بما أنعمت عليّ» من القوّة حتّى قتلت رجلاً بوكزة «فلن أكون ظهيراً للمجرمين» بل أجاهد في سبيلك بهذه القوّة.[۱]

«قال ربّ بما أنعمت عليّ». قسم محذوف الجواب. أي: أقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة و غيرها، لأتوبنّ «فلن أكون ظهيراً للمجرمين». أو استعطاف. أي: بحقّ إنعامك عليّ اعصمني فلن أكون معيناً لمن أدّت معاونته إلى جرم. و عن ابن‌عبّاس: لم يستثن، فابتلي به مرّة أخرى. و قيل: [معناه:] بما أنعمت عليّ من القوّة أعين أولياءك فلن أستعملها في مظاهرة أعدائك.[۲]

[۱۸] «فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ».

«فأصبح» موسى في اليوم الثاني. «خائفاً» من قتل القبطيّ من جهة فرعون و قومه أن يكونوا سمعوا به. «يستصرخه». يعني الإسرائيليّ الذي قتل القبطيّ من أجله يستعين به على رجل آخر من القبط خاصمه. «لغويّ مبين»؛ أي: ظاهر الغواية حيث قاتلت أمس رجلاً و تسبّبت إلى قتله و تقاتل اليوم آخر. و لم يرد الغواية في الدين. و المراد أنّ من خاصم آل فرعون فإنّه خائف فيما يطلب عادل عن الصواب.[۳]

۱ـ بحار الأنوار ۱۱ / ۸۰، و عيون الأخبار ۱ / ۱۹۹.
۲ـ تفسير البيضاويّ ۲ / ۱۸۹.
۳ـ مجمع البيان ۷ / ۳۸۴، و تفسير البيضاويّ ۲ / ۱۸۹.

«فأصبح» ـ الآية. فلمّا كان من الغد، جاء آخر فتشبّث بالرجل الذي يقول بقول موسى. فاستغاث بموسى. فنظر صاحبه إلى موسى فقال: «أتريد أن تقتلني»؟ و خلّى عن صاحبه و خرج.(١)

«فإذا الذي استنصره».و هو الذي من شيعته يقال له السامريّ. و الذي من عدوّه كان خبّازاً لفرعون و اسمه قاتون. و كان اشترى حطباً للمطبخ، فسخّر السامريّ ليحمله، فامتنع. فلمّا مرّ بهما موسى، استغاث به. فقال موسى للقبطيّ: دعه. فقال الخبّاز: إنّما آخذه لعمل أبيك. فأبي أن يخلّي سبيله. فوكزه موسى فقتله و هو لايريد قتله. و لمّا قتل، لم يرهما إلّا الله و الإسرائيليّ. «فأصبح في المدينة» يترقّب الأخبار. «قال يا موسى»؛ أي: قال له الإسرائيليّ لمّا أغلظه موسى فظنّ أنّه يريد قتله، و ما كان يريد إلّا الفرعونيّ. فتتاركا و ذهب إلى فرعون و أخبره بما سمع من الإسرائيليّ. فأرسل فرعون الذبّاحين و أمرهم بقتل موسى. و قال لهم: [اطلبوه] في بنيّات الطريق. فإنّه غلام لايهتدي إلى الطريق. فجاءه خربيل و كان على بقيّة من دين إبراهيم الخليل عليه السلام و كان أوّل من صدّق بموسى و آمن به. و قد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: خربيل مؤمن آل فرعون، و حبيب النجّار صاحب ياسين، و عليّ بن أبي طالب عليه السلام. و هو أفضلهم. فأتى إليه فأخبره بما قال فرعون. فتحيّر موسى و لم يدر إلى أين يذهب. فجاءه ملك على فرس بيده عنزة فقال: اتّبعني. فاتّبعه فهداه إلى مدين.(٢)

[١٩ ـ ٢٠] «فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَ مَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ * وَ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ».

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٣٧.

٢ـ تفسير الثعلبيّ ٧ / ٢٤١ ـ ٢٤٢، و بحارالأنوار ١٣ / ٥٧ ـ ٥٨ عن عرائس المجالس للثعلبيّ.

«عدوّ لهما»؛ أي: لموسى و الإسرائيليّ لأنّه لم يكن على دينهما.[١]

«فلمّا»؛ أي: لمّا أراد أن يبطش بالقبطيّ، ظنّ الإسرائيليّ أنّ موسى قصده لما قال: «إنّك لغويّ مبين» قال: «أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس». عن أكثر المفسّرين. و قال الحسن: هو من قول القبطيّ. لأنّه قد اشتهر أمر القتل بالأمس. «جبّاراً»؛ أي: عالياً في الأرض بالقتل و الظلم. و قيل: لايكون الإنسان جبّاراً حتّى يقتل نفسين بغير حقّ. «من المصلحين» بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي أحسن. و لمّا قال هذا، انتشر الحديث و ارتقى إلى فرعون و ملئه فهمّوا بقتله. فخرج مؤمن آل فرعون و هو ابن عمّ فرعون ـ قيل اسمه حزبيل و قيل شمعون ـ ليخبره. كما قال: «و جاء رجل». «يسعى»؛ أي: يسرع في المشي. فأخبره بذلك و أنذره. «إنّ الملأ»؛ أي: الأشراف من آل فرعون. لأنّهم يملؤون العيون مهابة، أو لأنّهم ملئوا بالرأي. «يأتمرون»؛ أي: يتشاورون. وإنّما سمّى التشاور ائتماراً لأنّ كلّاً من المتشاورين يأمر الآخر و يأتمر. «فاخرج» من أرض مصر.[٢]

و كان خازن فرعون مؤمناً بموسى قد كتم إيمانه. و هو الذي قد ذكره الله: «و قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله».[٣] [و بلغ فرعون خبر قتل موسى الرجل فطلبه ليقتله. فبعث المؤمن إلى موسى: «إنّ الملأ يأتمرون...».][٤]

[٢١] «فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

«فخرج منها»؛ أي: فخرج موسى من مدينة فرعون «خائفاً» من أن يطلب «يترقّب» الطلب. «نجّني»؛ أي: خلّصني من لحوقهم. قيل: إنّه خرج بغير زاد و لا حذاء و لا ظهر. و كان لا يأكل إلّا من حشيش الصحراء حتّى بلغ مدين.[٥]

«يترقّب»؛ أي: يلتفت يمنة و يسرة. و مرّ نحو مدين. و كان بينه و بين مدين مسافة

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٨٩.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٨٤، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٨٩.

٣ـ غافر (٤٠) / ٢٨.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٣٧.

٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣٨٦.

ثلاثة أيّام. فلمّا بلغ، جلس ناحية و لم يكن أكل منذ ثلاثة أيّام شيئاً.[١]

[٢٢] «وَ لَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ».

«و لمّا توجّه»؛ أي: لمّا صرف وجهه قبالة مدين قرية شعيب. سمّيت باسم مدين بن إبراهيم. و لم تكن في سلطان فرعون. و كان بينها و بين مصر مسيرة ثمان ليال. «سواء السبيل»؛ أي: وسطه المؤدّي إلى مدين. لأنّه كان لايعرف الطريق. فعنّ له ثلاث طرق. فاستجاب الله دعاءه فأخذه في أوسطها. و جاء الطلّاب عقيبه فأخذوا في الآخرين.[٢]

[٢٣] «وَ لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَ أَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ».

«و لمّا ورد ماء مدين» ـ و هو بئر كان يسقون منه ـ وجد على شفيره جماعة من الرعاة يسقون مواشيهم الماء من البئر. «من دونهم»؛ أي: في مكان أسفل من مكانهم. «تذودان»: تمنعان أغنامهما عن الماء لئلّاتختلط بأغنامهم. فترك ذكر الغنم اختصاراً.[٣]

«تذودان». و الذود: الطرد و المنع. و إنّما كانتا تذودان لأنّ على الماء من هو أقوى منهما فلايتمكّنان من السقي. و قيل: كانتا تكرهان المزاحمة على الماء. و قيل: تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترّهما. فإن قلت: كيف ساغ النبيّ الله الذي هو شعيب عليه السلام أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية؟ قلت: الأمر في نفسه ليس بمحظور. لأنّ الدين لايأباه و أمّا المروّة، فالناس مختلفون في ذلك و العادات متباينة فيه، و أحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم، و مذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر، خصوصاً إذا كانت الحال حالة ضرورة.[٤]

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٣٧.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٨٦ ـ ٣٨٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٠.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٠، و مجمع البيان ٧ / ٣٨٧.

٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٠٠ ـ ٤٠٢.

«ما خطبكما»؛ أي: ما لكما لاتستقيان مع الناس؟ «قالتا لانسقي» عند المزاحمة مع الناس «حتّى يصدر الرعاء»؛ أي: حتّى ينصرف الناس. فإنّا لانطيق السقي فننتظر فضول الماء. «و أبونا شيخ كبير» لايقدر أن يتولّى السقي بنفسه من الكبر و لذلك احتجنا ـ و نحن نساء ـ أن نسقي الغنم. و إنّما قالتا ذلك تعريضاً للطلب من موسى أن يعينهما على السقي أو اعتذاراً إليه في الخروج بغير محرم.(١)

«يصدر». أبوعمرو و ابن‌عامر: «يصدر» بفتح الياء و ضمّ الدال. أي: حتّى يرجعوا عن سقيهم. و على القراءة المشهورة: حتّى يصدروا مواشيهم من رعيهم. فحذف المفعول.(٢)

[٢٤] «فَسَقىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ».

«فسقى لهما»؛ أي: سقى غنمهما الماء لأجلهما. و هو أنّه زحم القوم عن الماء حتّى أخرجهم عنه فسقى أغنامهما. و قيل: رفع لأجلهما حجراً عن بئر كان لايقدر على رفع ذلك الحجر عنها إلّا عشرة رجال. و سألهم أن يعطوه دلواً. فناولوه دلواً و قالوا له: انزح إن أمكنك. و كان لاينزحها إلّا عشرة. فنزحها وحده و سقى أغنامهما و لم‌يستق إلّا ذنوباً واحداً حتّى رويت الغنم. «ثمّ تولّى إلى الظلّ»: انصرف إلى ظلّ سمرة فجلس تحتها من شدّة الجوع. «إنّي لما أنزلت إليّ». قال أميرالمؤمنين عليه السلام: و الله ما سأله إلّا خبزاً يأكله. لأنّه كان يأكل بقلة الأرض. و لقد كان خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله و تشذّب لحمه. فرجعتا إلى أبيهما في ساعة كانتا لاترجعان فيها. فأنكر شأنهما و سألهما. فأخبراه الخبر. فقال لإحداهما: عليّ به. فرجعت الكبرى إلى موسى لتدعوه. فذلك قوله: «فجاءته إحداهما».(٣)

«من خير فقير»؛ أي: محتاج سائل. و لذلك عدّي باللّام. و قيل: معناه: انّي لما أنزلت إليّ من خير الدين صرت فقيراً في الدنيا. لأنّه كان في سعة عند فرعون. و الغرض منه إظهار التبجّح و الشكر على ذلك.(٤)

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٨٧.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٨٥.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٨٧ ـ ٣٨٨.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٠.

[٢٥] «فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَ قَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

«تمشي على استحياء»؛ أي: مستحيية معرضة على عادة النساء الخفرات. و قيل: [أراد] باستحيائها أنّها غطّت وجهها بكمّ درعها. «ليجزيك أجر» سقيك غنمنا. قيل: إنّه لمّا قالت له ذلك، أراد أن لايتابعها و لم يجد بدّاً منه لأنّه كان في أرض مسبعة. فخرج معها. و كانت الريح تضرب ثوبها فتصف لموسى عجزها. فناداها: كوني خلفي و أريني الطريق بقولك أو برمي الحصى. فلمّا دخل على شعيب، إذا هو مهيّأ للعشاء فقال له: تعشّ أنت جائع. فقال: أخاف أن يكون هذا لما سقيت لهما. و إنّا أهل بيت لانبيع عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً. فقال له شعيب: لا يا شابّ، و لكنّها عادتي و عادة آبائي نقري الضيف. و «قصّ عليه القصص»؛ أي: قصّ عليه أمره أجمع من قتل القبطيّ و أنّهم يطلبونه ليقتلوه. «قال شعيب»: «لاتخف نجوت» من فرعون و قومه. فلا سلطان له بأرضنا و لسنا في مملكته.[١]

[٢٦ ـ ٢٧] «قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ».

«إحداهما»؛ أي: ابنتيه و اسمها صفورة و هي التي تزوّج بها موسى و اسم الأخرى ليا. و قيل: إنّ الكبرى صفراء. «القويّ الأمين»؛ أي: من قوي على العمل و أدّى الأمانة. فقال له شعيب: ما علمك بقوّته و أمانته؟ فقالت: أمّا قوّته، فرفع الحجر الذي لايقدر على رفعه كذا و كذا رجلاً. و أمّا أمانته، فإنّه قال لي: امشي خلفي. فأنا أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي جسدك. و قيل: الأمين في غضّ بصره عنهما حين سقى لهما. فزادت رغبة شعيب فيه فقال: أريد أن أزوّجك إحدى ابنتيّ على أن تكون أجيراً لي ثماني سنين. «فإن أتممت عشراً» فذاك

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٨٨.

تفضّل منك. و قيل: معناه: على أن تجعل جزائي إيّاك على أن أنكحتك إحدى ابنتيّ أن تعمل ثماني سنين. فزوّجه بمهر و استأجره للرعي و لم يجعل ذلك مهراً و إنّما شرط ذلك عليه. و هذا موافق لمذهب أبي‌حنيفة، و الأوّل أصحّ و أوفق بظاهر الآية. «أن أشقّ عـليك» في هـذه الثمانية حجج بأن أكلّفك خدمة سوى رعي الغنم و بأن أستخدمك تمام عشر سنين. «من الصالحين» في حسن الصحبة و الوفاء بالعهد. و التعليق بالمشيّة لأنّ معناه: إن شاء الله أن يبقيني. لأنّه من الجائز أن يموت و لايفعل الصلاح الذي أراده. قيل: إنّه جعل لموسى كلّ سخلة توضع على خلاف شية أمّها فأوحى الله إلى موسى [في المنام] أن ألق عصاك في الماء. ففعل فولدن كلّهنّ على خلاف شيتهنّ. و قيل: إنّه وعده أن يعطيه تلك السنة من نتاج غنمه كلّ أدرع و أنّها نتجت كلّها درعاً.[١]

[٢٨] «قَالَ ذٰلِكَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَ اللهُ عَلىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ».

«ذلك»؛ أي: الذي وصفت و شرطت عليّ و لي مقبول عندي. و تمّ الكلام. ثمّ قال: «أيّما الأجلين» من الثماني و العشر أتممت و فرغت منه، فلا ظلم عليّ بأن أكلّف أكثر منهما و أطالب بالزيادة عليهما. «وكيل»؛ أي: شهيد بيني و بينك.[٢]

[٢٩] «فَلَمَّا قَضىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَ سَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ».

«قضى موسى الأجل». و هو أوفاهما و أبطؤهما. ثمّ توجّه نحو الشام بامرأته و غنمه. و أعطاه شعيب عصاً يدفع بها السباع عن غنمه. و هي التي أخرجها آدم معه من الجنّة. وعن أبي عبدالله عليه السلام أنّها قضيب آس من الجنّة. «و سار بأهله». قيل: بعد عشر سنين أخرى. و قيل: إنّه لمّا قضى العشر، استأذنه في العود إلى مصر ليزور والديه و أخاه. فأخذ على غير

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٩٠.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٩١.

الطريق مخافة ملوك الشام و امرأته في شهرها. [فسار في البرّيّة] غير عارف بـالطريق. فألجأه المسير إلى جانب الطور الأيمن في ليلة مظلمة شديدة البرد. و أخذ امرأته الطلق. و ضلّ الطريق و تفرّقت ماشيته و أصابه المطر. فبينا كذلك «آنس»؛ أي: أبصر من الجهة التي تلي الطور.[ناراً]. «بخبر»؛ أي: بخبر الطريق الذي أريده. أو: بخبر من النار هل هي لخير نأنس به أو لشرّ نحذره. «أو جذوة». و هو عود غليظ سويّ كان في رأسه نار أم لم يكـن. «جذوة». عاصم بفتح الجيم، و حمزة بضمّ الجيم، و الباقون بكسرها.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا قضى موسى الأجل قال: أريد الرجوع إلى أمّي و أهـلي. فما لي عندك؟ قال شعيب: ما وضعت أغنامي في هذه السنة من البلق، فهو لك. فقدم موسى عند ما أراد الكباش على النعاج إلى عصاه فقشر بعضها و ترك بعضها و غرسها وسط مربط الغنم و ألقى على جسده[٢] كساء أبلق ثمّ أرسل الفحل على الغنم. فلم تضع في تلك السنة إلّا بلقاء.[٣]

[٣٠] «فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ».

عن الصادق عليه السلام قال: إنّ بقاع الأرض تفاخرت. ففخرت الكعبة بكربلاء. فأوحى الله إليها: اسكتي و لاتفخري عليها. فإنّها البقعة المباركة التي نودي موسى منها.[٤]

«نودي»؛ أي: نودي موسى من الجانب الأيمن للوادي من «البقعة المباركة». إنّما كانت مباركة لأنّها معدن الوحي و الرسالة و كلام الله، أو لكثرة الأثمار و الأشجار فيها. «أن يا موسى». سمع النداء و الكلام من الشجرة لأنّ الله جعلها محلّاً للكلام.[٥]

«الشجرة». قيل: هي العوسجة. و قيل: العنّاب.[٦]

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٩١ ـ ٣٩٢ و ٣٨٩.
٢ـ المصدر: «عليه» بدل «على جسده».
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٣٩.
٤ـ بحارالأنوار ٥٣ / ١٢.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٣٩٢.
٦ـ بحارالأنوار ١٣ / ٦٠، عن عرائس المجالس للثعلبيّ.

[٣١] «وَ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسىٰ أَقْبِلْ وَ لَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ».

«و أن الق عصاك». أعاد سبحانه هذه القصّة و كرّرها في السور تقريراً للحجّة على أهل الكتاب و استمالة لهم إلى الحقّ. و من أحبّ شيئاً، أحبّ ذكره. و القوم كانوا يدّعون محبّة موسى. على أنّ كلّ موضع من مواضع التكرار لايخلو من زيادة فائدة. «كأنّها جانّ» في سرعة حركتها و شدّة اهتزازها. «و لم يعقّب»؛ أي: لم يرجع إلى ذلك الموضع. فنودي: «يا موسى أقبل و لاتخف إنّك من الآمنين» من ضررها.[١]

فإن قلت: ما تقولون في قوله تعالى: «فإذا هي ثعبان مبين»[٢]؛ أي: حيّة عظيمة، و قوله: «كأنّها جانّ» و هي الصغيرة من الحيّات؟ فما هذا التناقض؟ و الجواب: انّ الحالتين مختلفتان. فحالة كونها كالجانّ كانت في ابتداء النبوّة و قبل مصير موسى إلى فرعون، و حالة كونه ثعباناً كانت عند لقائه فرعون و إبلاغه الرسالة. و التلاوة تدلّ على ذلك. و ذكر المفسّرون فيه وجهين. أحدهما: انّه تعالى شبّهها بالثعبان لعظم خلقها و كبر جسمها و بالجانّ لسرعة حركتها، فاجتمع لها عظم الجثّة و سرعة الحركة. و الآخر: انّه لم يرد بذلك الجانّ الحيّة و إنّما المراد أحد الجانّ. فكأنّه تعالى أخبر بأنّها صارت ثعباناً في الخلقة و عظم الجسم و كانت كأحد الجانّ مع ذلك في هول المنظر و إفزاعها لمن شاهدها. و يمكن للآية تأويل آخر، و هو أنّ العصا لمّا انقلبت حيّة، صارت أوّلاً بصفة الجانّ و على صورته، ثمّ صارت بصفة الثعبان على التدريج و لم تصر بذلك ضربة واحدة.[٣]

[٣٢] «اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَ اضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ».

«اسلك يدك»؛ أي: أدخلها. «من غير سوء»؛ أي: من غير برص. «و اضمم إليك

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٩٣.
٢ـ الأعراف (٧) / ١٠٧.
٣ـ بحارالأنوار ١٣ / ٤٣.

جناحك»؛ أي: ضمّ يدك إلى صدرك من الخوف، فلا خوف عليك. و المعنى أنّ الله أمره أن يضمّ يده إلى صدره فيذهب ما أصابه من الخوف عند معاينة الحيّة. و قيل: إنّه لمّا ألقى العصا و صارت حيّة، بسط يديه كالمتّقي، و هما جناحاه، فقيل له: «اضمم إليك جناحك»؛ أي: ما بسطته من يديك. و المعنى: لاتبسط يديك خوفاً من الحيّة؛ فإنّك آمن من ضررها. و قيل: معناه: إذا هالك أمر يدك لما تبصر من شعاعها، فاضممها إليك لتسكن. «فذانك»؛ أي: اليد و العصا حجّتان على نبوّتك إلى فرعون و أرسلناك بهما. «فاسقين»: خارجين عن طاعة الله.

«فذانك». أهل البصرة و ابن‌كثير: «فذانّك» بالتشديد. «ذانك» بالتخفيف تثنية ذاك، و بالتشديد تثنية ذلك جعل بدل اللّام في ذلك تشديد النون.[١]

ابن‌عامر و حمزة و الكسائيّ: «من الرهب» بضمّ الراء و سكون الهاء.[٢]

«بيضاء». عن أبي جعفرعليه السلام: كان موسى شديد السمرة. فأخرج يده من جيبه فأضاءت له الدنيا. فقال الله: «فذانك برهانان من ربّك».[٣]

فإن قلت: ما معنى قوله: «و اضمم إليك جناحك من الرهب»؟ قلت: فيه معنيان. أحدهما: انّ موسى لمّا قلب الله العصا [حيّة] فزع و اضطرب فاتّقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء. فقيل له: إنّ اتّقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء. فإذا ألقيتها، فكلّما تنقلب حيّة فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتّقائك بها ثمّ أخرجها بيضاء ليحصل الأمران؛ اجتناب ما هو غضاضة و إظهار معجزة أخرى. و المراد بالجناح اليد. لأنّ يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر. و إذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى، فقد ضمّ جناحه إليه. و الثاني أن يراد بضمّ جناحيه إليه تجلّده و ضبطه نفسه عند انقلاب العصا حيّة حتّى لايضطرب و لايرهب، استعارة من فعل الطائر. لأنّه إذا خاف نشر جناحيه و أرخاهما، و إلّا فجناحاه مضمومان إليه مشمّران. و منه ما يحكى عن ابن عبدالعزيز أنّ كاتباً له كان

١ـ مجمع البيان ٧ / ٣٩٤ و ٣٩٣.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٢.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤٠.

يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل و انكسر و ضرب بقلمه الأرض. فقال له: خذ قلمك. و اضمم إليك جناحك. و ليفرخ روعك. فإنّي ماسمعتها من أحد أكثر ممّا سمعتها من نفسي. و معنى قوله: «من الرهب»: من أجل [الرهب]. أي: إذا أصابك الرهب عند رؤية الحيّة.(١)

[٣٣] «قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ».

[٣٤] «وَ أَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ».

«أفصح منّي». و إنّما قال ذلك لعقدة كانت في لسانه. و قد كان الله أزال أكثرها أو جميعها بدعائه. «ردءاً»؛ أي: معيناً على تبليغ رسالتك. «يصدّقني»؛ أي: مصدّقاً على ما أؤدّيه من الرسالة. و إن جزمته، فالمعنى: فإنّك إن ترسله معي يصدّقني.(٢)

فإن قلت: تصديق أخيه ما الفائدة فيه؟ قلت: ليس الغرض بتصديقه أن يقول له: صدقت، أو يقول للناس: صدق موسى. و إنّما هو أن يلخص بلسانه الحقّ و يبسط فيه القول و يجادل به الكفّار كما يفعل الرجل المنطيق. فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدّق القول بالبرهان. ألاترى إلى قوله: «و أخي هارون هو أفصح منّي لساناً»؟ و فضل الفصاحة إنّما يحتاج إليه لذلك لا لقوله صدقت. فإنّ سحبان و باقلاً يستويان فيه.(٣)

أبوجعفر و نافع: «رداً» بغير همز. و عاصم و حمزة: «يصدّقني» بالرفع. و الباقون بالجزم.(٤)

[٣٥] «قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَ مَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ».

١ـ الكشّاف ٣ / ٤٠٨.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٩٤ ـ ٣٩٥.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٤٠٩ ـ ٤١٠.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٩٣.

«قال سنشدّ عضدك بأخيك»؛ أي: نقوّيك به و نعينك. «سلطاناً»: غلبة و تسلّطاً. أو: حجّة واضحة. «بآياتنا». متعلّق بنحو ما تعلّق به «في تسع آيات».[١] أي: اذهبا بآياتنا. أو بنجعل لكما سلطاناً. أي: نسلّطكما بآياتنا. أو بلايصلون. أي: تمتنعون منهم بآياتنا. أو هو بيان للغالبون.[٢]

[٣٦] «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَ مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ».

«سحر مفترًى»؛ أي: سحر تعمله أنت ثمّ تفتريه على الله، أو موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر و ليس بمعجزة عند الله.[٣]

«ما سمعنا بهذا»؛ أي: لم نسمع بما تدعو إليه «في آبائنا» الذين كانوا قبلنا. و إنّما قالوا ذلك مع اشتهار قصّة نوح و هود و صالح و غيرهم من الأنبياء الذين دعوا إلى توحيد الله، إمّا للفترة التي دخلت بين الوقتين و الزمان الطويل، و إمّا لأنّ آباءهم ما صدّقوا بشيء من ذلك و لا دانوا به. فيكون المعنى: ماسمعنا بآبائنا أنّهم صدّقوا الرسل فيما جاؤوا به. و وجه شبهتهم في ذلك أنّهم قالوا: إنّهم الكبراء، فلو كان حقّاً لأدركوه.[٤]

[٣٧] «وَ قَالَ مُوسىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ».

«ربّي أعلم»؛ أي: ربّي أعلم منكم بحال من أهّله الله للفلاح الأعظم حيث جعله نبيّاً و بعثه بالهدى و وعده حسن العقبى. يعني نفسه. و لو كان ـ كما تزعمون ـ كاذباً ساحراً مفترياً، لما أهّله لذلك. لأنّه غنيّ عن إرسال الكاذبين و الساحرين. و «عاقبة الدار» هي

١ـ النمل (٢٧) / ١٢.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٤١٠.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٤١١.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٣٩٧.

العاقبة المحمودة؛ لقوله: «اولئك لهم عقبى الدار * جنّات عدن».[۱] و أراد بالدار الدنيا، و عاقبتها و عقباها أن يختم للعبد بالرحمة. و [قرأ ابن‌كثير:] «قال موسى» بغير واو. و هي قراءة حسنة. لأنّ الموضع موضع سؤال عمّا أجابهم به موسى تسميتهم الآيات الباهرات سحراً مفترًى. و وجه الأخرى أنّهم قالوا ذلك و قال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول و المقول و يتبصّر فساد أحدهما و صحّة الآخر.[۲]

«أعلم بمن جاء بالهدى»؛ أي: أعلم بأنّي جئت بهذه الآيات الدالّة على الهدى من عنده، فهو شاهد لي على ذلك إن كذّبتموني و يعلم أنّ العاقبة الحميدة لنا و لأهل الحقّ. و هذا كما يقال على سبيل المظاهرة: الله أعلم بالحقّ منّا و المبطل. و حجّتي ظاهرة. «و قال موسى» ابن‌كثير: «قال موسى». بغير واو. و كذلك هو في مصاحف مكّة.[۳]

[۳۸] «وَ قَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلىٰ إِلٰهِ مُوسىٰ وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ».

«و قال فرعون» منكراً لما أتى به موسى من آيات الله لمّا أعياه الجواب: «يا أيّها الملأ». يريد به أشراف قومه. «على الطين»؛ أي: أجّج النار على الطين و اتّخذ الآجر. قيل: إنّه أوّل من بنى الآجر و شوّاه. «صرحاً»؛ أي: قصراً عالياً لعلّي أصعد إلى إله موسى و أقف على حاله. و هذا تلبيس من فرعون على العوامّ أنّ الذي يدعو إليه موسى يجري مجراه في الحاجة إلى المكان و الجهة. «من الكاذبين» في ادّعائه إلهاً غيرى و أنّه رسوله.[۴]

«صرحاً». روي أنّه لمّا أمر ببناء الصرح، جمع هامان العمّال حتّى اجتمع خمسون ألف بنّاء سوى الأتباع و الأجراء فشيّدوه في الهواء. فبعث الله جبرئيل فضربه فقطّعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل، و وقعت قطعة في البحر و قطعة في

۱ـ الرعد (۱۳) / ۲۲ ـ ۲۳.
۲ـ الكشّاف ۳ / ۴۱۱ ـ ۴۱۲.
۳ـ مجمع البيان ۷ / ۳۹۷ ـ ۳۹۸ و ۳۹۶.
۴ـ مجمع البيان ۷ / ۳۹۸.

المغرب و هلك العمّال. و روي: انّ فرعون قد ارتقى فوقه فرمى بنشّابة نحو السماء. و أراد الله أن يفتنهم فردّت إليه و هو ملطوخة بالدم. فقال: قد قتلت إله موسى. فعندها بعث الله جبرئيل لهدمه. «ماعلمت لكم». قصد بنفي علمه بإله غيره نفي وجوده. و يجوز أن يكون على ظاهره و أنّ إلهاً غيره غير معلوم و لكنّه مظنون، بدليل قوله: «و إنّي لأظنّه من الكاذبين». فإذا لم يعلم كذب موسى، فقد ظنّ أنّ في الوجود إلهاً غيره. و لو لم يكن المخذول [ظانّاً] ظنّاً [كاليقين] بل عالماً بصحّة قول موسى، لقول موسى له: «لقد علمت ما أنزل» ـ الآية ـ[1] لما تكلّف ذلك البنيان العظيم و إن كان جاهلاً بصفاته حيث حسب أنّه في مكان و أنّه يطّلع عليه كما [كان] يطّلع عليه إذا قعد في علّيّته.[2]

«فاجعل لي صرحاً». فبنى له هامان في الهواء صرحاً حتّى بلغ مكاناً لايتمكّن الإنسان أن يقيم عليه من الرياح و قال لفرعون: لانقدر أن نزيد على هذا. فبعث الله رياحاً رمت به. فأخذ فرعون التابوت و عمد إلى أربعة أنسر فراخاً [و] ربّاها. حتّى إذا بلغت و اشتدّت، عمدوا إلى جوانب التابوت الأربعة فغرزوا في كلّ جانب منه خشبة و جعلوا على كلّ خشبة لحماً. و جوّعوا الأنسر و شدّوا أرجل كلّ نسر بخشبة. فنظرت الأنسر إلى اللّحم فوثبت إليه و صفقت[3] بأجنحتها و ارتفعت في الهواء. فطار يومها فقال لهامان: انظر إلى السماء هل بلغناها. فقال: أراها كما كنت أراها و أنا على الأرض في البعد. [فقال: انظر إلى الأرض.] فقال: لاأرى الأرض و لكنّي أرى البحار. حتّى جنّهم اللّيل، قال فرعون لهامان: هل بلغنا السماء؟ قال: أرى الكواكب كما كنت أراها و أنا على الأرض. ثمّ جالت الرياح القائمة في الهواء فأقبلت[4] التابوت. فلم يزل يهوي إلى الأرض. فكان في ذلك أشدّ ما كان عتوّاً.[5]

[٣٩] «وَ اسْتَكْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ».

١ـ الإسراء (١٧) / ١٠٢.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٤١٣ ـ ٤١٤.
٣ـ كذا في كنز الدقائق ١٠ / ٧٢. و في النسخة: «سفت». و في المصدر المطبوع: «... إلى اللّحم فأهوت إليه بأجنحتها... .»
٤ـ كذا في النسخة و المصدر.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤٠ ـ ١٤١.

«بغير الحقّ»؛ أي: بغير استحقاق. لأنّ الاستكبار بالحقّ إنّما هو لله. كما قال: و الكبرياء ردائي. و العظمة إزاري. فمن نازعني واحداً منهما، ألقيته في النار.(١)

«لايرجعون». نافع و حمزة و الكسائيّ: «لايرجعون» بفتح الياء و كسر الجيم، و الباقون بضمّ الياء و فتح الجيم.(٢)

[٤٠] «فَأَخَذْنَاهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ».

«فنبذناهم في اليمّ». و هو نيل مصر أو بحر من ورائه يقال له أساف.(٣)

و فيه تعظيم لشأن الآخذ و استحقار للمأخوذين كأنّه أخذهم مع كثرتهم فطرحهم في اليمّ كحصيات أخذهنّ آخذ فطرحهنّ في البحر. و نظير: «و ماقدروا الله حقّ قدره و الأرض جميعاً قبضته» ـ الآية.(٤) و ما هي إلّا تصويرات و تمثيلات لاقتداره.(٥)

[٤١] «وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ».

معناه: و دعوناهم أئمّة دعاة إلى النار و قلنا إنّهم أئمّة دعاة إلى النار كما يدعى خلفاء الحقّ أئمّة دعاة إلى الجنّة. و هو من قولك: جعله بخيلاً و فاسقاً، إذا دعاه. و منه: «و جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا».(٦) و معنى دعوتهم إلى النار دعوتهم إلى موجباتها من الكفر و المعاصي. «لاينصرون»: لايدفع العذاب عنهم. و يجوز: خذلناهم حتّى كانوا أئمّة الكفر. و معنى الخذلان منع الألطاف. و إنّما يمنعها من علم أنّها لاتنفع فيه و هو المصمّم على الكفر حتّى كانوا أئمّة فيه و دعاة إليه.(٧)

[٤٢] «وَ أَتْبَعْنَاهُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ».

١ـ الكشّاف ٣ / ٤١٤.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٣، و مجمع البيان ٧ / ٣٩٦.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٣٩٨.

٤ـ الزمر (٣٩) / ٦٧.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٣، و الكشّاف ٣ / ٤١٥.

٦ـ الزخرف (٤٣) / ١٩.

٧ـ الكشّاف ٣ / ٤١٦، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٤.

«لعنة»؛ أي: طرداً عن الرحمة. أو: لعن اللّاعنين يـلعنهم المـلائكة و اللّاعـنون. «مـن المقبوحين»؛ أي: المطرودين.(١)

«المقبوحين»؛ أي: المشوّهين في الخلقة بسواد الوجوه و زرقة الأعين.(٢)

[٤٣] «وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ».

«الكتاب»؛ يعني: التوراة. «القرون الأولى» من الكفّار مثل قوم نوح و عاد و ثمود، أو قوم فرعون، لأنّه سبحانه أعطاه التوراة بعد إهلاكهم بمدّة. «بصائر»؛ أي: حججاً و براهين ـ منصوب على الحال، أو بدل من الكتاب ـ يبصرون بها أمر دينهم. «و هدًى»؛ أي: دلالة لمن اتّبعه «و رحمة» لمن آمن به. «لعلّهم يتذكّرون»: ليكونوا على حال يرجى منهم التذكّر. و عنه ﷺ: ما أهلك الله قوماً بعذاب من السماء منذ أنزل التوراة غير أهل القرية التي مسخوا قردة. ثمّ قرأ هذه الآية.(٣)

[٤٤] «وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَ مَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ».

«بجانب الغربيّ» من الجبل الذي كلّم الله فيه موسى. «إذ قضينا»؛ أي: عهدنا إليه و أحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون و قومه. «من الشاهدين»: الحاضرين حتّى تخبر قومك عن مشاهدة و عيان.(٤)

عن ابن عبّاس في قول الله عزّوجلّ: «و ما كنت بجانب الغربيّ إذ قضينا إلى موسى الأمر» قال: بالخلافة ليوشع بن نون من بعده. ثمّ قال لنبيّه: لن أدع نبيّاً من غير وصيّ. و أنا باعث

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٤.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٩٨.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٤٠٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٤.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٤٠٠.

نبيّاً عربيّاً و جاعل وصيّه عليّاً. قال ابن‌عبّاس: و حدّث الله نبيّه صلى الله عليه وآله بما هو كائن. و حدّثه باختلاف هذه الأمّة من بعده. فمن زعم أنّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله مات بغير وصيّ، فقد كذب على الله عزّوجلّ.(١)

[٤٥] «وَ لٰكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَ مَا كُنْتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَ لٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ».

«ولكنّا أنشانا». معنى هذا الاستدراك و كيفيّة اتّصاله بما قبله: إنّا أنشأنا بعد عهد الوحي إلى عهدك قروناً كثيرة فتطاول على آخرهم ـ و هو القرن الذي أنت فيهم ـ العمر؛ أي: مدّ انقطاع الوحي و اندرست العلوم، فوجب إرسالك إليهم فأرسلناك و علّمناك قصص الأنبياء و قصّة موسى و ما جرى عليه، ولكنّا أوحيناه إليك. فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة و دلّ به على المسبّب على عادة الله في اختصاراته. فإذاً هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده. «ثاوياً»؛ أي: مقيماً. «أهل مدين»: شعيب و المؤمنون. «تتلو عليهم»: تقرأ عليهم «آياتنا» تعلّماً منهم. يريد الآيات التي فيها قصّة شعيب و قومه. «ولكنّا» أرسلناك و علّمناكها.(٢)

[٤٦] «وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَ لٰكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ».

«و ما كنت بجانب الطور» ـ اه. عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «و ما كنت بجانب الطور» قال: كتاب الله كتبه الله في ورقة [آس] قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فيها مكتوب: يا شيعة آل محمّد عليهم السلام أعطيتكم قبل أن تسألوني، و غفرت لكم قبل أن تستغفروني. من أتى منكم بولاية محمّد و آل محمّد صلوات الله عليهم، أسكنته جنّتي برحمتي. و في تفسير العسكريّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا بعث الله موسى بن عمران و اصطفاه بالمعجزات و الكرامات ـ و

١ـ تأويل الآيات ١ / ٤١٦.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٤١٧ ـ ٤١٨.

ساق الحديث في فضل محمّد و أهل بيته عليهم السلام إلى أن قال: ـ فهل عندك أمّة محمّد صلى الله عليه وآله أفضل من أمّتي ظللت عليهم الغمام و أنزلت عليهم المنّ و السلوى؟ فقال: يا موسى، أمّة محمّد أفضل خلقي. فقال موسى: ليتني كنت أراهم. فأوحى الله إليه: تراهم في الجنّات. و هذا ليس أوان ظهورهم. أفتحبّ أن تسمع كلامهم؟ قال: نعم. فنادى ربّنا: يا أمّة محمّد. فأجابوه بالتلبية الموضوعة للحجّ. فقال الله: من أتاني منكم يقرّ بأنّ عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام أخو النبيّ و وصيّه و وليّه، أدخله جنّتي. فلمّا بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله قال: يا محمّد، «و ما كنت بجانب الطور إذ نادينا» أمّتك بهذه الكرامة. ثمّ قال الله: يا محمّد، قل الحمد لله ربّ العالمين على ما اختصّني من هذه الفضيلة.(١)

[٤٧] «وَ لَوْ لَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».

فإن قلت: القول هو السبب في الإرسال لا العقوبة. فكيف دخل حرف الامتناع عليها؟ قلت: القول هو المقصود بأن يكون سبباً لإرسال الرسل و لكنّ العقوبة لمّا كانت هي السبب للقول و كان وجوده بوجودها، جعلت العقوبة كأنّها سبب الإرسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا و جيء بالقول معطوفاً عليها بالفاء المعطية للسببيّة. و يؤول معناه إلى قولك: و لولا قولهم هذا إذا أصابتهم مصيبة، ما أرسلناك؛ ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة و هي أنّهم لو لم يعاقبوا مثلاً على كفرهم و قد عاينوا ما ألجئوا به إلى العلم اليقين، لم يقولوا: «لولا أرسلت إلينا رسولاً» و إنّما السبب في قولهم هذا، هو العقاب لا غير لا التأسّف على ما فاتهم من الإيمان. و في هذا شهادة على استحكام كفرهم.(٢)

[٤٨] «فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْ لَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَ وَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَ قَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ».

١ـ تأويل الآيات ١ / ٤١٧ ـ ٤٢٠.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٤١٨ ـ ٤١٩.

«الحقّ»؛ أي: محمّد عَلَيْهِ‌السَّلامُ و القرآن. «قالوا لولا أوتي»؛ أي: [هلّا] أعطي محمّد مثل ما أعطي موسى من فلق البحر و اليد البيضاء و العصا و الكتاب جملة واحدة. و إنّما قاله اليهود أو قريش بتعليم اليهود، فاحتجّ الله عليهم بقوله: «أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل»؛ أي: و قد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمّد. و «قالوا سحران». يعني التوراة و القرآن. و ذلك حين بعثوا الرهط منهم إلى رؤوس اليهود بالمدينة فسألوهم عن محمّد فأخبروهم بنعته و صفته في كتابهم التوراة، فرجعوا إلى قريش و أخبروهم بقول اليهود، فقالوا عند ذلك: «سحران تظاهرا».[١]

«سحران». قرأ الكوفيّون: «سحران» بغير ألف، و الباقون: «ساحران».[٢]

«فلمّا جاءهم» بإرسال الرسول، «قالوا لولا أوتي»؛ أي: جاؤوا بالاقتراحات المبنيّة على التعنّت و العناد. كما قالوا: «لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك».[٣] «أو لم يكفروا» يعني أبناء جنسهم و من مذهبهم مذهبهم و عنادهم عنادهم، و هم الكفرة في زمن موسى «بما أوتي موسى»؟ و قيل: كان للعرب أصل في أيّام موسى. فمعناه على هذا: أو لم يكفر آباؤهم. «قالوا ساحران»؛ أي: قالوا في موسى و هارون: ساحران. «تظاهرا»؛ أي: تعاونا. و «سحران» بمعنى ذوا سحر، أو على المبالغة. «بكلّ»؛ أي: بكلّ واحد. فإن قلت: بم علّقت قوله: «من قبل» في هذا التفسير؟ قلت: بأو لم يكفروا. و لي أن أعلّقه بأوتي فينقلب المعنى إلى أنّ أهل مكّة الذين قالوا هذه المقالة، كما كفروا بمحمّد عَلَيْهِ‌السَّلامُ أو بالقرآن، فقد كفروا بموسى و بالتوراة و قالوا في موسى و محمّد: ساحران تظاهرا، أو في التوراة و القرآن: سحران تظاهرا. و ذلك حين بعثوا الرهط إلى اليهود بالمدينة يسألونهم عن صفة النبيّ عَلَيْهِ‌السَّلامُ فحكوا لهم نعته.[٤]

[٤٩] «قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

«قل فأتوا»؛ أي: قل ـ يا محمّد ـ لكفّار قومك: فأتوا بكتاب هو أهدى من التوراة و

١ـ مجمع البيان ٧ / ٤٠١ ـ ٤٠٢.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٣٩٩، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٥.
٣ـ هود (١١) / ١٢.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٤١٩ ـ ٤٢٠.

القرآن حتّى أتّبعه إن صدقتم أنّ التوراة و القرآن سحران.[١]

[٥٠] «فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

ثمّ قال لنبيّه: «فإن لم يستجيبوا لك»؛ أي: فإن لم يأتوا بمثل التوراة و القرآن. أو: فإن لم يستجيبوا لك إلى الايمان مع ظهور الحقّ، فاعلم أنّهم إنّما يتّبعون ما يميل إليه طباعهم. قال الزجّاج: أي: فاعلم أنّ ما ركبوه من الكفر لا حجّة لهم فيه و إنّما آثروا فيه الهوى. ثمّ ذمّهم فقال: «و من أضلّ»؛ أي: لا أحد أضلّ ممّن يتّبع هواه بغير رشاد و لا بيان جاءه من الله. «إنّ الله لا يهدي القوم الظالمين» إلى طريق الجنّة، أو لا يحكم بهدايتهم. أو إنّهم إذا لم يهتدوا بهدى الله، فكأنّه لم يهدهم.[٢]

قوله: «من اتّبع هواه»؛ أي: من يتّخذ دينه برأيه بغير إمام من الله من أئمّة الهدى عليهم السلام.[٣]

[٥١] «وَ لَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ».

«و لقد وصّلنا»؛ أي: فصّلناه و بيّنّاه. يعني: أتينا بآية بعد آية و بيان بعد بيان و أخبرناهم بأخبار الأنبياء و المهلكين من أممهم. «لعلّهم يتذكّرون» و يتفكّرون في الحقّ.[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: «و لقد وصّلنا لهم القول» قال: إمام بعد إمام. و معنى «وصّلنا لهم القول» هو القول في الإمامة. أي: جعله الله متّصلاً من إمام إلى إمام من لدن آدم إلى القائم عليه السلام. و القول هو قوله تعالى: «و إذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة».[٥] و ما زال لله في الأرض خليفة لئلّا يكون للناس على الله حجّة. و معنى قوله: «لعلّهم يتذكّرون» من ذكرى؛ مثل قوله:«و ذكّر فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين».[٦] و معنىً آخر:

١ـ مجمع البيان ٧ / ٤٠٢.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٤٠٢.
٣ـ تأويل الآيات ١ / ٤٢٠.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٤٠٣.
٥ـ البقرة (٢) / ٣٠.
٦ـ الذاريات (٥١) / ٥٥.

يتذكّرون القول في الإمامة بأنّه متّصل من إمام إلى إمام إلى القائم عليه السلام.(١)

[٥٢ ـ ٥٣] «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ».

«الذين آتيناهم الكتاب». قيل: نزلت و ما بعدها في عبدالله بن سلام و تميم الداريّ و سلمان الفارسيّ و الجارود العبديّ. فإنّهم لمّا أسلموا نزلت فيهم الآيات. و قيل: نزلت في أربعين رجلاً من أهل الإنجيل كانوا مسلمين بالنبيّ صلى الله عليه وآله قبل مبعثه؛ اثنان و ثلاثون من الحبشة أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما وقت قدومه، و ثمانية قدموا من الشام. «من قبله»؛ أي: من قبل محمّد صلى الله عليه وآله. «هم به»؛ أي: بمحمّد «يؤمنون». لأنّهم وجدوا صفته في التوراة. أو: من قبل القرآن، هم بالقرآن يصدّقون. و المراد بالكتاب التوراة و الإنجيل. فهؤلاء لم يعاندوا.(٢)

[٥٤] «أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ».

«مرّتين»: مرّة بتمسّكهم بدينهم حتّى أدركوا محمّداً فآمنوا به؛ و مرّة بإيمانهم به. و قيل: بما صبروا بتمسّكهم بدينهم على أذى الكفّار. «بالحسنة السيّئة»؛ أي: يدفعون بالحسنة من الكلام [الكلام] القبيح الذي يسمعونه من الكفّار، أو بالمعروف المنكر، أو بالحلم جهل الجاهل، أو بالمداراة [مع الناس] أذاهم عن أنفسهم، و روي مثل ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام.(٣)

عن أبي عبدالله عليه السلام: «مرّتين بما صبروا» قال: الأئمّة عليهم السلام. و قال: نحن صبر. و شيعتنا أصبر. لأنّا صبرنا على [ما] نعلم و صبروا على ما لا يعلمون.(٤)

١ـ تأويل الآيات ١ / ٤٢٠ ـ ٤٢٢.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٤٠٣.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٤٠٤.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤١.

[٥٥] «وَ إِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ».

«اللّغو». عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اللّغو الكذب. و اللّهو الغناء.[١]

«اللّغو»؛ أي: السفه من الناس، «أعرضوا عنه» و لم يقابلوه بمثله. «لنا أعمالنا»؛ أي: لانسأل نحن عن أعمالكم و لاتسألون عن أعمالنا. أو معناه: لنا ديننا و لكم دينكم. أو: لنا حلمنا و لكم سفهكم. «سلام عليكم»؛ أي: أمان منّا لكم أن نقابل لغوكم بمثله. و قيل: هي كلمة حلم و احتمال بين المؤمنين و الكافرين، و هي كلمة تحيّة بين المؤمنين. «لانبتغي الجاهلين»: لانطلب مجالستهم و معاونتهم. و إنّما نبتغي الحكماء و العلماء. أو: لانبتغي دين الجاهلين.[٢]

«سلام عليكم». سلام متاركة لهم و توديع و دعة[٣] لهم بالسلامة عمّا هم فيه.[٤]

[٥٦] «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ».

«إنّك لاتهدي من أحببت». قيل: إنّها نزلت في أبي‌طالب. فإنّه كان يحبّ إسلامه. و كان يكره إسلام وحشيّ قاتل حمزة، فنزلت فيه: «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم» ـ الآية.[٥] و في هذا نظر. فإنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لايجوز أن يخالف الله في إرادته، كما لايجوز أن يخالفه في أوامره و نواهيه. و قد تقدّم في سورة الأنعام أنّ أهل البيت عليهم السلام أجمعوا على أنّ أباطالب مات مسلماً و تظافرت الروايات بذلك عنهم. و حينئذ فمعنى الآية أنّه لمّا تقدّم ذكر الرسول و القرآن و أنّه أنزل لهدى الخلق، بيّن سبحانه أنّه ليس عليه فقال: إنّك لاتهدي من أحببت هدايته أو [أحببته] لقرابته. و المراد بالهداية هنا اللّطف الذي يختار عنده الإيمان، فإنّه لايقدر عليه إلّا الله. و أمّا الهداية التي هي الدعوى و البيان، فقد أضافها إلى نبيّه صلى الله عليه و آله في

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤٢.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٤٠٤.

٣ـ المصدر: «أو دعاء» بدل «و دعة».

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٦.

٥ـ الزمر (٣٩) / ٥٣.

قوله: «و إنّك لتهدي إلى صراط مستقيم».[1] أو المراد بالهداية في الآية الإجبار على الاهتداء. و قيل: معناه: ليس عليك اهتداؤهم و قبولهم الحقّ؛ «و لكنّ الله يهدي من يشاء» بلطفه. و قيل: هو على وجه الإجبار.[2]

[٥٧] «وَ قَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدیٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَ وَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبیٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

«نتخطّف من أرضنا»؛ أي: نخرج منها. نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف. أتى النبيّ ﷺ فقال: نحن نعلم أنّك على الحقّ، و لكن نخاف إن اتّبعناك و خالفنا العرب ـ و إنّما نحن أكلة رأس ـ أن يتخطّفونا من أرضنا. فردّ الله عليهم بقوله: «أو لم نمكّن لهم»؛ أي: ألم نجعل مكانهم حرماً ذا أمن لحرمة البيت الذي فيه تتقاتل العرب حوله و هم آمنون فيه؟ «يجبى إليه»؛ أي: يحمل. «رزقاً من لدنّا». فإذا كان هذا حالهم و هم عبدة الأصنام، فكيف نعرضهم للتخوّف و التخطّف إذا ضمّوا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد؟ و لكنّ أكثرهم جهلة لا يتفطّنون. أهل المدينة: «تجبى إليه» بالتاء. و انتصاب «رزقاً» على الحال من الثمرات لتخصيصها بالإضافة ـ أي: مرزوقة ـ أو على المصدر من معنى يجبى.[3]

«كلّ شيء»؛ أي: كلّ أرض و بلد.[4]

[٥٨] «وَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَ كُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ».

«من قرية»؛ أي: من أهل قرية. «بطرت». البطر: الطغيان. «معيشتها»؛ أي: في معيشتها بأن أعرضت عن الشكر و تكبّرت. أي أعطيناهم المعيشة الواسعة فكفروا النعمة فأهلكناهم. «لم تسكن من بعدهم إلّا قليلا». إشارة إلى ما يعرفونه من ديار عاد و ثمود و

١ـ الشورى (٤٢) / ٥٢.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٤٠٥ ـ ٤٠٦.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٦.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٤٠٧.

قوم لوط. فإنّها صارت خالية من أهلها و هي قريبة منكم، لأنّها كانت بين الشام و اليمن يمرّون عليها في تجاراتهم. و قوله: «إلّا قليلاً» أراد به المارّة؛ فإنّهم يسكنونها يوماً أو بعض يوم. «نحن الوارثين». لأنّه لم يخلفهم أحد يتصرّف تصرّفهم. و في هذه الآية بيّن أنّ الأمر بالعكس. يعني أنّه ينبغي أن يخافوا من بأس الله و عذابه لا من تخطّف الأرض.[١]

[٥٩] «وَ مَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرىٰ حَتّٰى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَ مَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرىٰ إِلَّا وَ أَهْلُهَا ظَالِمُونَ».

«و ما كان ربّك»؛ أي: ما كان عادة ربّك يا محمّد. «في أمّها»؛ أي: في أصلها و قصبتها. لأنّ أهلها يكون أفطن و أنبل. أو المراد أمّ القرى و هي مكّة. «ظالمون». أي لنفوسهم بالكفر و المعاصي.[٢]

[٦٠] «وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ زِينَتُهَا وَ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ».

«و ما أوتيتم». خطاب للعباد. أي: ما أعطيتموه من شيء «فمتاع الحياة الدنيا»؛ أي: تتمتّعون و تزيّنون به مدّة حياتكم المنقضية. «و ما عند الله» من الثواب «خير» في نفسه من ذلك. لأنّه لذّة خالصة و بهجة كاملة. «و أبقى». لأنّه أبديّ. «أفلاتعقلون». أبوعمرو: «أفلاتعقلون» بالتاء و الياء كيف شئت، و الباقون بالتاء. «أفلاتعقلون» فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟[٣]

[٦١] «أَ فَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ».

١ـ مجمع البيان ٧ / ٤٠٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٦ ـ ١٩٧.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٤٠٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٧، و الكشّاف ٣ / ٤٢٤.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٤٠٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٧.

«أفمن وعدناه». قيل: إنّها نزلت في حمزة بن عبدالمطّلب و أميرالمؤمنين عليه السلام و في أبي‌جهل. «وعداً حسنا» من ثواب الجنّة و نعيمها جزاء على طاعته. «فهو لاقيه»؛ أي: مدركه لا محالة. «كمن متّعناه في الدنيا» من الأموال و غيرها. «ثمّ هو يوم القيامة من المحضرين» للجزاء و العقاب أو في النار. يعني لايكون حالهما سواء، لأنّ نعم الدنيا ليست كنعم الآخرة.(١)

«أفمن وعدناه». عن أبي‌عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «أفمن وعدناه وعداً حسناً» قال: الموعود أميرالمؤمنين عليه السلام. وعده الله أن ينتقم له من أعدائه في الدنيا و وعده الجنّة [له و] لأوليائه في الآخرة.(٢)

[٦٢] «وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ».

«و يوم يناديهم»؛ أي: واذكر يوم ينادي الله الكفّار و هو يوم القيامة. و هذا تقريع و تبكيت. «تزعمون» ـ أي في الدنيا ـ أنّهم شركائي في الإلهيّة و تدّعون أنّهم ينفعونكم.(٣)

[٦٣] «قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ».

«الذين حقّ عليهم القول»؛ أي: الشياطين أو أئمّة الكفر. و معنى «حقّ عليهم القول»: وجب عليهم مقتضاه و ثبت. و هو قوله: «لأملأنّ جهنّم من الجنّة و الناس أجمعين».(٤)

«هؤلاء» مبتدأ و «الذين أغوينا» صفته. و الراجع إلى الموصول محذوف. و «أغويناهم» الخبر. و الكاف صفة مصدر محذوف تقديره: أغويناهم فغووا غيّاً مثل ما غوينا. يعنون: انّا لم نغو إلّا باختيارنا، لا أنّ فوقنا مغوين أغوونا بقسر منهم و إلجاء أو دعونا إلى الغيّ و سوّلوه. فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم. لأنّ إغواءنا لهم لم يكن إلّا وسوسة لا قسراً و إلجاء. فلا فرق

١ـ مجمع البيان ٧ / ٤٠٨.
٢ـ تأويل الآيات ١ / ٤٢٢.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٤٠٨.
٤ـ هود (١١) / ١١٩.

إذن بين غيّنا و غيّهم. و إن كان تسويلنا داعياً لهم إلى الكفر، فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم إلى الايمان بما وضع فيهم من أدلّة العقل و إرسال الرسل. و ناهيك بذلك صارفاً عن الكفر و داعياً إلى الايمان. و هذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان: «إنّ الله وعدكم وعد الحقّ» ـ الآية.[1] و الله قدّم هذا المعنى أوّل شيء [حيث] قال: «إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان» ـ اهـ.[2] «تبرّأنا إليك» منهم و ممّا اختاروه من الكفر بأنفسهم هوًى منهم للباطل و مقتاً للحقّ لا بقوّة منّا على استكراههم و لا سلطان. «ما كانوا إيّانا يعبدون». إنّما كانوا يعبدون أهواءهم و يطيعون شهواتهم.[3]

[٦٤] «وَ قِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ رَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ».

«و قيل ادعوا شركاءكم»؛ أي: يقال للأتباع: ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله و زعمتم أنّهم شركائي ليدفعوا عنكم العذاب. «فدعوهم» من فرط الحيرة. «فلم يستجيبوا لهم» لعجزهم عن الإجابة و النصرة. «و رأوا العذاب» لأربابهم. «لو أنّهم كانوا يهتدون» لوجه من الحيل يدفعون به العذاب، أو إلى الحقّ، لما رأوا العذاب. و قيل: لو للتمنّي. أو يكون تقديره: لو أنّهم كانوا يهتدون لرأوا العذاب، أي لاعتقدوا أنّ العذاب حقّ. و هذا القول أولى لدلالة الكلام على المحذوف.[4]

[٦٥] «وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَا ذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ».

«و يوم يناديهم». عطف على الأوّل. فإنّه تعالى يسأل أوّلاً عن إشراكهم به ثمّ عن تكذيبهم الأنبياء.[5]

١ـ إبراهيم (١٤) / ٢٢.
٢ـ الحجر (١٥) / ٤٢.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٤٢٦.
٤ـ مجمع البيان ٧ / ٤٠٩، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٨.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٨.

«يوم يناديهم». أمّا العامّة فتقول: ذلك في القيامة. و أمّا الخاصّة فرووا عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: إنّ العبد إذا أدخل قبره، دخل عليه منكر و فزع منه. فيقول: ما تقول في هذا النبيّ الذي بين أظهركم؟ فإن كان مؤمناً يشهد أنّه رسول الله بالحقّ، فيقول له: ارقد، و يتنحّى عنه الشيطان و فسح له في قبره سبعة أذرع و يرى مكانه في الجنّة. و إذا كان كافراً قال: لا أدري، فيضرب ضربة يسمعها كلّ من خلق إلّا الإنسان، و يسلّط عليه شيطان يقول له: أنا قرينك، و يسلّط عليه الحيّات و العقارب.[١]

[٦٦] «فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ».

«فعميت عليهم الأنباء»؛ أي: خفيت و اشتبهت عليهم طرق الجواب يومئذ فصاروا كالأعمى. و قيل: معناه: فالتبست عليهم الحجج فهم لا يحتجّون و لا ينطقون بحجّة. لأنّ الله أدحض حجّتهم و أكلّ ألسنتهم فسكتوا. فذلك قوله: «فهم لا يتساءلون»؛ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً عن الحجج أو عن العذر الذي يعتذر به في الجواب. أو: لا يسأل بعضهم بعضاً كما يتساءل الناس في المشكلات لأنّهم يتساوون جميعاً في عمى الأنباء عليهم و العجز عن الجواب. و المراد بالنبأ الخبر عمّا أجاب به المرسل إليه و رسوله. و إذا كانت الأنبياء لهول ذلك اليوم يتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال و يفوّضون الأمر إلى علم الله ـ و ذلك قوله تعالى: «يوم يجمع الله الرسل» إلى: «علّام الغيوب»[٢] ـ فما ظنّك بالضلّال من أممهم؟[٣]

[٦٧] «فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحاً فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ».

«من تاب» من المشركين و جمع بين الإيمان و العمل الصالح، فعسى أن يفلح عند الله. و عسى من الكرام تحقيق. و يجوز أن يراد ترجّي التائب. كأنّه قال: فليطمع أن يفلح. أو يقال: إنّه ليس بمقطوع بفلاحه. لأنّه على رجاء أن يدوم على ذلك فيفلح و قد يجوز أن يزلّ فيما بعد

١ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤٣.
٢ـ المائدة (٥) / ١٠٩.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٤٠٩، و الكشّاف ٣ / ٤٢٧.

فيهلك.[١]

[٦٨] «وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَ تَعَالىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ».

و قوله: «ماكان لهم الخيرة» قال: يختار الله الإمام. ماكان لهم أن يختاروه.[٢]

الخيرة من التخيّر [كالطيرة بمعنى التطيّر] تستعمل بمعنى المصدر و هو التخيّر و بمعنى المتخيّر، كقولهم: محمّد خيرة الله من خلقه. «ماكان لهم الخيرة». بيان لقوله: «يختار» لأنّ معناه: يختار ما يشاء. و لهذا لم يدخل العاطف. و المعنى أنّ الخيرة له في أفعاله و هو أعلم بوجوه الحكمة فيه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه. قيل: السبب فيه قول المشركين: «لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»[٣] فاختاروا الوليد بن المغيرة من مكّة و عروة بن مسعود الثقفيّ من الطائف. يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل إليهم. و قيل: معناه: يختار الذي لهم فيه الخيرة. أي: يختار للعباد ما هو خير لهم و أصلح و هو أعلم بمصالحهم من أنفسهم. و الأصل: ماكان لهم الخيرة فيه، فحذف فيه الراجع من الصلة إلى الموصول. «سبحان الله»؛ أي: الله بريء من إشراكهم و ما يحملهم عليه الجرأة على الله و اختيارهم عليه ما لا يختار.[٤]

[٦٩] «وَ رَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ مَا يُعْلِنُونَ».

«ما تكنّ صدورهم» من عداوة الرسول صلى الله عليه وآله و حسده. «و ما يعلنون» من مطاعنهم فيه و قولهم: هلّا اختير عليه غيره في النبوّة؟[٥]

[٧٠] «وَ هُوَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولىٰ وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ

١ـ الكشّاف ٣ / ٤٢٧، و مجمع البيان ٧ / ٤١٠.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤٣.
٣ـ الزخرف (٤٣) / ٣١.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٢٧ ـ ٤٢٨.
٥ـ الكشّاف ٣ / ٤٢٨.

تُرْجَعُونَ».

«و هو الله» المختصّ بالإلهيّة. «لا إله إلّا هو». تقرير لذلك. «في الأولى والآخرة». المراد بحمد الآخرة قول أهل الجنّة: «الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن».[١] «الحمد لله الذي صدقنا وعده».[٢] «و قيل الحمد لله ربّ العالمين».[٣] و التحميد هناك على وجه اللّذّة لا الكلفة. و في الحديث: يلهمون التحميد و التقديس. «و له الحكم»: القضاء بين عباده.[٤]

[٧١ ـ ٧٢] «قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَ فَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَ فَلَا تُبْصِرُونَ».

«سرمداً»؛ أي: دائماً. من السرد و هو المتابعة، و الميم زائدة كدلامص من الدلاص. «إلى يوم القيامة» بإسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها فوق الأفق الغائر. «أفلاتسمعون» سماع تدبّر و استبصار؟ ابن‌كثير: «بضئاء» بهمزتين. «النهار سرمداً» بإسكانها في وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الأفق. «تسكنون فيه»؛ أي: تستريحون فيه من التعب. «أفلاتبصرون». من البصيرة. أي: أفلاتعلمون؟ و قيل: أفلاتشاهدون اللّيل و النهار و تتدّبرون فيهما فتعلموا أنّهما من صنع مدبّر حكيم؟[٥]

[٧٣] «وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

«لتسكنوا فيه»؛ أي: في اللّيل. «و لتبتغوا» أي بالنهار بأنواع المكاسب. «و لعلّكم

١ـ فاطر (٣٥) / ٣٤.
٢ـ الزمر (٣٩) / ٧٤.
٣ـ الزمر (٣٩) / ٧٥.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٢٨.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٨ ـ ١٩٩، و مجمع البيان ٧ / ٤١١.

تشكرون»: و لكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها.[١]

[٧٤] «وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ».

«أين شركائي». تقريع بعد تقريع للإشعار بأنّه لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك. أو الأوّل لتقرير فساد رأيهم و الثاني لبيان أنّه لم يكن عن سند و إنّما كان محض تشهّ و هوًى.[٢]

[٧٥] «وَ نَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلّٰهِ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ».

«و نزعنا من كلّ أمّة»؛ أي: أخرجنا من كلّ أمّة من الأمم رسولها الذي يشهد عليهم بالتبليغ و بما كان منهم. و قيل: هم عدول الآخرة ـ و لا يخلو كلّ زمان منهم ـ يشهدون على الناس بما عملوا. «فقلنا». أي للأمم. «هاتوا برهانكم» على صحّة ما كنتم تدينون به. «فعلموا أنّ الحقّ لله»؛ أي: بهتوا و تحيّروا لمّا لم يكن لهم حجّة يقيمونها و علموا أنّ الحقّ ما أنزل الله. لأنّ المشهود عليه إذا لم يأت بمخلص من بيّنة الخصم، توجّهت القضيّة عليه و لزمه الحكم. «و ضلّ عنهم»؛ أي: غاب عنهم غيبة الضائع «ما كانوا يفترون» من الباطل.[٣]

[٧٦] «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسىٰ فَبَغىٰ عَلَيْهِمْ وَ آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ».

«من قوم موسى»؛ أي: من بني إسرائيل ثمّ من سبط موسى. و هو ابن خالته. و روي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام. و قيل: كان ابن عمّ موسى أو عمّ موسى. «فبغى عليهم»؛ أي: استطال عليهم بكثرة كنوزه. و لم يكن أقرأ منه للتوراة و لكنّ عدوّ الله نافق كما نافق

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٩.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٤١٢، و تفسير البيضاويّ ٢ / ١٩٩.

السامريّ فبغى عليهم. و قيل: كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل و كان يبغي عليهم. و قيل: إنّه زاد عليهم الثياب شبراً. و قيل: إنّه حسد موسى و هارون وقال: إذا كانت النبوّة لموسى و المذبح و القربان إلى هارون، فما لي؟ و قيل: إنّه لمّا جاوز موسى بهم البحر و صارت الرسالة و الحبورة لهارون يقرّب القربان و يكون رأساً فيهم ـ و كان القربان إلى موسى فجعله موسى إلى أخيه ـ غضب قارون في نفسه و حسدهما فقال لموسى: الأمر لكما و لست على شيء! إلى متى أصبر؟ قال موسى: هذا صنع الله. قال: و الله لا أصدّقك حتّى تأتي بآية. فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كلّ واحد بعصاه، فحزمها و ألقاها في القبّة التي كان الوحي ينزل عليه فيها. و كانوا يحرسون عصيّهم باللّيل. فأصبحوا و إذا بعصا هارون تهتزّ و لها ورق أخضر و كانت من شجر اللّوز. فقال قارون: ما هو بأعجب ممّا تصنع من السحر. «مفاتحه». المفاتح: جمع مفتح ـ بالكسر ـ و هو ما يفتح به. و قيل: هي الخزائن و قياس واحدها مفتح ـ بالفتح. «لتنوء»: أي: تثقل. و يقال: ناء به الحمل، إذا أثقله حتّى أماله. «و العصبة»: الجماعة الكثيرة. و اعصوصبوا: اجتمعوا. و كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستّون بغلاً لكلّ خزانة مفتاح و لا يزيد المفتاح على إصبع. و كانت من جلود. و قد بولغ في ذلك بلفظ الكنوز و المفاتح و النوء و العصبة و أولي القوّة. و ما موصولة بمعنى الذي و صلتها إنّ مع اسمها و خبرها. أي: أعطيناه من الأموال المدخّرة القدر الذي تنوء مفاتحه العصبة. «إذ قال». منصوب بتنوء. «لا تفرح». لأنّه لا يفرح بالدنيا إلّا من رضي بها و اطمأنّ. و أمّا من قلبه إلى الآخرة و يعلم أنّه مفارق ما فيه عن قريب، لم تحدّثه نفسه بالفرح.[1]

«مفاتحه». قال أبومسلم: المراد من المفاتح العلم و الإحاطة. كقوله: «و عنده مفاتح الغيب».[2] و المراد أنّ حفظ أمواله و الاطّلاع عليها يثقل على العصبة «أولي القوّة» و المتانة في الرأي. و ظاهر الكنوز، و إن كان من جهة العرف المال المدفون، إلّا أنّه يقع على المال

١ـ مجمع البيان ٧ / ٤١٥ ـ ٤١٦، و الكشّاف ٣ / ٤٢٩ ـ ٤٣٠.

٢ـ الأنعام (٦) / ٥٩.

المجموع في المواضع التي عليها أغلاق. و قولهم إنّ الكنوز تحت الأرض لا مفتاح لها غير مسلّم.(١)

«إذ قال له قومه». كون إذ متعلّقاً بتنوء ـ كما قاله جماعة من المفسّرين ـ ضعّفه أبوحيّان لأنّ إثقال المفاتح العصبة ليس مقيّداً بوقت قول قومه: «لاتفرح». و الأولى أن يكون ظرفاً لفعل محذوف دلّ عليه الكلام. أي: بغى عليهم إذ قال له قومه، فأظهر التفاخر و الفرح.

[٧٧] «وَ ابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَ لَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَ أَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَ لَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ».

«و ابتغ فيما آتاك الله» من الغناء و الثروة «الدار الآخرة» بأن تفعل أفعال الخير و تجعله زادك إلى الآخرة. «و لاتنس نصيبك من الدنيا». و هو أن تعمل في الدنيا للآخرة. عن أكثر المفسّرين. و معناه: لاتنس أن تعمل لآخرتك. لأنّ حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا هو الذي يعمل به لآخرته. و قيل: معناه أنّه كان قتوراً شحيحاً فقيل له: كل و اشرب و استمتع بما آتاك الله من الوجه المباح؛ فإنّ ذلك غير محظور عليك. «و أحسن» ؛ أي: تفضّل على الناس كما تفضّل الله عليك. أو: أحسن الشكر لله تعالى على قدر إنعامه عليك. و واس عباد الله بمالك.(٢)

«و لاتبغ الفساد». نهي له عمّا كان عليه من الظلم و البغي.(٣)

[٧٨] «قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً وَ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ».

«إنّما أوتيته»؛ أي: أعطيت هذا المال بفضل و علم عندي ليس ذلك عندكم. و هو علم التوراة، و كان أعلمهم بها. يعني أنّه قدّر أنّ هذا ثواب من الله لفضيلته. و قيل: إنّ المال

١ـ تفسير النيسابوريّ ٢٠ / ٦٩.

٢ـ الكشّاف ٣ / ٤٣١، و مجمع البيان ٧ / ٤١٦ ـ ٤١٧.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٠.

حصل على علم عندي بوجوه المكاسب و الزراعات و التجارات. و قيل: على علم عندي بصنعة الذهب و هو علم الكيمياء. حكي أنّ موسى علّم قارون الثلث من صنعة الكيمياء، و علّم يوشع الثلث منها، و علّم ابن هارون أو طالوت الثلث منها، فخدعهما قارون حتّى علم ما عندهما و عمل بالكيمياء فكثرت أمواله. و قيل: علم بكنوز يوسف. و «على علم» في موضع الحال، و «عندي» صفة له أو متعلّق بأوتيته. «أو لم يعلم أنّ الله قد أهلك من القرون» الكافرة بنعمته «من هو أشدّ منه قوّة و أكثر مالاً» كقوم عاد و ثمود و قوم لوط. يعني أنّ ماله لايقيه من العذاب. أو يكون ردّاً لادّعائه العلم و تعظّمه به بنفي هذا العلم منه. أي: [أ] عنده مثل ذلك العلم [الذي] ادّعاه و لم يعلم هذا حتّى يقي به نفسه مصارع الهالكين؟ «و لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون». يعني يدخلون النار بغير حساب. و قيل: إنّهم لايسألون سؤال استعلام، فإنّه تعالى يطّلع عليها، أو معاتبة، فإنّهم يعذّبون بها بغتة. و أمّا قوله: «فو ربّك لنسألنّهم أجمعين»[١] فإنّما ذلك سؤال تقريع و توبيخ لا ليعلم ذلك من قبلهم. و كأنّه لمّا هدّد قارون بذكر إهلاك من قبله، أكّد ذلك بأن بيّن أنّه لم يكن [مطّلعاً على ما] يخصّهم بل الله مطّلع على ذنوب المجرمين كلّهم معاقبهم عليها لا محالة.[٢]

[٧٩] «فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ».

«فخرج»؛ أي: خرج قارون على بني إسرائيل «في زينته» التي كان يتزيّن بها. و قيل: إنّه خرج في أربعة آلاف دابّة عليها أربعة آلاف فارس عليهم و على دوابّهم الأرجوان و هو الصبغ الأحمر. و قيل: خرج في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات يريدون الحياة الدنيا من الكفّار و المنافقين و ضعيفي الايمان. «مثل ما أوتي قارون». تمنّوا مثله لا عينه حذراً من الحسد. «حظّ عظيم»؛ أي: نصيب وافر من الدنيا.[٣]

١ـ الحجر (١٥) / ٩٢.
٢ـ مجمع البيان ٧ / ٤١٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٠.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٤١٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٠.

[٨٠] «وَ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحاً وَ لَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ».

«الذين أوتوا العلم». و هم المؤمنون بأحوال الآخرة. «ويلكم». دعاء بالهلاك استعمل للزجر عمّا لايرضى. «ثواب الله» في الآخرة «خير لمن آمن و عمل صالحاً» من مال قارون بل الدنيا و ما فيها. «و لايلقّاها». الضمير فيه للكلمة التي تكلّم بها الحكماء ـ أي: لايوفّق لها إلّا الصابرون على أمر الله ـ أو للثواب بمعنى المثوبة أو الجنّة أو للإيمان و العمل فإنّهما في معنى السيرة و الطريقة.[١]

[٨١] «فَخَسَفْنَا بِهِ وَ بِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ».

و كان سبب هلاك قارون: انّ موسى كان جالساً في فناء قصره فأمر أن يصبّ عليه ماء رماد. فغضب موسى غضباً شديداً. و كان على كتفه شعرات إذا غضب خرجت من ثيابه و قطر منها الدم. فقال موسى: يا ربّ إن لم تغضب لي، فلست لك بنبيّ. فأوحى الله إليه: قد أمرت الأرض بأن تطيعك. فلمّا أمر الأرض، قال: يا موسى، سألتك بالرحم بيني و بينك. فقال له موسى: يابن لاوي، لايردّني كلامك[٢]. يا أرض خذيه. حتّى ابتلعه بقصره و خزائنه و هو يناشده بالرحم. فعيّره الله بما قال لقارون، فقال موسى: يا ربّ إنّ قارون دعاني بغيرك. لو دعا بك لأجبته. قال: يابن لاوي، لايردّني كلامك.[٣] فقال موسى: يا ربّ لو علمت أنّ لك رضاً لأجبته. فقال تعالى: يا موسى، و عزّتي و جلالي، لو أنّ قارون دعاني كما دعاك، لأجبته؛ و لكنّه حيث دعاك، وكلته إليك.[٤]

«و ذلك أنّ قارون قال لبغيّة من بغايا بني إسرائيل: أعطيك ألفين على أن تقول بحضور

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٠، و مجمع البيان ٧ / ٤١٨.

٢ـ المصدر: لاتزدني من كلامك.

٣ـ المصدر: لاتزدني من كلامك.

٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤٥.

بني إسرائيل أنّ موسى راودني عن نفسي. فأعطاها خريطتين عليهما خاتمه. فلمّا جاءت بيتها، ندمت و قالت: إنّي عملت كلّ فاحشة و ما بقي إلّا أن أكذب على نبيّ الله موسى. فلمّا أصبحت، أتت بالخريطتين إلى بني إسرائيل فقالت: إنّ قارون أعطانيهما على أن أفتري على نبيّ الله موسى. و معاذ الله. و هذه دراهمه عليها خاتمه. فغضب موسى و دعا عليه. فأوحى الله إليه أنّي أمرت الأرض أن تعطيك. قال موسى: يا أرض خذيه. و هو على سريره و فرشه. فأخذته حتّى غيّبت قدميه و هكذا ـ و هو يناشده بالرحم ـ حتّى أخذته كلّه. فأوحى الله إليه: استغاث بك فأبيت. و لو استغاث بي لأغثته. فقال بنوإسرائيل: إنّما فعل ذلك ليرث ماله لأنّه ابن عمّه. فخسف بداره و أمواله بعده بثلاثة أيّام. «فئة»؛ أي: جماعة يدفعون عنه العذاب. [و إنّما قال ذلك] لأنّه كان يقدّر مع نفسه الامتناع بحاشيته و جنوده.[١]

لمّا أنزل الله وجوب الزكاة على قوم موسى، صالح قارون على أن يعطي من كلّ ألف دينار ديناراً و من كلّ ألف شيء شيئاً. فلم يقبل فاحتال في إهلاك موسى و أرشى البغيّة أن ترميه بالزنى حتّى يرجموه.[٢]

عن أبي عبدالله عليه السلام في خبر يونس عليه السلام قال: فدخلت الحوت في بحر القلزم، ثمّ خرج إلى بحر مصر، ثم إلى بحر طبرستان. ثمّ مرّت به تحت الأرض حتّى لحقت بقارون و كان معه ملك يدخله كلّ يوم قامة رجل. و كان يونس في بطن الحوت يسبّح الله. فسمع قارون صوته فقال للملك: أنظرني. فأنظره فقال: من أنت؟ قال: أنا يونس المذنب الخاطئ. قال: فما فعل شديد الغضب لله موسى بن عمران؟ فقال: هيهات! هلك. قال: فما فعل الرحمة على قومه هارون؟ فقال: هلك. قال: فما فعلت كلثم بنت عمران التي كانت سمّيت لي؟ قال: هيهات! مابقي من آل عمران أحد. فقال قارون: وا أسفا على آل عمران! فشكر الله له ذلك و أمر

١ـ مجمع البيان ٧ / ٤١٨.

٢ـ تفسير الثعلبيّ ٧ / ٢٦٤.

الملك أن يرفع عنه العذاب أيّام الدنيا.(١)

[٨٢] «وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ».

«ويكأنّ الله يبسط الرزق»؛ أي: يبسط و يقدر بمقتضى مشيّته لا لكرامة يقتضي البسط و لا لهوان يوجب القبض. «ويكأنّ». عند البصريّين مركّب من وي للتعجّب و كأنّ للتشبيه. أي: ما أشبه الحال بأنّ الكافرين لاينالون الفلاح. و عندالكوفيّين ويك بمعنى ويلك. و يجوز أن يكون الكاف للخطاب مضمومة إلى وي و أنّه بمعنى لأنّه و اللّام لبيان المقول لأجله هذا القول.(٢)

«مكانه بالأمس». يعني حين خرج عليهم في زينته. «لخسف بنا»؛ أي: لولا أنّه أنعم علينا و لم يعطنا ما أعطى قارون، لخسف بنا. «ويكأنّه». قيل: هي كلمة سريانيّة. و قال الفرّاء: أصله: ويلك. فحذفت اللّام و جعلت أنّ مفتوحة [في موضع نصب] بفعل مضمر. كأنّه قال: اعلم أنّ الله. و قال الكسائيّ: ويكأنّ في التأويل: ذلك أنّ الله. و هو قول ابن‌عبّاس. و قال مجاهد و قتادة: ويكأنّ معناه: ألم تعلم؟ «لخسف». حفص عن عاصم بفتح الخاء و السين. و الباقون بضمّ الخاء و كسر السين. يعقوب: «ويك» يقف عليها ثمّ يبتدئ: «إنّه لايفلح».(٣)

[٨٣] «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَ لَا فَسَاداً وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

«تلك الدار». إشارة تعظيم. كأنّه قال: تلك التي سمعت خبرها و بلغك وصفها. و الدار صفة و الخبر «نجعلها». «علوّاً في الأرض»؛ أي: تجبّراً و تكبّراً على عباد الله. و عن

١ـ تفسير القمّيّ ١ / ٣١٨ ـ ٣١٩.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠١، و الكشّاف ٣ / ٤٣٤.
٣ـ مجمع البيان ٧ / ٤١٨ ـ ٤١٩ و ٤١٣.

أميرالمؤمنينعليه السلام أنّه كان يمشي في الأسواق وحده وهو دالّ يرشد الضالّ و يعين الضعيف و يمرّ بالبيّاع و البقّال فيفتح عليه القرآن و يقرأ: «تلك الدار الآخرة» ـ الآية. و يقول: نزلت هذه الآية في أهل العدل و التواضع من الولاة و أهل القدرة من سائر الناس. و عنهعليه السلام أنّ الرجل يعجبه شراك نعله فيدخل في هذه الآية. يعني أنّ من تكبّر على غيره بلباس يعجبه، فهو ممّن يريد علوّاً في الأرض. و قيل: المراد بقوله: «فساداً» الدعاء إلى عبادة غير الله. و قيل: هو أخذ المال بغير حقّ. «و العاقبة» الجميلة المحمودة من الفوز بالثواب، للّذين اتّقوا الشرك و المعاصي. و قيل: معناه: الجنّة لمن اتّقى عذاب الله بأداء فرائضه و اجتناب معاصيه.(١)

عن أبي عبداللهعليه السلام أنّه تلا قوله تعالى: «تلك الدار الآخرة» فقال: ذهبت ـ و الله ـ الأمانيّ عند هذه الآية. و قال: [فاز ـ و الله ـ الأبرار...] هم الذين لايؤذون الذرّ.(٢)

[٨٤] «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«فله خير منها» ذاتاً و قدراً و وصفاً. «إلّا ما كانوا يعملون»؛ أي: لايزاد في عقابهم على قدر استحقاقهم، بخلاف الزيادة في الفضل على الثواب المستحقّ فإنّه يكون تفضّلاً.(٣)

[٨٥] «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

«عليك». خطاب للنبيّ. أي: الذي أوجب عليك الامتثال بما تضمّنه القرآن. «لرادّك إلى معاد»؛ أي: يردّك إلى مكّة. قال القتيبيّ: معاد الرجل بلده. لأنّه يتصرّف في البلاد ثمّ يعود إليه. و قيل: «إلى معاد»؛ أي: إلى الموت، أو إلى يوم القيامة، أو إلى الجنّة. يعني أنّه مميتك و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠١، و مجمع البيان ٧ / ٤٢٠.

٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤٦.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠١، و مجمع البيان ٧ / ٤٢٠.

باعثك و مدخلك الجنّة.[١]

و عنه عليه السلام في قوله تعالى: «لرادّك إلى معاد»: يعني الرجعة.[٢]

و قال عليّ بن الحسين عليهما السلام و قد سئل عن هذه الآية قال: يرجع إليكم النبيّ صلى الله عليه و آله.[٣]

«لرادّك»: و عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «لرادّك إلى معاد» فقال: و الله لاينقضي الدنيا و لاتذهب حتّى يجتمع رسول الله و عليّ عليهما السلام بالثويّة فيلتقيان و يبنيان بالثويّة مسجداً له اثناعشر ألف باب. يعني موضعاً بالكوفة.[٤]

«لرادّك». لمّا نزل النبيّ صلى الله عليه و آله بالجحفة في مسيره إلى المدينة لمّا هاجر إليها، اشتاق إلى مكّة. فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال: أتشتاق إلى بلدك و مولدك؟ فقال: نعم. فقال جبرئيل: إنّ الله يقول: «إنّ الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد». يعني مكّة. فنزلت الآية بالجحفة و ليست بمكّيّة و لا مدنيّة. و سمّيت مكّة معاداً لعوده إليها.[٥]

«من جاء بالهدى» و ما يستحقّه من الثواب و النصرة. و من منتصب بفعل يفسّره أعلم. «و من هو في ضلال»؛ أي: ما يستحقّه من العذاب و الإذلال. و هو تقرير للوعد السابق.[٦]

[٨٦] «وَ مَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ».

«و ماكنت ترجو» فيما مضى أن يوحي الله إليك و يشرّفك بإنزال القرآن عليك. «إلّا رحمة من ربّك». هذا الاستثناء فيه محمول على المعنى. كأنّه قيل: و ما أنزل إليك كتاب ـ أي ما ألقي عليك الكتاب ـ إلّا رحمة من ربّك. و يجوز أن يكون إلّا بمعنى لكن للاستدراك. أي: و لكن لرحمة من ربّك ألقي عليك. «ظهيراً للمجرمين»؛ أي: معيناً لهم. و فيه دلالة على وجوب

١ـ مجمع البيان ٧ / ٤٢٠.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤٧، عن أبي جعفر عليه السلام.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤٧.
٤ـ تأويل الآيات ١ / ٤٢٤.
٥ـ مجمع البيان ٧ / ٤٢٠.
٦ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٢.

معاداة أهل الباطل.[١]

[٨٧] «وَ لَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَ ادْعُ إِلىٰ رَبِّكَ وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

«و لايصدّنّك»؛ أي: لايمنعنّك عن اتّباع آيات الله التي هي القرآن بعد إذ أنزلت عليك تعظيماً لذكرك. «إلى ربّك»: إلى طاعة ربّك و لاتمل إلى المشركين.[٢]

[٨٨] «وَ لَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

«و لاتدع مع الله إلهاً آخر»؛ أي: لاتعبد معه غيره. و هذا و ما قبله للتهييج و قطع أطماع المشركين عن مساعدته لهم.[٣]

«إلّا وجهه»؛ أي: ذاته. كما يقال: هذا وجه الرأى. و قيل: معناه: كلّ شيء هالك إلّا ما أريد به وجهه، فإنّ ذلك يبقى [ثوابه].[٤]

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «كلّ شيء هالك إلّا وجهه» قال: إلّا دينه. و نحن الوجه؛ لم نزل في عباده ما دام لله تعالى فيهم حاجة. فإذا لم يكن فيهم حاجة، رفعنا إليه.[٥]

١ـ مجمع البيان ٧ / ٤٢١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٢، و الكشّاف ٣ / ٤٣٦.

٢ـ مجمع البيان ٧ / ٤٢١.

٣ـ مجمع البيان ٧ / ٤٢١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٢.

٤ـ مجمع البيان ٧ / ٤٢١.

٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤٧.

٢٩.
سورة العنكبوت

عن أبي عبدالله عليه السلام: من قرأ سورة العنكبوت و الروم في شهر رمضان ليلة ثلاث و عشرين، فهو و الله ـ يا أبا محمّد ـ من أهل الجنّة. و لا أستثني فيه أبداً و لا أخاف أن يكتب في يميني إثماً. و إنّ لهاتين السورتين من الله مكاناً.(١)

عنه صلى الله عليه و آله: من قرأها، كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كلّ المؤمنين و المنافقين.(٢)

العنكبوت: من شربها، زالت عنه حمّى الربع و الأوجاع.(٣)

[١ ـ ٢] «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ».

«الم * أحسب الناس». قيل: نزلت في أناس مسلمين كانوا بمكّة فكتب إليهم من في المدينة أنّه لايقبل منكم الإقرار بالإسلام حتّى تهاجروا إلى المدينة، [فخرجوا إلى المدينة] فأتبعهم المشركون و آذوهم و قاتلوهم، فمنهم من قتل و منهم من نجا. «أحسب»؛ أي: ظنّ الناس أن يقنع منهم بأن يقولوا إنّا مؤمنون فقط و لايمتحنون بحقيقة إيمانهم؟ و هذا استفهام إنكار و توبيخ. و قيل: إنّ معنى يفتنون يبتلون في أنفسهم و أموالهم. و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام. و قيل: معناه: لايصابون بشدائد الدنيا و مصائبها. أي إنّها لاتندفع بقولهم آمنّا. و الأولى حمله على الجميع.(٤)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٢٥.
٢ـ المصباح / ٥٨٧.
٣ـ المصباح / ٦٠٩.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٤٢٧.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: صار العبّاس إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال له: امش حتّى نبايع لك الناس. فقال له: أتراهم فاعلين؟ قال: نعم. قال: فأين قول الله: «الم * أحسب الناس أن يتركوا» ـ الآية. و عنه صلى الله عليه وآله أنّه نام ليلة في المسجد، فلمّا كان قرب الصبح، دخل عليه السلام عليه فقال له: يا عليّ، بت هذه اللّيلة حيث تراني. فقد سألت ربّي ألف حاجة فقضاها لي. و سألت لك مثل ذلك فقضاها. و سألت لك ربّي أن يجمع أمّتي لك من بعدي، فأبى عليّ ربّي فقال: «الم * أحسب الناس أن يتركوا» ـ الآية.[١]

[٣] «وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ».

ثمّ أقسم سبحانه فقال: «و لقد فتنّا الذين من قبلهم»؛ أي من قبل أمّة محمّد صلى الله عليه وآله بالفرائض و الشدائد و المصائب. منهم إبراهيم خليل الرحمن. فإنّ قوماً كانوا معه نشروا بالمناشير على دين الله فلم يرجعوا. و بنوإسرائيل صبروا على تعذيب فرعون لهم. «فليعلمنّ الله»؛ أي: يعلمه علماً حادثاً بعد الوقوع. و قيل: معناه: فليميّزنّ الله الذين صدقوا من الذين كذبوا بالجزاء. [و عبّر عن الجزاء] و التمييز بالعلم لأنّ كلّ ذلك إنّما يحصل بالعلم.[٢]

و في قوله: «فليعلمنّ الله الذين صدقوا» قال: عليّ و أصحابه. «و ليعلمنّ الكاذبين» أعداؤه.[٣]

[قرأ عليّ عليه السلام:] «فليعلمنّ» و «ليعلمنّ» بضمّ الياء و كسر اللّام فيهما. و هو المرويّ عن جعفر بن محمّد عليهما السلام و وافقه الزهريّ.[٤]

و المعنى على هذه القراءة: «ليعلمنّ» من الإعلام أي: ليعرّفنّهم الله الناس من هم. أو: ليسمنّهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه و سوادها و كحل العين و زرقتها.[٥]

١ـ تأويل الآيات ١ / ٤٢٧ ـ ٤٢٨.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٢٧ ـ ٤٢٨.
٣ـ تأويل الآيات ١ / ٤٢٩.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٤٢٦.
٥ـ الكشّاف ٣ / ٤٤٠.

[٤] «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ».

«أم حسب»: بل حسب الذين يفعلون الكفر و القبائح «أن يسبقونا»؛ أي: يعجزونا فلانقدر على أخذهم. «ساء ما يحكمون»؛ أي: بئس الذي يحكمون ظنّهم أنّهم يفوتون.(١)

«أم حسب الذين». نزلت في عتبة و شيبة و الوليد بن عتبة. و هم الذين بارزوا عليّاً و حمزة و عبيدة و نزلت فيهم: «من كان يرجو لقاء الله».(٢)

[٥] «مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

«من كان يرجو لقاء الله»؛ أي: ثوابه، أو الخوف من عقابه، فليبادر بالطاعة قبل أن يلحقه الأجل. «فإنّ أجل الله لآت»؛ أي: الوقت للقائه لآت لامحالة.(٣)

«أجل الله». هو الموت.(٤)

[٦] «وَ مَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ».

«و من جاهد» الشيطان والنفس و أعداء الدين، فإنّما ثواب ذلك عائد إليه و الله سبحانه غير محتاج إلى طاعتهم.(٥)

[٧] «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«لنكفرنّ»؛ أي: لنبطلنّ عنهم سيّئاتهم حتّى تصير كأنّهم لم يعملوها.(٦)

«أحسن الذي»: أحسن جزاء أعمالهم.(٧)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٢٨.
٢ـ تأويل الآيات ١ / ٤٢٩.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٢٨.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٤٠.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٤٣٠.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٤٣٠.
٧ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٤.

[٨] «وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَ إِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«و وصّينا الإنسان»؛ أي: أمرناه أن يفعل «بوالديه حسناً» و ألزمناه ذلك. «و إن جاهداك»؛ أي: إن استفرغا مجهودهما في دعائك لتشرك بي في العبادة «ما ليس لك به علم»؛ أي: بالهيّته. عبّر عن نفيها بنفي العلم بها، إشعاراً بأنّ ما لايعلم صحّته، لايجوز اتّباعه و إن لم يعلم بطلانه فضلاً عمّا علم بطلانه. «فلاتطعهما» في ذلك. فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. و لابدّ من إضمار القول إن لم يضمر قبل. «إليّ مرجعكم»: مرجع من آمن منكم و من أشرك و من برّ بوالديه و من عقّ. «فأنبّئكم»؛ أي: أخبركم بأعمالكم و أجازيكم عليها.[١]

«و وصّينا الإنسان»؛ أي: وصّيناه بإيتاء والديه «حسناً»؛ أي: فعلاً ذاحسن أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه. كقوله: «و قولوا للناس حسناً»[٢].[٣]

[٩] «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ».

«لندخلنّهم في الصالحين»؛ أي: في جملتهم. و الكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين و متمنّى أنبياء الله المرسلين. أو: في مدخلهم و هي الجنّة.[٤]

«في الصالحين»؛ أي: في جملتهم. قال الله حكاية عن سليمان: «و أدخلني برحمتك في عبادك الصالحين».[٥] و قال في إبراهيم: «و إنّه في الآخرة لمن الصالحين»[٦].[٧]

[١٠] «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ وَ لَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَ وَ لَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٣٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٤.
٢ـ البقرة (٢) / ٨٣.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٤٤٢.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٤.
٥ـ النمل (٢٧) / ١٩.
٦ـ البقرة (٢) / ١٣٠.
٧ـ الكشّاف ٣ / ٤٤٣.

«و من الناس». يعني ضعفاء المؤمنين أو المنافقين. «آمنّا بالله». يقول ذلك بلسانه. «فإذا أوذي في الله»؛ أي: في دين الله أو ذات الله بأن عذّبهم الكفرة على الإيمان. «جعل فتنة الناس كعذاب الله»؛ أي: رجع عن الدين مخافة عذاب الناس كما ينبغي أن يترك الكافر دينه مخافة عذاب الله، فيسوّي بين عذاب فان منقطع و بين عذاب غير منقطع لقلّة تمييزه. و سمّى أذيّة الناس فتنة لما في احتمالها من المشقّة. «نصر من ربّك» للمؤمنين و دولة لأولياء الله على الكافرين. «كنّا معكم». أي في الدين فأشركونا في الغنيمة. «صدور العالمين». يعني من الإيمان و النفاق. فلايخفى عليه كذبهم فيما قالوا.(١)

«نصر من ربّك». يعني القائم عليه السلام.(٢)

[١١] «وَ لَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ».

«و ليعلمنّ الله الذين آمنوا»: المؤمنين على الحقيقة «و ليعلمنّ المنافقين» فيجازيهم بحسب أعمالهم. و قال الجبّائيّ: معناه: و ليميّزنّ الله المؤمن من المنافق. فوضع العلم موضع التمييز توسّعاً.(٣)

[١٢] «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَ لْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَ مَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ».

«و لنحمل خطاياكم»؛ أي: و نحن نحمل آثامكم إن ثبت أنّ لكم في اتّباع ديننا إثماً. و يعنون بذلك أنّه لا إثم عليكم باتّباع ديننا و لايكون بعث و لا نشور فلايلزمنا شيء ممّا ضمنّا. «و ما هم بحاملين». كذّبهم الله بأنّه لايمكنهم حمل ذنوبهم يوم القيامة. فإنّ الله عدل لايعذّب أحداً بذنب غيره. و هذا مثل قوله: «و لاتزر وازرة وزر أخرى»(٤).(٥)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٣١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٤.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤٩.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٣٢.
٤ـ الأنعام (٦) / ١٦٤.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٤٣٢.

«من خطاياهم من شيء». من الأولى للتبيين. و من الثانية مزيدة. التقدير: و ما هم بحاملين شيئاً من خطاياهم.[١]

[١٣] «وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَ لَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ».

«أثقالهم»؛ أي: أثقال ما اقترفت أنفسهم و أثقالاً آخر معها غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها. و هي أثقال الذين كانوا سبباً في ضلالهم و حملهم على المعاصي، من غير أن ينقص من أثقال من تبعهم شيء. «و ليسألنّ يوم القيامة» سؤال تقريع و تبكيت. «يفترون»؛ أي: يختلفون من الأكاذيب و الأباطيل.[٢]

«عمّا كانوا يفترون» من أنّه لا حشر و على تقدير وجوده يحملون خطايا التابعين.[٣]

أقول: في الحديث الذي رواه أبو إسحاق اللّيثيّ عن أبي عبدالله عليه السلام المذكور في آخر كتاب علل الشرائع ـ الحديث الطويل ـ ذكر أنّ قوله: «و ليحملنّ أثقالهم و أثقالاً مع أثقالهم» من جملة الآيات التي يراد منها باطنها انّ النواصب و أهل الخلاف يحملون ذنوبهم يوم القيامة و ذنوب شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام. و قد علّله عليه السلام هناك بأنّ ما يأتي به الشيعه من المعاصي يكون بسبب مزج طينة المؤمن و طينة الناصب حتّى امتزج الماءان و ما كان من عمل حسن يأتي به النواصب فهو من سنخ طينة المؤمن و من أجله كانت حسناتهم للشيعة و ذنوب الشيعة محمولة عليهم. و من أراد زيادة الفرح و السرور، فليراجع الحديث من موضعه.

[١٤] «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَ هُمْ ظَالِمُونَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٥.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٥، و الكشّاف ٣ / ٤٤٥.

٣ـ تفسير النيسابوريّ ٢٠ / ٨١ ـ ٨٢.

و أتى بقصّة نوحعليه السلام لتثبيت النبيّصلى الله عليه وآله. كأنّه قيل: إنّ نوحاً لبث ألف سنة تقريباً يدعو قومه و لم يؤمن منهم إلّا القليل. فأنت أولى بالصبر لقلّة لبثك و كثرة عدد أمّتك. و فيه تحذير لكفّار قريش. فإنّ أولئك ما نجوا مع طول أعمارهم.[١]

كان عمر نوحعليه السلام ألفاً و خمسين سنة. بعث على رأس أربعين و لبث في قومه تسعمائة و خمسين. و عاش بعد الطوفان ستّين. فإن قلت: هلّا قيل: تسعمائة و خمسين سنة؟ قلت: ما أورده الله أحكم. لأنّه لو قيل كما قلت، لجاز أن يتوهّم إطلاق هذا العدد على أكثره و هذا التوهّم زائل مع مجيئه كذلك. كأنّه قيل: تسعمائة و خمسين سنة كاملة. و فيه نكتة أخرى؛ و هي أنّ القصّة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح من أمّته و ما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول اللهصلى الله عليه وآله و تثبيتاً له، فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكبر منه أوقع و أوصل إلى الغرض من استطالة السامع مدّة صبره. و اختلاف المميّزين لما في التكرير من البشاعة.[٢]

«فأخذهم الطوفان»؛ أي: طوفان الماء. و الطوفان: ما أطاف و أحاط بكثرة و غلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما.[٣]

[١٥] «فَأَنْجَيْنَاهُ وَ أَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَ جَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ».

«و أصحاب السفينة»؛ أي: من ركب معه. و كانوا ثمانين أو ثمانية و سبعين نصفهم ذكور و نصفهم إناث. منهم أولاد نوح سام و حام و يافث و نساؤهم. «و جعلناها»؛ أي: السفينة أو الحادثة أو القصّة. «آية للعالمين» يستدلّون بها و يتّعظون.[٤]

[١٦] «وَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَ اتَّقُوهُ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ».

«و إبراهيم». عطف على نوحاً، أو نصب بإضمار اذكر. «إذ قال». ظرف لأرسلنا. أي: أرسلناه حين كمل عقله و تمّ نظره بحيث عرف الحقّ و أمر الناس به. «خير لكم». أي ممّا أنتم

١ـ تفسير النيسابوريّ ٢٠ / ٨٢.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٤٤٥.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٥.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٥، و الكشّاف ٣ / ٤٤٦.

عليه. «إن كنتم تعلمون» الخير و الشرّ و تميّزون بينهما. أو: إن كنتم تنظرون في الأمور بنظر العلم دون نظر الجهل.[١]

[١٧] «إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَاناً وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

«و تخلقون إفكاً»؛ أي: تكذبون كذباً في تسميتها آلهة. أو سمّي الأصنام إفكاً و عملهم لها و نحتهم خلقاً للإفك. «لايملكون لكم رزقاً». دليل على أنّ شرارة ذلك من حيث إنّه لايجدي بطائل. و رزقاً يحتمل المصدر ـ بمعنى لايستطيعون أن يرزقكم ـ و أن يراد المرزوق. فإن قلت: لم نكّر الرزق ثمّ عرّفه؟ قلت: لأنّه أراد: لايستطيعون أن يرزقكم شيئاً من الرزق. «فابتغوا عند الله الرزق». فإنّه هو الرزّاق وحده.[٢]

«و اعبدوه و اشكروا له» متوسّلين إلى مطالبكم بعبادته مقيّدين لما حفّكم من النعم بشكره، أو مستعدّين للقائه بهما، فإنّه «إليه ترجعون».[٣]

«إليه ترجعون». انقطع خبر إبراهيم هنا. و خاطب الله أمّة محمّد صلى الله عليه و آله فقال: «و إن تكذّبوا». و قوله: «و ما كان جواب قومه» من المنقطع المعطوف.[٤]

[١٨] «وَ إِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ».

«و إن تكذّبوا فقد كذّب أمم» من قبلي رسلهم. فما ضرّهم تكذيبهم و إنّما ضرّوا أنفسهم بنزول العذاب عليهم. و أمّا الرسول، فما عليه إلّا البلاغ الكامل المقرون بالمعجزات و الآيات. أو: و إن كنت مكذّباً فيما بينكم، فلي في سائر الأنبياء أسوة و سلوة حيث كذّبوا. و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٥ ـ ٢٠٦، و الكشّاف ٣ / ٤٤٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٦.
٤ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤٩.

على الرسول أن يبلّغ و لا عليه أن يصدّق و لايكذّب. و هذه الآية و الآيات التي بعدها إلى قوله: «فما كان جواب قومه» محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم لقومه، و يحتمل أن تكون اعتراضاً بذكر شأن النبيّ ﷺ و قريش و هدم مذاهبهم و الوعيد على سوء صنيعهم توسّط بين طرفي قصّته من حيث إنّ مساقها لتسلية الرسول ﷺ بأنّ أباه خليل الله كان ممنوّاً بنحو ما مني به من شرك القوم و تكذيبهم و تشبيه حاله فيهم بحال إبراهيم في قومه.(١)

[١٩] «أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ».

«أو لم يروا». يعني كفّار مكّة الذين أنكروا البعث و أقرّوا بأنّ الله هو الخالق. فقال: أو لم يتفكّروا فيعلموا كيف بدأ الله الخلق بعد العدم ثمّ يعيدهم ثانياً إذا أعدمهم؟ و قوله: «ثمّ يعيده» معطوف على أو لم يروا لا على يبدئ فإنّ الرؤية غير واقعة عليه. و يجوز أن يؤوّل الإعادة بأن ينشئ في كلّ سنة ما كان في السنة السابقة من النبات و الثمار و نحوهما و يعطف على يبدئ. «إنّ ذلك». الإشارة إلى الإعادة أو على ما ذكر من الأمرين.(٢)

«أو لم يروا». حمزة و الكسائيّ و أبوبكر بالتاء على تقدير القول.(٣)

[٢٠] «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

«قل سيروا». أي: قل ـ يا محمّد ـ لهؤلاء الكفّار: سيروا في الأرض و تفكّروا في آثار من كان قبلكم و إلى أيّ شيء صار أمرهم لتعتبروا و يؤدّيكم ذلك إلى العلم بربّكم. و قيل: معناه: فانظروا و ابحثوا هل تجدون خالقاً غير الله. فإذا علموا أنّه لا خالق ابتداء إلّا الله، لزمتهم الحجّة في الإعادة. و هو قوله: «ثمّ الله ينشئ النشأة الآخرة». و الإفصاح باسم الله مع إيقاعه مبتدأ بعد إضماره في بدأ ـ و القياس عكسه ـ للدلالة على أنّ المقصود بيان الإعادة و

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٦، و الكشّاف ٣ / ٤٤٧.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٣٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٦.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٦.

أنّ من عرف بالقدرة على الإبداء، ينبغي أن يحكم له بالقدرة على الإعادة لأنّها أهون. «على كلّ شيء قدير». لأنّ قدرته لذاته و نسبة ذاته إلى كلّ الممكنات سواء، فيقدر على النشأة الآخرة كما قدر على النشأة الأولى.(١)

«النشأة». ابن‌كثير و أبوعمرو: «النشاءة» بفتح الشين ممدودة مهموزة.(٢)

[٢١] «يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَ إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ».

«تقلبون»؛ أي: تردّون.(٣)

[٢٢] «وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ».

«و ما أنتم بمعجزين» ربّكم عن إدراككم «في الأرض و لا في السماء» إن فررتم من قضائه بالتواري في الأرض و الهبوط في مهاويها و التحصّن في السماء أو القلاع الذاهبة فيها. و قيل: و لا من في السماء بمعجزين. «و لا نصير» يدفع عنكم العذاب. فلاتغترّوا بأنّ الأصنام تشفع لكم. و قيل: إنّ الوليّ الذي يتولّى المعونة بنفسه و النصير تارة بنفسه و أخرى بأمره.(٤)

[٢٣] «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ وَ لِقَائِهِ أُولٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

«بآيات الله»: بدلائل وحدانيّته. أو: بكتبه. «و لقائه»؛ أي: البعث. «يئسوا من رحمتي»؛ أي: ييأسون منها يوم القيامة. فعبّر عنه بالماضي للتحقيق و المبالغة. أو: أيسوا في الدنيا

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٣٥، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٦.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٣٤.

٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٦.

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٦، و مجمع البيان ٨ / ٤٣٨.

لإنكار البعث و الجزاء.[١]

[٢٤] «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».

«قومه»؛ أي: قوم إبراهيم له. «اقتلوه أو حرّقوه». و كان ذلك قول بعضهم لكن لمّا قيل فيهم و رضي به الباقون، أسند إلى كلّهم. «فأنجاه الله» منها بأن جعلها برداً و سلاماً. «لآيات». هي حفظه من أذى النار و إخمادها مع عظمتها في زمان يسير و إنشاء روض مكانها. «لقومٍ يؤمنون». لأنّهم المنتفعون بالفحص عنها و التأمّل فيها.[٢]

[٢٥] «وَ قَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَ مَأْوَاكُمُ النَّارُ وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ».

«مودّة بينكم»؛ أي: لتتوادّوا بينكم و تتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها. و ثاني مفعولي «اتّخذتم» محذوف. و يجوز أن يكون [مودّة] المفعول الثاني بتقدير مضاف أو بتأويلها بالمودودة. أي: اتّخذتم أوثاناً سبب المودّة بينكم. و من قرأ برفع مودّة و الإضافة، فعلى أنّها خبر مبتدأ محذوف ـ أي: هي مودودة أو سبب مودّة بينكم ـ و الجملة صفة أوثاناً، أو خبر إنّ على أنّ ما مصدريّة أو موصولة و العائد محذوف و هو المفعول الأوّل.[٣]

«مودّة بينكم». قرئ على النصب بغير إضافة و بإضافة، و على الرفع كذلك. فالنصب على وجهين: على التعليل،أي: لتتوادّوا بينكم و تتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها كما يتّفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تصادقهم، وأن يكون مفعولاً ثانياً؛ كقوله: «واتّخذ إلهه هواه».[٤] أي: اتّخذتم الأوثان سبب المودّة بينكم، على تقدير حذف المضاف. أو: اتّخذتموها

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٧.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٧.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٧.
٤ـ الجاثية (٤٥) / ٢٣.

مودّة بينكم بمعنى مودودة بينكم. و في الرفع وجهان: أن يكون خبراً لإنّ، على أنّ ما موصولة؛ و أن يكون خبر مبتدأ محذوف و المعنى أنّ الأوثان مودّة بينكم، أي مودودة أو سبب مودّة. و قرأ عاصم: «مودّة بينكم» [بفتح بينكم] مع الإضافة، كما قرئ: «لقد تقطّع بينكم»[١] ففتح بينكم و هو فاعل.[٢]

«مودّة». ابن‌كثير و أهل البصرة: «مودّة بينكم» بالرفع و الإضافة. و حمزة و حفص بنصب «مودّة» و إضافتها إلى «بينكم». و الباقون: «مودّة» منصوبة منوّنة «بينكم» بالنصب.[٣]

«في الحياة الدنيا»؛ أي: إنّما تتوادّون عليها، أو تودّونها في الحياة الدنيا، ثمّ يوم القيامة يقوم بينكم التلاعن و التباغض؛ يتلاعن العبدة، و يتلاعن العبدة و الأصنام، على تغليب المخاطبين؛ كقوله: «و يكونون عليهم ضدّاً».[٤] «من ناصرين» يخلّصونكم منها.[٥]

[٢٦] «فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَ قَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

«فآمن له لوط». هو أوّل من آمن له حين رأى النار لم تحرقه. «و قال». يعني إبراهيم. «إنّي مهاجر إلى ربّي»؛ أي: مهاجر من كوثى ـ و هو من سواد الكوفة ـ إلى حرّان و منها إلى فلسطين. و من ثمّ قالوا: لكلّ نبيّ هجرة، و لإبراهيم هجرتان. و كان معه في هجرته لوط و امرأته سارة و هاجر و هو ابن خمس و سبعين سنة. «إلى ربّي»؛ أي: إلى حيث أمرني بالهجرة إليه. «إنّه هو العزيز» الذي يمنعني من أعدائي «الحكيم» الذي لا يأمرني إلّا بما هو مصلحتي.[٦]

«فآمن له لوط». كان إبراهيم ابن خاله. عن جمهور المفسّرين. «و قال إنّي مهاجر». أي

١ـ الأنعام (٦) / ٩٤.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٤٥٠.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٣٦.
٤ـ مريم (١٩) / ٨٢.
٥ـ الكشّاف ٣ / ٤٥٠ ـ ٤٥١، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٧.
٦ـ الكشّاف ٣ / ٤٥١.

إبراهيم أو لوط. أي: إنّي خارج من جملة الظالمين على جهة الهجر لهم. هاجر من سواد الكوفة إلى حرّان، و منها إلى فلسطين. و كذلك هجرة المسلمين من مكّة إلى الحبشة و منها إلى المدينة.(١)

المهاجر من هجر السيّئات و تاب إلى الله.(٢)

[٢٧] «وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ وَ آتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ».

«إسحاق» ولداً «و يعقوب» نافلة، حين أيس من الولادة من عجوز عاقر. و لذلك لم يذكر إسماعيل. أو لأنّه دلّ عليه في قوله: «و جعلنا في ذرّيّته النبوّة و الكتاب». [و كفى الدليل لشهرة أمره و علوّ قدره]. و المراد بالكتاب الجنس حتّى يدخل تحته ما نزل على ذرّيّته من الكتب الأربعة التي هي التوراة و الزبور و الإنجيل و القرآن. «و آتيناه أجره في الدنيا»: الثناء عليه و الصلاة عليه آخر الدهر، و الذرّيّة الطيّبة و النبوّة، و أنّ أهل الملل كلّهم يتولّونه. «لمن الصالحين»: لفي عداد الكاملين في الصلاح.(٣)

«النبوّة». و ذلك أنّ الله سبحانه لم يبعث بعد إبراهيم نبيّاً إلّا من صلبه. «أجره في الدنيا». قيل: إنّه رأى مكانه في الجنّة. و قيل: هو بقاء ضيافته عند قبره. و ليس ذلك لغيره من الأنبياء.(٤)

[٢٨] «وَ لُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ».

«و لوطاً». معطوف على إبراهيم أو على ما عطف عليه. «الفاحشة»: الفعلة البالغة في القبح. و «ما سبقكم بها من أحد من العالمين» جملة مستأنفة مقرّرة لفخامة تلك الفعلة. كأنّ

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٣٩ ـ ٤٤٠.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٤٩ ـ ١٥٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٨، و الكشّاف ٣ / ٤٥١.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٤٤٠.

قائلاً قال: لم كانت فاحشة؟ فقيل: لأنّ أحداً قبلهم لم يقدم عليها لإفراط قبحها حتّى أقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم و قذر طباعهم. قالوا: لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قطّ.[١]

[٢٩] «أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَ تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ».

«أإنّكم». أهل الكوفة غير حفص: «أإنّكم» بهمزتين في الموضعين. و أبوعمرو بالاستفهام بهمزة ممدودة. و الباقون بكسر الهمزة من غير استفهام في الأوّل و بالاستفهام في الثاني. من قرأ بلفظ الاستفهام، أراد به الإنكار. و من قرأ: «إنّكم» على الخبر أراد أنّ لوطاً أخبرهم بذلك منكراً لفعلهم. «و تقطعون السبيل». كانوا يرمون ابن السبيل بالحجارة بالخذف، فأيّهم أصابه كان أولى به، و يأخذون ماله و ينكحونه و يغرمونه ثلاثة دراهم. و كان لهم قاض يقضي بذلك.[٢]

«تقطعون السبيل». [قطع السبيل] عمل قطّاع الطريق من قتل الأنفس و أخذ الأموال. و قيل: اعتراضهم السابلة بالفاحشة. و قيل: قطع النسل بإتيان ما ليس بحرث. «في ناديكم»؛ أي: مجلسكم. و لايقال النادي إلّا لما فيه أهله. «المنكر». عن ابن‌عبّاس: هو الخذف بالحصى، و الرمي بالبنادق، و الفرقعة، و مضغ العلك و السواك بين الناس، و حلّ الأزرار، و السباب و الفحش في المزاح. و قيل: كانوا يتحابقون و يسخرون بمن مرّ بهم و يتجاهرون في ناديهم بذلك العمل. «من الصادقين» في استقباح ذلك أو في دعوة النبوّة.[٣]

[٣٠] «قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ».

«انصرني» بإنزال العذاب. «المفسدين». كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي و الفواحش طوعاً و كرهاً، و لأنّهم ابتدعوا الفاحشة و سنّوها فيمن

١ـ الكشّاف ٣ / ٤٥١. ٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٣٩ ـ ٤٤٠.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٤٥٢، تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٨.

بعدهم. فأراد لوط أن يشتدّ غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه.[١]

[٣١] «وَ لَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ».

بيّن سبحانه أنّه استجاب دعاء لوط و بعث جبرئيل و معه الملائكة لتعذيب قومه بقوله: «ولمّا جاءت».[٢]

«بالبشرى»: أي: بالبشارة بالولد و النافلة إسحاق و يعقوب. «إنّا مهلكو». إضافة مهلكو إضافة تخفيف لا تعريف و المعنى الاستقبال. و القرية سدوم التي قيل فيها: أجور من قاضي سدوم. «كانوا ظالمين». يعني أنّ الظلم قد استمرّ منهم إيجاده في الأيّام السالفة و هم عليه مصرّون. و ظلمهم كفرهم و ألوان معاصيهم.[٣]

[٣٢] «قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ».

«إنّ فيها لوطاً». ليس إخباراً لهم بكونه فيها، و إنّما هو جدال في شأنه. لأنّهم لمّا علّلوا هلاك أهلها بالظلم، اعترض عليهم بأنّ فيها من هو بريء من الظلم. و أراد بالجدال إظهار الشفقة عليه و ما يجب للمؤمن من التحزّن لأخيه و التشمّر في نصرته و حياطته و الخوف من أن يلحقه ضرر. ألاترى إلى جوابهم: «نحن أعلم بمن فيها»؟ يعنون: نحن أعلم منك و أخبر بحال لوط و حال قومه و امتيازه منهم و أنّه لايستأهل ما يستأهلون. فخفّض على نفسك و هوّن عليك الخطب.[٤]

«لننجّينّه». أهل الكوفة غير عاصم: «لننجينه» خفيفة الجيم ساكنة النون، و الباقون

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٨، و الكشّاف ٣ / ٤٥٢.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٤٢.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٤٥٢.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٥٢ ـ ٤٥٣.

بالتشديد. «من الغابرين»؛ أي: الباقين في العذاب.(١)

[٣٣] «وَ لَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قَالُوا لَا تَخَفْ وَ لَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَ أَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ».

«و لمّا أن جاءت». أن صلة أكّدت وجود الفعلين مترتّباً أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كأنّهما وجدا في جزء واحد من الزمان. كأنّه قيل: كما أحسّ بمجيئهم، فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه. و قيل: معناه: سيء بقومه لما علم من عظيم البلاء النازل بهم. «و ضاق بهم ذرعاً»؛ أي: ضاق بشأنهم و تدبير أمرهم ذرعه؛ أي: طاقته. و قد جعلت العرب ضيق الذرع و الذراع عبارة عن فقد الطاقة؛ كما قالوا: رحب الذراع بكذا، إذا كان مطيقاً له. و الأصل فيه أنّ الرجل إذا طالت ذراعه، نال ما لايناله القصير الذراع، فضرب ذلك مثلاً في العجز و القدرة. «لاتخف». أي علينا و عليك. «و لاتحزن» بما نفعله بقومك. أو: لاتخف و لاتحزن؛ إنّا رسل الله لايقدرون [علينا]. (٢)

«منجّوك». ابن‌كثير و أهل الكوفة غير حفص و يعقوب: «إنّا منْجوك» بالتخفيف، و الباقون بالتشديد.(٣)

[٣٤] «إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ».

«منزلون». ابن‌عامر بالتشديد. و الباقون: «منزلون» بالتخفيف.(٤)

«رجزاً». الرجز و الرجس: العذاب. من قولهم: ارتجز و ارتجس؛ أي: اضطرب، لما يلحق المعذّب من القلق و الاضطراب.(٥)

[٣٥] «وَ لَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٤١ ـ ٤٤٢.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٤٥٣، و مجمع البيان ٨ / ٤٤٢.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٤١.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٤٤١.
٥ـ الكشّاف ٣ / ٤٥٣.

«تركنا منها»؛ أي: من القرية. «آية بيّنة». هي آثار منازلهم الخربة. قيل: بقيّة الحجارة. و قيل: الماء الأسود على وجه الأرض. و قيل: الخبر عمّا صنع بهم. «لقوم يعقلون». يتعلّق بتركنا أو ببيّنة.(١)

[٣٦] «وَ إِلىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَ ارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ لَاتَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ».

«و إلى مدين»؛ أي: أرسلنا إلى مدين. «و ارجوا اليوم الآخر»؛ أي: افعلوا ما ترجون به العاقبة. فأقيم المسبّب مقام السبب. و قيل: هو من الرجاء بمعنى الخوف. «و لاتعثوا في الأرض مفسدين»؛ أي: لاتسعوا في الأرض بالفساد.(٢)

[٣٧] «فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ».

«فأخذتهم الرجفة». يعني لمّا كذّبوه. و الرجفة: الزلزلة الشديدة. و قيل: هي صيحة جبرئيل. لأنّ القلوب رجفت لها. «في دارهم»؛ أي: بلدهم. أو: في ديارهم. فاكتفى بالواحد لأنّه لايلبس. «جاثمين»: باركين على الركب ميّتين.(٣)

[٣٨] «وَ عَاداً وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ».

«و عاداً و ثمود». منصوب بإضمار أهلكنا. لأنّ قوله: «فأخذتهم الرجفة» يدلّ عليه. لأنّه [في] معنى الإهلاك. «و قد تبيّن لكم» ذلك ـ يعني ما وصفه من إهلاكهم ـ «من» جهة «مساكنهم» إذا نظرتم إليها عند مروركم بها. و كان أهل مكّة يمرّون عليها في أسفارهم فيبصرونها. «مستبصرين»: عقلاء متمكّنين من النظر و الافتكار، ولكنّهم لم يفعلوا. أو:

١ـ الكشّاف ٣ / ٤٥٣.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٤٥٣، و مجمع البيان ٨ / ٤٤٤.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٤٥٣ ـ ٤٥٤، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢٠٩.

كانوا متبيّنين أنّ العذاب نازل بهم لأنّ الله قد بيّن لهم على ألسنة الرسل ولكنّهم لجّوا حتّى هلكوا.[١] و قيل: إنّهم كانوا مستبصرين عند أنفسهم فيما كانوا عليه من الضلالة.[٢]

[٣٩] «وَ قَارُونَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَ مَا كَانُوا سَابِقِينَ».

«و ما كانوا سابقين»: أي: فائتين. أدركهم أمر الله فلم يفوتوه.[٣]

[٤٠] «فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَ مَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ».

«حاصباً»: أي: حجارة. و قيل: ريحاً [فيها] حصباء. و هم قوم لوط. عن ابن عبّاس. و قيل: ملك كان يرميهم. «أخذته الصيحة». لمدين و ثمود. و الخسف لقارون. و الغرق لقوم نوح و فرعون.[٤]

«فكلّاً أخذنا». فهذا ردّ على المجبّرة الذين زعموا أنّ الأفعال لله عزّ و جلّ و لا صنع لهم [فيها] و لا اكتساب. فردّ الله عليهم [فقال:] «فكلّاً أخذنا بذنبه». و لم يقل بفعلنا، لأنّه أعدل من أن يعذّب العبد على فعله الذي يجبرهم عليه.[٥]

«أغرقنا» كقوم نوح و فرعون. «ليظلمهم» فيعذّبهم على غير ذنب.[٦]

[٤١] «مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ».

«كمثل العنكبوت» ـ الآية. قال: هي الحميراء. و معنى هذا التأويل إنّما كنى عنها

١ـ الكشّاف ٣ / ٤٥٤.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٤٤.
٣ـ الكشّاف ٣ / ٤٥٤.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٤٤٤، و الكشّاف ٣ / ٤٥٤.
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٥٠.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٤٤٤.

بالعنكبوت لأنّ العنكبوت حيوان ضعيف اتّخذت بيتاً ضعيفاً أوهن البيوت و أضعفها لايجدي نفعاً و لا ينفي ضرّاً. و كذلك الحميراء حيوان ضعيف لقلّة حظّها و عقلها و دينها اتّخذت من رأيها الضعيف و عقلها السخيف في مخالفتها و عداوتها لمولاها بيتاً مثل بيت العنكبوت في الوهن و الضعف لايجدي لها نفعاً بل يجلب إليها ضرّاً في الدنيا و الآخرة، لأنّها بنته على شفا جرف هار فانهار به في نارجهنّم.(١)

«كمثل العنكبوت». الغرض تشبيه ما اتّخذوه متّكأً و معتمداً في دينهم و تولّوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن و ضعف القوّة و هو نسج العنكبوت. فإن قلت: ما معنى قوله: «لو كانوا يعلمون»؟ و كلّ أحد يعلم وهن بيت العنكبوت! قلت: معناه: لو كانوا يعلمون أنّ هذا مثلهم و أنّ أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن. و وجه آخر و هو أنّه إذا صحّ تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت، و قد صحّ أنّ أوهن البيوت بيت العنكبوت، فقد تبيّن أنّ دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون. أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز. فكأنّه قال: و إنّ أوهن مايعتمد في الدين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون. و لقائل أن يقول: مثل المشرك الذي يعبد الأوثان بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله، مثل عنكبوت يتّخذ بيتاً بالإضافة إلى رجل يبني بيتاً بآجر و جصّ أو ينحته من صخر. و كما أنّ أوهن البيوت إذا استقريتها بيتاً بيتاً بيت العنكبوت، كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها ديناً ديناً عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون.(٢)

[٤٢] «إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

[٤٣] «وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ».

«نضربها للناس» تقريباً لما بعد من أفهامهم. «و ما يعقلها»: و لايعقل حسنها و فائدتها «إلّا العالمون» الذين يتدبّرون الأشياء على ما ينبغي. و عنه ﷺ أنّه تلا هذه الآية فقال: العالم

١ـ تأويل الآيات ١ / ٤٣٠.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٤٥٤ ـ ٤٥٥.

من عقل عن الله فعمل بطاعته و اجتنب سخطه.[١]

«نضربها». كان الجهلة و السفهاء من قريش يقولون: إنّ ربّ محمّد يضرب المثل بالذباب و العنكبوت و يضحكون من ذلك. فلذلك قال: «و مايعقلها إلّا العالمون» لأنّهم يعرفون فائدتها. لأنّ الأمثال و التشبيهات ينكشف عن المعاني المحتجبة و تصوّرها للأفهام، كما صوّر هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك و حال الموحّد.[٢]

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «و مايعقلها إلّا العالمون» قال: نحن هم.[٣]

[٤٤] «خَلَقَ اللهُ السَّمٰوٰاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ».

«بالحقّ»: أي: محقّاً غير قاصد به باطلاً. فإنّ المقصود بالذات من خلقها إفاضة الخير و الدلالة على ذاته و صفاته. كما أشار إليه بقوله: «إنّ في ذلك لآية للمؤمنين». لأنّهم المنتفعون به.[٤]

[٤٥] «اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَ اللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ».

«اتل ما أوحي إليك» تقرّباً إلى الله و تحفّظاً لألفاظه و استكشافاً لمعانيه. فإنّ القارئ المتأمّل قد ينكشف له بالتكرار ما لم‌ينكشف له أوّل ما قرع سمعه. «و أقم الصلاة»: أدّها بحدودها في أوقاتها. «تنهى عن الفحشاء و المنكر». فيه دلالة على أنّ الصلاة لطف للمكلّف في ترك القبائح. فإن انتهى عن القبيح، يكون توفيقاً، و إلّا فقد أتي من قبل نفسه. و قيل: إنّ الصلاة بمنزلة الناهي بالقول إذا قال: لاتفعل المنكر. لأنّ فيها التسبيح و التكبير و الوقوف بين يدي الله، و كلّ ذلك يدعو إلى شكله و يصرف عن ضدّه. فيكون مثل الأمر و النهي

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١٠.   ٢ـ الكشّاف ٣ / ٤٥٥.

٣ـ تأويل الآيات ١ / ٤٣١. و في النسخة بعده زيادة: «و عنه عليه السلام».

٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١٠.

بالقول. و قيل: معناه أنّها تنهاه عن الفحشاء و المنكر ما دام فيها. و عنه ﷺ: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء و المنكر، لم يزدد من الله إلّا بعداً. و روي أنّ فتىً من الأنصار كان يصلّي الصلوات مع رسول الله ﷺ و يرتكب الفواحش، فوصف ذلك لرسول الله ﷺ فقال: إنّ صلاته تنهاه يوماً. فما لبث أن تاب.[١]

عن أبي عبدالله عليه السلام: من أراد أن يعلم قبلت صلاته أم لم تقبل، فلينظر هل منعته صلاته عن الفحشاء و المنكر. فبقدر ما منعته، قبلت منه.[٢]

«تنهى عن الفحشاء». إن قلت: كم من مصلّ يرتكب و لا ينهاه. قلت: الصلاة التي هي صلاة عند الله المستحقّ بها الثواب أن يدخل فيها مقدّماً للتوبة النصوح متّقياً؛ لقوله: «إنّما يتقبّل الله من المتّقين».[٣] فهذه هي التي تنهى عن الفحشاء و المنكر.[٤]

«و لذكر الله» إيّاكم برحمته «أكبر» من ذكركم إيّاه بطاعته. و قيل: معناه: ذكر العبد لربّه أكبر ممّا سواه و أفضل من جميع أعمالكم. فيكون تأويله أنّ أكبر شيء في النهي عن الفواحش ذكر العبد لربّه؛ فإنّه أقوى لطف يدعو إلى الطاعة و ترك المعصية. و قيل: إنّ ذكر الله هو التسبيح و التهليل، و هو أكبر و أحرى بأن ينهى عن الفحشاء و المنكر. و قيل: إنّ ذكر الله الصلاة. لأنّها أكبر من سائر الطاعات. و إنّما عبّر عنها به للتعليل بأنّ اشتمالها على ذكره هي العمدة في كونها مفضّلة على الحسنات ناهية عن السيّئات. «ما تصنعون» منه و من سائر الطاعات فيجازيكم به أحسن المجازاة.[٥]

[٤٦] «وَ لَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَ قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ إِلٰهُنَا وَ إِلٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ».

١ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١٠، و مجمع البيان ٨ / ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٤٧.

٣ـ المائدة (٥) / ٢٧.

٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٥٦.

٥ـ مجمع البيان ٨ / ٤٤٧، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١٠ ـ ٢١١.

«أهل الكتاب»؛ أي: نصارى نجران. أو: اليهود و النصارى. «إلّا بالتي هي أحسن» أن تكون المناظرة برفق و لين لإرادة الخير و النفع بها. و قيل: منسوخة بآية السيف، إذ لا مجادلة أشدّ منه. و جوابه أنّه آخر الدواء. و قيل: المراد به ذوو العهود منهم. «إلّا الذين ظلموا منهم» بالإفراط في الاعتداء و العناد أو بإثبات الولد و قولهم: «يد الله مغلولة»[١] أو بنبذ العهد و منع الجزية فيجوز أن تسلكوا معهم طريقة الغلظة. «و قولوا آمنّا بالذي أنزل إلينا و أنزل إليكم». و هو من المجادلة التي هي أحسن. و عنه ﷺ: لاتصدّقوا أهل الكتاب و لاتكذّبوهم و قولوا: آمنّا بالله و كتبه و رسله. فإن قالوا باطلاً لم تصدّقوهم و إن قالوا حقّاً لم تكذّبوهم. «له مسلمون»؛ أي: مطيعون له خاصّة. و فيه تعريض باتّخاذهم أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله.[٢]

[٤٧] «وَ كَذٰلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مِنْ هٰؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ مَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ».

«و كذلك»؛ أي: مثل ما أنزلنا الكتاب على موسى و عيسى، أنزلنا إليك القرآن. «آتيناهم الكتاب»؛ أي: علم الكتاب. يعني مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام و نظائره. «و من هؤلاء». يعني كفّار مكّة. «من يؤمن به». يعني من أسلم منهم. و الهاء في به راجعة النبيّ أو القرآن. «و ما يجحد بآياتنا» مع ظهورها و قيام الحجّة عليها إلّا المتوغّلون في الكفر. فإنّ جزمهم به يمنعهم عن التأمّل فيما يفيد لهم صدقها. فإنّها معجزة بالإضافة إلى الرسول كما أشار إليه بقوله: «و ما كنت تتلو».[٣]

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ و جلّ: «فالّذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به» قال: هم

١ـ المائدة (٥) / ٦٤.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٤٩، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١١.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٥٠، و تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١١.

آل محمّد عليهم السلام. و الذين يؤمنون به، أهل الايمان من أهل القبلة.(١)

[٤٨] «وَ مَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَ لَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ».

«و ما كنت» يا محمّد تقرأ قبل القرآن كتاباً. أي: إنّك لم تحسن القراءة قبل أن يوحى إليك القرآن، و لا كنت أيضاً تكتب بيدك. و لو كنت تقرأ و تكتب، لوجد المبطلون من الكفّار طريقاً إلى اكتساب الشكّ في أمرك و إلقاء الريبة لضعفة الناس في نبوّتك و لقالوا: إنّما يقرأ علينا ما جمعه من كتب الأوّلين. فلمّا ساويتهم في المولد و المنشأ، ثمّ أتيت بما عجزوا عنه، وجب أن يعلموا أنّه من عند الله. قال الشريف المرتضى عليه السلام: هذه الآية تدلّ على أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله ما كان يحسن الكتابة قبل النبوّة. فأمّا بعد النبوّة، فالّذي نعتقده في ذلك التجويز لكونه عالماً بالقراءة و الكتابة و التجويز لكونه غير عالم بهما من غير قطع على أحد الأمرين. و ظاهر الآية يقتضي اختصاص النفي بما قبل النبوّة. لأنّ المبطلين إنّما يرتابون في نبوّته عليه السلام لو كان يحسن الكتابة قبل النبوّة. فأمّا بعد النبوّة فلا تعلّق له بالريبة و التهمة، فيجوز أن يكون قد تعلّمها من جبرئيل بعد النبوّة.(٢)

و قوله: «بيمينك» زيادة تصوير للمنفيّ و نفي للتجوّز في الإسناد.(٣)

«لارتاب المبطلون» من أهل الكتاب و قالوا: الذي نجده في كتابنا أمّيّ لايكتب و لايقرأ. أو: لارتاب مشركو مكّة و قالوا: لعلّه تعلّمه أو كتبه بيده. فإن قلت: لم سمّاهم مبطلين؟ و لو لم يكن أمّيّاً و قالوا: ليس بالذي نجده في كتبنا، لكانوا صادقين محقّين، و لكان أهل مكّة أيضاً على حقّ من قولهم: لعلّه تعلّمه أو كتبه، فإنّه رجل قارئ كاتب. قلت: سمّاهم مبطلين لأنّهم كفروا به و هو أمّيّ بعيد من الريب. و كأنّه قال: هؤلاء المبطلون في كفرهم به، لو لم يكن أمّيّاً، لارتابوا أشدّ الريب. فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم. و شيء

١ـ تأويل الآيات ١ / ٤٣١.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٥٠.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١١.

آخر و هو: انّ سائر الأنبياء لم يكونوا أمّيّين و وجب الإيمان بهم و بما جاؤوا به، لكـونهم مصدّقين من جهة الحكيم بالمعجزات. فهب أنّه قارئ كاتب، فما بالهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى و عيسى؟ على أنّ التوراة و الإنجيل ليسا بمعجزين و هـذا المـنزل معجز. فإذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به و هو أمّيّ، و مبطلون لو لم يؤمنوا به و هو غير أمّيّ.[١]

[٤٩] «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ مَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ».

«بل هو»؛ أي: القرآن دلالات واضحات في صدور العلماء و هم المؤمنون به. و قيل: هم الأئمّة من آل محمّد. عن أبي عبدالله عليه السلام. و قيل: إنّ هو كناية عن النبيّ صلى الله عليه و آله. أي: في كونه أمّيّاً لايقرأ و لايكتب آيات بيّنات في صدور العلماء من أهل الكتاب لأنّه منعوت في كـتبهم بهذه الصفة. «إلّا الظالمون» لأنفسهم بترك النظر فيها. و قيل: المراد بالظالمين كفّار اليهود.[٢]

«بآياتنا». يعني أميرالمؤمنين و الأئمّة عليهم السلام.[٣]

[٥٠] «وَ قَالُوا لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ».

نافع و ابن‌عامر و حفص: «آيات من ربّه». و الباقون: «آية».[٤]

«و قالوا». يعني كفّار مكّة. «آيات من ربّه». و هي التي اقترحوها في قوله: «لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً»[٥] و أن يجعل الصفا ذهباً. و قيل: إنّهم سألوا آية كآية موسى من فلق البحر و قلب العصاحيّة و جعلوا ما أتى من المعجزات غـير حـجّة إلقـاء

١ـ الكشّاف ٣ / ٤٥٨.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٥٠ ـ ٤٥١.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٥١.
٤ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١١ ـ ٢١٢.
٥ـ الإسراء (١٧) / ٩٠.

للشبهة بين العوامّ. «إنّما الآيات عند الله» ينزلها و يظهرها بحسب ما يعلم من مصالح عباده و ينزل على كل نبيّ منها ما هو أصلح له و لأمّته. و لذلك لم تتّفق آيات الأنبياء كلّها و إنّما جاء كلّ نبيّ بفنّ منها.(١)

[٥١] «أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَرَحْمَةً وَ ذِكْرىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».

«الكتاب». يعني أنّ في إنزال القرآن حجّة بالغة لايحتاج في صحّة نبوّته إلى غيرها؛ مع أنّه سبحانه لو أظهرلهم ما اقترحوا من الآيات ثمّ لم يؤمنوا، لاقتضت الحكمة إهلاكهم بعذاب الاستئصال كما في حال الأمم السابقة. «في ذلك»؛ أي: القرآن. «و ذكرى»؛ أي: تذكيراً و موعظة لقوم يصدّقون به. و قيل: إنّ قوماً من المسلمين كتبوا شيئاً من كتب أهل الكتاب فهدّدهم الله في هذه الآية و نهاهم عنه.(٢)

[٥٢] «قُلْ كَفىٰ بِاللهِ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللهِ أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ».

«شهيداً»؛ أي: شهيداً لي بالصدق و الإبلاغ و عليكم بالتكذيب و الفساد. و شهادة الله له قوله: «محمّد رسول الله» في كلام معجز ثبت أنّه من الله. و قيل: هي إثبات المعجزات له بإنزال الكتب عليه. «يعلم ما في السموات» فيعلم أنّي على الهدى و أنّكم على الضلالة. «آمنوا بالباطل» و هو ما يعبدون من دون الله و كفروا بوحدانيّة الله. «هم الخاسرون» في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان.(٣)

[٥٣] «وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ لَوْ لَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَ لَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ».

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٥١.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٥٢.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٥٣.

«و يستعجلونك»؛ أي: يسألونك نزول العذاب عاجلاً لإنكارهم صحّة ما توعّدهم به. كما قال النضر بن الحارث: «أمطر علينا حجارة من السماء».[١] «أجل مسمًّى»: أي: وقت قدّره الله أن يعاقبهم به و هو يوم القيامة.[٢]

«بغتة»: فجأة في الدنيا كوقعة بدر أو الآخرة عند نزول الموت بهم.[٣]

[٥٤ ـ ٥٥] «يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

«و إنّ جهنّم لمحيطة». يعني أنّ العذاب و إن لم يأتهم في الدنيا، فإنّ جهنّم جامعة لهم و هم معذّبون فيها. «و من تحت أرجلهم». يعني أنّ العذاب يحيط بهم لا أنّه يصل إلى موضع منهم دون موضع فلايبقى جزء منهم إلّا و هو معذّب في النار. «ما كنتم تعملون»؛ أي: جزاء أعمالكم. «يقول». نافع و أهل الكوفة بالياء و الآخرون: «نقول» بالنون.[٤]

«بالكافرين». اللّام للعهد مع وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على موجب الإحاطة. «ويقول ذوقوا». أي يقول الله أو بعض ملائكته بأمره.[٥]

«لمحيطة»؛ أي: ستحيط بهم «يوم يغشاهم العذاب». أو: هي محيطة بهم في الدنيا. لأنّ المعاصي التي توجبها محيطة بهم في الدنيا، أو لأنّها مآلهم و مرجعهم لا محالة فكأنّها الساعة محيطة بهم. و «يوم يغشاهم» على هذا منصوب بمضمر. أي: يوم يغشاهم العذاب كان كيت و كيت.[٦]

[٥٦] «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ».

«يا عبادي». قيل: هي في المستضعفين بمكّة الذين نزل فيهم: «ألم تكن أرض الله واسعة

١ـ الأنفال (٨) / ٣٢.
٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٥٣.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١٢.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٤٥٣ و ٤٥٢.
٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١٢.
٦ـ الكشّاف ٣ / ٤٦٠.

فتهاجروا فيها».[١] لأنّ أمر دينهم ماكان يستقيم لهم بين ظهراني الكفرة.[٢]

«إنّ أرضي واسعة». أي فاهربوا من أرض يمنعكم أهلها من الايمان و الإخلاص في عبادتي. قال أبوعبدالله عليه السلام: معناه إذا عصي الله في أرض أنت فيها فاخرج إلى غيرها. «فإيّاي فاعبدون»؛ أي: لاتعبدوا غيري. و إيّاي منصوب بفعل مضمر يفسّره ما بعده. و قيل: إنّ دخول الفاء للجزاء. و التقدير: إن ضاق بكم موضع فاعبدوني و لاتعبدوا غيري؛ إنّ ارضي واسعة. أمر سبحانه المؤمنين إذاكانوا في بلد لايلتئم لهم فيه أمر دينهم أن ينتقلوا منه إلى غيره.[٣]

عن أبي جعفر عليه السلام: «إنّ أرضي واسعة». يقول: لاتطيعوا أهل الفسق من الملوك. فاجتنبوهم[٤] أن يفتنوكم عن دينكم. فإنّ أرضي واسعة. و هو يقول: فيم كنتم؟ قالوا: كنّا مستضعفين في الأرض. فقال: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟[٥]

و اعلم أنّ صاحب الكشّاف و الفاضل النيشابوريّ لمّا بلغا إلى تفسير هذه الآية: «يا عبادي الذين آمنوا» ـ اهـ ـ ذكرا سيّما النيشابوريّ أنّه هجر دياره و هي بلاد الشيعة و سافر إلى بلدان أهل الخلاف عليهم امتثالاً لهذه الآية. و أمّا أنا فعلى العكس منهما. لأنّي هاجرت من بلادي ـ بلاد الجزائر ـ لمّا استولى عليها سلطان آل عثمان إلى بلاد الشيعة ـ و هي تستر و نواحيها ـ للتمكّن من إظهار شعائر الشيعة. فينكشف الحال لي و لهما و أنا إن شاء الله على الحقّ.

[٥٧] «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ».

ثمّ خوّفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة فقال: «كلّ نفس ذائقة الموت». أي بأيّ أرض كان. فلاتقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت. «ترجعون». أي بعد الموت فيجازيكم

١ـ النساء (٤) / ٩٧.
٢ـ الكشّاف ٣ / ٤٦١.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٥٥.
٤ـ المصدر: «فإن خفتموهم» بدل «فاجتنبوهم».
٥ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٥١.

بأعمالكم. عن أبي‌بكر: «يرجعون» بالياء.[١]

«كلّ نفس ذائقة الموت». أي: فاصبروا على طاعة الله، فإنّكم إليه ترجعون.[٢]

[٥٨] «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ».

«و الذين آمنوا». يعني المهاجرين. «لنبوّئنّهم»؛ أي: لننزلنّهم «غرفاً»؛ أي: علالي عاليات. «نعم أجر العاملين» تلك الغرف. قرأ أهل الكوفة غيرعاصم: «لنثوينّهم من الجنّة» [بالثاء] و الباقون بالباء.[٣]

«لنثوينّهم». من الثواء و هو النزول للإقامة. يقال: ثوى في المنزل. و ثوى غير متعدّ. فإذا تعدّي بزيادة همزة النقل، لم يتجاوز مفعولاً واحداً؛ نحو ذهب و أذهبته. و الوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين و إلى الغرف إمّا إجراؤه مجرى لننزلنّهم و نبوّئنّهم، أو حذف الجارّ و إيصال الفعل، أو تشبيه الظرف الموقّت بالمبهم.[٤]

[٥٩] «الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

«صبروا». أي على دينهم فلم‌يتركوه لشدّة نالتهم و صبروا على مشاقّ الطاعات. «يتوكّلون» في مهمّات أمورهم و مهاجرة دورهم.[٥]

«الذين صبروا» على مفارقة الأوطان و الهجرة لأجل الدين و على أذى المشركين و على المحن و المصائب «و على ربّهم يتوكّلون». لمّا أمر رسول الله ﷺ من أسلم بمكّة بالهجرة، خافوا الفقر و الضيعة، و كان يقول الرجل منهم: كيف أقدم بلدة ليست لي فيها معيشة؟ فنزلت.[٦]

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٥٥ و ٤٥٣.
٢ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٥١.
٣ـ مجمع البيان ٨ / ٤٥٣ ـ ٤٥٥.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٦١ ـ ٤٦٢.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٤٥٥.
٦ـ الكشّاف ٣ / ٤٦٢.

[٦٠] «وَ كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَ إِيَّاكُمْ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

«لاتحمل رزقها» لضعفها و تأكل بأفواهها. و قيل: إنّه لاتدّخر القوت من الحيوان إلّا ابن آدم و النملة و الفأرة. «الله يرزقها»؛ أي: يرزق تلك الدابّة الضعيفة التي لاتقدر على حمل رزقها و يرزقكم أيضاً. فلاتتركوا الهجرة لهذا السبب.(١)

«لاتحمل رزقها»: لاتدّخره. و إنّما تصبح و لا معيشة عندها، ثمّ إنّها مع ضعفها و توكّلها و إيّاكم مع قوّتكم و اجتهادكم سواء في أنّه لايرزقها و إيّاكم إلّا الله. لأنّ رزق الكلّ بأسباب هو المسبّب لها وحده. فلاتخافوا على معاشكم بالهجرة.(٢)

«يرزقها و إيّاكم». عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانت العرب يقتلون أولادهم مخافة الجوع فقال: «الله يرزقها و إيّاكم».(٣)

[٦١] «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ».

ثمّ عجّب سبحانه رسوله و المؤمنين من إيمان المشركين بالباطل مع اعترافهم بأنّ الله هو الخالق الفاعل فقال: و لئن سألت هؤلاء المشركين: من خلق السموات و الأرض و ذلّل الشمس و القمر في دورانها على طريقة واحدة؟ «ليقولنّ» في جواب ذلك لايختلفون: «الله» الفاعل لذلك. لأنّهم قالوا بحدوث العالم و النشأة الأولى. «فأنّى يؤفكون»؛ أي: فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة حجر لاينفع و لايضرّ؟(٤)

[٦٢] «اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

«يبسط الرزق لمن يشاء». إنّما خصّ الهجرة بذكر الرزق لئلّايخلّفهم عنها خوف العيلة.(٥)

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٥٥.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١٣.
٣ـ تفسير القمّيّ ٢ / ١٥١.
٤ـ مجمع البيان ٨ / ٤٥٧.
٥ـ مجمع البيان ٨ / ٤٥٧.

«و يقدر له»؛ أي: يضيّق عليه. و الضمير في قوله: «له» يحتمل وجهين: أن يريد: و يقدر لمن يشاء، فوضع الضمير موضع من يشاء لأنّ من يشاء مبهم غير معيّن فكان الضمير مبهماً مثله. و أن يريد تعاقب الأمرين على واحد بحسب المصلحة. «بكلّ شيء عليم»: يعلم ما يصلح العباد و ما يفسدهم.(١)

[٦٣] «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ».

«قل الحمد لله» على كمال قدرته و تمام نعمته و على الاعتراف بتوحيده و الإخلاص في عبادته.(٢)

«قل الحمد لله». استحمد رسول الله ﷺ على أنّه ممّن أقرّ بنحو ما أقرّوا به ثمّ نفعه ذلك في توحيد الله و لم يكن إقراراً عاطلاً كإقرار المشركين و على أنّهم أقرّوا بما هو حجّة عليهم حيث نسبوا النعم إلى الله و قد جعلوا العبادة للصنم. «لا يعقلون» ما يقولون و ما فيه من الدلالة على بطلان الشرك و صحّة التوحيد. أو: لا يعقلون ما تريد بقولك و لا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم.(٣)

«قل الحمد لله». هو كلام مستقلّ على سبيل الاعتراض. أو هو متّصل بما قبله. كأنّه استحمد رسوله على البراءة من التناقض و السفاهة خلاف أهل الشرك المعترفين بأنّ النعمة من الله و هم يعبدون الأصنام.(٤)

«قل الحمد لله» على [ما] عصمك من هذه الضلالة، أو على تصديقك و إظهار حجّتك.(٥)

١ـ الكشّاف ٣ / ٤٦٢ ـ ٤٦٣.

٢ـ مجمع البيان ٨ / ٤٥٧. و في النسخة في آخر العبارة زيادة: «من عبادته».

٣ـ الكشّاف ٣ / ٤٦٣.

٤ـ تفسير النيسابوريّ ٢١ / ١٥.

٥ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١٣.

[٦٤] «وَ مَا هٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ».

«و ما هذه». في هذه ازدراء للدنيا و تصغير لأمرها. يريد: ما هي، لسرعة زوالها عن أهلها و موتهم عنها، إلّا كما يلعب الصبيان ساعة ثمّ يتفرّقون. «لهي الحيوان»؛ أي: ليس فيها إلّا حياة مستمرّة لا موت فيها فكأنّها في ذاتها حياة. و الحيوان مصدر حيي، و قياسه حييان فقلبت الياء الثانية واواً. «لو كانوا يعلمون» فلم يؤثروا الحياة الدنيا عليها.[١]

«لهي الحيوان»؛ أي: لهي دار الحياة الحقيقيّة.[٢]

[٦٥] «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ».

«فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين»: كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون إلّا الله و لا يدعون معه إلهاً آخر. و في تسميتهم مخلصين ضرب من التهكّم. «فلمّا نجّاهم إلى البرّ» و أمنوا، عادوا إلى حال الشرك.[٣]

[٦٦] «لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَ لِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ».

«ليكفروا». يحتمل أن يكون اللّام لام كي. و كذلك في «و ليتمتّعوا» فيمن قرأها بالكسر. و المعنى أنّهم يعودون إلى شركهم ليكونوا بالعود إلى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتّع بها و التلذّذ لا غير، على خلاف عادة المؤمنين المخلصين إذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله في إنجائهم و يجعلوا نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة لا إلى التمتّع و التلذّذ. و أن يكون لام الأمر. و قراءة سكون اللّام تشهد له. و نحوه قوله: «اعملوا ما شئتم».[٤] و الأمر بالكفر هنا مجاز عن الخذلان و التخلية و أنّ ذلك الأمر متسخّط إلى غاية.

١ـ الكشّاف ٣ / ٤٦٣.

٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١٤.

٣ـ الكشّاف ٣ / ٤٦٤.

٤ـ فصّلت (٤١) / ٤٠.

و مثاله أن ترى رجلاً عازماً على أمر يضرّه و تبالغ في نهيه فإذا لم ينجع قـلت له: أنت و شأنك.[١]

ابن كثير و الكسائيّ: «ليتمتّعوا» بسكون اللّام.[٢]

[٦٧] «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَ فَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ».

«و يتخطّف الناس»؛ أي: يختلسون قتلاً و سبياً.[٣]

«و يتخطّف». كانت العرب حول مكّة يغزو بعضهم بعضاً و يتناهبون و أهل مكّة قارّون آمنون لايغار عليهم مع قلّتهم و كثرة العرب. فذكّرهم الله هذه النعمة الخاصّة و وبّخهم بأنّهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه و مثل هذه النعمة الظاهرة و غيرها من النعم مكفورة عندهم.[٤]

[٦٨] «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكَافِرِينَ».

«ممّن افترى». افتراؤهم على الله زعمهم أنّ لله شريكاً و تكذيبهم بما جاءهم من الحقّ و كفرهم بالرسول و الكتاب. و في قوله: «لمّا جاءه» تسفيه لهم. يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه و لم يتفكّروا حتّى يظهر لهم صدقه أو كذبه.[٥]

تلعثم الرجل في الأمر، إذا تمكّث فيه و تأنّى. (صحاح)

«أليس في جهنّم». استفهام تقرير. أي: أما لهؤلاء الكفّار والمكذّبين مثوًى في جهنّم؟ و هذا مبالغة في إنجاز الوعيد لهم.[٦]

١ـ الكشّاف ٣ / ٤٦٤.
٢ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١٤.
٣ـ تفسير البيضاويّ ٢ / ٢١٤.
٤ـ الكشّاف ٣ / ٤٦٤ ـ ٤٦٥.
٥ـ الكشّاف ٣ / ٤٦٥.
٦ـ مجمع البيان ٨ / ٤٥٨.

[٦٩] «وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَ إِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ».

«جاهدوا فينا»؛ أي: جاهدوا الكفّار ابتغاء مرضاتنا، و جاهدوا أنفسهم في هواها خوفاً منّا. و قيل: اجتهدوا في عبادتنا رغبة في ثوابنا و رهبة من عقابنا. «لنهدينّهم سبلنا»؛ أي: السبل الموصلة إلى الثواب، و لنوفّقهم لازدياد الطاعات. و قيل: معناه: الذين جاهدوا في إقامة السنّة، لنهدينّهم سبل الجنّة. و قيل: معناه: الذين يعملون بما يعلمون، لنهدينّهم إلى ما لايعلمون. «لمع المحسنين» في الدنيا بالنصرة و في الآخرة بالعقاب.[١]

تمّت الحواشي مع المتن يوم الأحد ثاني ذي‌الحجّة الحرام من شهور ألف و مائتين و أحدعشر من الهجرة النبويّة. و الحمد لله مصلّياً على النبيّ و آله الطاهرين/. سنة ١٢١١.

١ـ مجمع البيان ٨ / ٤٥٨.